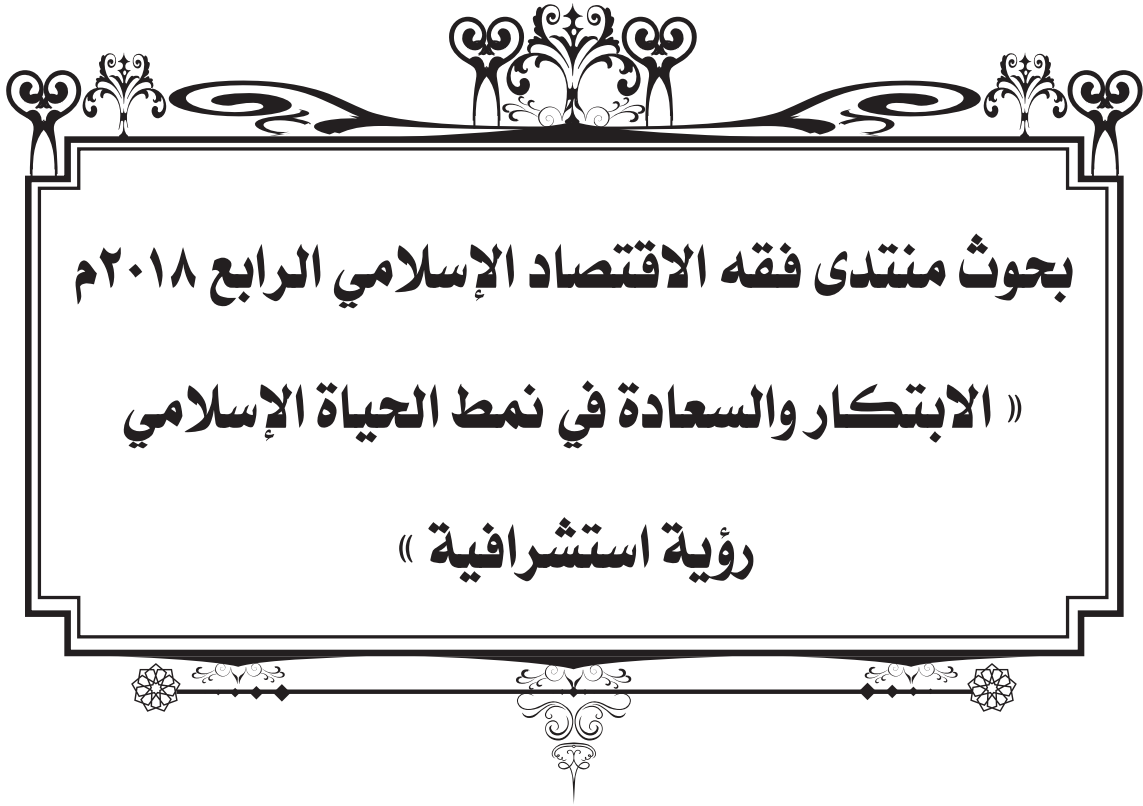




منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



تنظيم دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٦-٧ شعبان ١٤٣٩ هـ

٢٢-٢٣ أبريل ٢٠١٨ م

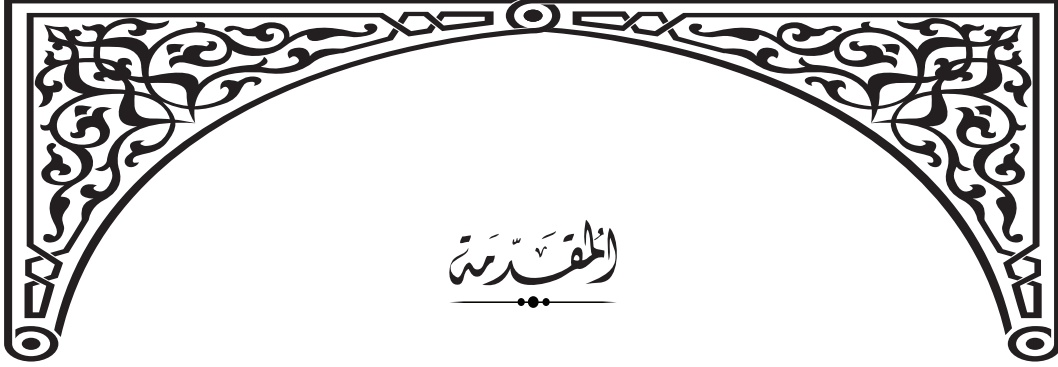
حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae





الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد:

دعماً لمبادرة «دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي» التي أطلقها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي - رعاه الله تعالى -، وتحت رعاية كريمة من سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي، رئيس المجلس التنفيذي، تنظم دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع ٢٠١٨ بعنوان: «الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي - رؤية استشرافية»، في الفترة (٢٢-٢٣ / ٢٤ / ٢٠١٨ م)، وقد تلقت اللجنة العلمية ١٥٥ طلباً للمشاركة وملخصاً للبحوث، وبعد دراسة الملخصات البحثية تم قبول ٧٨ منها، وإخطار الباحثين بالكتابة فيها، ثم وردت إلى اللجنة زهاء ٦٤ بحثاً، وقد قامت اللجنة بتحكيمها علمياً، واجتاز التحكيم ٣٣ بحثاً، (١٤ بحثاً في المحور الأول، و ١٠ بحوث في المحور الثاني، و ٩ بحوث في المحور الثالث).

وقد تم اختيار ٢٠ بحثاً منها ليتم عرضها ومناقشتها في المنتدى.

وفيما يأتي محاور المنتدى والعناصر الاسترشادية:

المحور الأول: نمط الحياة الإسلامي والاقتصاد، (العلاقة والتأثير)

١- مفهوم نمط الحياة الإسلامي وخصائصه.

٢- نمط الحياة الإسلامي وأثره في سعادة الفرد والمجتمع.

٣- الاستهلاك وعلاقته بنمط الحياة الإسلامي.

٤- الفرص الاستثمارية في نمط الحياة الإسلامي.

٥- الابتكارات وأثرها في نمط الحياة الإسلامي.

٦- الاقتصاد الرقمي وتأثيره في نمط الحياة الإسلامي.

٧- الثورة الصناعية الرابعة ونمط الحياة الإسلامي (الضوابط والتأثير).

المحور الثاني: التصميم والفنون الإسلامية:

١- مفهوم التصميم والفنون الإسلامية، (ضوابط وأحكام).

٢- الابتكار في التصميم، وأفضل الممارسات وأثرها في الاقتصاد

٣- مستقبل المتاحف الإسلامية، وأثرها في الاقتصاد.

٤- الهندسة المعمارية الإسلامية وأساليب البناء المستقبلي (الأخضر، الذكي....).

٥- النمط الإسلامي في الأزياء والموضة (ضوابط وأحكام).

٦- ابتكار آليات ووسائل ترويج الأزياء الإسلامية والمحافظة.

٧- معايير التجسيد لصناعة الروبوتات وفق الضوابط الإسلامية.

٨- الضوابط والمعايير الشرعية لصناعة الأفلام والبرامج الإعلامية.

المحور الثالث: السياحة العائلية من منظور الثقافة الإسلامية:

١- مفهوم وخصائص السياحة العائلية وضوابطها.

٢- الفرص الاستثمارية والثقافية في قطاع السياحة العائلية.

٣- أفكار وتجارب مبتكرة وأفضل الممارسات في السياحة العائلية وسياحة

الطفل.

٤- نحو معايير عالمية للسياحة العائلية

٥- نحو تصنيف عالمي للوجهات السياحية العائلية وفق الضوابط الشرعية

٦- وجهات السعادة في قطاع السياحة الإسلامية

٧- التسهيلات المصرفية الإسلامية ودورها في تطوير قطاع السياحة وانعكاس

ذلك على الأفراد والمجتمع.

سائلين المولى عز وجل أن يسدد خطانا ويجعل أعمالنا في رضاه، وأن يكلل
أعمال المنتدى بالنجاح، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

البنى المعيارية للسعادة في نمط الحياة الإسلامي
مقاربة سوسيو إسلامية للبناء المفاهيمي
وضوابطه وشروطه الوجودية

إعداد

د. محمد عبد الكريم الحوراني

قسم علم الاجتماع - جامعة الشارقة

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

يرتكز أسلوب الحياة في الإسلام على توجيهات قيمة تكرر الفضيلة في كافة المستويات التفاعلية والعلائقية - الإشباعية. وهذه التوجيهات القيمة الشاملة تنعكس على شخصية المسلم وعلاقته بعضويته الحية وبذاته وبالمجتمع من حوله. بالإضافة إلى ذلك فإن التوجيهات القيمة الإسلامية ترتقي بالأخلاق الخاصة والعامة عن طريق تعيين الحقوق والواجبات بما يضمن الرضى والتوازن والاستقرار المجتمعي، كما تعمل وفق خصوصيتها الفريدة على ربط الإشباع المادي بالإشباع المعنوي والإشباع الروحي. وكل ذلك يمثل خلاصة ما توصلت إليه العلوم الحديثة حول العوامل المنتجة للمشاعر الإيجابية المفضية إلى السعادة (سيلجمان، ٢٠٠٥: ١٩)

إن هذا التوازن الإشباعي - المعياري الفريد الذي يقدمه الإسلام يضع الضوابط المعيارية لديناميات التوازن الإشباعي بين الإشباع البيولوجي، والاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، والاعتقادي بما يكرس الفضيلة وموجباتها في أسلوب الحياة، وهذا يفضي بالضرورة إلى سعادة تكاملية تركز على نقاط الالتقاء بين الفرد والمجتمع، وتمنحه القوة والتقدم والارتقاء، ومثل هذا الفهم للسعادة يخرج من قيد الفهم الاختزالي للسعادة سواء كان مادياً أم سيكولوجياً أم غير ذلك.

ولكن على الرغم من ثراء التوجيهات القيمة الإسلامية وخصوبتها العملية والتطبيقية وتقدمها على الثقافة الرأسمالية في إنتاج سعادة المجتمع الإنساني

ورفاهه (معنويا وماديا) إلا أنه قد تكرر إهمالها سواء في التنظير أم في صياغة النماذج العملية المبنية على القيم الإسلامية، الأمر الذي أجحفها حقها في الظهور والتميز، بل وجهت لها الاتهامات بإنتاج العنف والإرهاب.

ومن هنا فإن البحث الراهن يحاول إظهار المنطلقات العملية لسعادة الفرد والمجتمع عن طريق مقارنة سوسيولوجية - إسلامية تتخذ من نظرية بناء الفعل الاجتماعي *The Structure of Social Action* في علم الاجتماع منطلقا لها لتظهر العلاقة العضوية بين سعادة الفرد والمجتمع، وطبيعة الفعل الاجتماعي الذي يحكم أسلوب الحياة في الإسلام.

وتأتي أهمية هذا الطرح من خلال إظهار الجوانب اللامادية للسعادة، بالإضافة إلى إظهار التوازن الكلي للإشباع الإنساني والجمع بين الذاتي والموضوعي في تقدير السعادة، حيث تبنى السعادة في أسلوب الحياة الإسلامي على مقومات اجتماعية وروحية وإيمانية وجسدية وكذلك مادية. وهذه الاعتبارات لم تأخذها المنظورات المحدثّة التي تركز على الرفاه ونوعية الحياة بعين الاعتبار. حيث اقترن مفهوم السعادة في الأدبيات المعاصرة بالرفاه *Wellbeing* ونوعية الحياة *Quality of Life* و (Dutt&Radcliff, 2009). كما ركزت الدراسات في السنوات القليلة الماضية على ثلاثة اعتبارات لتحقيق السعادة؛ وهي: الجينات، وأحداث الحياة الكبرى، والخيارات المتاحة للأفراد (TED, 2013).

ومن أجل صياغة الفكرة الأساسية للبحث الراهن سوف تتم مناقشتها من خلال المحاور الآتية:

أولاً: أسلوب الحياة في الإسلام: صياغة الشروط الوجودية للسعادة.

ثانياً: النسق الثقافي الإسلامي: التوجيهات القيمية للسعادة.

ثالثاً: نسق الشخصية الموجه بالقيم الإسلامية: التوازن الإشباعي للحاجات.

رابعاً: النسق الاجتماعي: مكان الإشباع وتكامل الحقوق والواجبات.

خامساً: بنية السعادة في نمط الحياة الإسلامي: نحو نموذج معياري.



أولاً: أسلوب الحياة في الإسلام صياغة الشروط الوجودية للسعادة

يشير مفهوم أسلوب الحياة Lifestyle في أدبيات علم الاجتماع إلى «طريقة العيش، والاتجاهات، والقيم، والتوجهات السلوكية المميزة والمقبولة من قبل جماعة أو مجتمع معين» (Soble, 1981:28). إنه طريقة العيش الكلية التي تحدد من خلالها القيم، أي الأفكار المشتركة حول الغايات المرغوبة، وكذلك المعايير، أي الوسائل المقبولة والمشروعة لتحقيق الغايات.

إن أسلوب الحياة يمثل بناء رمزيا وتعبيريا يعكس تميز ثقافة مجتمع ما عن الثقافات الأخرى، كما يعكس أخلاقياتها وفضائلها. وعلى الرغم من أن أسلوب الحياة يحدد الملامح الكلية للسياق الاجتماعي والثقافي، إلا أن إنتاجه وإعادة إنتاجه يلاحظ على المستوى الفردي كذلك. ولذلك فإن مؤشرات المباشرة تقاس من خلال الأفراد. ويمثل أسلوب الحياة وفق المعنى السابق، السياق الذي تتحدد فيه المعايير الذاتية والموضوعية للسعادة من خلال الارتقاء الشمولي بنوعية الحياة وامتلاك الأفراد أحكاما إيجابية حول العيش. وقد أشارت الدراسات إلى أنه كلما كان الناتج المحلي الإجمالي أعلى، فإن أسلوب الحياة يكرس سعادة أكبر، حيث يكون الناس أكثر مرونة إزاء الأزمات، ولديهم مستوى تعليم أعلى، وفرص عمل أكبر، ورعاية صحية أفضل، وتوزيع دخل أكثر عدالة، ومستوى أعلى من التماسك الاجتماعي مقارنة بالدول ذات الناتج المحلي المتدني (Giovannini et al., 2007). ولكن بالمقابل، فإن بعض الدراسات تشير إلى أنه بالرغم من أن المال قد يصنع السعادة

إلا أن المجتمعات النامية والفقيرة عندما تصبح أغنى ليس بالضرورة أن تتحقق لديها السعادة (Layard, 2007). وهذا يعني أن السعادة ترتبط بتقاليد راسخة تجسد بمجملها (ثقافة السعادة) أو (أسلوب حياة السعادة) وهذا ما سعى الإسلام إلى ترسيخه في المجتمع الإسلامي.

بالمقارنة مع الفهم الغربي للعلاقة بين نوعية الحياة والسعادة، وضع الإسلام مخططاً قيمياً ومعاييرياً يرتقي بنوعية الحياة في أسلوب حياة الشخص المسلم ويحقق له السعادة والطمأنينة والرضا ضمن منهجية تكاملية تعيد للإنسان معناه الجوهري وتحقق له غايته الوجودية. وهذا المخطط القيمي يتضمن شروطاً وجودية لعيش المسلم ليس باعتباره مشروعاً دنيوياً فحسب، ولكن باعتباره مشروعاً أخروياً. إن هذا الاتصال العميق بين الفعل الدنيوي والمكافأة الأخروية يعد ميزة فريدة وسراً صريحاً في تشكيل أسلوب الحياة الذي يرسمه الإسلام. بالإضافة إلى ذلك فإن أسلوب الحياة الذي يدعو إليه الإسلام مبني بوجه عام على معادلة تجمع بين الدنيا والآخرة في إطار متسق وهذه المعادلة هي «التوازن الحافزي في تحقيق الغايات» فمن الشروط الإشباعية الدنيوية المباشرة التي تضمن أسلوب حياة سعيدة ما أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله الجامع: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (سنن الترمذي، رقم الحديث: ٢٣٤٦).

السعادة = (أمن وطمأنينة - الخوف) + (الصحة والعافية - المرض) + (الغذاء - الجوع)

وتتمثل الموازنة بين المطلب الدنيوي والمطلب الأخروي في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى أربعة شروط وجودية تعطي الفرد السعادة بصورة مباشرة وفق المنهج الذي وضعه الإسلام، وهذه الشروط هي:

أولاً: الإيمان، يضمن للفرد أن يكون على صلة دائمة بربه في العبادة والاستعانة فيحظى بالاطمئنان والرضا والقوة والتوازن الوجداني. وفي أسلوب الحياة الإسلامي يعد الإيمان شرطاً مسبقاً لكل ما يفعله المسلم؛ فقد ورد عن الرسول عليه السلام: «لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئتكم به» (البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، ١ / ١٩٢). وقد جاء النبي عليه السلام بكل التفاصيل المتعلقة بأسلوب حياة المسلم. كما ورد في الحديث النبوي الشريف أن كمال الإيمان يكون من خلال الرضا بقدر الله خيره وشره، ومن خلال ضروب الفعل الإنساني في العلاقات والتفاعلات والمعاملات وعمليات الإنتاج. مثل قوله عليه السلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (صحيح البخاري، رقم الحديث: ١٣)، وقوله كذلك: «لا يؤمن بالله من لا يكرم جاره» وفي حديث آخر «ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه» (الهيثمي، مجمع الزوائد، ١ / ٢٩٥). ويندرج في الإيمان أداء العبادات المختلفة وقد ورد عن الصلاة في الحديث النبوي الشريف، مثلاً، «وجعل قرّة عيني في الصلاة» (الطبراني، المعجم الأوسط، ٦ / ٥٣)، وكذلك «أرحنا بها يا بلال» (الهيثمي، مجمع الزوائد، ١ / ١٥٠) (موقع موسوعة الإمام النابلسي، ٢٠١٨). وقد أظهرت الدراسات في هذا السياق أن التدين يفضي إلى السعادة وهو متغير يتوسط العلاقة بين السعادة ومتغيرات حياتية أخرى (Cranney, 2017).

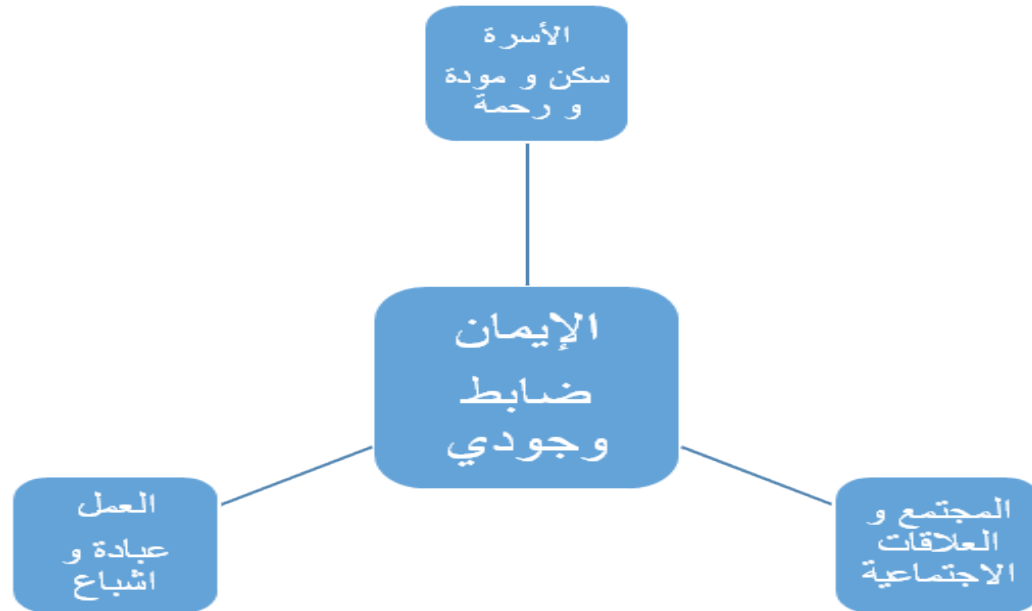
ثانياً: الأسرة: وقد أعطتها الإسلام دوراً وجودياً وحيوياً في بناء الحياة الإنسانية، كما حرص على قوة علاقاتها وتماسكها. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. ولذلك فقد حض الرسول عليه السلام الشباب على الزواج: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج» (صحيح ابن حبان، رقم الحديث: ٤٠٢٦)، وفي حديث آخر: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» (سنن الترمذي، ١٠٨٥)، (موقع موسوعة الإمام النابلسي، ٢٠١٨). عندما يحاط المرء بعلاقات أسرية متينة ترعاه وتكفله وتسانده وتحتزل توتراته وتخفف معاناته وتمنحه الحب والاستقرار العاطفي والأمن.

ثالثاً: المجتمع: وأعني به العلاقات والتفاعلات الكلية التي ينخرط فيها الفرد ومن قبيل ذلك الصداقة والجيرة والمجتمع المحلي وقد أشارت الدراسات العالمية المقارنة في هذا المجال إلى أهمية هذا المتغير في إنتاج السعادة بالنسبة للفرد والمجتمع (Musikanski et al, 2017). إن الإشباع الإنساني لا يتحقق إلا من خلال الجهد التعاوني والتبادلي الموصول، والفرد لا يجد ذاته إلا من خلال العلاقات التي ينخرط فيها، فالصديق هو المؤانس، والمساعد، والمدافع، والناصح، ولذلك عندما يحيط المرء ذاته بعلاقات إيجابية تجعله أكثر أكثر طمأنينة وأكثر أمناً وبالتالي أكثر سعادة. ومن هنا فقد أشار الحديث النبوي الشريف إلى أسس اختيار الصديق وأهمية الصديق في الحياة فقال عليه السلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يخال» (البيهقي، شعب الإيمان، ٧ / ٣١٠٧). كما ورد في الحديث القدسي أن من

بين من يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجلان تحابان في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه».

رابعاً: العمل: لقد جعل الإسلام العمل واجباً على كل قادر كما جعله عبادة، وليس فقط مجالاً للكسب. ولأنه عبادة فقد وضع له الإسلام ضوابط وأخلاقيات لا تنعكس فقط على العامل وإنما على من يتلقى الخدمة. ولذلك على العامل أن يراقب ذاته في عمله، وأن يحرص على الحلال في العمل، وأن يعمل على تجويد صنعته ولا يغش فيها.

إن اختزال النزعة المادية وتضخيم القيمة الإنسانية التي تتحقق من خلالها عبادة الله تجعل المرء محبا لعمله وسعيدا في القيام به. ولذلك فإن سوء بيئة العمل وضغوطاتها تجعل الفرد تعيساً في معظم مناحي حياته.



شكل (١) الشروط الوجودية النسقية للسعادة في الإسلام

أنساق فعل السعادة في أسلوب الحياة الإسلامي:

إن عناصر فعل السعادة في الإسلام توجد في أنساق تجسد مستويات مختلفة من التنظيم، وهذه الأنساق هي: النسق الثقافي (التوجيهات القيمية)، ونسق الشخصية (ترتيب الحاجة)، والنسق الاجتماعي (توقعات الدور الإشباعي)، (الهوراني، ٢٠٠٨). إن التصور المرتبط بالعلاقة بين هذه الأنساق كما هو مفسر في نظرية بناء الفعل يؤكد على أن فعل الفرد يجب أن يتضمن الأنساق الثلاثة حيث تترابط الأنساق فيما بينها كوحدة لا تقبل الانفصال، ولكن كل واحد من هذه الأنساق يفهم ضمن مستواه (Parsons&Shills, 1965:54-56). ووفق هذه النظرية فإن فعل السعادة في الإسلام يجسد نقطة توازن معيارية بين الإشباعات المفترضة لكل نسق من الأنساق الثلاثة.

فعل السعادة = توجيهات قيمية + إشباعات الحاجة الشخصية + إشباعات

توقعات الدور

ولأن السعادة مقترنة بالحالة الشعورية للإنسان فقد اعتنى الإسلام بالبنى الوجودية التي تمثل إطاراً للفعل وتنتج المشاعر الإنسانية وهي - كما تمت الإشارة سابقاً - الأسرة والصدقة والعمل. إن هذه البنى تمتاز بكثافة التفاعل وتكريس الصفة الأولية للعلاقات الاجتماعية وهذا يعني أنها تنتج العاطفة والشعور الإنساني، وعندما تكون العاطفة سلبية تكون حدة هذه البنى على حالة الفرد سلبية ومؤذية إلى حد كبير. ومن هنا جاءت حكمة الإسلام في التركيز على ما يضبطها ويوجهها ويرتقي بها.

ثانياً: النسق الثقافي الإسلامي

التوجيهات القيمية للسعادة

يمثل النسق الثقافي نسق التوجيه المركزي في بناء الفعل الاجتماعي وبالتالي في بناء فعل السعادة. ويحتل هذه المكانة المركزية لأنه يتضمن المسؤول عن العمليات العقلية-الثقافية وبشكل أساسي التوجيهات القيمية الإدراكية، والتفسيرية، والوجدانية (Parsons, 1951:17). إن القيمة الأساسية لهذه التوجيهات القيمية الثلاث أنها تحقق الرضا وتخترل التوترات والمشكلات وتقود إلى تحقيق التكامل التام بين مكونات الفعل وهذا التكامل البعيد عن التوترات والمبني على القناعة والرضا يكشف عن مستويات مرتفعة من السعادة.

ومن التوجيهات القيمية الإدراكية التي دعى إليها الإسلام وجاء بها العلم الحديث كموجبات للسعادة ما يلي: التفاؤل والإيجابية Optimism، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا طيرة وخيرها الفأل أي الكلمة الصالحة» (صحيح البخاري، رقم الحديث: ٥٧٥٥)، وكذلك الابتسامه حيث تبين أنها ترسل إلى الدماغ إشارات إيجابية تخفف حدة التوترات وتجعل الفرد مرغوباً من الآخرين. وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (صحيح ابن حبان، رقم الحديث: ٥٢٩)، وورد كذلك: «... إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق» (سنن الترمذي، رقم الحديث: ١٩٧٠) (موقع الدرر السننية، ٢٠١٨) وكذلك أن يحيط المرء نفسه بالأصدقاء الصدوقين وقد ورد عن الرسول عليه السلام قوله: «أسعد الناس من خالط أكارم الناس»، وقال: «لا تصاحب إلا

مؤمننا...» حيث يسعى الصديق في مصلحة صديقه ويعينه في المواقف المختلفة. والابتعاد عن الأصدقاء السيئين لأنهم يوجهون الفرد إلى ما يربك حياته ويبعث فيها التوترات وقد شبه الرسول عليه السلام الصديق السيء بنافخ الكير الذي يلحق الأذى بالفرد بمجرد مخالطته. والترويح عن النفس وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: «روحوا القلوب ساعة وساعة» (السخاوي، المقاصد الحسنة، ٢٧٥). ومن موجبات سعادة الفرد ملاحقة أهداف قابلة للتحقيق بحيث تولد الحافزية وأكثر تنظيمًا ونجاحًا عند الفرد، وقد ورد في التوجيه النبوي: «... العاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان» (ابن القيسراني، تخریج الكشاف، ١٧٦ / ٣). وكذلك تعلم شيء جديد بشكل مستمر مما يجعل الفرد أكثر إنتاجية واعتدادًا بذاته. وهناك أحاديث نبوية كثيرة تحث المؤمنين على العلم والتعلم. وفهم قيمة مساعدة الآخرين وقد وجه الرسول عليه السلام المسلمين إلى هذا الأمر في أحاديث كثيرة «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» (الألباني، صحيح الترمذي، رقم الحديث: ١٩٣٠)، و«أفضل الأعمال عند الله بعد الفرائض إدخال السرور على المؤمن». وقد ثبت علمياً أن مساعدة الآخرين تبعث الشعور بالرضا، وتمنح الفرد شعوراً بالتكامل والانتفاء، وعلى المستوى المجتمعي العام يحقق التماسك الاجتماعي والتكافل وتشعر أفراد المجتمع بالأمن، وهذا ينطبق أيضاً على الزكاة والصدقة (انظر، عفانة، ٢٠٠٧).

بالإضافة إلى ما تقدم فقد تضمن نمط الحياة في الإسلام مجموعة واسعة جداً من الأوامر والنواهي المبنية على فصل الحلال عن الحرام على أساس ما أحل الله ورسوله

وعلى أساس ما تم تحريمه. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. إن منهج التحريم في نمط الحياة الإسلامي قائم على صيانة الحقوق بدءاً من حق صيانة المرء لذاته وصحته وصولاً إلى حقوق الآخرين ومعنى هذا أن تكامل المرء مع معاني الحلال والحرام يعني تكامله مع ما يرضيه، وما يرضي الآخرين عنه، وهذا يبعث في النفس الانشراح والطمأنينة والتكامل والقبول الاجتماعي وهي من المعايير الهامة في قياس السعادة.

كما تضمنت التوجيهات القيمة الإسلامية ضبط العواطف والانفعالات، أي التوجيهات القيمة الوجدانية التي تلزم الفرد بعدم إيذاء مشاعر الآخرين وتضمن التوازن الداخلي ومن قبيل ذلك قول الرسول عليه السلام: «...ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» (سنن الترمذي، رقم الحديث: ٢٣٠٥)، وقال عليه السلام: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (صحيح البخاري، ٦١١٤)، وهذا التوجيه النبوي يدعو إلى ضبط انفعال الغضب والحفاظ على التوازن الانفعالي العقلاي. والحيلولة دون ندم الفرد على نتائج التصرف الانفعالي التي غالباً ما يترتب عليها نتائج سلبية. وقد جاء في سورة لقمان ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].



ثالثاً: نسق الشخصية الموجه بالقيم الإسلامية

التوازن الإشباعي للحاجات

تمثل الشخصية نقطة تجمع العلاقات بين الكائن العضوي وموضوعات البيئة الخارجية، وبشكل خاص الموضوعات الاجتماعية والثقافية. إن نسق الشخصية في بناء الفعل الاجتماعي يمثل منطقة توازن هامة في الفعل لأن مستويات الرضا والإشباع ومؤشراتها تظهر فيه على نحو مباشر، كما أنه يمثل المنطقة التي يحدث فيها التوازن بين المتطلبات العضوية الطبيعية كالجوع والجنس بالإضافة إلى الامتثال لمتطلبات المجتمع. ولأن الشخصية تمثل حاضنة الإشباع الإنساني تظهر فيها معالم السعادة والرضا والسرور أو العكس.

ومن هنا، دعا الإسلام إلى الاعتدال والتوازن في عملية الإشباع المادي والاجتماعي، كما وضع آداباً وضوابط ونواهي لعملية الإشباع. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقد ورد في الحديث النبوي: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (سنن الترمذي، رقم الحديث: ٢٣٨٠). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. إن هذا الاعتدال من موجبات سعادة الفرد لأنه يحفظ صحته وقدرته ونشاطه واجتهاده. كما أن التآدب فيه يكسب المرء قبول الآخرين. وكذلك الأمر بالنسبة للإشباع الجنسي فقد نهى الإسلام عن

الزنا والإشباع في مواضع وأوقات معينة لما فيها من ضرر كما دعا إلى الاعتدال في الإشباع الجنسي (للمزيد: انظر، أحمد، ٢٠٠٣).

والجانب الثاني من نسق الشخصية هو التوجيهات القيمية المختلفة التي يتشربها من النسق الثقافي عن طريق التنشئة الاجتماعية. مما يجعل الشخص متماثلاً مع سياقه وفق التوجيهات الإدراكية ومعاني الأشياء ودلالاتها بالإضافة إلى امتثاله إلى أحكام الحلال والحرام والتوجيهات الإدراكية المتعلقة بضبط العواطف والمشاعر. إن التوجيه الإسلامي راعى في التكوين الإنساني البعد العقلي والإدراكي، كما راعى البعد الحسي والشعوري، وكذلك البعد المادي - الجسدي الإشباعي. وفي حقيقة الأمر إن المتتبع لآيات القرآن الكريم والهدي النبوي المتعلق بهذه الأبعاد يلاحظ مستوى عالياً من التوجيه نحو الاعتدال والتوازن وتجنب الإفراط أو التفريط.

إن جميع القواعد التي وضعها الإسلام لتحقيق التوازن في نسق الشخصية تمهد الطريق لمقتضيات السعادة. فهي تحقق التوافق السيكولوجي الذاتي الذي يجعل الفرد متصالحاً مع ذاته. كما تجعله متصالحاً مع محيطه، الأمر الذي يكسب الشخص الشرعية المفضية إلى تحقيق الأهداف في إطار من التراضي والقبول والثناء. وجميعها محفزات للإقدام والإنتاج والعطاء ضمن معادلة فريدة مدركة لدى الشخص تجمع ثواب الدنيا وثواب الآخرة، وهذا من أبلغ التعبيرات عن شعور الأشخاص بالتوازن والاستقرار والرضا.

بالإضافة إلى ما تقدم وضع الإسلام ميكانزمات تحافظ على حالة التوازن وتوجه الشخص إلى التعامل مع التوترات التي تدخل في حيز علاقته مع إشباعاته أو

تهدها. وفي الغالب تكون بالصبر والدعاء وقد ظهر هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. وهناك أحاديث كثيرة وردت عن الرسول عليه السلام في تفريج الهم والحزن والكرب. والمسألة الواضحة هنا أن ما يوتر السعادة ويعيقها يحل باللجوء إلى الله. حيث يقتنع الشخص المؤمن بأن الدعاء يحيل مسألته إلى قوة عليا عادلة فيطمئن ويرضى.



رابعاً: النسق الاجتماعي الإسلامي

مكان الإشباع وتكامل الحقوق والواجبات

يستطيع الإنسان إشباع حاجاته فقط في إطار علاقاته مع الآخرين من حوله. إن الإطار النسقي الاجتماعي يشمل جميع الإشباعات الإنسانية من العاطفة إلى الجنس وصولاً إلى العمل والأمن. ولكن لا تكون سعادة الإنسان إلا إذا كان الإشباع المتبادل بين البشر متوازناً وعادلاً. هذا هو الأصل في الوجود الإنساني عموماً، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقد ورد في الحديث الشريف: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (صحيح البخاري، ٦٠٢٦)، كل ذلك يدل على ضرورة التكامل الإشباعي من أجل إعمار الكون مع الأخذ بعين الاعتبار ضابط التقوى الذي يحول دون الاستغلال وحرمان البعض للبعض الآخر.

إذاً سعادة الإنسان ليس في انعزاله ولكن في تكامله مع الآخرين، وليس في نزعه الفردية ولكن في نزعه الاجتماعية. إن التوازن العلائقي-الإشباعي، أو العدالة التبادلية العلائقية تمثل معيار اتفاق وتراض وليس معيار مساواة مطلقة (Parsons, 1951). بمعنى أن الأطراف المتفاعلة ليس بالضرورة أن تحصل على إشباع متساوية في مقدارها ولكن في مقدار ما تم الاتفاق عليه. إن التفاعل الإنساني وفق نظرية بناء الفعل الاجتماعي يصل إلى نقطة استقرار وتوازن شبه نهائي وهي نقطة «تتام التوقعات» Complementarity of Expectations حيث يكافئ كل طرف الطرف الآخر بأن يتصرف في ضوء ما هو متوقع منه. وهذا الأمر

ينطبق على جميع أنواع العلاقات بدءاً من الصداقة إلى العلاقة الزوجية وعلاقة العمل وعلاقة الحاكم بالمحكوم. ولذلك عندما يتصرف الفرد وفق ما هو متوقع منه يكون محل ثقة الآخرين ومحبتهم وتكون العلاقة إطاراً للأمن السيكولوجي والاجتماعي. وهكذا عندما نضمن نتائج أفعال الآخرين الذين نتفاعل معهم نكون سعداء في علاقتنا بهم.

وفق هذا المعنى، الأصل في الاجتماع الإنساني أن يبنى على التبادل الإشباعي المفضي إلى سعادة الأفراد، وتكريس بنية السعادة التي قوامها العدالة المبنية على حصول كل فرد على ما يتوقع في إطار العلاقة، أي على حقه. وبالمقابل أن يؤدي واجبه الذي يشعره بقيمته وباستحقاقه لما يحصل عليه. ولذلك فإن المنهج الإسلامي في تحقيق السعادة يقوم على شرعية الأخذ وشرعية العطاء. وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٧٥ / ١)، وفي الحديث القدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (صحيح البخاري، ٢٢٢٧). وقال عليه السلام: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (السنن الكبرى للبيهقي، ١٢٠ / ٦). وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

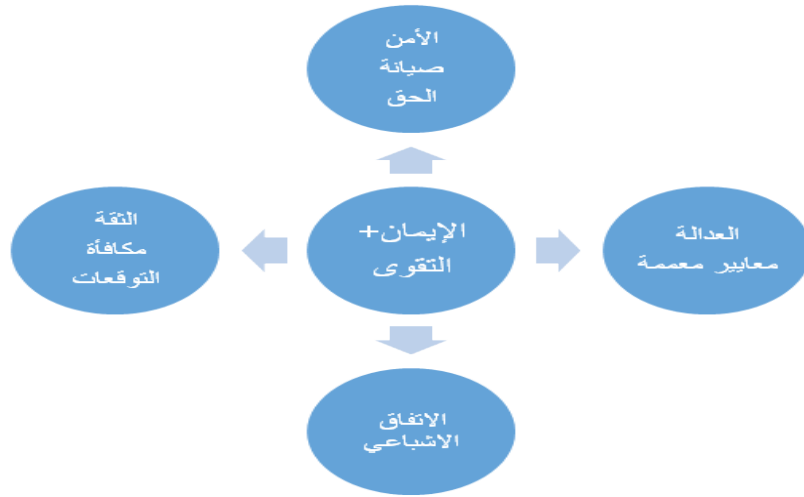
إن المعنى المستمد من النهج الإسلامي يؤكد أن حق المرء في سياق العملية الإشباعية التكاملية هو واجب على الآخر الذي يتبادل معه، وواجبه يمثل حقاً للآخر، ولذلك عندما يخل المرء بأدائه لواجبه يكون سبباً في إتعاس الآخرين لإيذائهم

وانتهاك حقوقهم. أي أن التقصير في النسق الاجتماعي لا تكون عوائده فقط على الشخص المقصر ولكن على كل من يرتبطون به بعلاقة نسقية، وقد تكون النتائج مباشرة أو غير مباشرة. فالزوج الذي يقصر بأداء واجباته يؤذي زوجته وأبنائه، والمعلم الذي يقصر في أداء واجباته يؤذي تلاميذه، وهكذا في كل المستويات. قال رسول الله عليه السلام: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة» (صحيح مسلم، ١٣٧).

بالإضافة إلى ما تقدم فإن أسلوب الحياة الإسلامي يكرس الأمن الوجودي من خلال إدراك الأفراد أن حقوقهم مصانة ومضمونة وقد جاء في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. وجاء في الحديث الشريف: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك فهو غلول» (سنن أبي داود، رقم الحديث: ٢٩٤٣). وقد استعمل الرسول عليه السلام الأقوياء الأتقياء لولاية أمور المسلمين، واستبعد الضعفاء ولو كانوا أتقياء، لأن إدارة شؤون المجتمع تحتاج إلى حزم في تطبيق العدالة وإقرار الحقوق ومن قبيل ذلك رفض الرسول عليه السلام استعمال أبي ذر الغفاري لأن فيه ضعفاً.

وقد وجه الرسول عليه السلام القائمين على أمور المسلمين إلى توخي العدالة والمساواة وتجنب المحاباة بين الناس، ومن ذلك قوله: «إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٤٧٥).

وكذلك قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله وهو مسؤول عن رعيته...» (صحيح البخاري، رقم الحديث: ٨٩٣). ومعنى هذا أن المعايير المنظمة للنسق الاجتماعي في الإسلام تحمل صفة العمومية، أي أن جميع الأفراد يخضعون لقواعد موحدة تطبق عليهم جميعاً دون تمايزات، وهذه القواعد تمثل بالنسبة للناس أمناً وجودياً يرتكز على الثقة بقواعد العدالة وصيانة الحقوق، وهذا هو الإطار الآمن الذي لا يمكن أن تتحقق السعادة إلا فيه. (انظر، علي، د ت).



شكل (٢) موجبات السعادة في النسق الاجتماعي



خامساً: بنية السعادة في نمط الحياة الإسلامي

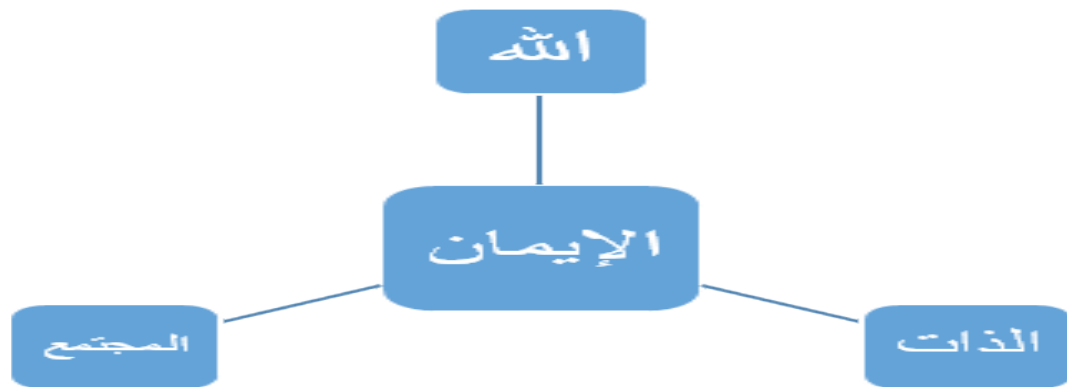
نحو نموذج معياري

فهم السعادة: الضوابط المنهجية والمعرفية:

تمثل السعادة في نمط الحياة الإسلامي بنية عملية إشباعية مادية ومعنوية، مبنية على ضوابط وقواعد شرعية تحافظ على توازن الفرد والمجتمع. ولا تعرف السعادة بذاتها ولكن من خلال مؤشرات ومظاهر مختلفة مثل الرضا، والقناعة، والعافية، والأمن، والطمأنينة، والاستقرار الوجداني. وقد وردت هذه النظائر بكثرة في القرآن الكريم تعبيراً عن السعادة (إبراهيم، ٢٠٠٩: ٨).

الضوابط:

القواعد الشرعية: وتتمثل في التوجيهات القرآنية والنبوية التي تجسد درجة إيمان الفرد من خلال تطبيقها والالتزام بها في ثلاثة أنواع من العلاقات الإشباعية: العلاقة مع الله (الضابط الأعلى)، والعلاقة مع الذات، والعلاقة مع المجتمع.



شكل (٣) الإيمان ضابط لثلاث علاقات إشباعية

درجة السعادة:

وتشير إلى أكثر أو أقل في تقدير السعادة، أي أن تقدير السعادة ليس قطعياً ولا مطلقاً. بمعنى آخر عندما نقول أن الشخص سعيد، فإن هذا يشير إلى أنه يحكم على حياته بإيجابية أكثر مما يحكم عليها بسلبية، ويؤيدها أكثر مما يرفضها، وهذا يرتبط بالمستوى الإيماني المولد للرضا والقناعة.

البنية - العملية:

تمثل السعادة بنية نسقية تشمل نواحي الحياة المختلفة، ولكنها متدفقة عبر الفعل الإنساني الإشباعي بصورة مستمرة وفق مقتضيات الإشباع. ولذلك تختلف عن معنى (السرور) بأنها ذات طابع إنساني ودائمة ومستمرة من ناحية، وتمثل بنية نسقية وليست حالة موقفية من ناحية أخرى. بينما السرور يحقق الرضا المؤقت وقد يختلط بالإشباع الغرائزي الذي يخرج من إطاره الإنساني (انظر، العامري، ٢٠٠٥: ١٣٤).

الفرد - المجتمع:

ترتبط فكرة السعادة بالفرد حيث نستطيع أن نقول بأن الفرد سعيد أو غير سعيد، ولكن لا يمكن تطبيق المقولة ذاتها على المجتمع، وفي أحسن الأحوال نقول معظم أعضاء المجتمع يعتبرون أنفسهم سعداء.

الذاتية - الموضوعية:

ترتبط السعادة بالتقدير الذاتي للحياة حيث لا يوجد معيار موضوعي للسعادة. فالفرد الذي يعتقد أنه سعيد هو كذلك حتى لو كان فكره زائفاً. ولكن

بالمقابل فإن التقدير الذاتي للسعادة ليس معلقاً في فراغ ولا اعتبارياً إنما يتمأسس في نمط الحياة بالنسبة للفرد المسلم أو بالنسبة للجماعة ويتحدد في السياق الثقافي والشخصي والاجتماعي.

الأحكام:

تقتضي فكرة السعادة أن يقوم الشخص بإطلاق حكم كلي حول نوعية الحياة. أي أن أحكام السعادة تبنى على نشاط فكري يتعلق بالخبرات السابقة وتقدير الخبرات المستقبلية، ومن ثم تقدير معدل نوعية الحياة مع مراعاة ضابط الإيمان. ولذلك فإن الأفراد الذين لا يستطيعون استخدام عقولهم للقيام بهذا النشاط لا نستطيع وصفهم بالسعداء أو غير السعداء. وهذا منبعه مقتضيات التكليف الشرعي.

الشمولية:

إن الأحكام المرتبط بالسعادة تجسد جميع المعايير محل التقدير مع الأخذ بعين الاعتبار المعيار الإيماني. وهذه المسألة تركز على بعدين: الأول: أن المرء لا يمكن أن يستحوذ على جميع موجبات السعادة في الحياة. والثاني: أن تقييم السعادة يرتبط بأبعاد إدراكية وشعورية، وطموحاتية، وتوقعاتية، وقيمية، وعلائقية. ومن هنا، فإن الحكم على السعادة لا يرتبط بجانب معين من الحياة، كالعامل مثلاً، ولكن ترتبط بالرضا عن الحياة ككل. وهذا لا يعني أن جميع الجوانب تحظى بنفس الدرجة من التقييم.

تحليل البنية الوجودية المنتجة للسعادة:

أنزل الله القرآن الكريم ليكون طريقاً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وعلى هذا الأساس فإن الشرط الوجودي الذي يحقق السعادة باعتبارها بنية دائمة ومتدفقة باستمرار يجب أن يكون بذاته مستمراً. ولذلك فإن الركن الأساسي للسعادة هو الإيمان بالله، وبصفاته العليا، والخضوع لأوامره تعبيراً عن الإيمان به. إن الإيمان بالله يعد ضابطاً وجودياً لكل مجالات حياة الفرد، حتى يكون الفرد رقيباً على ذاته ومراعياً لحق كل ما يحيط به. ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (صحيح البخاري، رقم الحديث: ٤٧٧٧). وقوله لابن عباس: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك...» (عبد الحق الإشيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، ٣/٣٣٣). إن هذا المنطلق الإيماني مدعاة لرضا الفرد وطمأنينته مما يوجب سعادته وإسعاده للآخرين من حوله.

ويتفاعل الإيمان في إنتاج السعادة مع البنى الأكثر التصاقاً بالفرد والتي يتفاعل معها بصورة مكثفة ويقضي فيها وقتاً طويلاً، وأهمها: الأسرة التي تمثل إطاراً مرجعياً للفرد، ويمنحه الأمن والتوجيه، ويعطيه التقدير الذاتي والحب وغير ذلك، مما يكسبه توازنه في الحياة. قال عليه السلام: «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح» (الألباني، صحيح الترغيب، رقم الحديث: ١٩١٤). وكلما كانت الأسرة أكثر تماسكاً كلما كانت سعادة الفرد أكبر. وهناك فرق بين سعادة الفرد المؤمن الذي يعيش في أسرة متماسكة، والمؤمن الذي يعيش في أسرة مفككة.

فالإنسان لم يخلق ليكون مؤمناً متعالياً في الوجود، بل ليكون متفاعلاً، ولذلك فإن السياق التفاعلي يكرس وصول السعادة إلى أقصى كماالاتها أو ينقصها.

وتأتي الصداقة في المرتبة الثالثة من حيث دورها في إنتاج السعادة وهي حاضنة علائقية تمنح الفرد الثقة، ومفهوم الذات، وتساعد، وتوجهه، وتروح عنه، وتفرغ احتقاناته السلبية. ولأن الصداقة ليست عارضة وضرورية في الحياة فإن ما تقدمه على المستويين النفسي والاجتماعي يعد بالغ الأهمية في إنتاج سعادة الفرد، ولذلك فقد اعتنى بها الإسلام وضبطها بالدين والإيمان وحسن الخلق.

ويأتي مفهوم العمل ضمن البنى الوجودية المنتجة للسعادة، لأن الفرد يقضي فيه وقت طويلاً. وبالتالي فإن بيئة العمل محفزة لسعادة الفرد أو لشقائه، كما أنها تنعكس على علاقاته الأسرية والاجتماعية. إن بيئة العمل ليست إنتاجية فقط ولكنها تنافسية كذلك مما يجعلها مصدراً للتوتر. ومن هنا فقد جعله المنهج الإسلامي عبادة ليست لخدمة المرء نفسه فقط ولكن لخدمة الآخرين من حوله. ومما يميز البنى الأربع سابقة الذكر أنها تنتج عاطفة ووجداناً وشعوراً تجسد من خلاله الحالة الحسية والانفعالية للسعادة.

البناء الوجودي للسعادة = قاعدة الإيمان + ديمومة + تفاعل مكثف + التوازن الانفعالي

بناء فعل السعادة:

إن الفكرة الأساسية التي يبنى عليها فعل السعادة في نمط الحياة الإسلامي تتمثل في اعتبار السعادة حالة تكاملية إشباعية بين منظومة من الأنساق. وهذا ينفي اعتبار السعادة نتوءاً خارجياً أو إفلاته أو ظرفاً طارئاً أو حالة. وهذا يعني أن السعادة تتحقق

بمأسسة الفعل الإنساني وفق قواعد قيمية توجه الفعل نحو إشباعاته الإنسانية التي تنجز بمجموعها معنى آدميته.

مأسسة فعل السعادة = أنساق اشباعية + توجيهات قيمية

يعد النسق الديني - الإيمانى ضابطاً أساسياً للأنساق الأخرى، ومرجعية نهائية لتحقيق الرضا والطمأنينة والتوازن الانفعالي. وهذا النسق مسؤول عن تزويد الأنساق الأخرى بمحتواها القيمي الضابط لعمليات الإشباع. وعلى هذا الأساس فالنسق الإيمانى يعد إشباعاً وضابطاً بذاته وشرطاً للسعادة، كما يعد رافداً لضبط إشباعات الأنساق الأخرى. وأول الأنساق الذي يتغذى منه هو النسق الثقافى الذي يحتوي على التوجيهات القيمية الإسلامية الإدراكية، والتقويمية، والعاطفية. وهي بمجملها تجسد الركن الأخلاقى في السعادة باعتبارها محفزة لأداء الواجب. والنسق الثالث هو الشخصية الذي تظهر فيه نقطة التوازن بين الإشباعات والتوجيهات القيمية. أما النسق الرابع فهو النسق الاجتماعى الذي يجسد فكرة أن السعادة إشباعية علائقية، حيث إن الإشباعات تتحقق فقط في هذا النسق.

رمزية السعادة = إيمانية + اشباعية + أخلاقية + علائقية

إن فعل السعادة في نمط الحياة الإسلامى ذو طبيعة توليدية Generative بمعنى أنه لا يحقق السعادة لدى الشخص صاحب الفعل فقط ولكنه يحققه لدى الآخرين المتفاعلين معه وكذلك يكون من خلال إسعاد الآخرين. وهذه الحالة متولدة من الطبيعة التكاملية التي تفرضها التوجيهات القيمية في النسق الثقافى الإسلامى بحيث لا تكون

السعادة إلا من خلال الإحسان إلى الآخرين وإسعادهم والحفاظ على حقوقهم وهذه المسألة تنفي مبدأ السعادة الذاتية المتمحورة حول إشباعات الأنا الفردية فقط. أي أنا الرضا الذاتي لا يكون على حساب رضا الآخرين ولكن بالتكامل مع رضاهم.

نسقية السعادة = الطبيعة التكاملية + الطبيعة التوليدية

يتضمن بناء فعل السعادة في نمط الحياة الإسلامي ميكانزمات تعمل على إعادة التوازن لبناء السعادة عندما يتعرض لتوترات وإحباطات إشباعية وهذه الميكانزمات متفرعة عن التوجيهات القيمية العاملة في النسق الثقافي ومن أهمها: الصبر والصلاة والدعاء. إن هذه الميكانزمات لا تتنكر للآليات البشرية التي يمكن للمرء استخدامها من أجل إزالة توتراته الحياتية، ولكن تشد الإنسان إلى الإطار المرجعي الضابط لكل شؤون حياته مع كل توجهاته الحياتية المتاحة، أي الرجوع إلى الله واستحضار قدرته وقدره، الأمر الذي يكسب الإنسان مستوى عالياً من الرضا والطمأنينة والتوازن.

إزالة التوتر في بناء السعادة = ميكانزمات إعادة التوازن الإيمانية (الصبر والصلاة

والدعاء) + العلاقات الإنسانية



قائمة المصنّاور

أولاً: المراجع باللغة العربية

- إبراهيم، رهيبة. (٢٠٠٩). سعادة الإنسان في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية-غزة.
- أحمد، يوسف. (٢٠٠٣). موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، دمشق، مكتبة ابن حجر.
- الحوراني، محمد. (٢٠٠٨). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع، عمان، دار مجدلاوي.
- سيلنجهان، مارتن. (٢٠٠٥). السعادة الحقيقية: استخدام الحديث في علم النفس الإيجابي لتبين ما لديك حياة أكثر انجازاً، ترجمة صفاء الأعسر وآخرون، القاهرة، دار العين للنشر.
- العامري، عبد الله. (٢٠٠٥). السعادة في المنظور الإسلامي. ط ١، بيروت، دار ابن حزم.
- عفانة، حسام. (٢٠٠٧). يسألونك عن الزكاة، منشورات لجنة زكاة القدس، القدس-فلسطين.
- علي، موسى. (د ت). الإسلام دين السعادة، القاهرة، مطبعة الشعب.
- (* تم توثيق الأحاديث النبوية الشريفة من موقعين رسميين ومعتمدين:
- موقع موسوعة النابلسي (٢٠١٨) www.alnabulsi.com
- موقع الدرر السنية (٢٠١٨) <http://www.dorar.net>

ثانياً: المراجع باللغة الانجليزية:

- Cranney, S. (2017). Is There a Stronger Association Between Children and Happiness Among the Religious? Religion as a Moderator in the Relationship between Happiness and Child Number. Journal of Happiness Studies, vol.18 (6), 1713-1723.

- Dutt, A. K. & Radcliff, B. (eds.).(2009) 'Happiness, Economics and Politics: Towards a multi-disciplinary approach', Edward Elger Publishers, Cheltenham UK.

- Giovannini, E., Hall, J., & d'Ercole M. (2007). Measuring well-being and societal progress. Conference Beyond GDP-Measuring progress, true wealth, and the well-being of nations. European Parliament: Brussels. Retrieved from <http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/summary?doi=10.1.1.371.2897>.

- Layard, R. (2007). Happiness lessons from a new science. London, England: Penguin Books.

- Musikanski, L. et al. (2017).Happiness in Communities: How Neighborhoods, Cities, and States Use Subjective Well-Being Metrics, Journal of Social Change, Vol. 9 (1), 32-54.

- Parsons, T. & Shills E. (1965). Toward A General Theory of Action, Theoretical Foundations for the Social Science, New York, Harper and Row.

- Parsons, T. (1951). The Social System, New York, The Free Press Paper Back.

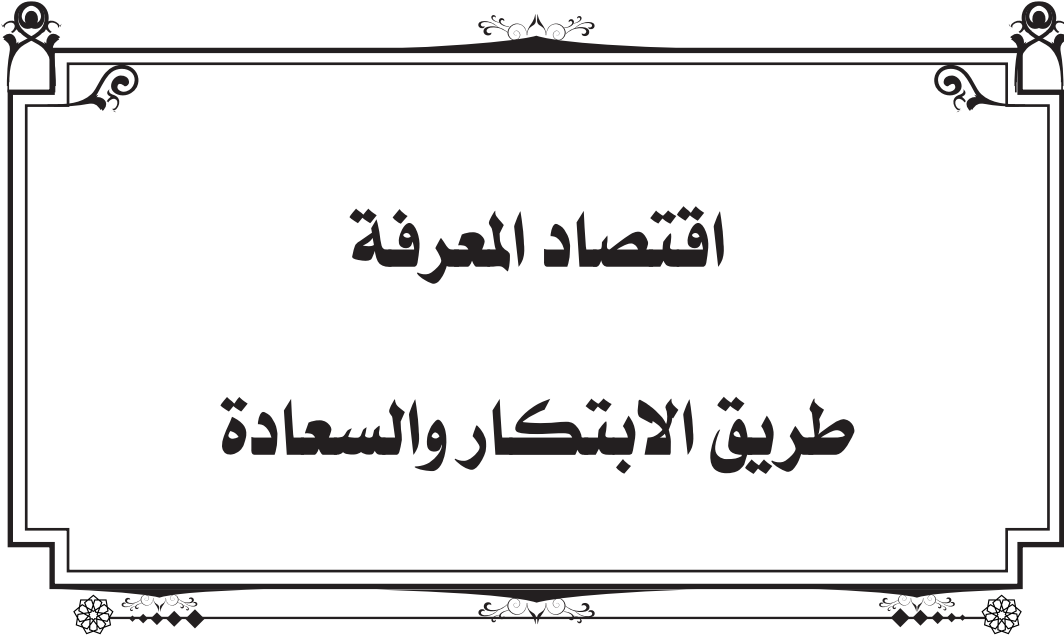
- Soble, M. (1981). Lifestyle and Social Structure: Concepts, Definitions, Analyses, Academic Press, INC.

TED Ideas worth Spreading. (2013). the Secret to Happiness 14/12.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



إعداد

د. جاسم الفارس

أستاذ الاقتصاد الإسلامي المساعد - جامعة الموصل - كلية الإدارة والاقتصاد

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

يتحدد موقع الإنسان في الإسلام في ضوء مبدأ الاستخلاف، الذي يقوم على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: ٣٠] وهي أرقى مكانة وضع فيها الإنسان على مر التاريخ.

يستمد الإنسان فاعلية هذه المكانة من القرآن الكريم الذي حدد المضامين الأساسية لهذا الدور بوعي الدين والتمسك به، وممارسة العلم ومتابعة المعرفة، فالاستخلاف دين وعلم.. وما مشكلات الأمة وتخلفها إلا من التقصير الكبير في إدراك الاستخلاف ومقاصده في إعمار العالم.

ولأن الاستخلاف دين وعلم، فهو يرسم حدود النهضة الحضارية، باعتقاد العلم ومنطقه في صياغة نشاطات الأمة المتعددة السياسية والاجتماعية والثقافية.

تحتاج الأمة اليوم إلى إحداث ثورة في المفاهيم كافة، وأهم هذه المفاهيم هو (الاستخلاف)، لأنه المفهوم الجامع لقوتين، النهضة والتقدم. ولذلك فإن (ثورة الاستخلاف) تعد ضرورة شرعية وحضارية، فشرعيتها مستمدة من التمسك بالقرآن الكريم مصدراً أساسياً للشريعة، وحضاريتها مستمدة من وجوب تطبيق أحكام القرآن الكريم وإعادة إعمار العالم في ضوئه، مستنيرين بهدي الرسول محمد ﷺ في بناء حضارة الإسلام.

ويقف النشاط الاقتصادي في مقدمة النشاطات التي تحتاج الاهتداء بمضمون (الاستخلاف)، لينضبط أداؤه بالمنهج الرباني والأسس الربانية والأحكام الربانية.

ومن بين عناصر النشاط الاقتصادي، يقف (الاستهلاك) في مقدمة تلك العناصر؛ لأنه العنصر الذي يعيد تجديد عناصر النشاط الأخرى، الإنتاج والتبادل والتوزيع.

إن الاستهلاك، قيد الدراسة، لا يعتمد مفهوم (الاستهلاك) التقليدي، بوصفه (الإنفاق الذي يوجه لشراء السلع والخدمات النهائية بغية إشباع الرغبات والحاجات الإنسانية على مختلف مستوياتها)- إنما يعتمد (المعرفة) بوصفها السلعة الأكثر تأثيراً في حركة الحضارة اليوم.. والتي بدخولها النشاط الاقتصادي قسمت تاريخ الفكر الاقتصادي إلى عصرين... اقتصاد ما قبل اقتصاد المعرفة، واقتصاد المعرفة..

يسعى البحث إلى تحليل أبعاد (استهلاك المعرفة) وتأثيرها في عملية الابتكار على الأصعدة كافة، وصولاً إلى تحقيق النهضة الإسلامية التي تحقق السعادة الحقيقية للإنسان في الدارين بتضافر العلم والدين.

يقوم البحث على فرضية مفادها «إن استهلاك المعرفة مطلب شرعي يقود إلى الابتكار وتحقيق سعادة الدارين».

وبغية الوصول إلى إثبات أو نفي الفرضية قسمنا البحث على المباحث الآتية:

المبحث الأول: نظرية الاستهلاك الإسلامية.

المبحث الثاني: سلع المعرفة والثروة.

المبحث الثالث: المعرفة والسعادة.

اعتمد البحث منهجي الاستنباط والاستقراء اللذين يتكاملان ويتضافران في إدارة البحث الاقتصادي، فحين نتبع المنطق في تحليل الظاهرة الاقتصادية فإننا نستخدم الاستنباط في متابعة آليات عمل الظاهرة، وحين نضع التعميمات والوقائع الاقتصادية المتعددة من خلال السرد التاريخي أو الملاحظة، فإننا نستخدم المنهج الاستقرائي لأننا سنتقل من الخاص إلى العام.

وانتهى البحث بخاتمة تضيء آفاق التحول إلى اقتصاد المعرفة في ضوء استيعاب مفهوم الاستخلاف ونظرية الاستهلاك بالمنظور الإسلامي الجديد.



المبحث الاول

نظرية الاستهلاك الإسلامية

إن مفهوم (الاستهلاك) في إطار اقتصاد المعرفة يختلف عنه في إطار الاقتصاد التقليدي، فإذا كان الاستهلاك التقليدي يعتمد السلع المادية لمرة واحدة، فإن الاستهلاك في اقتصاد المعرفة يعتمد سلعة (المعرفة) غير القابلة للنفاذ، وهو بالتالي يعمل على تحويل الأفكار العلمية إلى إنجازات مادية تحقق منافع اقتصادية للمجتمع، لقد كانت فكرة الصعود إلى القمر حاجة غير قابلة للتحقق في يوم ما.. غير أنها كانت مقدمة ضرورية لاكتشاف المركبة الفضائية. عندما تغير منهج التفكير واتسعت آفاق المعرفة بوصفها نشاطاً اقتصادياً تراكمها التاريخي الأفقي والعمودي، ولذلك فإن التعامل الجاد مع المعرفة بوصفها نشاطاً اقتصادياً يقود إلى طفرات حضارية ضرورية.

تمتلك الأمة العربية إمكانات معرفية وتقنية، غير أنها لا تمتلك القدرة على إزالة المعوقات التي تعيق تقدمها ونهضتها. ذلك لأنها لم تفعل مبدأ (الاستخلاف)، بتحويله إلى مؤسسات معرفية وعلمية وأخلاقية ترتقي بالإنسان إلى المكانة التي أرادها الله عز و جل يعززها بالإبداع والابتكار والإيمان الحقيقي الفعال.

إن حسن استخدام مبدأ (الاستخلاف) الذي يعد الدين والعلم جوهره الأساسي، يقود إلى إنهاء النزعة الابتكارية عند الإنسان المسلم.. وإن حسن تفعيل مبدأ الاستخلاف يعد ضرورة شرعية وحضارية، تتمثل شرعيته في الاستجابة

لأحكام الله تعالى، وحضاريتها في تضافر جهود الفرد والدولة والمجتمع بغية خلق الفعل الاجتماعي ليكون فضاءً معرفياً قرآنياً، وبنية صالحة للابتكار، أو ليكون الابتكار جزءاً من حاجات الإنسان والمجتمع الأساسية.

إن محاولة اكتشاف علاقة جديدة بين الاستهلاك والابتكار يعني إعادة النظر في منظومة مفاهيم الاستهلاك الذي سيصبح في عملية اقتصاد المعرفة (عملية استيعاب المعرفة ومنتجاتها، بغية تطوير الطاقات الابتكارية عند الفرد والمجتمع)، يتجلى هذا المفهوم من خلال إدراك العلاقة بين العقل والمعرفة، وبين الفعل والمعرفة، فكيف يستهلك العقل المعرفة؟ وكيف تستهلك المعرفة العقل؟ إن إدراك استهلاك المعرفة يعد القاعدة الأساسية لإنهاء الابتكار وإنتاج الجديد، ذلك أن المعرفة تتميز بفارق جوهري يكمن في كونها ذات جوانب محسوسة، تتجلى في صورة نظريات ونظم واكتشافات علمية، وإنجازات تكنولوجية، ونتائج إبداعية، ومن الطبيعي أن توفر كل هذه التجليات مداخل عدة لكشف النقاب عن لغز المعرفة. فالمعرفة هي منظارنا الذي به نكتشف العالم، هي جوهرة البصيرة.

صارت نظرية الاستهلاك - في علم الاقتصاد بمدارسه الوضعية - جزءاً من تاريخ الفكر الاقتصادي، بعد سيادة (اقتصاد المعرفة) الذي قسم ذلك التاريخ إلى قسمين، اقتصاد ما قبل اقتصاد المعرفة، واقتصاد المعرفة ابتداءً بمقالات الاقتصادي الأمريكي (F.Hayke) في العلاقة بين الاقتصاد والمعرفة بين سنوات ١٩٣٠ و ١٩٤٠ ثم تبعه (مارك بوارت)، الذي كتب عن اقتصاد المعرفة سنة ١٩٧٧، ثم أعقبه (رومر) سنة ١٩٨٦، فكتب عن اقتصاد المعرفة في معرض رفضه للنظريات النيوكلاسيكية

التي اعتمدت عناصر الإنتاج التقليدية المعروفة موضعاً أن (المعرفة) عنصر إنتاج خاص له أهمية كبيرة في علم الاقتصاد.

وفي ضوء هذا التطور، يرى الباحث أن نظرية الاستهلاك المعاصرة ينبغي أن تهتم باستهلاك المعرفة، كونها السلعة الأكثر كفاءة في الحفاظ على الحياة، وتنشيط الابتكار، ودفع عملية التقدم إلى الأمام، فضلاً عن أن المعرفة ومفرداتها تأخذ حيزاً كبيراً في القرآن الكريم بدءاً من ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١]. مروراً بكل الآيات التي تؤكد على التفكير والتدبر والنظر والتذكر.. التي ترسم آفاق خلافة الإنسان في الأرض، وتحدد آليات إنجازها على وفق هدى الله عزّ وجلّ مستفيدة من (تسخير) الله تعالى الكون للإنسان، بغية إعمار الأرض، في أقوم صورة.

في ضوء هذا التصور فإن البحث في نظرية استهلاك المعرفة يعد ضرورة شرعية وحضارية مرة أخرى، فمن حيث الضرورة الشرعية، فإن الاهتمام بآيات المعرفة وأدواتها مطلب إلهي، ومن حيث الضرورة الحضارية، فإن الحضارة المعاصرة حضارة علم ومعرفة وبحث علمي وابتكار وتطوير.

إن صياغة نظرية استهلاك إسلامية سلعتها الأساسية المعرفة، ينبغي أن تهتم بجملة من القضايا منها:

١- عقلانية المستهلك المسلم.

٢- السلع المعرفية.

٣- المعايير الأخلاقية لسلوك المستهلك.

ومن حيث العقلانية، فإن المستهلك المسلم ينطلق من أسس الشريعة في تحديد طبيعة العقلانية التي يمكن صياغتها في الآتي:

أ- النجاح، وهو جزء من المنظومة الأخلاقية الإسلامية وأعلىها الفضيلة، التي تتطلب موقفاً إيجابياً من الحياة ومن البشر، والنجاح هو أكثر العناصر كفاءة في السياسة الأخلاقية الإسلامية، ويتمثل النجاح في إطار العقلانية الإسلامية، بالسعي لإنجاز دور (الخلافة) الذي وضع الله تعالى الإنسان فيه للاستفادة من تسخير الكون، بغية تحقيق (عمارة الأرض)، التي تعني تحقيق أرقى مستويات النمو المادي والروحي في المجتمع، وهذا يعني تحقيق أرقى مستويات النمو المادي والروحي في المجتمع، وهذا يعني تحقيق أسمى المنافع الاقتصادية للمجتمع. إن تحقيق المنفعة الاقتصادية يعد أحد الفضائل الإسلامية، إذا كان متوازناً ومتسقاً مع جوانب الحياة الأخرى، إذا ما قصد به الخير.

ب- البعد الزمني لسلوك المستهلك: يربط الإسلام دائماً بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، وإن الإيمان بالحساب في الحياة الأخرى يعني أن الزمن عند الإنسان المسلم لا يتوقف في الحياة الدنيا، وإنما سيمتد إلى ما بعد الموت، فالحياة قبل الموت وبعده هما جزءان متكاملان مترابطان، إن لهذا الاعتقاد أثر فعال في حياة المستهلك المسلم، فأى عمل يختاره المستهلك المسلم له بعدان، أثر مباشر لهذا العمل في الحياة الدنيا والأثر الأبعد في الحياة الأخرى، وفي ضوء هذه الحقيقة فإن المنفعة المستتقة من مثل هذا العمل، هي مجموعة القيم الحالية لهذين الجزأين، أما التأثير الثاني فهو إن عدد الاستعمالات الممكنة للوحدة الواحدة من الدخل والمتاحة للفرد يزداد زيادة

بحيث يشمل الوجوه التي تنتج آثارها في الحياة الآخرة وحدها دون أن يكون لها أي نفع مادي في هذه الدنيا.

إن بذل المعرفة مجاناً للمجتمع يدخل في هذا المعنى، فبذل المعرفة على الفقراء والمساكين وطلبة العلم والباحثين بغية الارتقاء بالمجتمع إلى الأفضل دون مقابل يعد من الأعمال التي تظهر نتائجها في الحياة الآخرة، وإن المنفعة المتحققة من هذا الإنفاق هي واحدة من أخلاقيات الاستخلاف غير المادية والمتمثلة في تعميق الوعي بالشرعية وأبعادها العلمية والمعرفية والأخلاقية والحضارية.. فإذا كان ضرورياً أن نذر ورثتنا أغنياء ولا نتركهم فقراء عالة على المجتمع كما ورد في حديث سعد بن أبي وقاص في رواية البخاري، كذلك لا ينبغي أن نترك ورثتنا جهلاء، إنما نغنيهم بالعلم والمعرفة ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].



المبحث الثاني

سلع المعرفة والثروة

في إطار اقتصاد المعرفة فإن سلع المعرفة هي الصناعات الإبداعية ومنها الصناعات الترفيهية والثقافية التي غمرت العالم، فالثروة لم تعد البيت والسيارة والمأكل والملبس وما إلى ذلك، إنما صارت المعرفة هي أحد أهم مصادر الثروة وأشكالها، فالمعرفة اليوم ونتائجها تعد الثروة الأكثر أهمية في إدارة شؤون الحياة الفردية والاجتماعية وقد أكد القرآن الكريم على المعرفة وأهميتها ومفرداتها في آيات تجاوزت الآلف.

السؤال الذي يفرض نفسه الآن: ما متضمنات استهلاك المعرفة؟

يتمثل استهلاك المعرفة في مؤشرات التعليم وهي:

١- معدل الأمية في المدينة.

٢- معدل الأمية في الريف.

٣- معدل الانتساب إلى المراحل الدراسية كافة.

٤- معدل الأمية للمرأة المتزوجة والعزباء.

٥- معدل الأمية للرجال.

٦- معدل الأساتذة وكفاءاتهم.

يعاني الوطن العربي من معدلات عالية جداً على صعيد الأمية، الأمر الذي يعني أن استهلاك المعرفة في درجات متدنية جداً، فقد تبين أن هناك ٧٠ مليون أمي

في الوطن العربي، منهم ٤٥ مليون امرأة وطفل، كما ورد في تقرير اليونسيف سنة ٢٠٠٤م.

إن قلة استهلاك المعرفة يعني تدني المستوى الحضاري للمجتمع، مثلما يمثل تدني مستوى المعيشة من غذاء وملبس ومسكن إلى زيادة الفقر المادي، في حين أن زيادة استهلاك المعرفة يعني خلق مجتمع المعرفة من خلال جملة من المؤشرات هي:

١- زيادة النمو الاقتصادي.

٢- تحقيق العدالة والإنصاف.

٣- الارتقاء بمستوى التعليم والعلوم.

٤- تطور أنظمة الابتكار والإبداع وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

فما هي النتائج المترتبة على استهلاك المعرفة؟

يحقق استهلاك المعرفة الخلاق جملة من النتائج هي على النحو الآتي:

١- ابتكار نواتج و سلع وطرائق جديدة.

٢- تعديل في نوعية السلع وأسعارها وجودتها.

٣- تعديلات جذرية على البرامج التعليمية من دور الحضانة إلى مؤسسات التعليم العالي.

٤- تعديلات جذرية في نظام الإدارة واللامركزية الإدارية، نتيجة التطورات الحاصلة في نظم معالجة المعلومات والاتصالات، مما يسمح بالاتصال بالحكومة الإلكترونية.

٥- تغيرات واسعة ومتسارعة في هيكلية العمالة ونوع فرص العمل وعددها.

٦- الطلب المتزايد على معارف جديدة.

٧- بروز فرص عمل جديدة لم تكن متاحة في الاقتصاد الكلاسيكي.

٨- تعديلات جذرية على هيكلية مختلف قطاعات الإنتاج.

٩- تغيرات جذرية في عمل الإدارة وفي الأعمال المكتبية المترافقة معها.

١٠- تسارع نمو تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

١١- تزايد عمليات الابتكار والإبداع في مجالات المعرفة والثقافة.

١٢- الانتقال من نقل المعرفة إلى ابتكارها.

١٣- انتشار واسع للشركات الصغيرة وشركات العائلة لعدم الحاجة إلى مواد

أولية وإلى طاقة كبيرة، ولا إلى مراكز عمل واسعة.

في إطار الاقتصاد التقليدي، فإن الاستهلاك هو استعمال السلعة من قبل

الفرد لإشباع حاجاته ورغباته، والاستهلاك هنا هو المرحلة الأخيرة من النشاط

الاقتصادي، والسلع المقصودة هنا هي السلع المادية من الخبز والسكر واللحم

والخضراوات وأثاث المنزل والملابس وما إلى ذلك.

في الاقتصاد المعرفي الذي بات يسهم الاقتصاد العالمي بمعطاته المتميزة، تعد

المعرفة ومنتجاتها من الصناعات الإبداعية، هي السلعة الأكثر رواجاً وتأثيراً في إدارة

النشاط الاقتصادي والاجتماعي. لذلك يسعى البحث إلى طرح أنموذج استهلاك إسلامي يعتمد (المعرفة) السلعة الأساسية، وكيف نتعامل معها بغية الارتقاء بالإنسان والمجتمع والدولة نحو القيم والاحكام التي ارادها الله تعالى سبيلا للسعادة في الدارين. ذلك أن السعادة بالمنظور الإسلامي هي أهم منتجات المعرفة ببعديها الروحي والمادي، حيث يجتمع العقل والحس والإيمان في إدارة مستلزمات النفس الإنسانية.

في الاقتصاد التقليدي يميل نظام السوق الحر إلى تخصيص الموارد الإنتاجية لنمط الطلب الاستهلاكي على السلع والخدمات، إذ تعمل دخول الأفراد وإنفاقهم الاستهلاكي مقياساً لرغبات المستهلكين ومؤشراً لاتجاهاتها بالنسبة لأنواع السلع والخدمات وكمياتها المطلوبة، والفكرة القائلة بأن طلب المستهلك تحدده منفعة كل سلعة بالنسبة له تمثل نواة النظرية الاستهلاكية المحدثه.

واضح جداً أن السلع المقصودة في الفكر الكلاسيكي، هي السلع التقليدية كالكخبز والملابس والأثاث وما إلى ذلك. أما في اقتصاد المعرفة فإن السلعة المقصودة هي (المعرفة) والصناعات الإبداعية التي هي إدراك حقائق الوجود والوحي من خلال عمليات الإدراك والتفكير العقلي الذي يصوغ السلوك الإنساني الفردي، ويحدد قواعد الاجتماع البشري، ذلك أن السلوك البشري يرتبط بالبنية العقلية والمعرفية للإنسان ويصدر عن وعي بجملته العلاقات والظروف والاعتبارات الثقافية.

و المعرفة بوصفها حالة ذهنية تتعلق بميدان خاص من المعلومات المتفاعلة مع التكنولوجيا التي يزداد تأثيرها ازدياداً كبيراً عند تقاسمها كما توضحها المعادلة الآتية:

$$K = (I+T).S$$

حيث K: المعرفة. I: المعلومات. T: التكنولوجيا. S: التقاسم.

في ضوء كل مفاهيم المعرفة السائدة حالياً والسابقة، فإنها تمتاز بخصائص متميزة: فهي سلعة إنتاجية لنشاطات مزدوجة، فهي من جهة تكون سلعة إنتاجية لنشاطات ذات مردود اجتماعي مرتفع جداً، وهي بالتالي تشكل آلية قوية للنمو الاقتصادي، ومن جهة أخرى، فإنها تطرح مشكلات من حيث تخصيص الموارد والتنسيق الاقتصادي ما تعيق نشر المعارف، ولتوضيح هذه الازدواجية ولا بد من ذكر خصائص المعرفة بوصفها سلعة اقتصادية.

١- المعرفة سلعة يصعب التحكم بها، وتولد تأثيرات خارجية، فهي سلعة غير قابلة للحصر، أي أنه من الصعب جعلها حصرية والتحكم بها بطريقة خاصة، فالمعرفة والمعلومة تتسرب باستمرار من الكيانات التي أنتجتها، فتكون مفيدة لمستهلكين آخرين دون أن يتحملوا تكلفة الأبحاث والتنمية، فهي هنا بمثابة (الوفورات الخارجية) التي تفيد المجتمع دون أن يتحمل تكلفة إنتاجها.

٢- المعرفة سلعة غير تنافسية، غير قابلة للنفاذ في الاستعمال، ولهذا الخاصية بعدان، الأول، بوسع العنصر الرجوع إليها مرات لا متناهية دون أي تكلفة،

والثاني، أنه بإمكان عناصر لامتناهية من استخدام المعرفة ذاتها دون أن يحرم أحد منها، وهذه الخاصية تأثير مهم في التكاليف والأسعار، كون الكلفة الهامشية/ الحدية، للاستخدام متقدمة، لا يستطيع الاقتصاد الالتزام بقواعد تحديد الأسعار على قاعدة التكاليف الهامشية بما أن استخدام المعرفة المتاحة يكون مجاناً، فيصبح التعويض المالي عن كون المعرفة مستخدمة مرات عدة ممكناً جداً.

٣- إنها سلعة تراكمية من حيث إن كل معرفة قد تكون العامل الأساسي في إنتاج معارف جديدة، أي أن المعرفة ليست سلعة استهلاكية فقط، بل هي كذلك سلعة إنتاجية قادرة على توليد سلع جديدة تكون بحد ذاتها قابلة للاستخدام إلى ما لا نهاية.

٤- لا تخضع لمسألة الندرة أو تدخل في إطار المشكلة الاقتصادية، لأنها متوفرة دائماً وبأشكال متعددة.

٥- لا تخضع لقانون تناقص المنفعة، لأن الزيادة في استهلاكها يؤدي إلى زيادة في المنفعة.

٦- يتحدد مستواها حسب المستوى الاجتماعي والثقافي للفرد... فهي عند العلماء تدخل في (الضروريات) وعند المستويات الاجتماعية المتعلمة تدخل في (الحاجيات) وعند العامة هي من (الكماليات) التي ينظر إليها على أنها مصدر من مصادر المتعة الفكرية.. كما هو الحال في الألعاب الإلكترونية وغيرها.

٧- الطلب على المعرفة أحادي المرونة دائماً لأنه لا يتأثر بالسعر زيادة أو نقصاناً فعشاق المعرفة لا يهمهم ارتفاع ثمن كتاب مهم وضروري عند قارئه، أو يبذلون النقود من أجل إنجاز مشروع علمي مهم.. وهذا يبدو واضحاً في سياسات البحث والتطوير، والدول المتقدمة تؤكد هذه الرؤية، فالإنفاق على البحث العلمي يشكل أعلى النسب من الدخل القومي.



المبحث الثالث

المعرفة والسعادة

المعرفة بوابة الابتكار والسعادة.. إنها السلعة الضرورية التي بها نغيّر العالم، إنها القوة التي وهبها الله تعالى لأدم في أول قرارات التكوين الأولى للعالم.. وبها صار خليفة في الأرض.. وبها تصنع ثقافة الابتكار والإبداع، إن خلق الشروط الضرورية الكامنة في بناء مجتمع المعرفة يقود إلى تطوير عمليات الابتكار والإبداع في القطاعات الاقتصادية كافة، ذلك أن استهلاك المعرفة بوعي واهتمام يقود إلى بناء المواهب الشخصية وتزويدها بالمعارف الأمر الذي ينتج عنه تطور صناعي وزراعي وفني، وإن أهم الشروط الضرورية لتطور الابتكار والإبداع هي (الحرية) و (الرفاه الاقتصادي) وهذان أمران مرتبطان بجملة من المعطيات، النمو الاقتصادي وإشباع الحاجات وتوزيع للمداخيل وتشكيل لمستويات اجتماعية ومنافع ونفقات اجتماعية..

المعرفة ثورة يجتمع فيها الابتكار والإبداع والسعادة، ذلك لأنها سلعة تعين على تجاوز صغائر الأمور.. وتشغل العقل الإنساني بقضايا الجمال والخير والسلام الحقيقي، سلام الروح وسلام المجتمع وسلام العالم، إنها ابنة الحكمة التي تطالبنا دائما بالسؤال العظيم (ما العمل؟) ومن لم يشغله هذا السؤال.. لا يشعر قيمة المعرفة، ولا قيمة السعادة..

المعرفة شجاعة في مواجهة النفس والواقع.. وتشكل هذه الفضيلة التي حدد الله تعالى ملامحها في القرآن الكريم، بالصدق والتقوى والإخلاص، مميزات

الإنسان الفعّال في تحقيق قيم الاستخلاف التي بها تكتمل سعادة الإنسان المسلم والمجتمع المسلم.

شغل مفهوم (السعادة) الفكر الإنساني منذ اليونان وإلى يومنا هذا، ذلك لأن السعادة تعد أقصى غايات الفعل الإنساني في الوصول إلى الرضا.. تختلف (السعادة) عن (اللذة)، فاللذة هي جزئية ومتعددة حسب طبيعة الوسيلة التي تمارسها، إذ هناك لذة الأكل، ولذة الشرب، ولذة النكاح، وما إلى ذلك، لذلك تعددت اللذات، غير أن (السعادة) هي واحدة كلية، وهي حالة نفسية تستوعب كيان الإنسان كله.

إن السعادة لا ترتبط نشاطا جزئيا بعينه، بل تقترن في العادة بالتآزر الشامل لكل مظاهر النشاط الإنساني، إنها تجيء مصاحبة لحالة الانسجام الكلي الذي قد يتحقق بين الوظائف النفسية للفرد.

ارتبطت السعادة عند أرسطو بالأخلاق، إذ الأخلاق عنده علم عملي يبحث في أفعال الإنسان من حيث هو إنسان، ويهتم بتقرير ما ينبغي عمله وما ينبغي تركه، لتنظيم حياة البشر وتديريها على أحسن وجه، حينها تعرض أرسطو لمفهوم (السعادة)، إذ بدأ دراسته بقوله: إن كل فعل بشري لا بد من أن يهدف إلى (خير) ما، لأن (الغاية) تطبع بطبيعتها حياة الموجود البشري بأكملها، لكننا لا بد من أن ننتقل في سلسلة (الغايات) من (خير) إلى (خير) حتى تصل في خاتمة المطاف إلى (خير أقصى) يكون هو وحده الكفيل بإشباع إرادتنا وتوجيه حياتنا، وتحقيق سعادتنا، وقد سلّم أرسطو لسقراط وأفلاطون بأن (الخير الأقصى) هو السعادة.

غير أن أرسطو يؤكد حقيقة أن أسمى فعل يمكن أن يحققه وحده الكائن البشري، لا بد أن يكون هو ذلك الفعل الذي يختص به الإنسان وحده، وهذا الفعل المتميز هو (الفكر) فهو الفعل الأوحده الذي يتميز به الإنسان بوصفه كائناً ناطقاً، وبهذا ارتبطت السعادة عنده بالفكر بوصفه إنجازاً عقلياً متميزاً.

وإذا انتقلنا إلى الفكر الإسلامي نجد أن ابن الخطيب على سبيل المثال يقرر أن النفس إذا ابتعدت عن الشرور والظلم، وأصلحت أخلاقها وضبطت شهواتها تحققت لها السعادة، وهذا معناه مرضاة الله عز وجل الذي معها تتحقق السعادة، في حين يرى الفارابي أن السعادة هي نتاج الأفعال الجميلة وإهنيئات والملكات التي تصدر عن هذه الأفعال، وهذه الأفعال هي مضامين الفضيلة، والفكر عند الفارابي من أفعال العقل الجميلة. ويرى إخوان الصفا أن السعادة غاية الإنسان، وتتحقق ببلوغ درجات الكمال العقلي الذي قوامه العلم والأخلاق، ويرى ابن طفيل أن السعادة تكمن في التشبه بالله، من خلال أفعال الإنسان في العلم والحكمة والعدل وما إلى ذلك.

في حين يرى الغزالي أن السعادة تتمثل في (الخير الأعظم)، ويذكر أنواع الخيرات على النحو الآتي:

- ١- خيرات النفس وهي أربعة: الحكمة والقوة والجمال والشجاعة.
- ٢- خيرات البدن وهي أربعة: الصحة والقوة والجمال وطول العمر.
- ٣- الخيرات الخارجية وهي أربعة: المال والأهل والعز وكرم العشيرة.

٤- الخيرات التوفيقية وهي أربعة: هداية الله ورشده وتسديده وتأيينه.

والفضيلة عند الغزالي في مجاهدة النفس وردها إلى التوسط والاعتدال، والخير الأعلى في الآخرة هو السعادة، والطريق إلى هذا الخير الأعلى من خلال (العلم والعمل) والعمل شرط السعادة، لأن المراد به تحصيل الفضيلة، والعلم هو الشرط الثاني الذي يحقق كمال النفس بمعرفة الحقائق.

نلاحظ أن السعادة بالمنظور الإسلامي هي معرفة الله، ومعرفة مخلوقاته كافة، ومعرفة الله تكون بالعقل والقرآن والنبوة، ومن بين حقائق القرآن والنبوة هي العلم والمعرفة والعقل، بهم نعرف حقائق الكون المسطور، والكون المنظور، بغية الارتقاء بالإنسان إلى مستوى (الخلافة) بغية إنجاز عمارة الأرض على أتم وجه.

وإذا أردنا تعميق وعينا بمفهوم السعادة بالمنظور القرآني.. فلا بد من استيعاب مقوماتها في القرآن الكريم وهي:

١- خشية الله عز وجل والخضوع له بحسن العبادة.

٢- اتباع الرسول ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٩٠].

٣- تحقيق معنى الأخوة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

٤- التعاون ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ... ﴾ [المائدة: ٢].

٥- المساواة ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... ﴾ [الإسراء: ٧٠].

٦- المسؤولية والإحساس بأهميتها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨].

- ٧- العدالة، وهي النابعة من أمر الله عز وجل وحكمه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... ﴾ [النحل: ٩٠]. فيكون لكل فرد حقه في الحياة حسب قدرته.
- ٨- الحرية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
- ٩- احترام الإنسان ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].
- ١٠- العلم، في إدراك آيات الله في الخلق والأمر ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].
- ١١- التفكير، وهو لب العبادة العقلية ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾ [آل عمران: ١٩١].
- ١٢- ذكر الله، وهي أكبر العبادات ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ... ﴾ [العنكبوت: ٤٥].
- ١٣- التسامح ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].
- وفي هذا يتضح جوهر (الاستخلاف) الذي أرشد الله تعالى به الإنسان في تكليفه بالخلافة، فهو المنهج الكفيل بحسن الأداء لهذا التكليف في ما أنزل إليه من وحي مبين لما ينبغي أن يفعل، وما ينبغي أن يترك، وكان هذا الوحي سلسلة متلاحقة، آخرها القرآن الكريم، وبمقتضى هذه الخاتمة أفسح للعقل مجال واسع في الإرشاد لتحقيق الخلافة، تبييناً لما وسعه الوحي نصاً من تعاليم، وتصوراً لما يسعه فيما يتعلق بمستجدات الحياة على أساس من هديه العام، وتنزيلاً لكل ذلك في واقع الحياة.

ونظراً لما أصبح العقل بهذا المعنى من نوع اشتراك مع الوحي في قيادة الحياة الإنسانية، فإنه فسح مجالاً في الفكر الإسلامي للمناظرة بين العقل والوحي فيما لكل منهما دور في إنجاز الخلافة سواء على مستوى التأسيس، أم على مستوى الفهم والتنزيل، ووقع في هذا المجال ما هو متضارب في التأويل تغليباً للعقل تارة وتغليباً للوحي تارة أخرى، وتوفيقاً بينهما ثالثة.

إن قرار الله عز وجل بعد أن أكمل خلق العالم هو خلق الإنسان، العزيز على الله تعالى.. فكان احتفالاً ربانياً مهيباً تبينه الآيات الكريبات ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّادُمُ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٤].

لقد تضمن هذا الإعلان الإلهي المهيب الحقائق الآتية:

١- ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ تفيد أن هذا الكائن بحكم (الجعل) الإلهي، هو (خليفة) بمقتضى الخلقة والحياة والفكر.

٢- هذا الكائن هو الإنسان.

٣- إن الخلافة ليست عبودية فقط، إنما هي علم كذلك، وبهذا العلم فضل الله تعالى الإنسان على غيره من المخلوقات.

٤- علم (الأسماء كلها)، علمه أسماء الأشياء التي سيستخدمها في حياته وعمارة الأرض، بما في ذلك خصائصها وعناصرها وكيفياتها وسائر صفاتها، لأن هذه العناصر والكيفيات والخصائص والصفات هي أيضاً أشياء تحمل أسماء.

٥- إن السجود لآدم إقرار واعتراف له بالخلافة في الأرض، إن هذا التكريم أحد أهم الحوافز لمواصلة (عمارة الأرض).

وفي ضوء هذا كله، فإن ممارسة النشاط الاستهلاكي للمعرفة يعد أحد أهم أفعال العقل في نهضة الأمة، وفي عمارة الأرض، وسيادة الأمن والسلام العالميين.



الخاتمة

لقد رافقت المعرفة مراحل التاريخ وتحولاته في صناعة العصور.. بها طور الإنسان النار، وبها نقى الذهب، وبها طوّر الماء، وبالمعرفة جعل الله الإنسان خليفة في الأرض ليعمرها بالحب والعلم والسلام.

لقد كانت المعرفة أحد أهم أدوات بناء الحضارة الإنسانية، ومن خلالها انتصر الفلاسفة والأنبياء للإنسان، حين أكدوا إمكانية المعرفة طريقاً للتجاوز والارتقاء والسمو الأخلاقي.

وإن مشاغل المعرفة في الحضارة الإنسانية كانت منصبة على سعادة الإنسان بوصفها أرقى درجات الحكمة، أو بعبارة أخرى، كان جدل الحكمة/ السعادة، غاية المعرفة وأسمى أهدافها، فالمعرفة كانت ينبع تتفجر من قلوب صناعاتها إلى قلوب عشاقها، وكان عبقها يعطر أرواح من تمر في فضائهم.

لقد تميزت الحضارات الإنسانية بما صنعتته نظريات المعرفة من مفاهيم عكست تصوراتها للوجود والإنسان والعالم، لأن في ظل غياب الوعي بنظرية المعرفة، تضطرب الرؤيا، ويصيب المفاهيم الغبش والارتباك، فيرتبك الوعي، وبالتالي يرتبك الفعل، لأن المعرفة الدقيقة القائمة على ضبط مصادرها وأنواعها وأهدافها ومناهجها تقود إلى فعل معرفي منضبط مبدع خلاق.

واليوم في ظل زيادة الاهتمام باقتصاد المعرفة تثار أسئلة أمام العقل العربي خاصة

والإسلامي عامة، تحدد إجاباته عليها موقعه في العصر الحديث، ماذا نعرف؟ كيف نعرف؟ لماذا نعرف؟

إن معطيات الفكر العربي الإسلامي بعامة، والاقتصادي فيه بخاصة، لا تمتلك إجابات واضحة ودقيقة على هذه التساؤلات، الذي يمتلكه استعارات معرفية من زمن غير زماننا، ومن مكان غير مكاننا، سواء في ذلك الإسلاميون والقوميون والليبراليون والماركسيون. لم يتمكن هؤلاء من توظيف هذا التنوع المعرفي في وحدة حضارية تتبلور حول هدف مركزي واحد، (النهضة الحضارية).. لم يتمكنوا من الحوار الخلاق في فضاء حضاري يضع أسس نهضة اقتصادية ترتقي بالأمة إلى مستوى المنافسة والعطاء أكثر، لاسيما وأن الاقتصاد هو أكثر الميادين حيوية وأناقاة في جمع المصالح والربح والكفاءة والعدالة والإنصاف، وهي مبتغى الجميع.

ربما نمتلك آراءً صحيحة عن اقتصاد المعرفة بحكم الاستعارة من الغير، لكننا لا نمتلك معرفة صحيحة عن اقتصاد المعرفة منضبطة بمفاهيم ومناهج تنظم مسيرتها، وإذا امتلكنها هذه، فإننا لا نمتلك القدرة على تحويل النظرية إلى فعل، أي لا نملك القدرة على تحويل الاقتصاد التقليدي إلى اقتصاد معرفة، لأننا نفتقر إلى الشروط الموضوعية فضلا عن الكثير من الذاتية للانتقال إلى اقتصاد المعرفة، الأمر الذي يستوجب وعي قواعد التحول إلى اقتصاد المعرفة الذي يعد الخطوة الضرورية لعملية التحول، ويمكن الإشارة إلى أهم قواعد التحول إلى اقتصاد المعرفة على النحو الآتي:

١- القواعد المعرفية:

أ- بناء نظرية معرفة تستوعب الواقع العربي الإسلامي وتنظم نسقه الحضاري.

ب- تطوير المؤسسات التي تحول المعرفة إلى فعل.

ت- تطوير المؤسسات القانونية التي تحمي الفعل المعرفي وتحمي الحق

وتحمي الحضارة.

ث- توفير فرص استيعاب نظم إنتاج المعرفة في جامعات العالم المتقدمة، من

خلال عقد الاتفاقيات الإستراتيجية معها.

٢- القواعد العلمية:

أ- تطوير نظرية علمية تفسر مكونات العلم وشروط إنتاجه في ضوء الوحي.

ب- تنظيم التفاعل العلمي مع مؤسسات العلم العالمية.

ت- إعادة صياغة علاقة جامعاتنا مع الجامعات العالمية الرصينة عن طريق فتح

بوابات الاستثمار العلمي في مؤسساتنا العلمية.

ث- توفير فرص استيعاب أنظمة إنتاج العلم.

ج- إعادة تنظيم العلاقة مع الكفاءات العلمية في الخارج بما يعزز دعمها

للتحول الحضاري بعامة، والاقتصادي بخاصة.

٣- القواعد السياسية:

أ- إعادة رسم السياسة العامة للدولة بعامة، والسياسة الاقتصادية بخاصة، بما يعزز دورها بوصفها قوة اجتماعية قادرة على توفير الشروط اللازمة لنهضة اقتصاد المعرفة. والمهمة الأساسية الجديدة للدولة هي (صناعة الحرية) والابتعاد عن التدخل في الشأن العلمي خاصة والاقتصادي بعامة.

ب- اعتماد مبدأ (دولة المعرفة) وهي الدولة التي تبني مؤسسات المعرفة وتدفع المواطنين باتجاه الإبداع والتغيير، من خلال السياسة التربوية التي تبني على مبدأ الإبداع والتغيير. ومن الأمور المهمة جداً في هذا المضمار، تدريس مادة الإبداع في المراحل الدراسية كافة، وسن قوانين حماية الحرية والإبداع بمستوياته كافة، دولة تعلم الأجيال كيف تفكر، وكيف تصنع الفكر.

ج- خلق فضاء قانوني يعمل على جمع المؤسسات العلمية والتربوية والقانونية والاجتماعية على مبدأ التعاون من أجل الابتكار والإبداع. من خلال الآتي:

- دعم الأبحاث التي تخطط للتنمية الحضارية.

- دعم براءات الاختراع ماليا وقانونيا.

- دعم المنشورات العلمية وإيصالها إلى أبعد مركز في البلاد.

- دعم الجهود التقنية بالقانون والأموال.

- توفير مؤسسات شبكة المعلومات عن فعاليات البلد ومكوناته الاقتصادية والثقافية

والعلمية والسكانية.

٤- القواعد الاقتصادية:

أ- بناء سياسات إنفاق تضع في الاعتبار أولوية دعم السياسة التربوية والعلمية الهادفة إلى صناعة المعرفة، وخلق القدرة على الفعل المعرفي الكفوء.

ب- تحقيق تراكم رأسمالي يستثمر في حقول المعرفة والتكنولوجيا في المراحل الدراسية كافة، وفي المؤسسات العلمية المستقلة.

ت- تطوير القطاع الخاص لإمكاناته الذاتية باعتماد سياسة علمية معرفية أساساً لفعله، والعمل على تطوير مهارات العاملين فيه على وفق أرقى ما يقدمه التطور العلمي والتقني والمعرفي.

ث- تطوير سياسة مالية تعتمد المعرفة منطلقاً عن طريق إدخال مفردات المالية والاقتصاد المالي في الدراسة الإعدادية والجامعية بفروعها كافة.

إن الوطن العربي في ضوء الإحصاءات التي ترسم ملامحه الحضارية، يقف في آخر الدنيا، لا يملك إلا استنساخ التجارب الحضارية باستثناء دولة الإمارات العربية المتحدة التي تجاوزت حدود التخلف الحضاري إلى الإسهام الفعال في إدارة اقتصاد المعرفة خاصة والاقتصاد الإسلامي عامة. فالاستنساخ يفقد رونقه وأثره بعد حين.

إن الهوآت كبيرة في وطننا العربي وكثيرة: هوّة في استعمال العقل في إدارة شؤون الحياة. وهوّة في استعمال الدين في إدارة شؤون الدنيا والآخرة. وهوّة في استعمال الجامعة في بناء الحضارة، وهوّة في استعمال المدرسة في بناء الجامعة. وهوّة في استعمال القانون في بناء الحضارة. وهوّة في استعمال الحق في بناء القانون. وهوّة في استعمال الحرية في بناء

المجتمع. وهوة في استعمال المجتمع في بناء الإنسان. وهوة في بناء الإنسان ليكون خليفة في الأرض.

لذلك فإن التحول من الاعتماد على الموارد إلى الاعتماد على المعرفة بوصفها سلعة، تدرس في إطار نظرية استهلاك إسلامية معاصرة، وتحت مظلة اقتصاد المعرفة، يساعد في ردم هذه الهوات وغيرها كثير، حتى تكون تجربتنا في اقتصاد المعرفة وصناعته، تجربة ذاتية مبدعة وخلاقة، تسهم في إضاءة فضاءات المعرفة في العالم. بما تحققه من قيامها بالاستخلاف الحق في إدارة شؤون الحياة.



قائمة المصنّاور

القرآن الكريم.

- ١- أحمد السيد النجار وآخرون، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦.
- ٢- أحمد صبور (د.)، المعرفة والسلطة في المجتمع العربي، الأكاديميون العرب والسلطة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١.
- ٣- أسامة أمين الخوالي وآخرون، تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١.
- ٤- جون هارتلي (محرر)، الصناعات الإبداعية، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة (٣٣٩)، الكويت، ٢٠٠٧.
- ٥- راجح عبد الحميد الكردي (د.)، نظرية المعرفة نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة المؤيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ٦- زكريا إبراهيم (د.)، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م.
- ٧- عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، قراءة في تجارب الدول العربية وإسرائيل والصين وماليزيا، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ٨- عبد الحميد النجار (د.)، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، بحث في جدلية النص والعقل والواقع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- ٩- عبد المنعم السيد علي (د.)، مبادئ الاقتصاد الجزئي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، (د. ط ت).
- ١٠- فاروق الدسوقي (د.)، استخلاف الإنسان في الأرض، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ١١- فتحي حسن ملكاوي، نحو نظام معرفي إسلامي، حلقة دراسة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٢- فرانسيسكو خافيير كاريللو (محرر)، مدن المعرفة، المداخل والخبرات والرؤى، ترجمة د. خالد علي يوسف، سلسلة عالم المعرفة (٣٨١)، ٢٠١١.
- ١٣- الكسندر روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة د. غسان عبد الحي أبو فخر، سلسلة عالم المعرفة (١٤٤)، الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ١٤- مرال توتليان (د.)، مؤشرات اقتصاد المعرفة وموقع المرأة من تطورها، المعهد العربي للتدريب والبحوث الإنسانية، (د. ط)، ٢٠٠٦.
- ١٥- منذر القحف (د.)، الاقتصاد الإسلامي، دراسة تحليلية للفعالية الاقتصادية في مجتمع يتبنى النظام الاقتصادي الإسلامي، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ١٦- نبيل علي (د.)، العقل العربي ومجتمع المعرفة، مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، سلسلة عالم المعرفة (٣٧٠)، الكويت، ٢٠٠٩.
- ١٧- ياسر العمادي، إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٩.
- ١٨- يوسف كرم (د.)، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٥، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

ترفيح الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة
من خلال الإبداع والابتكار
في النصوص الشرعية

إعداد

د. علي نجم

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الإبداع والابتكار مطلوبان، والجمود والتحجر منبذان؛ فلا رقي للأمم دون بحثٍ في ماضيٍ يفجر إبداعاتٍ وابتكاراتٍ، تجد حلولاً للمشاكل الحاضرة، وتخول التخطيط لخدمة المستقبل.

ولا جرم أن الأمة الإسلامية محظوظةٌ بمرجعيتها الشرعية، المتمثلة في الوحيين، واللذين حويا من النصوص والقواعد والمقاصد، ما يكفي ويحث على استنباط الأسس والضوابط الإبداعية، التي تمكن من بناء المعرفة وتنميتها وتدبير اقتصادها؛ بدليل أن الرعيل الأول الذين نهلوا من النصوص وفقهوا معانيها وتحروا تنزيلها، تفتقت عن مواهبهم إبداعاتٌ وابتكاراتٌ أبهرت العالم، وجعلتهم قبلةً للناسخين والمقتدين، من أبناء حضاراتٍ سابقة.

وتنادي المشاكل الراهنة بحلولٍ تكون أحياناً متيسرةً في التقليد والمحاكاة؛ لكنها في حالاتٍ أخرى لا تُحلّ إلا بالعثور على اجتهاداتٍ مبتكرةٍ، عساها أن تجد مُتَكأً لها في كتاب الله الذي بلغ في الإبداع غايته، أو في سنة النبي ﷺ الذي حباه الله بابتكاراتٍ تعتبر نواةً لمجالاتٍ شتى من المعرفة؛ مما يفتح باب الإبداع والابتكار لتنمية الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة من خلال إسعاف النصوص الشرعية.

وتكمن مشكلة البحث في إبراز مدى تحويل النصوص الشرعية للإبداع والابتكار خدمة للاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة. فهل يمكن لهذه النصوص أن تكون ساحة خصبة للإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة.

وسأتبع في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، بحيث أحلل واقع الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة، لاستنباط ترفيعهما من خلال الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية.

وسأحاول الالتزام ببعض الضوابط في هذا البحث، لإنجاح هذا العمل بفضل الله تعالى، ومن ذلك:

أولاً: محاولة تصور المسألة، ثم تصويرها على الوجه الصحيح.

ثانياً: سَوِّق أدلة على المسائل المذكورة، مع عزوها للمراجع الأصلية.

ثالثاً: توخي الأمثلة والنماذج التطبيقية لبيان المقصود.

رابعاً: كتابة الآيات بالخط العثماني مع ذكر مواطنها في المصحف.

خامساً: إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، أكتفي بذكر مصدره، وإن لم أجده فيهما فأقتصر غالباً على السنن ونحوها، نظراً لضيق المحل، مع العمل على بيان الدرجة باختصار.

ويهدف هذا البحث إلى:

- بيان أهمية النصوص الشرعية في استقاء مبادئ وأسس الإبداع والابتكار.
- إبراز دور الإبداع والابتكار في تطوير الاقتصاد الإسلامي وإدارة المعرفة، من خلال النصوص الشرعية.
- الكشف عن بعض ضوابط ومراحل استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار؛ لترفيع الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة.

ولتحقيق هذه الأهداف يقترح الباحث مقدمةً وتمهيداً ومطالب أربعة وخاتمة،
وتفصيل المطالب كآتي:

المطلب الأول: الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية.

المطلب الثاني: دور الإبداع والابتكار في تنمية الاقتصاد الإسلامي من خلال
النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: دور الإبداع والابتكار في تنمية اقتصاد المعرفة من خلال
النصوص الشرعية.

المطلب الرابع: استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لإدارة الاقتصاد
الإسلامي والمعرفي: ضوابط واستشرافات.



تمهيد: المقصود بالإبداع والابتكار

يتمتع الإبداع والابتكار بأهمية بالغة من قبل الأفراد والمؤسسات، بل والحكومات؛ مما استدعى الاهتمام بهذا المجال، وإيلاءه عناية بالغة؛ لتحقيق التقدم والتطور، وحل المشكلات الراهنة، ومن أهمها النوازل والمستجدات الاقتصادية. وقبل الولوج في الموضوع فإنه من المناسب التوطئة بمفهوم الإبداع والابتكار:

الإبداع من أبداع وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، وأبدع الله الكون: خلقه، أو جده من العدم. وبدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولا. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسلاً كثير. والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه، والله تعالى كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي خالقها ومبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق، قال أبو إسحاق: يعني أنه أنشأها على غير حذاء ولا مثال، والبديع: المبدع والمحدث العجيب^(١).

والابتكار من ابتكر، وأصل الابتكار الاستيلاء على باكورة الشيء، وأول كل شيء: باكورته، وابتكر: أدرك الخطبة من أولها، وهو من الباكورة، ومن المجاز: ابتكر، إذا أكل باكورة الفاكهة.

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٦/٨. ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد، ١٧١/١. وأيضا: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص: ٧٠٢، بتصرف.

وابتكر الجهاز: اخترعه، ابتدعه واستنبطه ولم يكن مسبقاً إليه، وعقلٌ مُبتكر: مبدع، مجدّد ذو موهبة ونبوغ.

بكر: أي أسرع، وكل من أسرع إلى شيء، فقد بكر إليه. وبكر إلى الجمعة قبل الأذان، وإن لم يأتها باكراً، وأما ابتكارها فإن يدرك أول وقتها، وأصله من ابتكار الجارية وهو أخذ عذرتها^(١).

ويظهر جلياً أن المعنيين متقاربين، فمادة الإبداع والابتكار تدور حول الاختراع لا على مثال، وعلى باكورة الشيء أي الشيء الذي يكون أولاً ولم يسبق إليه.

وأما المعنى الاصطلاحي للإبداع والابتكار، فهو الإتيان بشيء لا نظير له، أو إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجود والوجود، في صورة غير مألوفة، وصفات غير معهودة، أو على الأقل في شكل نادر جداً ومتميز أشد تميز^(٢).

وهذا عام في كل المجالات، وبما أننا بصدد الكلام عن أثر الاقتصاد والمال والمعرفة، فقد استحسنت تعريفين جيدين للابتكار والإبداع المالي:

أولاً: الابتكار المالي هو مجموعة الإجراءات والتدابير التي مؤداها تلبية احتياجات المجتمع المالي، سواء بإعادة تأهيل منتجات قائمة، أو بتطويرها، أو بتصميم منتجات بديلة مبتكرة، تكون قابلة للتنفيذ والتحقيق^(٣).

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٧٧/٤. وتاج العروس، لمرتضى الزبيدي، ٢٤٦/١٠. وكذلك: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد، ٢٣٤ / ١، بتصرف.

(٢) المعجم المفصل في اللغة والأدب، لإيميل بديع يعقوب وميشال عاصي، ٢٤-٢٥، بتصرف يسير.

(٣) فقه الابتكار المالي بين الثبوت والتهافت: أصوله.. قواعده.. معايير، لسامر قنطقجي، ص: ٢٧.

ثانياً: هو عملية فكرية متفردة تسهم في إحداث نقلة نوعية في المجالات المالية على المستويين الكلي و/ أو الجزئي، تجمع بين المعرفة المتألفة والعمل الخلاق القادر على تطبيق الأفكار الجديدة، يقودها أشخاص متميزون، بحيث تحقق النفع للمجتمع ككل أو المنظمة التي يعملون فيها، من خلال إيجاد الحلول لمختلف المشكلات المالية، أو المشكلات التي تعرقل التطور في المجالات المالية من خلال تلبية وإشباع الحاجيات القائمة و/ أو استغلال الفرص أو الموارد^(١).



(١) الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية بين الأصالة والتقليد، لموسى بن منصور، بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية بين الصناعة المالية التقليدية والصناعة المالية الإسلامية.

المطلب الأول

الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية

الإبداع والابتكار مركزان في الوحيين؛ لأن القرآن الكريم والسنة النبوية من لدن الخالق المبدع، وعليه، فالمتمسك لابتكار الحلول وإبداع المخارج، سيجد ضالته لا محالة في نصوص الوحيين، إن بهادتهما، أو بالقياس على أصولهما والاستنباط من قواعدهما، وهذا ما سأحاول بيانه من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الإبداع والابتكار في القرآن الكريم.

القران الكريم كتاب عقائد وعبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق، نجد فيه أحيانا الأحكام المباشرة الجاهزة، بينما تحتاج معان أخرى إلى التدبر والاستنباط، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فهذا الكتاب تبيان لكل شيء ولا تنقضي عجائبه، فهو مزرعة المبدعين ومسعى المبتكرين، كيف لا؟ وهو تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فالإبداع والابتكار في تقدير الباحث واردة في القرآن الكريم من وجهين:

الوجه الأول: من خلال نصوص قرآنية تصف إبداع الخالق وتسخيره لابتكارات المخلوق، وفي ذلك تحريض على الإبداع والتدبر، ومدعاة إلى الابتكار والتفكير، يقول الشعراوي^(١): «وهذا القول يوضح أن هناك من يغفل عن الآيات، وهناك من لا يغفل عنها، وينظر إلى تلك الآيات ويتأملها ويتدبرها، ويتساءل

(١) في تفسيره لقوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَنَّا لَعْفًا لَوْتَ﴾ [يونس، جزء من الآية: ٩٢].

عن جدوى كل شيء، فيصل إلى ابتكارات واختراعات ينتفع بها الإنسان، أذن بميلادها عند البحث عنها؛ لتستبين عظمة الله في خلقه. وحين ينظر الإنسان في تلك الابتكارات سيجدها وليدة أفكار مَنْ نظروا بإمعان، وامتلكوا قدرة الاستنباط، ولو لم يغفل الناس عن النظر في آيات الكون، والسموات والأرض، لزادت الابتكارات والاختراعات»^(١).

والأمثلة على ذلك كثير، بين فيها الخالق بديع صنعته، ودعا فيها إلى التأمل في مخلوقاته، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾. وأيضا قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾، وكذلك قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾، بعدما ذكر سبحانه مجموعة من آلائه وإبداعاته.

ففي هذه الآيات ومثيلاتها، نلاحظ أن الله جل وعلا يمن علينا بعرض إبداعاته، ويأمر الخلق بالتدبر فيها، بإعمال العقل والقلب لتوحيده من جهة، ولتلمس ومحكاة

(١) تفسير الشعراوي، للشعراوي، ١٠ / ٦١٨٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠-١٩١.

(٣) سورة الغاشية، الآيات: ١٧-٢٢.

(٤) سورة النور، جزء من الآية: ٤٤.

روح الإبداع والابتكار من جهة أخرى، قال الزحيلي: «هذه الآيات الكريهات^(١) تنبيه على مواطن العبرة والنظر، وضرورة التأمل في آفاق الكون الزاخرة بالبراهين الحسية على وجود الله تعالى»^(٢).

الوجه الثاني: من خلال النفائس القرآنية التي يجب الاستنباط منها لإيجاد حلول للمشاكل الراهنة، ففي الوجه الأول، نطلق من إبداع موصوف في القرآن، ونبني عليه؛ وفي هذا الوجه الثاني، لا يصف القرآن إبداعا بعينه، إنما نستشفه من المادة القرآنية وأصولها وقواعدها، وآلة ذلك هي الاستنباط والاجتهاد الشرعيان، يقول الشعراوي^(٣): «إن الله لو أراد للمتشابه أن يكون محكما، لجاء به من المحكم، إذن إرادة الله أن تكون هناك آيات المتشابه ومهمتها أن تحرك العقول، وذلك حتى لا تأتي الأمور بمنتهى الرتبة التي يجمد بها عقل الإنسان عن التفكير والإبداع، والله يريد للعقل أن يتحرك وأن يفكر ويستنبط. وعندما يتحرك العقل في الاستنباط تتكون عند الإنسان الرياضة على الابتكار، والرياضة على البحث، وليجرب كل واحد منا أن يردّ المتشابه إلى المحكم ولسوف يمتلك بالرياضة ناصية الابتكار والبحث، والحاجة هي التي تفتق الحيلة.

(١) من قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوْمِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ نُوْفُكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩].

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي، ١/ ٥٨٥.

(٣) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران، جزء من الآية ٧].

إن الحق يريد أن يعطي الإنسان دربة حتى لا يأخذ المسألة برتبة بليدة ويتناولها تناول الخامل ويأخذها من الطريق الأسهل، بل عليه أن يستقبلها باستقبال واع وبفكر وتدبر»^(١)

ومن الأمثلة على ذلك قوله جل من قائل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ﴾^(٢)، حيث أمر سبحانه برد الأمور التي تحتاج إلى تأمل، إلى أهل الاستنباط والإبداع.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٣)، وفي هذا حث على التدبر في آيات الله، وعدم الإعراض عنها؛ لأنها مفاتيح الاجتهاد، وآلات الابتكار.

قال ابن عاشور^(٤): «وكان في قصة داود وسليمان تنبيه على أصل الاجتهاد وعلى فقه القضاء، فهذه القضية التي تضمنتها الآية مظهر من مظاهر العدل ومبالغ تدقيق فقه القضاء، والجمع بين المصالح والتفاضل بين مراتب الاجتهاد، فمضمونها أنها الفقه في الدين الذي جاء به المرسلون من قبل»^(٥).

(١) تفسير الشعراوي، للشعراوي، ٢ / ١٢٨٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٤) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٧ / ١١٥-١١٦، باختصار يسير.

وكتطبيق على ما سبق، أذكر إبداعات لبشر أمثالنا من الرسل وغيرهم، تفضل الله تعالى علينا بذكرها؛ ليرهن لنا على أنه مبدع في صنعه، ومبدع في التفضل بالإبداع على من اصطفاه من خلقه، ومن النماذج الكاشفة على ما أقول، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنذِرُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾، وهذا ابتكار اقتصادي من يوسف عليه السلام، فكانما أشار به تمهيداً لشرع ادخار الأقوات للتموين، حيث أشار إلى إبقاء ما فضل في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السوس، وأمرهم بتدبير أكلهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة^(٢).

وعلى المنوال نفسه أبدع ذو القرنين لما كف شر يأجوج ومأجوج بالبناء الذي ابتكره، كما يحكي لنا القرآن في قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣) قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي آثَارِكُمْ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا آتَاكُم بِذُنُوبِكُمْ وَلَا تَقْسِرُوا عَلَىٰ أَن تَسْتَكْبِرُوا فَاتَّبِعُوا أَمْرًا وَاسِعًا وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُكْسِرِينَ ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ

(١) سورة يوسف، الآيات: ٤٥ - ٤٩.

(٢) راجع: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٢/ ٢٨٧. وكذلك: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٤٠٠.

أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ
وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١﴾.

وقال عز وجل: ﴿ قَالَ هِيَ رُوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن
كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن دُبُرٍ
فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِّن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِن
كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢﴾، فيا لها من طريقة مبتكرة ومن ذكاء وقاد، مكن من بيان الحق
وكشف الباطل.

وقال جل جلاله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حٰجَّ إِبرٰهِيْمَ فِي رَبِّهِ ءَأَن ءَاتَهُ اللهُ الْمَلٰٓئِكَ
إِذْ قَالَ إِبرٰهِيْمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبرٰهِيْمُ فَإِنَّ اللهَ
يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظّٰلِمِينَ ﴿٣﴾، إن الرد الإبداعي من إبراهيم عليه السلام، لم يترك مجالاً لخصمه، فما
كان منه إلا أن بهت وتقهقر.

الفرع الثاني: الإبداع والابتكار في السنة النبوية.

السنة النبوية وحي، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ
الْقُوَىٰ ﴿٤﴾، ومنه، فهي تابعة للقرآن الكريم في عرض المبتكرات، وسرد الإبداعات،

(١) سورة الكهف، الآيات: ٩٣-٩٧.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٤) سورة النجم، الآية: ٥.

بل وفي إرساء قواعد وأصول الإبداع والابتكار، قال يوسف عبد اللاوي: «إن الإبداع والابتكار واجب يفرضه الدين وضرورة يحتمها الواقع، فإذا كان القرآن الكريم تناول هذا الموضوع في إيجاءات موجزة، فإن النبي ﷺ قد حقق ذلك قولاً وعملاً، وترك ثروة هائلة من النصوص والتوجيهات النبوية التي تدعو بمجملها إلى ضرورة استخدام العقل في الابتكار النافع والإبداع الجميل»^(١)، والمتأمل في روايات الأحاديث الصحيحة يقتنع أشد الاقتناع بغناها، ومن يفتش في كنوز السنة مستنيراً بالمفاهيم العلمية والفنية الحديثة، يجد الجواب الشافي لا محالة، وربما يكتشف صيغاً تكون بديلاً شرعياً للمعاملات المحظورة^(٢).

لكن يجب الحرص كل الحرص على ألا تكون السنة مطية للتحايل على الشرع، لما رواه أبو هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(٣)؛ فمن ابتكر منتجات إسلامية وأتى بحلول شرعية فقد سن سنة حسنة وله أجرها وأجر من عمل بها، ومن لجأ إلى التحايل وغطى المنتجات التقليدية

(١) الإبداع والابتكار في السنة النبوية، ليوسف عبد اللاوي، بحث منشور بمجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية العدد ٤، المجلد ١، بتصرف يسير.

(٢) المخارج الشرعية للمعاملات المالية انطلاقاً من السنة النبوية، لعلي نجم، بحث شاركت به في الندوة الدولية السابعة «إدارة المال والأعمال في السنة النبوية»، ٢/ ٧٥٩ - ٨٠٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٤/ ٢٠٦٠.

بغطاءٍ إسلاميٍّ، ودس السم في العسل فقد سن سنة سيئةً وعليه وزرها ووزر من عمل بها^(١).

وفي السنة النبوية ما لا يحصى من النماذج الإبداعية أسرد بعضها مع تعليق طفيف:
فَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا نَأْخُذَ أَحَدَكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعُهَا، فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(٢).

فهذا حث من النبي ﷺ على ابتكار سبل لاستجلاب المال، ولو كان ذلك بجمع حزمة حطب وبيعها، وذلك اتقاء ذل المسألة، وفيه دعوة إلى الإبداع لإيجاد حلول للمشاكل المعروضة.

وَعَنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: لَمَّا أَمْسَوْا يَوْمَ فَتَحُوا خَيْبَرَ، أَوْقَدُوا النَّيْرَانَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَامٌ أَوْ قَدْتُمْ هَذِهِ النَّيْرَانَ؟» قَالُوا: حُومِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ، قَالَ: «أَهْرِيْقُوا مَا فِيهَا، وَاكْسِرُوا قُدُورَهَا» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: نُهْرِيْقُ مَا فِيهَا وَنَغْسِلُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ ذَاكَ»^(٣).

فقد أشار هذا الرجل على النبي ﷺ بفكرة التخلص من الممنوع والاحتفاظ بالمباح، مما سيوفر قدورا كانت ستضيع، وهو الرأي الذي وافق عليه النبي ﷺ، مما يكشف عن إبداعه وعن تقبله إبداعات الآخرين ومشوراتهم الابتكارية.

(١) الهندسة المالية الإسلامية، لعبدالكريم قندوز، بحث منشور بمجلة جامعة الملك عبد العزيز للاقتصاد الإسلامي، المجلد ٢٠، العدد ٢، ص ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ١٢٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب آنية المجوس والميتة، ٩٠/٧.

ولما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فأنحروا ثم اخلقوا»، ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بदनك، وتدعو حالك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدينه، ودعا حلقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فأنحروا وجعل بعضهم يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً^(١).

هذه النفحة المبتكرة من أم سلمة رضي الله عنها، هي التي حلت المشكل، حينما أشارت على النبي ﷺ بالمبادرة إلى التطبيق، الذي سيستثير الصحابة ويهيج انقيادهم.

ويشبه هذا، مشورة الحباب بن المنذر على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال البراء بن عازب: لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه^(٢)، إذ إن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فأنض بالناس حتى تأتي أذنى ماء من القوم، فنزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً، ثم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٣ / ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ٥ / ١١٠.

نَقَاتِلِ الْقَوْمَ، فَشَرِبُوا وَلَا يَشْرِبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ أَشْرَتْ بِالرَّأْيِ. فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَلْبِ فَعُورَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ، فَمَلَأَ مَاءً، ثُمَّ قَدَفُوا فِيهِ الْآيَةَ^(١).

لقد وفق الله تعالى الحباب إلى ابتكار مكيذة حربية، أشار بها على الخلق المتواضع محمد ﷺ، الذي تلقاها بالقبول وأثمر الله النصر بسببها.



(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ١/٦٢٠.

المطلب الثاني

دور الإبداع والابتكار في تنمية الاقتصاد الإسلامي

من خلال النصوص الشرعية

شهد العالم أحداثاً اقتصادية كبيرة، جعلت حدة المنافسة تزداد بين المؤسسات المالية الإسلامية فيما بينها، ومع المؤسسات المالية التقليدية؛ مما استدعى تطوير منتجات مالية تتركب غمار الابتكار المالي لتحقيق الكفاءة الاقتصادية، وتلبي الحاجات المتجددة، وتنطلق من النصوص الشرعية؛ لكونها تمثل الاقتصاد الإسلامي^(١)، مما ينبى بضرورة استحضار هندسة مالية إسلامية متينة، مبنية على الإبداع ومحلاة بالابتكار، أسسها وركائزها نصوص الوحيين وآلاتها الاجتهاد والاستنباط.

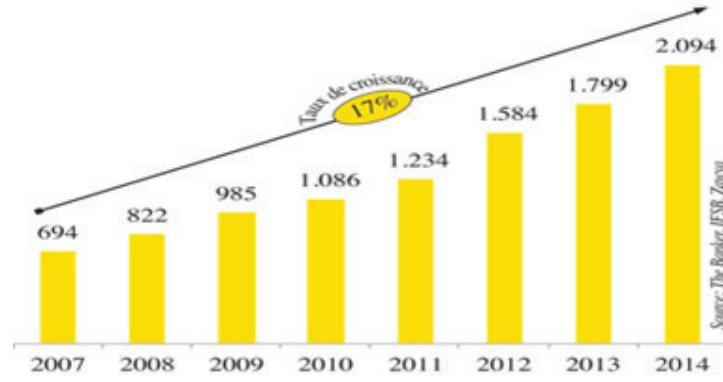
وهذا ما سأعمل على تنزيله من خلال الفرعين الآتين:

الفرع الأول: إسعاف النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لتنمية الاقتصاد الإسلامي.

كما يكشف عن ذلك اسمه، فإن الاقتصاد الإسلامي يُفترض أن يلتزم بالشريعة الإسلامية. وإذا ما نزلنا إلى أرض الواقع، نجد أن الاقتصاد متشعب، ويتنامى بسرعة غريبة، فما ننفك عن نازلة حتى تأتي نازلة أخرى، كما أن احتياجات المستثمرين والمستهلكين تتنامى بشكل مهول مع تراكم النوازل والمستجدات المالية، علاوة على

(١) فقه الابتكار المالي بين الثبوت والتهافت: أصوله.. قواعده.. معايير، لسامر قنطقجي، ص ٨، مرجع سابق.

أن السوق العالمي للمالية الإسلامية يتقوى سنوياً، حيث تجاوز ٢,٠٩٤ مليار، وفيما يلي شكل يوضح هذا التطور^(١)



شكل يبين نمو الأصول الإسلامية العامة

ولمسايرة هذا الواقع الصعب واحترام التعاليم الشرعية في آن واحد، فإن الاقتصاد الإسلامي مُطالبٌ بإبداع الحلول وابتكار المخارج، فكما يقال: «الحاجة أم الاختراع»؛ و«الحيلة رسول الشدة»؛ لأن المشاكل المعروضة إما أن تجد لها حلاً في اتباع التجارب السابقة والتقليد البناء، وإما تضطر الباحث إلى ابتكار حلول جديدة واستراتيجيات إبداعية؛ ولعل هذا ما لوح إليه الشافعي رحمه الله حين قال: «والعلم من وجهين اتباع، أو استنباط والاتباع اتباع كتاب فإن لم يكن فسنة فإن لم تكن فقول عامة من سلفنا لا نعلم له مخالفاً، فإن لم يكن فقياس على كتاب الله عز وجل، فإن لم يكن فقياس على سنة رسول الله - ﷺ - فإن لم يكن فقياس على قول عامة من سلف لا مخالف له ولا يجوز القول إلا بالقياس وإذا قاس من له القياس فاختلفوا

(١) Finance participative Dernier coup d'accélérateur, journal L'Économiste, Édition (١) 21/10/N° 4631, du 2015

وسع كلا أن يقول بمبلغ اجتهاده ولم يسعه اتباع غيره فيما أدى إليه اجتهاده بخلافه، والله أعلم».

وهنا تبرز أهمية النصوص الشرعية، فإما أن نجد فيها الحل جاهزا، وما علينا حينئذ إلا الاتباع؛ وإما أن يحتاج إلى نظر وتأمل، ونكون مضطرين إلى الاجتهاد والاستنباط، وذلك حقل له فرسانه؛ لأنه لا يسوغ إلا عند غياب النص الشرعي الصحيح الصريح، ولا يتأتى إلا في ظل عملية إبداعية، تستوجب تصورا شاملا وفهما متقدما، يتولد عنه ابتكار الحل المفقود من خلال النص الشرعي الموجود. فالاجتهاد الفقهي في أصله ابتكار وإبداع؛ لأنه يستنبط حكما مفقودا انطلاقا من نصوص شرعية موجودة، وهذه العملية محاطة بسياج التقوى والاحتياط لمراقبة الشرع، ومبشرة برحاب الأجر لأن المجتهد مأجور على كل حال.

إن الاقتصاد الإسلامي من أكثر المجالات حاجةً إلى الأحكام الشرعية؛ بحكم أن هذا الميدان قد رام الشريعة الإسلامية، ولا تطبق هذه إلا بالرجوع إلى الوحيين، فالمالية الإسلامية محتاجة إلى الكفاءة والتطوير، مما ينادي بالإبداع والابتكار لأجل الاستقرار والاستمرار. لا سيما إذا ما نظرنا إلى التطور المهول للمعاملات المالية وأسواقها وإذا ما التفتنا إلى تسارع النوازل المالية وتعقدها، وهي حاجة ملحة إلى فتاوى رصينة تنادي بتدخل علماء الشريعة، الذين يعتمدون على النصوص الشرعية للإفتاء في المستجدات والنوازل ولابتكار حلول للمشاكل الراهنة والتحسب لمفاجآت المؤسسات والأسواق المالية.

وبما أننا نروم الاقتصاد الإسلامي، فإن مرجعية هذا الميدان يجب أن تكون مستمدة من النصوص الشرعية، وما يتخلل ذلك من نقص أو تحايل فالوحي بريء منه وإنما يتهم الممارس أو المستنبط^(١).

فمؤسسات الاقتصاد الإسلامي لا تستقيم بدون رقابة شرعية، ولا رقابة شرعية دون نصوص شرعية، كما يلخص ذلك الشكل التالي:



شكل يوضح حاجة الاقتصاد الإسلامي إلى الإبداع والابتكار في النصوص الشرعية

وقد يتساءل متسائل: كيف يمكن للنصوص الشرعية التي نزلت في فترة سابقة، ووردت في سياق معين، أن تجيب عن مستجدات آنية ومختلفة في السياق والملاسات؟

والجواب أن يقال إنه رغم اختلاف الظروف والحيثيات، فقد تشابهت المقاصد والغايات، بحيث نجد أن النازلة المستجدة لها أصل وشبه ونظير في النص الشرعي القديم، ما دام الحكم الشرعي المضمن في ذلك النص ثابتاً ودائماً لا يتغير ولا يتبدل؛ لأن المصلحة التي شرع لتحقيقها لا تتغير ولا تتبدل، لكن تطبيقه على الوقائع قد يتغير من مجتهد إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، ومن زمن إلى زمن، مع وحدة الحكم

(١) صناعة الهندسة المالية - نظرات في المنهج الإسلامي -، لسامي السويلم، بحث نشره مركز البحوث لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار وبيت المشورة للتدريب، ص ٦-٧.

الشرعي وثباته^(١). فيسوغ إصدار أحكام جديدة في النوازل التي لم تكن في عهده ﷺ بإعمال الاجتهاد في النصوص، التي تصير بمثابة الأرض بالنسبة للفلاح، وتكون أساليب الاستنباط بمثابة الحرث، والأحكام بمثابة الثمرة؛ «لئلا يلزم خلو الوقائع عن الأحكام»^(٢)؛ لأن النصوص محصورة والوقائع والمستجدات غير متناهية^(٣)، قال الزركشي: «النصوص محصورة، والأحكام الثابتة بها محدودة، ومعاني النصوص لا تتناول أحكام الوقائع المستجدة؛ لأنها محصورة متناهية، والوقائع المستجدة غير متناهية، والقياس لا يصح إلا بوجود أصل يقاس عليه، ولم يوجد هذا في الوقائع المستجدة فيلزم من عدم اعتبار المصالح المرسلة حجة خلو كثير من الوقائع عن الأحكام، وهذا باطل»^(٤).

فمرجعية الاقتصاد الإسلامي هي نصوص الوحيين، فهي مَفْرَعُ الفقيه، والمرقب الشرعي، والمحاسب، والمصرفي، وكل من له علاقة بالمجال المالي، كل حسب تخصصه؛ إذ إن هؤلاء كلهم ومن على شاكلتهم غير مستغنين عنها؛ لكن بدرجات متفاوتة، فحاجة المحاسب مثلاً لا تكاد تبلغ معشار حاجة فقيه ومفتي المعاملات المالية.

- (١) للمزيد راجع: السنة تشريع لازم ودائم، لفتحي عبد الكريم، ص ٩٣-٩٤. وأيضاً: السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، مقدمة/٩ و ١/٤٩. وكذلك: الرد على من ينكر حجية السنة، لعبد الغني عبد الخالق، ص ٤٧٨.
- (٢) التقرير والتحبير على تحرير الكمال بن الهمام، لابن أمير حاج، ٣/٢٤١. وأيضاً: تيسير التحرير، لأمر بادشاه، ٤/١٠٥.
- (٣) شرح مختصر التحرير للفتوح، لأحمد الحازمي، الدرس ٦٩.
- (٤) تشنيف المسامع بجمع الجوامع، لمحمد بن عبد الله الزركشي، ٣/٤٣.

فالنصوص الشرعية هي أدوات الاستنباطات الفقهية، ومكان المخارج الشرعية للمعاملات المالية، ومنطلق الصيغ والمنتجات التمويلية؛ يفتش فيها الفقيه والمفتي عن الأدلة وآلات الاستنباط، ويتفقد فيها المهندس المالي المنتجات والصيغ المالية، ويستثمرها المراقب أو المدقق الشرعي في وضع المعايير، أو تتبع العمليات المصرفية. إن المخارج الشرعية هي حلول إبداعية ابتكارية ضرورية في المعاملات الاقتصادية لمواءمة الظروف المعيشية، وتخريجها على الظروف التي نزلت فيها النصوص الشرعية؛ لأن النصوص الشرعية ليست قاصرة على العهد النبوي، وإنما هي حلولٌ وأصولٌ إلى يوم القيامة، وتحضرنى هنا القاعدة التي تقول: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»^(١).

إن العلماء هم الذين ينفون النازلة الفقهية، ويبحثون عن البديل الشرعي لدرء التعامل المحرم، فإذا وجد المفتي مخرجاً شرعياً، فإما أن يعمل به المستفتي وإما أن يرده بدعوى التحايل أو سد الذريعة، وفي هذه الحال، فهو مخيرٌ بين أن ينتقل إلى المعاملة المحرمة الصرفة وبين أن يتوقف ويصيبه حرجٌ ومشقةٌ، وكلا الحلين ظاهر البطلان، لأن إيجاد المخرج الشرعي المخلص من الإثم في المعاملات المالية ضرورةٌ واقعيةٌ، ومن ذلك المعاملات المصرفية التي أصبحت من حاجات المجتمع اليوم، والتي تنادي بالمخارج الشرعية باستمرارٍ لتعقد منتجاتها وللمنافسة الشرسة التي تلقاها من المصارف التقليدية. فينبغي البحث عن مخارج للحاجات الملحة

(١) قال عبد الله الجديع: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن مراعاة السبب أصلٌ لفهم مراد الله ورسوله ﷺ، خصوصاً عند اشتباه المعنى، والعموم باقٍ في مثل صورة السبب». تحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ٧٠٦/٢.

كالوصول على المسكن والعلاج والتعليم، لكيلا يرتمي الناس في المنتجات المحرمة للمصارف التقليدية. وفي هذا الصدد يقول ابن القيم: «من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي عن شيءٍ فممنعه منه، وكانت حاجته تدعوه إليه، أن يدلّه على ما هو عوضٌ له منه، فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح، وهذا لا يتأتى إلا من عالمٍ ناصحٍ مشفقٍ يريد أن يتاجر مع الله بعلمه. فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما ينفعه، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان»^(١).

مع الإشارة إلى أن هذه الحاجة الملحة إلى الإبداعات والابتكارات لا ينبغي أن تكون ذريعةً لسلوكٍ منهج الحيل المحرمة، وهذا ما حصل لبعض المعاملات المالية المعاصرة، حين أرادت بعض المصارف الإسلامية إضفاء قالبٍ شرعيٍّ على الفكر المصرفي الربوي بنهج مسلك الحيل الممنوعة فأنتجت معاملاتٍ صوريةً، مما أثر على سمعتها وشكك في مصداقيتها؛ وهذا ليس تعميمياً، فمن المصارف الإسلامية من يتخلص من أي معاملةٍ فيها شبهة التحيل^(٢).

فلا غرو أن إقدام العلماء على التنقيب في النصوص عن المخرج والبديل المباح للمعاملة المالية، لكفيلٌ برفع الحرج عن المكلفين حتى لا ينفلتوا من الحلال الشرعي

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ٤٦/٦.

(٢) للمزيد انظر: الحيل الفقهية في المعاملات مفهومها وأحكامها في بعض القضايا المعاصرة، لعيسى الخلوفي، ص ٣٤٨-٣٦٣. وكذلك: أسباب وآثار دخول الحيل الفقهية على المصرفية الإسلامية، لعيسى الخلوفي، مقال منشور بمجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ١١. وأيضاً: مدى مطابقة المظهر الخارجي للمنتج الإسلامي مع مضمونه الداخلي: التورق المصرفي نموذجاً، لحشاشي سلمى، وضامن وهيبة، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي حول منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية، بين الصناعة المالية التقليدية والصناعة المالية الإسلامية.

إلى المحرم المتيسر، والله در سفیان الثوري حين قال: «إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة فأمّا التشدد فيحسنه كل أحد»^(١).

والشواهد كثيرة من النصوص الشرعية، تدل على خدمتها للاقتصاد الإسلامي، فهي مجال خصب للإبداع والابتكار، وعلى ذلك أمثلة كثيرة منها:

عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «أكل تمر خيبر هكذا؟»، قال: لا والله يا رسول الله إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعل، بع الجمع^(٣) بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنيبا»^(٤)؛ فالنبي ﷺ لم يكتف ببيان حرمة المعاملة بل دل على المخرج الشرعي لها. وهذه طريقة إبداعية سليمة تمكن من الفرار من الحرام إلى الحلال، قال الخصاف: «فقد أمره رسول الله أن يشتري التمر بالدرهم ونهاه أن يكون التمر وأحدهما أكثر من صاحبه، ليخرج بذلك فيما لا يحل إلى ما يحل، فافهموا ما أراد بذلك الخروج من الإثم إلى الحق»^(٥).

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/ ٧٨٤.

(٢) نوع من التمر من أعلاه، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١١/ ٢١.

(٣) تمر رديء، وقد فسره في رواية أخرى بأنه الخلط من التمر ومعناه مجموع من أنواع مختلفة المرجع نفسه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، ٣/ ٧٧. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، ٣/ ١٢١٥. واللفظ للبخاري.

(٥) كتاب الخصاف في الحيل، لأحمد الخصاف، ص ٤.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً﴾^(١)، قال ابن القيم: «وقاست الأمة الرهن في الحضر على الرهن في السفر، والرهن مع وجود الكاتب على الرهن مع عدمه»^(٢)؛ فهذا إبداع قرآني يسر حلا للمقرض بضمان حقه، وللمقرض بالحصول على الدين، وهو من الحلول التي يُفزع إليها في بعض المعاملات الاقتصادية اليوم.

وقال ابن القيم: ومن ذلك أن سمرة بن جندب رضي الله عنه لما باع خمر أهل الذمة وأخذه في العشور التي عليهم، فبلغ عمر رضي الله عنه فقال: قاتل الله سمرة، أما علم أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلَوْهَا وَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا»، وهذا محض القياس من عمر رضي الله عنه؛ فإن تحريم الشحوم على اليهود كتحریم الخمر على المسلمين، وكما يحرم ثمن الشحوم المحرمة فكذلك يحرم ثمن الخمر الحرام^(٣).

والشاهد هنا هو فتوى عمر رضي الله عنه في نازلة اقتصادية استنادا إلى نص شرعي بطريقة إبداعية.

ويفهم من تبويب البخاري رحمه الله: «باب اصطناع المال»^(٤)، أهمية النص الشرعي في الحصول على السيولة المالية، ومن ذلك عقد السلم كما في حديث عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يسلفون في الثمار السنة

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٨٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ٢ / ٣٦٦.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ٢ / ٣٦٧.

(٤) الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ص: ٢٤٢.

والسنتين، فقال: «من أسلف في تمرٍ، فليسلف في كيلٍ معلومٍ، ووزن معلومٍ، إلى أجلٍ معلومٍ»^(١).

والسَّلْمُ هو بيع آجلٍ بعاجلٍ، وهو عقدٌ على بيعٍ موصوفٍ في الذمة إلى أجلٍ مسمىً بثمنٍ يسلم في مجلس العقد، وفائدته هو حصول المشتري على السلعة بثمنٍ أرخص، واستفادة البائع من السيولة؛ «والسلم، والسلم الموازي»^(٢) حيث إنها يجلان مشكلات السيولة لدى أصحاب المصانع، والمقاولات والمزارع ونحوها، حيث يتسلمون الأموال الكافية ويبيعون إنتاجهم المستقبلي في وقتٍ مبكرٍ، وفي ذلك نوعٌ كبيرٌ من الاطمئنان، كما أنها يساعدان أصحاب الأموال وبنوك التمويل وشركات الاستثمار على استثمار أموالهم بصورةٍ جيدةٍ وأرباحٍ مجزيةٍ»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهرٍ، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ، فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلم، باب السلم في كيل معلوم، مرجع سابق، ٨٥/٣. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب السلم، مرجع سابق، ١٢٢٦/٣. والرواية لمسلم.

(٢) صورته أن يشتري سلعةً بالسلم، ثم يبيعها لطرفٍ آخر بالسلم بعد الأجل الأول، مع كون العقدين منفصلين، قال الشافعي: «ومن سلف في طعام ثم باع ذلك الطعام بعينه قبل أن يقبضه لم يجز؛ وإن باع طعاماً بصفةٍ ونوى أن يقضيه من ذلك الطعام فلا بأس، لأن له أن يقضيه من غيره، لأن ذلك الطعام لو كان على غير الصفة لم يكن له أن يعطيه منه، ولو قبضه وكان على الصفة كان له أن يجسه ولا يعطيه إياه، ولو هلك كان عليه أن يعطيه مثل صفة طعامه الذي باعه». الأم، للشافعي، ٧٢/٣.

(٣) إدارة السيولة في المؤسسات المالية الإسلامية - دراسة فقهية اقتصادية -، ص ٤٠.

لا حق لأحد منا في فضلٍ»^(١)، ولو طبقنا هذا الحديث في نظري، لما بقي على ظهر الأرض جائعٌ ولا معوز؛ لأن المشكلة ليست في قلة الموارد وإنما في سوء توزيعها، وفي تغييب الإبداع والابتكار في استثمارها؛ ولو أن ذوي الدثور جادوا بما فضل عليهم من سيولةٍ في سبيل تمويل من لا عمل له، لَحُلَّت مشاكل البطالة لا محالة. وفيما صرح به الراوي من ذكر الرسول ﷺ لأصنافٍ عدةٍ من المال، فتحَّ لباب الاجتهاد في إيجاد مخرج تمويليةٍ لحاجات ملحة. وفي هذا الصدد، فمن لم يجد أرضاً يزرعها فهناك مخرجٌ في حديث جابر حين قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرضٌ فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها، فليمنحها أخاه المسلم، ولا يؤاجرها إياه»^(٢)، فهذا رجلٌ له خبرةٌ وقوةٌ لكنه لا يملك أرضاً يزرعها، وذاك رجلٌ يملك الأرض ولا يقوى على زرعها، فأتانا هذا الحديث بالمخرج، حتى لا تضيع الأرض وتبقى عاريةً عن الزراعة، ولا تضيع خبرة الزارع فيبقى بدون عملٍ، وفي هذا من الإبداع والابتكار ما لا يخفى على ذي لب.

الفرع الثاني: ترقية الاقتصاد الإسلامي من خلال ابتكارات الهندسة المالية الإسلامية:

إن المسار الذي يُتبع لاكتشاف أو تطوير صيغةٍ تمويليةٍ هو ما يسمى بالهندسة المالية، فالهندسة المالية ترمي إلى تطوير صيغٍ وابتكارٍ منتجاتٍ ماليةٍ تستجيب لاحتياجات الواقع وتحديات العصر، استناداً إلى نصوص الشرع وقواعده ومقاصده؛ وبذلك أنتجت الهندسة المالية الإسلامية مجموعةً من الأدوات والصيغ التمويلية والاستثمارية الخاصة بها والخاضعة لضوابط المعاملات المالية في الاقتصاد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، ٣/ ١٣٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، ٣/ ١١٧٦.

الإسلامي قد عُرِفَت الهندسة المالية الإسلامية بتعريفاتٍ عديدةٍ، تؤول إلى ما عرفت به الهندسة المالية التقليدية لكنها تزيد عليها بشرط الالتزام بالشرعية الإسلامية. ومن ذلك أن الهندسة المالية الإسلامية هي مجموعة الأنشطة التي تتضمن عمليات التصميم والتطوير والتنفيذ، لكل من الأدوات والعمليات المالية المبتكرة، بالإضافة إلى صياغة حلولٍ إبداعيةٍ لمشاكل التمويل وكل ذلك في إطار موجّهات الشرع الحنيف^(١). ومن ثم، فمهمة المهندس المالي الإسلامي أصعب من حيث مراعاته للضوابط الشرعية، ومن جهةٍ أخرى، فهي أسهل من حيث توفره على مخارج شرعيةٍ كامنةٍ في طيات النصوص الشرعية. قال سامر قنطقجي: «لقد عرف مصطلح (الحيل) في التاريخ الإسلامي، وأطلق على من عمل فيه صفة (المهندس) وذلك منذ القرن الثالث هجري، وأطلق على من بحث عن إيجاد حلول لبيع وتصرفات مالية، وحديثاً عرف الابتكار المالي كفرع من الهندسة المالية. ولما حاول بعض المسلمين تناول الهندسة المالية من وجهة نظر إسلامية بدأنا نميز بين مصطلحي الهندسة المالية التقليدية والهندسة المالية الإسلامية. ولما كانت الصفة الأساس لأعمال الهندسة المالية ونتاجها هي الابتكار فقد وجدنا أن مصطلح فقه الابتكار المالي أكثر

(١) الهندسة المالية واضطراب النظام المالي العالمي، لعبد الكريم قندوز، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الرابع بالكويت حول: «الأزمة الاقتصادية العالمية من منظور الاقتصاد الإسلامي». وأيضاً: التحوط في التمويل الإسلامي، لسامي السويلم، ص ١٠٥-١٢٤. وأيضاً: صناعة الهندسة المالية - نظرات في المنهج الإسلامي -، لسامي السويلم. وأيضاً: التحديات التي تواجه العمل المصرفي الإسلامي، موقع محمد البلتاجي: www.bltagi.com. وأيضاً: إدارة التطوير وتنمية الأعمال، لفتح الرحمن علي محمد صالح، موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية [/www.kantakji.com](http://www.kantakji.com).

وكذلك: دور الهندسة المالية في تطوير الصناعة المصرفية الإسلامية -دراسة نقدية لبعض المنتجات المصرفية الإسلامية، لآمال لعمش، ص ٧٦ و١٨٢ و١٨٦ ونحوها.

مناسبة؛ فالفقه كلمة تشير للمعارف الإسلامية وآليات فهمها فهمًا تامًا وفقه تناولها بحثًا وتطبيقًا^(١).

وتتميز الهندسة المالية الإسلامية بوفرة المنتجات المالية وتنوعها مقارنة بالمالية التقليدية، لأن النصوص الشرعية -وبالأخص السنة النبوية- غنية بالوسائل والأدوات المالية المتنوعة، بينما تقتصر المالية التقليدية على الأسهم والسندات ونحوها، علاوة على أنها افتراضية وأما المالية الإسلامية فمبنية على اقتصاد حقيقي^(٢)، وقد عرف الإبداع في هذا النشاط نموًا ملحوظًا وقفزات نوعية خاصة في الدول الغربية منذ الثمانينات من القرن الماضي، معلنة عن ميلاد صناعة جديدة في عالم الاقتصاد هي الصناعة المالية يقودها مهندسون هم المهندسون الماليون، ولم تكن المالية الإسلامية غائبة عن هذه الصناعة بل شهدت الصناعة المالية الإسلامية هي الأخرى نموًا سريعًا على امتداد العقود الأربعة الماضية^(٣).

وعلى العموم فهناك نوعان رئيسان لمناهج تطوير المنتجات^(٤):

المناهج الأولى: المحاكاة، وهو عبارة عن تقليد منتجات الهندسة المالية الإسلامية للمنتجات المالية التقليدية؛ ويتميز بالسهولة والسرعة في الإنجاز، لأنه لا يتطلب

(١) فقه الابتكار المالي بين الثبوت والتهافت: أصوله.. قواعده.. معايير، لسامر قنطججي، ص ٣٠، مرجع سابق.

(٢) هندسة المالية (financial engineering): مدخل لتطوير الصناعة المالية الإسلامية، مقال لزايد عبد السلام، الرابط: <https://www.academia.edu/>

(٣) الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية بين الأصالة والتقليد، لموسى بن منصور، مرجع سابق.

(٤) المنتجات المالية الإسلامية بين الإبداع والتقليد، لسامي السويلم، مقال منشور بجريدة الاقتصادية، ١٤٢٧/٩/١ و ١٤٢٧/٩/٨.

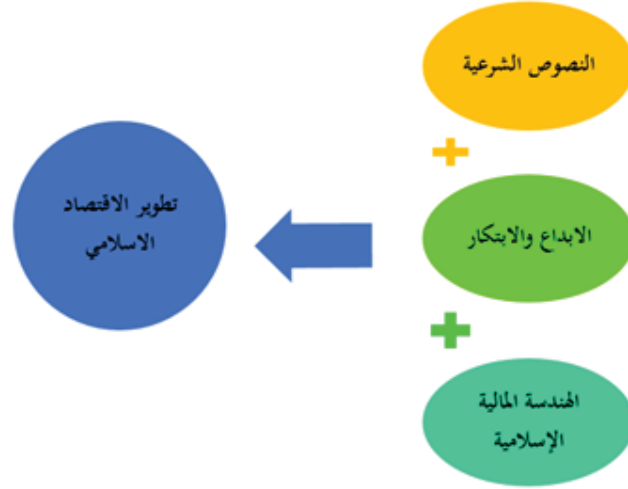
الكثير من الجهد والوقت في البحث والتطوير، لكنه يجز الهندسة المالية الإسلامية إلى فقد شخصيتها وإلى تبعيتها للصناعة المالية التقليدية، فتشرب بذلك آفاتها ومشكلاتها. وليس معنى هذا أن جميع المنتجات التي تقدمها الصناعة المالية التقليدية غير مناسبة للتمويل الإسلامي، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها؛ وهنا يمكن تدخل استشار النصوص الشرعية لتتخل هذه المنتجات وتقيم عملية المحاكاة، فتقر منها ما وافق الشرع وترفض ما خالفه، وتضبط منهج المحاكاة لكي لا يجز المهندسين إلى التقليد الأعمى.

المنهج الثاني: الأصالة والابتكار، ويقوم على البحث عن الاحتياجات الفعلية للعملاء والعمل على تصميم المنتجات المناسبة لها وفق الشريعة الإسلامية؛ وهو أكثر كلفةً من منهج المحاكاة، لكنه في المقابل أكثر جدوى وأكثر إنتاجيةً ويحافظ على أصالة المؤسسات المالية الإسلامية، كما يسمح لها بالاستفادة من منتجات الصناعة المالية التقليدية ما دامت تفي بمتطلبات المصادقية الشرعية.

ولهذا المنهج الابتكاري أسوةً حسنةً في النصوص الشرعية، يغوص في عباراتها وينطلق في شروحاتها، لاستجلاب المنتجات المالية المناسبة.

«إن نجاح الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية يعني بالدرجة الأولى ضرورة التحول من محاكاة المالية التقليدية وتكييفها حسب الشريعة الإسلامية، إلى البحث عن الحاجات الفعلية للمتعاملين الماليين والاقتصاديين المسلمين من طالبي التمويل والباحثين عن فرص الاستثمار، والعمل على إشباعها من خلال إيجاد أدوات مالية جديدة أو حلول عملية وإجرائية لمشكلات قائمة، أو على الأقل

البحث عن فرص الاستفادة من أفضل ما توصل إليه الابتكار في المؤسسات المالية التقليدية دون المساس بمبادئ العمل المالي الإسلامي^(١).



شكل يبين إسهام النصوص الشرعية للإبداع والابتكار من خلال هندسة مالية إسلامية
تطور الاقتصاد الإسلامي



(١) الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية بين الأصالة والتقليد، لموسى بن منصور، مرجع سابق، بتصرف يسير.

المطلب الثالث

دور الإبداع والابتكار في تنمية اقتصاد المعرفة من خلال النصوص الشرعية

اقتصاد المعرفة يعني جعل المعرفة هي محور الحركة الاقتصادية، حيث تم الانتقال من التركيز على النفط والذهب إلى التركيز على المعلومات والتتجات الفكرية وكيفية الوصول إليها، وقد ظهر اقتصاد المعرفة لأول في الخمسينات من القرن الماضي، عندما تطور القطاع الصناعي على حساب القطاع الزراعي، وصارت المعرفة سلعة اقتصادية تشكل آلية قوية للنمو الاقتصادي، وتمثل أيضا حصيلة الخبرة والقدرة على استخلاص مفاهيم ونتائج جديدة، وهي خليط من منظومة التعليم والخبرة المتراكمة التي تعتمد على الفهم والإدراك البشري، وكانت أول محاولة سنة ١٩٦٢م من قبل الاقتصادي machlup وصف فيها الاقتصاد المبني على المعرفة، وكذلك فعل Peter Ferdinand Drucker سنة ١٩٦٩م، فبعدها كانت الأرض والعمالة ورأس المال هي العوامل الثلاثة الأساسية للإنتاج في الاقتصاد القديم، اختار الاقتصاد الجديد الانتقال إلى الإبداع وذكاء المعلومات وابتكار برامج الكمبيوتر والتكنولوجيا عبر نطاق واسع من المنتجات، تفوق أهمية رأس المال أو المواد أو العمالة؛ لأن الطاقات البشرية الكفؤة والموهوبة، قادرة على إنتاج وإدارة وهندسة المعرفة؛ التي تبتكر المنتجات وتبدع في الوظائف وتمكن من رفع الكفاءة وزيادة الإنتاج، مع التقليل من تكاليفه، بحيث يعتمد الإنتاج والاستهلاك في اقتصاد المعرفة على استخدام رأس المال الفكري. وغالبا يحصل اقتصاد المعرفة على حصة كبيرة ضمن النشاطات الاقتصادية الخاصة بالدول ذات النمو الاقتصادي المتقدم، وتقدر الأمم المتحدة أن اقتصادات المعرفة تستأثر الآن بـ ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي وتنمو بمعدل

١٠٪ سنوياً، وجدير بالذكر أن ٥٠٪ من نمو الإنتاجية في الاتحاد الأوروبي هو نتيجة مباشرة لاستخدام وإنتاج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات^(١).

ذكرنا أن المعرفة هي محور الحركة الاقتصادية، فهي حصيلة القدرة على استخلاص مفاهيم ونتائج جديدة اعتماداً على الإبداع البشري، وعليه، فإن اقتصاد المعرفة يقوم على الفهم البشري والثورة المعلوماتية والتكنولوجية، ولا يرتقي هذان إلا بالإبداع والابتكار، اللذين يخولان تطوير منتجات فكرية ومعلوماتية جديدة تنهض باقتصاد المعرفة؛ لأنها « كانت عبر التاريخ الإنساني مصدر بناء للحضارات الإنسانية في كل زمان ومكان، حيث ازدهرت الأمم وتطورت عندما أيقنت أن المعرفة يجب أن تزدهر وتتطور وتنمو، وبذلك أصبحت المعرفة العامل الأساس والمحرك لتطور الشعوب ولها تأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهي مرتكز أساسي يبني عليها الإنسان قراراته ويعالج بها مشاكله فيؤدي تراكمها إلى نمو وتطور المجتمع، وقد صارت أهم مصدر للثروة إذ أصبحت تعادل إمكانات رأس المال والموارد الطبيعية»^(٢).

فاقتصاد المعرفة بحاجة إلى الإبداع والابتكار، وهما بحاجة إلى المعرفة، فكما يقال: «المعرفة قوة»، فلا بد من معارف أولية تؤسس للإبداع والابتكار، ولا بد من

(١) للمزيد راجع: الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، لصادق طعان، مرجع سابق. وأيضا: اقتصاد المعرفة مقال منشور بموقع المعرفة <https://www.marefa.org> وكذلك: الاقتصاد المعرفي.. آفاق استثمارية مجدية وعصرية، لمحمد دهمان مقال منشور بموقع الاقتصاد العربي، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٧ <http://www.ar-economist.com>
 "Investopedia. Retrieved. Edited.16" 2017-5-Knowledge Economy
 (٢) راجع: الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، لصادق طعان، مرجع سابق.

الإبداع والابتكار لإنتاج معرفة جديدة، تحول اقتصادا رصينا، وتوفر منتجات ثري الساحة الاقتصادية، وتعالج المشاكل الراهنة وتستشرف للمستقبل.

ولا شك أن هذا التلاحم بين الإبداع والابتكار، وبين اقتصاد المعرفة، سيجد ضالته في النصوص الشرعية؛ لأنها من جهة هي منجم للإبداع والابتكار كما ذكرنا أنفاً، ومن جهة أخرى هي مرجع مهم لاقتصاد المعرفة، إذ إن النصوص الشرعية تحث على طلب العلم وتطوير المعارف، «وإن الكلام عن العلم والاجتهاد هو نفسه الحديث عن الإبداع؛ لأنه لا يمكن أن نتصور إبداعاً بلا علم يصنعه واجتهاد يدفعه، كما لا يمكن للإبداع والابتكار أن ينمو إلا في أجواء العلم والمعرفة والاجتهاد، لهذا السبب وحرصاً من رسول الله ﷺ على أن تتميز هذه الأمة في عطاءاتها الفكرية والعملية، خص جزءاً مهماً من توجيهاته للحث على طلب العلم، والعمل على بذل الوسع والاجتهاد، لذلك لا يخلو كتاب من كتب الرواية من أحاديث وآثار تعالج هذا الموضوع»^(١).

فالمقصود إذن هو أن النصوص الشرعية تسعف في الإبداع والابتكار لتنمية اقتصاد المعرفة، وهذا ما جاء به النبي ﷺ، فمن أخذ به اغتنى وارتوى ومن أعرض عنه جهل واكتوى، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا

(١) الإبداع والابتكار في السنة النبوية، ليوסף عبد اللاوي، مرجع سابق.

هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فُقِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلِمَ وَعَلَمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١)، قال ابن عثيمين: «فهكذا الناس بالنسبة لما بعث الله به النبي ﷺ من العلم والهدى، منهم من فقه في دين الله، فعِلِمَ وَعَلَمَ، وهذا كمثل الأرض التي أنبت العشب والكلأ، والقسم الثاني: في قوم حملوا الهدى، ولكن لم يفقهوا في هذا الهدى شيئاً، فهؤلاء مثلهم مثل الأرض التي حفظت الماء، واستقى الناس منه، وشربوا منه، لكن الأرض نفسها لم تنبت شيئاً؛ والقسم الثالث: لم ينتفع بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، ولم ينفع غيره، فمثله كمثل الأرض التي بلعت الماء ولم تنبت شيئاً. وفي هذا الحديث دليل على أن من فقه في دين الله، وعلم من سنة رسول الله ﷺ ما يعلم فإنه خير الأقسام، لأنه علم وفقه لينتفع وينفع الناس»^(٢).

فالوحيان هما كنز المعرفة لأنهما نبراس يضيء طريقها، وإذا لم تنضبط بهما وزاغت عنهما، كانت وبالاً على أصحابها، فكم من معرفة في عصرنا ظن أصحابها أنهم بلغوا عنان السماء، ليكتشف فيما بعد أنها وبال على البشرية؛ لأنها لم تُضبط بالشريعة الربانية والأخلاق الإنسانية، فكانت النتيجة هي خسارة المعرفة بفوات الأرواح والعقول، وخسائر اقتصادية فادحة بفوات الأموال والمنشآت. ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «لَا يَبِيعُ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ»^(٣)، لأنه سيكون معرضاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ١ / ٢٧. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، ٤ / ١٧٨٧.

(٢) رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٢ / ٢٩٤، باختصار.

(٣) سنن الترمذي، ١ / ٦١٥.

لأكل الربا والغوص في الغرر والجهالة، فالفقه في الدين يخول المعرفة السليمة بفقه البيوع، ويحصن التاجر من مغبة الوقوع في المحذور والإضرار بالاقتصاد.

لقد صار الاقتصاد العالمي غير منفك عن المعرفة والتقنية المعلوماتية والاتصالات، فأدى الاقتصاد المعرفي إلى التنمية الاقتصادية؛ لأن الاقتصادات الحديثة مبنية على المعرفة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حيث لم يعد الذهب والنفط والسيطرة على آليات الصناعة التقليدية يمثل العظمة الاقتصادية، بل أصبحت القدرة على إنتاج برامج المعلومات من أولويات الاقتصادات الحديثة كما أكد على ذلك الاقتصادي كرسي فريمان بقوله إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات سوف تحدث موجة طويلة من النمو الاقتصادي دافعة لتطور المجتمعات وتنميتها اقتصادياً، إن العلاقة بين التنمية وتوليد المعرفة أصبحت أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم بعد مراجعة دقيقة للاقتصاديات الدولية المتطورة حيث إن أكثر من ٥٠ بالمائة من الناتج المحلي للدول المتقدمة مبني على المعرفة وإن الاستثمار في المعلومات والمعرفة يعد أحد العوامل المحفزة للتنمية الاقتصادية من خلال زيادة الإنتاجية وزيادة فرص العمل، لذلك من الضروري بناء سياسات لتطوير للموارد البشرية الموهوبة^(١).



(١) راجع: الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، لصادق طعان، مرجع سابق.

المطلب الرابع

استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لإدارة الاقتصاد الإسلامي

والمعرفي: ضوابط واستشرافات

إذا تقرر لدينا أن النصوص الشرعية وسائل مهمة وأمنة للإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة، فإنه من الضروري التنويه على أن استثمارها يجب أن يكون وفق شروط وضوابط، تحفظ للنص الشرعي هيئته، وتحقق في الوقت ذاته الغرض الإبداعي الابتكاري، مما يفتح شهية البحث عن استشرافات مستقبلية تتطلع إلى المستقبل مُتكئة على تجارب وخلاصات الماضي والحاضر.

وهذا ما سأطرق إليه عبر هذين الفرعين:

الفرع الأول: ضوابط استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لإدارة الاقتصاد

الإسلامي والمعرفي

يتطلب الإبداع والابتكار في استثمار النصوص الشرعية لخدمة الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة، تحقُّق شروط والتزاما بضوابط، وأما الخلل الذي يحصل في ذلك فجديرٌ بأن يوقع في الحرام ويفقد الاقتصاد الإسلامي هيئته، لكن الواقع يبين أن هذا الخلل إنما هو في طريقة الاستثمار، وليس في النصوص الشرعية، قال سامر قنطججي: «إن ما يميز الابتكارات المالية الإسلامية سواء أكانت موجهة للأفراد أم للمؤسسات أم للدول، أنها محكومة بضوابط لا تخرج عنها أبداً فتحقق مصلحة الأطراف ضمن ضابط العدل، وقد يضاف إليها الإحسان، بينما نجد أغلب الابتكارات المالية التقليدية تقوم على المنفعة والمصلحة؛ لذلك نجد معاييرها مضطربة وموازينها مختلفة، ويا للأسف فإن آثارها الكلية غير منظورة إلا بعد أن

يقع الفاس بالرأس وهذا مغاير لأبسط قواعد ومفاهيم إدارة المخاطر والإدارة الإستراتيجية»^(١).

فهذا المجال له متطلبات خاصة، ويتحتم مراعاة شروط عند العمل به، ومنها:
أولاً: الالتزام بتقوى الله جل وعلا في التعامل مع النص الشرعي، وتجريد النية لله وحده لخدمة الاقتصاد الإسلامي وليس المصالح الشخصية^(٢).

ثانياً: تحقق شروط الاجتهاد فيمن يقوم بالبحث في النصوص الشرعية، أو على الأقل في المسألة المبحوثة^(٣).

ثالثاً: التحقق من صحة النص ومن جواز الاحتجاج به، فلا يجوز استئثار حديثٍ ضعيفٍ لا ينتهض إلى درجة الاعتضاد ولا تقوم به الحجة، وهذا له علاقةٌ بعلم الرواية. كما يتحتم الفهم الجيد للحديث، وهذا له علاقةٌ بعلم الدراية؛ فقد يكون النص صحيحاً ولكن المستدل يحمله على غير محمله^(٤)، بحيث يفهمه خطأً بغير قصدٍ أو بقصد التحايل، ولذلك وجب الرجوع إلى كتب التفسير وشروح الحديث^(٥).

(١) فقه الابتكار المالي بين الثبوت والتهافت: أصوله.. قواعده.. معايير، لسامر قنطقجي، ص ٣٥، مرجع سابق.

(٢) نظرة إلى منهج عمل الهيئات الشرعية وبنيتها في المؤسسات المالية الإسلامية، لمحمد أنس الزرقا، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للهيئات الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية. وكذلك: دور العلماء في قيادة الأمة، مقال منشور بموقع المسلم بتاريخ: ١٨ / ٥ / ١٤٢٨ هـ، متاح على الرابط:

<http://www.almoslim.net/node/83950>

(٣) وهو ما يعبر عنه بتجزؤ الاجتهاد.

(٤) راجع رسالتي للماجستير: أثر الأخطاء الحديثية على الأحكام الفقهية، علي نجم، جامعة المدينة العالمية.

(٥) إبطال الحيل، لابن بطة، ص ١١٤-١١٦.

رابعاً: التصور الجيد للنازلة بغية مرحلة تنزيلية للأدلة على صورة المسألة، وتحقيق المناط بكيفية سليمة^(١)، وذكر راشد العليوي أن الفتوى الصحيحة هي التي تستقضي أولاً تكييف الواقعة وتصورها تصوراً صحيحاً مطابقاً للواقع^(٢).

خامساً: مراعاة مقاصد الشريعة ومآلات الأفعال، وتجنب الأقوال الشاذة وتتبع الرخص^(٣)، فلا بد للمجتهد أن يتأكد من عدم تفويت المعاملة المالية لمقصدٍ عامٍ أو خاصٍّ، حتى لا يقع في عقودٍ جديدةٍ متضمنةٍ للحيل^(٤).

سادساً: أن يستأنس الباحث في المسائل المعاصرة بعلومٍ ضروريةٍ كالاقتصاد والقانون، أو يستعين بمن يتقنها، حتى يتمكن من تنزيل النص الشرعي بصورةٍ صحيحةٍ، كما قال ابن تيمية: «والمرجع في كل شيء إلى الصالحين من أهل الخبرة به»^(٥)؛ ويرجى أن يجمع المستثمر للنصوص بين العلوم الشرعية والقانون والاقتصاد، وهذا

(١) الهيئات الشرعية في المصارف الإسلامية بين استقلالية الفتوى والتبعية، لسمو الأمير عبد العزيز بن سطاتم آل سعود، مقال منشور بملحق الرسالة بجريدة المدينة، عدد رقم: ١٧٥٣٧. هيئات الفتوى والرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية (دراسة وتقييم)، لعبد الحق حميش، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر بكلية الشريعة والقانون جامعة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) تفاوت «صيغ العقود» طبيعي؛ لكن لا يتجاوز إلى التطبيق والإخلال ب «الفتوى» (ندوة نظمت ببريدة/السعودية، أدارها منصور الجفن)، تقرير منشور بجريدة الرياض، الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - ١٥ كانون ثاني ٢٠١٣ م - العدد ١٦٢٧٦.

(٣) قرار رقم ٧٠ (١/٨)، بشأن الأخذ بالرخصة وحكمه، مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره الثامن ببندر سيرى بيجوان، بروناي دار السلام، من ١ - ٧ محرم ١٤١٤ هـ الموافق ٢١ - ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٣ م.

(٤) المقاصد الخاصة بالمعاملات وأثرها في ضبط عمل المصارف الإسلامية، لأحمد الضويحي، بحث مقدم لندوة المصارف الإسلامية بين تحديات الواقع ورهانات المستقبل، حضرتهابفاس - المغرب.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٦/٢٩.

قليل على أرض الواقع كما كشفت عنه الدراسة المدونة نتائجها في الجدول التالي^(١):

التخصص	الشرعية	الشرعية والقانون	الشرعية والقانون والاقتصاد	تخصصات اخرى
النسبة المئوية	٧٦,٦	٨,٦	١١,٤	٣,٤

فيظهر جلياً التركيز على علوم الشرعية وانخفاض التنوع في التخصصات المهمة الأخرى، قال حسن يوسف داود: «يصعب وجود الفقيه المتخصص في المعاملات المصرفية والمسائل الاقتصادية، مما نتج عنه عدم استطاعة الفقيه إبداء الرأي في عددٍ من المسائل الاقتصادية أو المصرفية»^(٢).



شكل يلخص ضوابط استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لإدارة الاقتصاد الإسلامي والمعرفي

(١) تقويم عمل هيئات الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، للجنة من الأساتذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين، ١٢٨/٢-١٢٩.

(٢) الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، لحسن يوسف داود، ص ٢٤.

ولعله من الضروري عند استثمار النص الشرعي للإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي، المرور بمراحل ضرورية، في تقدير الباحث أنها تتوالى كما يلي:

أولاً: تحديد المادة الاقتصادية التي تتطلب إبداعاً وابتكاراً، ويكون ذلك حسب أشكالٍ متنوعةٍ كالسؤال أو حاجة العملاء أو المطالبة بالبديل الشرعي لمعاملةٍ تقليدية، وما إلى ذلك.

ثانياً: التكييف الفقهي الجيد للنازلة^(١)، وهو تحديد حقيقة الواقعة المستجدة لإلحاقها بأصلٍ فقهيٍّ، خصه الفقه الإسلامي بأوصافٍ فقهيةٍ، بقصد إعطاء تلك الأوصاف للواقعة المستجدة عند التحقق من المجانسة والمشاكلة بين الأصل والواقعة المستجدة في الحقيقة^(٢)، فيجب تكييف الواقعة وتصورها تصوراً صحيحاً مطابقاً للواقع^(٣)، وذلك بالتوصيف الجيد للنازلة على أمل الحصول على تكييفٍ فقهيٍّ مناسبٍ لها، لأن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، ويمكن استشارة أهل الفنون الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ثالثاً: حشد الأدلة الشرعية المناسبة للتوصيف والتكييف المنجزين في المرحلة السابقة، بغية تحقيقٍ للمناط والوصول للحكم الشرعي^(٤)، فهذه مرحلةٌ تنزيليةٌ للأدلة على صورة المسألة. ولذلك فعلى المجتهد أن يبادر إلى جمع النصوص التي لها

(١) التكييف الفقهي للعقود المالية المستجدة وتطبيقاتها على نماذج التمويل الإسلامية المعاصرة، لأحمد محمد محمود نصار، البنك الإسلامي الأردني.

(٢) التكييف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهية، لمحمد شبير، ص ٣٠.

(٣) تفاوت «صيغ العقود» طبيعي؛ لكن لا يتجاوز إلى التطبيق والإخلال ب «الفتوى»، مرجع سابق.

(٤) هيئات الفتوى والرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية (دراسة وتقويم)، بحث لعبد الحق حميش، مرجع سابق.

علاقة بالواقعة أو النازلة، وهنا أيضاً يمكن استشارة أهل الفنون الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

رابعاً: إدخال النتائج إلى مختبر الهندسة المالية الإسلامية، مع العلم أن المراحل السابقة أيضاً يمكن اعتبارها من هذا القبيل؛ ونتيجة هذه المرحلة هي صناعة مالية إسلامية رصينة تتمثل في إبداع وابتكار منضبطين.

خامساً: الخروج بالمنتج الإبداعي الابتكاري إلى الجمهور، مع توعيتهم حول أهميته، ودور استثمار النصوص الشرعية في إيجاده.

سادساً: متابعة المنتج الإبداعي الابتكاري في إطار عملية تصحيحية نقدية أو تطويرية تحسينية، فإذا اقتضى الأمر إلغاء أو تعديله وانبثق ذلك عن مراجعة علمية توجه الاستدلال بالنص الشرعي، فلا ضير، بل هذا هو عين الصواب، لأن المبتغى ليس هو إبداعاً بعينه، وإنما ابتكار يتحصل منه منتج متوافق مع نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها.

ويقارب هذه المراحل ما ذكره موسى بن منصور حين قال: «وتتم هذه العملية عبر المراحل التالية:

١- وصف المشكلات التي تواجهها المؤسسة المالية.

٢- توصيف الحلول التي يمكن تطبيقها.

٣- انتقاء البديل الأمثل والعمل على تطبيقه.

٤- متابعة نتائجه ومدى التجديد الذي ينبغي إضافته في كل مرة.

وهناك من عبر عن هذه المراحل بطريقة أخرى كنظرية Aiken and Hage، إذ إنها حددت مراحل الإبداع كما يلي:

مرحلة التقويم؛ مرحلة الإعداد؛ مرحلة التطبيق»^(١).

إن الإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة من خلال النصوص الشرعية ليس بالأمر الهين، بالأخص إذا تعلق الأمر بالقضايا المعاصرة، نظراً لتعقدها، ولتداخل تخصصات مختلفة، ولأجل ذلك فإن تحقيق الشروط وضبط المراحل محتاج إلى القوي الأمين، ولا أقول إن هناك من يجمع هذه الشروط بحذافيرها، فهذا صعب المنال في شخص واحد، لكن يكفي أن ينال حظاً وافراً من كل واحد منها، حتى إذا اجتمعت فيه تلك الأنصبة، كان أهلاً لتحمل المسؤولية على أحسن وجه؛ وكذلك المراحل، فإذا لم تيسر فيها الدقة المطلوبة فعلى الأقل الحد الأدنى الذي لا تحتل به عملية إصدار المخرج^(٢).



شكل يلخص مراحل استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لإدارة الاقتصاد الإسلامي والمعرفي

(١) الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية بين الأصالة والتقليد، موسى بن منصور، مرجع سابق، باختصار وتصرف.

(٢) المخارج الشرعية للمعاملات المالية انطلاقاً من السنة النبوية، لعلي نجم، مرجع سابق.

الفرع الثاني: استشراف استثمار النصوص الشرعية في الإبداع والابتكار لإدارة الاقتصاد الإسلامي والمعرفي.

إن الناظر إلى الواقع الاقتصادي ليندهش أمام التطور الكبير والتسارع المهول للأحداث، ولا ندري ما سيقدره الله سبحانه في المستقبل؛ لكن الظاهر أن الساحة الاقتصادية المستقبلية حبل بالمستجدات والنوازل، مما ينادي باستشرافٍ منضبط يتطلع إلى استثمار أمثل للنصوص لأجل ابتكار الحلول المطلوبة، مما يحث على الرفع من المستوى المعرفي للموارد البشرية التي تدير الاقتصاد الإسلامي، « فالتنمية لا يمكن أن تتحقق بزيادة عدد المصانع أو وفرة الإنتاج أو زيادة الاستهلاك وإنما هي بناء الإنسان وتطوير كفاءته وقدراته، لأن الهدف الرئيس للتنمية الاقتصادية هو الإنسان فهو مفتاح النمو والتطور المعرفي، ومن ثم الحاجة ماسة إلى استراتيجيات جديدة للتعليم المستمر تعد أحد أهم المتطلبات الجوهرية للاقتصاد المعرفي الجديد».

ولأجل ذلك وجب تكوين الكوادر، واستكشاف الطاقات، لسد حاجات الاقتصاد الإسلامي، فمن خلال ملاحظة الباحث للقاءات التي حضرها في هذا المجال، تبين له أن ثمة شحاً في حضور الشرعيين، في حين أنهم الأعدى للتواجد، للتعاون مع إخوانهم من التخصصات الأخرى. فيجب إعداد برامج رصينة لإعداد فقهاء متمكنين في المعاملات المالية، مع ضرورة إمدادهم بما لا يعذرون بجهله في الاقتصاد والقانون والمحاسبة؛ ومن جهة أخرى، يجب تكوين الاقتصاديين والقانونيين والمحاسبين، في ما لا يعذرون بجهله من فقهاء المعاملات المالية والمصرفية.

إن البت في القضايا المعاصرة لا يقتصر على الفقهاء المجتهدين، بل هم بحاجة إلى مختصين من ميادين أخرى تدعو الحاجة إليها بحسب الواقعة، فيستعين الفقهاء بآرائهم في سبيل التصور الجيد للنازلة، ما داموا ألصق بها وأعلم بملاساتها رغم افتقارهم لآلات الاجتهاد الفقهي؛ في حين أن الفقهاء متوفرون على هذه، لكنهم مفتقرون إلى المعطيات الفنية للمستجدات المعاصرة، لا سيما في المعاملات المالية التي تتسم بالتعقيد وبتسارع النوازل وتداخل تخصصاتٍ عدة؛ فنجد مثلاً في المصارف الإسلامية انخراط الاقتصاديين والقانونيين والمحاسبين والفقهاء، كلٌ يخدم هذا الحقل بحسب تخصصه واهتماماته، مع العلم أن هناك من يجمع بين تخصصين، أو أكثر، وهذا طيبٌ، لكن ذلك لا يسعفه في المسائل التي تحتاج إلى تعمق في التخصصات المطلوبة.

وجماع هذا الأمر أن نقول إننا بحاجة إلى تشريع الفنين^(١) وتفنين^(٢) الشرعيين، فيكمل هؤلاء أولئك لبناء صرح الاقتصاد الإسلامي؛ وهي دعوة إلى صناعة الفقيه الاقتصادي، والاقتصادي الفقيه؛ لإدراك اقتصاد إسلامي حقيقي وليس مجرد اسم أو شعار.

«كما يجب احترام الأفراد وتشجيعهم وتمييزهم لإتاحة الفرص لهم للمشاركة في القرار وتحقيق النجاحات المنظمة، وذلك كفيل بأن يبذلوا قصارى جهدهم لفعل

(١) أقصد بهم في هذا المجال، الاقتصاديين والقانونيين والمحاسبين.

(٢) والتفنين: التخليط؛ يقال: ثوب فيه تفنين إذا كان فيه طرائق ليست من جنسه. وفنن الكلام: جعله فنوناً، أي أنواعاً، أي انتقل فيه من فن إلى فن. لسان العرب، لابن منظور، ١٣/٣٢٦-٣٢٨. وأيضاً: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ٦/٢١٧٨. وأيضاً: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد، ٣/١٧٤٦.

الأشياء على الوجه الأكمل، مع التجديد المستمر وتجنب الرتابة وتحويل العمل إلى شيء ممتع لا وظيفة فحسب، ويكون ذلك إذا حولنا النشاط إلى مسؤولية، والمسؤولية إلى طموح، فكل فرد هو مبدع بالقوة في ذاته وعلى المسؤولين أن يكتشفوا مفاتيح التحفيز والتحرك لكي يصنع أفراد مبدعين بالفعل»^(١)، فكما يقول المثل: « ليس العاقل الذي إذا وقع في الأمر احتال له ولكن العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه».

إن غنى النصوص الشرعية والفقهاء الإسلامي بالصيغ والمنتجات المالية ليجعل الإبداع والابتكار أمراً متيسراً، ويفرض الابتعاد عن مجرد تقليد ومحاكاة المنتجات التقليدية، وليس معنى هذا التنفير من التناجات والتجارب الأخرى، وإنما المقصود هو الانطلاق من حيث انتهى الآخرون، وإطلاق العنان للإبداع والابتكار الشرعيين، فما دمنا مكفين بموروثنا فلماذا نرغب عنه ونستلب من طرف نتاجات الآخرين؟

كما يرغب في نهج الإبداع والابتكار للتحوط ودرء المخاطر بتنويع مصادر الربحية للمؤسسة المالية؛ استجابة لفرص استثمارية وفقاً لتطلعات المستثمرين والمؤسسات معاً^(٢).

ولا شك أن تنظيم المحافل والملتقيات التي تعنى بالإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي لها الدور الكبير في هذا الباب، ويجب الإشارة من خلالها إلى ضرورة

(١) الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية بين الأصالة والتقليد، لموسى بن منصور، مرجع سابق.

(٢) دور الابتكار المالي في تطوير الصيرفة الإسلامية، لابن إبراهيم الغالي، مؤتمر دولي حول منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية الإسلامية: بين المالية التقليدية والمالية الإسلامية.

إعمال النصوص الشرعية، ومن التجارب الرائدة في هذا المجال أسبوع الإمارات للابتكار الذي نظم على مدار سنتين في ٢٠١٥ و٢٠١٦ وبعد نجاحه تم الإعلان عن امتداده ليكون شهراً كاملاً خلال شهر فبراير ٢٠١٨ بتوجيهات صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، وهو حدث وطني يحتفل بالابتكار في جميع أنحاء دولة الامارات العربية المتحدة ويهدف إلى: تعزيز مكانة الدولة كمركز عالمي للابتكار، بناء القدرات ونشر ثقافة الابتكار في الدولة، تحفيز الجهات الحكومية والقطاع الخاص والأفراد على تبني ممارسات الابتكار، إطلاق وتنفيذ مبادرات وأفكار مبتكرة نوعية على مستوى الدولة.



الخاتمة

بعد التحليل في سماء النصوص الشرعية بأجنحة الإبداع والابتكار، لبلوغ أرض الاقتصاد الإسلامي، خلص الباحث إلى نتائج وتوصيات، فأما النتائج فمنها:

أ- النصوص الشرعية غنية بآلات الإبداع والابتكار التي يجب استثمارها للارتقاء بالاقتصاد الإسلامي وباقتصاد المعرفة.

ب- يتميز الاقتصاد الإسلامي بكثرة النوازل والمستجدات التي تتطلب اجتهادا في النصوص الشرعية، لا ينفك عن الإبداع والابتكار.

ت- يتطلب الإبداع والابتكار في استثمار النصوص الشرعية لخدمة الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة، تحقق شروط والتزاما بضوابط.

وأما التوصيات فمنها:

أ- ضرورة إرساء خطة محكمة لتخليص الاقتصاد الإسلامي من غلبة المحاكاة ونقله إلى النفس الإبداعي الابتكاري.

ب- تفعيل استراتيجية مدروسة ومستدامة لاستخراج درر النصوص الشرعية المخولة للابتكار في الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة.

ت- تكوين كوادر قادرة على الإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي واقتصاد المعرفة من خلال استثمار النصوص الشرعية.

ث- تكثيف تنظيم المحافل والمليقيات التي تعنى بالإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي، لا سيما بيان دور النصوص الشرعية والفقه الإسلامي.
إنشاء مركز أو معهد استثمار النصوص الشرعية للإبداع والابتكار في الاقتصاد الإسلامي وتنمية اقتصاد المعرفة.



قائمة المصانير

- الابتكار المالي في المؤسسات المالية الإسلامية بين الأصالة والتقليد، موسى بن منصور، بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر دولي حول منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية الإسلامية: بين المالية التقليدية والمالية الإسلامية، يومي ٥ و ٦ مايو/ أيار ٢٠١٤م الموافق لـ ٥ و ٦ رجب ١٤٣٥هـ، بمدينة سطيف الجزائرية.
- الإبداع والابتكار في السنة النبوية، يوسف عبد اللاوي، مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية العدد ٤، المجلد ١، كانون الثاني، يناير ٢٠١٦، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- إبطال الخيل، ابن بطة، (مؤسسة الرسالة: لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- أثر الأخطاء الحديثية على الأحكام الفقهية، علي نجم، رسالة ماجستير تحت إشراف فضيلة الدكتور صلاح عبد التواب سعداوي، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية - قسم الفقه، ٢٠١٢م، لم تطبع بعد.
- إدارة التطوير وتنمية الأعمال، فتح الرحمن علي محمد صالح، مقال منشور بموقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية www.kantakji.com.
- إدارة السيولة في المؤسسات المالية الإسلامية - دراسة فقهية اقتصادية -، علي محي الدين القره داغي، بحث مقدم للدورة العشرين للمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة -، الفترة من ١٩-٢٣ محرم - ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥-٢٩ ديسمبر- ٢٠١٠م.

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري،
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: السعودية- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -
١٩٩٨ م).

- أسباب وآثار دخول الحيل الفقهية على المصرفية الإسلامية، عيسى محمد
الخلوفي، مقال منشور بمجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ١١، أبريل ٢٠١٣ -
جمادى الثانية ١٤٣٤.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل
سلمان، (دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ).

- اقتصاد المعرفة مقال منشور بموقع المعرفة: <https://www.marefa.org/>

- الاقتصاد المعرفي.. آفاق استثمارية مجدية وعصرية، لمحمد دهمان مقال منشور
بموقع الاقتصاد العربي، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٧

<http://www.ar-economist.com>

- الاقتصاد المعرفي ودوره في التنمية الاقتصادية، صادق علي طعان، مجلة الغري
للعلوم الاقتصادية والإدارية - كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة الكوفة - العراق،
العدد: ١٣، ٢٠٠٩ م.

- الأم، محمد بن إدريس الشافعي، (دار المعرفة: لبنان- بيروت، ١٤١٠ هـ -
١٩٩٠ م).

- تاج العروس، محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من
المحققين، (دار الهداية: الكويت).

- التحديات التي تواجه العمل المصرفي الإسلامي، مقال منشور بموقع محمد البلتاجي، ٢٩ أبريل ٢٠١٤. www.bltagi.com
- تحرير علوم الحديث، عبد الله بن يوسف الجديع، (مؤسسة الريان: لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤هـ).
- التحوط في التمويل الإسلامي، سامي بن إبراهيم السويلم، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، (البنك الإسلامي للتنمية: المملكة العربية السعودية- جدة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز و عبد الله ربيع، (مكتبة قرطبة: الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).
- تفاوت «صيغ العقود» طبيعي لكن لا يتجاوز إلى التطبيق والإخلال بـ: «الفتوى» (ندوة نظمت بريدة/ السعودية، أدارها منصور الجفن)، تقرير منشور بجريدة الرياض، الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - ١٥ كانون ثاني ٢٠١٣ م - العدد ١٦٢٧٦.
- تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، (مطابع أخبار اليوم: مصر - سوهاج، بدون طبعة، ١٩٩٧ م).
- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (دار الفكر: سوريا - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ).
- التقرير والتحجير على تحرير الكمال بن الهمام، محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير الحاج، (دار الكتب العلمية: لبنان-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

- التكييف الفقهي للعقود المالية المستجدة وتطبيقاتها على نماذج التمويل الإسلامية المعاصرة، أحمد محمد محمود نصار، البنك الإسلامي الأردني، ٢٠٠٤ / م. ٢٠٠٥.
- التكييف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهية، محمد عثمان شبير، (دار القلم: سوريا-دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٤م).
- تيسير التحرير، أمير بادشاه، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥١هـ).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويح، (مؤسسة الرسالة: لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (مصر- القاهرة: إدارة الطبعة المنيرية).
- الحيل الفقهية في المعاملات مفهومها وأحكامها في بعض القضايا المعاصرة، عيسى محمد الخلوفي، رسالة دكتوراه تمت مناقشتها في كلية الإمام الأوزاعي الإسلامية ببيروت، في ٨/١٢/٢٠١٢م.
- دور الابتكار المالي في تطوير الصيرفة الإسلامية، ابن إبراهيم الغالي، مؤتمر دولي حول منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية الإسلامية: بين المالية التقليدية والمالية الإسلامية، يومي ٥ و ٦ مايو/ أيار ٢٠١٤م الموافق لـ ٥ و ٦ رجب ١٤٣٥هـ، بمدينة سطيف الجزائرية.
- دور العلماء في قيادة الأمة، مقال منشور بموقع المسلم بتاريخ: ١٨/٥/١٤٢٨هـ، متاح على الرابط: <http://www.almoslim.net/node/83950>.

- دور الهندسة المالية في تطوير الصناعة المصرفية الإسلامية - دراسة نقدية لبعض المنتجات المصرفية الإسلامية-، آمال لعمش، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم التجارية، إشراف الأستاذ الدكتور صالح صالح، جامعة فرحات عباس - سطيف، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، ٢٠١١/٢٠١٢.

- الرد على من ينكر حجية السنة (مطبوع مع كتاب دفاع عن السنة لأبي شهبه)، عبد الغني بن محمد عبد الخالق، (مكتبة السنة: مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

- الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، حسن يوسف داود، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي: مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

- السنة تشريع لازم ودائم، فتحي عبد الكريم، (مكتبة وهبة: مصر - القاهرة: الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، (المكتب الإسلامي: لبنان - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- سنن الإمام الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي: ١٩٩٨م).

- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).

- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، (دار الوطن للنشر: المملكة العربية السعودية - الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ).

- شرح مختصر التحرير للفتوحى، أحمد الحازمي، الدرس ٦٩. دروس صوتية قام بتفريغها موقع أحمد الحازمي . www.alhazme.net .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: لبنان- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (الطبعة السلطانية المطبعة الأميرية، مصر - القاهرة، ١٣١١ هـ).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (الطبعة التركية للمطبعة العامرة).
- صناعة الهندسة المالية - نظرات في المنهج الإسلامي -، سامي السويلم، (نسخة منقحة: مركز البحوث - شركة الراجحي المصرفية للاستثمار - المملكة العربية السعودية/ بيت المشورة للتدريب - الكويت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).
- فقه الابتكار المالي بين التثبوت والتهاوت: أصوله.. قواعده.. معايير، سامر مظهر قنطقجي، (منشورات مركز أبحاث فقه المعاملات المالية، الطبعة: الثانية، ٢٠١٦ م)
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة: لبنان - بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- كتاب الخصاص في الخيل، أحمد بن عمرو الخصاص، (مصر - القاهرة، ١٣١٤ هـ - ١٩٠٠ م).
- لجنة من الأساتذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين، تقويم عمل هيئات الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

- لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، (دار صادر: لبنان - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ).

- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: السعودية - المدينة النبوية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م).

- المخارج الشرعية للمعاملات المالية انطلاقاً من السنة النبوية، علي نجم، بحث مقدم للندوة الدولية السابعة «إدارة المال والأعمال في السنة النبوية»، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ٢١-٢٣ / ٤ / ٢٠١٥ م.

- مدى مطابقة المظهر الخارجي للمنتج الإسلامي مع مضمونه الداخلي: التورق المصر في نموذجاً، حشايشي سلمى، وضامن وهيبة، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي حول منتجات وتطبيقات الابتكار والهندسة المالية الإسلامية: بين المالية التقليدية والمالية الإسلامية، يومي ٥ و ٦ مايو / أيار ٢٠١٤ م الموافق لـ ٥ و ٦ رجب ١٤٣٥ هـ، بمدينة سطيف الجزائرية.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد (بمساعدة فريق عمل)، (عالم الكتب: مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

- المعجم المفصل في اللغة والأدب، إيميل بديع يعقوب وميشال عاصي، (دار العلم للملايين: لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م).

- المقاصد الخاصة بالمعاملات وأثرها في ضبط عمل المصارف الإسلامية، أحمد بن عبدالله بن محمد الضويحي، بحث مقدم لندوة المصارف الإسلامية بين تحديات الواقع ورهانات المستقبل، حضرته بفاس - المغرب، ١١-١٢ جمادى الثانية ١٤٣٥ هـ الموافق ١١-١٢ أبريل ٢٠١٤ م.

- المنتجات المالية الإسلامية بين الإبداع والتقليد، سامي السويلم، مقال منشور بجريدة الاقتصادية، ١٤٢٧/٩/١ و ١٤٢٧/٩/٨.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي: لبنان- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ).
- موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمؤتمر القمة الإسلامي:
www.fiqhacademy.org.sa
- نظرة إلى منهج عمل الهيئات الشرعية وبنيتها في المؤسسات المالية الإسلامية، محمد أنس الزرقا، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للهيئات الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، المنعقد في مملكة البحرين، خلال الفترة ١٨ - ١٩ شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩ - ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢م.
- الهندسة المالية الإسلامية، عبدالكريم قندوز، بحث منشور بمجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد الإسلامي، المجلد ٢٠ العدد ٢، ٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ.
- الهندسة المالية واضطراب النظام المالي العالمي، عبد الكريم أحمد قندوز، المؤتمر الدولي الرابع بالكويت حول: «الأزمة الاقتصادية العالمية من منظور الاقتصاد الإسلامي»، ١٥-١٦ ديسمبر ٢٠١٠م.
- هندسة المالية (financial engineering): مدخل لتطوير الصناعة المالية الإسلامية، مقال لزايد عبد السلام، الرابط: <https://www.academia.edu/>
- الهيئات الشرعية في المصارف الإسلامية بين استقلالية الفتوى والتبعية، مقال منشور بملحق الرسالة بجريدة المدينة، عدد رقم: ١٧٥٣٧ بتاريخ: ٢٩/٤/٢٠١١م.

- هيئات الفتوى والرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية (دراسة وتقويم)، عبد الحق حميش، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر، كلية الشريعة والقانون جامعة الإمارات العربية المتحدة.

المراجع الأجنبية:

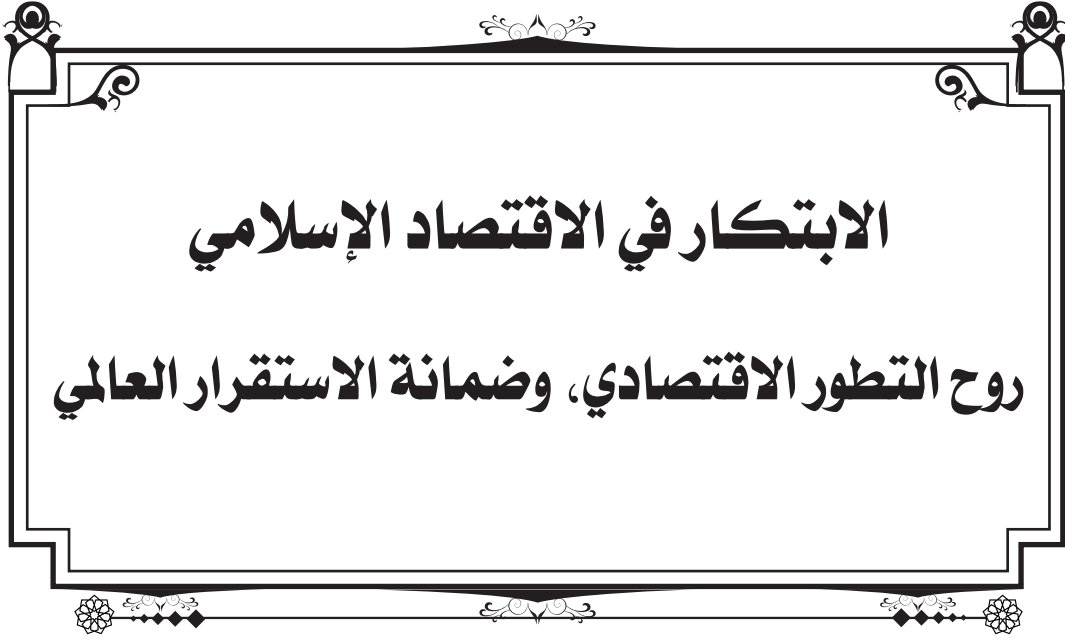
- Finance participative Dernier coup d'accélérateur، journal L'Economiste، Édition N° 4631، du 2015/10/21

- Knowledge Economy، Investopedia، Retrieved Edited:16-5-2017.
<https://www.investopedia.com/>





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



الابتكار في الاقتصاد الإسلامي

روح التطور الاقتصادي، وضمانة الاستقرار العالمي

إعداد

د. نجاة محمد المرزوقي

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري دبي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

إن دولة الإمارات حين جعلت من الابتكار والإبداع قيمة مضافة لها وزنها في الاقتصاد الوطني وفي المجتمع ككل، وأعلنت أن الابتكار لم يعد خياراً، وإنما يعتبر ضرورة، كانت تهدف لأن تكون جديرة بقرارها في أن تصبح عاصمة للاقتصاد الإسلامي، وأن تكون مثالا يحتذى في النهوض بالحضارة العربية والإسلامية من جديد، من خلال مقومات هذا النهوض، ومن أهمها الاقتصاد القوي، والذي يعتبر الابتكار الإسلامي فيه روح تطوره، وضمانة للاستقرار المالي العالمي الذي تخبط كثيرا بين مناهج مختلفة محاولا أن يسترشد بها للنهوض والتقدم. ولذلك فإن الإمارات وضعت الابتكار أحد المحاور الأساسية لرؤيتها ٢٠٢١. وخطت في تطبيق ذلك خطوات متقدمة، تستحق أن تكون مثالا يحتذى.^(١)

وإن مفهوم الابتكار في الاقتصاد الإسلامي، بدأ باكرا جدا في التاريخ الإسلامي، وانعكس إيجابيا على كل أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والعلمية. والشواهد على ذلك وانعكاساته الواقعية كثيرة ومشاهدة، بحيث أصبح الاقتصاد الإسلامي محط أنظار المختصين في العالم، يستلهمون منه عوامل القوة والتجدد والثبات، وأسرار التغلب على العقبات والأزمات.

لذا فإن العالم يتقدم نحو الاقتصاد الإسلامي، وهناك نضج في الوعي العام الدولي حول أهمية القوانين والتشريعات في الممارسة الاقتصادية. والتي تتمتع بأخلاقيات

(١) ينظر: دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٢٠١٦م. (٣).

العمل التي تضع مصلحة المستهلك في مقدمة الاعتبارات، أي أن يجمع المسلمون بين قوة الاستهلاك وقوة الإنتاج في إطار منظومة الاقتصاد الإسلامي ذاتها.

لذلك كله، ارتأيت اختيار موضوع (الابتكار في الاقتصاد الإسلامي) كونه يعتبر الروح الحقيقية للتطور الاقتصادي، والكفيل بتكيفه مع متطلبات العصور المختلفة، وحاجات الناس المتغيرة، ضمن إطار عام من الثوابت والقيم الأخلاقية والعملية، التي تجعله قادراً على مواكبة الحاجات المتجددة للأسواق والمستهلكين، ودافعا لمزيد من الأفكار والمبادرات التي تخدم التطور الاقتصادي بإنتاج ما يتواءم مع حجم الطلب والاستهلاك، ضمن ضوابط وشروط ومحددات الاقتصاد الإسلامي. وعليه، فإن أهم الإشكاليات التي يثيرها هذا البحث، ويحاول الإجابة عنها هي:

ماهي الحاجة للابتكار في الاقتصاد الإسلامي؟ وما هي آثاره على نمط الحياة الإسلامي؟

وهل يستطيع الاقتصاد الإسلامي بنمطه المحدد بمعايير أخلاقية ودينية ومقاصدية، أن يبتكر حلولاً لأنماط الحياة الإسلامية؟

وهل هناك شواهد على ابتكارات إسلامية تواكب تطور الحياة، وتوازي ثوابت النمط الإسلامي، وما هي فرصة توسيع التجربة وآلية التطبيق في مختلف الدول الإسلامية وغيرها؟

وأخيراً.. ما هي الآفاق المستقبلية للابتكارات الاقتصادية وفقه نمط الحياة الإسلامي من عدة زوايا مطروحة للنقاش والدراسة هي: آثارها المرجوة سواء على مستوى العالم الإسلامي، وعلى المستوى العالمي، والعقبات التي قد تواجهها وطرق تفاديها وتحويلها لدوافع للتطور والتميز.

مدخل إلى تأصيل المفاهيم ودلالاتها

المطلب الأول: مفهوم علم الاقتصاد:

الاقتصاد لغةً: هو من القصد، وهو التوسط وطلب الأسد^(١). والقصد في الشيء خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتر، يقال: فلان مقتصد في النفقة، وقد اقتصد واقتصد فلان في أمره أي استقام، وقوله تعالى: (فمنهم مقتصد) أي: بين الظالم والسابق^(٢).

وعلم الاقتصاد (Economy): هو العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة لإنتاج أمثل ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية من متطلباتها المادية التي تتسم بالوفرة والتنوع في ظل إطار معين من القيم والتقاليد والتطلعات الحضارية، وهو دراسة كيف يمكن للمجتمعات أن تستخدم مواردها النادرة لإنتاج سلع قيمة وتوزيعها بين مختلف الناس^(٣).

فالاققتصاد بشكل عام يدور حول كيفية الاختيار من بين الاستخدامات البديلة للموارد الاقتصادية المتاحة والمحدودة لإشباع الحاجات الإنسانية غير المتناهية من السلع والخدمات^(٤).

- (١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩١، مادة: قصد (٣/١٣٢).
- (٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت ط ٣: ١/٣٥٤.
- (٣) ينظر: جيمس جوارنتي وريتشارد ستروب- الاقتصاد الجزئي - ترجمة د. محمد عبد الصبور محمد على - نشر دار المريخ بالسعودية - ١٩٨٧ م - ص ٢٧ وما بعدها.
- (٤) جى هولتى ولسون- الاقتصاد الجزئي - ترجمة د. كامل سلمان العاني، نشر دار المريخ بالسعودية ١٩٨٧ م - ص ١٥.

ويدور موضوع علم الاقتصاد حول أمرين هما:

«الأمر الأول: دراسة سلوك الناس في ممارستهم للأنشطة الاقتصادية وتحليل هذا السلوك من حيث دوافعه وأهدافه والمتغيرات المؤثرة عليه وعلاقتها ببعضها ثم استتباط القواعد التي تحكم هذا السلوك وهو ما يطلق عليه في الأدب الاقتصادي «دراسة ما هو كائن» أو «الاقتصاد الوضعي».

الأمر الثاني: ويقوم على استخدام المعلومات التي يمدنا بها الاقتصاد الوضعي أو دراسة ما هو كائن ثم الأحكام الأخلاقية المستمدة من الدين والمثل العليا في المجتمع لتحديد وتأييد سياسة معينة من بين السياسات أو الطرق البديلة للممارسة الأفضل للنشاط الاقتصادي، وهذا الأمر يطلق عليه في الأدب الاقتصادي «دراسة ما يجب أن يكون» أو «النظام الاقتصادي أو الاقتصاد المعياري»^(١).

المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد الإسلامي:

تتمحور معظم التعريفات التي تناولت هذا المفهوم حول كون الاقتصاد الإسلامي معبرا عن: الفرع من المعرفة الذي يساعد على تحقيق رفاهة الإنسان وسد حاجاته المعيشية من خلال تخصيص وتوزيع الموارد المختلفة بما ينسجم مع التعاليم

(١) بحث: التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، د. محمد عبد الحليم عمر، مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الدورة (١٣)، مصر. <http://webcache.googleusercontent.com>، جيمس جوارتنى وريتشارد ستروب- الاقتصاد الجزئي - ترجمة د. محمد عبد الصبور محمد على - نشر دار المريخ بالسعودية - ١٩٨٧م - ص ٢٧.

الإسلامية، وهو ذلك الجهد المنظم الذي يبذل في محاولة فهم المشكلة الاقتصادية وسلوك الإنسان نحوها من منظور إسلامي^(١).

وإن كان مصطلح الاقتصاد الإسلامي محدثاً، إلا أنه كان معروفاً في الفقه الإسلامي بما يعرف بفقه المعاملات في جزئه التطبيقي.

المطلب الثالث: مفهوم الابتكار الاقتصادي:

عرف الابتكار (Innovation) بتعريفات كثيرة، لعل من أفضلها القول بأنه «الطرق أو الأساليب الجديدة المختلفة الخارجة أو البعيدة عن التقليد التي تستخدم في عمل أو تطوير الأشياء والأفكار. وهو عملية عقلية تعبر عن التغييرات الكمية والجزئية أو الجوهرية في التفكير، وفي الإنتاج أو المنتجات، وفي العمليات أو طرق وأساليب الأداء، وفي التنظيمات والهياكل»^(٢).

وعند إضافة الابتكار للاقتصاد الإسلامي، فإننا نقصد به: الابتكار في القطاع الاقتصادي، من حيث قدرة المؤسسات المالية والاقتصادية على تحقيق رغبات زبائنها والمستثمرين فيها بشكل سريع وفعال مع الأخذ بالاعتبار التغييرات التي تطرأ على السوق ومواكبتها بشكل دائم، وذلك وفق النظم والأطر الإسلامية

(١) ينظر: التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، محمد عبد الحليم عمر، جامعة الأزهر - مصر: (٦).

(٢) دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/٢٠١٦م. (٦).

الشرعية التي تميز وسائل الابتكار وغاياته وأدواته وطرق تطبيقه، بخلاف الأنظمة الوضعية الأخرى^(١).

والابتكار المقصود ليس مجرد الاختلاف عن السائد، بل لابد أن يكون هذا الاختلاف متميزاً إلى درجة تحقيقه لمستوى أفضل من الكفاءة والمثالية، ولذا فلا بد أن تكون الأدوات والمنتجات الاقتصادية المبتكرة تحقق ما لا تستطيع الأدوات والمنتجات السائدة أن تحققه^(٢).

ويمكن أن نحدد مجالات الابتكار الاقتصادي في ما يلي:

١- المنتج: هو الابتكار الذي يأتي بالمنتجات الجديدة التي تقدم من أجل الإيفاء بالحاجات الحالية للعملاء بكفاءة أعلى وخصائص أفضل.

٢- العملية: هو الابتكار الذي يأتي بطريقة جديدة أو تكنولوجيا جديدة تغير طريقة العمل أو الإنتاج بما يحقق إنتاجية أعلى، أو استخدام مواد أقل، أو تحسين خصائص المنتجات المادية أو الوظيفية أو الجمالية.

٣- الخدمة: كما يكون الابتكار في المنتجات الجديدة يكون كذلك في الخدمات الجديدة. فتقديم خدمة جديدة عادة ما تمثل ابتكاراً جديداً.

(١) ينظر: مقال: تطوير الابتكارات في المالية الإسلامية، الإمام محمد محمود، ٩/٧/٢٠١٧م،

<https://islamonline.net>

(٢) صناعة الهندسة المالية نظرات في المنهج الإسلامي، د. سامي سويلم، مركز البحوث، شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، رمضان ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م. ص (٥).

٤- نموذج الأعمال: لكل اقتصاد نماذجه المتميزة، فنموذج الأعمال هو التصميم الإستراتيجي لكيفية سعي الشركة أو المؤسسة لتحقيق الربح من إستراتيجيتها وعملياتها ونشاطاتها^(١).

المطلب الرابع: تأصيل الابتكار الاقتصادي في نمط الحياة الإسلامي:

إن نمط الحياة تعبير عن صورة الفرد وقيمه الذاتية والطريقة التي يرى فيها نفسه ويراه بها الآخرون. وهي منظومة متكاملة من نشاطات الإنسان وأسلوب حياته كهواياته أو نشاطات حياته كالتسوق أو حضور المناسبات الاجتماعية، وتشمل أيضا الاهتمامات مثل الأكل أو الأزياء، ويدخل ضمنها الآراء الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. . وعندما نضيف لذلك قيد الإسلامي، فإننا نعني بذلك النمط المحدد بضوابط الشريعة، والتي تهدف لسعادة الناس في حالهم ومآلهم، ويعد خصيصة تميز المجتمع المسلم عن غيره.

إن المصالح المقصودة من الشريعة تنتظم في مراتب حسب ضرورتها وأهميتها: الضرورات ثم الحاجيات ثم التحسينيات. والشريعة تراعي تلبية احتياجات الناس وفق كل مرتبة وأهميتها، ولا تهمل جانبا منها، فإن في تكاملها قوام انتظام حياة الناس وسعادتهم، فمثلا، عند النظر لمرتبة التحسينيات التي رعتها الشريعة، فإن الأخذ بالطيبات والجماليات فيه ترقيق للحياة، وذلك الترقيق ينعكس على النفوس

(١) دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/ ٢٠١٦م. (١٠-١٢) - بتصرف.

فيكسبها راحة وبهجة كما أنه يدخل في باب إعمار الأرض المكلف به الإنسان، وطريق للسعي في منابها بالتنافس والتسابق لإحسان العمل وإتقانه، ولولا كماليات الحياة وتحسينياتها لما برزت الحضارات وتميزت^(١).

يقول الشيخ محمد طاهر بن عاشور: «ولولا طموح الناس للترفيه والزينة لما وجد لكثير من نتائج الأرض منفق مثل الأزهار والرياحين والأدهان والعطور والأصباغ والصبغة، وكان وجودها غير منتفع به. وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. وهذا عموم مؤكد بمثله، ولتعطلت صنائع منها معائش لطوائف من الناس، ولانحصر عمل العمال في الأعمال الضرورية والحاجية من نحو النسيج والرحي والعصر والخبز وصنع النعال كما في صورة أسواق البادية، فأين عمال الصنائع الظريفة البديعة»^(٢).



(١) ينظر: ضوابط الاستهلاك وحماية المستهلك في الشريعة الإسلامية، د. خليفة بابكر الحسن، ١١/٦/٢٠١٦ م. صحيفة الاقتصاد الإسلامي: <http://www.aliqtisadalislami.net>
(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط(٢): (٢٠٤-٢٠٥)

المبحث الأول

الابتكارات الاقتصادية الإسلامية، الأهمية، والشواهد

هذا المبحث يعالج فكرة ارتباط الابتكار بالاقتصاد الإسلامي، فهل بالفعل وجدت ابتكارات اقتصادية إسلامية في مختلف مراحل تطور الدولة الإسلامية وأنظمتها؟ وإذا كان هناك ما يشهد بهذا حقاً فما الدافع الذي كان وراء فكرة الابتكار والتطوير الاقتصادي المستمر خلال العصور الإسلامية السابقة؟

المطلب الأول: الحاجة للابتكارات الاقتصادية:

أ- أهمية الابتكارات الاقتصادية بشكل عام وفي الاقتصاد الإسلامي بشكل خاص.

إن من البدهي القول بأن المعاملات المالية والاقتصادية للناس تتغير بتغير الأزمان وتطور ظروف الحياة، وتبعاً للتغيرات الديموغرافية^(١) للسكان في الأقاليم، وتطور الحياة على كافة الأصعدة العلمية والصناعية وغيرها، وتبعاً لتطور وتغير طرق المواصلات ووسائل الاتصالات، فمن الطبيعي أن كل هذه العوامل تلعب دوراً هاماً في تجدد الحاجات الاقتصادية للناس، خاصة في أنماط حياتهم اليومية من مسكن وملبس وغذاء وصحة وغير ذلك، ولا شك أنه عندما اتسعت رقعة الدولة

(١) ديموغرافيا، تعني: الإحصاء ابتداءً، أو علم السكان كما يطلق عليه البعض، وهي تعنى بالدراسة الاجتماعية للناس في مجتمعاتهم، ولا تقتصر على حصر عدد السكان ووصفهم في لحظة زمنية ما، بل أنها تتجاوز ذلك إلى متابعة ما يطرأ هؤلاء السكان من تغيرات مكانية وزمانية ووصفهم طبقاً لما يكتسبونه أثناء هذا التغير وما ينعون إليه من صفات وخصائص وكل ذلك بصورة محددة بعدهم الاجتماعي والإنساني. ، معجم المعاني: <https://www.almaany.com>

الإسلامية بسبب الفتوحات، وبدأت الثقافات المختلفة بالاندماج مع المجتمع المسلم، برزت الحاجة إلى إجراءات تنظيمية منسجمة مع حجم التطورات المتحققة ومع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. وقد صاحب ذلك تطور واتساع في الأفكار الاقتصادية لدى علماء المسلمين، انعكست في كثير مما وصل إلينا من التراث العلمي الذي دون وشهد بهذا التطور^(١).

ب- أهم أسباب الحاجة للابتكارات الاقتصادية الإسلامية:

١- إن الفقه الإسلامي غني بالصور الفقهية التي تمثل سياسات بديلة لكيفية ممارسة المعاملة، وفي ظل ظروف وافتراضات متعددة، بعضها جاء بعد استقراء الواقع، والآخر جاء استشرافاً للمستقبل، وهذا ما يفيد المفكر الاقتصادي في متابعته لدراسة المستجدات، ويستطيع من خلاله أن يقوم بعملية الابتكار للمنتجات أو النظم، أو الحلول الاقتصادية^(٢).

٢- إن المشكلة الاقتصادية الأساسية التي يعمل الفكر الاقتصادي على حلها هي كيفية التوفيق بين الموارد المحدودة والحاجات المتعددة، والرأسمالية خلصت إلى أن الآلية التي تحقق ذلك هي أسعار السوق، فالأفراد أحرار في تحديد ما ينتجون كما ونوعاً لتحقيق أقصى ربح ممكن في ضوء ما تسمح به أسعار السوق، وأحرار فيما يستهلكون كما ونوعاً في حدود ما تسمح به قدراتهم على حسب أسعار السوق.

(١) ينظر: بحث: في مصادر التراث الاقتصادي الإسلامي، ياسر عبد الكريم الحوراني، (١٧١)، مجلة: إسلامية المعرفة، العدد (٢٠)، ١٤٢١هـ، م٢٠٠٠م.

(٢) بحث: التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، د. محمد عبد الحليم عمر، مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الدورة (١٣)، مصر. <http://webcache.googleusercontent.com>

والشيوعية بدلت آلية السوق بتدخل الدولة لتحديد ماذا ينتج؟ وبأى كمية وبأى سعر ولمن ينتج؟

كلا النظامين أدى إلى مشكلات كثيرة، الأمر الذى يتطلب إدخال آلية أخرى لضمان الاستفادة المثلى من الموارد المتاحة فى المجتمع وبأن تؤدى هذه الآلية إلى ترشيد السلوك الاقتصادى للناس بالمحافظة على الموارد وتوجيهها للإشباع المفيد للمجتمع فى عدالة وتوازن، وهذه الآلية لا يمكن أن تستمد من سلوك الناس الواقعى كما يعبر عنه جهاز الأسعار فى السوق من حيث العرض والطلب، بل لابد من آلية تبدأ من ترشيد رغبات الناس غير المحدودة وقصرها على ما يفيد الإنسان والكون وفى حدود الاعتدال والقوامة، ثم آلية لا تسمح باستخدام الموارد فى المظاهر والترف أو تبديدها، وآلية أخرى لحسن توزيع الموارد على أبناء المجتمع وهنا لابد من قيم ومثل أخلاقية تضبط سلوك الناس تجاه الموارد وكما يقول بعض المؤرخين بعد دراستهم الواسعة والمتعمقة لمختلف الحضارات أنه «لا يوجد مثال يعتد به فى التاريخ السابق لعصرنا لمجتمع نجح فى المحافظة على الحياة الأخلاقية بدون مساعدة الدين». وهكذا يظهر أنه لابد للاقتصاد المبتكر الذى نطمح له أن ينضبط بضوابط تحجزه عن التيه والانحراف، الأمر الذى يؤكد ضرورة الابتكار الاقتصادى ضمن الفكر الإسلامى^(١).

(١) بحث: التجديد فى الفكر الاقتصادى الإسلامى، د. محمد عبد الحليم عمر، مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الدورة (١٣)، مصر. <http://webcache.googleusercontent.com> والإسلام والتحدى الاقتصادى، محمد عمر شبرا، ص: (٢٧٥-٢٧٧).

٣- إن الإبداع والابتكار قد أصبحا حلاً جوهرياً من أجل البقاء في عالم متسارع متغير، ولأن بقاء المنظمة أو المؤسسة الاقتصادية هدف رئيسي، فالمنظمة التي لا تمتلك القدرة على الإبداع والابتكار في مجال عملها ستواجه - بالتأكيد - تحديات كبيرة وصعبة، وذلك لأن منافسيها يقومون بالابتكار والتحسين المستمر لمنتجاتهم وخدماتهم وعملياتهم^(١). فالدور الفعال الذي يلعبه الابتكار باعتباره واحداً من محركات النمو الاقتصادي وتحسين الإنتاجية، وترسيخ خطوات التحول نحو اقتصاد المعرفة، إضافة إلى دوره في مواجهة التحديات التي تواجه الحكومات والشركات، هو الذي يجعله حلاً ضرورياً وليس خياراً في منظومة الاقتصاد الإسلامي^(٢).

٤- الابتكار سمة لهذا الدين الذي يجب التميز ولا يجب التقليد والمتابعة للأنظمة الأخرى على غير هدى، وينعكس في المجال الاقتصادي على عدم إتباع سياسة القطيع في السوق باتباع سلوك الشركات القائدة. فعن عبد الله بن مسعود، أنه كان يقول: اغد عالماً أو متعلماً ولا تغدون إمعةً فيما بين ذلك. والإمعة هو الأحمق الذي لا يثبت على رأي. ويعزا جزءاً كبيراً من الأزمات المالية إلى تقليد الآخرين عن غير علم ولا هدى. لذلك لا بد لكل مستثمر في السوق من تفقه وتعلم أسوة بقول عمر

(١) دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/٢٠١٦م. (١٢).

(٢) دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/٢٠١٦م. (٣).

- رضي الله عنه - : لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى، ويلاحظ أن الأمر موجه إلى البائع لأنه أساس السوق فإن انتظم عمله انضبط السوق بمن فيه. وهكذا فعلى الخبراء البحث دوماً عن سبل جديدة مبتكرة تميز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من النظم الوضعية، ولا تلجئ المسلمين لتعاملات محرمة، أو مثار حولها الشبهات.

فيلاحظ مثلاً أن الهندسة المالية الإسلامية المنبثقة عن الربويين الملتحقين بركبها تسعى إلى ابتكار أدوات مالية تعتمد على التوسع بالتورق المصرفي المحظور من أغلب فقهاء العصر. إضافة إلى التوسع في تطبيق صيغة المربحة للأمر بالشراء وهي بالأصل رخصة وتركوا العمل بالعزيمة وهي بالمشاركة والمضاربة والسلم والاستصناع وغيرها من الصيغ الفاعلة في الاقتصاد. والسبب في ذلك سهولة الهندسة المالية التقليدية من جهة، وحاجة الهندسة المالية الإسلامية إلى عمق في علوم الشريعة من جهة ثانية، وهذا مما لا يجذبونه، خاصة في المدى القصير نظراً لبحثهم عن أساليب مربحة بسرعة. إن هذه الصيغ المتبعة تؤدي إلى التوسع في الدين ومصيرها ومآلها هو مصير الصيغ التقليدية من حيث الأثر السيئ والمآل المخزي. فإذا كان العالم يرتقب الخلاص بالاقتصاد الإسلامي ومؤسساته ومنها المصارف الإسلامية فعلى المصرفيين والاقتصاديين المسلمين أن يوجدوا حلولاً مبتكرة منبثقة عن الفكر الاقتصادي الإسلامي الصحيح^(١).

(١) ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، (٩٤). وينظر: مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، قنطقجي، د. سامر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥، ص ١٠٠.

المطلب الثاني: نماذج من شواهد الابتكارات الاقتصادية الإسلامية، السابقة والمعاصرة:

أولاً: بعض نماذج الابتكارات الاقتصادية الإسلامية الأولى:

أ- (الأزمة الاقتصادية في عهد يوسف عليه السلام وسبل حلها):

لعل من أوائل ما وصلنا في هذا الإطار هو ما ورد مثبتاً في القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام وإدارته الاقتصادية المبتكرة التي كانت على نمط فريد لم يسبق إليه، وهي نموذج على التخطيط الاقتصادي طويل الأجل وإعداد الموازنات، فقد علم يوسف عليه السلام الملك، كيف يخطط اقتصادياً، بانتهاج طريقة لم تكن معروفة قبل ذلك، وهي التحكم في الإنتاج الزراعي تخزيناً وإنتاجاً واستهلاكاً، ثم ادخارا للفائض بطرق تضمن عدم هدر الموارد الزراعية آنذاك.

فمن أهم ما يستفاد من هذه التجربة أن علاج الأزمات الاقتصادية يجب قبل الشروع فيها وقبل وقوعها، حيث تتوافر الأدوات والموارد، فلا فائدة في الرغبة في بدء العلاج عندما لا توجد الموارد المطلوبة، لذلك فإن الاقتصاد والتوفير يجب أن يكون سلوكاً أصيلاً، حيث الإسراف هو الاستثناء.

كما أن فيه ملمحاً مهماً إلى أهمية الإدارة الاقتصادية من قبل المؤهلين، بالعلم والمعرفة والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة في الأوقات المناسبة^(١). فقد أرسى سيدنا يوسف لملك مصر موازنة تخطيطية توافرت لها الأصول العلمية والعملية ووازن فيها الانتاج الزراعي (الإيرادات) والنفقات الاستهلاكية بهدف مواجهة

(١) مقال: يوسف العبرية الاقتصادية.. دروس مستفادة، فهد بن عبد الله القاسم - صحيفة:

الاقتصادية الثلاثاء ١١ مايو ٢٠١٠:

http://www.aleqt.com/201011/05//article_391226.html

المخاطر المحتملة من المجاعة المتوقعة. فيوسف عليه السلام هو أول من وضع قواعد الادخار الحكومي الموثق على مر التاريخ، وأول من أشار إلى الدورات الاقتصادية من حيث الرواج والكساد، فيقيس كثير من المنظرين هذه الدورات بمدة سبع سنوات كعمر تقديري متوقع للدورة الواحدة^(١).

وقد تحدث القرآن الكريم عن مراحل ثلاث أساسية في الخطة الإستراتيجية المبتكرة التي وضحها يوسف عليه السلام لقومه، وهي:

المرحلة الأولى: مرحلة التخطيط للإنتاج، وتفعيله، وإدارته، استمرت سبع سنوات حدد يوسف -عليه السلام- معالمها كالاتي:

- ١ - خطة الإنتاج: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ (الزراعة).
- ٢ - مدة الإنتاج: ﴿سَبْعَ سِنِينَ﴾.
- ٣ - مستوى الإنتاج: ﴿دَابَّأ﴾ عملاً دائماً متواصلاً.
- ٤ - زيادة المدخرات: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾.
- ٥ - تقييد الاستهلاك: ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة إدارة الاستهلاك، واستثماره، تستمر سبع سنوات أخرى، حدد يوسف عليه السلام أهم معالمها كالاتي:

(١) مقال: يوسف العبقري الاقتصادية. . دروس مستفادة، فهد بن عبد الله القاسم - صحيفة: الاقتصادية الثلاثاء ١١ مايو ٢٠١٠:

http://www.aleqt.com/201011/05//article_391226.htm

١- تقييد وتنظيم الاستهلاك ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ .

٢- الاستعداد لإعادة الاستثمار: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ . أي هذه هي البذور التي ينبغي أن تحفظوا.

المرحلة الثالثة: ما بعد الإنتاج وجني الأرباح، وإعادة دورة الإنتاج:

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴾ ، أي يبذرون ما احتفظوا به في سنبله من قبل سبع سنين، فإذا ما ارتفع النبات وغطى الأرض وزكا الثمر جمعوه وعصروا زيوتهم وفاكهتهم.

ومن هذا نستشف أن خطة يوسف عليه السلام كانت تستهدف المجتمع بأسره ﴿ تَزْرَعُونَ ﴾ ، وإرادته الحكيمة متوجهة لإيجاد صفات في ذلك المجتمع تمكن من تحقيق الهدف المرسوم واجتثاث أي عائق في سبيل التنمية. . ومن ذلك:

١- زيادة ساعات العمل وزيادة استثمار الطاقة الإنتاجية للأمة خلال المرحلة الأولى بأكملها، يتبين ذلك من خلال قوله: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾ والدأب في اللغة يعني العادة والاستمرار، وهذا يستدعي محاربة البطالة بجميع أنواعها ولاسيما البطالة المقنعة التي تظهر المجتمع بغير صورته الحقيقية ظاهره الرحمة وباطنه العذاب.

٢- تنمية الوعي الادخاري كما يبينه قوله: ﴿ فَأَحْصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ .

وهذا يستدعي محاربة ظاهرة الاستهلاك التي كانت منتشرة عند المصريين في عصره - عليه السلام - كما تذكر ذلك بعض المصادر، وبإيجاد هذه الصفات الحسنة

ومحاربة تلك الصفات الذميمة يتحقق ما أراده يوسف - عليه السلام - من رفع مستوى الإنتاج والموازنة بين متطلبات الإنتاج والادخار والاستهلاك.

لقد اكتملت للموازنة التي أرسى يوسف عليه السلام أسسها وقواعدها أركان الموازنة التخطيطية وتفصيل ذلك أن مفهوم الموازنة التخطيطية إنما يقوم على فكرة التوازن والموازنة، وقد قام يوسف عليه السلام بالموازنة بين الإنتاج الزراعي والاستهلاك في ضوء الظروف المتاحة وذلك بغرض تخطي الجذب والقحط.

٣- إن موازنة سيدنا يوسف قد توافرها مبدأ المشاركة، باشتراك المستويات الإدارية في المسؤولية مسئولية مباشرة عن تحقيق الخطة في مراحل إعدادها وتنفيذها. ولقد استنبط ذلك من مخاطبته لرسول الملك بقوله ﴿تَزْرَعُونَ﴾، ﴿حَصَدْتُمْ﴾، ﴿فَذَرُوهُ﴾، ﴿تُحْصِنُونَ﴾، إذ الخطاب هنا بصيغة الجمع، أي للناس المخاطبين جميعاً وليس بصيغة المفرد. أي لجميع الناس والمسئولين وهذه إشارة إلى ضرورة اشتراك كافة المستويات الإدارية - عليا ووسطى وتنفيذية - في إعداد الموازنة التخطيطية.

٤- إن موازنة سيدنا يوسف قد توافرها مبدأ توفير الحوافز، ومبدأ الواقعية في الأهداف، وتناسبها مع الإمكانيات، ذلك أنه وقد وضح للناس أن سنوات كساد سبع ستعقب الرخاء، حمل إليهم البشري تطمئنهم وتحفزهم، وهي أن هذه الأمانة إلى انقطاع، إذ سيأتي على الناس عام فيه يغاثون ويرزقون وفيه يعصرون، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾^(١).

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في التخطيط الإستراتيجي وإعداد الموازنات، د. خلف عبد الله الوردات، ١/ ٥/ ٢٠١٢ موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، <http://quran-m.com/quran/article>

٤- كما أن هذا التخطيط والتدبير الاقتصادي توسع بجعل الفائض من الطعام في مصر حقاً لجميع الناس، ولكن بمقادير محددة - حمل بعير-، ونظم ذلك ببطاقات بحيث يعرف من أخذ نصيبه ممن لم يأخذ.

ففضى يوسف عليه السلام على الاحتكار والبطالة والتسول بخطة عبقرية لم يسبق لها مثيل، وقد كانت، خطة يوسف عليه السلام ترمي بأن يحضر كل من أراد الحصول على الطعام معه بضاعة من صنع بلده تماماً كمبدأ المقايضة: . . . الطعام مقابل البضاعة التي يحضرونها.

وإن تأويل يوسف عليه السلام للرؤيا يحمل في طياته معانٍ أزلية، هي سنن تتكرر في الأمم، فحياة الأمم لا تسير على وتيرة واحدة، بل تتأرجح بين فترات الخصب وفترات القحط، بين رخاء وكساد، أو غنى وفقر^(١)، وإن من أهم الدروس المستقاة من هذه القصة وهذا النموذج الاقتصادي الرباني الفريد هي إثارة الفكر والرأي حول كيفية الاستفادة من الطفرة التي تعيشها دولتنا حالياً، حيث إن الأيام دول، فكما نعيش اليوم طفرة خير ورخاء وتقدم ووفرة في الموارد، فقد عاشت المنطقة بأسرها ومن ضمنها دولة الإمارات العربية المتحدة أزمة مالية طويلة وقاسية، فهل تستمر هذه الطفرة سبع سنوات أم تزيد أم تقل؟ لا أحد يستطيع الجزم بهذا الغيب بإطلاق، ولكن المهتمين بالاسشراف والنظر البعيد للمستقبل معنيون بأن يتكروا حلولاً تجعل من مواردنا الحالية ضماناً تقيناً شر المستقبلي^(٢).

(١) بحث: أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم. فيان صالح علي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد (٧)، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م: (٩) وما بعدها. بتصرف.

(٢) ينظر: مقال: يوسف العبقرية الاقتصادية. . دروس مستفادة، فهد بن عبد الله القاسم - صحيفة: الاقتصادية الثلاثاء ١١ مايو ٢٠١٠:

http://www.aleqt.com/201011/05//article_391226.html

ثانياً: زكاة المال، والحكمة من بعض مصارفها:

وهي آلية مبتكرة لمحاربة الاكتناز^(١) وضمان سريان الدورة الاقتصادية في مسارها الطبيعي دون احتكار للسيولة المالية، فقد أوجب الإسلام على المال زكاة سنوية مقدارها ٢.٥٪ من المال النامي تدفع من ملاكه إلى الفقراء كمساهمة اجتماعية. فالزكاة لا تدفع صاحب المال إلى استثماره فحسب، بل تدعوه إلى استثمارات ذات ربحية عالية ومعقولة، لأنه سيخرج نسبة ٢.٥٪، فلا بدّ من معدل ربح يزيد عن هذه النسبة حتى يضمن عدم تآكل المال ونقصانه.

وحتى تتم التنمية الاقتصادية الشاملة في المجتمع يجب توفير التمويل الداخلي، ويقصد به تمويل وسائل إشباع الحاجات الأساسية المادية لفئة المحتاجين، وتوفير هذه الاحتياجات عادةً ما يكون مكلفاً للدولة، فتأتي الزكاة وتسد هذه الاحتياجات، مما يجعل الدولة تتفرغ لتمويل المشاريع الاقتصادية الكبرى. وبذلك نرى أن الزكاة تؤدي إلى زيادة الاستثمار الفردي، والكلي للدولة، وأن هذا الاستثمار يؤدي بدوره إلى زيادة المال، ومن ثمّ زيادة الزكاة التي ستخرج من هذا المال، فيؤثر كل منها على الآخر بصورة إيجابية، تنعكس على المجتمع.^(٢)

فمن مصارف الزكاة الهامة جداً هي إغناء الفقراء والمساكين خاصة إذا كانوا قادرين على العمل، وفي هذا محاربة للبطالة وتشجيع للاستثمار. فبهذا التوجيه

(١) الاكتناز: هو حبس المال وعدم صرفه في وجوهه المستحقة، وتجميده عن الدوران الاقتصادي، ويأتي بمعنى المال الذي لم تؤدي زكاته. وهو بخلاف الادخار. فالادخار يختلف عن الاكتناز الذي ورد في القرآن والسنة على سبيل الذم، وسيأتي الكلام عن الادخار لاحقاً في البحث التالي.
(٢) دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، ختام عارف حسن عماوي، رسالة ماجستير، ٢٠١٠، (٨٢) -بتصرف-

للزكاة يدخل مستثمرون جدد إلى السوق مسددون للزكاة ومساهمون في العام التالي في حل مشكلة البطالة. وهذا الاتجاه - في إغناء الفقراء من مال الزكاة حتى يخرجوا من دائرة الفقر والحاجة - فهمه الصحابة غاية من غايات الزكاة السامية، وممن طبقه بجلاء عمر رضي الله، حيث كان يوجه عماله وولاته قائلاً: (إذا أعطيتم فأغنوا)^(١).

ومن مصارفها أيضاً سهم الغارمين أي المدينين، وهم مدينون غرقوا في ديون عجزوا عن سدادها^(٢). وهؤلاء أيضاً يدفع الزكاة لهم، ينتقلون من كونهم عالة على المجتمع، ليدعوا تبذل وتنفق.

فالاقتصاد الإسلامي أوجد بسهم الغارمين حلاً مستداماً لتمويل خطر الائتمان العام، منعاً لأي أزمة ائتمانية تؤدي لسقوطه، أما الاقتصاد التقليدي فارتأى الحل كاستثناء عند وقوع الأزمات. لذلك ينتهج الاقتصاد الإسلامي حلاً دائماً طويل الأمد، بينما ينتهج الاقتصاد التقليدي حلاً علاجياً استثنائية وكأنه يتعلم بالممارسة^(٣).

إن الاقتصاد الإسلامي يسعى بحلوله البدء من الأسفل إلى الأعلى، أي من الضعيف للأقوى، مثل مساعدة المدين الأصلي مباشرة وهو الطرف الضعيف لسداد دينه تجاه دائئه، أما الاقتصاد التقليدي فقد قدم مساعداته للقوي الذي ارتكب الخطأ أي انتهج حلاً يتجه من الأعلى إلى الأسفل، فأفاد القوي مرتين؛

(١) رواه ابن حزم بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، المحلى، لابن حزم: (٦ / ١٥٥).
 (٢) ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، (٩٤). وينظر: (قنطجني، د. سامر، مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥، ص ١٣١).
 (٣) ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، (٩٤). وينظر: (قنطجني، د. سامر، مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥، ص ٩٥. بتصرف.

الأولى عندما تركه يعبث إفساداً بالربا والثانية بضح الأموال له كي لا يقع مفلساً، بل وألحقه بقانون خاص للإفلاس لحمايته. والميل للضعيف هي فلسفة يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي في أغلب الحالات. لذلك فإن ضح الأموال في السوق يجب أن يوجه للمدينين الأخيرين للوفاء بديونهم أسوة بفعل الخليفة العادل، لأن عمر بن عبد العزيز رحمه الله فكان لا يبيع خادم الرجل ولا مسكنه في الدين^(١).

ثالثاً: نظام بيت مال المسلمين^(٢):

- (١) ينظر: ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، (٩٥). بتصرف.
- (٢) بيت مال المسلمين: هي المؤسسة التي تُشرف على ما يرد من الأموال وما يخرج منها في أوجه النفقات المختلفة؛ لتكون تحت يد الحاكم آنذاك وهو الخليفة أو الوالي، يضعها فيما أمر الله به أن تُوضع بما يصلح شئون الأمة في السلم والحرب. وأهم واردات بيت المال: الزكاة، والخراج، والجزية، والغنمة، والفِيء، والأوقاف، وفيها جميعاً - باستثناء الأوقاف - معنى الضريبة على الثروة والأرض والأنفس.
- وأما اختصاصات بيت المال فكل مال استحقَّه المسلمون، ولم يتعيَّن مالكة منهم فهو من حقوق بيت المال، وكلُّ حقٍّ وجب صرفه في مصالح المسلمين فهو حقٌّ على بيت المال.
- وأما مصروفات بيت المال فهي:
- أولاً: رواتب الولاية والقضاة، وموظفي الدولة، والعمال في المصلحة العامة، ومن هؤلاء أمير المؤمنين، أو الخليفة نفسه.
- ثانياً: رواتب الجند والعسكر.
- ثالثاً: تجهيز الجيوش وآلات القتال من سلاح، وذخائر، وخيل، وما يقوم مقامهما. السدود والجسور
- رابعاً: إقامة المشروعات العامة من جسور، وسدود، وتمهيد الطرق، والمباني العامة، ودور الاستراحة، والمساجد.
- خامساً: مصروفات المؤسسات الاجتماعية؛ مثل: المستشفيات، والسجون، وغير ذلك من مرافق الدولة.
- سادساً: توزيع الأرزاق على الفقراء واليتامى والأرامل، وكل من لا عائل له، فالدولة تعوله وتكفله. ينظر: الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٢٧٨، والحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل: ص ٣٣١، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل: علي بن نايف الشحود: ص ٢٥٧.

وهو نموذج على ابتكار المؤسسات الاقتصادية والمالية الفعالة، وقد جمع بين اختصاصات وزارة المالية والبنك المركزي في عصرنا الحاضر، وباستقراء الأحكام المنظمة لعمل بيت المال يتضح أن مؤسسة بيت المال تتكون من ستة عناصر في مجموعها تكون المؤسسة، تتنوع بين مادية وبشرية وقانونية، هذه العناصر الستة في مجموعها تكون المؤسسة وهي: الخزانة العامة وفروعها - الجهاز الإداري - الإيرادات - النفقات - الموارد الاقتصادية العامة - حزمة التشريعات.^(١)

وقد تطورت خدمات بيت المال تبعاً لتطور الزمان وحاجات الناس واتساع الدولة الإسلامية وكثرة الثروات التي بدأت بالاتساع والزيادة، فكان وضع نظام الدواوين (الوزارات) في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان ديوان (الجند) وديوان (الخزانة) وديوان العطاء (التأمينات الاجتماعية)^(٢). وقد كان تطوراً طبيعياً للنظام المالي الإسلامي الذي تأثر بتجربة الشعوب المجاورة وأخذ من محاسن أنظمتها، فكانت تلك السجلات التي حفظت حقوق الدولة من الأعمال والأموال المتنامية يوماً بعد يوم^(٣).

(١) ينظر: بحث: مؤسسة بيت المال في النظام الإسلامي، عطية عدلان، ص (٦٦): <http://ilahiyat.siirt.edu.tr/dosya/personel/20171410850515.pdf>

(٢) بحث: إنجازات عمر بن الخطاب الحضارية، د. محمد العبدية، موقع المسلم: <http://almoslim.net/node/138897>

(٣) ينظر: الأحكام السلطانية، للماوردي: ص ٢٥٢ - ٢٥٣. المقدمة، ابن خلدون: ص ٢٠٢ - ٢٠٣. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، محمد سهيل طقوش: الناشر: دار النفائس، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

ثالثاً: الخراج^(١)، نموذج الابتكار في تطوير مصادر الدخل المالية للدولة:

الخراج اصطلاحاً هو: شيء يخرج القوم في السنة من ما لهم بقدر معلوم، وهو أيضاً أيضاً ما يوضع من ضرائب على الأرض أو على محصولاتها مقابل استغلال الزُّرَّاع لها، أما في الفقه الإسلامي فقد ربط مفهوم الخراج مع الأراضي التي فتحت عنوة، والذي أصبح أهم إيرادات بيت المال فيما بعد^(٢).

وقد رأى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما فتح المسلمون أرض العراق ألا تقسم بين الفاتحين بل تبقى بأيدي أصحابها ويدفعون مقابل ذلك الخراج عنها، ووافق الصحابة على ذلك، وقد كان رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في عدم قسمة الأرض المفتوحة على الفاتحين وإبقائها بأيدي أصحابها يدفعون خراجها، رأياً صواباً توافقه أحدث النظريات الاقتصادية الحديثة التي تسعى لإيجاد مصدر ثابت متجدد لمالية الدولة، وهذا عين ما فعله عمر رضي الله عنه، وهذا ينفع كل من يأتي بعد الفاتحين من المسلمين من أبنائهم ومن غيرهم، لذلك قال عمر رضي الله عنه (لولا آخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي أرض خيبر) رواه البخاري موقوفاً على عمر. والحقيقة أن فعل الرسول بأرض خيبر لا يتعارض

(١) الخراج لغة: قال أبو عبيد الخراج في كلام العرب إنما هو الغلة، وهو ما يوظف على أرض، كما فعل عمر على أرض العراق. ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط (١)، ١٤٠٥ هـ، (١٢٢). والاستخراج لأحكام الخراج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)، ١٤٠٥ هـ، (٩)،

(٢) ينظر: الاستخراج لأحكام الخراج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)، ١٤٠٥ هـ، (٩)، الخراج في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، دراسة تحليلية في الجذور والتطور، محمد إسماعيل محمد إسماعيل، رسالة ماجستير، ٢٠١١ م. (٢٢) - بتصرف -.

مع فعل عمر رضي الله عنه بأرض العراق لأن النبي لم يقسم كل أرض خيبر بين الفاتحين بل إنه قسم نصفها بين الفاتحين وأبقى النصف الآخر بيد اليهود يزرعونه ويدفعون خراجه^(٣).

ثانيا: بعض صور الابتكار في القطاع الاقتصادي المعاصر:

أ- تعتبر السياسات الفعالة لتطوير وتحديث أدوات المالية الإسلامية أهم ركيزة لبقاء المنظومة المالية الإسلامية وزيادة فعاليتها ونجاحها في السوق المالية، وقد شهدت هذه المنظومة ابتكارات جديدة زادت من القوة التنافسية وحققت أرباحا كبيرة وقبولا في السوق المالية العالمية، «فعلى مستوى الابتكارات للأساليب المالية والاقتصادية التي ليس لها نظير في الاقتصاد التقليدي، والذي استطاع الفكر الاقتصادي الإسلامي إنجازها اعتمادا على ما ورد في الفقه الإسلامي من عقود المعاملات، ومن أمثلتها ما يلي:

١- كيفية التطبيق المعاصر لعقود السلم والاستصناع والمرابحة في النظام المصرفي الإسلامي المعاصر.

٢- الاستناد إلى عقد المضاربة في تنظيم العلاقة بين البنك والمودعين وفي تنظيم وثائق صناديق الاستثمار.

٣- ابتكار أدوات مالية إسلامية مثل سندات المقارضة وصكوك الإجارة.

(٣) ينظر: عمدة القاري، للعيني، كتاب المزارعة: باب: من أحيا أرضا مواتا، (١٢/ ١٧٣)، السنن الكبرى، للبيهقي: (٦/ ٣١٨)، والفكر السامي، للحجوي: (٢/ ٢٩٣-٢٩٤)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٨/ ٢٢-٢٣)، وحاجة المجتهد إلى الاجتهاد المقاصدي، د. ماهر حامد الحولي، الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م: (١٧).

٤- وثائق التأمين مع المشاركة في الأرباح.

٥- إصدار هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية للعديد من معايير المحاسبة الإسلامية.

٦- سندات أو صكوك الوقف^(١).

٧- صندوق التقاعد الإسلامي الذي أطلقه بنك HSBC في ماليزيا، ثم ظهور السوق المالية الإسلامية^(٢).

ثانياً: جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في مجالات الإبداع والابتكار الاقتصادي:

بناء على مبدأ أن الابتكار هو تحول الفكرة من مشروع نظري إلى منتج أو خدمة تؤدي منفعة اجتماعية أو مادية، بحيث تتحول الفكرة إلى فكرة نافعة ومن ثم إلى مشروع، فقد دشّن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء لدولة الإمارات العربية الاستراتيجية الوطنية للابتكار^(٣) بمخطط زمني يمتد لسبعة أعوام، والتي تهدف إلى جعل دولة الإمارات في مقدمة الدول الأكثر ابتكاراً في العالم.

(١) بحث: التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، د. محمد عبد الحليم عمر، مؤتمر المجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية، الدورة (١٣)، مصر. <http://webcache.googleusercontent.com>

(٢) مقال: تطوير الابتكارات في المالية الإسلامية، الإمام محمد محمود، ٩/٧/٢٠١٧م،

<https://islamonline.net>

(٣) ينظر: الإستراتيجية الوطنية للابتكار، موقع حكومة الإمارات:

<https://www.government.ae>

وتهدف الإستراتيجية الوطنية للابتكار إلى تحفيز الإبداع والابتكار في القطاعات السبعة التي تعتمد اعتماداً أساسياً على الابتكار في تحقيق أهدافها الإستراتيجية وهي: الطاقة المتجددة، والنقل، والتعليم، والصحة، والتكنولوجيا، والمياه والفضاء. وتتضمن الإستراتيجية (٣٠) مبادرة وطنية للتنفيذ خلال السنوات المقبلة، كمرحلة أولى تشمل:

- مجموعة من التشريعات الجديدة.
 - ودعم حاضنات الابتكار.
 - وبناء القدرات الوطنية المتخصصة.
 - ومجموعة محفزات للقطاع الخاص.
 - وبناء الشراكات العالمية البحثية.
 - وتغيير منظومة العمل الحكومي نحو مزيد من الابتكار.
 - وتحفيز الابتكار في سبعة قطاعات وطنية.
- وتعمل الإستراتيجية من خلال أربعة مسارات متوازية، حيث يركز:

المسار الأول على إرساء بيئة محفزة للابتكار: من خلال توفير بيئة مؤسسية وتشريعات محفزة وداعمة للابتكار، والتوسع في دعم حاضنات الابتكار، والتركيز على البحث والتطوير في مجالات الابتكار، وتوفير بنية تحتية تكنولوجية تدعم وتحفز الابتكار في القطاعات كافة.

أما المسار الثاني فيركز على تطوير الابتكار الحكومي من خلال تحويل الابتكار الحكومي لعمل مؤسسي وتطوير منظومة متكاملة من الأدوات الحديثة لمساعدة الجهات الحكومية على الابتكار وتوجيه جميع الجهات الحكومية بخفض مصروفاتها بنسبة ١٪ ليطم تخصيصها لدعم مشروعات الابتكار وإطلاق برامج تدريبية وتعليمية في مجال الابتكار على مستوى الدولة.

ويركز المسار الثالث للإستراتيجية الوطنية للابتكار على دفع القطاع الخاص نحو مزيد من الابتكار، عبر تحفيز الشركات على إنشاء مراكز الابتكار والبحث العلمي، وتبني التكنولوجيات الجديدة، وتشجيع ودعم الشركات الوطنية لتنمية منتجات وخدمات مبتكرة، واستقطاب الشركات العالمية الرائدة في مجال الابتكار في كل القطاعات ذات الأولوية الوطنية، بالإضافة إلى تعزيز مكانة الدولة مركزاً عالمياً لاختبار الابتكارات الجديدة وإنشاء مجتمعات ومناطق مخصصة للابتكار في بعض القطاعات وتشجيع المؤسسات البحثية للتركيز على البحوث التطبيقية في القطاعات ذات الأولوية الوطنية.

ويركز المسار الرابع للإستراتيجية الوطنية للابتكار على بناء أفراد يمتلكون مهارات عالية في الابتكار من خلال بناء المواهب والقدرات الوطنية في مجال الابتكار، مع التركيز على العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، واستحداث مواد تعليمية في المدارس والجامعات خاصة بالابتكار، وترسيخ ثقافة وطنية تشجع على الابتكار وريادة الأعمال، وتحترم وتكافئ الإقدام على المخاطرة من خلال التعاون بين الحكومة والقطاع الخاص والمؤسسات الإعلامية.

وتقدر استثمارات الدولة في مجال الابتكار بـ ١٤ مليار درهم سنوياً، منها سبعة مليارات في البحث والتطوير، والهدف زيادتها خلال السنوات المقبلة.

وفي سبيل تفعيل هذه الإستراتيجية، فإن دولة الإمارات قامت بتنبي مبادرات، لها انعكاساتها الواضحة على اقتصاد الدولة، مثل:

أولاً: مسرعات دبي المستقبل:

والتي تهدف إلى تقريب المستقبل إلى اليوم، عبر منظومة ابتكارية لجذب أفضل الحلول والمشاريع ذات الاحتمالية الأعلى لخلق قيمة اقتصادية مرتبطة بإيجاد حلول لأهم التحديات القطاعية المستقبلية، إن هذا المشروع واعد وسيسهم في تحقيق تنمية وقفزة نوعية في دولة الإمارات بشكل عام وإمارة دبي بشكل خاص لاهتمامه بالحلول الابتكارية في عملية التطوير والبناء والتنمية، وجذب العقول وفتح آفاق الاستفادة من التجارب المتميزة والمبتكرة لتطوير أفضل الخدمات والتطبيقات والوصول بها إلى أعلى المستويات العالمية.

ثانياً: الاقتصاد المعرفي:

اتجهت الدولة نحو تبني اقتصاد المعرفة بخطى إيجابية وجهود ملموسة، ومن ذلك:

١ - دعم هياكل البنية القانونية والتنظيمية بمجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. فأصدرت الكثير من القوانين الاتحادية مثل: قانون حماية حقوق الملكية الفكرية (حقوق المؤلف والمصنفات الفنية)، وقانون براءات الاختراع والنماذج الصناعية (لتنظيم وحماية الملكية الصناعية لبراءات الاختراع

والرسوم والنماذج الصناعية). - قانون الهوية الالكترونية (المعني بالمعاملات والتجارة الالكترونية). وغيرها.

٢- الاهتمام بالتعليم والابتكار، ومن ذلك إنشاء عدد من المجمعات والمؤسسات والمعاهد البحثية والتقنية لتشجيع البحث الإبداع والابتكار ومن أهمها (مدينة مصدر - ومجمع محمد بن راشد للتقنية - ومجمع دبي للتقنية الحيوية والأبحاث - وواحة دبي للسيلكون التي يتبعها مركز ابتكار الإلكترونيات الدقيقة وأكاديمية التدريب على الإلكترونيات الدقيقة وجامعة تقنية المعلومات و مركز سيلكون دبي لاحتضان الخبرات..

٣- دعم البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. حيث تعد ركيزة اقتصاد المعرفة والأساس في وصول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتكريس استخدامها إلى كافة السكان، وتمتلك الدولة واحدة من أكثر البنى التحتية لمجتمع المعلومات تطورا في العالم، وتتنوع من حيث عدد ومستوى الخدمات المقدمة، وتطور معدل الزيادة في انتشار خطوط الهاتف الثابت والمتحرك وخدمات الإنترنت بصورة كبيرة وانتشر استخدام الحواسيب الشخصية بين كافة الأفراد والشركات.

٤- نظام الحوافز الاقتصادية. وهو أحد الدعامات الأساسية لاقتصاد المعرفة ويتضمن الحوافز الضرورية التي يتحتم على الدولة توفيرها لتحفيز الإبداع والابتكار وتوفير متطلبات الحصول على المعرفة واستخدامها بشكل فعال وتتضمن: سيادة القانون - وتوفير البيئة التنافسية - وتحقيق الكفاءة والمرونة في النظام المالي بما في

ذلك رأس المال المستثمر في المشروعات الجديدة - وكفاءة أسواق العمل - ووجود شبكات الضمان الاجتماعي - وتوافر الشفافية والمساءلة في الحكم.

٥- تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وتشكل الابتكارات والأبحاث والعلوم والتكنولوجيا الركائز الأساسية لاقتصاد معرفي تنافسي عالي الإنتاجية، يدفع عجلته رواد الأعمال، في بيئة أعمال محفزة، تشجع الشركات الفاعلة بين القطاعين الحكومي والخاص. تطور الإمارات اقتصادها إلى نموذج تعتمد التنمية فيه على المعرفة والابتكار^(١)، حيث لا بد من الاستثمار في العلوم والتكنولوجيا والأبحاث على مختلف مستويات الاقتصاد الإماراتي، كي نرتقي بوتيرة الإنتاجية والتنافسية لنضاهي أفضل الاقتصادات العالمية^(٢).

(١) إن الإمارات بدأت بتفكيرها الاستباقي في إرساء أساس جديد لاقتصادها بالاستناد إلى الأفكار والابتكار والتفكير الشامل، حيث تعد الدولة مركزاً ناشئاً للفنون والثقافة والأعمال، وتعمل على تطوير الاقتصاد بأفكار قائمة على الابتكار مع رؤية محددة، وتطوير رصيد جديد من المواهب الهندسية. فلقد قامت العاصمة الإماراتية أبوظبي باتخاذ خطوات تهدف إلى تشجيع الشباب على مهارات الترميز على نطاق أوسع، حيث نفذت مجموعة من برامج «جوجل» التعليمية في مدارسها الحكومية مثل برنامج «علوم الحاسوب أولاً»، الذي يشمل أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ طالب، الغالبية العظمى منهم لم يسبق لهم أن تعاملوا مع مهارات الترميز على الإطلاق. ويعد هذا البرنامج الأكبر من نوعه في دولة واحدة، ويهدف البرنامج إلى أن يأخذ بيد هؤلاء نحو الأمام حتى يصبحوا، ليس فقط مجرد مستخدمين ومستهلكين للتكنولوجيا، وإنما أيضاً مبتكرين ومخططين لها، وهذا بالفعل ما تقوم به الحكومة عبر برنامج مهارات الترميز. ينظر: دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/٢٠١٦م. (١١). وما بعدها، ينظر: الإستراتيجية الوطنية للابتكار، موقع حكومة الإمارات: <https://www.government.ae>

(٢) ينظر: دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/٢٠١٦م. (١١). وما بعدها.

المبحث الثاني

ضوابط الابتكارات الاقتصادية الإسلامية، ومحدداتها

المطلب الأول: مميزات الابتكارات الاقتصادية الإسلامية عن غيرها من النظم:

١ - أنها تحتكم إلى ميزان الشرع، وتلتزم في تحليل السلوك الاقتصادي للناس بما انتهى إليه الحكم الفقهي من حل وحرمة، وتجعل ذلك ضمن المعلومات التي تستند إليها في التحليل الاقتصادي بيان الآثار السيئة والضارة للحرمة والآثار الإيجابية للحلال من هذه المعاملات، إلى جانب أنه عند اختيار إحدى السياسات البديلة تكون من مبررات ومرتكزات الاختيار مدى الحل والحرمة في المعاملة، واختيار أساليب التمويل المشروعة^(١).

ونرى أن تأثير ذلك منعكس على تقويم السلوك الاقتصادي للأفراد، فهي تراعي الغايات والأهداف مع الوسائل الصحيحة لها، وهذا ما تميزت به عن النظم الوضعية، فالادخار^(٢) مثلاً، سلوك رشيد مرغوب، ولكن إن كانت غايته وعاقبته الاحتكار

(١) ينظر: بحث: التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، د. محمد عبد الحليم عمر، مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الدورة (١٣)، مصر <http://webcache.googleusercontent.com>

(٢) الادخار: من الاذخار، وذخر الشيء ذخراً «وذخراً» خبأه لوقت الحاجة إليه، يقول الفقهاء: الادخار: تحبئة الشيء لاستخدامه عند الحاجة. هو وضع جزء من الدخل جانباً بدلاً من استهلاكه كلياً في المشتريات الاستهلاكية، وتعني كذلك مجموع التوفيرات الناتجة عن ذلك، ويعتبر الادخار فعالاً أو منتجاً حين لا يبقى النصيب المدخر من الدخل بشكل نقدي مجمد، بل يكرس لشراء أصول منقولة. انظر: القاموس الفقهي، سعدى أبو جيب - ١٩٨٢ م - ط ١. دار الفكر - دمشق. ص ١٣٥ معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيه حماد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات الأمريكية، ١، ١٤١٤ هـ، ص ١٧٥، الموسوعة الاقتصادية، عبد المهدي والهموندي، د. حسن، ط ١، بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٠ م، ص ٣٢.

ومنع السلع وحبسها عن التداول، انقلب إلى وسيلة غير صحيحة. ولتحقيق الرفاه الاقتصادي في المجتمع الإسلامي لابد من إيلاء الادخار والمدخرين كل عناية وتشجيع بأسلوب ايجابي يهدف إلى تعبئة المدخرات بكفاءة، واستثمارها في المشروعات الإنتاجية والخدمية ذات الأولوية العالية^(١).

وكذلك أيضا ظاهرة الملكية، فهي ظاهرة عقلانية إذا قصدتها واستهدفها الفرد في حدود حقوقه المشروعة، ولكن لو تضمنت صور الاعتداء على حقوق الآخرين، انقلبت ظلما وجورا، وهكذا^(٢).

وخصيصة هذا الأمر أن النظم الاقتصادية الوضعية، مهما حاولت أن تبتكر أساليب ووسائل اقتصادية تحقق الرفاه للناس، دون وجود مثالب بها، لانجدها قد استطاعت ذلك إلا وقد عيب عليها فشلها في جانب من الجوانب، أما الاقتصاد الإسلامي، فلأنه رباني المصدر، وله غايات ومقاصد عليا يقدمها على الربح الآني أو المنفعة الآنية، فإن نتائجه كانت الأفضل دائما في تحقيق التوازن الصحيح بين تلبية حاجات الناس الدنيوية، وعدم الوقوع في مزالق الأنظمة الوضعية من توجهات غير أخلاقية أو تنافي العدل والمنفعة العامة.

٢- أنه اقتصاد إنساني، حيث أن غايته وهدفه تحقيق الحياة الطيبة بكل مقوماتها وعناصرها المادية والمعنوية للإنسان، وتمثل إنسانية الاقتصاد في مجموعة القيم

(١) بحث: أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم. فيان صالح علي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد (٧)، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م: (٩) وما بعدها. بتصرف.

(٢) السلوك الاقتصادي في القرءان، نورالدين بشير، الاثنين ١٤ ديسمبر ٢٠٠٩:

www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6069

التي هدانا الله إليها بالقرءان، مثل قيم الحرية والكرامة والعدل والرحمة والتعاون، ومقاومة القيم السيئة مثل الحسد والبغضاء^(١).

٣- اقتصاد يراعي الثوابت والمتغيرات:

وكمثال عن الثوابت، فإن الاحتكار أمر مباح في الاقتصاد الرأسمالي، لكن دعوى الحكومة الأمريكية ضد شركة مايكروسوفت لتقسيمها بحجة قانون الاحتكار قد نقض هذه النظرية، فلولا أن الأمر قد طال رقبتهما لما شهرت هذا القانون.

أما في الاقتصاد الإسلامي فالاحتكار محرم لأنه من الثوابت التي تسري على الجميع.

أما المتغيرات فغير محدودة إنما تضبطها الثوابت العامة. ومنطقة المتغيرات تعطي سعة ومرونة للشريعة الإسلامية للتكيف مع الوقائع والعصور والبيئات المختلفة، فهي لم تحجر دائرة الابتكار، وإنما على العكس حجرت دائرة الممنوع وأبقت دائرة المشروع متاحة للجهد البشري في الابتكار والتجديد^(٢).

٣- ارتباط الابتكارات الاقتصادية بمنظومة القيم والأخلاق، فإننا نعلم أن علم الاقتصاد الوضعي في حد ذاته وصفه بعض الاقتصاديين من الرأسماليين والشيوعيين والماركسيين بأنه علم موضوعي غير معياري ولا أخلاقي، ولا تربطه صلة بالمنظومة القيمية، لذا فليس للاقتصادي ولا للمحلل أن يدخل أي بُعد أخلاقي

(١) السلوك الاقتصادي في القرءان، نورالدين بشير، الاثنين ١٤ ديسمبر ٢٠٠٩:

www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6069

(٢) ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، سامر مظهر قنطجي، دار النهضة، ط(١)، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ. (٩٣). - بتصرف -.

أو معياري في تحليله، سواء في تحليله لسلوك المستهلك أو سلوك المنتج أو غير ذلك. و من نادى بذلك جملة من المفكرين الذين رأوا أن الحاجات والرغبات الإنسانية تتزايد بمعدلات كبيرة جدا، وأن الفساد يعم العالم، ما يعني أن الحياة ستندعم يوماً ما^(١).

وهذا صحيح، فلقد وردت آيات كثيرة في القرآن، ربطت ربطا مباشرا بين الإيمان بالله وعبادته حق العبادة أو الإعراض عن ذكر الله وتطبيق أحكامه وبين كثرة الرزق أو قلته - أو ما يسمى الإيراد في الاقتصاد-. ومن شواهد ذلك في كتاب الله تعالى: - قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، - وقال: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيبِن وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٥-١٦].

أما في النظام الإسلامي، فإن المنظومة القيمية من الأهمية بمكان، وقد امتدح الله تعالى هذه الاستقامة، وجعلها درجة عالية في السلوك الإنساني يستحق عليها صاحبها الدرجة الأوفى. إن الله عز وجل و من خلال الخطاب القرآني يريد أن

(١) الإسلام والتنمية الاجتماعية، محسن عبد الحميد، دار المنارة، جدة- السعودية، ط(١)، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

يوصلنا إلى حالة الاستقامة و التوازن الكامل بين طرفي التكوين الإنساني، كي لا ينجرف الإنسان وراء غرائزه فيكون عبداً لها، فتوجهه إلى الدرك الأسفل من الحياة الحيوانية، التي تخرجه من الفطرة السليمة.

المطلب الثاني: أهم انعكاسات المنظومة القيمية الإسلامية على الابتكارات الاقتصادية الإسلامية، وأهم ضوابطها:

أ- أن تراعي هذه الابتكارات أن الاستهلاك في النظام الإسلامي منضبط أخلاقياً بعدم الإسراف، لأنه هدر للمال والموارد الطبيعية والصناعية، وهذا إضرار ممنوع.

ب- مراعاة شروط الاستدامة البيئية وسلامة الموارد، فالإسلام بمنهجه الوسطي المعتدل، يدعو إلى استخدام الموارد والحياة بمنهج الاعتدال والوسطية، وهو منهج له تأثيره الأساسي والمباشر على قضايا الاستدامة الكبرى، والتي تهددها سلوكيات الإسراف في استنزاف الموارد، والتأثير على البيئة. فيجب على المسلم أن يتعامل مع نظم الطبيعة والبيئة بما يمكنه من تطوير حياته دون إسراف في استخدام الموارد الطبيعية أو جور على حقوق الآخرين.

ب- الاهتمام بأمن عملية الإنتاج، فلا ضرر ولا إضرار قاعدة تؤسس لعدم جواز التركيز على النتائج والأرباح دون النظر في العواقب والتأثيرات السلبية والمضار.

ث- التركيز على إتقان الإنتاج وجودته باستخدام أحدث الأساليب التكنولوجية لتطويره وتحسينه من ضرورات الاستثمار. ففكرة الاتقان والجودة أصيلة في الفكر الإسلامي، ولها انعكاسها الواضح على الفكر الاقتصادي كذلك.

ج- وعدالة الأدوات والأساليب الابتكارية بأن يكون اختيار مجال الاستثمار بحيث يلبي نفع المستثمر بتحقيق عائد مناسب، ومراعاة حاجة الأمة والمجتمع من الاستثمار.

ح- مراعاة التنوع في الاستثمارات وهذا واجب على الأمة وتنظيمه الدولة، وذلك لمواجهة حاجات الناس من السلع المختلفة. كما يجب مراعاة ترتيب الأولويات الشرعية في الاستثمارات: فالمصالح المقصودة من الشريعة ترتب في الضرورات ثم الحاجيات ثم التحسينيات، وهذا الضابط يوفر سُلماً تفضيلياً أمام المستثمرين لاختيار البدائل من المنتجات بما يحقق مصالح الناس المقصودة من الشريعة وذلك في ضوء القواعد التوجيهية التي وضعها علماء الأصول، ومع مراعاة أن ضرورة الالتزام بهذا الترتيب واجب على الدولة بالدرجة الأولى في ممارستها للإنتاج وإجبار الأفراد على الالتزام به في حالة الضرورات التي لا يمكن الحصول عليها من مصدر آخر^(١).

خ- ضبط الإنفاق بفكرة الترشيد بدل التوسع والتبذير: فالفلسفة الاقتصادية الرأسمالية تنبني على الإنفاق الاستهلاكي من خلال خلق الطلب من خلال جعل (التسوق متعة)، ويقدر خبراء أن ثلثي الاقتصاد الأمريكي مبني على الإنفاق. لذلك يتوجه الاقتصاد التقليدي إلى جانب العرض فيتوسع فيه من خلال توجيه وسائل إعلامه لترويج ثقافة (كيف تنفق؟)، ولو أدى ذلك إلى توجه المستهلكين نحو الإسراف والتبذير.

(١) ينظر: مقال: الضوابط الإسلامية للاستثمار، د. محمد عبد الحليم عمر، يناير ١٨، ٢٠١٦:

<http://www.aliqtisadalislami.net>

بينما تنبني فلسفة الاقتصاد الإسلامي على الضغط على الطلب بترشيد الاستهلاك، لذلك فهو يمنع الإسراف والتبذير لدورهما في توليد التضخم كما يمنع التقتير لدوره المسيء في انكماش الطلب الكلي. بذلك يمكن توجيه ما أثر عن بعض السلف عندما سئل عن اللحم وغلائه، فقال: فأرخصوه، أي: لا تشتروه فيرخص ثمنه^(١).

كذلك يفسر تصرف عمر رضي الله عنه عندما شاهد في إحدى جولاته جابر ابن عبد الله رضي الله عنه ويده درهم، «فقال له: ما هذا؟ فقال: أريد أن أشتري به لأهلي لحماً قرموا إليه (أي اشتوه)، فقال عمر: أو كلما اشتهيتم اشتريتم! ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه وجاره! أين تذهب عنكم هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فعمر رضي الله عنه قصد مراقبة السوق وضبط الطلب الكلي بغية المحافظة على الأسعار وكبح جماح الغلاء وترشيد الإنفاق، وذكر الآية الكريمة للتحكم بسلوك الفرد المسلم لأنه ملتزم بشرعه مراعي للجماعة، وفيه أيضاً تنبيه لخطورة الجشع والاستهلاك الإسرافى يتضح ذلك في ربطه الشراء بالشهوة^(٢).

وهذا الأمر - أي التوسع في الإنفاق - يعده الخبراء الاقتصاديون أحد أسباب الأزمات المالية العالمية؛ حيث تتفاقم المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد التقليدي حيث

(١) حلية الأولياء (٣٢/٨)، وينظر: تاريخ دمشق: (٦/٢٨٢). البداية والنهاية، لابن كثير: (١٠/١٤٥).

(٢) ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية: ٦٠ - ٦١.

الموارد (العرض) محدودة والحاجات غير متناهية (الطلب) لاتجاه هذا الاقتصاد بفلسفته نحو مزيد من الإنفاق وبالتالي إيجاد مزيد من الموارد، كما يتوجه إلى تحفيز الطلب بشتى الطرق. ويشكل كل ذلك مدخلاً للأزمات وكأنها حلقة مفرغة^(١).

فحري بمن يتصدى للابتكارات الاقتصادية أن يراعي هذا الملحظ في الأدوات الابتكارية المالية أو الأنظمة والبرامج الاقتصادية التي يرتجى منها أن تكون حلولاً دائمة وفعالة تتجنب توجه المستهلك نحو السرف والتبذير بدون طائل، ولا تنعكس سلبيات بأزمات مالية مماثلة.



(١) المرجع السابق: (٦٢).

المبحث الثالث

الآفاق المستقبلية وفق معطيات الواقع والمتوقع للاقتصاد الإسلامي المبتكر

في نمط الحياة الإسلامي، وتأثيره على حياة الناس

المطلب الأول: التحديات التي تواجه الابتكارات الاقتصادية الإسلامية:

١- إن من أهم التحديات التي تواجه الابتكار الإسلامي، هو محاكاته الفكر الاقتصادي التقليدي في بناء التحليل الاقتصادي على مفاهيم مستمدة من النظرة الدنيوية الغربية للحياة والأنانية المفرطة وإبعاد الأخلاق والدين عن الاقتصاد، ومن أهم هذه المفاهيم مفهوم الإنسان الاقتصادي الذي يسعى لتحقيق مصلحته دون نظر إلى أثر ذلك على الآخرين، ومفهوم التناسق المزعوم الذي يحققه السوق بين المصالح الخاصة والعامة من خلال اليد الخفية، ومفهوم السعادة الإنسانية المبنية على اللذة الحسية، والوضعية التي تعنى ضرورة استقلال الاقتصاد عن الأحكام القيمة المستمدة من الدين والأخلاق إلى جانب قصر الهدف النظري للفكر الاقتصادي على وصف وتفسير الواقع من أجل إمكانية التنبؤ بما يحدث في المستقبل.

ولقد «ثبت بالتحليل المنطقي والواقع الفعلي خطأ هذه النظرة الغربية للحياة وبالتالي التشكك في المفاهيم الأساسية والتي يقوم عليها الاقتصاد الغربي التقليدي، فكيف للفكر الاقتصادي الإسلامي أن تكون له شخصيته المتميزة وهو يقوم على نفس منطق النظام الذي يسعى للحلول محله»^(١).

(١) التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، محمد عبد الحليم عمر: (٨).

٢- «إن إيجاد أكبر عدد ممكن من أدوات المالية الإسلامية لتلبية الاحتياجات المختلفة للمستثمرين والمقترضين على حد سواء يشكل تحدياً كبيراً للمنظومة المالية الإسلامية الجديدة.

٣- وعلى الرغم من المستوى الذي وصلت إليه الابتكارات في أدوات المالية الإسلامية إلا أن هذه الابتكارات تواجه مجموعة من الصعوبات والعوائق منها ما يتعلق بالمواءمة مع الشريعة الإسلامية نتيجة اختلاف التأويلات حسب المدارس الفقهية ومنها ما يتعلق بصعوبة التطبيق على أرض الواقع.

٤- «البنوك الإسلامية تواجه تنافساً كبيراً مع البنوك التقليدية، وبالتالي فإن العمل على دعم الابتكارات التكنولوجية وتطويرها لتحقيق المزيد من سهولة الخدمات البنكية للمتعاملين يعتبر خياراً ضرورياً، والعمل من أجل تصميم هذه الابتكارات لتوائم شروط ومتطلبات المالية الإسلامية يعتبر تحدياً حقيقياً»، «فمن أجل المنافسة والاستمرارية تحتاج البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية إلى تقديم مزيد من الدعم والاهتمام بالابتكارات سواء تلك المتعلقة بأدوات المالية الإسلامية أو تلك المتعلقة بالتسويق أو بالابتكارات التكنولوجية»^(١).

٥- ومن أكثر التحديات التي يواجهها النظام الرقمي في دول الخليج، هو نقص عدد المبتكرين الخليجيين في هذا المجال، فمن بين أكثر من ٤٥٠ مليون متحدث

(١) مقال: تطوير الابتكارات في المالية الإسلامية، الإمام محمد محمود، <https://islamonline.net/22002>، وينظر بحث: مستقبل المصارف الإسلامية في ظل التقدم التكنولوجي، حسين عبد المطلب الأسرج، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، <https://giem.kantakji.com/article/details/ID/555>.

باللغة العربية، أي ٧٪ من مجموع سكان العالم، لا يشكل المحتوى العربي على شبكة الإنترنت سوى ٢٪ من المحتوى العالمي على الشبكة^(١).

إن رأس المال البشري هو حجر الزاوية للاقتصاد القائم على المعرفة، ويمكن القول إنه إذا لم يكن للشباب العربي بشكل عام والخليجي بشكل خاص حضور في التكنولوجيا، فإن أفكارهم وهمومهم والتصاميم التي يرغبون فيها في نمط حياتهم لن تشتمل عليها السيارات، والبنية التحتية، والطب، والاتصالات وغيرها في المستقبل القريب.

المطلب الثاني: الحلول من أجل ابتكارات اقتصادية فعالة، تدفع بعجلة التطور الاقتصادي، وتضمن الاستقرار العالمي:

من خلال ما تم عرضه من تحديات تواجه القطاع الاقتصادي في عالم جرب الكثير من النظم والاتجاهات الغربية والشرقية التي حاولت أن تكون ملاذاً آمناً للمالية العالمية، والتي لم يخل نظام منها من إخفاق وخلل، انعكس سلباً على اقتصاد المجتمعات والدول، فظهرت الأزمات المالية العالمية، وظهر الكساد، والفقر والتخلف وغيرها كانعكاسات سلبية لتلك الاتجاهات، كان لزاماً البحث عن الحلول الناجعة لتلك الإخفاقات، ومن تلك الحلول المطروحة:

١ - الاهتمام بتفعيل المرتكزات الأساسية للإسلام في الابتكارات الاقتصادية المأمولة، وهي شعب ثلاث: العقيدة والشريعة والأخلاق، وبالتالي يجب على مبتكري

(١) دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨/٢٠١٦م. (٢٣)

ومطوري الاقتصاد الإسلامي أن تركز ابتكاراتهم على هذه الشعب الثلاث سواء في التحليل الاقتصادي أو وضع النظام الاقتصادي الأمثل.

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الآليات الاقتصادية التي أثبتت نجاحها كفريضة الزكاة عندما تولت إدارتها الدولة، أثبتت قدرتها على حل مشكلات المجتمع الاقتصادية بجدارة وكفاءة ليس لها نظير، فحري أن يعاد النظر في التمهيد لعودة دور الدولة في إدارة الزكاة وعودتها أداة اقتصادية فاعلة. وكذلك سائر النظم والمرتكزات الإسلامية للاقتصاد.

٢- ليس المطلوب من دراسة الابتكار الاقتصادي هو مجرد التوقف عند حد دراسة ما هو كائن بوصف وتفسير السلوك الاقتصادي الواقعي، بل يجب أن يكون الهدف من الابتكار في الاقتصاد الإسلامي هو تحقيق الرفاهية الإنسانية المطلوبة شرعا في التوسعة على الناس وجعل الحياة مناخا مناسباً لهم للاستثمار للأخرة، ولا يكون ذلك في ظل حياة الشظف والعوز والحاجة للأساسيات فقط، ويجب ربط تحقيق هذا الهدف بمقاصد الشريعة الإسلامية، وبالنظر للحاجات المادية والروحية وبالتوازن بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة. ولا عجب أن الحضارات لم تزدهر إلا بوجود مقومات أساسية من أهمها القوة الاقتصادية الفاعلة.

٣- زيادة الاهتمام بالاستثمار في البحث والتطوير والتعليم، لأن البحث والتطوير يعد أهم عنصر من عناصر الإستراتيجية الوطنية للابتكار، وذلك من خلال زيادة الاستثمارات في كل قطاعات التكنولوجيا المتقدمة الرئيسة. والتعليم قادر على توفير

كل الإمكانيات والفرص من أجل ابتكار أفكار وحلول اقتصادية مناسبة لظروف الدول ومواردها، بشكل مبني على البحث العلمي المنهجي.

وإن الأمل معقود على المبتكرين الذين يتكرون الحلول، ويهندسون الخطط ويصوغون القرارات، ويرسمون خرائط المستقبل في ضوء الحاجات والضرورات والملحات، بل الصعوبات والإشكالات والتحديات، لوطن يسير بخطى ثابتة ووثيقة نحو مستقبل مشرق، مُستشرفة تحدياته، ومتأهبة ومُستعدة عقول أبنائه لمواجهة مفاجآته. إن التسلح بالمهارات الابتكارية ليس فطرياً، بل هو مكتسب، ومن هنا فإن الاستثمار الحقيقي يكمن في استثمار العقول البشرية المبدعة، والتي تستطيع طي قرون من التأخر الزمني من خلال «الابتكار».

٤- ضبط عمليتا الإنتاج والاستهلاك، ضبطاً ممنهجاً بآلات مبتكرة، تضمن الوصول بالأسواق لحركة منتعشة نشطة من خلال التركيز على توفير السلع الأساسية للبشر والتي لا غنى عنها مثل: الغذاء، والدواء، والمساكن، وخدمات التعليم، والمواصلات، والاتصالات. . مما سيؤثر على عجلة الإنتاج إلى دورتها الطبيعية، بحيث تكون قادرة على إيجاد الوظائف واستيعاب العاطلين عن العمل.

والابتكار في أساليب الإنتاج للوصول إلى أفضل المنتجات بجودة عالية بأفضل التكاليف الممكنة يجب أن يوازيه توجيه الاستهلاك نحو الانضباط الذي يحمي المجتمعات من الأزمات المالية والبيئية، ويؤذن باستدامة وأمن اقتصادي بعيد المدى.

٥- ضرورة عقد الشراكات الدولية لمواجهة التحديات الاقتصادية، خاصة بين دول العالم الإسلامي. فكما أن الشراكة الجوهرية التي تجمع القطاعات الخاصة والعامّة في حدود الدول ذاتها من شأنها تعزيز مسارات التنمية البشرية والاقتصادية؛ فإن العالم الإسلامي بما يحويه من مقومات النمو الاقتصادي يمكن أن يحقق مفتاحاً لمزيد من الاستقرار والتنمية في عالمنا إذا نجح في بناء الشراكات بين دوله من جهة ودول العالم من جهة أخرى، وذلك بالإفادة من اختلاف مواردها وتطوير أنظمة التعاون بينها، مع الاستمرار في تطوير خدمات إسلامية تتناسب مع التنمية في العصر الراهن.

٦- إنشاء «مرصد الاستشراف الاقتصادي» التي تقوم بتتبع المتغيرات والتي تستطيع أن تقدم رؤى مستقبلية (باستعمال وسائل الاستشراف وعلم المستقبليات) والتي تمكن من اتخاذ القرارات السليمة التي توصل إلى المستقبل المرغوب والمستدام، على غرار دور «يوسف» عليه السلام الذي رسم السيناريوهات المحتملة الوقوع، واليوم الدول العربية - خاصة المصدرة للبتروك منها (الاقتصاديات الريعية) - هي أحوج لدراسة استشرافية من النمط الإسلامي «المذكور في قصة يوسف عليه السلام» تحلل تاريخها، وتنير حاضرها وترسم (أو تصنع) مستقبلها خصوصاً ما يعرف: «بسيناريوهات ما بعد البترول» (السنوات العجاف)^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



(١) الاستشراف الاقتصادي من الاقتصاد الإسلامي (إعجاز اقتصادي في القرآن الكريم)، عويسي أمين، مجلة الاقتصاد الإسلامي، <https://giem.kantakji.com/article/details/ID/473>

قائمة المصنّاور

- أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم. فيان صالح علي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد (٧)، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
- الأحكام السلطانية، الماوردي، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط(١)، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- الاستخراج لأحكام الخراج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١)، ١٤٠٥هـ.
- الإستراتيجية الوطنية للابتكار، موقع حكومة الإمارات:
<https://www.government.ae>
- الاستشراف الاقتصادي من الاقتصاد الإسلامي (إعجاز اقتصادي في القرآن الكريم)، عويسي أمين، مجلة الاقتصاد الإسلامي،
<https://giem.kantakji.com/article/details/ID/473>
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، محسن عبد الحميد، دار المنارة، جدة- السعودية، ط(١)، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط(٢).
- الإعجاز العلمي في التخطيط الإستراتيجي وإعداد الموازنات، د. خلف عبد الله الوردات، ١/٥/٢٠١٢م موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،
<http://quran-m.com/quran/article>
- الاقتصاد الجزئي - جي هولتي ولسون - ترجمة د. كامل سلمان العاني، نشر دار المريخ بالسعودية ١٩٨٧م.
- الاقتصاد الجزئي - جيمس جوارنتي وريتشارد ستروب، ترجمة د. محمد عبد الصبور محمد علي - نشر دار المريخ بالسعودية - ١٩٨٧م.

- إنجازات عمر بن الخطاب الحضارية، د. محمد العبدية، موقع المسلم:
<http://almoslim.net/node/138897>
- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، دون (ط).
- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، محمد سهيل طقوش: الناشر: دار النفائس، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق، محب الدين العمروي، دار الفكر.
- التجديد في الفكر الاقتصادي الإسلامي، د. محمد عبد الحلیم عمر، مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الدورة (١٣)، مصر.
<http://webcache.googleusercontent.com>
- تطوير الابتكارات في المالية الإسلامية، الإمام محمد محمود، ٩ / ٧ / ٢٠١٧م،
<https://islamonline.net>
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط (١)، ١٤٠٥هـ، (١٢٢).
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- حاجة المجتهد إلى الاجتهاد المقاصدي، د. ماهر حامد الحولي، الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود. موقع: المكتبة الشاملة.
- الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ٢٠٠٢م.
- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (٤)، ١٤٠٥هـ.

- الخراج في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، دراسة تحليلية في الجذور والتطور، محمد إسماعيل محمد إسماعيل، رسالة ماجستير، ٢٠١١م.
- دور الابتكار والإبداع المستمر في ضمان المركز التنافسي للمؤسسات الاقتصادية والدول، «دراسة حالة دولة الإمارات»، نيفين حسين محمد، وزارة الاقتصاد، إدارة التخطيط ودعم القرار، ٨ / ٢٠١٦م.
- دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، ختام عارف حسن عماوي، رسالة ماجستير، ٢٠١٠.
- السلوك الاقتصادي في القرآن، نورالدين بشير، الاثنان ١٤ ديسمبر ٢٠٠٩: www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6069
- السنن الكبرى، للبيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- صناعة الهندسة المالية نظرات في المنهج الإسلامي، د. سامي سويلم، مركز البحوث، شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، رمضان ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م.
- ضوابط الاستهلاك وحماية المستهلك في الشريعة الإسلامية، د. خليفة بابكر الحسن، ١١ / ٦ / ٢٠١٦م. صحيفة الاقتصاد الإسلامي: [/http://www.aliqtisadalislami.net](http://www.aliqtisadalislami.net)
- الضوابط الإسلامية للاستثمار، د. محمد عبد الحلیم عمر، يناير ١٨، ٢٠١٦: <http://www.aliqtisadalislami.net>
- ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، سامر مظهر قنطجي، دار النهضة، ط(١)، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار الفكر - بيروت.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- في مصادر التراث الاقتصادي الإسلامي، ياسر عبد الكريم الحوراني، (١٧١)،
مجلة: إسلامية المعرفة، العدد (٢٠)، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت ط (١).
- المحلى الآثار شرح المجلى باختصار، لابن حزم، المحقق: عبد الغفار سليمان
البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- مستقبل المصارف الإسلامية في ظل التقدم التكنولوجي، حسين عبد المطلب
الأسرج، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية،
<https://giem.kantakji.com/article/details/ID/555>
- مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥.
- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، نزيه حماد، المعهد العالمي للفكر
الإسلامي، الولايات الأمريكية، - ط ١، ١٤١٤ هـ.
- معجم المعاني: <https://www.almaany.com>
- مقاييس اللغة لابن فارس، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١، مادة: قصد
(٣/١٣٢).
- المقدمة، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، تحقيق:
عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ م.
- مؤسسة بيت المال في النظام الإسلامي، عطية عدلان، ص (٦٦):
<http://ilahiyat.siirt.edu.tr/dosya/personel/20171410850515.pdf>
- الموسوعة الاقتصادية، عبد المهدي، عادل والهوندي، د. حسن، ط ١، بيروت:
دار ابن خلدون، ١٩٨٠ م.
- يوسف العبقري الاقتصادية. دروس مستفادة، فهد بن عبد الله القاسم -
صحيفة: الاقتصادية الثلاثاء ١١ مايو ٢٠١٠:
http://www.aleqt.com/2010/05/11/article_391226.html





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

الاقتصاد الإسلامي الرقمي بين الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي

إعداد

د. بلعيد عبد الله

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

جامعة عباس لغرور - خنشلة / الجزائر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



يستند الاقتصاد الرقمي أو اقتصاد المعلومات أو الاقتصاد الإلكتروني على تكنولوجيا المعلومات والاتصال، واستخدام الابتكار والتطور التكنولوجي، والتقنية المعلوماتية الرقمية، واقتصاديات المعرفة، ويتميز بدخول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مختلف الأنشطة الاقتصادية، ويعمل على نشر المعلومة والمعرفة الإلكترونية في أوساط أفراد المجتمع، لدواعي توفير الوقت والجهد ودقة المعلومات، مما أدى إلى تسمية هذا النوع من الاقتصاد باقتصاد المعرفة، والمجتمع الحاضن له بالمجتمع الشبكي أو المجتمع اللاسلكي. والاقتصاد الرقمي قائم على الانترنت أو الويب، والتكنولوجيا الخلوية، وتكنولوجيا الاتصالات عن بعد، والمنتجات المادية المزودة بالمعالجات المصغرة، والوسائط المتعددة، بالإضافة إلى المنتجات الرقمية، ويوظف الوسائط الإلكترونية والمعرفة العلمية الدقيقة في إدارته، باعتبارها وسيلة للإبداع والتطوير، والمصدر الأساسي للابتكارات الجديدة، كما أنها المورد الجديد للثروة. ويشمل الاقتصاد الرقمي البرمجيات والمعلومات والأعمال الإلكترونية وتكنولوجيا المعلومات والاتصال، وخدمات التوصيل الإلكترونية،

وأيضاً التجارة الإلكترونية. وأضحت الموارد الهامة في الاقتصاد الرقمي تتبلور في الذكاء المتجسد في برامج الكمبيوتر والتكنولوجيا والإبداع والابتكار وكل المعارف الفنية، التي لها أهمية تفوق أهمية رأس المال، أو الموارد الطبيعية، أو العمالة. ويعمل الاقتصاد الرقمي أيضاً على تسويق العديد من المنتجات البنكية سواء بالجملة أو عن طريق التجزئة باستعماله لقنوات التوزيع الإلكترونية المختلفة، وهو ما يسمى بالبنوك الإلكترونية، كما له أثر كبير في تحديد الإنتاج والمهارات والتوظيف، ومن ثم الزيادة في القدرة التنموية وتحقيق التبادل التجاري الإلكتروني.

ويمكن الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعالمية المعرفة، وكل ما أوردناه سابقاً حول الاقتصاد الرقمي في بحوث الاقتصاد الإسلامي، وبالتالي نقل نشاطه الاقتصادي من إنتاج وصناعة السلع إلى إنتاج وصناعة الخدمات التي تعتمد على الجانب التكنولوجي، ومن ثم إنشاء وتطوير وتنظيم الاقتصاد الإسلامي الرقمي، وتحديد وإثراء واختبار واقع الخدمات الإسلامية الرقمية للحصول على المعرفة وتوظيفها وابتكارها ليصبح أكثر استجابة مع تحديات العولمة وانسجاماً مع التنمية المستدامة بمفهومها الشمولي التكاملي، والتحول في تنفيذ المهام والأعمال من الشكل التقليدي إلى الشكل الآلي، شريطة أن يكون كل ذلك موافقاً للأحكام الإسلامية، وأن يجمع بين المصدقية الشرعية والكفاءة الاقتصادية، فأساس المصدقية الشرعية تكمن في كونها إسلامية، أما الكفاءة الاقتصادية فتكمن في القدرة على ابتكار أدوات تكون منافسة للأدوات التقليدية وتلبية الاحتياجات الاقتصادية المتزايدة

والمتمامية، خاصة وأن الإسلام دين يدعو إلى الاستفادة من ثمرات وتطبيقات شتى العلوم والحضارات، بهدف تحسين نوعية الحياة بكافة مجالاتها.

فكل هذه العمليات التي يمكن أن يقوم بها الاقتصاد الإسلامي الرقمي تعمل على تحسين العلاقات بين كل الأطراف المعنية بأي عملية اقتصادية أو تجارية أو تسويقية أو تصنيعية أو تعليمية أو إدارية أو تأمينية أو أي عملية أخرى من شأنها أن تغير من أسلوب نمط الحياة الإسلامي، وتدخل الفرحة والبهجة والسعادة ونيل الخير الكثير، وغرس الطمأنينة في النفس وتحقيق الرضا وراحة البال، وذلك لما يتمتع به الاقتصاد الإسلامي الرقمي من إتاحة الفرص للمنتجات والخدمات بأن تتطور وتنمو عبر الشبكات المعلوماتية.

وسوف نحاول في هذا البحث التركيز على ثلاث متغيرات أساسية: المتغير الأول يتمثل في البحث في الاقتصاد الإسلامي الرقمي، ماهيته ومحتواه والتحديات التي يفرضها لمواكبته، وأهم تطبيقاته في حياة أفراد المجتمع، ويتطرق المتغير الثاني إلى ابتكارات الاقتصاد الإسلامي الرقمي وما حققه من قفزة نوعية جديدة بالبحث وبالاهتمام، بينما يتناول المتغير الثالث المهم والرئيس في هذا البحث أثر ابتكارات الاقتصاد الإسلامي الرقمي في بعث الراحة وخلق جو من الاستقرار النفسي والوجداني أمام الكم الهائل من المنافع المختلفة والمتعددة، لإشباع الرغبات المتنوعة، وتحقيق السعادة في نمط الحياة الإسلامي. وعليه فإن إشكالية البحث

تتمحور في التساؤل الرئيس الآتي: ما هي الآثار التي يمكن أن تجسدها ابتكارات الاقتصاد الإسلامي المعرفي والرقمي لإضفاء السعادة والإيجابية على نمط الحياة الإسلامي؟

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد الإسلامي الرقمي، الابتكارات، السعادة.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

أضفى الاقتصاد الإسلامي الرقمي بعدا جديدا على الاقتصاد الإسلامي، بعد أن أصبح جزءا مهما من نمط حياة الكثير من المسلمين حول العالم، بهدف تحسين نوعية الحياة بكافة مجالاتها وأنشطتها، خاصة فئة الشباب، بحيث مست كل جوانب نشاطه من إنتاج وتوزيع وتبادل، وأنماط إنفاق، ونسبة استهلاك، وحتى داخل كل مجال من هذه المجالات. ويتميز الاقتصاد الإسلامي الرقمي بالعمل على بناء مجتمع المعلومات عن طريق تسخير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل تحقيق العديد من الأهداف التنموية. وتتجلى آفاق النمو الواسعة للاقتصاد الإسلامي الرقمي مع ظهور العديد من الخدمات الإلكترونية بقدراتها الهائلة على الاختزان وسرعتها الفائقة في التجهيز والاسترجاع مع تقنيات الاتصالات بعيدة المدى بقدراتها على تخطي الحواجز الجغرافية، بالإضافة إلى المصغرات بقدراتها الكبيرة على توفير الحيز اللازم لاختزان الوثائق وتطبيقات الأجهزة الذكية، ووسائط الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات. وتحولت معظم الأعمال العضلية إلى أعمال ذهنية، وأصبح الإنتاج لا يعتمد على العمالة وعلى المواد الأولية والموارد النادرة فحسب بل يعتمد على وفرة تكنولوجيا المعلومات وتجهيزها واختزانها وتقنية الاتصالات، بالإضافة إلى إنتاج المعطيات والمعلومات، وعلى الحاسبات الإلكترونية أو التقنيات الرقمية وشبكات الإنترنت خاصة خدمة البريد الإلكتروني وخدمة بروتوكول نقل الملفات

وخدمة العميل والخدام وغيرها، وتحولت دول العالم المهيمنة من البحث والتنافس من أجل الحصول والسيطرة على مصادر الموارد الطبيعية المتاحة والنادرة إلى البحث والتنافس من أجل التمكين والسيطرة على أكبر قدر ممكن من التكنولوجيا.

إن كل هذا الابتكار، وما أحدثه من تغيير في أساليب نمط الحياة الإسلامي، له أهمية كبيرة في إضفاء السعادة على الإنسان بل هي أسرع وسيلة للسعادة، لأنه يؤدي إلى راحة البال، وغرس الطمأنينة في النفس البشرية في كثير من الأشياء، وهذه الطمأنينة هي عين السعادة، فالسعادة هي الرضا بما تناله النفس من الحاجات والمنافع والخيرات، وهي كل ما يفرح الإنسان ويدخل عليه السرور بحيث يصبح سعيداً، فما على الإنسان المسلم إلا أن يستخدم هذه التكنولوجيا وهذا الابتكار، فهو أحق بها من غيره شريطة موافقتها لأحكام دينه الإسلامي. وفي هذا السياق تأتي دراستنا لهذا البحث، لتوضيح الآثار التي يمكن أن تجسدها ابتكارات الاقتصاد الإسلامي المعرفي والرقمي لإضفاء السعادة والإيجابية على نمط الحياة الإسلامي.

مشكلة البحث: من خلال المنطلق السابق، فإن إشكالية البحث تكمن في التساؤل الرئيس الآتي: ما هي الآثار التي يمكن أن تجسدها ابتكارات الاقتصاد الإسلامي المعرفي والرقمي لإضفاء السعادة والإيجابية على نمط الحياة الإسلامي؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة عدة تساؤلات فرعية منها:

- ما مفهوم الاقتصاد الإسلامي الرقمي؟ وما هي سماته والخصائص والركائز العامة التي يقوم عليه؟ وما هي أهم مميزاته؟ وما مدى تطوره؟

- ماذا تشمل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وما هي خصائصها، وكيف انعكس بروزها على تطور الاقتصاد الإسلامي الرقمي؟
- كيف يمكن أن يساهم تفعيل دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق أهداف الاقتصاد الإسلامي الرقمي؟ وما هي آثاره على إضفاء السعادة على نمط الحياة الإسلامي؟

فرضيات البحث: تأسيساً على مشكلة البحث فإن هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق الفرضيات الآتية:

- يحقق تفعيل وتكثيف التعامل بالاقتصاد الإسلامي الرقمي آثاراً إيجابية على الاقتصاد الإسلامي، للعديد من القطاعات الاقتصادية.
- يساهم الاقتصاد الإسلامي الرقمي في تطوير الجانب العلمي والتكنولوجي ومواجهة القضايا التنموية.
- يساهم الاقتصاد الإسلامي الرقمي والمعرفي في إضفاء السعادة على نمط الحياة الإسلامي، بما يحقق من خدمات، وبما يقدم من تسهيلات للأفراد والمجتمعات.

أهمية البحث: تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تطرقت إليه، فهي تعالج ظاهرة الاقتصاد الإسلامي الرقمي، الذي يلعب دوراً فعالاً في زيادة النمو الاقتصادي للدول، ويعد إحدى سمات الاقتصاد القائم على المعرفة وعلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مختلف المجالات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وبناء مجتمع المعلومات وتشبيد التجارة الإلكترونية، إذ أن هذا

التطور في الاقتصاد الرقمي أدى إلى إحداث نقلة مهمة في مجال وسائل الدفع، مما سيضفي الرضا على المتعاملين والعملاء، ويخلق جو من السعادة والطمأنينة.

أهداف البحث: يتمثل الهدف العام للبحث في محاولة تسليط الضوء على مفهوم وطبيعة وخصائص وسمات الاقتصاد الإسلامي الرقمي، وأهم ابتكاراته في مجال الاستعمال الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومحاولة تحديد أهم آثاره الاقتصادية والاجتماعية في إدخال الطمأنينة والرضا والسعادة لدى الأفراد والمجتمعات، باعتباره من المواضيع الحديثة نسبياً، وأحد المستجدات الحديثة في عولمة الاقتصاد.

أسباب اختيار البحث: وقع اختياري لهذا البحث لحدثة موضوع الاقتصاد الإسلامي الرقمي، واحتلاله الصدارة على المستوى الدولي، سواء كان في التقارير أو الملتقيات الدولية، والفرص التنموية التي يقدمها في مختلف المجالات التنموية، واستخدامه لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تتسم بالتطور والنمو السريع، والتي تعمل على توفير الوقت والجهد والتخفيف في التكاليف، وكذلك الرغبة والميول الشخصي لدراسة هذا الموضوع لأنه حديث النشأة وذو أهمية كبيرة، ولم يحظ بالدراسات والبحوث الكافية، وكذلك بغية توفير دراسة تساهم ولو بجزء يسير في تكوين تصور واضح عن واقع الاقتصاد الإسلامي الرقمي، والتعرف على أهم التطورات العلمية الحاصلة عليه خاصة في عصرنا هذا، عصر التكنولوجيا الرقمية والسريعة ذات الأهمية الكبيرة في إضفاء السعادة في نمط الحياة الإسلامي، وتحقيق الرضا المهني.

منهجية البحث: اقتضت طبيعة البحث التعامل مع عدة مناهج متكاملة ومتناسقة من أجل الإلمام بمحاور الدراسة، فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على تجميع البيانات والمعلومات وتحليلها عند التعرض إلى المفاهيم النظرية المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي الرقمي والسعادة والايجابية في نمط الحياة الإسلامي، والوقوف على عناصر الظاهرة وتوضيح ما بينها من علاقات، كما تم استخدام المنهج التاريخي لاستعراض أهم التطورات التي مر بها الاقتصاد الإسلامي الرقمي، وقد توخيت في تناول البحث السهولة وإيضاح النقاط التي تناولتها بإيجاز غير مخل، أما عن أدوات الدراسة المستخدمة في هذا البحث فتمثل في البحث المكتبي الأكاديمي للأبحاث والدراسات والبيانات السابقة، والكتب والمجلات المتعلقة بالموضوع باللغتين العربية والأجنبية، والرجوع إلى بعض الكتب والأبحاث المتخصصة بموضوع الاقتصاد الإسلامي الرقمي وأبحاث الندوات والمؤتمرات الخاصة بهذا الموضوع، للوصول إلى الأهداف التي رسمتها للبحث، ومن أجل إعطاء صبغة منفردة تتماشى مع المستجدات الراهنة تمت الاستفادة أيضا من بعض المواقع الإلكترونية التي لها صلة بموضوع البحث.

هيكل البحث: حتى نجيب على إشكالية البحث ونحقق أهدافه، ونعطي الموضوع محل الدراسة حقه من التدقيق والتحليل، ونسلط الضوء على محتواه ومختلف جوانبه، قمنا بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، تتقدمهم مقدمة، وتليهم خاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل مشكلة البحث - فرضيات البحث - أهمية البحث - أهداف البحث - أسباب اختيار البحث - منهجية البحث - هيكل البحث.

المبحث الأول: مفاهيم عامة حول الاقتصاد الإسلامي الرقمي.

المبحث الثاني: ابتكارات الاقتصاد الإسلامي الرقمي.

المبحث الثالث: أثر ابتكارات الاقتصاد الإسلامي الرقمي في إضفاء السعادة على نمط الحياة الإسلامي.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.



المبحث الأول

مفاهيم عامة حول الاقتصاد الإسلامي الرقمي

المطلب الأول: مدخل للاقتصاد الإسلامي الرقمي:

أولاً: تعريف الاقتصاد الإسلامي الرقمي وخصائصه:

١ - تعريف الاقتصاد الإسلامي الرقمي: يعود ظهور الاقتصاد الإسلامي الرقمي الرقمي أو الإلكتروني أو اقتصاد الإنترنت أو الشبكي أو حتى الاقتصاد الجديد إلى التطورات التي شهدتها الاقتصاد الجديد، وهو لا يختلف عن الاقتصاد الرقمي ما دام لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية وهو من المفاهيم الحديثة التي جاءت لتفسر الظاهرة التي دخلت بالاقتصاد العالمي المتطور باعتباره أكبر اقتصاد في العالم خاصة الاقتصاد الأمريكي إلى دائرة الإنتاجية العالمية والنمو المستمر والدائم، بسبب العوامل الهيكلية المصاحبة له والمتمثلة في التقدم الهائل لتكنولوجيا المعلومات والاتصال وشبكة الإنترنت، التي أصبحت المحرك الأساسي للاقتصاد الرقمي الذي حقق عائدات ضخمة، وساهم في تحقيق زيارة في الإنتاجية لهذه الدول. وارتبط الاقتصاد الرقمي بالثورة التكنولوجية وتطبيقاتها في مختلف جوانب النشاط الاقتصادي خاصة مجالات الإنتاج والاستهلاك والتوزيع والتبادل.

ويعرف الاقتصاد الرقمي على أنه ممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية في المجال الإلكتروني وذلك باستخدام وسائط تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من خلال تحسين وتسهيل وزيادة وتيرة النشاط الاقتصادي بين كل أطرافه، بما يحقق الشفافية الفورية واتخاذ القرارات المناسبة. كما يعرف الاقتصاد الرقمي على أنه ذلك الاقتصاد

الذي يستند على التقنية المعلوماتية الرقمية ويوظف المعلومات والمعرفة في إدارته، بوصفها المورد الجديد للثورة، ومصدر إلهام للابتكارات الجديدة^(١)، فهو يقوم على الإنترنت أو اقتصاد الويب، ويتعامل مع المعلومات الرقمية، والشركات الرقمية والزبائن الرقميين، والمنتجات الرقمية وكل ماله علاقة بالتكنولوجيا الرقمية.

ويقوم الاقتصاد الرقمي بتغيير أنماط الأداء الاقتصادي في المال والاستثمار والأعمال والتجارة من الشكل التقليدي إلى الشكل الفوري بما يحقق مبدأ المنافسة بالوقت أي تحسين المراكز التنافسية باستعمال عنصر الزمن.

٢- خصائص الاقتصاد الإسلامي الرقمي: تعتبر تكنولوجيا المعلومات والإنترنت والاتصالات والشبكات وغيرها الركيزة الأساسية للاقتصاد الرقمي، وتلعب دوراً أساسياً في تطويره، ويمتاز الاقتصاد الرقمي بعدة خصائص نوردتها فيما يلي:

أ- يقوم الاقتصاد الرقمي على استغلال الأفكار وليس الأشياء المادية مثل صناعة الآليات كصناعة السيارات وبناء السفن وإنتاج الحديد والصلب وغيرها، فهو يقوم على الابتكار والتعلم، الاتصالات والمعلومات، المعرفة والإبداع في توسيع نطاق الإمكانيات الاقتصادية.

ب- يغلب على الاقتصاد الرقمي الطابع العالمي، لذا فهو يساعد اقتصاد الدول التي تملك وسائله التكنولوجية على الاندماج في الاقتصاد العالمي، من خلال التجارة الإلكترونية التي توصل إلى الأسواق العالمية.

(١) بختي إبراهيم، «تنمية وتطوير المنتجات والقيمة المضافة في الاقتصاد الرقمي»، المؤتمر العلمي الدولي الأول حول أهمية الشفافية ونجاح الأداء للاندماج الفعلي في الاقتصاد العالمي المنعقد بكلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير - جامعة الجزائر، ٢٨ - ٣٠ جوان ٢٠٠٢، ص ٣.

ت- يعمل الاقتصاد الرقمي على نشر مجتمع المعلومات والمعرفة، أو ما يسمى باقتصاد المعرفة، وتشجيع الإدارة الإلكترونية والتجارة الإلكترونية والبنوك الإلكترونية، كما يوفر المعلومات الدقيقة والسريعة وسهولة الوصول إلى مصادرها لاتخاذ مختلف القرارات في هذه المكونات الإلكترونية.

ث- يصعب معرفة الحجم الفعلي للاقتصاد الرقمي وحساب قيمته المضافة، إلا أنه يساهم في الرفع في الإنتاجية الكلية والنمو والتشغيل ولو بطريقة غير مباشرة. وتحرك الثورة التكنولوجية هذا الاقتصاد خاصة مجال التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال وتطبيقاتها على مختلف جوانب النشاط الاقتصادي من إنتاج واستهلاك وتوزيع وتبادل.

ج- يعمل الاقتصاد الرقمي على تحسين العلاقات بين والجهاك والضرائب، والموردين والمصدرين، والبنوك وشركات التأمين، والمنافسين والمتعاملين، والمستثمرين والمنتجين، وأيضا تحسين العلاقة بين مختلف الأجهزة الحكومية^(١).

ح- يوفر الاقتصاد الرقمي معلومات دقيقة من الكفاءة والحدثة، والأهمية القصوى والدقة العالية، كما يمكن أن يتحقق من صحتها وفعاليتها باستعماله لوسائل وطرق حديثة.

خ- يساعد الاقتصاد الرقمي على تشخيص المشكلات الاقتصادية واقتراح الحلول المناسبة، كما يؤثر في فروع الاقتصاد المختلفة بالربط بين النماذج الاقتصادية

(١) مظفر حسن الرزوي، «مقومات الاقتصاد الرقمي ومدخل إلى اقتصاديات الإنترنت»، مركز البحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦، ص ١٣.

والبرمجيات والإنترنت وذلك لتحقيق أعلى درجات الصحة والدقة، ويعتبر الاقتصاد الرقمي محصلة التفاعل بين اتجاهات تقدم تكنولوجيا المعلومات والاتصال وبين المنظومة الاقتصادية ككل^(١).

ثانيا: أهداف الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

من بين الأهداف الذي يسعى الاقتصاد الإسلامي الرقمي إلى تحقيقها ما يلي:

- ١- العمل على بناء مجتمع المعلومات عن طريق تسخير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لأن الثروة المعلوماتية والفكرية تعتبر المحرك الأساسي للاقتصاد.
- ٢- العمل على تطوير الاقتصاد التقليدي، وإعادة تقييم بعض سياساته التنموية لاسيما فك القيود على الواردات وتخفيض التعريفات الجمركية، إزالة الحواجز الجغرافية، وتخطيط الحواجز الهيكلية، وإزالة الحواجز الزمنية، فلا يمكن وضعهما في تعارض أو تنافس بل في ترابط وتكامل.
- ٣- العمل على بعث ديناميكية فعالة للبحث والابتكار والتطوير، ووضع الإنسان في قلب الاهتمامات عبر التكوين والتأهيل.
- ٤- العمل على زيادة عوائد الاستثمار، وتشغيل الأنشطة والمشاريع الاقتصادية من خلال الإنترنت وتداول العقود الإلكترونية، وخلق الثروات وتحقيق التنمية المستدامة.

(١) إبراهيم بختي، «مطبوعة مقياس تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المؤسسة»، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة - الجزائر، ٢٠١٠ / ٢٠١١، ص ١٣.

٥- العمل على استهداف المستهلكين والوصول إليهم بشتى الطرق، ونشر صناعة الحواسيب والاتصالات الرقمية، والحصول على حصة من السوق في كل مكان في العالم.

ثالثا: أسس الاقتصاد الإسلامي الرقمي وهيكله:

١- أسس الاقتصاد الإسلامي الرقمي: يعتمد الاقتصاد الرقمي على تكنولوجيا المعلومات الرقمية خاصة عالم الإنترنت، كما يعتمد على الأسس الآتية^(١):

أ- يخضع قانون الأصول الرقمية لقانون تزايد الأرباح والعوائد، بينما في الأصول المادية تبدأ العوائد في الارتفاع إلى أن تصل إلى مستوى معين ثم تبدأ في التناقص.

ب- لا يخضع الاقتصاد الرقمي إلى انتقال زيادة حجم الإنتاج من المؤسسة الصغيرة إلى المؤسسة الكبيرة، بل يمكن القيام بالدور نفسه في نفس الوقت وفي زمن قصير، باستعمال تكنولوجيا الحديثة لاسيما الإنترنت.

ت- تتسم اقتصاديات النطاق الجديدة في الاقتصاد الرقمي بالقدرة للاستجابة لعدد كبير من الزبائن، لتتم عملية الاستثمار والإنتاج والتسويق وغيرها بطريقة آنية ولجميع المتعاملين سواء كانوا أفرادا أو جماعات كما يمكن أن تقدم في مختلف الأسواق العالمية خدمات للجميع، فهي تتعدى الحدود الزمنية والمكانية.

ث- أصبحت الشركات في ظل الاقتصاد الرقمي تتميز بالمرونة في التنظيم وفي الحجم وفي المعلومات، ونتيجة لاستعمال البريد الإلكتروني والإنترنت والأقمار

(١) نجم عبود نجم، الإدارة الإلكترونية، الإستراتيجية، الوظائف، والمشكلات، دار المرجع للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤، ص ٩٥ وما بعدها.

الصناعية وغيرها فتح الاقتصاد الرقمي مجالات واسعة أمام تبادل المعلومات بين الشركات مما أدى إلى إلغاء الحواجز التي يقوم عليها الاقتصاد التقليدي.

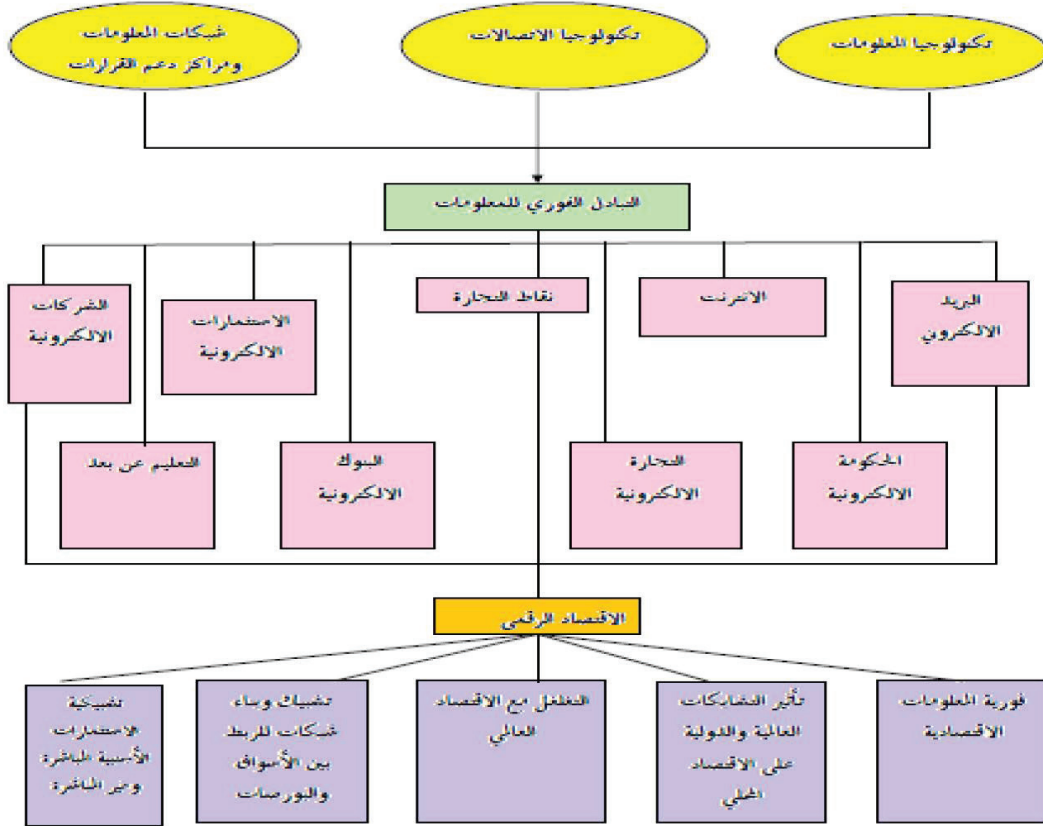
ج- تختلف المنتجات الرقمية عن المنتجات المادية في التكلفة وفي عدد الوحدات المضافة، بحيث ترتفع التكلفة ثم تنخفض في المادي وتبقى ثابتة نسبياً في حالة الرقمي، وتزيد عدد الوحدات في المادي ولكن لا تزيد في حالة المنتجات الرقمية.

٢- هيكل الاقتصاد الإسلامي الرقمي: تشكل المؤسسات الإلكترونية في مجملها الاقتصاد الرقمي، وتعتبر مواقع الإنترنت والبريد الإلكتروني وكل وسائل الاتصالات الأخرى الطريقة المثلى لتحقيق تبادل الخدمات والسلع وكذلك تحويل الأموال إلكترونياً بين البائعين والمشتريين وتسويق العديد من المنتجات المصرفية عن طريق البنوك الإلكترونية، وتكمن أهمية كل ذلك في التجديد المستمر والسرعة في المعاملات التجارية، وهي صفات تمتاز بها المعاملات التجارية^(١). وتتيح شبكة الإنترنت لمختلف الشركات بالتعريف بها، والتعريف أيضاً بنشاطها وأسواقها وأهدافها وخططها ومراكزها المالية وقابلية إنتاجها للتصدير بالاتصال الفوري بالأسواق العالمية، وهكذا تختصر المسافات والأزمة، وتحقق المصالح والأهداف بين أصحاب الشركات، بأقصر مدة وأقل تكلفة.

وفيما يلي مخطط يحدد عناصر الاقتصاد الرقمي:

(١) فريد راغب النجار، الاستثمار بالنظم الرقمية والاقتصاد الرقمي، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٤، الإسكندرية، ص ١٧.

عناصر الاقتصاد الرقمي



المصدر: فريد راغب النجار، الاستثمار بالنظم الرقمية والاقتصاد الرقمي،

مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤، ص ١٦.

المطلب الثاني: بنية ومتطلبات الاقتصاد الإسلامي الرقمي وركائزه:

أولاً: العناصر الداخلة في تشكيل الاقتصاد الإسلامي الرقمي ومتطلباته في

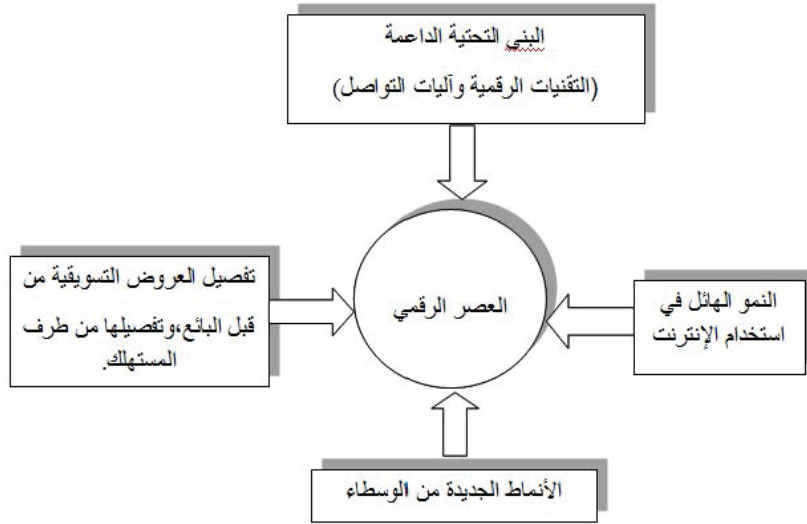
المؤسسة المالية:

١- العناصر الداخلة في تشكيل الاقتصاد الإسلامي الرقمي: العناصر الأكثر

تشكيلا للاقتصاد الرقمي هي التقنيات الرقمية وآليات التواصل التي تستخدم في دعم عمليات وأنشطة الأعمال الإلكترونية، وشبكات الاتصال الهاتفي السلكية

واللاسلكية وخدمات الأقمار الصناعية، والكيانات البرمجية، وتشغل تلك الأجهزة والأنظمة أجهزة الحاسب الآلي المحمول وآليات تخزين المعلومات، ويتم تدفق المعلومات وتنفيذها عبر شبكات عديدة كالإنترنت التي تقتصر فقط على موظفي المؤسسة دون غيرهم، وتوظف بعض تقنيات الإنترنت في البريد الإلكتروني، وبرامج التصفح وقواعد بيانات الإنترنت وإجراءات التعامل مع الشبكات، ويتم تطبيقها على صفحات الويب خاصة المؤسسات أو الأقسام أو الأفراد، وتوزيع المستندات والتوصيل الهاتفي، والتجارة الإلكترونية والأعمال الإلكترونية، ودعم المعلومات الإدارية، وخدمات مالية مثل: البنوك والسفارة وشركات التأمين، وخدمات أخرى متنوعة مثل: التعليم، البيئة، الصحة، الترفيه، النقل، الاتصال عن بعد وغيرها. وإلى جانب الإنترنت هناك الإكسترانت وهي وسيلة للتبادل الإلكتروني للمعطيات الناتجة عن ربط شبكتي إنترنت، وتحقيق التواصل بين مجموعة من الأطراف الخارجية مثل: مصادر التوريد، قنوات التوزيع، وغيرهم من الشركاء الخارجيين. كما يعتمد الاقتصاد الرقمي على الإنترنت وهي شبكة عالمية تعمل على ربط الشبكات المنتشرة عبر العالم ببعضها البعض، عن طريق خطوط الهاتف أو الأقمار الصناعية وهي مستودع ضخم لأنواع وكميات مذهلة من المعلومات، ومن أشهر الخدمات التي تقدمها الإنترنت البريد الإلكتروني والشبكة العنكبوتية العالمية للمعلومات وكذلك التبادل الإلكتروني للبيانات، وتعتبر الإنترنت وسيلة تفاعلية لأنها شبكة مفتوحة تجعل المستخدمين شركاء فاعلين في العمليات الاتصالية، ومن خلال التطور السريع للإنترنت وتقنيات التواصل استطاعت الشركات أن

تنمي قدراتها على تجميع المعلومات عن النواحي الفردية للمستهلكين والموردين والموزعين وتمكين المستهلكين ومنظمات الأعمال من التواصل والاتصال بكل الأشكال والطرق الممكنة والمفضلة لهم^(١). والشكل الآتي يوضح العناصر الداخلة في تشكيل الاقتصاد الرقمي:



المصدر: محمد عبد العظيم أبو النجا، التسويق المتقدم، التسويق العالمي - إدارة العلاقات مع العملاء-، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٣١١.

٢- متطلبات الاقتصاد الإسلامي الرقمي في المؤسسة المالية: تكمن أهمية المكاتب الإلكترونية في تشغيل المؤسسات المالية إلكترونياً، واستخدام آلات التحويل وإدارة الاستثمار، واستغلال نقاط البيع والتسديد والمقاصة والتسويات بين البنوك وكل ذلك عن طريق استخدام البريد الإلكتروني والإنترنت، والبيانات المرئية وقواعد

(١) طارق طه، «التسويق والتجارة الإلكترونية»، دار منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٦٣٢.

البيانات الفورية والنشر الإلكتروني وغيرها، وتساهم أيضا في الاحتفاظ بملفات دقيقة لكل من إدارة القروض، إدارة الحسابات بالبنوك، إدارة الاستثمارات، وإدارة سياسات التأمين. كما يتم عن طريق إدارات تكنولوجيا المعلومات التي تشمل على وحدات لتحليل النظم والبرمجة ومراقبة وإعداد البيانات إلكترونيا وتشغيل الحواسيب الإلكترونية الاحتفاظ بالبيانات المالية وتوفير أمن تلك المعلومات بأكثر أمان ودقة^(١).

ثانيا: آليات الاقتصاد الإسلامي الرقمي وركائزه:

١ - آليات الاقتصاد الإسلامي الرقمي: يساعد الاقتصاد الإسلامي الرقمي في اقتراح الحلول الاقتصادية ومعالجتها وتشخيص مشكلاتها وطرح الحلول المثلى والتطبيقية لها، ومعرفة تأثير مختلف العمليات الاقتصادية على حياة الأفراد والمجتمعات وحتى الأمم، كما يستخدم لتمييز وتحديد وتبادل المعلومات الخاصة بحقوق الملكية الفكرية والاختراعات في بيئة خاصة تمتاز بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتربط مخبر البحوث والتطوير بمخبر إدارة الاختراعات والابتكار لتسهيل عمليات الاستثمار وحركة التجارة الإلكترونية والتبادل وترويج السلع والخدمات.

٢ - ركائز الاقتصاد الإسلامي الرقمي: للاقتصاد الإسلامي الرقمي أربع ركائز

يقوم عليها وهي^(٢):

(١) فريد راغب النجار، نفس المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٥.

(٢) جمال حود مويسة، الاقتصاد الرقمي ومتطلبات استجابة البنوك إلى التحديات الجديدة، ص ٣، <http://old.elwihat.univ-ghardaia.dz/annonce/10/%D8%A7> تاريخ الزيارة:

٢٠١٨ / ٠١ / ٠٨

أ- وجود رأس المال البشري الذي يعتبر الرأس المال الحقيقي، يعنى بقطاع التعليم والتدريب.

ب- وجود قطاع مالي يوفر الاستثمارات اللازمة في مجال الابتكار، ويعمل على زيارة رؤوس الأموال لتطوير المجال الإبداعي.

ت- وجود بنية تحتية مجهزة بتقنيات حديثة تسهل عمل الاقتصاد الرقمي.

ث- وجود قاعدة قانونية وتشريعية، تؤمن وتنظم المنافسة العادلة، وتحافظ على الملكية الفكرية.

ثالثاً: واقع وآفاق الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

تم توظيف الاقتصاد الإسلامي الرقمي في الدول الإسلامية بشكل لافت للانتباه، فقد تم تطبيقه في مختلف المؤسسات والإدارات، سواء كانت تابعة للدولة (القطاع العمومي) أو كانت خاصة (القطاع الخاص) وشهد قفزة نوعية خاصة في السنوات الأخيرة على جميع النواحي والأصعدة، فقد أنفق أفراد هذه الدول على اشتراكات الهاتف النقال لوحده ما يقارب ٢١٪ من الإنفاق العالمي أي ما يعادل ٣,١ مليار دولار أمريكي، وتم إنفاق حوالي ٧٪ من الإنفاق العالمي على اشتراكات النطاق العريض (الحزمة العريضة)، أي ما يعادل ٤٢ مليون دولار^(١)، والجدول الآتي يوضح أعلى قيم الإنفاق على اشتراكات الهاتف المنقول وأعلى قيم الإنفاق

(١) مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، ص ٢٠، www.iedcdubai.ae، تاريخ الزيارة: ١٠ / ٢٠١٨ / ٠١

على اشتراكات النطاق العريض للسنتين: ٢٠١٢ و ٢٠١٣. (الإنفاق مقدرة بآلاف الدولارات الأمريكية).

الدولة	اشتراكات الهاتف النقال	اشتراكات النطاق العريض
اندونيسيا	٢٢٥,٥٧١	٢,٣٨٦
باكستان	١١٥,٨٢٦	-
مصر	٩١,٦٦٨	-
تركيا	-	٧,٧٤٨
بنغلادش	٨٧,٨٥١	-
إيران	-	٣,٠٦٧

المصدر: مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، ص ٢٠،

www.iedcdubai.ae. تاريخ الزيارة: ١٠ / ٠١ / ٢٠١٨.



المبحث الثاني

ابتكارات الاقتصاد الإسلامي الرقمي

المطلب الأول: مظاهر واستراتيجيات الاقتصاد الإسلامي الرقمي وتحدياته:

أولاً: مظاهر الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

تتجلى مظاهر الاقتصاد الإسلامي الرقمي أثناء مقارنته بالاقتصاد التقليدي، وإبراز أهم الفوارق والاختلافات بينهما، وسوف نبين ذلك ضمن الجدول الآتي:

الاقتصاد الرقمي	الاقتصاد التقليدي
النظام على الشبكة الالكترونية	النظام بيروقراطي
الأسواق متحركة وأكثر فعالية	الأسواق تمتاز بالثبات النسبي
المنافسة تكون محلية وكذلك عالمية	المنافسة عادة تكون وطنية
يقع ضمن إطار العالم	يقع ضمن إطار الدولة
اقتصاد القيمة المضافة	اقتصاد المصنع
قدرات وإمكانيات متنوعة ومتعددة ومتغيرة	قدرات وإمكانيات محدودة
الزبائن حسب الحاجة	قائم على إستراتيجية المنافسة
سوق قائم على طلب العقل البشري	سوق قائم على عرض اليد العاملة
يحتوي على عدد كبير من الزبائن عبر الشبكة	يحتوي على عدد محدود من الزبائن
الدفع يتم بطريقة الكترونية خاصة الإنترنت	الدفع يتم بطريقة تقليدية في العموم

Source : Michel Cartier , la nouvelle économie , p16 et 17 ,

http://www.michelcartier.com/Mc_Article_B.php3?id=12/01/2018.

ثانيا: مؤشرات قياس الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

توجد مجموعة من المؤشرات يمكن اعتمادها من أجل قياس الاقتصاد الرقمي وهي^(١):

١- قياس أثر وتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال والبرمجيات والإنترنت ودور الحاسوب على التركيبة الهيكلية للشركات والأسواق، وانتشار كل ذلك في أماكن العمل.

٢- دور شركات الأعمال في التطوير المستمر والمتجدد للتكنولوجيا الحديثة، وتحديد التغيرات الحاصلة فيها سواء في الحجم أو الصناعة أو الهيكل التنظيمي، واستغلالها الأمثل للتجارة الإلكترونية من خلال قياس حجمها ونمط معاملاتها الإلكترونية، وأيضا قياس كمية السلع والخدمات الرقمية.

٣- قياس الخصائص الديمغرافية للمجتمع مثل الجنس، التعليم، التشغيل، السن ومكان الإقامة، وأيضا قياس خصائص سوق العمل للأفراد والعمال وذلك في ظل الاقتصاد الرقمي، وقياس مدى استخدام الحاسوب في الحياة اليومية، لاسيما في المنازل والمدارس وأماكن العمل وربطه بنتائج المخرجات الاقتصادية مثل الأصول والرواتب.

٤- التغيرات الإيجابية أثناء تقديم مختلف الخدمات، نتيجة للتغيرات الحاصلة في بنية ووظائف وطبيعة المنافسة في الأسواق المحلية والدولية.

(١) Erik Brynjolfsson & Brian Kahin , Understanding the Digital Economy , USA , 23-Library of Congress Cataloging-in-Publication Data , 2000 , pp18

٥- قياس الجانب المادي والرقمي للبنية التحتية، ومدى التغير في الجودة بسبب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والاستغلال الواسع لها في شتى المجالات الاقتصادية كالإنتاج والاستثمار والتوزيع والتبادل، وتباين الأسعار بين السلع والخدمات المباعة بالتجارة الإلكترونية، وقياس تشتت الأسعار بين المنتجين لفهم وإدراك طبيعة تغير المنافسة في ظل الاقتصاد الرقمي، وأيضا قياس مدى استغلال هذه الثورة التكنولوجية في الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ثالثا: تحديات الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

هنالك عدد من التحديات والمشاكل التي تواجه الاقتصاد الرقمي في التعامل مع التكنولوجيا الحديثة، ومن أبرزها ما يلي^(١):

١- المنافسة الحادة والتطور المستمر والمتجدد في هذا المجال، والتسجيل يوميا على مواقع الإنترنت واستقبال أعداد كبيرة من المنخرطين.

٢- ضعف البنية التحتية المشكّلة للثورة التكنولوجية، ويتعلق الأمر بالأجهزة وشبكات وتقنيات الاتصال والمعدات المناسبة لإيجاد برامج متطورة وفعالة، وضعف العنصر البشري الكفاء الذي يتقن الوسائل الحديثة والمستحدثة في التعامل مع الشكل الإلكتروني لمصادر المعلومات.

٣- الافتقار إلى المقاييس والمعايير التي توحد التعامل مع المصادر الإلكترونية المختلفة.

(١) ناصر جلال، حقوق الملكية الفكرية والاقتصاد الجديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦، ص ٦٩ - ٧٢.

- ٤- عدم الثقة بشكل كلي للأشكال الإلكترونية، والمخاوف من الأخطاء التي يمكن أن تعصف بما هو مسطر له من نتائج وأهداف.
- ٥- مشاكل براءة الاختراع وحفظ حقوق الملكية وغيرها نتيجة للتعامل مع الشكل الإلكتروني.
- ٦- التحديات والحواجز اللغوية، حيث أن المصادر الإلكترونية بلغات متعددة من الصعب التعامل معها والاستفادة منها على الوجه المطلوب.
- ٧- صعوبة تحويل الشكل الإلكتروني للمعلومات إلى أشكال أخرى، يمكن الاستفادة منها لأغراض فردية أو جماعية خاصة ما يتعلق بالجوانب المادية والمالية.
- ٨- الصعوبة في بعض الأحيان من تحديد هوية بعض المواقع الإلكترونية، إذ نجد أن بعض هذه المواقع بأسماء مستعارة، وأيضا الخوف من الوقوع في القرصنة وغيرها.
- ٩- التغيير في المواقع الإلكترونية، ومشاكل التعامل مع الشكل الإلكتروني لمصادر المعلومات، وعدم استقرارها وانتظامها لمصادر المعلومات، يحدث حالة من الارتباك والخوف أثناء التعامل معها خاصة ما يتعلق بالمصادر الرسمية للمؤسسات.
- ١٠- توجد مشاكل في تقارب واختيار الأسماء والرموز لبعض المواقع الإلكترونية، مما يؤدي إلى حدوث عوائق عند الدخول أو الاستخدام لمواقع إلكترونية أخرى وعدم الوصول إلى تحقيق المطلوب.
- ورغم كل هذه المشاكل والصعوبات والتحديات التي تواجه تطور الاقتصاد الرقمي، إلا أنه يمكن تجاوزها باستغلال مردود تكنولوجيا المعلومات والاتصال

بطريقة علمية، وعقلانية ومعرفية، وفتح مجال التعاون بين مختلف دول العالم في هذا المجال، والعمل على تطوير وترقية التعامل بالاقتصاد الرقمي.

المطلب الثاني: دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الاقتصاد الإسلامي الرقمي وأهم تطبيقاته:

أولاً: مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخصائصها:

١ - مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: تعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أهم مظاهر الاقتصاد الرقمي الذي يقوم على مبدأ إنتاج ونشر واستخدام المعرفة، ويمكن تعريفها على أنها المكونات المادية للحاسبات الآلية والبرامج الجاهزة ونظم الاتصال أو أنها وصف لكل من الحاسبات الآلية بالمنظمة والبنية الأساسية للاتصالات، وشبكات الاتصال عن بعد، والوسائط المتعددة، وتمثل مظاهرها في معالجة، تخزين، إرسال، إدارة، تنظيم، وتتضمن جميع أنظمة المعلومات المبنية على تكنولوجيا المعلومات، وكذلك جميع المستخدمين منها، وذلك بالكفاءة والسرعة والدقة المطلوبة^(١)، وهي أيضاً مجموعة الموارد والأجهزة اللازمة لمعالجة المعلومات من أجهزة كمبيوتر وبرامج وشبكات ضرورية لإنتاج هذه المعلومات وتوزيعها واسترجاعها وعرضها، كما عرفت أيضاً تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على أنها جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة في تشغيل ونقل وتخزين المعلومات في شكل إلكتروني، وتشمل تكنولوجيات الحاسبات الآلية ووسائل

(١) علي عبد الله فرغلي، تكنولوجيا المعلومات ودورها في التسويق التقليدي والإلكتروني، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧، مصر، ص ٢٣ - ٢٧.

الاتصال وشبكات الربط وأجهزة الفاكس وغيرها من المعدات التي تستخدم بشدة في الاتصالات^(١).

٢- خصائص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: تمتلك تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مجموعة من الأدوات منها: الهاتف والتلكس والفاكس والتبادل الإلكتروني للبيانات والإنترنت والإنترنيت والالكسترنات، جعلتها تمتاز بعدة خصائص نذكر منها ما يلي^(٢):

أ- اللامركزية بفضل وجود عدد كبير من أجهزة الكمبيوتر المتصلة بشبكة الإنترنت.

ب- ظهور وسائل حديثة ومتعددة الوسائط مكنت المستعملين لهذه الثورة التكنولوجية من التخاطب والتحاور، والإرسال والاستقبال، بفضل الاستخدام الواسع للهاتف والإنترنت وغيرها، وأصبح التعامل تفاعلي ومزدوج الاتجاه بين كل الأطراف.

ت- عدم التقيد بزمن محدد بين الأطراف المستغلة لهذه الثورة التكنولوجية.

ث- اختيار أشخاص أو مجموعات بعينهم للتفاعل معها بدلا من مخاطبة كل الجماهير.

(١) سعاد بومايلة، فارس بوباكور، أثير التكنولوجية الحديثة للإعلام والاتصال في المؤسسة الاقتصادية، مجلة الاقتصاد والمانجمنت، ع٣، مارس ٢٠٠٤، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان - الجزائر، ص ٢٠٥.

(٢) سمية ديمش، التجارة الإلكترونية حتميتها وواقعها في الجزائر، مذكرة ماجستير غير منشورة في العلوم الاقتصادية، جامعة منتوري قسنطينة - الجزائر، ٢٠١١، ص ٢٤-٢٧.

ج- إمكانية الربط بين مختلف الأجهزة الاتصالية بغض النظر عن مكان تواجدها، فهذه الشبكات متاحة للجميع.

ح- إمكانية توصيل الشبكات إلى قاعدة عريضة من المستخدمين، إذ أنها تمتاز بالشيوع والانتشار.

خ- يتم تدفق المعلومات على نطاق عالمي، متخطيا بذلك للحدود الجغرافية.

ثانيا: دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

لعبت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات دورا فعالا في تطوير الاقتصاد الإسلامي الرقمي، واتخذت شكل التقدم الخطي الصاعد، مما انعكس ذلك على معظم المتغيرات الاقتصادية، فالاقتصاد الرقمي ما هو إلا استخدام مكثف للثورة التكنولوجية والمعلوماتية والمتمثلة أساسا في أجهزة الحاسوب ووسائل الاتصال الحديثة خاصة الإنترنت وغيرها، فالتطور الكمي والنوعي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد أثر كثيرا على ميلاد خدمات جديدة للاقتصاد الرقمي فقد أثر على الإنتاج والاستهلاك والتوزيع وحجم المبادلات والصفقات، وأدى إلى نشوء طريقة جديدة للقيام بمختلف العمليات الاقتصادية بين مختلف الأطراف سواء مؤسسات أو زبائن أو إدارات، فلولا هذه الثورة التكنولوجية لما كان هناك شيء اسمه الاقتصاد الرقمي. كما لعبت الثورة التكنولوجية أدوارا أساسية أخرى نبينها فيما يلي^(١):

(١) مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، اقتصاد المعلومات، تقرير ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ «تسخير العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية: النموذج الجديد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات»، ص ٢١. www.unctad.org/ar/docs/sdteecb20071overview_ar.pdf، تاريخ الزيارة: ٢٠١٨ / ٠١ / ١٢.

- ١- أصبحت الثورة التكنولوجية هي الاقتصاد بعينه، والمجتمع المعلوماتي هو القوة الاقتصادية القادمة لدول العالم.
- ٢- السرعة والسهولة في التسوق، خاصة عبر شبكة الإنترنت، وفهم احتياجات العملاء.
- ٣- سرعة الحصول على المنتجات، وسرعة وسهولة تبادل المعلومات بين المستهلكين، وزيادة القدرة التنافسية وتحسينها لدى الموردين في مجال جودة المنتج للعملاء، وتلبية رغبة أكبر قدر ممكن من احتياجاتهم.
- ٤- توسيع دائرة الأسواق المحلية والعالمية لتمكين المستهلكين للاختيار بين المنتجات المعروضة، وتقليص المسافات بينهم وبين المنتجين.
- ٥- تخفيض التكاليف الإدارية، وتكلفة العمالة، وتكاليف الاتصال، وتكاليف التخزين.
- ٦- أدى التطور الكمي والنوعي لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى ميلاد خدمات جديدة في عالم الاقتصاد الرقمي، يأتي في مقدمتها التجارة الإلكترونية، فتحسنت العلاقة مع الزبائن، ومع الموردين، وفتحت وتطورت أسواق جديدة.
- ٧- تعد تكنولوجيا الإعلام والاتصال ركيزة الإبداع وخلق المنتجات الجديدة، فهي تلعب دورا كبيرا وأساسيا في تحريك عجلة الابتكارات، التي تعود بالفائدة على المستهلكين من خلال حصولهم على منتجات تلبي حاجاتهم ورغباتهم المتنوعة، وتحقق للمؤسسة مكاسب في مجال الإنتاجية من خلال تطوير وابتكار منتجات

وعمليات تجارية وخدمات جديدة تحقق رغبات وحاجيات وضروريات وحتى كماليات وخصوصيات الزبائن.

ثالثاً: أهم تطبيقات الاقتصاد الإسلامي الرقمي:

يتشكل الاقتصاد الإسلامي الرقمي من مجموعة من المؤسسات الإلكترونية، وهي تعتمد بشكل أساسي على تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وهذه المؤسسات تتشابك مع بعضها البعض من خلال شبكات المعلومات المحلية والدولية، وتعتبر مواقع الإنترنت وتطبيقاتها الخدمية القاعدة العريضة لتحقيق التشابكات الاقتصادية بين هذه المؤسسات، لذا نجد أن للاقتصاد الرقمي عدة تطبيقات في العديد من المجالات من أهمها ما يلي:

١- الاستثمار الإلكتروني: إن سبب تطور الاستثمار الإلكتروني يعود إلى التطور الهائل للإنترنت التي أصبحت أداة فعالة لإتمام العديد من العمليات الاستثمارية، وتوفير الآليات والمعلومات الضرورية لاتخاذ القرار، والحصول على بيانات مالية بأقل تكلفة ممكنة، والوصول إلى جميع أسواق المال العالمية، فالاستثمار الإلكتروني يعتمد على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال لتداول وتبادل المعلومات المالية والاستثمارية الإلكترونية فوراً مما يقلل من مخاطر الاستثمار ويزيد من الشفافية في المعلومات، ويقلل من تكلفة ووقت الصفقات الاستثمارية، كما تستخدم الإنترنت في التعرف على المؤشرات الاقتصادية والعالمية والمحلية فوراً، ومن ثم يعتبر حال المستثمر الإلكتروني أفضل بكثير من المستثمر العادي^(١).

(١) فريد النجار، الاستثمار بالنظم الإلكترونية والاقتصاد الرقمي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية- جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤، ص ٣٠٠.

٢- الصيرفة الإلكترونية: أدى الانتشار السريع والمذهل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والابتكارات المتواصلة وعولمة الأسواق المالية والمصرفية إلى تغيرات جوهرية في طبيعة عمل القطاع المصرفي والمالي، بحيث أصبحت أكثر مرونة وديناميكية وسرعة في تقديم خدماته من خلال تزويده بطرق وآليات حديثة ومتطورة، ونتيجة لهذا التطور ظهر ما أُصطلح عليه بالصيرفة الإلكترونية، وسبب تسميتها بهذا الاسم استغلالها لدرجة قصوى للثورة التكنولوجية، في أي وقت ومكان وبسرعة فائقة وتكلفة أقل ودون أي عناء، بحيث طورت وسائل تقديم خدماتها، كما ابتكرت طرق حديثة للخدمة المصرفية اتسمت بالسرعة والجودة والكفاءة العالية في الأداء، فالصيرفة الإلكترونية هي كافة الأنشطة والعمليات التي يتم تنفيذها أو عقدها أو الترويج لها بواسطة الوسائل الإلكترونية مثل الحاسوب والهاتف والتلفزيون الرقمي والإنترنت وأجهزة الصراف الآلي وغيرها سواء تعلق الأمر بالسحب أو الدفع أو الائتمان، وذلك من قبل المؤسسات التي تتعامل إلكترونياً بالتحويلات النقدية^(١)، ومن أهم الخدمات التي تقدمها الصيرفة الإلكترونية أجهزة الصراف الآلي، خدمات عبر الهاتف المنقول، خدمات عبر الحاسوب الشخصي، خدمات نقاط البيع الإلكترونية وغيرها، وكل ذلك يتم عموماً عبر الإنترنت، كما تمثل المصارف الإلكترونية أحد مواضيع الاقتصاد الرقمي القائم على الاستخدام الواسع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، فقد عرفت الصناعة البنكية تطبيق نظم ووسائل جديدة حققت السرعة في الاستفادة القصوى لما تتيحه هذه

(١) محمد ناظم الشمري، الصيرفة الإلكترونية الأدوات والتطبيقات ومعوقات التوسع، دار وائل لنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٢٦ - ٢٩.

التكنولوجيا الحديثة، ويمكن للعميل في هذه البنوك الإلكترونية إنجاز جميع أعماله المتصلة بالبنك عبر شبكة الإنترنت سواء كان في المنزل أو المكتب أو في أي مكان أو وقت، لأن هذه البنوك ذات هياكل تنظيمية شبكية تعتمد على شبكات الحاسب الآلي في الربط بين فروعها وأنشطتها المتنوعة والممتدة في أكثر من إقليم أو دولة^(١)، وهي وسيلة إلكترونية لنقل المنتجات والخدمات البنكية التقليدية والحديثة مباشرة إلى العملاء عبر الإنترنت، وهي بذلك تمكنهم من الوصول لحساباتهم وإجراء العمليات والحصول على المعلومات دون الحاجة إلى التنقل لفروع البنوك^(٢)، وتقدم البنوك الإلكترونية خدمات للمتعاملين عن طريق توفير معلومات فورية باستخدام قاعدة بيانات دعم المتعاملين، كما تعمل على إيجاد مجتمع معلومات يحقق الشفافية ويحسن القرارات ويعمل على ترشيدها، كما تسهل هذه البنوك من تبادل المعلومات وكافة المعارف المصرفية بين البنوك الداخلية والخارجية، فالمصارف الإلكترونية تسعى إلى تحسين المركز التنافسي لها، وتعمل على نقل الخدمات والأعمال المصرفية التقليدية من أرض الواقع إلى البيئة الافتراضية في الإنترنت والحواسيب والشبكات الإلكترونية.

٣- التجارة الإلكترونية: تعتمد التجارة الإلكترونية على الحاسوب وتكنولوجيا

المعلومات والاتصال، في تبادل السلع والخدمات والمعلومات من خلال الشبكات

(١) طه طارق، إدارة البنوك في بيئة العولمة والإنترنت، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٧١ - ١٧٥.

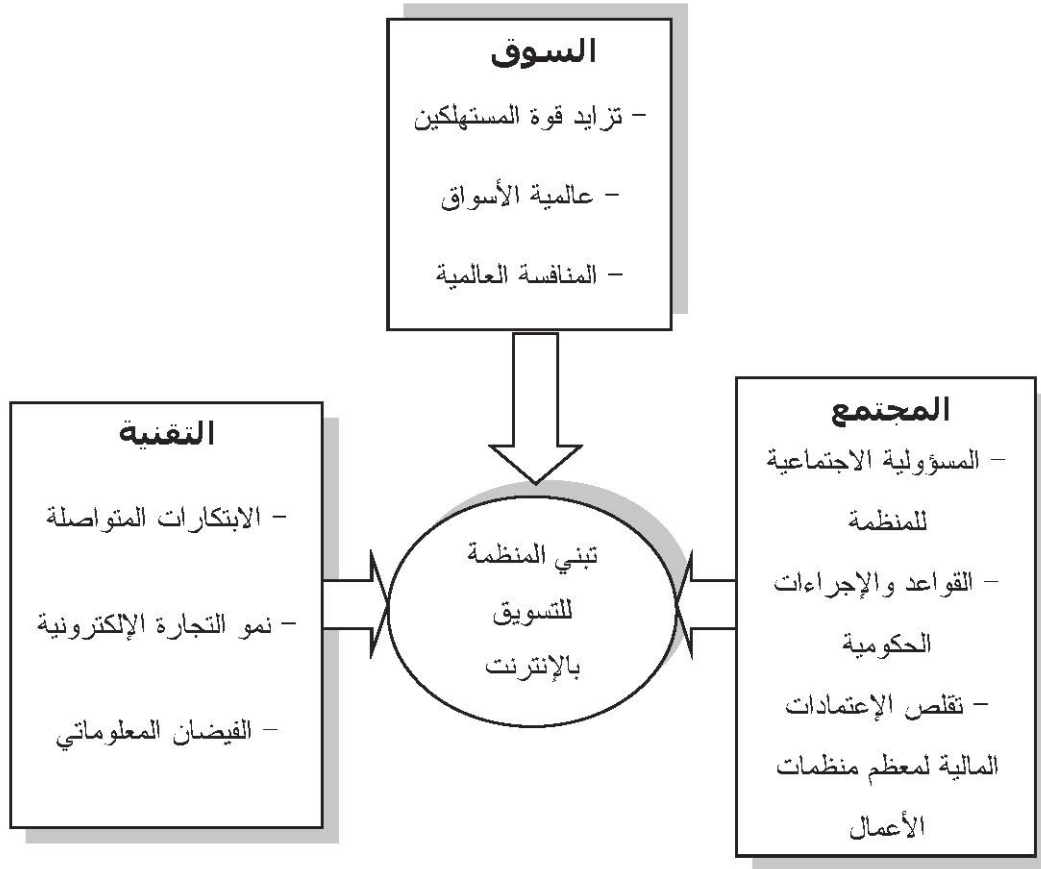
(٢) محمود أبو فروه، الخدمات البنكية عبر الإنترنت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٢٥ - ٢٧.

بما في ذلك شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى الشبكات التجارية العالمية الأخرى، ويتم التسديد وتبادل البيانات إلكترونياً بما في ذلك الاستعلام عن السلع والتعاملات المصرفية والفواتير الإلكترونية، وتتواجد التجارة الإلكترونية في مجالات كثيرة وأشكال متعددة، كالتجارة الإلكترونية بين وحدات الأعمال أو من الشركات إلى الشركات، أو بين وحدات الأعمال والإدارة المحلية الحكومية، أو بين الزبائن والإدارة المحلية الحكومية، ويقدم نظام التجارة الإلكترونية خدمات متنوعة للعملاء خاصة من حيث تخفيض الوقت والتكاليف، وإتاحة عدد أكبر من الاختيارات لديهم نظراً لإمكانهم اختيار بين عدة بائعين وبين منتجات كثيرة، وإيجاد مستهلكين جدد واختراق أسواق ومنافذ بيع جديدة، وتقليل تكاليف التوزيع والتسويق بالنسبة للشركات كنتيجة لسهولة الاتصال بالمستهلكين.

٤ - التسويق الإلكتروني: فتح التسويق الإلكتروني أو التسويق عبر الإنترنت أفقاً جديدة في عالم التسويق، ويتيح التسويق الإلكتروني للمنظمة فرصة استهداف واستقطاب وجذب المشترين والمتسوقين والمستهلكين بصورة شخصية وفردية، ويرتبط التسويق الإلكتروني بظاهرة التجارة الإلكترونية، ويتم بين الشركات والمستهلكين وذلك من خلال وسائط إلكترونية، وتكمن أهمية التسويق الإلكتروني في تحسين الاتصالات والخدمات مع الزبائن والمستهلكين وخفض التكاليف، وسرعة وسهولة الإجراءات، ويمتاز بالميزة التنافسية من خلال التطورات الهائلة في تكنولوجيا المعلومات والاتصال التي خلقت فرصاً جديدة في تحسين الوضع التنافسي للمؤسسات ودعم الإستراتيجيات المميزة. وقد شكلت الثلاثية (السوق،

المجتمع، التقنية) عوامل ضاغطة لتبني التسويق الإلكتروني مثلما يوضحه

الشكل الآتي:



المصدر: عبد العظيم محمد، التسويق المتقدم التسويق العالمي - إدارة العلاقات

مع العملاء، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٣٤٥.



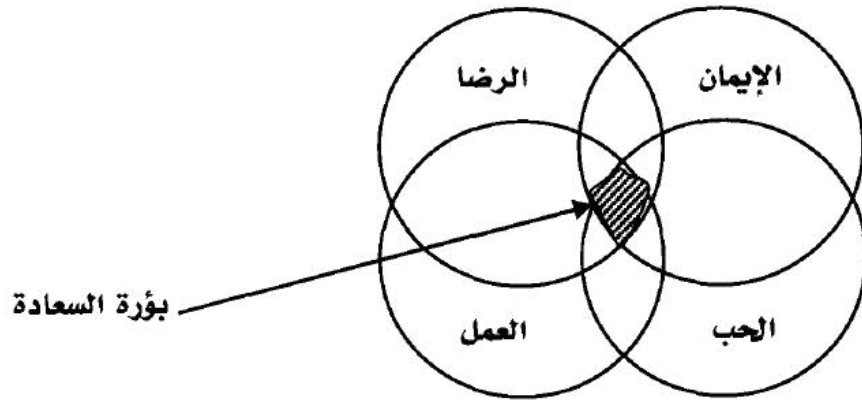
المبحث الثالث

أثر ابتكارات الاقتصاد الإسلامي الرقمي في إضفاء السعادة على نمط الحياة الإسلامي

المطلب الأول: ماهية السعادة في نمط الحياة الإسلامي:

أولاً: مفهوم السعادة ومكوناتها:

١- مفهوم السعادة: السعادة هي الشعور بالرضا والبهجة وطمأنينة النفس واعتدال المزاج، وهي نقيض النحس والشقاوة، وتعرف السعادة بأنها رضا عام عن الحياة بتحقيق الذات أو بتحقيق الأهداف والرغبات والمقاصد، وهذا الرضا يتمثل في عدة مناحي الحياة أهمها الرضا عن الجانب الاقتصادي، بتحقيق الضروريات والحاجات والتحسينات، كما تعرف أيضاً على أنها الرضا عن العمل والعلاقات الاجتماعية الصادقة، وتتم السعادة بحياسة محاورها والمتمثلة في التسليم بما أعطى الله تعالى وما منع (الإيمان)، والقناعة (الرضا)، والتكافل الاجتماعي (الحب)، وتحقيق الذات والسعي الطموح لكل نجاح (العمل)، والشكل الآتي يوضح ذلك:



المصدر: عبد المحسن بن علي المطلق، الحياة الطيبة، مكتبة الملك فهد للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩، ص ١٣.

وتعتبر السعادة مطلب كل إنسان، فهناك من يراها حسن السلوك والسيره وراحة البال وطمأنينة النفس، وهناك من يراها في حسن العيش المادي من المشرب والمأكل والملبس، والمسكن وغيرها.

وللسعادة أربعة مقومات وهي الصحة، المال، النجاح في العمل، والعلاقات الحسنة مع الآخرين. وعُرفت السعادة بأنها انفعال وجداني إيجابي ثابت نسبيا يتمثل في إحساس الفرد بالبهجة والفرح والسرور، وغياب المشاعر السلبية من خوف وقلق واكتئاب، والتمتع بصحة البدن والعقل، بالإضافة إلى الشعور بالرضا الشامل في مجالات الحياة المختلفة^(١). والسعادة حالة شعورية يمكن أن تستنبط من الحالة المزاجية للفرد، وهي شعور عام بالرضا والطمأنينة والبهجة. وتتطلب السعادة بلوغ قدرا كبيرا من التفكير ودفع النفس للسعي نحو السعادة الدائمة وضبطها إلى الميول نحو المتعة المؤقتة، وترويضها للتوجه نحو مصادر السعادة، ويتميز صاحب السعادة بالشعور بالاطمئنان والنشاط والحيوية والنظرة إلى الحياة بالاجابية، والنجاح في معظم العلاقات والتعاملات. والسعادة علم يدرس كيفية إدخال الفضائل وجوانب القوة في الشعور الدائم بالسعادة، بدلا من الشعور اللحظي بالفرح والسرور والبهجة، وتتحقق السعادة عندما يندمج الناس في أنشطة تحقق احتياجاتهم النفسية الأساسية وبلوغ درجة عالية من الابتهاج والانشراح والبهجة والرضا، بالإضافة إلى المناخ الأسري بما يوفره للفرد من حنان وحب وتفاهم. كما تعني السعادة حب الشخص

(١) سيد البهاص، العفو كمتغير وسيط بين العوامل الخمسة الكبرى للشخصية والشعور بالسعادة لدى طلاب الجامعة، مجلة الإرشاد النفسي، العدد ٢٣، ٢٠٠٩، ص ٣٣٢.

للحياة التي يعيشها واستمتاعه بها وتقديره الذاتي لها ككل^(١)، وتتحقق بحب الحياة وحب الناس والإحساس بالقدرة على التأثير في الأحداث، والقدرة على التعامل مع المشكلات والصعوبات بكفاءة وفاعلية^(٢)، وترتبط السعادة بالجوانب الأساسية للحياة مثل العمل والعلاقات الاجتماعية والأسرة. أما السعادة من المنظور الإسلامي فتتجلى في معرفة الإنسان لربه والتوكل عليه والتحدث بنعمه والتوجه إليه بالدعاء، وكذلك بر الوالدين والإحسان إلى الناس والعمل الصالح، والصمت وحفظ السر وترك التحسر على ما فات وحسن المظهر والباطن، وأيضا الاشتغال بالعلوم النافعة، أما مقوماتها فتتمثل في المال والصحة والزواج والنجاح وغيرها، وأما ينابيعها فتتمثل في اليقين والتفاؤل والسكينة والقناعة والطمأنينة وغيرها، وتتم المحافظة على السعادة بذكر الله ومجاهدة النفس وسد منافذ الشيطان، واستغلال الوقت في التقرب إلى الله تعالى في الطاعات وفي مختلف العبادات من صلاة وزكاة وحج وصوم وغيرها. ومن الفضائل المكملة لتحقيق السعادة مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة، واليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة من النعيم المقيم واللذة والمتعة الدائمة لا في الدنيا، وعدم التعلق بالدنيا، والنظر إلى ما هو دونك في الأمور الدنيوية وإلى ما هو فوقك في أمور الآخرة، والكلمة الطيبة ودفع السيئة بالحسنة، والشجاعة والعقل والعفة والعدالة والإنصاف والصحة والقوة والأهل

(١) Meyer , B. and others , Happiness and despair on the catwalk” Need satisfaction (١) , Well_Being and Personality adjustment among fashion models , the journal of positive psychology , Vol 2 , No 1, 2007 , PP 5 - 15

(٢) أماني عبد الوهاب، السعادة النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية، مجلة البحوث النفسية والتربوية، ع٣، ٢٠٠٦، ص ٢٥٧.

والمال والدار الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء، والتسديد والرشد والتأييد وهداية الله وغيرها، أما منغصات السعادة فتتمثل في الحزن على ما فات والتعلق بغير الله والإعراض عن ذكره وعدم الرضا بالقدر، ومصاحبة أهل السوء والكبر والحقد والغضب والحسد وغيرها، ويمكن معالجة هذه المنغصات بالإيمان وإتباع سنة الأنبياء وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج وغيرها من العبادات التي تقربنا إلى الله تعالى. كما تكون السعادة في البنين والنساء والمال والأراضي، والمناصب والجاه والشهرة، والمركب المريح والإخلاص، والإيمان وتقوى الله تعالى وشكره والعمل الصالح، والاستسلام لقضاء الله تعالى، والإحسان إلى عباد الله والصبر، وحسن الخلق، وتعداد نعم الله وبذل المال في وجوه الخير، وغير ذلك من الفضائل التي تضيفي السعادة على نمط الحياة الإسلامي، أما موانع السعادة فتكمن في عمل المعاصي والآثام والجرائم والكفر بنعم الله تعالى، والغيرة والحسد والغضب والحقد والغل والظلم، والخوف من غير الله تعالى، وسوء الظن والكبر والتشاؤم.

٢- مكونات الشعور بالسعادة: تلعب الوراثة والبيئة دورا في كبير في إضفاء

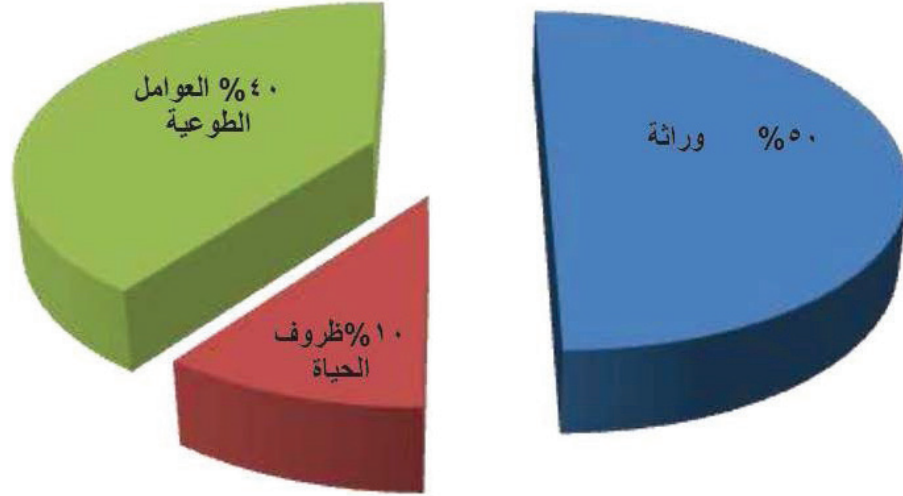
السعادة على الأفراد، والمعادلة الآتية تبين مكونات السعادة^(١): $H = S + C + V$
حيث:

H: السعادة، S: الوراثة، C: ظروف الحياة، V: العوامل المقصودة.

(١) Seligman, M.E., & Royzman , Happiness: The Three Traditional Theories ,
.67-Authentic Happiness Newsletter July , 2008 , pp 64

وتبين الدائرة النسبية الآتية مكونات الشعور بالسعادة:

مكونات الشعور بالسعادة



Source : Lyubomirsky , S. The How of Happiness , A Practical Approach To Getting The Life You Want. London , Piatkus , 2010 , p20.

نلاحظ من خلال هذه الدائرة النسبية أن حوالي ٥٠٪ من الشعور بالسعادة يعود إلى مورثات الإنسان (المستوى القاعدي للسعادة)، و ١٠٪ إلى ظروف الحياة التي يعيشها (العوامل الديموغرافية الثابتة والمتغيرة) و ٤٠٪ إلى ما يقوم به من ممارسات وأنشطة. وسبب ارتفاع نسبة المورثات يعود إلى الخصائص النفسية والانفعالية والجسدية التي يختص بها الإنسان، وتعطى السعادة بعدة صيغ رياضية من أهمها العلاقة الآتية: $S = \frac{W}{A}$ حيث: SS : السعادة، WW : ما يملكه الفرد، AA : ما يرغب به الفرد.

إذا كان: $S \geq 1$ فإن: الإنسان سعيد.

إذا كان: $0 \leq S \leq 1$ فإن: الإنسان غير سعيد.

مثال ٠١: إذا كان شخص ما يتقاضى على ٤١٦٧ درهم إماراتي شهريا، ولكنه يرغب

للحصول على ١٠٤١٧ درهم إماراتي شهريا. هل هذا الشخص سعيد أم لا؟

$$S = \frac{W}{A} = \frac{\text{ما يتقاضاه}}{\text{ما يرغب فيه}} = \frac{4167}{10417} = 0.40 \text{ الحل: لدينا:}$$

$$S = \frac{W}{A} = \frac{\text{ما يتقاضاه}}{\text{ما يرغب فيه}} = \frac{4167}{10417} = 0.40$$

نستنتج أن هذا الشخص غير سعيد.

مثال ٠٢: شخص يتقاضى على ٧٣٤٢ درهم إماراتي شهريا، ولكنه يشعر بأن مبلغ

٤٥٠٥ درهم إماراتي تكفيه لمخلف احتياجاته. هل هذا الشخص سعيد أم لا؟

$$S = \frac{W}{A} = \frac{\text{ما يتقاضاه}}{\text{ما يرغب فيه}} = \frac{7342}{4505} = 1.63 \text{ الحل: لدينا:}$$

$$S = \frac{W}{A} = \frac{\text{ما يتقاضاه}}{\text{ما يرغب فيه}} = \frac{7342}{4505} = 1.63$$

نستنتج أن هذا الشخص سعيد.

لهذا فإن من منغصات السعادة أن تكون طموحات الأفراد كبيرة وبعيدة عن الواقع،

خاصة في الجانب المادي. ونخلص أن السعادة كونها سمة فهي تتأثر أيضا بالعوامل

المحيطة بالإنسان كالضغوط النفسية والظروف الخارجية وغيرها، بمعنى أن السعادة

مزيج متفاعل من السمة والحالة.

ثانيا: المناحي المفسرة للسعادة:

تختلف السعادة من شخص لآخر، وهناك عدة مناحي لتفسير السعادة يمكن

توضيحها على النحو الآتي:

١- المنحى الفسيولوجي: إن الهبوط في معدلات الحيوية والطاقة والنشاط الجسمي، والكسل والشكوى من الصداع والاضطرابات النفسية أو الجسمية تؤدي إلى الشعور بعدم السعادة، لكن في المقابل التمتع بالصحة، والقدرة على بذل أقصى جهد، وزيادة النشاط والحيوية للجسم، وإحساس الجسم بالراحة والصحة والحيوية والنشاط، كل هذه التغيرات الفسيولوجية تعتبر أحد أسباب السعادة، وهي بدورها عملية منشطة وباعثة على الحيوية، بمعنى وجود علاقة تكافئية بين إشباع الحاجات الفسيولوجية والسعادة.

٢- المنحى الشخصي: تتحدد السعادة إلى حد ما عن طريق عوامل الشخصية فكل فرد إمكانية فطرية للسعادة ومتغيراتها، فمن كانت شخصيته تمتاز بالانبساطية وهي أكثر خصائص الشخصية والتي ترتبط بالمشاعر الإيجابية والشعور بالرضا فسيكون سعيدا مقارنا بصاحب الشخصية العصبية عند توفر نفس العوامل، لأن الانبساط يرتبط بالمشاعر الإيجابية أكثر من ارتباطه بالمشاعر السلبية، فطبيعة تكوين الفرد من حيث مزاجه وشخصيته اللذان هما المنبع الدائم لرضاه أو سخطه هو العنصر الأساسي لسعادته^(١). ويرى كثير من الباحثين أن السعادة سمة ثابتة وليست حالة انفعالية متغيرة تعتمد أساسا على الشخصية، وهي الاستعداد للشعور بالسعادة، ويمكن أن يكتسبها أي شخص متفائل بوضع خطط وطرائق للتغلب على مختلف المشاكل والصعاب التي قد تنغص مزاج حياته، والسعادة عبارة عن

(١) موضي بنت محمد بن حمد القاسم، الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من السعادة والأمل لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى، مذكرة ماجستير في علم النفس تخصص نمو نفسي، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١، ص ٥٦ - ٥٩.

شعور وانفعال يمكن وضعه في مجال معرف الحدين أدناه الطفولة السوية المشبعة وأعلاه تحقيق مختلف الحاجات الآنية. وتكمن دراسة السعادة من الجانب الشخصي كونها أن الأشخاص السعداء هم الأشخاص المنتجين، لذا تعتبر السعادة أعظم إنجاز يحصل عليه الإنسان.

٣- المنحى الاجتماعي: تؤدي المتغيرات الاجتماعية مثل العمر والجنس والحالة الاجتماعية والدخل وغيرها إلى وجود تباين في سعادة الأفراد، وتعتمد السعادة على الإدراك الإيجابي للعلاقات الثقافية والاجتماعية، بمعنى لا يمكن استبعاد المنحى الاجتماعي على إضفاء السعادة على أفراد المجتمع.

٤- المنحى البيئي: إن البيئة الآمنة والحاضرة التي ينشأ فيها الإنسان لها أثر كبير على إضفاء السعادة عليه، فكثير ما تكون البيئة سبب للسلوك المضاد للمجتمع أو الانطواء وقد تكون سببا للتمرد والعصيان خاصة عند الطفل، لذا فإن العوامل البيئية تقوم بدور مهم في نشوء السعادة، لأنها تتأثر بأحداث الحياة وتقلباتها سواء كانت ايجابية أم سلبية. ونخلص أن الإنسان بن بيئته.

٥- المنحى الفلسفي: يرى كثير من الفلاسفة أن الفلسفة تصل بالإنسان بالعالم العلوي وتحذره من عالم المادة السفلى، فمن أراد أن يكون سعيدا يجب عليه أن يدرس الفلسفة ويتعلمها ويعرف عالمه ويصبح قليل الاضطراب ويكسب المعرفة ويتخلص من كل شدة، والسعادة تكون قوى النفس وفضائلها كالحكمة والعفة والعدالة والشجاعة وتعتبر هذه الفضائل سبب في السعادة، فالسعادة حسب هذا

الاتجاه ليست باللذة الحسية ولكن بلذة العقل ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعدل والمعرفة والعمل وإصلاح الأخلاق والسمو بمكارمها، ويحصرها رجال الدين في السعادة الأخروية لا موت فيها ولا ألم، وهي السعادة الحقيقية لأنها تتصف بالدوام والبقاء، ولا تكون إلا بالتقرب إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة وحسن المعاملة والعدل والجمعة والرأفة والرحمة وتحقق كل هذه المثل العليا في طلب العلم.

ثالثاً: استراتيجيات زيادة الشعور بالسعادة:

يمكن زيادة الشعور بالسعادة بتدريب الإنسان على مهارات الحياة، وممارسة مختلف الأنشطة التي من شأنها الزيادة في مستوى الشعور بالسعادة، وهناك العديد من الاستراتيجيات التي يمكن تزيد في مستوى الشعور بالسعادة، كالتعبير عن الشكر والامتنان، وغرس التفاؤل، وممارسة أعمال الإحسان، والكيف عن المقارنات الاجتماعية والابتعاد عن التفكير الذي لا يغني شيئاً، والاعتناء بالعلاقات الاجتماعية والمحافظة عليها وتثمينها، وتطوير إستراتيجية المواجهة بالحجة الدامغة والبراهين الواضحة التي لا لبس فيها، التسامح والعفو عند المقدرة والتغلب على الانفعالات السلبية التي تنشأ عن الصراعات بين الأفراد، وزيادة خبرات التدفق لأنه من النوع الذي يدوم طويلاً، الالتزام بتحقيق الأهداف والاستمتاع بمتع الحياة، والاعتناء بالجسد من خلال الغذاء الصحي وممارسة الرياضة لأنها وسيلة لإبعاد التوتر، وأيضا ممارسة التعاليم الدينية والاعتناء بالجانب الروحي يزيد من الشعور بالسعادة. وللشعور بالسعادة يجب التوفيق بين كل من الناحية الانفعالية والناحية المعرفية انطلاقاً من أن الإنسان كل متكامل لا يمكن الفصل في دراسته

بين ما هو معرفي وانفعالي، وبين الدور الذي تلعبه الوراثة وبين تأثير البيئة للخروج بمنظور توفيقى متكامل حول السعادة^(١).

المطلب الثاني: الاقتصاد الإسلامي الرقمي واضفاء السعادة والإيجابية على نمط الحياة الإسلامي:

أولاً: تأثير الاقتصاد الرقمي وفوائده على نمط الحياة الإسلامي:

يدعم الاقتصاد الرقمي المراحل المبكرة لحياة الأفراد لقدرتهم واستعدادهم للتعلم منذ البداية، وللتأثير الكبير في نمط حياتهم والخدمات الضرورية التي يقدمها، والتغيرات والتحسينات الأساسية والضرورية التي يحققها، كما يحقق مخرجات ونواتج تعليمية مرغوبة وجوهرية خاصة في مجال الإلكترونيات، ويعطي للمستهلكين في هذا الحقل خيارات واسعة وثقة كبيرة في مختلف السلع والخدمات، عن طريق تحقيق التبادل إلكترونياً، وله أثر كبير في تحديد النمو والمهارات والتوظيف والإنتاج، ويُرغّب كافة المؤسسات على التجديد والابتكار، كما يقوم على نشر المعرفة خاصة الرقمية بين أفراد المجتمع وإنتاجها وتوظيفها، ويساهم في العمالة من خلال تغيير الوظائف القديمة واستحداث وظائف جديدة تواكب التقدم التكنولوجي الحاصل، وبالتالي فهو يعمل على بناء قوة العمل والموارد البشرية وتدريبها والوصول بها إلى مستويات عالية من المهارة، وسبب اهتمامه بهذا الجانب يعود إلى كون العنصر البشري هو المحور الأساسي للتكنولوجية، فالتطور في مجال

(١) سعاد ياسين الرباعي، الشعور بالسعادة وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مذكرة ماجستير في علم النفس التربوي، قسم علم النفس بكلية علوم التربية - جامعة دمشق / الجمهورية العربية السورية، ٢٠١٤، ص ٦٧ - ٧١.

التقنيات الحديثة والأحداث العالمية والعولمة والتعليم والتدريب، تؤدي إلى الكفاءة الإنتاجية للعاملين مما يؤدي حتماً إلى تحقيق التنمية، وتحدد المقومات الأساسية للطبقة العاملة في مختلف المؤسسات العامة والخاصة التي تتبنى الاقتصاد الرقمي في نظم المعلومات الذكية وإقامة بوابة إلكترونية لتسهيل وتسريع مختلف الخدمات، والاستثمار في تكنولوجيا صناعة المعلومات والأصول المعرفية البشرية وإقامة بنية أساسية للأعمال الإلكترونية ونظم معلومات الأعمال والتجارة الإلكترونية وإنشاء مدن وقرى ذكية كأحد آليات انطلاق الصناعات الواعدة^(١)، فكل هذه المقومات لها أثر كبير في تطور الاقتصاد الرقمي، ومن ثم تحقيق الفوائد المرجوة التي يهدف إليها ويسعى إلى تجسيدها، وهذا من شأنه أن يغير في نمط الحياة الإسلامي ويحقق له الرضا المهني. والاقتصاد الرقمي ليس حكراً على الطبقات الثرية فهو ملاذ حسن لفئة الفقراء، فقد أصبحت الإنترنت والهاتف المحمول أسلوب الاتصال الأهم لدى شريحة كبيرة من السكان ذوي الدخل المنخفض والأدوات الوحيدة التي تصلهم بمجتمع المعلومات في الأجلين القصير والمتوسط، وتحدث فرصاً للعمل بشكل مباشر وغير مباشر، ويقلص التكاليف ويزيد من سرعة المعاملات، ومما يزيد من استخدامها توافر خدماتها والتراجع المستمر في أسعارها، وتتيح الحصول على معلومات السوق وتحسين الدخل لشتى المجتمعات السكانية، ومما أتاح هذه الوسائل للفقراء تزويدها بوظائف جديدة مثل التصوير الرقمي والتراسل متعدد الوسائط وغيرها من البرامج والتطبيقات، ولذلك تعتبر هذه الأدوات أكثر أدوات

(١) أحمد نادر أبو شيخة، إدارة الموارد البشرية: إطار نظري وحالات عملية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠١٠، ص ١١٢ - ١١٥.

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فائدة للسكان ذوي الدخل المنخفض، كما يوفر الاقتصاد الرقمي خاصة الإنترنت والهاتف المحمول النهوض بسبل العيش في مكانه تحسين سبل عيش الفقراء وذلك بإتاحة فرص الوصول إلى المعلومات الأساسية، والمساعدة على اكتساب المهارات في المجالين التقني والتجاري وتيسير الوصول إلى الخدمات الحكومية والموارد المالية ودعم المقاولين الصغار^(١).

ثانياً: كيفية مساهمة الاقتصاد الرقمي في إضفاء السعادة على نمط الحياة الإسلامي:

إن تحقيق المنفعة في الحصول على مجموعة من السلع التي يرغب فيها الفرد تحقق له الإشباع والسعادة، وتزيد هذه السعادة إذا كانت هذه المنافع تتحقق بطرق تكنولوجيا عالية كاستخدام الإنترنت والهواتف المحمولة وغيرها، فترويج السلع والخدمات تطورت بشكل ملحوظ ولم تعد تقتصر على الطرق القديمة التقليدية، بل تطورت بشكل ملفت للانتباه فأصبحت تستخدم كل وسائل التكنولوجيا والاتصال، كالتلفون السلكي والهاتف النقال واستخداماتها والحاسبات الإلكترونية والإنترنت واستخداماتها، والقنوات الفضائية والتلفاز، والأقمار الصناعية، والاتصال وغيرها، إذ نجد أن للوسائط التكنولوجية الحديثة آثار إيجابية على العلاقات الاجتماعية لدى أفراد المجتمع، فقد أصبحت ضرورة ملحة لدى المجتمع تجعلهم يتواصلون مع غيرهم ويطلعون على كل ما هو جديد سواء في النطاق المحلي أو العالمي. وأصبحت

(١) مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، اقتصاد المعلومات، تقرير ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ «تسخير العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية: النموذج الجديد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات»، ص ٢٢ - ٢٤. www.unctad.org/ar/docs/sdteech20071overview_ar.pdf، تاريخ الزيارة: ٢٣ / ٠١ / ٢٠١٨.

الأصول المهمة في الاقتصاد الجديد هي المعرفة الفنية، والإبداع، والذكاء، والمعلومات، وإستراتيجية الابتكار، وإستراتيجية تكنولوجيا المعلومات، والاهتمام بآليات دعم الابتكار، وتعزيز ثقافة الابتكار، وتمويل البحث والتطوير، وصار للذكاء المتجسد في برامج الكمبيوتر والتكنولوجيا عبر نطاق واسع من المنتجات أهمية تفوق أهمية رأس المال، أو المواد، أو العمالة، وتقدر الأمم المتحدة أن اقتصاديات المعرفة تستأثر الآن ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي وتنمو بمعدل ١٠٪ سنويا، وجدير بالذكر أن ٥٠٪ من نمو الإنتاجية في الاتحاد الأوروبي هو نتيجة مباشرة لاستخدام وإنتاج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والابتكار، والتعليم أساسي الإنتاجية والتنافسية الاقتصادية، البنية التحتية المبنية على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تسهل نشر وتجهيز المعلومات والمعارف وتكييفه مع الاحتياجات المحلية، وحوافز تقوم على أسس اقتصادية قوية تستطيع توفير كل الأطر القانونية والسياسية التي تهدف الى زيادة الإنتاجية والنمو. إن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات هي كل ما ترتب على الاندماج بين تكنولوجيا الحاسب الإلكتروني والتكنولوجيا السلكية واللاسلكية والإلكترونيات الدقيقة والوسائط المتعددة من أشكال جديدة لتكنولوجيا ذات قدرات فائقة على إنتاج المعلومات وجمعها وتخزينها ومعالجتها ونشرها واسترجاعها بأسلوب غير مسبوق يعتمد على النص والصوت والصورة والحركة واللون وغيرها من مؤثرات الاتصال التفاعلي الجماهيري والشخصي معا، كما أن تكنولوجيا المعلومات تمثل اقتناء المعلومات واختزانها وتجهيزها في مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أم مصورة أم مسموعة أم مرئية أم ممغنطة أم معالجة بالليزر، وبثها باستعمال مجموعة من المعلومات الإلكترونية

ووسائل أجهزة الاتصال عن بعد. فنجد أن طبيعة الوظيفة والعمل قد تغيرا عما كان عليه الحال في عصر الصناعة، فبعد أن كانت الحالة تتطلب انتقال طالب الخدمة إلى مؤدي الخدمة في مكتبه أو جامعته أو عيادته، غدا بالإمكان الحصول على الخدمات من خلال عالم أساسه (اتصل ولا تنتقل) فالجامعة الافتراضية والعيادة التي تقدم الاستشارات والعلاج عن بعد، والتجارة الإلكترونية، والعمل في المنزل، غيرت المفهوم التقليدي للعمل والوظيفة^(١)، ومن خلال ما سبق يتضح لنا جليا مفهوم هذه التكنولوجيا الحديثة التي غزت كل مجالات حياتنا، وهو كون حال المرء في غبطة وسرور وبهجة وابتهاج وارتياح وانسراح ولذة أوطمأنينة واستقرار بال أو رضا أو قناعة.

إن الدول الأكثر تقدما في المجال التكنولوجي هم أكثر سعداء من غيرهم في الدول النامية لاتساع الفجوة الرقمية بينهما لافتقار الدول النامية للموارد البشرية والمادية والخبرات التكنولوجية التي تمكنها من الانتفاع اقتصاديا من تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وانصراف الاهتمامات الحكومية إلى توفير الاحتياجات الأساسية في الدول والمجتمعات الفقيرة، وانعدام أو ضعف الوعي بأهمية التكنولوجيا وتطبيقاتها، بل وتبني مواقف سلبية منها في بعض الأحيان، وغياب البنية التحتية التي تتيح الاتصال بالإنترنت من تكنولوجيا لا سلكية وأقمار صناعية وهواتف نقالة، وارتفاع تكلفة استخدام الإنترنت، وحيث أن استخدام اللغة الإنجليزية في ٨٠٪ من مواقع الإنترنت، مع ضعف الإلمام بها في الدول النامية،

(١) كريم أبو حلاوة، أين العرب من مجتمع المعرفة، مجلة مقاربات للدراسات النظرية والحقوق المدنية، ص ٥ - ٨. <http://www.mokarabat.com/mo10-htm> ، تاريخ الزيارة: ٢٧/٠١/٢٠١٨.

وانعدام الثقة عند إجراء المعاملات والسادد عبر الإنترنت، وعدم انتشار اعتماد التوقيع الإلكتروني ومصداقية الوثائق التي يتم تبادلها عبر الإنترنت مع ضمان الأمان، وغياب الإطار التشريعي الذي ينظم المعاملات الإلكترونية في ظل انفتاح الأسواق وانتشار الإنترنت والحفاظ على حقوق الملكية^(١).

ثالثاً: دراسة نموذج دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة لسعادة المتعاملين (جانب الاقتصاد الرقمي):

أتبعت دبي إستراتيجية لتطوير الاقتصاد الإسلامي الرقمي بإرساء مكانتها كوجهة رائدة لهذا القطاع، وتعاونت مع الجهات المعنية لدعم الشركات الناشئة الرقمية العربية والإسلامية، وقامت بجذب الشركات في مجال التكنولوجيا لإطلاق خدمات ومحتوى معرفي متوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتعاونت مع العاملين في القطاع الرقمي من أجل تطوير الإطار التنظيمي الذي يسهم في ازدهار القطاع، كما قامت بالتعاون مع الجهات المعنية للارتقاء بالكفاءات وتلبية احتياجات السوق إلى المهارات في قطاع الاقتصاد الإسلامي، وقامت بدراسات وبحوث متخصصة في الاقتصاد الإسلامي لإنشاء منظومته، كما قامت بالتعاون مع مؤسسات فكرية رائدة لإرساء منصة للنقاشات المعمقة حول مستقبل الاقتصاد الإسلامي، وإرساء مكانة دبي كمرجعية عالمية لمعايير الاقتصاد الإسلامي بالتعاون مع الجهات المعنية لتطوير الإطار التنظيمي لمنح الشهادات لمنتجات وخدمات الحلال معترف فيها دولياً،

(١) جمال حود مويسة، الاقتصاد الرقمي ومتطلبات استجابة البنوك إلى التحديات الجديدة، مجلة الواحات للبحوث وللدراسات، غرداية - الجزائر، ع ١٠، ٢٠١٠، ص ٨٣ و ٨٤.

ودعم إنشاء هيئة دبي لاعتماد شهادات الحلال وتطوير جهات تصديق مستقلة، وتصميم بوابة إلكترونية عالمية كمرجع رقمي للاقتصاد الإسلامي، وإعداد التقرير السنوي والمؤشر حول واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي، وإطلاق المركز العالمي للصكوك من ناسداك دبي، وإطلاق مركز دبي للتميز في التمويل والمصرفية الإسلامية في جامعة حمدان بن محمد الإلكترونية، وإطلاق مركز دبي لرواد الأعمال من سلطة واحدة دبي للسيليكون، وافتتاح مجمعات الحلال في مدينة دبي الصناعية وحافزا إطلاق مبادرة سلمى للإغاثة من قبل صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وإطلاق جائزة الاقتصاد الإسلامي السنوية لتنظيم القمة العالمية للاقتصاد الإسلامي كل سنتين لتنظيم حلال أكسبو بالتزامن مع معرض غولف فود، وإطلاق الماجستير التنفيذي في التمويل الإسلامي من مركز دبي للتمويل والصيرفة الإسلامية، ومبادرة حكومة دبي لإنشاء مركز اعتماد عالمي لمنح الشهادات للمسالخ ومختبرات البحوث وغيرها من المرافق المتخصصة بقطاع الحلال، ودعم دائرة التنمية الاقتصادية بدبي لإرساء شراكات ترقى بمكانة دبي كمركز عالمي لتصنيع وإعادة توزيع منتجات الحلال، الاستثمارات ذات المسؤولية الاجتماعية، والمساهمة في التنمية الاجتماعية المستدامة، والتوفيق بين منتجات التمويل الإسلامي واحتياجات قطاع الأغذية الحلال وأسلوب الحياة الإسلامي، كما ساهمت في قطاع الأغذية الحلال بعلامات تجارية عالمية مهمة بقطاع ومكونات الحلال، والتعاون مع رواد الأعمال وكبار التجار لتجاوز الأفكار السلبية حول العلامات التجارية الحلال، كما قامت بتطوير منصات ترويجية عبر التجارة الإلكترونية والهواتف المتحركة والمواقع خاصة في قطاع السياحة العائلية، وتوسع وانتشار المحتوى الرقمي للاقتصاد

الإسلامي، ونمو قطاع الألعاب الرقمية، وإنشاء شركات ترويجية لقطاعات حلال أخرى ازدهرت الأسواق الإسلامية في الغرب، ونمو المحتوى الإعلامي الرقمي، ومنظومة تكنولوجية جديدة عبر مواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات (غوغل، غلاس وأكولوس)، كما قامت بتوسيع العلامات التجارية في قطاع الأزياء الإسلامية عبر الإنترنت مع متاجر تجزئة وشراكات امتياز وتوزيع ومنصات متطورة للترويج تنامي المبيعات لعملاء آخرين يلتزمون الألبسة المحتشمة وتوجه لإرساء علامات تجارية عالمية المستوى^(١). إن قيمة الاقتصاد الرقمي العالمي (المواقع الإلكترونية / الجوال) كانت تقدر بنحو ٩, ١ تريليون دولار في عام ٢٠١٤ بسبب الإنفاق على التجارة الإلكترونية والدعاية الإعلانية الرقمية، ومن المقدر أن ينمو هذا الاقتصاد بمعدل نمو سنوي مركب نسبته ١٥٪ بحلول عام ٢٠٢٠، ويشكل المسلمون قاعدة استهلاكية ذات أهمية متزايدة حيث تُقدر قيمة المستهلك المسلم للاقتصاد الرقمي العالمي بنحو ١٠٧ مليار دولار في عام ٢٠١٤ ويتوقع أن ينمو بمعدل نمو سنوي مركب نسبته ١٧٪ ليصبح ٢٧٧ مليار دولار في عام ٢٠٢٠، ويمثل المسلمون حول العالم ربع سكان العالم تقريباً وحوالي ٨, ٥٪ من الاقتصاد الرقمي العالمي لعام ٢٠١٤ وتكون الاحتياجات الرقمية للمستهلك المسلم مدفوعة عن طريق مجالين رئيسيين^(٢):

(١) مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، www.iedcdubai.ae،

تاريخ الزيارة: ٣٠ / ٠١ / ٢٠١٨.

(٢) تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي، ١٧ / ٢٠١٦، بدعم من دبي عاصمة الاقتصاد

الإسلامي، إعداد وإنتاج THOMSON REUTERS بالتعاون مع: www.DinarStandard.iedcdubai.ae/.../ar_SGIE%20Report%20ES_AR_f2_DIGITAL_1477895725.pdf

تاريخ الزيارة: ٠٣ / ٠٢ / ٢٠١٨، ص ١٤.

١- احتياجات نمط الحياة العامة: وتتم تلبيتها بأربع فئات من الخدمات الرقمية العالمية: المعلومات والإعلام (Google) و (iTunes)، والخدمات والأدوات الوظيفية (Skype) و (PayPal)، والتجارة والتبادل (AirBnB وEbay) وشبكات التواصل الاجتماعي والتجمع (Facebook).

٢- احتياجات نمط الحياة المرتبطة بالشريعة الإسلامية والحياة الروحانية: إنتاجية نمط الحياة الدينية (Muslim Pro) وتقييمات وآراء نقدية للأغذية الحلال (Zabiha Halal)، والملابس المحافظة (Sefamerve).

حدد هذا التقرير ٢١٦٨ خدمة استهلاكية إسلامية رقمية الأساس يتفاعل معها المستهلك، وينحصر ٧٩٪ من ٣٩٤ خدمة تصل إلى الحد الأقصى من الاستخدام في ٥ فئات من أصل ٢٤ فئة محتملة وهم: «أخبار ورؤى» (حوالي ٢١٪ من الخدمات)، و «مبيعات التجزئة» (حوالي ١٩٪)، و «الإعلام والترفيه» (حوالي ١٩٪)، و «أدوات الإنتاجية» (حوالي ١٣٪)، و «المدونات» (حوالي ٨٪) ^(١).

قام صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي بتقديم توجيهات تركز على سعادة المتعاملين، واعتبرها من أولويات الحكومة، وتعمل على تحقيق البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية لدولة الإمارات العربية المتحدة الذي تم إعداده من أجل أن تكون السعادة أسلوب حياة والهدف الأسمى للعمل الحكومي في الدولة، ومن أجل ذلك أطلقت مرجعا

(١) تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي، ١٧ / ٢٠١٦، نفس المرجع السابق، ضمن الموقع السابق، ص ١٤.

أطلقت عليه «دليل سعادة المتعاملين» وهو متوفر في الموقع الإلكتروني^(١)، وسوف نتطرق إلى بعض جوانبه، خاصة جانب الاقتصاد الرقمي وكيفية إضفاء السعادة والإيجابية على المتعاملين.

يعتبر الابتكار ذو أهمية كبيرة في إسعاد المتعاملين باعتباره أحد الممكّنات الأساسية للسعادة، فتحقيق طموحاتهم وأمانهم تفوق توقعاتهم وتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم، لا يتأتى إلا بوجود ثقافة مؤسسية تشجع الابتكار، وموظفين متحمسين دائمي الابتكار والتطوير، وخلق أفكار جديدة ومفيدة ومتصلة بحل مشكلات معينة تصادف المتعاملين، والحدس بوجود مشكلة تتطلب المعالجة، والقدرة على التفكير لإيجاد الحلول المناسبة، والسرعة في تقديم الخدمات من نظام الحاسب الآلي والبرامج والإنترنت والطابعة وآلة تصوير وغيرها لتقليل وقت الانتظار، وتتمحور سعادة المتعاملين في ثلاث جهات أساسية، جهة متفانية في إسعاد المتعاملين وجهة فخورة بتقديم الخدمة المتميزة، وجهة تنحصر في متعامل إيجابي ومبادر، كما أن سعادة المتعامل تكمن في مدى حصوله على الخدمات أو الحصول على السلع أو ما شابه ذلك بطريقة الخدمة الذكية / الإلكترونية، وهذا أمر يضاف إلى الإبداع والابتكار، ولعل التحدي الأكبر هو ما وجه به صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حين قال: «أريد أن ينجز المواطن كل معاملاته الحكومية عبر الهاتف المحمول» وتكمن ممكّنات السعادة في الممارسات والقدرات المطلوبة لتحقيق معادلة إسعاد المتعاملين،

(١) دليل سعادة المتعاملين - هيئة تنظيم الاتصالات، برنامج الإمارات للخدمة الحكومية المتميزة، الإصدار الأول ٢٠١٦. <https://www.tra.gov.ae/assets/Ziqa6G6H.pdf.aspx>، تاريخ الزيارة: ٠٩ / ٠٢ / ٢٠١٨.

ولا يتأتى ذلك إلا بإيجاد فريق متميز من موظفي إسعاد المتعاملين وتطوير بيئة العمل وتصميم الخدمات وتشجيع المتعاملين ليصبحوا إيجابيين.

ومما جاء أيضا في هذا الدليل أن أسرع وسيلة لتكون سعيدا هي أن تغرس السعادة في قلوب الناس وعامل المتعامل الذي على الهاتف أو ترسل له بريدا إلكترونيا كما لو أنه أمامك وتصرف معه طوال فترة المكالمة أو إعداد البريد الإلكتروني على هذا الأساس، والاستماع إلى الرسائل الصوتية للموظف بشكل يومي، وختم دليل سعادة المتعاملين الصادر عن برنامج الإمارات للخدمة الحكومية المتميزة في جزئه الرابع بالتطرق إلى أدوات تصميم الخدمات الذي هو أسلوب تطبيقي يساعد على ابتكار وتطوير الخدمات باستمرار لجعلها أكثر متعة وبساطة وسهولة وفائدة وبطريقة تضمن الفعالية والفاعلية للمؤسسة^(١)، وتدخل البهجة والسعادة في نفوس كثير من موظفيها ومتعاملها.



(١) دليل سعادة المتعاملين - هيئة تنظيم الاتصالات، نفس المرجع السابق، ضمن الموقع السابق.

الخاتمة

بعد الإتمام من مباحث ومطالب هذا العرض، تكون بعض أهم النتائج والمقترحات التي توصل إليها هذا البحث ملخصة فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١- أدت ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال خاصة الإنترنت إلى ظهور اقتصاد جديد هو «الاقتصاد الرقمي» الذي يتميز عن الاقتصاد التقليدي بالسرعة في الأداء والاستجابة المباشرة وانخفاض التكلفة وغيرها كما يساعد على الابتكار والتوسع في الخدمات وانخفاض الأسعار، وتعظيم المشاركة.

٢- إن الاقتصاد الرقمي الذي يحتاج إلى المزيد من التطوير والإبداع والابتكار، ليس بديلاً للاقتصاد التقليدي أو اقتصاداً موازياً له، بل هو صبغته الحديثة، وسبب استخدامه يعود إلى قدرته على توفير الوقت والجهد ودقة المعلومات.

٣- وجوب التركيز على العنصر البشري والعمل على تطوير مهاراته باستمرار من أجل إقامة مجتمع المعرفة العمل على استقطاب كوادر بشرية بمواصفات عالية للعمل في إدارة شؤون تكنولوجيا المعلومات، لأن الإنسان هو المحرك الرئيس للمعرفة، والركيزة الأساسية للتنمية وغايتها، وهو مهندس الإبداع والتجديد والابتكار.

٤- أصبح الاقتصاد الرقمي شيء مفروض لا بد منه، وأصبحت جميع المؤسسات الاقتصادية خاصة منها المالية تعتمد عليها بالنظر إلى الخدمات التي توفرها، فهو

يسهل الخدمات التي يقدمها القطاع المصرفي والقطاع السياحي والقطاع التجاري كما يمكن القطاع الاقتصادي ككل من المصدقية والشفافية في مجمل أنشطته، ويمكن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة من توسيع دائرة تواجدها.

٥- يعمل الاقتصاد الرقمي على زيادة معدلات النمو الاقتصادي، وتسهيل أداء وتقديم العديد من الخدمات الاجتماعية، والمساهمة في الحفاظ على البيئة، واستغلال الموارد الطبيعية، وإنشاء مناصب شغل، وتحسين في مردودية المؤسسة الاقتصادية وإنتاجيتها.

٦- يعتبر الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الركيزة الأساسية للاقتصاد الرقمي، الذي يشكل فرصة ذهبية لتحقيق تحسينات في مستويات المعيشة لكل شرائح المجتمع، ودفع عجلة التنمية المستدامة.

٧- يعمل الاقتصاد الرقمي على تشجيع بناء الحكومات الإلكترونية والإدارة الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية والبنوك الإلكترونية وشركات المساهمة الإلكترونية للاندماج في الاقتصاد العالمي، كما يعمل على نشر مجتمع المعلومات والمعرفة، كما يعتمد نجاحه على مدى قدرة المجتمعات على المشاركة في شبكات المعلومات ومواقع الإنترنت وعلى هذا النحو فهو يقلص من الفجوة الرقمية.

٨- يعتبر الاقتصاد الرقمي المحرك الرئيسي للاقتصاد العالمي، وهو سمة من سمات اقتصاديات الدول المتقدمة مما جعل العديد من هذه الدول تدرك أهميته وتسعى لتسخيره لخدمة الاقتصاد بأسره، حيث أصبحت اقتصاديات الدول تقاس في تطوراتها على مدى التوجه نحو رقمنة اقتصادها، وهذا بفضل التطورات

التكنولوجية الحاصلة في كل المجالات خاصة الاتصالات والمعلومات كأهم عنصر من عناصر الإنتاج.

٩- إن السعادة شعور نفسي يتبعه رضا عندما يوفق المرء بين مصالحه الدنيوية والأخروية وفق ضوابط الشرع الحنيف، وتنقسم إلى دنيوية وأخروية والدنيوية تنقسم إلى سعادة روحية وبدنية وخارجية وتوفيقية، وأن الإنسان المتفائل والطموح والناجح هو ذلك الإنسان الذي ينظر دائما إلى الجانب المشرق في الحياة.

١٠- إن الاقتصاد الرقمي وما يقدمه من خدمات يضيفي بلا شك درجة عالية من الشعور بالسعادة النفسية المستمرة والدائمة بمكوناتها المختلفة وأيضا التفاؤل والرضا لأفراد المجتمع داخل هذه البيئة.

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة تطوير البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وزيادة استغلال شبكة الإنترنت لمواكبة آخر المستجدات الحادثة، وتعميم الخدمات وتسويق صناعة المعلومات، والعمل على إنتاج منظومة متكاملة للمعلومات والاتصالات تربط الجهات المعنية بالصناعة المعلوماتية، تسمح بتدفق المعلومات ووصولها إلى كافة المستفيدين.

٢- وجوب الاستعمال الأوسع للاقتصاد الرقمي حتى تكتسب الشركة الميزة التنافسية، وتصنع تميزها الحقيقي باستقطاب العاملين المبتكرين والحفاظ عليهم واعتماد منهج قائم على المشاركة في الإدارة، وتقديم مكافآت وحوافز مغرية.

٣- وجوب تدريب أفراد المجتمع على إستراتيجية مقاومة التفكير السلبي، وحب الحياة، والاستمتاع بها والرضا عنها، وتحمل تبعاتها، والارتقاء بمستوى السعادة والرضا والرفاهية، وتنمية مهارات التفكير الإيجابي، واستغلال جانب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات خاصة في شقه الاقتصادي الرقمي.



قائمة المصنّاور

- ١- إبراهيم بختي، «مطبوعة مقياس تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المؤسسة»، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة - الجزائر، ٢٠١٠/٢٠١١ م.
- ٢- أحمد نادر أبو شيخة، إدارة الموارد البشرية: إطار نظري وحالات عملية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠١٠ م.
- ٣- أماني عبد الوهاب، السعادة النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية، مجلة البحوث النفسية والتربوية، ع٣، ٢٠٠٦ م.
- ٤- بختي إبراهيم، «تنمية وتطوير المنتجات والقيمة المضافة في الاقتصاد الرقمي»، المؤتمر العلمي الدولي الأول حول أهمية الشفافية ونجاعة الأداء للاندماج الفعلي في الاقتصاد العالمي المنعقد بكلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير - جامعة الجزائر، ٢٨ - ٣٠ جوان ٢٠٠٢ م.
- ٥- جمال حود مويسة، الاقتصاد الرقمي ومتطلبات استجابة البنوك إلى التحديات الجديدة، مجلة الواحات للبحوث وللدراسات، غرداية - الجزائر، ع١٠، ٢٠١٠ م.
- ٦- سعاد بومايلة، فارس بوباكور، أثر التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال في المؤسسة الاقتصادية، مجلة الاقتصاد والمناجمنت، ع٣، مارس ٢٠٠٤ م، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان - الجزائر.
- ٧- سعاد ياسين الرباعي، الشعور بالسعادة وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مذكرة ماجستير في علم النفس التربوي،

قسم علم النفس بكلية علوم التربية - جامعة دمشق / الجمهورية العربية السورية،
٢٠١٤م.

٨- سمية ديمش، التجارة الإلكترونية حتميتها وواقعها في الجزائر، مذكرة ماجستير
غير منشورة في العلوم الاقتصادية، جامعة منتوري قسنطينة - الجزائر، ٢٠١١م.

٩- سيد البهاص، العفو كمتغير وسيط بين العوامل الخمسة الكبرى للشخصية
والشعور بالسعادة لدى طلاب الجامعة، مجلة الإرشاد النفسي، العدد ٢٣، ٢٠٠٩م،
ص ٣٣٢.

١٠- طارق طه، «التسويق والتجارة الإلكترونية»، دار منشأة المعارف للنشر
والتوزيع، الإسكندرية، ط ٢، ٢٠٠٥م.

١١- طه طارق، إدارة البنوك في بيئة العولمة والإنترنت، دار الفكر الجامعي،
الإسكندرية، ٢٠٠٧م.

١٢- علي عبد الله فرغلي، تكنولوجيا المعلومات ودورها في التسويق التقليدي
والإلكتروني، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١، ٢٠٠٧م.

١٣- فريد النجار، الاستثمار بالنظم الإلكترونية والاقتصاد الرقمي، مؤسسة
شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤م.

١٤- فريد راغب النجار، الاستثمار بالنظم الرقمية والاقتصاد الرقمي، مؤسسة
شباب الجامعة، ٢٠٠٤م، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

١٥- محمد ناظم الشمري، الصيرفة الإلكترونية الأدوات والتطبيقات ومعوقات
التوسع، دار وائل لنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨م.

١٦- محمود أبو فروه، الخدمات البنكية عبر الإنترنت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٩م.

١٧- مظفر حسن الرزو، « مقومات الاقتصاد الرقمي ومدخل إلى اقتصاديات الإنترنت»، مركز البحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م.

١٨- موزي بنت محمد بن حمد القاسم، الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من السعادة والأمل لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى، مذكرة ماجستير في علم النفس تخصص نمو نفسي، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١م.

١٩- ناصر جلال، حقوق الملكية الفكرية والاقتصاد الجديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م.

٢٠- نجم عبود نجم، الإدارة الإلكترونية، الإستراتيجية، الوظائف، والمشكلات، دار المرجع للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م.

21- Erik Brynjolfsson & Brian Kahin , Understanding the Digital Economy , USA , Library of Congre Cataloging-in-Publication Data , 2000 , pp18-23.

22- Meyer , B. and others , Happiness and despair on the catwalk” Need satisfaction , Well_Being and Personality adjustment among fashion models , the journal of positive psychology , Vol 2 , No 1, 2007 , PP 5 - 15.

23- Seligman, M.E., & Royzman , Happiness: The Three Traditional Theories , Authentic Happiness Newsletter July , 2008 , pp 64-67.

٢٤- جمال حود مويسة، الاقتصاد الرقمي ومتطلبات استجابة البنوك إلى التحديات الجديدة، ص ٣، [http://old.elwahat.univ-ghardaia.dz/](http://old.elwahat.univ-ghardaia.dz/annonce/10/%D8%A7)، تاريخ الزيارة: ٠٨ / ٠١ / ٢٠١٨ م.

٢٥- مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، ص ٢٠، [/www.iedcdubai.ae](http://www.iedcdubai.ae)، تاريخ الزيارة: ١٠ / ٠١ / ٢٠١٨ م.

٢٦- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، اقتصاد المعلومات، تقرير ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م «تسخير العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية: النموذج الجديد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات»، ص ٢١، [www.unctad.org/ar/docs/](http://www.unctad.org/ar/docs/sdteecb20071overview_ar.pdf)، تاريخ الزيارة: ١٢ / ٠١ / ٢٠١٨ م.

٢٧- مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، اقتصاد المعلومات، تقرير ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م «تسخير العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية: النموذج الجديد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات»، ص ٢٢ - ٢٤، [www.unctad.org/ar/docs/](http://www.unctad.org/ar/docs/sdteecb20071overview_ar.pdf)، تاريخ الزيارة: ٢٣ / ٠١ / ٢٠١٨ م.

٢٨- كريم أبو حلاوة، أين العرب من مجتمع المعرفة، مجلة مقاربات للدراسات النظرية والحقوق المدنية، ص ٥ - ٨، <http://www.mokarabat.com/mo10-.htm>، تاريخ الزيارة: ٢٧ / ٠١ / ٢٠١٨ م.

٢٩- مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، [/www.iedcdubai.ae](http://www.iedcdubai.ae)، تاريخ الزيارة: ٣٠ / ٠١ / ٢٠١٨ م.

٣٠- تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي، ١٧ / ٢٠١٦ م، بدعم من دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، إعداد وإنتاج THOMSON REUTERS بالتعاون

مع: www.iedcdubai.ae/.../ar_SGIE%20Report%20 Dinar Standard،
ES_AR_f2_DIGITAL_1477895725.pdf، تاريخ الزيارة: ٠٣ / ٠٢ / ٢٠١٨ م،
ص ١٤.

٣١- دليل سعادة المتعاملين - هيئة تنظيم الاتصالات، برنامج الإمارات للخدمة
الحكومية المتميزة، الإصدار الأول ٢٠١٦ م، <https://www.tra.gov.ae/assets/>،
Ziqa6G6H.pdf.aspx، تاريخ الزيارة: ٠٩ / ٠٢ / ٢٠١٨ م.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

السلوك الاستهلاكي ودوره في المحافظة على الصحة وتحقيق السعادة

إعداد

د. محمود فهد مهيدات

مدير مكتب إفتاء لواء الكورة

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على النفس، ومن مستلزمات ذلك حفظ صحة الإنسان في بدنه وعقله وروحه، والصحة البدنية مما فطر الناس على الاهتمام بها؛ لأنها تتعلق بغريزة البقاء، ولا غرو أن من كمال سعادة الفرد في الدنيا كمال صحته - أي: سلامة جسمه وخلوه من الأمراض - ويظهر هذا حينما يحدث للإنسان إعاقة يومية في وظائف جسمه فإن شعوره بالسعادة يتناقص بشكل ملحوظ فيظهر عليه الاكتئاب والتوتر... إلخ، لذا فإن من متطلبات السعادة الدنيوية التحلي بالصحة البدنية وتمازج سلامتها، ومن أجل ذلك فقد شرع الإسلام من الأحكام ووضع من الضوابط ما يكفل للإنسان سعادته الدنيوية، ومن ذلك: تلك الأحكام المتعلقة بالاستهلاك - الذي يعتبر الشرط المادي لاستمرار وجود الإنسان - التي تعنى بضبط وتنظيم نمط سلوك الإنسان الاستهلاكي.

لذا تأتي هذه الدراسة لبيان أن هناك علاقة وثيقة بين السلوك الاستهلاكي وبين الصحة: إما سلبياً وإما إيجابياً، وأن نمط سلوك الإنسان المسلم

الاستهلاكي دوراً في المحافظة على صحته ورفع مستواها، وأن توفر الصحة
الجيدة للفرد سبب من أسباب تحقيق السعادة له إذا ما التزم بتلك التوجيهات
والأحكام الشرعية.



المَقْبَرَة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد^(١)، والمصلحة هي المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهي «أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وما لهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة»^(٢)، ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية بكل نصوصها إما لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل أو لدفع مفسدة عنهم في العاجل والآجل، ولا غرو أن كمال الصحة البدنية للإنسان تعتبر من أجل المصالح لأنها تتعلق بغريزة البقاء وتحقق له سعادته الدنيوية، لأن من كمال سعادة الإنسان الدنيوية كمال صحته أي: سلامة جسمه وخلوه من الأمراض، ولتحقيق تلك المصالح شرع الله تعالى من الأحكام ما يكفل للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، ومن ذلك: تلك الأحكام المتعلقة بسلوك الإنسان الاستهلاكي - الذي يعتبر الشرط المادي لاستمرار حياة الفرد - من حيث ترشيد استهلاكه المتمثل بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقوله ﷺ: «كلوا واشربوا

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩١، ج ٣، ص ١١.

(٢) الغزالي، أبو حامد، المستصفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٣، ص ١٧٣.

والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»^(١)، وكذلك من حيث نوع ما يستهلكه المتمثل بقوله تعالى: ﴿وَيُحَدِّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والطيبات هي: كل ما التذة آكله وشاربه، ولم يكن عليه فيه ضرر في الدنيا ولا في الآخرة^(٢)، والخبائث هي: المتقدرات من المطعم والمشرب^(٣) لذا تأتي هذه الدراسة لبيان أن هناك علاقة وثيقة بين السلوك الاستهلاكي وبين الصحة: إما إيجاباً وإما سلباً، وأن نمط سلوك الإنسان المسلم الاستهلاكي دوراً في المحافظة على صحته، وأن توفر الصحة الجيدة سبب من أسباب تحقيق السعادة له، إذا ما التزم بتلك التوجيهات والأحكام الشرعية.

أهمية وأهداف الدراسة:

- ١ - بيان أن هناك علاقة بين السلوك الاستهلاكي وبين الصحة وتحقيق السعادة.
- ٢ - إبراز وجه العلاقة ما بين كمال صحة الفرد وتحقيق السعادة له.
- ٣ - بيان أن للإنسان دوراً في تغيير أحوال صحته من خلال نمط سلوكه الاستهلاكي.
- ٤ - بيان الضوابط والأحكام الشرعية التي تحكم نمط سلوك المستهلك، وأثر ذلك في المحافظة على صحة الفرد.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ج ٧، ص ١٤٠.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤، ج ٦، ص ٦٥.

(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٩٧.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في: بيان نمط الحياة الإسلامي في الاستهلاك وعلاقته بالمحافظة على صحة الفرد، وعلاقة ذلك بتحقيق السعادة له، من خلال ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أحكام وضوابط تحكم نمط سلوك الإنسان الاستهلاكي.

فروض الدراسة:

١ - سلوك الفرد الاستهلاكي له أثر على تغيير المستوى الصحي للفرد: سلباً أو إيجاباً.

٢ - الأحكام والضوابط الشرعية المتعلقة بالاستهلاك تكفل للمسلم صحة جيدة.

٣ - بتوفر الصحة الجيدة للفرد تحقيق لسعادته الدنيوية.

منهج الدراسة:

سنعتمد أولاً المنهج الاستقرائي وذلك لاستقراء النصوص الشرعية التي تحكم نمط السلوك الاستهلاكي للفرد، ومن ثمّ نسلك المنهج التحليلي، لنحلل تلك النصوص الشرعية لبيان دورها في المحافظة على الصحة الجيدة للفرد في حال التزامه بها، ومن ثمّ إبراز دور توفر الصحة الجيدة في تحقيق السعادة للفرد.

الدراسات السابقة:

بحدود اطلاعي لم أطلع على دراسة متخصصة تناولت هذا الموضوع بشكل مستقل وتفصيلي. إلا دراسة واحدة بعنوان «السلوك والصحة» للدكتور مأمون

مبيض، مجلة الرائد، عدد ٢٤٧، عام ٢٠٠٤، لكنّ هذه الدراسة لم تكن منحصرة في سلوك الإنسان الاستهلاكي وعلاقة ذلك بالصحة، إنما تناول الباحث فيها السلوك العام للإنسان من فكر ومواقف وعواطف وأفعال وعلاقة ذلك بالصحة، فالباحث لم يتناول علاقة سلوك الفرد الاستهلاكي بالصحة، ولا دور التوجيهات الإسلامية في ضبط الاستهلاك وأثر ذلك على الصحة، إنما أشار فقط إلى تلك التوجيهات.

لذلك فالجديد في هذه الدراسة - وإن كان هناك دراسات تناولت كل ما يتعلق بالاستهلاك - أنها ستكون متخصصة ومنحصرة في بيان العلاقة فيما بين نمط الحياة الإسلامي في الاستهلاك، وبين سلوك الفرد ونمط حياته الاستهلاكي، وأثر ذلك في المحافظة على صحته، ودور الصحة الجيدة في تحقيق السعادة للفرد.

خطة البحث:

المبحث الأول: التأصيل الشرعي لسلوك المسلم الاستهلاكي.

المطلب الأول: مفهوم السلوك الاستهلاكي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: حكم الاستهلاك في الإسلام.

المطلب الثالث: الضوابط الشرعية الحاكمة لسلوك المسلم الاستهلاكي.

المبحث الثاني: أثر السلوك الاستهلاكي على المستوى الصحي للفرد.

المطلب الأول: مفهوم الصحة وعلاقتها بالسلوك الاستهلاكي.

المطلب الثاني: التوجيهات الشرعية لسلوك نمط حياة صحي في الاستهلاك.

المطلب الثالث: دور سلوك الفرد الاستهلاكي في التأثير على صحته إيجابا

أو سلبا.

المبحث الثالث: الصحة وتحقيق السعادة للفرد.

المطلب الأول: مفهوم السعادة في الإسلام.

المطلب الثاني: وجه العلاقة بين الصحة والسعادة.

المطلب الثالث: دور الصحة في تحقيق السعادة للفرد.

الخاتمة، النتائج والتوصيات.



المبحث الأول

التأصيل الشرعي لسلوك المسلم الاستهلاكي

المطلب الأول: مفهوم السلوك الاستهلاكي لغة واصطلاحاً:

قبل أن نبين مفهوم السلوك الاستهلاكي لا بد من بيان المصطلحات ذات الصلة بالسلوك الاستهلاكي، وهي ما يلي:

السلوك لغة: مصدر سَلَكَ طريقاً، وسَلَكَ المكان يسلكُهُ سلكاً وسُلوَكا^(١).

اصطلاحاً: يعرف السلوك اصطلاحاً بأنه: «المظهر الخارجي لصفة الخُلُق، فهو صورة النفس الظاهرية الذي يُدْرِك بالبصر، فمن كان خلقه محموداً كان سلوكه محموداً»^(٢). المستهلك: اسم فاعل من استهلك، هو الشخص الذي يقوم بشراء السلعة أو الخدمة بهدف إشباع حاجة أو رغبة لديه أو لدى أفراد عائلته أو من يعول من أقاربه^(٣)، إذاً فهو من يستهلك السلع والخدمات لتلبية حاجاته.

الاستهلاك لغة: مصدر استهلك، استهلاك دين: تسديده على أقساط، استهلاكي

منسوب إلى استهلاك^(٤)

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ، ١٠، ص ٤٤٠.
(٢) الحزيمي، سعود بن عبدالله، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٢٢.

(٣) الشنواني، صلاح، الإدامة الدسوقية الحديثة، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية ١٩٧٤، ص ١٧٣.

(٤) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨، ج ٣، ص ٢٣٥٩.

اصطلاحاً: هو عمليات الإشباع المتوالية للحاجات الإنسانية بالطيبات^(١).

أما الاستهلاك في الاقتصاد الإسلامي، فهو «مجموعة التصرفات التي تشكل سلة السلع والخدمات من الطيبات التي توجه إلى الوفاء بالحاجات والرغبات المتعلقة بأفراد المجتمع والتي تتحدد طبيعتها وأولوياتها باعتماد على القواعد والمبادئ الإسلامية، وذلك لغرض التمتع والاستعانة بها على طاعة الله تعالى»^(٢)، «وما ينفقه المستهلك على السلع والخدمات؛ سعياً لتحقيق منفعة أو إشباع حاجة»^(٣).

السلعة: تعرّف السلعة اقتصادياً بأنها: كل شيء يحقق منفعة أو إشباعاً لمن يستخدمه^(٤)، أما في الإسلام فيقصد بها: تلك التي تحقق منفعة حقيقية أو إشباعاً حقيقياً متفقاً مع قاعدة الحلال والحرام^(٥).

سلع استهلاكية: سلع كالطعام أو الملابس التي تفي بحاجات الإنسان من خلال الاستهلاك أو الاستعمال المباشر لها^(٦).

الاستهلاك الجماعي: هو العمليات الاستهلاكية التي لا يمكن تنظيمها وإدارتها إلا بصورة جماعية^(٧).

(١) السبهاني، عبد الجبار، الاستهلاك، al - sabhany.com@2012 copyright

(٢) عبد الحميد، بوخاري، وزرفون محمد، دور الاقتصاد الإسلامي في ترشيد السلوك الاستهلاكي، بحث منشور في: iefpedia.com تاريخ ٢٠١١، ص ٩.

(٣) مؤمن، أبو سليمان المحتار بن العربي، الاستهلاك، شبكة الألوكة، ٢٠١٢.

(٤) فرج، عبد الفتاح محمد، السلع الاقتصادية طيبات وخبائث، مجلة الاقتصاد الإسلامي، ع ٢١٠، ١٩٩٨ م، ص ٦٧.

(٥) الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الاستهلاك ووضوابطه في الاقتصاد الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٤ م، ص ٤١.

(٦) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصر، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٣٥٩.

(٧) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٣٥٩.

سلوك المستهلك: هو ذلك التصرف الذي يبرزه المستهلك في البحث عن شراء أو استخدام السلع أو الخدمات أو الأفكار أو الخبرات التي يتوقع أنها تشبع رغباته أو حاجاته وحسب الإمكانيات الشرائية المتاحة^(٨).

سلوك المسلم الاستهلاكي: بعد هذا البيان للمفاهيم ذات الصلة بالسلوك الاستهلاكي يمكن أن نعرف سلوك المسلم الاستهلاكي بأنه: العمليات الاستهلاكية المتوالية للسلع الاستهلاكية، أو الاستعمالات المباشرة للخدمات التي حصل عليها بطريقة مباشرة «كالشراء»، أو غير مباشرة «كالهبة» بهدف إشباع حاجة - مشروعة ومنضبطة شرعاً كمّاً ونوعاً وغايةً - من حوائجه أو من حوائج أفراد عائلته أو من يعول من أقاربه.

المطلب الثاني: حكم الاستهلاك:

بيناً أنّ من مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة: حفظ النفس البشرية من جانب الوجود، أي من جهة الاستمرار والدوام، وهذا لا يتم إلا «بدفع ضروراته وحاجاته من المأكل والمشرب، والملابس، والمناكح وغير ذلك من المنافع، ولن يتم ذلك إلا بإباحة التصرفات الدافعة للضرورات والحاجات»^(٩)، وعليه فقد أوجب الشريعة على الإنسان أن يمد نفسه بكل ما من شأنه أن يحافظ على بقاء نفسه في هذه الحياة الدنيا من تناول للطعام والشراب والملابس والمسكن، وبمفهوم المخالفة لهذا الإيجاب يجرم عليه أن يمتنع عن المأكل والمشرب... إلخ، إلى الحد الذي يهدد

(٨) عبيدات، محمد إبراهيم، سلوك المستهلك، ط ٤، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٤ م ص ١٣.

(٩) العز بن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (د، ط) ١٩٩١ م، ج ٢، ص ٨٠.

بقاء حياته حتى ولو تعبدا - كصوم الوصال - ومما يؤكد هذا أن الشريعة أباحت للمضطر إذا أصابته مخمصة تؤدي به إلى درجة الهلاك تناول المحظورات المحرمة كالميتة... إلخ، التي حرمت على الإنسان لضررها وذلك حفاظا على حياته، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣]، وهذه الإباحة واجبة عليه إذا وصل إلى درجة الموت إذا لم يأكل منها، لأن هذا يعد قتلًا للنفس، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩]، وقتل النفس معصية بل من الكبائر، قال الجصاص: «من امتنع من المباح حتى مات كان قاتلا نفسه متلفا لها عند جميع أهل العلم... لو امتنع عن أكل المباح من الطعام معه حتى مات كان عاصيا»^(١)، إذا فمن الوسائل التي تحفظ النفس البشرية الاستهلاك، وبما أن حفظ النفس واجب، فإن الاستهلاك واجب على الإنسان ليحفظ به نفسه، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

المطلب الثالث: الضوابط الشرعية التي تحكم النمط الاستهلاكي:

سبق البيان أن الاستهلاك هو الشرط المادي لاستمرار حياة الإنسان، وأن الإنسان يجب عليه أن يستهلك بالقدر الذي يحفظ به نفسه، ولكن لا يعني هذا أن له مطلق الحرية في الاستهلاك، يستهلك ما شاء وكيفما شاء وقدر ما يشاء، إنما هو محكوم بضوابط شرعية من شأنها أن تنظم له سلوكه الاستهلاكي بما تضمن له سلامة نفسه وعقله ونسله ودينه، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

(١) الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٩٩٤ م، ج ١، ص ١٥٥.

١ - الالتزام بمبدأ الحلال والحرام المتمثل بإباحة الطيبات وتحريم الخبائث:

يجب على الفرد المسلم أن يلتزم في سلوكه الاستهلاكي بما أوجبه عليه الشرع من استهلاك السلع والخدمات الحلال الطيبة، والبعد عن السلع والخدمات المحرمة الخبيثة قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وسبيل تحقيق هذا: التقوى فهي: المحدد الأساسي لسلوك المستهلك المسلم، فحينما يلتزم الفرد المسلم بقاعدة الحلال والحرام في استهلاكه ومورده، لا شك أن سلوكه الاستهلاكي سيضبط من حيث نمط الاستهلاك (الحلال) وكميته (من غير إسراف ولا تبذير) ومورده المباح. لذا يجب على كل فرد مسلم أن ينظر عند استهلاكه للسلع والخدمات إلى حلها وحرمتها، فما كان منها حلالاً استهلكه، وما كان حراماً تركه.

٢ - تحقيق منفعة معتبرة شرعاً:

السلعة في الإسلام كما سبق بيانها: أنها السلعة التي تحقق منفعة حقيقية أو إشباعاً حقيقياً متفقاً مع قاعدة الحلال والحرام، والمنفعة هي: قوة خفية في الإشباع تستطيع أن توجد لإشباع وسعادة الفرد، وهي المجموع الكلي للإشباع المختلفة التي يحصل عليها^(١)، فكل منفعة تتحقق للمستهلك من استهلاكه لا تكون معتبرة شرعاً إلا إذا كانت متقومة شرعاً، أي أباح الشرع الانتفاع بها، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت حلالاً، ومن هنا يجب على الفرد

(١) بكري، كامل، مبادئ الاقتصاد الكلي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م ص ٢٦.

المسلم أن يختار السلع والخدمات الحلال في عملياته الاستهلاكية لتحقيق له المنافع المعتبرة شرعاً.

٣ - تحقيق الغاية «عمارة الكون وعبادة الله تعالى»:

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، استعمركم فيها: جعلكم عمّارها^(١)، إذا مقصد خلق الإنسان عمارة الأرض، وعبادة الله وحده، وهذا لا يتأتى إلا إذا قامت حياة الإنسان، ولا تقوم حياته وتستمر إلا بالاستهلاك وإشباع حاجاته وعليه يجب على الفرد المسلم أن يجعل مقصده في كل عملياته الاستهلاكية تحقيق عمارة الأرض وعبادة الله وحده.

٤ - الالتزام بمبدأ الاعتدال والبعد عن الإسراف:

عني الإسلام بترشيد الاستهلاك ودعا إلى الاعتدال في الإنفاق، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وبالمقابل حرم حياة الترف، والترف هو: التوسع في ألوان النعيم من الشهوات والملذات، وكذلك نهى حياة الإسراف وحرمة وهو «إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس. وقيل تجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة، وقيل الإسراف: تجاوز الحد في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق^(٢).

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج ٩، ص ٥٦.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ج ١ ص ٢٣ - ٢٤.

٥ - قاعدة القيم الخلقية:

لا شك أن استهلاك المسلم يخضع لقيم أخلاقية منها «القناعة» وهي: الرضا بما دون الكفاية، وترك التشوف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود^(١)، وعليه فإذا توفرت القناعة عند الفرد المسلم فإنها تغلق باب شره الاستهلاك عنده، وإغلاق باب شره الاستهلاك يجعل الفرد منضبطاً في سلوكه الاستهلاكي، فلا يأكل إلا إذا جاع، وإذا أكل لا يشبع.

٦ - عدم المباهاة والخيلاء:

ينظر الإسلام إلى الإنفاق الاستهلاكي باعتباره قوام المجتمعات، ومن الواجبات الاجتماعية، فينبغي أن يحذر المسلم من أن يداخل إنفاقه مباهاة أو خيلاء قال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»^(٢) فهذا الحديث أصل في تدبير المعيشة، وترشيد الاستهلاك، وضبط الإنفاق، وقد ذكر النبي ﷺ مهمات الأشياء في الإنفاق وهي «الأكل والشرب، واللباس، والصدقة»^(٣)، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].



(١) السيوطي، عبد الرحمن، جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ ج ٧، ص ١٤٠.

(٣) الحقييل، إبراهيم بن محمد، حديث ضبط الإنفاق، موقع الألوكة، ٢٠١١ م.

المبحث الثاني

أثر السلوك الاستهلاكي على المستوى الصحي للفرد

المطلب الأول: مفهوم الصحة وعلاقتها بالسلوك الاستهلاكي:

الصحة لغة: العافية، ويقال: أرض مَصْحَةٌ: بريئة من الأوباء، صحيحة: لا وباء فيها ولا تكثر فيها العلل والأسقام^(١)، والعافية: أن يعافيه الله من سُقْمٍ أو بليّةٍ، وهي الصحة ضد المرض، يقال: عافاه الله وأعفاه أي: وهب له من العافية من العلل والبلايا^(٢) وفي الحديث قوله ﷺ: «اسألوا الله العفو والعافية، فإنّ أحداً لم يعطَ بعد اليقين خيراً من العافية»^(٣).

الصحة اصطلاحاً: هي حالة من المعافاة الكاملة بدنياً، ونفسياً واجتماعياً، وروحياً^(٤).

من خلال ما تقدم يمكن القول: إنّ المفهوم الاصطلاحي للصحة لا يخرج عن المفهوم اللغوي، فمدلولهما واحد وهو: أنّ الصحة هي: سلامة النفس والبدن من الأمراض، قال ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه» نفسه «معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»^(٥).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٠٨.

(٢) المرجع السابق، ج ١٥، ص ٧٢.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي - مصر، ط ٢، ١٩٧٥، ج ٥، ص ٥٥٧.

(٤) الخياط، محمد هيثم، فقه الصحة، سلسلة الهدى الصحي، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق المتوسط، ١٩٩٦ م.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٥٧٤.

علاقة الصحة بالسلوك الاستهلاكي:

مما لا شك فيه أن أكثر الأمراض هي نتيجة الإكثار من تناول الطعام والشرب إلى ما وفق الشيع والحاجة وصولاً إلى درجة التخممة التي هي أصل كل داء، فضلاً عن خطر إدخال الطعام على الطعام على صحة الإنسان فهو من مهلكات الجسد، ويؤكد هذا قوله ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب آدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت آدمي نفسه، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(١) وتعليقاً على هذا الهدي النبوي الشريف قال العلماء: إن البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز، فضغطت على الرئتين فضاقت مجاري التنفس الذي هو ضروري لإصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الإنسان^(٢)، وقال ابن القيم: الأمراض نوعان: مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية، وهي الأمراض الأكثرية، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك، أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطء الزوال وسريعه، فإذا توسّط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير^(٣)، وقال الحارث بن

(١) ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية، (د، ط) (د، ت)، ج ٢، ص ١١١١.

(٢) الخولي، محمد بن عبد العزيز، الأدب النبوي، دار المعرفة - بيروت، ط ٤ ١٤٢٣ هـ ص ٢٠٩.

(٣) ابن القيم، محمد بن أي بكر، الطب النبوي، دار الهلال - (د، ط)، (د، ت) ص ١٦.

كلدة طبيب العرب: «المعدة بيت الداء والحمية نصف الدواء»^(١) والحمية: هي النظام الغذائي الصحي المعتدل، لذلك لو اقتصد الإنسان في طعامه وشرابه لا ستقام بدنه. من كل ما تقدم يتبين لنا أنّ صحة الإنسان - من حيث سلامته من الأمراض وسقمها - مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باستهلاك الفرد كمّاً ونوعاً، فالعلاقة طردية، فكلما استهلك كثيراً مرض كثيراً، وكلما قلل واعتدل في استهلاكه انتفع وسلم من المرض، قال عبد الملك بن سعيد بن الحارث: «المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم»^(٢).

المطلب الثاني: التوجيهات الشرعية لسلوك نمط صحي في الاستهلاك:

إنّ الناظر في الكتاب والسنة ليجد توجيهات كثيرة تحضّ الفرد المسلم على سلوك نمط حياة صحي في عملياته الاستهلاكية، والتي من شأنها إذا ما التزمها أن يحفظ بها صحته.

ومن هذه التوجيهات ما يلي:

١ - الاعتدال في الطعام والشراب:

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال ابن عباس رضي الله عنه: أحلّ الله في الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو

(١) العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٢.

مخيلة، أما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوع وسكّن الظمّاً فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس^(١).

٢ - التوازن بين الطعام والشراب والتنفس:

الأصل أن الإنسان يلتزم في استهلاكه بالتوجيه النبوي: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب آدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت آدمي نفسه، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢) وهو أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، لكن إن تجاوزها أن يجعل توازناً بين طعامه وشرابه وتنفسه، فليأكل في ثلث بطنه، ويترك الثلث الآخر للماء، والثالث للتنفس، لأنّ هذا أنفع للبدن والقلب، فإنّ البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشرب، فإذا ورد عليه الماء ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، فامتلاء البطن من الطعام مضرٌ للقلب والبدن»^(٣).

٣ - تناول الطيب من الطعام والشراب:

الطيب من الطعام: خلاف الخبيث من الطعام، والأصل فيه ما تستلذه الحواس وما تستلذه الأنفس، فالطيبات هي «المواد النافعة الممنوحة من الله تعالى لعباده، والتي يؤدي استعمالها إلى معنى مادي وأخلاقي وروحي للمستهلك»^(٤).

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٩١.

(٢) سبق تحريجه.

(٣) ابن القيم، الطب النبوي، مرجع سابق، ص ١٦ بتصرف.

(٤) التركماني، عدنان، المذهب الاقتصادي الإسلامي، مكتبة السوادبي، ١٩٩٠، ص ٣٥٨.

٤ - البعد عن الضار من الطعام والشراب:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(١) ولا ضرار أي لا مضارة، والمضارة: إيقاع الضرر قصداً، لذلك يجب على الفرد المسلم أن يتعدى في طعامه وشرابه عن كل ما فيه ضرر كالخمر والتدخين... إلخ.

٥ - حسن تدبير المطعم والمشرب:

إنّ مما تحفظ به الصحة حسن التدبير في المطعم والمشرب وكل ما فيه قوام بدن الإنسان، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق للملائم للبدن كان أقرب إلى دوام الصحة»^(٢). ومن حسن تدبير المطعم والمشرب ما يلي:

أ - التنوع في الغذاء: أي أن يكون الغذاء مشتملاً على جميع ما يحتاجه الجسم من العناصر الغذائية، ومن تأمل هدي النبي ﷺ في غذائه نجد أنه لم يكن يجبس النفس على نوع واحد من الغذاء لا يتعداه إلى سواه - فإن ذلك يضر بالطبيعة جداً، ولو أنه من أفضل الأغذية، فهو خطر مضر - بل كان يأكل ما جرت به عادة أهل بلد بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر^(٣).

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٨٤.

(٢) ابن القيم، الطب النبوي، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦١.

ب - تقديم الفاكهة على باقي أنواع الغذاء: «إذا كان مع الطعام فاكهة أن يبدأ بها أولاً، لأن سكرها يصل إلى مركز الإشباع ويتنبأ، ولأنها سهلة الامتصاص والهضم وهي المصدر الأساسي للطاقة في الجسم وبالتالي فإنها تذهب الجوع، لذلك فتأكل باعتدال، لأن الإنسان يشبع إذا امتلأت المعدة أو إذا تنبه مركز الإشباع، لذلك فإن بدأت الطعام بالدسم لن تشبع حتى تمتلئ المعدة»^(١)، وامتلاؤها يمنع الصحة ويجلب المرض. وقد أرشدنا الله تعالى إلى هذا النظام بقوله: ﴿وَفَاكِهِةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢١].

ج - أن يكون الخبز مأدوماً: إن أكل الخبز مأدوماً من أسباب حفظ الصحة، بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده. وسمي الأدم مأدوماً لإصلاحه الخبز، وجعله ملائماً لحفظ الصحة^(٢)، وهذا من هديه ﷺ فقد كان يأكل الخبز مأدوماً ما وجد له إداماً، دخل يوماً على أهل بيته فأخرج إليه فلقاً من خبز فقال «ما من آدم؟» قالوا لا، إلا شيء من خل، فقال: «فإن الخل نعم الأدم»^(٣).

د - ترك ما تعافه النفس: كان من هديه ﷺ إذا عافت نفسه الطعام لم يأكله، ولم يحملها إيأه على كره، وهذا أصل عظيم في حفظ الصحة، فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه، ولا يشتهيها، كان تضرره به أكثر من انتفاعه^(٤)، قدم للنبي ﷺ صب فرفع يده،

(١) النابلسي، محمد راتب، تربية الأولاد في الإسلام - التربية الصحية - قناة الطيبة، ٢٤ / ٥ / ٢٠٠٨، بتصرف.

(٢) ابن القيم، الطب النبوي، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٣) مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د، ط)، (د، ت) ج ٣، ص ١٥٤٣.

(٤) ابن القيم، الطب النبوي، مرجع سابق، ص ١٦١.

فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه^(١).

المطلب الثالث: دور سلوك الفرد الاستهلاكي في التأثير على صحته إيجاباً أو سلباً:

من مقاصد الشرعية حفظ النفس من جانب العدم، أي: حمايتها من التلف قبل وقوعه، فحرم قتل النفس بغير حق، وعليه فكما أوجبت الشريعة على الإنسان أن يحافظ على نفسه من جانب الوجود، كذلك أوجبت عليه حفظها من جانب العدم، وذلك بأن يبتعد ويترك كل ما من شأنه إزهاق نفسه، أو إيقاع الضرر عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن تحسّى سماً فقتل نفسه فسُمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً»^(٢) وقد بينا سابقاً كيف يمكن للفرد المحافظة على صحة نفسه من خلال سلوكه الاستهلاكي إذا ما التزم بالضوابط والقواعد الشرعية التي تحكم السلوك الاستهلاكي، وبالطبع وبخلاف هذا فإنه يكون سبباً في تدنى المستوى الصحي، فيلحق الضرر بنفسه. إذاً فصحة الإنسان - من حيث سلامته من الأمراض وسقمها - مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باستهلاك الفرد كماً ونوعاً وكيفيةً فالعلاقة طردية،

(١) مسلم، صحيح مسلم، مرجع السابق، ج ٣، ص ١٦٢٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٣٩.

فكلما استهلك كثيراً مرض كثيراً، وكلما قلل واعتدل في استهلاكه انتفع وسلم من المرض.

وخلاصة القول: من كل ما تقدم يتبين لنا دور سلوك الفرد الاستهلاكي في التأثير على صحته إيجاباً أو سلباً^(١).



(١) لمزيد من التوضيح: ينظر المطلب الأول من المبحث الثاني «علاقة السلوك بالصحة»، والمطلب الثاني «التوجيهات الشرعية».

المبحث الثالث

الصحة وتحقيق السعادة للفرد

سنتناول في هذا المبحث دور الصحة في تحقيق السعادة للإنسان، ولكن قبل

ذلك لا بد أن نبين مفهوم السعادة في الإسلام، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم السعادة في الإسلام:

السعادة لغة: مصدر من: سَعِدَ، السَّعْدُ: اليُمْنُ وهو نقيض النَّحْسِ، والسعادة: خلاف الشقاوة، وقيل: سَعِدَ يَسْعُدُ سَعِيداً وسعادةً فهو سعيد نقيض شقي، وسَعِدَ: فهو مسعود والجمع سَعْدَاءُ^(١)، وأصل الإسعاد والمساعدة: متابعة العبد أمر ربه ورضاه^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨].

السعادة في الإسلام: يختلف مفهوم السعادة في الفكر الإسلامي عن مفهومها في الثقافات الأخرى، فهي في المجمل عندهم: منحصرة فيما يحصل عليه الفرد من المتعة في الدنيا: متعة المأكل والمشرب، والجماع، وإشباع الغرائز... إلخ.

أما في الإسلام فهي: شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينه النفس، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وراحة الضمير والبال، نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر والباطن المدفوع بقوة الإيمان^(٣)، والشواهد من القرآن والسنة كثيرة

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١٣.

(٣) اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، مفهوم السعادة في الإسلام، موقع الشيخ عبد الرحمن اللويحق، تاريخ النشر، ٢٩/١١/٢٠١٥.

منها، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ آتَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، وقوله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، إنما الغنى غنى النفس»^(١)، ومع ذلك أشار النبي ﷺ إلى السعادة الدنيوية، وبين أسبابها بقوله «أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وأربع من الشقاوة: الجار السوء والمرأة السوء والمسكن الضيق والمركب السوء»^(٢). لذلك فقد شرع الإسلام من الأحكام ما يكفل للإنسان تحقيق سعادته الدنيوية، والتي منها ما تُحَفَظُ به صحة البدن التي تُعنى بضبط نمط سلوك الفرد الاستهلاكي، من حيث طيب المطعم والمشرب ونوعهما وكميتهما، وحلّهما - وقد سبق بيان أثر ذلك على مستوى صحة الفرد - وهذا ما أكده بعض المتقدمين من أئمة الطب بقولهم: من أراد عافية الجسم فليقلل من الطعام والشراب، وقال ثابت بن قرّة: راحة الجسم في قلة الطعام»^(٣). ومن أهم أسباب السعادة: سلامة الجسد والمعافاة من الأمراض.

المطلب الثاني: وجه العلاقة بين الصحة والسعادة:

السعادة تعتبر ركناً من أركان الصحة، والصحة ليست مجرد خلو المرض ولكنها فوق ذلك عافية في البدن، ولا غرو أن من كمال سعادة الفرد في الدنيا كمال صحته -

(١) ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٤٥٣.

(٢) ابن القيم، الطب النبوي مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٠.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ج ٩، ص ٣٤٠.

أي: سلامة جسمه وخلوه من الأمراض - ويظهر هذا حينما يحدث للإنسان إعاقة يومية في وظائف جسمه فإن شعوره بالسعادة يتناقص بشكل ملحوظ فيظهر عليه الاكتئاب والتوتر... إلخ، وقد أكدت دراسة أوروبية هذه النتيجة حيث كان من نتائجها: بأن الإعاقة اليومية لوظائف الجسم تتعلق بتناقص ملحوظ في الشعور بالسعادة، فالإنسان الذي يعاني من سرطان البروستات مثلاً لا يحرز على مقياس السعادة بعكس شخص لا يعاني من مرض خطير، وقد أكد هذا مؤلف الدراسة إريك أنغر بقوله: «إن الحالة الصحية تعتبر إحدى أهم التنبؤ بالسعادة^(١)؛ لذا فإن من متطلبات السعادة الدنيوية التحلي بالصحة البدنية وتام سلامتها، وإذا نظرنا في واقع الناس الصحي نجد أن أكثر الأمراض «غالباً» التي يعاني منها الإنسان من صنع يده ومن آثار سلوكه العام، وسلوكه الاستهلاكي واحد منها، لذلك فالسعادة والصحة متلازمتان، فلا سعادة بدون صحة، فلا يمكن لإنسان مريض أن يشعر بالسعادة مهما كان نوع مرضه.

المطلب الثالث: دور الصحة في تحقيق السعادة للفرد:

من أجل النعم وأعظمها على الإنسان بعد نعمة الإيمان بالله نعمة الصحة والعافية ومن متطلبات السعادة الدنيوية التحلي بالصحة البدنية وتام سلامتها، أي اكتمال الجسم السلامة من جميع الأمراض، لأنه لا يمكن تحقيق السعادة في ظل حياة غير صحية تجلب الأمراض إلى الجسم، وقد بين النبي ﷺ سر سعادة الإنسان في ثلاثة أمور: أمن، عافية، عنده قوت يومه، فقال ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه،

(١) ينظر: موقع البوابة: albawaba: صلة بين السعادة والصحة، ٢٠١٢م.

معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنها حيزت له الدنيا»^(١)، فالعافية من المرض من أسباب السعادة، وما من شك أن للصحة دوراً مهماً في تحقيق السعادة، فهناك أناس كثر ممن يعانون من الأمراض التي تفقددهم الشعور بالسعادة والراحة والاستمتاع بالحياة، فما هو دور الصحة - في حال وجودها كنتيجة إيجابية للاستهلاك - في تحقيق السعادة للفرد؟ تفصيل ذلك بما يلي:

١ - الصحة البدنية:

توصل أهل الطب في أبحاثهم المتعلقة في بيان أن الصحة الجيدة هي من أسباب تحقيق السعادة للفرد، أن هناك هرموناً يسمى «هرمون السعادة» هرمون السيروتونين خلقه الله تعالى في جسم كل إنسان، هو المسؤول عن تحقيق السعادة لدى الإنسان وهو عبارة عن: مواد كيميائية تساعد الإنسان على نقل الإشارات العصبية من منطقة إلى أخرى في الدماغ، فهو مثبت المزاج الطبيعي في الجسم، ويساعد على تنظيم المزاج بشكل طبيعي، ويوجد ٩٠٪ منه في الجهاز الهضمي والصفائح الدموية، وهذا يعني أن بقاءه بمستواه الطبيعي يزيد من الشعور بالسعادة والهدوء والاستقرار العاطفي، ومن أسباب المحافظة عليه ورفع مستواه: التغذية السليمة: كما ونوعاً، أي أن يتبع الفرد في سلوكه الاستهلاكي نظام غذائي صحي^(٢).

٢ - الصحة النفسية أو «العقلية»:

هي مستوى الرفاهية النفسية أو العقل الخالي من الاضطرابات، ومن وجهة نظر علم النفس الإيجابي أو النظرة الكلية للصحة العقلية من الممكن أن تتضمن

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: موقع: موضوع «mawdoo3.com: هرمون السعادة، ٢٠١٦م.

قدرة الفرد على الاستمتاع بالحياة^(١)، وعليه فإن الإنسان الذي يعاني من اضطراب في حالته الصحية العقلية يواجه مشكلات عديدة، من أبرزها الإجهاد والاكتئاب والقلق والحزن.. الخ، وبالتالي سيؤثر ذلك على صحته البدنية وبعكس ذلك لن يعاني من تلك المشكلات، بل سيشعر بالسعادة وسيستمتع بحياته كأى إنسان طبيعي.

٣ - قضاء الحاجات والقيام بالمسؤوليات:

إن كل إنسان له واجبات وعليه مسؤوليات لا بد أن يقوم بها حتى تنهياً حياة طيبة وكريمة، لذلك فالإنسان الصحيح السليم من الأمراض هو من يستطيع القيام بواجباته ومسؤولياته، وبالمقابل الذي يصيبه المرض تراه ضعيفاً، لا يستطيع قضاء حاجاته ولا القيام بمسؤولياته، وهذا بلا شك يكون له آثار سلبية عليه منها: الاضطراب والمزاج الحاد، والشعور بالحزن والاكتئاب.. الخ بينما إذا مارس ذلك كله بنفسه، لن يؤثر ذلك على نفسيته بسبب عدم إحساسه بالعجز والضعف، وبالتالي تحقق له السعادة^(٢).

٤ - توفير المال والوقت والجهد:

من أسباب سعادة الإنسان توفير المال والوقت وجهد النفس، وهذه تتحقق للإنسان حينما يتمتع بجسم خالٍ من الأمراض، والخلو من الأمراض يعني: أنه لن يتحمل تكاليف العلاج من جهة، ولن يعاني من مراجعة المستشفيات والأطباء من جهة أخرى، والمشاهد لأحوال المرضى يرى كم هي المعاناة التي يعيشونها، إما

(١) ينظر: https://ar.m.wikipedia.org/wiki/صحة_نفسية - ٢٠١٨ م.

(٢) mawdoo3.com، مرجع سابق، أهمية الصحة في حياة الإنسان، ٢٠١٥ م.

بسبب كثرة تكاليف العلاج، أو ندرتها لديه، أو بسبب صرف الأوقات الطويلة والجهود المبذولة للوصول إلى العلاج، وهذا كله سينعكس سلباً على نفسياتهم: كآبة وتشاؤماً من الحياة، وبالتالي لن يشعروا بالسعادة في حياتهم، فتوفر الصحة للفرد يعني: السلامة له من ذلك كله، وبالتالي تكون حياته خالية من التوتر والاضطراب والتشاؤم، مما يجعله يشعر بالسعادة مع نفسه.

من كل ما تقدم يتبين لنا أن توفر الصحة الجيدة لها دور واضح في تحقيق السعادة للإنسان، وأن سعادة الإنسان مرتبطة بالصحة الجيدة وجوداً وعدمياً، فكلما توفّر مستوى جيد من الصحة للإنسان كلما زادت سعاده في الحياة.



الختام

النتائج:

من خلال ما تم عرضه في ثنايا البحث نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

- ١ - الاستهلاك واجب على الإنسان بالقدر الذي يحفظ به نفسه.
- ٢ - الإنسان ليس مطلق الحرية في الاستهلاك، إنما هو محكوم بضوابط شرعية.
- ٣ - للاستهلاك دور في التأثير على المستوى الصحي للفرد: إيجاباً أو سلباً.
- ٤ - نمط استهلاك الفرد المسلم محكوم بضوابط وتوجيهات شرعية من شأنها أن تنظم له سلوكه الاستهلاكي بما تضمن له سلامة نفسه وعقله ونسله ودينه.
- ٥ - إن لنمط سلوك الإنسان المسلم الاستهلاكي دوراً في المحافظة على صحته ورفع مستواها، إذا ما التزم بتلك التوجيهات والأحكام الشرعية.
- ٦ - من متطلبات السعادة الدنيوية التحلي بالصحة البدنية وتمام سلامتها، وتوفير الصحة الجيدة للفرد سبب من أسباب تحقيق السعادة له.

التوصيات:

- ١ - نشر الوعي الشرعي في بيان الغاية من الاستهلاك وهي: عمارة الأرض، وعبادة الله تعالى، والفوز في الآخرة.
- ٢ - نشر التثقيف الصحي في المجتمع الإسلامي فيما يتعلق بالاستهلاك من حيث آثاره على الصحة في حال عدم الالتزام بتوجيهات الشرع.

والحمد لله رب العالمين.



قائمة المصنّاور

- ١ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٢ - بكري، كامل، مبادئ الاقتصاد الكلي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٣ - ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢، ١٩٩٣م.
- ٤ - ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- ٥ - ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطب النبوي، دار الهلال - (د، ط)، (د، ت).
- ٦ - ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية، (د، ط) (د، ت).
- ٧ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- ٨ - التركماني، عدنان خالد، المذهب الاقتصادي الإسلامي، مكتبة السوادبي، ط ١، ١٩٩٠م.
- ٩ - الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي - مصر، ط ٢، ١٩٧٥م.
- ١٠ - الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.

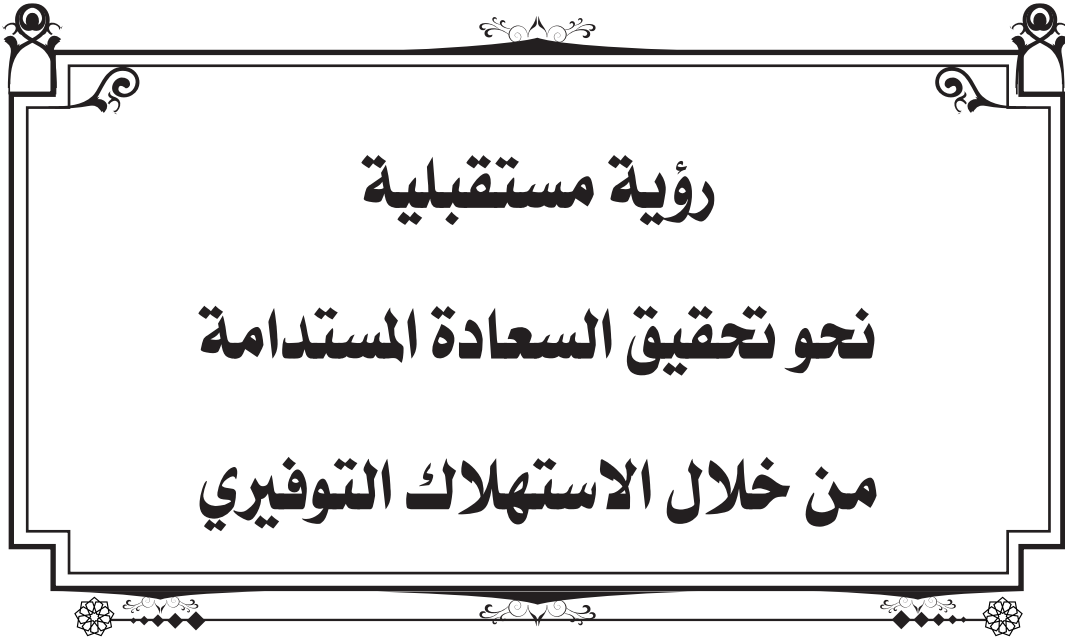
- ١١ - الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.
- ١٢ - الحزيمي، سعود بن عبدالله، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، الفجر للنشر والتوزيع ٢٠٠٥ م.
- ١٣ - الحقييل، إبراهيم بن محمد، حديث ضبط الإنفاق، موقع الألوكة، ٢٠١١ م.
- ١٤ - الخولي، محمد بن عبد العزيز، الأدب النبوي، دار المعرفة - بيروت، ط ٤، ١٤٢٣ هـ.
- ١٥ - الخياط، محمد هيثم، فقه الصحة، سلسلة الهدي الصحي، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق المتوسط، ١٩٩٦ م.
- ١٦ - السبهاني، عبد الجبار، الاستهلاك، al - sabhany.com@2012 copyright
- ١٧ - السيوطي، عبد الرحمن، جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- ١٨ - الشنواني، صلاح، الإدامة التسويقية الحديثة، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية ١٩٧٤ م.
- ١٩ - عبد الحميد، بوخاري، وزرفون محمد، دور الاقتصاد الإسلامي في ترشيد السلوك الاستهلاكي، بحث منشور في: iefpedia.com تاريخ ٢٠١١ م.
- ٢٠ - عبيدات، محمد إبراهيم، سلوك المستهلك، ط ٤، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٤ م.
- ٢١ - العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٠ م.

- ٢٢ - العز بن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (د، ط) ١٩٩١ م.
- ٢٣ - عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٢٤ - الغزالي، أبو حامد، المستصفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
- ٢٥ - فرج، عبد الفتاح محمد، السلع الاقتصادية طبيات وخبائث، مجلة الاقتصاد الإسلامي، ع ٢١٠، ١٩٩٨ م.
- ٢٦ - القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤ م.
- ٢٧ - اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، مفهوم السعادة في الإسلام، موقع الشيخ عبد الرحمن اللويحق، تاريخ النشر، ٢٩ / ١١ / ٢٠١٥ م.
- ٢٨ - مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- ٢٩ - موقع البوابة: **albawaba**: صلة بين السعادة والصحة، ٢٠١٢ م.
- ٣٠ - موقع: موضوع **mawdoo3.com**: هرمون السعادة، ٢٠١٦ م.
- ٣١ - موقع: **https://ar.m.wikipedia.org/wiki** صحة نفسية - ٢٠١٨ م.
- ٣٢ - مؤمن، أبو سليمان المختار بن العربي، الاستهلاك، شبكة الألوكة، ٢٠١٢ م.
- ٣٣ - الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الاستهلاك وضوابطه في الاقتصاد الإسلامي، رسالة دكتوراه جامعة بغداد، ١٩٩٤ م.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



إعداد

د. أسماء فتحي عبد العزيز شحاته

أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر

وأستاذ الفقه المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي عمَّنَّا بفضله العظيم، وأتمَّ علينا نعمته بهدائتنا إلى الصراط المستقيم، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المصطفى الكريم، صلاة دائمة مشفوعة بالبركة والتسليم.

وبعد:

فقد أحاطت الشريعة الإسلامية الإنسان بسياج وطيد من العناية والرعاية، وهيأت له جميع مقومات الحياة ليعيش حياة كريمة هانئة، وأمرته بالسعي لطلب الكسب الحلال، فقال الله تعالى: ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١).

مع إرشاده إلى حسن إدارة المال المتحصل عليه إنفاقاً واستهلاكاً واستثماراً، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢).

وجاء في صفات عباد الرحمن ما يؤكد ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣).

ولما كان لا غنى لأحد من الناس عن الاستهلاك؛ إذ به تتعلق حياتهم، وطمأنينتهم التي تجلب إضفاء السعادة عليهم من جهة أن يملكوا ما يريدون أو ينفقوا أموالهم فيما يرغبون، مع تفاوتهم في ذلك حسب الحاجات والمتطلبات، فتستقر الحياة، وتهدأ

(١) سورة الجمعة جزء من الآية ١٠.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٩.

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٧.

النفوس، كان تحقيق السعادة واستدامتها مرتبطاً بتوجيه الاستهلاك توجيهاً صحيحاً بما يتفق والشريعة الإسلامية.

وإذ يعني الاستهلاك التوفيري أن يُصرف المال لأجل الحصول على منتج ذي جودة عالية، أن يتم في المقابل توفير صرف المال لأجل مكافحة الآثار السلبية الناجمة عن استهلاك المنتجات الرديئة، وآثار المنتجات التي كانت سبباً في تكوينها مكونات ضارة، وذلك كعلاج الأمراض، ومكافحة التلوث والتصحر والجفاف، والاحتباس الحراري ونحو ذلك.

ولا شك أن المنتجات المغشوشة غير المطابقة للمواصفات والمقاييس المطلوبة تفتقد إلى الأداء الجيد، وقصر العمر الافتراضي، وينجم عنها خسائر فادحة تجعل المستهلك مضطراً إلى شراء منتجات بديلة من جهة، والتصدي لآثارها الخطيرة على الصحة وعلى البيئة من جهة أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الصرف الاستهلاكي. كما أن الاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية يؤدي مع الوقت إلى عجز تلك الموارد عن الإيفاء بحاجات الناس الأساسية.

من هنا تظهر أهمية البحث في ضبط الاستهلاك مع الاستفادة المثلى منه، بأن يكون توفيراً على الوجه الذي يجعل الاستهلاك نفسه جالباً لحفظ المال عن صرفه في مكافحة مخاطر الاستهلاك الضار، شاملاً لكل مناحي الحياة، ومن خلال ذلك تتحقق السعادة وتستدام باستدامة الأمن في كل مجالات المجتمع واللاحق بركب التطور والازدهار، حيث الوفرة المالية والاستفادة منها في الاستثمار الذي يعود نفعه ثانية على المجتمع.

لذا وبعد استخارة الله تعالى أردت أن أشارك في منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع ٢٠١٨، الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي، الذي تعقده دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ببحث عنوانته ب: «رؤية مستقبلية نحو تحقيق السعادة المستدامة من خلال الاستهلاك التوفيري».

مشكلة البحث:

يحاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

- ١- ما هي حقيقة الاستهلاك التوفيري، وما علاقته بترشيد الاستهلاك؟
- ٢- هل الاستهلاك التوفيري فاعل في تحقيق السعادة واستدامتها؟
- ٣- ما هي المرئيات حول تحقيق السعادة من خلال الاستهلاك التوفيري؟
- ٤- ما هو الدور المنوط بالأفراد والدولة في الاستهلاك التوفيري؟

خطة البحث:

- قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة في أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وخطته، والمنهج المتبع.
 - التمهيد في عناية الشريعة الإسلامية بسعادة الفرد والمجتمع.
 - المبحث الأول: حقيقة الاستهلاك التوفيري وحكمه الشرعي.
 - المبحث الثاني: الاستهلاك التوفيري وتحقيق الرفاهية.

- المبحث الثالث: آليات تحقيق السعادة من خلال الاستهلاك التوفيري.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفعيل الاستهلاك التوفيري في مختلف المجالات.

المطلب الثاني: إعادة تدوير النفايات.

المطلب الثالث: التوجه نحو الطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر.

المطلب الرابع: تعزيز الرقابة الذاتية ورقابة الدولة.

- الخاتمة: وتشمل أهم نتائج البحث والتوصيات.

المنهج المتبع:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي مع إضفاء منظور الشرع، ملتزمة بالمنهج

العلمي في كتابة البحوث.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



التمهيد

عناية الشريعة الإسلامية بسعادة الفرد والمجتمع

جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية، وعנית بتوفير الحياة الكريمة للإنسان، وتحقيق أسباب سعادة البشرية بضبط التوازن بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة، وبين إعمار الدنيا وإعمار الآخرة، وجعلت المال مقصداً من مقاصدها الضرورية، فحفظته من جانبي الوجود والعدم، حيث بينت طرق كسبه وإنفاقه، ونهت عن إضاعته وإتلافه بالتفريط في حسن إدارته. وحرمت الإسراف، والتبذير. قال عز من قائل: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِّ السَّبِيلِ وَلَا بُذْرًا تَبْذِيرًا﴾^(١)، وقال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)^(٢).

وانتهجت الشريعة نهجاً متوازناً بين حرية الفرد ومصصلحة المجتمع، فسمحت بكل الأنشطة الفردية التي تتفق ومنظورها وتنسجم مع مصلحة المجتمع، ونهت عن الغرر والجهالة وكل ما يؤدي إلى التخاصم والتنازع، كما بينت المحرمات لتجنب المكاسب المتسمة بالظلم وعدم الإنصاف كالربا، والغش، والرشوة، والاحتكار، وحدت من الحدود ما يحفظ المال كعامل بناء لا عامل هدم كحد السرقة، ونفرت من الصفات الذميمة التي تضيق الاستفادة من المال كالبخل، والشح، والجهل، ودناءة الهمة.

(١) سورة الإسراء الآية ٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ (البقرة: ٢٧٣) ج٢ ص٥٣٦، رقم ١٤٥٩.

وتتجلى عناية الشريعة الإسلامية بمراعاة إسعاد الفرد في عدم التضيق عليه بتيسير كل سبل العيش الكريم من مطعم، ومشرب، وملبس، ومسكن، ومركب دون إضرار بغيره، فحضت على الكسب لطلب الرزق. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١)، وقال رسول الله ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)^(٢).

كما تتجلى عنايتها بالمجتمع في إباحة العديد من العقود لحاجة الناس إليها كالسلم والإجارة، وفي فرضية الزكاة على القادرين بشروط معينة، وشرعية التبرعات كالصدقات التطوعية، والصدقات الجارية كالوقف، وإعانة العاجزين عن الكسب بإلزام غيرهم إعاتهم تبعاً لطبيعة العلاقة التي يترتب عليها الإنفاق، فإذا عُدت هذه العلاقة انتقل الإلزام إلى الدولة، امثالاً لقوله ﷺ: (الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)^(٣).

والسعادة في نظر الشريعة الإسلامية ليست منحصرة في الماديات ولا مطلقة في العبادات، وإنما ترابط وتتناسق بين الجانبين الروحي والمادي، فتتحقق السكينة والطمأنينة، وإن كانت العبادات مفتاحها وسبيل إليها، وبها تستدام فلا تزول. قال

(١) سورة الجمعة جزء من الآية ١٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه البيهقي في سننه / كتاب الصلح / باب لا ضرر ولا ضرار ج ٨ ص ٤٣٦، رقم ١١٤٦٦، وأخرجه الحاكم في المستدرک / كتاب البيوع / باب النهي عن المحاقلة والمخاضرة والمنابذة ج ٢ ص ٦٥، رقم ٢٣٨٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يرد فيه جه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له / كتاب الجمعة / باب الجمعة في القرى والمدن ج ٢ ص ٥، رقم ٨٩٣، ومسلم في صحيحه / كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم ج ٣ ص ١٤٥٩، رقم ١٨٢٩.

تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَانَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١).

هذا وإتاحة شريعة الإسلام لمختلف العلوم النافعة دليل بين على إسعادها للبشر؛ إذ يتحقق بدراسة العلوم والتنقيب عنها الترقى في تجميل الحياة وراقيها. قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٢).

فضلا عن الانسجام والتناسق الكوني في الطبيعة وما تحويه من موارد طبيعية تحفظ التوازن البيئي، وتتواءم لإضفاء السعادة على الناس، ولذا نجد الشريعة تنهى عن تشويهها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (٣)، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) (٤).

وجميع هذا لأجل تحصيل السعادة الأبدية، وهي رضا الله تعالى. قال جلّ جلاله:

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٣.

(٣) سورة الأعراف جزء من الآية ٥٦.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب شعب الإيمان ج١ ص٦٣، رقم ٣٥.

(٥) سورة التوبة جزء من الآية ٢١.

وقال العز بن عبد السلام: ومن السعادة أن يختار المرء لنفسه المواظبة على أفضل الأعمال فأفضلها، بحيث لا يضع بذلك ما هو أولى بالتقديم منه، والسعادة كلها في اتباع الشريعة، ونبذ الهوى فيما يخالفها^(١)، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٢).



(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ج١ ص ١٩.

(٢) سورة طه جزء من الآية ١٢٣.

المبحث الأول

حقيقة الاستهلاك التوفيري وحكمه الشرعي

أولاً: حقيقة الاستهلاك التوفيري:

الاستهلاك في اللغة: الاتلاف فيما ينفع، واستهلكه يعني أهلكه^(١).

وفي الاصطلاح:

لم يذكر الفقهاء القدامى تعريفاً للاستهلاك، وقد ورد المصطلح في معرض كلامهم في موضوعات عديدة بمعنى الإتلاف^(٢)، وبمعنى الفناء^(٣)، وجاء معنى الاستهلاك في عبارة العز بن عبد السلام: إتلاف لإصلاح الأجساد وحفظ الأرواح، كإتلاف الأطعمة والأشربة والأدوية^(٤).

وفي الموسوعة الفقهية: تصيير الشيء هالكا أو كالهالك كالثوب البالي، أو اختلاطه بغيره بصورة لا يمكن إفراده بالتصرف كاستهلاك السمن في الخبز^(٥).

والاستهلاك عند علماء الاقتصاد: هو الاستخدام المباشر والنهائي للسلع والخدمات من قبل الإنسان لإشباع حاجاته^(٦).

(١) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي ص ٦٦، مختار الصحاح للرازي ص ٣٢٧.

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ج ٦ ص ١٩٣، المدونة للإمام مالك ج ٣ ص ٣٨٨، أسنى المطالب للأنصاري ج ٢ ص ٣٧، الإنصاف للمرداوي ج ٣ ص ٥١٩.

(٣) كقولهم: (وخلط خمرا بماء، واستهلك فيه، ثم شربه). انظر: الإنصاف للمرداوي ج ١٠ ص ٢٣٢.

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ج ٢ ص ٨٧.

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية ج ٤ ص ١٢٩.

(٦) النظرية الاقتصادية والتحليل الاقتصادي الجزئي لأحمد جامع ج ١ ص ٢٧.

والتوفير يعني التوفير والادخار، يقال: وفرّ المال يعني نَمَّاه وادخره لوقت الحاجة^(١).

تعريف الاستهلاك التوفيري كمصطلح مركب:

لم ينص أحد من العلماء على تعريف الاستهلاك التوفيري كمصطلح مركب، ولذا فقد عرفته الباحثة بأنه صرف المال لأجل الحصول على منتجات عالية الجودة بغية توفير صرفه في مكافحة الآثار السلبية الناجمة عن استهلاك المنتجات الرديئة أو ذات الجودة المنخفضة من علاج الأمراض، وقصر العمر الافتراضي للمنتج، والتصدي لآثارها الخطيرة على البيئة والدولة.

فهو حسن إدارة المال في استهلاكه بالاستخدام الأمثل بما يحقق النمو والازدهار في مختلف المجالات، ويعمل على الارتفاع بمستوى المعيشة حاضراً ومستقبلاً.

ويتناول الاستهلاك التوفيري بهذا الوصف المنتجات الغذائية كافة، والسلع المعمرة من الأجهزة المنزلية والإلكترونيات، وأجهزة المصانع وأدوات الزراعة، وكذلك الأجهزة الطبية والحربية، كما يتناول كل ما يزيد من صلاحية البيئة وتعزيزها.

وتظهر ثمرة الاستهلاك التوفيري في تلك الوفرة المالية المتحققة من تجنب إعادة الصرف في معالجة رداءة المنتجات بإصلاح الأضرار، أو استبدال التالف من أجزائها، أو معالجة الأمراض، أو مكافحة التدهور البيئي، الذي يؤثر سلباً على الإنسان خاصة، وعلى المجتمع عامة.

(١) تاج العروس للزبيدي ج٤ ص ٣٧١، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ ص ٢٤٧٢.

ويشمل الاستهلاك التوفيري جميع المستهلكين أفراداً كانوا أو مؤسسات أو دولة، وإن كان يطلق على استهلاك الدولة مصطلح توزيع، حيث دورها المتمثل في سد النفقات العامة التي يتطلبها المجتمع، إلا أنه لما كان توزيعها للأموال استهلاكاً لصالح المجتمع مع قيامها بالتوازن المطلوب بين حاجات المجتمع وغاياته، رأت الباحثة أن تدخل الدولة ضمن المستهلكين لصالح المجتمع.

ثانياً: الحكم الشرعي للاستهلاك التوفيري

لما كان حفظ المال من مقاصد الشريعة الضرورية، وكان الاستهلاك التوفيري مصلحة من المصالح، ومراتب المصلحة ثلاثة: الضروريات، فالحاجيات، فالتحسينيات.

فإن حكم الاستهلاك التوفيري يتأرجح بين هذه المراتب، وذلك باختلاف الأفراد والمجتمعات، من حيث القدرة المالية، مع تقييده بضوابط الشريعة في إنفاق المال، والتي تتمثل فيما يلي:

١- الالتزام بالجوانب العقائدية والأخلاقية في إنفاق المال.

٢- أن يكون مدار إنفاق المال الوجوه المشروعة، وأن يمنع الإنفاق في غيرها.

٣- الاعتدال في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، والموازنة في الإنفاق من خلال الالتزام بسلم الأولويات، حيث يبدأ الإنسان بسد حاجات نفسه أولاً، ثم أهله، ثم أقربائه، ثم المحتاجين، كما يتضمن سلم أولويات الإنفاق تلبية الضروريات أولاً، ثم الحاجيات، فالتحسينيات.

٤ - خلو الإنفاق التطوعي من التعامل الربوي. قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(١).

٥ - ملاءمة الإنفاق العام للحالة الاقتصادية، وتعني الملاءمة أن يكون الإنفاق في حدود الإمكانيات، ووفقاً للوضع الاقتصادي السائد، فمثلاً في حال التضخم تقلل الدولة من الإنفاق، والعكس في حالة الكساد؛ كي تقوم بتنشيط الاقتصاد^(٢).

وكذلك الحال في الإنفاق الخاص يراعى فيه الحال الاقتصادية للمنفق.

٦ - ديمومية الرقابة من قبل الدولة على منافذ صرف الأموال، مع اتخاذها مسبقاً كل التدابير اللازمة لحفظ المال من التعرض للإسراف أو الاختلاس.

كما أنه من منظور الشريعة الإسلامية ينسحب عليه الوجوب في حال تعيينه لحفظ النفس من الأضرار وحفظ البيئة إذا ما وجد إلى غيره سبيلاً بشرط القدرة المالية، يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٣)، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾^(٤)، وقول النبي ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)^(٥).

(١) سورة الروم جزء من الآية ٣٩.

(٢) النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، للدكتور محمود بن إبراهيم الخطيب ص١٣٧، ١٣٨.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية ١٩٥.

(٤) سورة الأعراف جزء من الآية ٥٦.

(٥) سبق تخريجه.

هذا وشرط القدرة المالية ينسجم مع ما تسمح به الشريعة لمن أشرف على الهلاك ولم يجد من المباح ما يحفظ حياته، فإنه يجوز له تناول المحرم بقدر هذه الضرورة^(١).

وما نصت عليه في قوله تباركت أسماؤه: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾^(٢)؛ إذ لا تكلف الشريعة الإسلامية أكثر مما في الوسع. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣)، مع عدم الركون إلى حال الضيق وضرورة السعي لكسب الرزق؛ مما يوفر الحياة الكريمة.

وثمة اتفاق واختلاف بين الاستهلاك التوفيري وترشيد الاستهلاك المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٤)، وقوله عز من قائل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٥).

إذ يتفقان في حفظ المال وعدم إتلافه، ويختلفان في كيفية الحفظ، فحفظ المال في الاستهلاك التوفيري يكون لغير أصل المال، تابعا له، بينما حفظه في ترشيد الاستهلاك يكون في أصل المال.

أيضا ترشيد الاستهلاك مطلوب من الجميع، أما الاستهلاك التوفيري فمطلوب من ذوي القدرة المالية، فلا يُعقل أن يُطلب من فقير الاقتراض لشراء سلعة جودتها مرتفعة، ويُعقل ذلك من قادر.

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٧٣، الأشباه والنظائر، للسيوطي ص١٤٨، المستصفي للغزالي ص٣٥٦.

(٢) سورة الطلاق جزء من الآية ٧.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية ٢٨٦.

(٤) سورة الأعراف جزء من الآية ٣١.

(٥) سورة الإسراء الآية ٢٩.

هذا والاستهلاك التوفيري يخدم مصالح الشريعة، يتجلى ذلك في اتباع أمر الشارع فيه بعدم التبذير أو الإسراف، إذ يخلو من صرف المال فيما لا ينبغي أو زائداً على ما ينبغي؛ تحقيقاً لما ينبغي من حفظ الصحة والمال والحفاظ على البيئة، فلذا كان صرفه فيما ينبغي أن يُصرف فيه، وعدم تعريض النفس للتلف أو للأمراض المانعة للمرء من ممارسة حياته الطبيعية دينية ودنيوية، وعدم تخريب العقل حيث الملوثات برمتها من المؤثرات عليه، وحفظ الأجيال قوية بعدم توارث الأمراض، والمجتمع ككل بالرقى والتقدم.



المبحث الثاني

الاستهلاك التوفيري وتحقيق الرفاهية

لا يخفى على أحد الميل الطبيعي للإنسان نحو الرفاهية، والتي تعني سعة الرزق ونعومة العيش، والراحة من التعب^(١)، خاصة في عصرنا الحالي، عصر التقدم التكنولوجي بما فيه من وسائل نقل حديثة ومريحة، ووسائل اتصالات حديثة من أقمار صناعية، ومحطات فضائية، وأجهزة اتصالات خلوية، وأجهزة رياضية وطبية ومنزلية، ساعدت على تسير الحياة بسهولة وراحة.

ولما كان المستوى المعيشي لا يتناول المقاييس المادية للعيش فحسب، وإنما يشمل الأمور المعنوية، كالراحة والأمان والموارد الثقافية والحياة الاجتماعية والصحة البدنية والجودة البيئية... الخ، كان تحقيق الرفاهية متوقفاً على ذلك كله.

ويادراك ما ينطوي عليه الاستهلاك التوفيري من منافع مزدوجة تلتقي مع بعضها وتترابط لتحقيق ثلة من المصالح الخاصة والعامة، ولا تنعزل عن الوسط البيئي الذي تُعتبر جودته أساساً لديمومة الطمأنينة ومنبعاً لمواصلة التقدم، يتبين أن الاستهلاك التوفيري يتوافق مع تحقيق الرفاهية ورغد العيش، حيث يتم الارتقاء بنوعية الحياة، فمن خلاله يستطيع الفرد أن يتحصل على متطلبات الحياة الكريمة الهانئة من مطعم، وملبس، ومسكن، وأداة تنقل بجودة مرتفعة، ومن ثم يشعر بالطمأنينة والراحة.

وينال المجتمع الرفاه في الحياة الآمنة المستقرة، مع التقدم وغياب الأمراض الخطيرة، وجودة البيئة.

(١) التوفيق على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي ص ١٧٩.

فالملوثات البيئية بأنواعها من ملوثات الهواء والماء والتربة، والملوثات الناتجة عن المخلفات الصلبة، والمخلفات الخطرة تؤثر سلباً على الحياة الطبيعية للإنسان، وجميعها كفيلاً بإضعاف متعة الحياة، فقد حدثت بعض ملوثات الهواء من قدرة الغلاف الجوي على ترشيح إشعاعات الشمس فوق البنفسجية، وأحدثت هذه الإشعاعات وغيرها تغييراً في المناخ، وتهدد ملوثات الماء والتربة إنتاج الغذاء الضروري، كما تهدد الملوثات البحرية الكثير من الكائنات العضوية البحرية^(١).

وتمثل الأمراض المنقولة بالأغذية بسبب كائنات ممرضة ميكروبية أو ملوثات كيميائية تهديداً للصحة، ومن المعروف أن الميكروبات تتكاثر في الغذاء إذا وجدت المناخ المناسب، ويقل هذا التكاثر أو ينعقد إذا اتخذت الإجراءات اللازمة لنقل الميكروبات أو تثبيط تكاثرها^(٢).

كما أن غياب الأمن في المجتمع يولد الخوف ويُعَدِم السكينة، ويزعزع الاستقرار والطمأنينة، ويعطل اللحاق بركب النمو والتطور، وقد قال النبي ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَاقٍ فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)^(٣).

هذا ويساعد الاستهلاك التوفيري في تخفيف العبء عن كاهل الدولة، حيث يساهم في توفير احتياجات المجتمع من خلال الفائض منه؛ مما يعمل على رفع مستوى

(١) موسوعة التلوث البيئي لسحر أمين حسين ص ١٧ وما بعدها.

(٢) الغذاء وصحة المجتمع. تأليف: د. عبد الله البكري، د. عز الدين الدنشاري، د. فاطمة أبو لبن ص ٨٧.

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح/ كتاب الزهد/ باب في التوكل على الله ج ٤ ص ٥٧٤، رقم ٢٣٤٦، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية.

المعيشة وتدني حد الفقر، وتوفير حد الكفاية^(١) لكل أفراد المجتمع، فيدعم الفائض من الاستهلاك التوفيري بعض أوجه الإنفاق العام، وخصوصاً تلك النفقات المخصصة للفئات الفقيرة، والتي تشمل الإنفاق على ذوي الحاجات ممن لا عائل لهم، وذلك بالتحاذي مع أموال الزكوات والصدقات التطوعية، كما يساند الفائض الإنفاق على التعليم وعلى الصحة، ويسهل توجه الدولة نحو مواكبة المستجدات من التقنية النافعة التي تتفق ومصالحة المجتمع، ويحقق أمنها وقوتها.

ولا شك أن الظروف الاقتصادية تؤثر بشكل كبير على المستهلك من حيث مستوى الدخل والجزء المخصص للاحتياجات أو الادخار أو الاستهلاك، والميل للإنفاق أو الاقتراض^(٢)، إلا أن الاستهلاك التوفيري يعزز السعي إلى زيادة الدخل بالعمل الحسن الذي يسهم في تحسين الحياة.

ويمكن اعتبار الرفاهية للأفراد منخفضي الدخل نوعاً من الحماية الاجتماعية؛ إذ يتمتعون بخدمات متنوعة مدعومة من قبل الدولة، كالرعاية الصحية المجانية أو المخفضة، والإسكان بأسعار مناسبة، وعن طريق الاستهلاك التوفيري يمكن زيادة أنصبتهم من تلك الخدمات نظراً لوجود فائض يوزع على المحتاجين كما سبق بيانه.

(١) حد الكفاية: ما لا بد للإنسان منه على ما يليق بحاله، من نكاح وتعليم وعلاج وقضاء دين، وما يتزين به من ملابس وحلي وغير ذلك. (الموسوعة الفقهية الكويتية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ج ٣٥ ص ٦٠). أما الكفاف فما يكون بقدر الحاجة ولا يفضل منه شيء، ويكف عن السؤال. التعريفات للجرجاني ص ١٨٥.

(٢) المفاهيم التسويقية الحديثة وأساليبها، للدكتور محمد منصور أبو جليل وآخرون ص ٧٢.

وجدير بالذكر أن الرفاهية المنوط تحقيقها بالاستهلاك التوفيري تختلف تمام الاختلاف عن الرفاهية المتحققة من الاستهلاك الترفي، والتي تستفاد من قول النبي ﷺ: (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ) (١).

حيث يؤدي الاستهلاك الترفي بالإنسان إلى البعد عن اتباع منهج الشرع فيه، أما في الاستهلاك التوفيري فإن طلب الأصلح والأُنفع مطلوب في الشريعة. يدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اِحْرَضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ) (٢)، وما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ) (٣).

هذا وقد ذكر برنامج الأمم المتحدة أن رفاهية الإنسان وحالة البيئة مترابطان بقوة، وأن رفاهية الإنسان يمكن تصنيفها وفقاً لثلاث رؤى، لكل منها تداعيات مختلفة على البيئة هي الموارد التي يمتلكها الناس، وكيفية شعور الناس حيال حياتهم، بمعنى تحقيق الرضا عن الحياة، وما يمكن للناس أن يكونوا عليه، وما يمكن أن يفعلوه، وهذا يعني أن البيئة توفر الأساس لفوائد كثيرة مثل الغذاء الصحيح والتمتع بالأمن والمشاركة في حياة المجتمع، وتقدير البيئة يكون أبعد من دورها كمولد للدخل (٤).

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الجهاد والسير/ باب الحراسة في الغزوي سبيل الله ج٤ ص٤٣، رقم ٢٨٨٦.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب القدر/ باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ج٤ ص٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤.

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح/ كتاب الأدب/ باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ج٥ ص١٢٣، رقم ٢٨١٩، وقال أبو عيسى: حديث حسن.

(٤) توقعات البيئة العالمية، البيئة من أجل التنمية لبرنامج الأمم المتحدة (UNEP) ص٤٤، ٤٥ منشور على الموقع الإلكتروني: <https://unstats.un.org>

وهذا يوضح مدى اتساق الاستهلاك التوفيري مع تحقيق الرفاهية، فكما يراعي الاستهلاك التوفيري تحقيق النفع على المستوى الفردي والمجتمعي، فإنه يراعي النظم الإيكولوجية^(١)؛ كي لا تتكبد الدولة تكاليف باهظة في مكافحة ما ينجم عن الاستهلاك العشوائي والعبث بموارد البيئة؛ بما يؤثر سلباً على الرفاهية المتوخاه.



(١) النظم الإيكولوجية: هي العناصر الحية التي تتفاعل مع بعضها البعض ومع البيئات غير الحية المحيطة بها، وتتمثل خدمات النظام الإيكولوجي في المنافع المتعددة التي توفرها الطبيعة للمجتمع من الأغذية المغذية والمياه النظيفة، وضبط الآفات والمناخ، ودعم تلقيح المحاصيل وتشكيل التربة، وتوفير المنافع الترفيهية والثقافية والروحية. خدمات النظام الإيكولوجي والتنوع البيولوجي، منشور على موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة

<http://www.fao.org> FAO

المبحث الثالث

آليات تحقيق السعادة من خلال الاستهلاك التوافيري

يمكن تحقيق السعادة من خلال الاستهلاك التوافيري باتباع آليات مجتمعة، تتضح في المطالب التالية، والله المستعان.

المطلب الأول: تفعيل الاستهلاك التوافيري في مختلف المجالات

يساهم تفعيل الاستهلاك التوافيري في المجالات التي تتعلق بالجانب الاستهلاكي في تحقيق السعادة المنشودة، ففي المجال الصحي بأن يتم صرف المال في الحصول على الأغذية الصحية المطابقة للمواصفات القياسية للجودة والسلامة^(١)، وهي التي عبر عنها القرآن الكريم بالطيبات في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢)، مع تجنب الأغذية غير الصحية، وهي المحرمة والنجسة والضارة، وكذلك الأغذية المعالجة بالإشعاع^(٣) على الرغم من العديد من المزايا لتقنية التشعيع في حفظ الأغذية من التلف، وقتل الميكروبات التي

(١) الأيزو (iso) هو المنظمة العالمية للمواصفات القياسية International Standards Organization وهو نظام ضمان جودة المنتجات والسلع الغذائية.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ١٧٢ .

(٣) تشعيع الأغذية هو عملية يتم فيها تعريض المادة الغذائية إلى كمية من طاقة معينة تسمى أشعة مؤينة، والإشعاع المؤين هو نوع من الطاقة تطلقه ذرات معينة، وينتقل على هيئة موجات كهرومغناطيسية (أشعة جاما أو الأشعة السينية) أو على هيئة جسيمات (نيوترونات بيتا أو ألفا). ويسمى هذا التفكك التلقائي للذرات النشاط الإشعاعي، وتعتبر الطاقة الزائدة المنبعثة أثناء هذا التفكك شكلاً من أشكال الإشعاع المؤين. انظر: الهيئة العامة للغذاء والدواء - تشعيع الأغذية بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٤٢٧ هـ. <http://www.sfd.gov.sa>، منظمة الصحة العالمية الإشعاع المؤين، آثاره الصحية وتدابير الوقاية منه <http://www.who.int>

تصيبها، مما يبين التأثير الإيجابي للأشعة المؤينة على الأغذية، غير أن هذا التأثير قد يكون سلبياً من وجه آخر، يظهر في تفاعل الأشعة مع الماء والمكونات الحية داخل الأغذية، فيؤدي إلى تكوين مواد كيميائية داخلها، قد تسبب تغيراً طفيفاً في طعمها أو فائدتها، أو تشكيل مركبات غير موجودة طبيعياً تُعرف بمنتجات التحلل الإشعاعي، يمكن أن تؤدي إلى أضرار صحية مستقبلية^(١)، وقد تؤدي جرعات التشعيع القليلة إلى تأثيرات ضارة على المدى البعيد، وهو ما يعرف بالتأثيرات المتأخرة ومنها مرض السرطان، وإعتام عدسة العين، وانخفاض متوسط العمر، وتشوه المواليد^(٢).

ومع التقدم العلمي وظهور ما يسمى بالهندسة الوراثية، وتنوع مجالات استخدامها كما

في الأغذية المعدلة وراثياً، إلا أن ما تحتمله الهندسة الوراثية من نقل لخصائص مسببة للحساسية، وما يُحتمل من تغير في مستوى العناصر المغذية في بعض الأطعمة، يجعل هناك تحوفاً من استهلاكها، كما أنه من الصعب، بل من المستحيل في بعض الحالات (نظراً للوضع غير الدقيق للموروثات داخل

(١) المدخل إلى الحماية الإشعاعية (An Introduction to Radiation Protection). تأليف: آلن مارتين وصاموئيل هاريسون ص ٥٧، حفظ الأغذية بالتشعيع للدكتور علي أحمد إبراهيم حماد ص ١١.

(٢) التلوث البيئي فيروس العصر ص ١٩٣، دراسة بيئية هندسية لوحدة العلاج والتشخيص بالإشعاع. رسالة ماجستير للباحثة/ نادية محمود أحمد سراج ص ٣٥ / جامعة حلوان ١٩٩٠م.

الكروموسوم) التنبؤ تماماً بالآثار المحتملة لتعديل الكائنات الحية ومنتجات الطعام على الإنسان^(١).

ومع هذا يمكن الاستفادة من هذه التقنية في إنتاج لقاحات ضد بعض أنواع الأمراض كالتهاب الكبد الفيروسي، وإنتاج هرمون الإنسولين البشري من البكتيريا، وإنتاج مواد تُذيب الجلطات الدموية، وتمنع انسداد الشرايين؛ وإنتاج محاصيل زراعية قادرة على إنتاج بروتينات سامة للحشرات والديدان كديدان الطماطم، وغير ذلك كثير^(٢).

كما يبرز دور الاستهلاك التوفيري في المجال الطبي في جلب الأدوية الناجعة ذات الفعالية والكفاءة في الاستشفاء بفضل الله، وشراء الأجهزة الطبية المتطورة التي تدعم كفاءة العلاج، مع ضرورة تحاذي الطب البديل مع الطب الحديث، وعدم صرف المال في الأدوية المشتقة من المحرمات إلا في حال الضرورة القصوى، وهي الضرورة التي ينعدم فيها المباح، فيقوم المحرم مقامه بقدر الضرورة فقط، يدل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾^(٣)، وقوله عز من قائل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(٤).

(١) العربية لحماية الطبيعة تحت عنوان أضرار الكائنات المعدلة وراثياً. <http://apnature.org>

(٢) أعلى أربع تطبيقات للهندسة الوراثية منشور على الموقع الإلكتروني:

<http://www.biologydiscussion.com>

(٣) سورة الأنعام جزء من الآية رقم ١١٩.

(٤) سورة البقرة جزء من الآية رقم ١٧٣.

ويدل على أهمية خيرية العلاج قول النبي ﷺ: (إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ)^(١)، وما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الْحَيْثِ)^(٢).

وفي مجال العناية بالبشرة فالمستحضرات التجميلية ينطبق عليها نفس الكلام من المرطبات والزيوت ونحوهما، ويكون تفعيل الاستهلاك التوفيري في جلب ما يحافظ على نضارة البشرة ولا يضرها، والبعد عن التركيبات المشتتة على محرم كسحوم الخنزير.

وفي مجال البيئة فيتناول الاستهلاك التوفيري حمايتها من التلوث والاستنزاف بصرف المال في استخدام الأسمدة العضوية وتجنب الأسمدة الكيماوية، وفي استخدام التقانات التي ثبتت فعاليتها في الزراعة، وفي التخلص من النفايات التي لا يمكن الاستفادة منها بطرق آمنة.

وفي الاقتصاد بتوجيه الاستثمار نحو المشروعات النافعة والمنتجة، والتي لا تتطلب إنفاقاً ذات طبيعة إسرافية، مع دراسة الجدوى الاقتصادية للمجال المراد الاستثمار فيه، ومراعاة التوازن بين المخاطر والعوائد، وتصنيف المشروعات بدءاً من

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له/ كتاب الطب/ باب الحجامة من الداء جـ ٧ ص ١٢٥، رقم ٥٦٩٦، مسلم في صحيحه/ كتاب المساقاة/ باب حل أجرة الحجامة جـ ٣ ص ١٢٠٤، رقم ١٥٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح واللفظ له / كتاب الطب/ باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره جـ ٤ ص ٣٨٧ حديث رقم ٢٠٤٥، وأخرجه أبو داود في سننه / كتاب الطب/ باب في الأدوية المكروهة جـ ٤ ص ٦، ٧ حديث رقم ٣٨٧٠ وقد سكت عنه أبو داود فهو عنده حسن، وذكره الحاكم في المستدرک كتاب الطب جـ ٤ ص ٤١٠، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الأهم فالمهم؛ مما يؤدي بدوره إلى تنويع الاستثمارات، التي تسهم بدورها في تفتيت المخاطر؛ نظراً لتوزيع رأس المال في مشروعات متعددة.

وفي المجال الحربي بجلب الأسلحة المتطورة الدقيقة التي تحقق دحر العدو دون الإضرار بغير المحاربين، كصواريخ باتريوت^(١) ذات التقنية العالية والقوة التدميرية والتي صممت كنظام حماية من الصواريخ المهاجمة، حيث يمكن لصاروخ الباتريوت أن يطلق صاروخاً مضاداً تجاه الصاروخ المعتدي ويفجره قبل أن يصل إلى هدفه^(٢). قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٣)، وروي عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو علي المنبر يقول: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي)^(٤).

المطلب الثاني: إعادة تدوير النفايات:

النفايات هي مجمل مخلفات الأنشطة الإنسانية المنزلية والزراعية والصناعية والإنتاجية، وتركها يؤدي إلى إلحاق الضرر بالبيئة والسلامة العامة وبصحة الإنسان بشكل مباشر^(٥).

(١) باتريوت (Patriot): منظومة دفاع جوي صاروخي من نوع أرض جو، يستعمل الباتريوت أنظمة متقدمة للصواريخ الجوية الاعتراضية وأنظمة رادار ذات كفاءة عالية. انظر:

<https://ar.wikipedia.org>

(٢) تقنية الباتريوت الصواريخ الأمريكية الصنع، منشور على الموقع الإلكتروني:

<http://defense-arab.com>

(٣) سورة الأنفال جزء من الآية ٦٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإمامة/ باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه ج ١٣ ص ٥٤٠٢، رقم ٤٩٠٢.

(٥) النفايات: أنواعها، مخاطرها، وطرق التخلص منها، شبكة المعرفة البيئية المصرية:

<http://www.eekn.net>

وتتنوع النفايات إلى أنواع عديدة منها المخلفات الورقية، والزجاجية، والمعدنية، والبلاستيكية، والعضوية، وكذلك الإلكترونية، وينتج عنها أضرار صحية وبيئية جسيمة، وتراكمها يعمل تشويه جمال الطبيعة فيما يعرف بالتلوث البصري.

وتعني إعادة تدويرها أن يتم معالجتها بحيث تُعاد إلى الشكل الخام لتُصنع مرة أخرى فيُعاد استخدامها والاستفادة منها من جديد.

وتشمل إعادة تدوير النفايات كل ما كان قابلاً للتدوير ويمكن إعادة استخدامه دون إلحاق ضرر بالمستخدم أو بالبيئة، ولا تتناول ما لا يمكن إعادة استخدامه كالنفايات الخطرة، بل محاولة ذلك تؤدي إلى أضرار بالغة على النظام البيئي بوجه عام.

وعلى سبيل المثال لا الحصر والاستيعاب يمكن إعادة تدوير النفايات الورقية بإعادتها إلى المصانع لتحويلها إلى أنواع من الورق الخشن وصناديق التغليف، كما يمكن الاستفادة منها بتحويلها بيولوجياً باستخدام بعض الكائنات الدقيقة التي يمكنها التغذية والنمو عليها فتحوّلها إلى كحول، وكذلك يمكن إعادة تدوير المخلفات الزجاجية وتصنيع الزجاج البني أو الأخضر، أو استخدامها في صناعة الأسفلت الزجاجي الذي يستخدم في رصف الطرقات، والمخلفات المعدنية بصهرها وإعادة تصنيعها مرة أخرى^(١).

(١) طرق الاستفادة من القمامة والمخلفات الصلبة (تدوير القمامة وإعادة استخدام المخلفات الصلبة)، للباحث محيي الدين الظاهر، منشور في مجلة الوعي الإسلامي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت/ العدد ٥٥٩ ص ٨١، ربيع الأول ١٤٣٣هـ - يناير، فبراير ٢٠١٢م.

وإعادة تدوير المخلفات البلاستيكية رغم زيادة تكلفته عن الحرق أو الطمر الصحي ينطوي على جانب توفيري هام، يتمثل في الحصول على مواد ذات قيمة اقتصادية؛ حيث يمكن استعمال المواد المنتجة من خليط المخلفات البلاستيكية في تبطين السجاد، وفي إنتاج قضبان أسمنتية محشوة بمادة بلاستيكية تستخدم في إنشاء السكك الحديدية، والتي تساعد على تقليل الضوضاء الصادرة من سير القطارات على هذه السكك، مع حماية البيئة من التلوث، حيث إن التخلص من هذه المخلفات بالطمر الصحي يؤدي إلى تلوث مصادر المياه وخصوصاً المياه الجوفية، وإلى إتلاف أراض شاسعة، والتخلص منها عن طريق الحرق يُفرز غازات سامة تلوث الهواء^(١).

وكذلك يمكن إعادة تدوير المخلفات النباتية والحيوانية في تسلسل حيوي لإنتاج الطاقة الحيوية فيما يُعرف باسم الغاز الحيوي (البيوجاز)، أو إنتاج أعلاف مركزة للحيوانات أو أسمدة عضوية^(٢)، فيقل الاحتياج إلى الأسمدة الكيماوية والهرمونات النباتية والحيوانية التي تسبب تلوثاً بيولوجياً للمنتج الغذائي؛ مما يؤدي إلى إهدار مزايا الإنتاج الزراعي والغذائي^(٣).

(١) الاستفادة من المخلفات البلاستيكية الواقع والطموحات للدكتور حازم القاضي ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) اقتصاديات تدوير المخلفات الزراعية للباحثة ولاء مجدي إسماعيل، منشور ضمن بحوث المؤتمر السنوي السادس عشر آثار وسبل مواجهة الأزمات المجتمعية الناتجة عن أحداث الربيع العربي، لكلية التجارة بجامعة عين شمس بالقاهرة، خلال الفترة من ٢٤-٢٥ ديسمبر ٢٠١١ م ص ٧٢٩.

(٣) إعادة تدوير المنتجات والمخلفات ودورها في الحد من الأزمات البيئية، بحث للأستاذة إلهام أحمد دشيثة ص ١٢٣١، ضمن بحوث المؤتمر السنوي العاشر (إدارة الأزمات والكوارث البيئية في ظل المتغيرات والمستجدات العالمية المعاصرة) لكلية التجارة بجامعة عين شمس بالقاهرة، في الفترة من ٣-٤ ديسمبر ٢٠٠٥.

وتُعد النفايات الإلكترونية^(١) من أكثر أنواع النفايات صعوبة في التخلص منها؛ لاحتوائها على مواد سامة، ويُقال إنها في بعض الأحيان قد تكون أخطر من القنابل لاحتتمال انفجارها، ولذا فإن إعادة تدويرها تحتاج إلى أسلوب خاص يتناسب مع خطورتها ووضع الآليات المناسبة لفرزها وجمعها ومعالجتها، ويتولى ذلك الشركات المتخصصة ذات الخبرة الكافية في مجال تفكيك النفايات الإلكترونية^(٢) مع التحوط من تسرب المواد الخطرة والسامة إلى البيئة.

ومما سبق يتبين أن إعادة تدوير النفايات بتحويلها من منتج ملوث للبيئة إلى منتج ذي عائد اقتصادي يعمل على استدامة الموارد باسترجاع أكبر قدر ممكن منها، وإدارة الاستهلاك بشكل يوفر صرفاً جديداً في التخلص منها مع الأضرار الناجمة عن ذلك يُعد آلية ناجعة في تحقيق السعادة المنشودة.

ويتجلى دور الاستهلاك التوفيري في تقليل الصرف في المواد المطلوبة في كثير من عمليات الإنتاج، مع التخلص من النفايات بما يعود نفعه دون إضرار بالبيئة، فيزداد الدخل القومي وتستخدم الموارد ويتجنب الصرف على إنشاء مدافن للنفايات، وبهذا يمكن الحد من إهدار الموارد الطبيعية والاستفادة من القيمة الاقتصادية لهذه المخلفات.

(١) النفايات الإلكترونية (E-WASTE): هي نتاج استهلاك المعدات والأجهزة الإلكترونية التي أصبحت اليوم تشكل قضية بيئية عالمية، حيث بلغت حجم النفايات الإلكترونية في كل عام ما بين ٢٠ إلى ٥٠ مليون طن في جميع أنحاء العالم، والتي تشكل خطراً كبيراً على صحة الإنسان والبيئة، وتتناول التلفاز، والكمبيوتر المحمول وتوابعه (الطابعة والكاميرا الرقمية والماسح الضوئي) والهواتف النقالة، والأجهزة اللوحية، والبطاريات، والفاكس والأجهزة المنزلية (كالثلاجة والميكروويف) <https://ar.wikipedia.org>

(٢) موقع البيئة ومكافحة التلوث والطاقة الشمسية والطاقة المتجددة <https://www.ts3a.com>

المطلب الثالث: التوجه نحو الطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر:

يمكن تحقيق السعادة من خلال الاستهلاك في الطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر، حيث إن الأنشطة الاقتصادية تستهلك من الكتلة الحيوية^(٣) ما يفوق قدرة الأرض على إنتاجها بصورة مستدامة، الأمر الذي يعمل على تقويض خدمات النظم الإيكولوجية، فضلاً عما ينتج عنها من الآثار السلبية على البيئة مثل التلوث وتغير المناخ، وندرة الموارد الطبيعية، وما يعقبه من تهديد للرفاه البشري، ومن ثم تنحي السعادة عن أفراد المجتمع.

وعلى الرغم من أن الوقود الأحفوري المستخرج من مصادره الثلاث (الفحم والنفط والغاز الطبيعي) يُعد مصدراً مهماً لإنتاج الطاقة، حيث كثافة طاقته العالية وسهولة تخزينه، وإمكانية الحصول على أنواع مختلفة من الوقود عندما تتم معالجته بتروكيميائياً، إلا أنه يُعد من أكبر العوامل الرئيسية لتلوث الهواء والتسبب في الاحتباس الحراري، الأمر الذي يزيد التصحر والجفاف.

فقد أدى حرق هذه الأنواع من الوقود لإنتاج الطاقة في محطات القوى الكهربائية والمصانع واستخدامها لوسائل المواصلات إلى انبعاث عدة غازات أهمها ثاني أكسيد

(٣) الكتلة الحيوية: هي المادة ذات أصل بيولوجي (باستثناء المواد المظمورة في التشكيلات الجيولوجية والتي تحولت إلى متحجرات أحفورية)، مثل: حطب الوقود، الفحم النباتي، النفايات والمنتجات الثانوية الزراعية، محاصيل الطاقة، روث الماشية، الغاز الحيوي، الهيدروجين الحيوي، الكحول الحيوي، الكتلة الحيوية الميكروبية، وغيرها. الغابات والطاقة الحيوية - لجنة الغابات/ الدورة السابعة عشرة، روما-إيطاليا ١٥-١٩ مارس ٢٠٠٥، منشور على موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (FAO) <http://www.fao.org>، وتسمى الطاقة الحيوية وهي في الأساس مادة عضوية مثل الخشب والمخلفات الحيوانية. أهمية الطاقة المتجددة في حماية البيئة لأجل التنمية المستدامة ل محمد طالبي، محمد ساحل ص ٢٠٤.

الكربون، وثاني أكسيد الكبريت، وبعض أكاسيد النيتروجين، وأدى ذلك إلى التدهور البيئي، فزيادة تركيز ثاني أكسيد الكربون تعمل على رفع درجة حرارة سطح الأرض عن معدلها، وأكاسيد النيتروجين من الغازات التي تؤدي لظاهرة الاحتباس الحراري، وتشكل خطراً كبيراً على طبقة الأوزون؛ حيث تآكلها يؤدي إلى تسرب أشعة ضارة وخاصة الأشعة فوق البنفسجية؛ مما يتسبب في إحداث أضرار كثيرة تصيب الحياة الحيوانية والنباتية فتدمرها، وزيادة معدلات إصابة الجلد بالالتهابات والسرطانات، ومعدلات إصابة العيون بمرض المياه البيضاء^(١).

كما أن اختلاط ثنائي أكسيد الكبريت بالماء يؤدي إلى تشكل حمض الكبريتيك وهو العنصر الأساسي في الأمطار الحمضية التي تتسبب في إزالة الغابات^(٢).

من هنا كان التوجه نحو الطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر من الضرورة بمكان، وتعني الطاقة المتجددة تلك الطاقة المستمدة من الموارد الطبيعية التي تتجدد ولا تنضب بإذن الله تعالى، كالشمس، والرياح، والحرارة الجوفية والمائية، وكذلك الوقود الحيوي، والهيدروجين المستخرج من المصادر المتجددة^(٣).

وتتميز الطاقة المتجددة بأنها طاقة نظيفة وصديقة للبيئة؛ لأنها لا تخلّف آثاراً ضارة، وتعتبر بديلاً عن المصادر التقليدية لإنتاج الطاقة (الوقود الأحفوري).

(١) الطاقة الجديدة والمتجددة - أنواعها ومصادرها للدكتور عبد الله عبد الرحمن البسام ص ٢٥٥ وما بعدها، البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية للدكتور عبد العزيز طريح شرف ص ٦٧، ٦٨.

(٢) جودة الهواء والصحة، سبتمبر ٢٠١١م، منشور على موقع منظمة الصحة العالمية:

<http://www.who.int>

(٣) الإنسان والبيئة لهاني عبيد ص ٢٠٥.

ويعني الاقتصاد الأخضر حسب تعريف برنامج الأمم المتحدة للبيئة: الاقتصاد الذي ينتج عنه تحسن في رفاهية الإنسان والمساواة الاجتماعية، في حين يقلل بصورة ملحوظة من المخاطر البيئية وندرة الموارد الإيكولوجية، وهو في أبسط صورته اقتصاد يقل فيه انبعاث الكربون، وتزداد كفاءة استخدام الموارد، كما يعمل على تقليل البصمة البيئية^(١)، التي يمكن استخدامها لحساب أنماط الاستهلاك الخاصة بدولة معينة أو مدينة أو شركة أو فرد، فتحدد البصمة البيئية مقدار الطلب البشري، بينما تحدد القدرة البيولوجية مقدار إمدادات الطبيعة اللازمة لإنتاج الموارد وخدمات التلخيص من النفايات^(٢).

و كلمة الأخضر تعني كل ما يوجد في البيئة بشرط أن يكون صديقاً لها و لا يسبب لها أي تلوثات أو علي الأقل لا يضيف أو يزيد علي البيئة المزيد من الأعباء التي تضرها أو تؤدي إلي تدهورها.

ويسعى الاقتصاد الأخضر إلى نقل المجالات التي تركز عليها الاستثمارات العامة والخاصة، والمحلية والدولية صوب القطاعات الخضراء الناشئة، وإلى خضرة القطاعات القائمة وتغيير أنماط الاستهلاك غير المستدامة. ويُنتظر أن يُؤكّد

(١) نحو اقتصاد أخضر مسارات إلى التنمية المستدامة والقضاء على الفقر برنامج الأمم المتحدة للبيئة ٢٠١١ ص٢، والبصمة البيئية (Ecological Footprint): مؤشر لقياس تأثير مجتمع معين على كوكب الأرض ونظمه الطبيعية، يبين مدى مستوى استدامة نمط عيش مجتمع معين، ومدى تأثيره وضرره على كوكب الأرض. يتم التوصل إلى هذه النتيجة من خلال مقارنة الإستهلاك للموارد الطبيعية مع قدرة الأرض على تجديدها.

<https://ar.wikipedia.org>

<http://afedmag.com>

(٢) مجلة البيئة والتنمية

هذا التحول النمو الاقتصادي المستمر اللازم لإيجاد فرص العمل والحد من الفقر، إلى جانب تقليل كثافة استخدام الطاقة واستهلاك الموارد وإنتاجها^(١).

وينطوي الاقتصاد الأخضر على الفصل بين استخدام الموارد والتأثيرات البيئية من جانب، وبين النمو الاقتصادي من جانب آخر؛ حيث يركز على تخضير القطاع الزراعي باستخدام مواد صديقة للبيئة؛ لتقليص الانبعاثات التي تغير في المناخ، واستعادة وتعزيز خصوبة التربة عن طريق زيادة استخدام مدخلات طبيعية ومستدامة من المغذيات المنتجة، وتناوب المحاصيل المتنوعة، فضلاً عن تكامل الثروة الحيوانية والمحاصيل، والحد من تلف وخسارة المواد الغذائية عبر التوسع في استخدام عمليات وتجهيزات تخزين ما بعد الحصاد، والحد من المبيدات الكيميائية ومبيدات الأعشاب من خلال تنفيذ الممارسات البيولوجية المتكاملة لإدارة الأعشاب الضارة والآفات والزراعة العضوية أو إعادة التشجير لتنقية الهواء، والتقليل من ظاهرة الاحتباس الحراري باستخدام نظام الزراعة بدون حرث، واستبدال الوقود الأحفوري بالطاقة المستدامة والتقنيات منخفضة الكربون^(٢).

من خلال ما سبق يتضح أن التوجه نحو الطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر

يؤدي إلى تحقيق السعادة مع استدامتها في بيئة نظيفة نقية، يتجدد النفع فيها.

(١) الدورة الاستثنائية الثانية عشرة لمجلس إدارة برنامج الأمم المتحدة للبيئة / المنتدى البيئي الوزاري العالمي نيروبي، ٢٠ - ٢٢ شباط / فبراير ٢٠١٢، ص٢.

(٢) الاقتصاد الأخضر وأثره على التنمية المستدامة في ضوء تجارب بعض الدول، دراسة حالة مصر، منشور على موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية <http://democraticac.de> بتاريخ ١٥ يونيو ٢٠١٧م.

المطلب الرابع: تعزيز الرقابة الذاتية ورقابة الدولة:

من آليات تحقيق السعادة من خلال الاستهلاك التوفيري تعزيز الرقابة الذاتية لدى المستهلك، وذلك بتمكين الفهم المعرفي الدقيق لأضرار المنتجات والسلع الرديئة، فيتجنب صرف ماله فيها حفاظاً على صحته وماله وحفاظاً على المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يتسبب في إلحاق الضرر بنفسه وبمن حوله من أفراد، وبما حوله من بيئة نظيفة خلقها الله ومهدّها لصالح الجميع، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)، وقال النبي ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)^(٢).

ومن دوره الرقابي أن لا يسرف في تعاطي التحسينات. قال الشاطبي: إن المباحات إنما وضعها الشارع للانتفاع بها على وفق المصالح على الإطلاق، بحيث لا تقدح في دنيا ولا في دين، وهو الاقتصاد فيها، ومن هذه الجهة جعلت نعماً، وعدت منناً، وسميت خيراً وفضلاً^(٣).

ويشكل الوعي بطبيعة الاستهلاك التوفيري وما ينجم عنه من منافع عديدة أساساً لتعزيز الرقابة الذاتية؛ مما يجعل كل مستهلك ينأى بنفسه عن المخاطر، وتتكامل مسؤوليته في حفظ مجتمعه.

ومن نافلة القول أن المجتمع ينشد البقاء والتقدم، والتفاعل الإيجابي، والعمل الناهض، والتعاون الجاد، والنمو المستمر، وهذا يندرج تحت

(١) سورة البقرة جزء من الآية ١٩٥.

(٢) سبق تحريجه.

(٣) الموافقات للشاطبي ج ٣ ص ٥٠٤.

مبدأ التكافل الذي أقرته الشريعة الإسلامية، والمسؤولية المشتركة بين الفرد والمجتمع

وتعزيز رقابة الدولة من الأهمية بمكان، سواء على المنتجات المحلية أو السلع المستوردة، أو الأسواق بشكل عام، من حيث صلاحية السلع ومستلزمات الإنتاج، ومراقبة جودة الأغذية، ومحطات تنقية مياه الشرب، وجودة الأدوية ومطابقتها لمواصفات الدواء الرسمية ودراسات الدواء الدولية، وجودة الأجهزة الطبية والرياضية والإلكترونية، وكذلك الرقابة على البصمة المائية^(١)، والتي تعني كمية المياه العذبة المستخدمة في إنتاج السلع وتوفير الخدمات، وما تضطلع به الدولة من اتخاذ إجراءات وقائية، ودورها في المحاسبة والتدقيق، وتشديد العقوبات على الغش للسلع المنتجة أو المصنعة أو المباعية، مع تحليل المخاطر وتلافي الآثار السلبية الناجمة.

وهذا ما أشار إليه ابن قيم الجوزية في معرض بيان ما يجب على المحتسب حيث قال: وينهى والي الحسبة عن الخيانة، وتطيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات، ويتفقد أحوال المكايل والموازين، وأحوال الصناعات الذين يصنعون الأطعمة والملابس والآلات، وينكر على أرباب الغش في المطاعم والمشارب والملابس وغيرها، فإن هؤلاء يفسدون مصالح

(١) البصمة المائية (water footprint): مقياس لكمية المياه المستخدمة لإنتاج كل من السلع والخدمات التي نستخدمها مثل المنتجات الزراعية وغيرها، ويمكن أيضا أن نخبرنا عن كمية المياه التي يستهلكها بلد معين أو على الصعيد العالمي <https://ar.wikipedia.org>

الأمة، والضرر بهم عام لا يمكن الاحتراز منه، فعليه ألا يهمل أمرهم، وأن ينكل بهم وأمثالهم، ولا يرفع عنهم عقوبته، فإن البلية بهم عظيمة، والمضرة بهم شاملة^(١).

وحال تعزيز رقابة المستهلك الذاتية وانسجامها مع الدور الرقابي المنوط بالدولة تتحقق السعادة الفردية والجماعية وتدوم.



(١) الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية ص ٢٠٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالآيات البينات، وبعد، فقد توصلت من خلال البحث إلى نتائج كثيرة، أهمها ما يلي:

- حرص الشريعة الإسلامية على توفير جميع مقومات الحياة الكريمة للناس، بما يجلب الطمأنينة والاستقرار، ويضفي السعادة عليهم.
- يعني الاستهلاك التوفيري صرف المال لأجل الحصول على منتجات عالية الجودة بغية توفير صرفه في مكافحة الآثار السلبية الناجمة عن استهلاك المنتجات الرديئة أو ذات الجودة المنخفضة من علاج الأمراض، وقصر العمر الافتراضي للمنتج، والتصدي لآثارها الخطيرة على البيئة والدولة.
- يتأرجح حكم الاستهلاك التوفيري بين مراتب المصلحة، وقد ينسحب عليه الوجوب في حال تعينه لحفظ النفس من الأضرار وحفظ البيئة إذا ما وجد إلى غيره سبيلاً بشرط القدرة المالية.
- يتفق الاستهلاك التوفيري مع ترشيد الإستهلاك في حفظ المال، ويختلف عنه في كيفية الحفظ، فالحفظ في الأول لغير أصل المال، تابعاً له، بينما الحفظ في ترشيد الاستهلاك في أصل المال، وترشيد الاستهلاك مطلوب من الجميع، بينما الاستهلاك التوفيري فمطلوب من ذوي القدرة المالية.
- يتوافق الاستهلاك التوفيري مع تحقيق الرفاهية ورغد العيش؛ لانطوائه على

منافع مزدوجة، تلتقي مع بعضها وتترابط لتحقيق ثلة من المصالح الخاصة والعامة، ولا تنعزل عن الوسط البيئي.

- يمكن تحقيق السعادة من خلال تفعيل الاستهلاك التوفيري في المجالات التي تتعلق بالجانب الاستهلاكي، وإعادة تدوير النفايات القابلة للتدوير، والتوجه نحو الطاقة المتجددة والاقتصاد الأخضر، وتعزيز الرقابة الذاتية لدى المستهلك وتعزيز رقابة الدولة.

التوصيات:

١- ضرورة تفعيل دور المؤسسات الثقافية والإعلامية في تنمية وعي المستهلكين بالاستهلاك التوفيري، وما ينطوي عليه من نفع عميم يعود على الأفراد والمجتمع والبيئة.

٢- الإسراع نحو تبني استراتيجية شاملة للاقتصاد الأخضر، ودعم وتعزيز البحث والابتكار والإبداع في مجال تقنيات الطاقات المتجددة والصديقة للبيئة.

٣- ضرورة تطوير عمليات تدوير النفايات بمختلف أنواعها والاستفادة منها بما يحقق إضافة جيدة إلى العائد الاقتصادي للدولة.

٤- تفعيل دور الدولة الرقابي على المنتجات والسلع الاستهلاكية بالتحاذي مع الرقابة الذاتية للمستهلك بما يحقق حمايته ويدعم التقدم المجتمعي.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قائمة المصنّاور

- القرآن الكريم.
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب لذكريا بن محمد الأنصاري / دار الكتاب الإسلامي.
- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان لابن نجيم المصري / دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان / الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- الأشباه والنظائر للسيوطي / دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- إعادة تدوير المنتجات والمخلفات ودورها في الحد من الأزمات البيئية، بحث للأستاذة إلهام أحمد ديشيشة، ضمن بحوث المؤتمر السنوي العاشر (إدارة الأزمات والكوارث البيئية في ظل المتغيرات والمستجدات العالمية المعاصرة) لكلية التجارة بجامعة عين شمس - القاهرة، في الفترة من ٣-٤ ديسمبر ٢٠٠٥.
- اقتصاديات تدوير المخلفات الزراعية للباحثة ولاء مجدي إسماعيل، منشور ضمن بحوث المؤتمر السنوي السادس عشر آثار وسبل مواجهة الأزمات المجتمعية الناتجة عن أحداث الربيع العربي، لكلية التجارة بجامعة عين شمس بالقاهرة، خلال الفترة من ٢٤-٢٥ ديسمبر ٢٠١١م.
- الإنسان والبيئة لهاني عبيد / منظومات الطاقة والبيئة والسكان / دار الشروق عمان ٢٠٠٠.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي / دار إحياء التراث العربي / الطبعة الثانية.

- أهمية الطاقة المتجددة في حماية البيئة لأجل التنمية المستدامة لـ محمد طالبي، محمد ساحل، مجلة الباحث العدد ٦/٢٠٠٨.
- البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية للدكتور عبد العزيز طريح شرف / مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠١٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد الملقب بمرتضى، الزبيدي / دار الهداية.
- التعريفات للجرجاني / دار الكتب العلمية بيروت - لبنان / الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- التلوث البيئي فيروس العصر المشكلة أسبابها وطرق مواجهتها للدكتور حسن أحمد شحاته / دار النهضة العربية بالقاهرة / الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوي / عالم الكتب / الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- حاشية رد المحتار لمحمد أمين الشهرير بابن عابدين على الدر المختار / دار الفكر بيروت / الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- حفظ الأغذية بالتشعيع للدكتور علي أحمد إبراهيم حماد / سلسلة علوم وتقنية (تكنولوجيا) الأغذية / مكتبة المعارف الحديثة ٢٠٠٣م.
- دراسة بيئية هندسية لوحدات العلاج والتشخيص بالإشعاع. رسالة ماجستير للباحثة / نادية محمود أحمد سراج / جامعة حلوان ١٩٩٠م.

- الدورة الاستثنائية الثانية عشرة لمجلس إدارة برنامج الأمم المتحدة للبيئة/
المنتدى البيئي الوزاري العالمي نيروبي، ٢٠ - ٢٢ شباط/ فبراير ٢٠١٢.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي/ دار الرسالة العالمية/
الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة/ دار
الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٨م.
- السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي/ دار الفكر.
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي/ دار طوق
النجاة/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري/ دار إحياء التراث العربي-
بيروت.
- الطاقة الجديدة والمتجددة - أنواعها ومصادرها للدكتور عبد الله عبد الرحمن
البسام/ دار الخريجي بالرياض ١٤٢٠هـ.
- طرق الاستفادة من القمامة والمخلفات الصلبة (تدوير القمامة وإعادة استخدام
المخلفات الصلبة) للباحث محيي الدين الظاهر، منشور في مجلة الوعي الإسلامي
لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت/ العدد ٥٥٩، ربيع الأول ١٤٣٣هـ-
يناير، فبراير ٢٠١٢م.
- الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية/ مكتبة دار البيان.

- الغذاء وصحة المجتمع. تأليف: د/ عبد الله البكري، د/ عز الدين الدنشاري، د/ فاطمة أبو لبن/ مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤١٥-١٩٩٤م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام السلمي / مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩١م.
- مختار الصحاح للرازي / المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا/ الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- المدخل إلى الحماية الإشعاعية (An Introduction to Radiation Protection). تأليف: آلن مارتن وصاموئيل هاريسون، ترجمة د/ محمد إبراهيم الجار الله، د/ عادل عبد الله الشويخ / شركة العبيكان بالرياض ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- المدونة للإمام مالك بن أنس الأصبحي/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري/ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- المستصفي للغزالي/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر/ عالم الكتب/ الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي/ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- المفاهيم التسويقية الحديثة وأساليبها للدكتور محمد منصور أبو جليل وآخرون/
دار غيداء/ الطبعة الأولى ٢٠١٤م-١٤٣٥هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي- نشر دار ابن عفان/ الطبعة الأولى
١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- موسوعة التلوث البيئي لسحر أمين حسين/ دار دجلة ٢٠١٠، المملكة
الأردنية الهاشمية.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -
الكويت/ دار السلاسل بالكويت/ الطبعة الثانية، مطابع دار الصفوة بمصر/
الطبعة الأولى.
- نحو اقتصاد أخضر مسارات إلى التنمية المستدامة والقضاء على الفقر برنامج
الأمم المتحدة للبيئة ٢٠١١.
- النظام المالي والاقتصادي في الإسلام للدكتور محمود بن إبراهيم الخطيب/ مكتبة
الرشد بالرياض ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- النظرية الاقتصادية والتحليل الاقتصادي الجزئي لأحمد جامع / دار النهضة
العربية ١٩٨٦م/ الطبعة الخامسة.
- المصادر الإلكترونية:

- <http://apnature.org>

- <http://www.biologydiscussion.com>

- <https://ar.wikipedia.org>

- <http://defense-arab.com>
- <http://www.eekn.net>
- <https://www.ts3a.com>
- <https://unstats.un.org>
- <http://www.sfd.gov.sa>
- <http://www.who.int>
- <http://afedmag.com>
- <http://www.fao.org>
- <http://democraticac.de>





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

ضوابط ترشيد الاقتصاد المنزلي في نمط الحياة الإسلامي وأثره في سعادة الفرد والمجتمع

إعداد

د. الحسان بن إبراهيم بوقدون

المملكة المغربية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الصالحين المصلحين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلا شك أن الإسلام نظام شامل ينظم حياة الإنسان - بشكل مباشر أو غير مباشر - في كل مناحيها وتجلياتها، ولما كان المسلم مطالباً بتمثل أحكام الإسلام اعتقاداً وعملاً وسلوكاً في صورة تجسد نمطاً فريداً ومتميزاً في طرق عيشه وثقافته المجتمعية؛ فإن تطبيق هذه الأحكام في المجال الاقتصادي من أوكد المطالب الشرعية.

وتعتبر شعبة الاقتصاد المنزلي نموذجاً استثنائياً يعكس النمط المنشود للحياة الاقتصادية في المنظور الإسلامي، ولهذا أولى الإسلام عناية خاصة للاقتصاد المنزلي وطرق الاستهلاك والتدبير المالي داخل الأسرة، وتتمثل هذه العناية في كثرة النصوص الشرعية التي تنظم هذا الجانب وتؤطره في شكل ضوابط واضحة ومحددة ترشد الاستهلاك والنفقات المنزلية؛ بما يضمن تحقيق السعادة للفرد والمجتمع.

وبمعنى آخر فإن نظام الإنفاق في الإسلام محكوم بمجموعة من قواعد وأحكام؛ تمثل في إجمالها القاعدة الأساس التي يقوم عليها نظام الاقتصاد المنزلي في الإسلام.

ويهدف هذا البحث إلى تبيان الضوابط العامة التي سنّها الإسلام في سبيل ترشيد الاقتصاد المنزلي وتنظيمه، وأثر ذلك في تحقيق السعادة الروحية والمادية للمسلم على المستويين الفردي والجماعي.

وقد رأيت أن تكون محاور البحث وتقسيمها في ثلاثة مباحث حسبما أسعفت به
المادة العلمية المستجمعة في الموضوع على النحو الآتي:

- المقدمة.
- المبحث الأول؛ مفهوم الاقتصاد المنزلي.
- المبحث الثاني؛ ضوابط ترشيد الاقتصاد المنزلي في الإسلام.
- المبحث الثالث؛ أثر الاقتصاد المنزلي الإسلامي في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.
- الخاتمة؛ (النتائج والتوصيات).



المبحث الأول

مفهوم الاقتصاد المنزلي

أولاً؛ تعريفه:

اختلفت التعاريف التي وضعها العلماء لشعبة الاقتصاد المنزلي استناداً إلى اختلاف المنطلقات والمعايير المرعية عند كل واحد منهم في تعريفه، غير أنها تتفق في النهاية في المعنى والمغزى الأصلي، الذي هو حسن التدبير والتضامن والترابط بين أفراد الأسرة بما يكفل لهم السعادة والاستقرار.

فقد عرفه كل من طاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ) وحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، بأنه: «علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين: الإنسان، وزوجته، وأولاده، وخدامه؛ وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال»^(١).

وعرفه من المعاصرين د/ حسين شحاتة بقوله: «مجموعة القواعد الأساسية المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية، والتي تحكم المعاملات الاقتصادية للبيت المسلم، وذلك لتوفير الحاجات الروحية والحاجات المادية لأفراده، وغايته أن يحيا هؤلاء حياة طيبة رغدة في الدنيا، والفوز برضا الله في الآخرة»^(٢).

(١) أحمد بن المصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (ت: ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة: ١/ ٣٨٥، دار الكتب العلمية بيروت، سنة: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/ ٣٨١، مكتبة المثنى، بغداد، سنة: ١٩٤١م.

(٢) حسين حسين شحاتة، اقتصاد البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية، ص: ٢٣، دار النشر للجامعات، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

والاقتصاد المنزلي علم تطبيقي؛ لا يختلف في أساسياته عن أي علم آخر إلا في كونه يتناول دراسة الأسرة ويركز اهتمامه على أفرادها، ومدى تأثيرهم وتأثرهم في الحياة الأسرية، وبالتالي تحديد مدى فعاليتهم في الرقي بالمجتمع.

وهو كذلك فن؛ لأنه مجموعة المهارات العملية التي تخضع للتذوق الفني، وتكتسب بالدربة والممارسة، وهي متنوعة بجوانبها الابتكارية والإبداعية من جانب، والأدائية من جانب آخر^(١).

ويمكن أن نتوسع في هذا المفهوم ليتعدى الجانب المادي والتطبيقي إلى ما هو معنوي ووجداني، فهو بالإضافة إلى كونه يعمل على تهذيب الوسائل والعادات المتبعة من حيث التغذية والملبس والمسكن ونحو ذلك، فيمكن أيضا أن يشمل تربية الأطفال وتثقيف أفراد الأسرة وتنمية الصلات الاجتماعية والاهتمام بالصحة النفسية كالحب والعطف والشعور بالأمن والثقة بالنفس والتقدير ونحو ذلك...

وكون الاقتصاد المنزلي علما مخصوصا؛ معناه أنه ليس مجرد تقنيات تطبيقية وحسب، بل هو معارف وخبرات تستدعي التعلم والاكساب، فالطهي على سبيل المثال ليس مجرد مقادير لإعداد أشهى المأكولات، بل يدخل فيه أيضا القيمة الغذائية للصنف، والتي تتمثل في تلك المقادير مع قيمته الغذائية ومنفعته العائدة على الصحة.

(١) أمل بنت عبد الله محمد عمدة، فاعلية استخدام التعلم التعاوني في تدريس الاقتصاد المنزلي على تنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي، ص: ٤٩، رسالة ماجستير، قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية/ جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ.

إن الاقتصاد المنزلي هو أحد المجالات العلمية الأكاديمية التي اتجهت إليها عناية الاقتصاديين والتربويين مؤخرًا، فوضعت له مناهج دراسية في بعض الجامعات وفي المراحل الأولى للعملية التعليمية قبل الحياة الجامعية، وذلك لأن الاقتصاد المنزلي أحد أبرز أولويات الحياة المعاصرة التي تعلم الإنسان - والفتاة خاصة - كيف تدير البيت بمختلف شؤونه وأموره وتتعاون مع الزوج والأبناء في توفير حياة مستقرة ومناسبة.

وقد أسهم في تطور هذا العلم التقدم العلمي الذي يشهده العالم كل يوم؛ بحيث تظهر مستحدثات علمية متطورة في مختلف المجالات والميادين، كما أن تطور سبل الحياة وتطور الإنسان ذاته وتطور اهتماماته وفكره أدى إلى تطور هذا العلم من أجل مواكبة الحياة المعاصرة وما ينشأ عنها من مشكلات.

ثانياً؛ ثمرته وفائدته:

وثمره هذا العلم عظيمة؛ لأن حاصله كما يقول حاجي خليفة: «انتظام أحوال الإنسان في منزله، ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبين أسرته، ويتفرع على اعتدالها كسب السعادة العاجلة والآجلة»^(١).

ومدلول هذا الكلام أن الأسرة عليها أن تعتمد سياسة مالية دقيقة وصارمة في الإنفاق، وتراقب الاستهلاك بصفة دائمة ومستمرة من أجل التحكم فيه، وهو ما يعني ضرورة كون أفراد الأسرة على وعي تام بالمخاطر التي قد تحدق بهم بسبب اختلال ميزان تسيير الشؤون الاقتصادية للأسرة.

(١) حاجي خليفة، (مصدر سابق): ٣٨١ / ١.

ثالثاً؛ خصائصه ومميزاته:

من الخصائص المميزة لاقتصاد البيت المسلم أنه يقوم على قيم إيمانية وأخلاقية وسلوكيات سوية رشيدة، ويلتزم بفقهاء المعاملات المالية الإسلامية، ويحمي حقوق المرأة المالية، ويتجنب كافة المعاملات التي تؤدي إلى الربا والغرر والجهالة والغش والتدليس والسرف والتبذير والمظهيرية والخيلاء ونحو ذلك^(١).

ومن ذلك أيضاً أنه يهتم بالمرأة أكثر باعتبارها الركيزة الأساس في الترشيح الاستهلاكي الاقتصادي للأسرة، فكلما ارتفع منسوب الوعي الاستهلاكي لدى المرأة كلما أمكن تحسين سياسة الاقتصاد المنزلي بما يضمن التوازن بين النفقات والحاجيات التي تتطلبها الأسرة.

ومن المعلوم أن «السلوك الاستهلاكي عند المرأة عادة ما يكون سلوكاً ترفيلاً زائداً، يتم في شكل إنفاق على سلع ترفيهية أو كمالية من أجل المباهاة والمفاخرة أو بدافع الشهرة والتميز في بعض الأحيان، وهو مظهر من مظاهر الإسراف المنهي عنه شرعاً»^(٢).

رابعاً؛ مجالاته واهتماماته:

يكاد الباحثون في علم الاقتصاد المنزلي يجمعون على أن المجالات التي يشملها هذا العلم ويهتم بها هي خمسة أشياء:

(١) ينظر: حسين شحاتة، (مرجع سابق)، ص: ١٧.

(٢) زيد بن محمد الرماني، اقتصاد الأسرة، ص: ٩٩، دار طريق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١- التغذية وعلوم الأطعمة.

٢- الملابس والنسيج.

٣- إدارة المنزل واقتصاديات الأسرة.

٤- المسكن وأثاثه وأجهزته وأدواته.

٥- العلاقات الأسرية^(١).

وهي مجالات مترابطة ومتداخلة فيما بينها، ولا يمكن فصل مجال عن مجال آخر،
أو دراسة مجال واحد منها منفردا عن المجالات الأخرى.



(١) ينظر: أمل بنت عبد الله محمد عمدة، (مرجع سابق)؛ ص: ٥٢.

المبحث الثاني

ضوابط ترشيد الاقتصاد المنزلي في الإسلام

يتميز التشريع الإسلامي بالتوسط في سن التكاليف، بحيث لا جنوح إلى الشدة ولا انحدار إلى الانحلال، والوسطية عموماً من أهم الخصائص التي تميز الأمة المسلمة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١).

يقول الشاطبي - رحمه الله - : «الشرعية جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخلة تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال»^(٢).

وعلى هذا الأساس يقوم هدي الإسلام في تنظيم شعبة الاقتصاد المنزلي وذلك من خلال وضعه جملة من الضوابط التي تنظم هذه الشعبة، وتكفل ترشيد النفقات في المطعم والمشرب والملبس والمسكن والأثاث والتجمعات العائلية ونحو ذلك.

وتتمثل الضوابط الشرعية المنظمة لاقتصاد البيت المسلم في القواعد والتوجيهات العامة التي تحكم الكسب والإنفاق والادخار والاستثمار والتملك والزكاة والصدقات والهبات والوصايا والصدقة الجارية والصدقة التطوعية والإقراض

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، الموافقات: ٢/٢٧٩، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

والاقتراض وضبط العلاقات المالية بين الزوج والزوجة والأولاد، وكذلك بيان الحقوق المالية عند الطلاق أو الخلع...^(١).

وتقوم هذه الضوابط في جملتها على القاعدة العامة التي قررها الإسلام في مجال الملكية، حيث اعتبر كل ما يملكه الإنسان - في الحقيقة - ملكا لله، والإنسان مجرد مستخلف فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾^(٢).

ولتقريب هذه الضوابط لفصل الكلام عنها، كل على حدة على النحو الآتي:

أولاً: التوسط والاعتدال في النفقة والاستهلاك:

إن الوسطية والاعتدال قاعدة عامة ورئيسية يقوم عليها الاقتصاد المنزلي في الإسلام، حيث لا إسراف ولا تقتير، ولا بخل ولا تبذير، وهذه القاعدة نصبها الشرع ليسيير عليها كل مسلم في مأكله ومشربه وملبسه ونفقاته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٤).

(١) يحكم اقتصاديات البيت المسلم مجموعة من الضوابط الشرعية كوجوب الكسب والإنفاق من الحلال والطيبات، وترتيب النفقة حسب الأولويات، والاعتدال والوسطية، والموازنة بين الكسب والإنفاق، والادخار لنوائب الدهر، ولا اقتراض إلا للضرورة معتبرة شرعاً، وحق الأجيال القادمة في أموال الأجيال الحاضرة، وفصل الذمة المالية للزوج عن الزوجة، وغيرها من الضوابط العامة التي تنظم هذا المجال، وستتعرف فيما يلي إن شاء الله على أهم هذه الضوابط.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

ومن هنا فإن النفقات الأسرية ليست خاضعة في الأصل لتحديد قار ومعين، وإنما أوكل الشرع ذلك إلى كل أسرة حسب مقدرتها المالية وطبقتها الاجتماعية، فالفقير يقف عند حدود دخله، والمتوسط ينفق حسب طاقته، والغني حسب مستواه بشرط أن يسير كل منهم على عرف المعتدلين^(١)، كما قال تبارك وتعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُلْكَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٢)، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا حِيلَةٍ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»^(٣).

ويعني هذا أن النفقات الأسرية ينبغي أن تخضع لميزان عقلي سليم بعيدا عن الانفعالات العاطفية؛ خاصة في المناسبات والأعياد والتجمعات العائلية، فالتوسط في المعيشة لب الفضيلة، وهو خير الأمور.

وقد كان النبي ﷺ معتدلا في سائر أحواله وأمور معيشته فكان لا يتكلف في لباس ولا طعام، ويلبس ما تيسر له، وأكثر لباسه المعتاد ما كان معهودا في زمانه، وخصص بعض الثياب للمناسبات والأعياد ومقابلة الوفود، وكان بيته من أبسط البيوت وكان جل عيشه كفافا، وهو من وضعت بين يديه الشريفتين كنوز الأرض كلها، لكنه اختار التواضع والاعتدال في سائر حياته ليكون قدوة للبشرية جمعاء.

(١) المنوني محمد، أبحاث مختارة، ص: ٣١٢، منشورات وزارة الشؤون الثقافية المغربية، سنة: ٢٠٠٠.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٣) الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الأطعمة، حديث رقم: ٧١٨٨، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

ثانياً؛ الاحتياط والكياسة في النفقة:

مرادنا بالاحتياط والكياسة في مجال الاقتصاد المنزلي هو التفرق في النفقة والتخطيط لها بدقة تامة، وذلك بوضع ميزانية للدخل المالي للأسرة وتحديد طريقة التصرف في هذا الدخل على أكمل وجه دون تبذير أو إسراف مع مراعاة إمكانيات الأسرة المادية وحاجياتها الأساسية، واتباع نظام الإنفاق السليم من حيث عدم زيادة مقدار المنفق على دخله ومحاوله تغطية سائر أبواب الإنفاق المختلفة ما أمكن، وهو ما يشير إليه قوله ﷺ: «مَنْ فِقَهُ الرَّجُلُ رَفَّقَهُ فِي مَعِيشَتِهِ»^(١)، وقوله أيضاً: «الرَّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التَّجَارَةِ»^(٢).

ومما لا شك فيه أن الأسرة التي تهتم بتخطيط أسلوب حياتها من حيث مواردها البشرية والمالية ومن حيث حاجياتها اليومية؛ سوف تحقق أهدافها وتبلغ ما تصبو إليه من رغبات؛ سواء في تأمين احتياجاتها المعيشية الضرورية أو في تربية الأبناء وتعليمهم أو عند حدوث الطوارئ والأزمات.

ثالثاً؛ أن تكون الموارد المالية للأسرة من الحلال الطيب:

الكسب الحلال الطيب من الأساسيات التي يقوم عليها اقتصاد البيت المسلم، وذلك حتى يتسق مع الجوانب العقدية والروحية والأخلاقية لأفراد الأسرة، ولقد

(١) الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، المسند، حديث أبي الدرداء، رقم: ٢١٦٩٥، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، باب الميم، من اسمه مطلب، حديث رقم: ٨٧٤٦، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

أكد على ذلك القرآن الكريم في عديد من الآيات فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾^(١)،
وقال في موضع آخر: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾^(٢)، ووضح النبي ﷺ ذلك بكلام جامع مانع فقال:
«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...» الحديث^(٣).

والأمر بتحري الأكل من الطيبات أصل عظيم من أصول التربية الاقتصادية
في الإسلام، لذلك يجب على المسلم أن يحرص كل الحرص على ألا يدخل
إلى بيته إلا الحلال، وعليه أن يتعد عن الحرام والشبهات؛ كالربا والغش
والاحتيال والسرقة وغير ذلك، وعاقبة الحرام خطيرة في الدنيا والآخرة، وقد
حذرنا النبي ﷺ من ذلك فقال: «إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ
النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»^(٤).

ويعتبر السعي وراء الكسب الحلال مسؤولية الرجل خاصة لأنه المكلف بالسهر
على تأمين حاجيات أهل بيته، فعليه أن يعمل جاهدا في طلب الرزق الحلال، ولا
يطعم أهله من الحرام.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٤.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، المسند، حديث أبي هريرة، رقم: ٨٣٤٨، (مصدر سابق).

(٤) الترمذي محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، أبواب السفر، باب ما ذكر في فضل
الصلاة، تحت رقم: ٦١٤، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة:
١٩٩٨م.

رابعاً؛ أن تكون مصارف النفقة في الحلال أيضاً:

كما أمر الإسلام أن يكون كسب الإنسان من الحلال الطيب، أمر كذلك أن يكون إنفاقه في الطيبات المباحة التي تعود على الإنسان بالنفع والفائدة، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَازِحِينَ إِلَّا أَن تَغْمِضُوا فِيهِ﴾^(١)، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾^(٢).

إن الإنفاق في مجال الطيبات مطلب شرعي، والالتزام بهذه القاعدة يجنب البيت المسلم الكثير من المشاكل الناجمة عن الإنفاق في مجال الخبائث والمنكرات، ويجنبه الوقوع في المعاصي والرذائل.

ولهذا حذر الإسلام من الإنفاق في المحرمات واعتبر ذلك معصية عظيمة وإسرافاً منهيًا عنه، ويأتي في طليعة المحرمات التي نهى الإسلام عن الإنفاق فيها؛ الخمر والميتة ولحم الخنزير والأكل والشرب في آواني الذهب والفضة، ولبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال، قال جل جلاله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٣)، وقال النبي ﷺ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَّاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا هُمْ فِي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ»^(١)، وقال أيضا: «حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ»^(٢).

خامسا؛ الادخار من فضل النفقات:

يعتبر الادخار لوقت الحاجة والفقر من باب الأخذ بالأسباب التي أمر الشرع الحكيم باعتمادها في الحياة، وإن كانت في الحقيقة لا تغني عن قدر الله سبحانه وتعالى شيئا، وذلك أن المسلم يمر بحالات رخاء وسعة في الرزق، ويمر كذلك بحالات شدة وضيق، لذلك يجب أن يأخذ من وقت الرخاء لوقت الشدة، لا سيما وأن الإنسان لا يعلم ماذا يكسب غداً، كما قال جل جلاله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣)، ويدخل هذا المعنى كذلك في عموم قوله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنَى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفْنِدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوْ الدَّجَالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ»^(٤).

ومن الحكمة أن المسلم إذا وفر لنفسه ولأسرته الضروريات الأساسية؛ يدخر ما

(١) محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٤هـ)، الصحيح، كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضض، حديث رقم: ٥٤٢٦، (مصدر سابق).

(٢) الترمذي محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، أبواب اللباس، باب ما جاء في الحرير والذهب، تحت رقم: ١٧٢٠، (مصدر سابق).

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٤) الترمذي محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، تحت رقم: ٢٣٠٦، (مصدر سابق).

تبقى من ماله لتأمين الحاجات المستقبلية، وقد جاء في بعض الآثار أن النبي ﷺ كان «يَدَّخِرُ لِأَهْلِهِ قُوَّةَ سَنَةٍ»^(١).

ويعتبر الادخار نمطا فريدا وأسلوبا تدريبيا على ضبط الذات وحسن تدبير الأموال وإدارتها، والتخطيط الدقيق لسياسة الإنفاق الأسري، حيث يتم تحديده مما فضل عن الدخل الفردي بعد تحديد مجموع الإنفاق الاستهلاكي.

ولقد أضحى الادخار في هذا العصر ضرورة حيوية نظرا للتقلبات السريعة التي تعرفها الحياة المعاصرة، وليس لدى الإنسان ما يضمن له الاستقرار ودوام الحال، فهو طوق النجاة من الوقوع في الديون والاقتراض، والادخار ليس اكتنازا أو احتكارا، لأن الاكتناز محرم شرعا، والادخار مشروع؛ لأن أهدافه مشروعة وشريفة كذلك، إذ ليس فيه استغلال لحاجات الآخرين أو فرض الهيمنة على أحد.

سادسا؛ تحريم الإسراف والتبذير:

يحدد الفقهاء معنى الإسراف ب: «الإنفاق في حرام ولو كان قليلا، أو الإنفاق في مباح إذا زاد على الحد المطلوب»، وهو حرام؛ لأنه ضرب من ضروب تبديد النعمة وإتلافها من غير موجب، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (ت: ٢٩٢هـ)، مسند البزار المسمى بالبحر الزخار، عن مالك بن أوس بن الحدثان، تحت رقم: ٢٥٥، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الأولى: (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾، وفي الحديث: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» (٢).

إن تعاليم (٣) الإسلام تدعو إلى الحد من المبالغة في الإنفاق والاكتفاء بالضروريات، ولا يعني هذا إثارة التقشف وحياة الشظف عن التمتع بالطيبات التي أباحها الله لعباده، ولكن يهدف من وراء ذلك إلى عدم الانجرار وراء مطالب الشهوة والنفس الأمارة بالسوء، ولا شك أن المقصد من وضع خطاب التكليف هو إخراج المكلف عن داعية هواه (٤).

ولهذا منع الإسلام الإنفاق في الشهوات الزائدة عن الحاجات الضرورية سواء كانت في المأكل أو المشرب أو الملبس أو المركب، أو الإنفاق على المناسبات العائلية والتجمعات الأسرية في الولائم والأعراس وما شابه ذلك، يقول ابن العربي - رحمه الله -: «من أنفق ماله في الشهوات زائداً على الحاجات، وعرضه

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الأَطعمة، حدیث رقم: ٧١٨٨، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیة بیروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

(٣) نجد هذه التعاليم مترجمة إلى أفعال في الهدي النبوي، فقد كان النبي ﷺ إذا أكل طعاماً لعق أصابعه، وقال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمُنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ»، وهذا توجيه نبوي كريم إلى أدب من آداب الطعام ربما استتكتف عنه المتكبرون، ومقتضاه ألا يحتقر الإنسان نعمة من نعم الله تعالى مهما كانت قليلة ولو كانت لقمة تسقط للإنسان على الأرض.

(٤) ينظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، (مصدر سابق): ٢ / ٢٨٩.

بذلك للنفاذ فهو مبذر»^(١)، وفي هذا المعنى يقول ﷺ «إِنَّ مِنَ السَّرْفِ، أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ»^(٢).

ولقد قرر لنا رسول الله ﷺ قاعدة ذهبية صحية واقتصادية في مجال الأكل فقال: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثَلْثُ لَطْعَامِهِ وَثَلْثُ لَشْرَابِهِ وَثَلْثُ لِنَفْسِهِ»^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث: «إن مراتب الغذاء ثلاثة؛ إحداهما: مرتبة الحاجة، والثانية مرتبة الكفاية، والثالثة مرتبة الفضلة»^(٤).

وفي بعض الآثار ما يعزز هذا الكلام، وذلك قوله ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»^(٥).

ويشمل الإسراف في المنظور الإسلامي كل ما تجاوز حدوده الطبيعية كيفما كان نوعه، ولهذا نهى الإسلام عن المبالغة في استعمال الماء عند الوضوء أو الاغتسال،

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (ت: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن: ٣/ ١٩٠، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، السنن، كتاب الأطعمة، باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت، حديث رقم: ٣٣٥٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الترمذي محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، تحت رقم: ٢٣٨٠، (مصدر سابق).

(٤) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) الطب النبوي، ص: ١٩، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٥) علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية المسماة: إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون: ٣/ ٣٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ.

وسماه إسرافاً، ففي الحديث أن النبي ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ، فقال له: «مَا هَذَا السَّرْفُ؟» فَقَالَ: أَيْ الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»^(١)، كما صح عنه ﷺ أنه كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع.

ومع هذا فقد أصبح الإسراف في مجتمعاتنا -مع الأسف الشديد- ظاهرة متعددة الجوانب والمظاهر، فهناك إسراف في الغذاء وإسراف في اللباس وإسراف في الأثاث والسيارات والسلع والخدمات، وتوسع الناس توسعا زائدا في الإنفاق على الولائم والأعراس ومحافل النساء بما لا تدعو الحاجة إليه، وبعضهم ابتلي بالسرف في بناء البيوت والمساكن ويكلفهم ذلك أموالا طائلة.

وهذه آفة عظيمة لا بد من التخلص منها لأنها منافية للشرع والعرف وحسن التدبير، ولأنها أيضا تعيق النمو الحضاري للأمة، والهدف الأساس من تحريم الإسراف هو التخلص من القيم الاستهلاكية السيئة الضارة التي تؤثر في الصحة النفسية والبدنية للأسرة والمجتمع.

وإذا كان الإسراف محرماً في ظل الأحوال العادية، فإنه يصير أكثر تحريماً في ظل الأزمات الاقتصادية، لأنه يقود إلى حياة الضنك والهلاك^(٢).

(١) ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، السنن، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكرهية التعدي فيه، حديث رقم: ٤٢٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) ينظر: حسين شحاتة، (مرجع سابق)، ص: ١٥٦.

سابعا؛ منع الإنفاق الزائد حتى في المبرات:

وهذا الضابط في الحقيقة فرع عن الذي قبله وتكملة له، ويبين مدى عناية الإسلام بمسألة منع الإسراف جملة وتفصيلا، فقد حذر الإسلام من الإسراف ولو كان في المبرات، فقال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٧﴾﴾^(١)، وفي قصة سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما أراد أن يتصدق بماله كله، فمنعه رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى الثلث ما يدل على ذلك أيضا^(٢)، وقصة سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه أيضا بعدما نزلت توبته، فعرض على النبي ﷺ أن يتصدق بجميع ماله، فمنعه كذلك، وقال له: «أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»^(٣).

إن تحريم الإسلام للإسراف والتبذير والترفع في المبرات مبني على قاعدة: «سد الذرائع واعتبار المآلات»، كما هو واضح من قصتي سيدنا سعد وسيدنا كعب السابقتين.

وعليه فلا بد من تجنب كل إنفاق يفضي إلى محذور، أو ليس من ورائه منفعة مادية أو معنوية ظاهرة ومشروعة، كالإنفاق في المناسبات والحفلات على وسائل اللهو وشراء المأكولات والمشروبات بكثرة ولو كانت من الطيبات المباحة.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٤هـ)، الصحيح، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، حديث رقم: ١٢٩٥، (مصدر سابق).

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٤هـ)، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم، حديث رقم: ٤٦٧٦، (مصدر سابق).

ثامنا؛ فرض حق واجب في مال المسلم:

من حكمته جل جلاله أن فرض على المسلم في ماله حقا معلوما لفائدة الفقراء والمساكين والمحتاجين، فشرع سبحانه وتعالى الزكاة الواجبة بشرطها المعروفة في الفقه، والصدقات التطوعية التي أوكل الشرع أمر تقديرها لضمير المسلم وإيمانه وحسه، قال جل جلاله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾^(١)، وقال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(٢).

فعلى المسلم الذي وسع الله عليه من الخيرات؛ أن يتذكر دائما إخوانه الذين يفتقدون إلى الحاجيات الأساسية في حياتهم وما أكثرهم، حتى يحصل التآلف والتعاون والتآزر بين أبناء الأمة، فالغرض من تشريع الإسلام لهذه الفريضة هو أن تكون الثقافة الاقتصادية والاستهلاكية عند المسلم مبنية على القيم الإنسانية وروح التأخي بعيدا عن القيم المادية والنفعية.

ورضى الله عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إذ يقول: «ما جاع فقير إلا بما متع به غني»^(٣).



- (١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٩.
- (٢) محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٤هـ)، الصحيح، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، حديث رقم: ١٤١٧، (مصدر سابق).
- (٣) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، ص: ٢٤٠، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

المبحث الثالث

أثر الاقتصاد المنزلي الإسلامي في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع

إن الحياة الكريمة تكون بحسن تدبير الأمور المعيشية وتنظيمها - ترشيد الاقتصاد المنزلي -، وهذه هي الغاية الأسمى التي يهدف إليها الإسلام من وضعه للضوابط السابقة لاقتصاد البيت المسلم، فلا ريب إذن أن إخضاع الشأن الاقتصادي المنزلي لأحكام الشريعة يؤدي إلى نتائج إيجابية وعواقب محمودة على المستويين الفردي والجماعي للأمم، حيث يساهم في تحسين حياة الأفراد والأسر، ويساهم في تحسين الخدمات التي يحتاج إليها الناس في حياتهم عن طريق العناية بالبيت وتنظيم شؤونه. ولعل أهم نتائج الاقتصاد المنزلي الإسلامي وآثاره الحسنة في تحقيق سعادة الأفراد والمجتمعات ما يلي:

أولاً: الاستقرار والعيش الكريم:

إن الاعتدال في الاقتصاد المنزلي على وفق التعاليم التي أمر بها الإسلام كفيل بضمان العيش السوي والكريم؛ الذي لا يخشى معه الفقر والعوز والفاقة، لأن هذه التعاليم تجعله بعيداً عن السلوكيات والعوائد السيئة، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: «مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ»^(١)، وفي بعض الأمثال السائرة أيضاً: «الِاقْتِصَادُ نِصْفُ الْعَيْشِ»^(٢).

(١) سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، باب العين، باب من روى عن ابن مسعود أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، حديث رقم: ١٠١١٨، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

(٢) عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، الأمثال في الحديث النبوي، ص: ١٢٨، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي الهند، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

إن أهناً العيش وأطيبه هو العيش المعتدل في كل النواحي، وهو الذي يشعر معه المسلم بالسعادة والرضا والقناعة، والحر هو الذي يتحرر من كل ما يستطيع الاستغناء عنه، وهذا هو الغنى الحقيقي بالمعنى الإسلامي والمعنى الإنساني.

يقول النبي ﷺ مشيراً إلى هذه المعاني: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١).

فعلى الرغم من أن قلة الموارد المالية والاقتصادية تزعج الإنسان وتثير لديه المشكلات؛ إلا أن حديثها تضعف كلما تقوت صلة العبد بربه، وهذه مسألة تؤكد العلم النفسية والاجتماعية؛ حيث تذهب إلى أن السعادة التي يتطلع إليها الإنسان إنما تنبع من نفسه، وليس من كثرة ما يمتلكه، بل إن بعض الدراسات تذهب إلى أبعد من ذلك وتشير إلى وجود علاقة بين الترف الحضاري وبين التوتر النفسي^(٢).

إن استشعار السعادة في النموذج الإسلامي للاقتصاد المنزلي ينبع أساساً من القناعة التربوية التي ترسخ في قلب المؤمن وإيمانه بأن التوجيه الرباني له أفضل في الحياة من أي شيء آخر، وما زال الناس يسعون بالفطرة منذ القدم في تلبية حاجاتهم الاقتصادية المختلفة، لكنهم يختلفون في درجة الشبع وأسلوبه، وهو ما

(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، حديث رقم: ١٠٥٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) ينظر: كيندة حامد التراكوي، التربية الاقتصادية في الإسلام وأهميتها للنشء الجديد، ص: ١٣٥، دار إحياء للنشر الرقمي، سنة: ٢٠١٣م.

يعني أن المشكلة تكمن في الإنسان ذاته، فهو في حاجة دائمة إلى التهذيب والتربية كي يرقى إلى درجات القناعة والرضا، ولن يجد المرء ذلك أبداً إلا في ظلال الشريعة السمحة.

ثانياً؛ الوقاية من الأمراض والأوبئة:

إن الإنسان الذي يستطيع أن يحقق الاعتدال في شؤونه الاقتصادية والمالية سيصبح في مأمن عن عوادي الزمان التي تجلب المرض والفقر وفقد القدرة على الكسب، ويسهل عليه نيل كثير من المطالب التي لا يستطيع غيره أن ينالها، ويعيش عزيز النفس حميد السيرة جليل الأثر.

ولا شك أن الأمراض التي يصاب بها الإنسان، إنما تصيبه بسبب كثرة الأكل وعدم تنظيمه، يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «وأما المترفون من الناس، فإنهم يسرفون في ذلك، فيأكلون قبل تحقق الجوع ويشربون على غير ظمأ، ويتجاوزون قدر الحاجة في الأكل والشرب، كما يتجاوزونه في غيرهما، ويستعينون على ذلك بالتوابل والمحرضات للشهوة، فيصابون من جراء ذلك بتمدد المعدة وسوء الهضم وفساد الأمعاء من التخمة وكثرة الفضلات في الجسم التي تحدث تصلب الشرايين المعجل بالهرم، وغير ذلك من الأمراض»^(١).

ولهذا كان سيدنا عمر يقول: «إياكم والبطننة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد مورثة للسقم مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيها، فإنه أصلح

(١) محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤ هـ)، تفسير المنار: ٨ / ٣٤٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٩٩٠ م.

للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»^(١).

ثالثاً؛ الحد من المشاكل النفسية والاجتماعية والبيئية:

لقد أثبتت التجربة أن الأسر التي يكون الإنفاق فيها مرتفعاً تزداد فيها نسبة المشاكل وسوء التفاهم بين أفراد الأسرة إلى درجة حصول الطلاق بين الزوجين وتصعد الأسرة أحياناً، وبالمقابل فإن التوازن بين الكسب والإنفاق يحقق الاستقرار في ميزانية البيت ويجنبه الوقوع في مشاكل الديون والحاجة إلى مساعدة الآخرين، لأن تجاوز الإنفاق حدود دخل الأسرة يفني رأس المال، ويوقع الأسرة في الديون التي هي سبب الهم والغم في البيت، وهذا ما يشير إليه الأثر المروي عن الحسن البصري رضي الله عنه: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً اُكْتَسَبَ طَيِّباً وَأَنْفَقَ قَصْداً، وَقَدَّمَ فَضْلاً لِيَوْمٍ فَقَرَهُ وَفَاقَتْهُ»^(٢).

إن التوسط في الاقتصاد المنزلي يحول دون الوقوع في المحرمات؛ التي هي سبب كثرة المشاكل الأسرية والاجتماعية التي تحول بدورها دون الإحساس بالطمأنينة والشعور بالسعادة الحقيقية في الحياة.

وزيادة على هذا فإن النمط الإسلامي في الاقتصاد المنزلي يسهم في الحد من المشاكل البيئية التي تنجم عن تلويث البيئة بالنفايات التي تنتج عن كثرة الاستهلاك، ومن

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، الطب النبوي: ١ / ٢٤٤، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م.
(٢) محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: ١ / ١٢٨، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

المؤكد أن الاستهلاك الشره للمواد الصناعية التي أفرزها التقدم العلمي والتقني الحديث من أكبر العوامل التي تسبب التلوث في البيئة، وبعض هذه المواد يصعب تحللها في البيئة.

رابعاً؛ الحد من العوائد والسلوكيات السيئة:

إن الالتزام بضوابط السلوك الاستهلاكي التي قررها الإسلام كفيل بالحد من كثير من السلوكيات السيئة والعادات الخاطئة التي تعرفها بعض المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر؛ كالشراء النزوي والإدمان على المقتنيات والاستهلاك المفرط وسوء التدبير، ومن المؤسف أن تكون البلدان الإسلامية قد تأثرت بشكل كبير بطقوس التمدن المعاصر، حتى أصبح بعض الناس عبيداً لشهواتهم ونزواتهم، ولا يستطيعون كبحها ولا الوفاء باحتياجاتها المتزايدة، وهذا ما يعيق الأمة عن النمو والرفاه والاستقرار المنشود.

خامساً؛ تحقيق التكافل الاجتماعي والتعاون بين أبناء المجتمع:

إن السياسة العامة التي وضعها الإسلام لتنظيم الاقتصاد المنزلي تهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، ومحاربة الطبقة والفوارق الاجتماعية، وبناء مجتمع متماسك تسوده العدالة الاجتماعية وقيم الإخاء والتعاون؛ تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض، فالإسلام يكره الفوارق الطبقة بين أفراد الأمة، ويرفض أن تعيش جماعة في الترف والبذخ، وتعيش جماعة أخرى حياة الشظف والحرمان، لأن ذلك يثير الضغائن والإحسان بين أبناء المجتمع الواحد، ولهذا جعل الشرع حقاً للفقراء في أموال الأغنياء، كما سبقت الإشارة إليه.

إن البيت المسلم يتميز بذاتية خاصة عن البيت الذي لا تحكمه الشريعة الإسلامية، فهو بيت يقوم على قيم إيمانية ومثل سامية وأخلاق حسنة وأواصر اجتماعية قوية؛ تتفاعل جميعا لتحقيق لأفراد البيت الأمن والسكينة والمودة والتراحم والحب في الله؛ ليعيشوا حياة طيبة في الدنيا ويسهموا في عمارة الأرض كما أمر الله، ويفوزوا بالجنة هم وذرياتهم من المؤمنين الصالحين^(١).

كما أن الزكاة التي شرعها الله حقا للفقراء تغرس في النفوس فضيلة الصدق والأمانة والبذل والتضحية والإخلاص والإيثار، وتُقَوِّي قيم المحبة والأخوة والتآزر، وتجعل المجتمع متكافلا ومتضامنا ومتراحما، يصدق عليه قول الرسول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٢).

سادسا؛ التأثير إيجابا على الاقتصاد الوطني للدولة المسلمة:

مما لا شك فيه أن استواء اقتصاد الأسرة واعتداله يؤثر إيجابا على الاقتصاد الوطني للدولة؛ باعتبار أن الأسرة هي نواة المجتمع، والعكس أيضا صحيح؛ عندما يصبح الإسراف والتبذير والتراف اعتياديا لدى أفراد الأسرة تنتقل العدوى إلى المستوى المجتمعي فيضعف اقتصاد الدولة ويصيبه الاهتزاز.

(١) حسين شحاتة، (مرجع سابق)، ص: ١٧.

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٢٥٨٦، (مصدر سابق).

فالاقتصاد المنزلي الإسلامي يحقق التنمية الاقتصادية، والزكاة مثلاً فيها معالجة حقيقية لمشكلة اكتناز المال وعدم تداوله، حيث تحث على استثماره وتنميته:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

كما أنها تعالج مشكلة البطالة لأن إنفاق مال الزكاة على الفقراء والمساكين يؤدي إلى زيادة القوة الشرائية والطلب على شراء لوازم الحاجات الأصلية، وهذا يؤدي إلى زيادة الإنتاج ويزيد من فرص العمل.

وهي أيضاً علاج لمشكلة الفقر، إذ تُحول الفقراء والمساكين من آخذين للزكاة إلى منتجين معطين لها، بعد توفرهم على حاجاتهم الأصلية، وتمكنهم من العمل إذا وُفِّرت لهم آلات الإنتاج أو الحرف والصنائع من حصيلة الزكاة، وهذا ما وُجد في عهد عثمان وعهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، حيث زادت حصيلة الزكاة عن حاجة الفقراء والمساكين، ولذلك يقول علماء الاقتصاد الإسلامي: إن الزكاة تحقق عدالة توزيع الدخل^(٢).



(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٢) حسين شحاتة، (مرجع سابق)، ص: ١٧٢.

الخاتمة

وتتضمن نتائج البحث وتوصياته.

أولاً؛ الاستنتاجات:

- إن الاقتصاد المنزلي في نمط الحياة الإسلامي تحكمه مجموعة من الأحكام والضوابط الشرعية المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية، ومن أهمها التوسط والاعتدال والكسب من الحلال والطيبات وعدم الإسراف والتبذير والتقتير وعدم إنفاق المال في الخبائث والحرام والترف.

- الاقتصاد المنزلي الإسلامي نموذج فريد لمواجهة التحديات والمشاكل التي تعرفها الحياة المعاصرة بسبب كثرة الخدمات وتنوعها وتقلب الأسعار والتلاعب بها.

- إن التخطيط لميزانية الأسرة من أهم الوسائل المساعدة على تقدير الإيرادات والنفقات مسبقاً، ومعرفة العجز وسبل تدبيره وتغطيته، ومعرفة الفائض وسبل استثماره وتنميته.

- إن التربية الاقتصادية الإسلامية تعتبر منظومة متكاملة تلبى الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والروحية للفرد والمجتمع بما يحقق الرفاهية الشاملة ويصفي الروح من أدران التمدن والمادية.

- إن الزيادة من المعرفة بشؤون التغذية والاستهلاك تعني المحافظة على صحة أفضل، حتى بالنسبة للأسر ذات الدخل المحدود؛ لأن ذلك يمكنها من تدبير شؤونها الاستهلاكية على نحو أفضل ومفيد.

- يعتبر النظام الاقتصادي للبيت المسلم جزءاً من النظام الاقتصادي الإسلامي للدولة ومكملاً له؛ باعتبار أن كلا منهما يهدف إلى نفس المرامي والغايات، ويعمل في إطار النظام العام للشريعة ويُحكم بقواعدها.
- إن الاستهلاك غير الرشيد تنجم عنه آثار وخيمة ونتائج غير محمودة على الفرد والمجتمع معاً؛ كالتبذير والإسراف والأمراض النفسية والبدنية المختلفة والتفكك الأسري والاجتماعي وإعاقة التواصل الاجتماعي السليم بين الأقرباء.
- إن الاقتصاد المنزلي في نمط الحياة الإسلامي اقتصاد متوازن ومعتدل، ومبني على أساس فقه الأولويات، حيث تقدم عند الإنفاق المصالح الضرورية على المصالح الحاجية، والحاجية على التحسينية؛ كما هو مقرر في علم الأصول.
- إن تدريب الأبناء على السياسة المالية الرشيدة واحترام قواعد الاقتصاد المنزلي وضوابطه في النمط الإسلامي كفيل بإعداد جيل مسلم صالح وواع قادر على تحمل أعباء المسؤولية، والتغيير الذي يطرأ على نظم الحياة العائلية يوماً بعد يوم يؤكد على ضرورة تعليم الأولاد أساسيات وقواعد الاقتصاد المنزلي وفق الضوابط الإسلامية، وذلك في أفق إعداد أجيال تستطيع أن تضطلع بالمسؤوليات والواجبات.
- إن ترشيد الاقتصاد المنزلي وإخضاعه للضوابط الشرعية ضرورة حضارية وباعث أساسي على التقدم والرقي والازدهار ومسايرة الركب الحضاري.
- إن سعادة الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة تكمن في امتثال شرع الله والافتداء بهدي المصطفى ﷺ.

ثانياً؛ التوصيات:

- إن الاقتصاد المنزلي علم وفن يحتاج إلى تعلم وتربية وممارسة، ولهذا يجب على الدول المسلمة الاهتمام به من خلال وضع برامج دراسية ومقررات تعليمية للأطفال يتلقون فيها مبادئه وأساسياته، كما أن وسائل الإعلام والدعاية يجب أن تركز عنايتها على تنمية الوعي بهذا العلم لدى الأفراد والأسر^(١).

- إننا - معشر المسلمين - إذا أردنا أن نعيش عيشة سوية وحياة كريمة، ونرفع مستوياتنا في التطور والتقدم لا بد أن نهتم بعلم الاقتصاد المنزلي في المنظور الإسلامي، ونعيه ما يستحق من اهتمام؛ لأنه الكفيل بتحسين أوضاعنا الصحية والرفع من جودة تعليمنا وصيانة بيئتنا والحفاظ عليها من الأخطار المحدقة.

- ينبغي أن نقدم لأفراد أسرنا ولمجتمعاتنا وأمتنا في مجال التربية الاقتصادية القدوة الاستهلاكية الرشيدة؛ لأن وجود القدوة السليمة وخاصة في مرحلة الطفولة يساعد على غرس العادات والقيم الصحيحة والسليمة في مجال الاستهلاك، والتركيز على المفاهيم الخاصة بترشيد الاستهلاك.

- يتوجب علينا جميعاً كل في موقع قراره أن نسعى جاهدين للحد من الظاهرة الاستهلاكية والتخلص من آثارها السيئة ومشكلاتها الخطيرة.

- إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد تأثرت في مجال الاستهلاك وتدبير الشأن المنزلي ببعض العادات السيئة التي انتقلت إليها من الثقافة الغربية، ولذلك يجب

(١) يشار إلى أن دول الخليج العربي لها فضل على سائر الدول الإسلامية في هذه المسألة، حيث توجهت اهتمامات بعض هذه الدول إلى العمل على برجة الاقتصاد المنزلي في مناهجها الدراسية.

علينا أن نحافظ على أصول الثقافة الإسلامية في هذا المجال ونصفيها من الشوائب السيئة التي تسربت إليها.

- إننا بحاجة ماسة إلى تصحيح كثير من العادات والسلوكيات الخاطئة المتصلة بأنماط عيشنا وتقويم أوضاعنا الاقتصادية الأسرية حتى تكون أكثر عقلانية وواقعية.

- إننا في حاجة ماسة كذلك إلى التربية الاقتصادية الإسلامية، لأنها تنمي غنى النفس عند الإنسان والتعفف والقناعة والرضا بما قسمه الله خاصة في ظل التمدن الذي تعرفه الحياة المعاصرة، والذي لا تنتهي معه حاجيات الإنسان في الحياة.

- إن الاهتمام باقتصاد البيت المسلم في عصرنا من أوكد الواجبات، وذلك للوقوف أمام زحف مادية المادة التي تغزو بيوتنا في كل يوم وفي كل لحظة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.



قائمة المصنّاور

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبحاث مختارة: لمحمد المنوني، منشورات وزارة الشؤون الثقافية المغربية، سنة: ٢٠٠٠م.
- ٣- أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٤- اقتصاد الأسرة: لزيد بن محمد الرماني، دار طريق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٥- اقتصاد البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية: حسين حسين شحاتة، دار النشر للجامعات، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- ٦- الأمثال في الحديث النبوي: لعبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي الهند، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- ٧- التربية الاقتصادية في الإسلام وأهميتها للنشء الجديد: لكيندة حامد التركاوي، دار إحياء للنشر الرقمي، سنة: ٢٠١٣م.
- ٨- تفسير المنار: للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٩٩٠م.
- ٩- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- ١٠- السنن: لابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

- ١١- السنن: لمحمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: ١٩٩٨ م.
- ١٢- السيرة الحلبية: المسماة «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ.
- ١٣- شرح معاني الآثار: لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، منشورات عالم الكتب، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م.
- ١٤- شرح نهج البلاغة: لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- ١٥- صحيح الإمام البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٤هـ)، اعتنى به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- ١٦- صحيح الإمام مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٧- الطب النبوي: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦ م.
- ١٨- الطب النبوي: لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.
- ١٩- فاعلية استخدام التعلم التعاوني في تدريس الاقتصاد المنزلي على تنمية مهارات التفكير الابتكاري لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي: لأمل بنت عبد الله محمد

عمدة، رسالة ماجستير، قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية/ جامعة أم القرى،
١٤٢٨هـ/ ١٤٢٩هـ.

٢٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي
المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، سنة: ١٩٤١م.

٢١- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب
العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٢- المسند: لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن
زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة
المنورة، الطبعة الأولى: (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢٣- المسند: للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،
الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن
عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٥- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن
عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٢٦- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: لأحمد بن المصطفى الشهير بطاش كبرى
زاده (ت: ٩٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٧- الموافقات: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي
الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار
ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

المستهلك الإلكتروني

حمايته في ضوء الفقه الإسلامي والقانون
الإماراتي وتأثيره على نمط الحياة الإسلامي

إعداد

د. أحمد الصادق البشير

رئيس قسم الفقه وأصوله - كلية العلوم الشرعية مسقط

والأستاذ بكلية الشريعة - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين...

وبعد:

فإن التطورات المهمة والكبيرة التي طرأت على المجتمعات الحديثة، قد أحدثت تحولا كبيرا في نمط الحياة المعاصرة، خاصة في الجانب الاقتصادي، حيث إن ظهور التجارة الإلكترونية وما رافقها من التسوق الإلكتروني عبر الحدود، والذي يعد المستهلك الإلكتروني أحد أطرافه الأساسية، قد أثر تأثيرا كبيرا في مجال التنظيم العقدي للمعاملات، خاصة المعاملات الإلكترونية والاستهلاك الإلكتروني.

وعلى الرغم من أهمية الاستهلاك الإلكتروني، وقد أصبح السمة البارزة للعصر، إلا أنه محفوف بكثير من المخاطر التي يتعرض لها المستهلك الإلكتروني، سواء على المستوى الوطني أو الدولي؛ وذلك لقلة أمان الشبكة الإلكترونية؛ ولأن المستهلك هو الطرف الضعيف في العملية التعاقدية مما يعرضه لاستغلال الشركات الكبرى والتي يسعى معظمها لتحقيق الثراء السريع عن طريق الغش والخداع والاحتيال، وهذه المخاطر تتطلب إيجاد حماية كافية وفاعلة لهذا المستهلك الإلكتروني، وقد وضعت الدول تشريعات تستهدف حماية المستهلك التقليدي، وإن كان لفظ المستهلك فيها قد ورد عاما بما يشمل المستهلك الإلكتروني، وطبيعة هذه الحماية وحدودها يتطلب البحث في القوانين ذات العلاقة لإبرازها؛ ولأهمية الموضوع وبعد الاستخارة رأيت أن أبحث فيه ، عسى أن أسهم بطرح بعض الرؤى في ذلك.

ولمحدودية صفحات البحث - حسبها هو مطلوب - فسأقتصر على الحديث عن ثلاثة مخاطر رئيسة يتعرض لها المستهلك، وهي: الشروط التعسفية، والغش، وظهور عيب في السلعة، وسأبحث عن صور الحماية المقررة لها في الفقه الإسلامي، والذي جاءت أحكامه محققة لكل مصلحة ومانعة عن كل مفسدة، وحامية لكل حق مشروع، ثم أبين ما ورد بشأنها في القانون الإماراتي، وبخاصة قانون حماية المستهلك الإماراتي (٢٠٠٦)، والذي تضمنت نصوصه عدداً من الحماية القانونية للمستهلك مطلقاً، بما يشمل المستهلك الإلكتروني، وقانون قمع الغش والتدليس في المعاملات التجارية، الإماراتي رقم (٤) سنة (١٩٧٨)، وقانون المعاملات المدنية الإماراتي (١٩٨٥ م).

ثم أبين آثار المستهلك الإلكتروني على نمط الحياة الإسلامية، سلباً أو إيجاباً، وسيكون منهجي العام في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، ولأغطي جوانب الموضوع الرئيسة فسأقسمه للمطالب التالية:

المطلب الأول: المقصود بالمستهلك الإلكتروني ونمط الحياة الإسلامي

المطلب الثاني: حماية المستهلك الإلكتروني من الشروط التعسفية

المطلب الثالث: حماية المستهلك الإلكتروني من الغش

المطلب الرابع: حماية المستهلك الإلكتروني من عيوب السلعة

المطلب الخامس: آثار المستهلك الإلكتروني على نمط الحياة الإسلامي



المطلب الأول

تعريف المستهلك الإلكتروني ونمط الحياة الإسلامي

لما كان أمر الحماية مقررًا للمستهلك لضعفه ولما يتعرض له من مخاطر تطلب ذلك أن نعرف به أولاً لنبين نطاق حمايته، ثم نعرف بنمط الحياة الإسلامي؛ لبيان أثر المستهلك الإلكتروني عليه سلبيًا أو إيجابًا.

١- تعريف المستهلك الإلكتروني: المفردة الأساس في هذا المصطلح المركب هو المستهلك لذا سأعرف به في الفقه المعاصر، ثم أذكر التعريف اللقبى له.

معنى المستهلك في الفقه المعاصر: انقسم المعاصرون في تعريف المستهلك إلى اتجاهين:

الأول: توسع في معنى المستهلك: حيث ذهب إلى إطلاقه على كل مشتر للسلعة، سواء أكان مهنيًا ومحترفًا أم لم يكن كذلك، وقد عرف وفقًا لذلك بأنه: (كل من يبرم تصرفًا قانونيًا من أجل استخدام المنتج أو الخدمة في أغراضه المهنية أو الشخصية)^(١)، وقد رجح بعض الباحثين هذا المفهوم الواسع^(٢)، وذلك للتالي:

أ- لأن عقود الاستهلاك أضحت عقوداً دولية، يحتاج معها جميع المستهلكين للحماية.

ب- لأن الاستهلاك عملية يمارسها جميع أفراد المجتمع على خلاف الأنشطة

(١) حماية المستهلك في العقد الإلكتروني، د. قدرى محمد محمود، ٢٠١٤م، ص ١١٤

(٢) الحماية المدنية للمستهلك بعد التعاقد الإلكتروني، رمزي بيد الله على الحجازي، ص ٢٥

الاقتصادية الأخرى كالإنتاج والتوزيع والاستثمار والتي يمارسها بعض الأفراد، وعليه تصبح حماية المستهلك من قبيل حماية المواطن، والتي يحتاجها الجميع.

ج- لكثرة مخاطر التسوق المعاصر خاصة وأن أغلب المزودين من الشركات الكبرى، والتي قد تهضم حقوق المشتريين أيا كانوا وتعرضهم جميعاً للمخاطر.

ويرى بعض الباحثين أن هذا الاتجاه يتفق مع نظرة الفقه الإسلامي في جانب المعاملات، والتي تقوم على المحافظة على الأموال، وحماية الأطراف من التعدي والظلم^(١).

والاتجاه الثاني: أخذ بالمعنى الضيق للمستهلك^(٢): حيث ذهب إلى قصر معنى المستهلك على من يتزود بسلع استهلاكية مخصصة لاستخداماته الشخصية، غير المهنية، وقد عرف وفقاً لذلك بأنه: (من يتزود بسلع استهلاكية مخصصة لاستخداماته الشخصية)، وهذا التعريف يتفق مع ما جاء في التشريع الفرنسي، والذي عرف المستهلك بأنه: (من يقوم باستعمال السلع والخدمات لإشباع حاجاته الشخصية وحاجات من يعول، وليس بهدف إعادة بيعها أو تحويلها أو استخدامها في نطاق نشاطه المهني)^(٣)، ووفقاً لهذا الرأي المضيق يخرج من وصف المستهلك كل من يقوم بإبرام تصرفات لأغراض المهنة أو الحرفة، فيخرج كل مهني - أي محترف

(١) حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني، عبد الله ذيب عبد الله محمود، رسالة ماجستير، ص ١٦.

(٢) حماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية، د. خالد ممدوح إبراهيم، ص ٢٠.

(٣) حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي، ص ٢٧.

أو تاجر - ولو كان قد أبرم العقد في غير مجال تخصصه، وسبب إخراج المهني عن الحماية باعتبار معرفته وخبرته فلا يحتاج إلى الحماية مثل غير المهني^(١).

تعريف المستهلك في القانون الإماراتي: عرفته المادة (١) من قانون حماية المستهلك بأنه: (كل من يحصل على سلعة أو خدمة - بمقابل أو بدون مقابل - إشباعاً لحاجته الشخصية أو حاجات الآخرين)^(٢)، والذي يظهر لي أن هذا التعريف قد أخذ بالاتجاه المضيق فقصر المستهلك على من يتزود لحاجاته الشخصية، وحاجات الآخرين (من يعولهم) دون أن يشمل من يتزود السلعة بقصد إعادة بيعها، أي المحترف أو المهني.

التعريف اللقبي للمستهلك الإلكتروني: لفظ المستهلك اسم جنس يشمل كل أنواع المستهلكين، بما فيهم المستهلك الإلكتروني، وعليه فإن التعريفات السابقة للمستهلك تنطبق على المستهلك الإلكتروني بوجه عام، مع ضرورة تقييدها بأن يكون المستهلك قد تزود بالسلعة أو الخدمة إلكترونياً، وأولى الاتجاهات بالأخذ هنا هو الاتجاه الذي يعرف المستهلك تعريفاً موسعاً؛ وذلك للطبيعة الخاصة للعقود الإلكترونية؛ ولما فيها من مخاطر يتعرض لها الجميع (المهني وغير المهني)؛ ولأن الغالب في أي مستهلك إلكتروني أنه الطرف الضعيف في العلاقة التعاقدية، كما أن الغالب في هذه العقود أن مزود السلعة من الشركات الكبرى، سواء أكانت وطنية أم دولية، الأمر الذي يقتضي أن تتم الحماية لجميع المستهلكين، وبناء على ما سبق أعرف المستهلك الإلكتروني بأنه: (كل من يحصل على سلعة أو خدمة عبر الشبكة

(١) المنظور الإسلامي لوسائل حماية المستهلك الإلكتروني (بحث)، د. سيد حسن عبد الله، ج ٣، ص ١٢٣٥

(٢) القانون الإماراتي، اتحادي رقم ٢٤، صادر بتاريخ ١٣/٨/٢٠٠٦ م.

الإلكترونية لحاجاته الشخصية أو حاجات الآخرين أو لأغراض مهنته). فالمستهلك الإلكتروني يشمل كل من يتزود بالسلعة أو الخدمة عبر الشبكة الإلكترونية دون نظر إلى مركزه، أو سبب تزوده بالسلعة، ومن حيث الحماية فإن المستهلك الإلكتروني في نطاق معاملات التجارة الإلكترونية هو ذاته المستهلك في العملية التقليدية، لكنه فقط يتعامل من خلال وسائط إلكترونية، ومؤدى ذلك أن له كافة الحقوق والمزايا التي يتمتع بها المستهلك في نطاق التجارة التقليدية إضافة إلى ما يتمتع به من خصوصية عقده أنه عبر الإنترنت^(١).

تعريف نمط الحياة الإسلامي: لا ريب أن هذا المصطلح من المصطلحات المعاصرة ويطلق عليه نمط العيش أو Life style وهو في الأصل اصطلاح غربي يقصد به: (البيئة التي يختارها الإنسان ليعيش فيها وكيفية تعامله معها كل حسب مقدراته ووضعه في المجتمع وقناعاته الشخصية)^(٢)، ويعد نمط الحياة انعكاساً لصورة الفرد وقيمه الذاتية، ومعبراً عن اهتماماته المختلفة، الرياضية والفكرية... وعن سلوكياته اليومية الاجتماعية، والاقتصادية مثل تسوقه، وأكله وشربه، ولبسه. وقد وضع الإسلام نظرية متكاملة لأسلوب الحياة الأمثل للإنسان في جميع مناحي حياته الفكرية والمادية والروحية والاجتماعية، بحيث يرتقي به إلى أسمى مراحل السمو والارتقاء في حدود بشريته، فنمط الحياة الإسلامي ينطلق من الفكر والروح ويجعلها هما الأساس والضابط والمرجعية في رسم أبعاد نمط الحياة المادي.



(١) حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي ص ٢٥
 (٢) نمط العيش بين المفاهيم وواقع الحياة (مقال) في موقع رابطة الحوار الديني للوحدة، الشبكة الإلكترونية.

المطلب الثاني

حماية المستهلك الإلكتروني من الشروط التعسفية

١- تعريف الشرط التعسفي: يعرف بأنه: «الشرط الذي يستأثر أحد طرفي العقد بفرضه تعسفاً على الطرف الآخر بسبب عدم المساواة بينهما، وينتج عنه اختلال ظاهر في التوازن العقدي بين حقوق والتزامات الأطراف»^(١) فالشرط التعسفي يصدر من شخص يملك القوة الاقتصادية مثل الشركات الكبرى، والتي تتحكم في كثير من السلع والخدمات، ويتميز بمركز قانوني يجعله متحكماً في وضع الشروط التعاقدية، وذلك مقابل المستهلك الذي يتعاقد تحت ضغط الحاجة للسلعة أو الخدمة بدون مناقشة أو تفاوض، وهذا الشرط التعسفي يؤدي إلى حدوث خلل في التوازن التعاقدية لصالح المهني أو مزود السلعة في مواجهة المستهلك.

وفي رأيي أن فكرة التعسف هذه فكرة مرنة لا يوجد لها معيار واحد ضابط، وإنما تختلف حسب كل حالة على حدة، والحديث عن الوسائل الكفيلة بحماية المستهلك منها شرعاً وقانوناً يقتضي بيان أهم العناصر أو المعايير التي تحدد كون الشرط تعسفياً أم لا، ووفقاً للتعريف السابق، وما قاله المعاصرون بشأن التعسف في استعمال الحق^(٢)، أخلص لأهم المعايير في ذلك وهي:

١- أن يكون أحد طرفي العقد قد استغل بوضع شروط العقد، وهو المهني مزود السلعة أو الخدمة، والذي يفترض أنه في مركز اقتصادي متميز.

(١) حماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية، د. خالد ممدوح إبراهيم، ص ١٩٧

(٢) نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، د. فتحي الدريني، ص ٨٤، الحماية المدنية

للمستهلك بعد التعاقد الإلكتروني، رمزي بيد الله على الحجازي، ص ١٩٤

٢- أن يكون الشرط قد تضمن ميزة لوضعه، وهذه الميزة إما أنها غير مشروعة أو أنها مضرّة بالطرف الآخر وفيها استغلال له.

وقد ذهب كثير من الباحثين إلى اعتبار عقد المستهلك الإلكتروني والمتضمن لشروط تعسفية عقد إذعان، لتتقرر لها الحماية الواردة في قوانين المعاملات المدنية، وعللوا لذلك بما يلي^(١):

أ- إن المستهلك ضعيف في مواجهة الشركات الإلكترونية العملاقة، وللقوة الاقتصادية لهذه الشركات، واعتبارات العدالة تقتضي النظر إليه بوصفه الطرف المذعن في العقد.

ب- للدعاية الهائلة التي تتم عبر الشبكة، والتي تضلل المستهلك الإلكتروني.
ج- لأن الحماية التي تقررها عقود الإذعان للمستهلك لضعفه هي أسرع وأفضل.

د- لأن الشروط يستغل بوضعها صاحب السلعة أو مقدم الخدمة دون أن تكون للمستهلك فرصة المناقشة أو التفاوض بسبب تفوقه الاقتصادي.

هـ- لأن العقد يتعلق بسلع وخدمات لا غنى عنها للمستهلك لسد حاجاته الشخصية^(٢).

(١) بحث حماية المستهلك الإلكتروني، د. عبد الحق حميش، ص ١٢٩٠، حماية المستهلك في العقد

الإلكتروني، د. قدرى محمد محمود، ص ١٢٨

(٢) حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني، د. أسامة أحمد، ص ١٤٩

وذهب بعضهم إلى أن شروط الإذعان لا تنطبق على عقد المستهلك الإلكتروني، وذلك للتالي^(١):

١- لعدم انطباق العنصر الأول من عناصر عقد الإذعان انطباقاً تاماً على عقد المستهلك الإلكتروني، فقد يتعاقد المستهلك الإلكتروني على سلع غير ضرورية، بل سلع كمالية.

٢- ولأن العنصر الثاني احتكار السلعة قد لا ينطبق على عقد التجارة الإلكترونية في الأعم الأغلب من الأحوال لوجود شركات عديدة على شبكة الإنترنت تعرض ذات المنتج.

٣- كما أن المستهلك الإلكتروني قد يناقش الشروط التي يضعها المزود وذلك عبر البريد الإلكتروني، أو الموقع الإلكتروني أو الرسائل الإلكترونية، ويصبح العقد رضائياً.

ومقتضى هذا الرأي - الثاني - أن الشروط التعسفية قد توجد في غير عقود الإذعان، أما أصحاب القول الأول فيتبين أنهم قد توسعوا في مفهوم عقد الإذعان فجعلوا كل عقد لمستهلك إلكتروني عقد إذعان؛ ليجدوا أساساً قانونياً لحماية المستهلك الإلكتروني من هذه الشروط؛ لأن معظم القوانين المدنية تربط الحماية من الشروط التعسفية بأن تكون قد تمت بطريق عقد الإذعان، والذي أراه أن الغالب في عقود المستهلك الإلكتروني عقود إذعان، وهي المحضن الأساس للشروط التعسفية، لكن لا أتفق مع تعميمها؛ لصعوبة توافر كل شروط عقد الإذعان في أي

(١) حماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية، د. خالد ممدوح إبراهيم، ص ٢٠٥

عقد لمستهلك إلكتروني، لذا فإن الحديث عن الحماية من الشروط التعسفية يتطلب أن نتناوله في قسمين: الحماية من الشروط التعسفية في عقود الإذعان، والحماية من الشروط التعسفية في غير عقود الإذعان، لنبين ما ورد بشأنها.

٢- حماية المستهلك الإلكتروني من الشروط التعسفية في الفقه الإسلامي:

وفقاً لما سبق ذكره من أن الشروط التعسفية تنقسم إلى قسمين، سأبين صور الحماية التي تقرها الشريعة لكل نوع، علماً بأن هذه المسألة من المستجدات التي لم يتناولها السابقون، وقد تعرض المعاصرون لما يتعلق منها بعقود الإذعان.

أولاً: الشروط التعسفية الواردة في عقود الإذعان: إن حماية المستهلك الإلكتروني منها تثبت شرعاً للعقود التي تصنف بأنها عقود إذعان، باعتبار أن كل حماية تتقرر للمستهلك، تشمل المستهلك الإلكتروني، وحيث إن المسألة لم تعرف عند السابقين فسأورد فيها قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والذي تناول الشروط المضمنة في عقود الإذعان، وقد بين القرار أولاً شروط عقد الإذعان وهي^(١):

أ- تعلق العقد بسلع أو منافع يحتاج إليها الناس كافة ولا غنى لهم عنها، كالماء والكهرباء.....

ب- احتكار - أي سيطرة - الموجب لتلك السلع أو المنافع أو المرافق احتكاراً قانونياً أو فعلياً، أو على الأقل سيطرته عليها بشكل يجعل المنافسة فيها محدودة النطاق.

(١) مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة (١٤) الدوحة، (يناير) ٢٠٠٣م، قرار رقم ١٣٢ (١٤/٦).

ج- انفراد الطرف الموجب بوضع تفاصيل العقد وشروطه، دون أن يكون للطرف الآخر حق في مناقشتها أو إلغائها شيء منها أو تعديله.

د- صدور الإيجاب موجهاً إلى الجمهور، موحداً في تفاصيله وشروطه، وعلى نحو مستمر.

فإذا توافرت في العقد هذه الشروط يعد عقد إذعان، ويحمى المستهلك من الشروط التعسفية التي تضمنها، وقد قرر مجلس المجمع بشأن عقود الإذعان المتضمنة للشروط التعسفية ما يلي^(١): - وجوب تدخل الدولة في شأنها ابتداءً (قبل طرحها للتعامل به) وذلك بالتسعير الجبري العادل، الذي يدفع الظلم والضرر عن المضطرين إلى تلك السلعة أو المنفعة، أو بإلغاء أو تعديل الشروط الجائرة بما يحقق العدل بين طرفيه، استناداً إلى جملة من الأدلة - ذكرها القرار - قائمة على وجوب إزالة الضرر.

ثانياً: الشروط التعسفية الواردة في عقود ليست عقود إذعان: بعض الشروط التعسفية - كما ذكرنا سابقاً - قد لا تتوافر في عقودها شروط عقد الإذعان، وهذا يتطلب أن نبحث عن موقف الفقه الإسلامي منها، وفقاً لأدلته وقواعده.

وبالنظر في هذه الشروط وما تقوم عليه من التعسف في فرضها، وما تسببه من ضرر يلحق بالمستهلك، فإن الحماية منها يمكن تقريرها وفقاً لنظرية التعسف في استعمال الحق، وجعلها هي الأساس في الحماية من هذه الشروط، وهذه النظرية

(١) مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الرابعة عشرة الدوحة، ٢٠٠٣م، قرار رقم ١٣٢ (١٤/٦).

تقوم على جملة من الأدلة الشرعية منها: قوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)^(١) والقاعدة الفقهية (الضرر يزال)، كما تقوم على أن حق الفرد إذا أفضى إلى مضرة بالغير كان في ذلك مناقضة لمقصد الشارع؛ لأنه لم يشرع ليكون مصدرا لمفاسد راجحة، بل شرع لمصالح راجحة، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح^(٢)، فإذا ثبت التعسف في فرض هذه الشروط وفقا لهذه النظرية جاز لولي الأمر (القاضي) أن يتدخل فيعدل من هذه الشروط بما يحدث التوازن المطلوب ويرفع الضرر عن المستهلك الإلكتروني.

٣- حماية المستهلك الإلكتروني من الشروط التعسفية في القانون الإماراتي:

لم ترد نصوص خاصة بحماية المستهلك الإلكتروني من الشروط التعسفية في القانون الإماراتي - حسب اطلاعي - وإنما ورد نص عام في قانون المعاملات المدنية الإماراتي، يقرر الحماية من الشروط التعسفية إذا وردت في عقود الإذعان، فقد جاء في نص المادة (٢٤٨) (إذا تم العقد بطريقة الإذعان وكان قد تضمن شروطا تعسفية جاز للقاضي أن يعدل هذه الشروط أو يعفي الطرف المدعى منها وفقا لما تقضي به العدالة ويقع باطلا كل اتفاق على خلاف ذلك)^(٣)، وفي نص المادة (٢٦٦)، من ذات القانون: (لا يجوز أن يكون تفسير العبارات الغامضة في عقود الإذعان ضارا بمصلحة الطرف المدعى)، هذا النص عام يشمل كل العقود المدنية إذا تمت بطريقة الإذعان، ويدخل في ذلك عقد المستهلك الإلكتروني إذا توافرت فيه عناصر

(١) موطأ مالك تحقيق الأعظمي (٤ / ١٠٧٨)

(٢) نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، د. فتحي الدريني، ص ٢٥.

(٣) قانون المعاملات المدنية الإماراتي (٥ / ١٩٨٥)

الإذعان، بل هو أولى بالحماية؛ وذلك لطبيعة التعاقد الإلكتروني وما فيه من مخاطر، والنص يقرر الحماية عند توافر الشروط التالية:

١- أن يكون العقد قد تم بطريق الإذعان، وقد ذهب فقهاء القانون إلى أن العقد لا يعد عقد إذعان إلا إذا توافرت فيه الشروط والخصائص التالية^(١): - أن يكون التعاقد متعلقاً بسلعة أو خدمة ضرورية للمستهلكين مثل خدمات الماء والكهرباء...، وأن يكون الموجب محتكراً لهذه السلع أو الخدمة، احتكاراً يجعل المنافسة فيها محدودة، وأن يصدر الإيجاب بشروط موحدة لا تقبل المناقشة، وتقدم للناس كافة.

٢- وأن يكون قد تضمن شروطاً تعسفية.

فإذا توافر هذان الشرطان تتقرر الحماية من الشروط التعسفية لأي مدعى بقواعد أمر لا يجوز الاتفاق على مخالفتها، وذلك بالتالي^(٢): أ- يعدل القاضي من هذه الشروط، أو يعفي الطرف المدعى - الضعيف - منها، وذلك وفقاً لما تقضي به قواعد العدالة.

ب- تفسر العبارات الغامضة في العقد تفسيراً لا يضر بمصلحة الطرف المدعى.

وحيث إن الغالب في عقود المستهلك الإلكتروني عقود إذعان؛ لأنه الطرف الضعيف في العلاقة التعاقدية، فإن هذا النص ينطبق عليه ويقرر الحماية له إذا تضمن

(١) مصادر الحق في الفقه الإسلامي، د. عبد الرزاق السنهوري، ج ٢، ص ٥٥. حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي ص ٤٧.

(٢) مصادر الحق في الفقه الإسلامي، د. عبد الرزاق السنهوري، ج ٢، ص ٥٥.

عقده شروطاً تعسفية، يقول د. عبد الفتاح: (القواعد العامة في قانون المعاملات والمتعلقة بعقود الإذعان تحمي الطرف المدعى بوصفه الطرف الضعيف في العقد، وهذه القواعد عينها يمكن تطبيقها على المستهلك الإلكتروني)^(١).

أما إذا لم يثبت أن عقد المستهلك الإلكتروني قد تم بطريق الإذعان، فإنني لم أجد - حسب اطلاعي - نصاً خاصاً في القانون الإماراتي تطبق في هذه الحالة، وعليه فيلجأ حينئذ للقواعد العامة المتعلقة بالتعسف في استعمال الحق لحماية المستهلك من هذه الشروط التعسفية، وقد نص قانون المعاملات المدنية الإماراتي على الحالات التي يكون فيها استعمال الحق غير مشروع، وأوجب الضمان وفقاً للمادة (١٠٦) ونصها: (١- يجب الضمان على من استعمل حقه استعمالاً غير مشروع. ٢- ويكون استعمال الحق غير مشروع: أ- إذا توفر قصد التعدي. ب- إذا كانت المصالح التي أريد تحقيقها من هذا الاستعمال مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية أو القانون أو النظام العام أو الآداب. ج- إذا كانت المصالح المرجوة لا تتناسب مع ما يصيب الآخرين من ضرر. د- إذا تجاوز ما جرى عليه العرف والعادة)^(٢).



(١) انظر حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي ص ٥١

(٢) قانون المعاملات المدنية الإماراتي رقم (٥) لسنة (١٩٨٥م)

المطلب الثالث

حماية المستهلك الإلكتروني من الغش

معنى الغش: لغة : جاء في مقاييس اللغة^(١): الغين والشين أصول تدل على ضعف في الشيء واستعجال فيه، من ذلك الغش، ويقولون: الغش: ألا تمحض النصيحة، وشرب غشاش: قليل، وفي لسان العرب^(٢): الغشُّ: نَقِيضُ النَّصْحِ وَهُوَ مأخوذٌ مِنَ الْغَشَّشِ الْمَشْرَبِ الْكَدِرِ.

اصطلاحاً: عرف بتعريفات كثيرة منها: (كل تصرف فيه نوع من التحايل وكتمان الحقيقة وإظهار السلعة على غير ما هي عليه في الحقيقة والواقع، أو إغراء العاقد بإيهامه بأن فيها بعض محاسن وفوائد مرغوبة لديه)^(٣)، وهذا التعريف قد أورد صوراً للغش وهي:

- ١- استخدام الحيلة والكذب على المتعاقد بأمر مخالف للحقيقة والواقع، كالكذب عليه في مقدار الثمن، أو نوع السلعة أو جودتها ونحو ذلك.
- ٢- التدليس عليه بكتمان الحقيقة وإخفاء العيب الذي لو علمه المتعاقد لما أبرم السلعة، أو لتعاقد بثمن أقل، وهذا النوع من الغش أراه يدخل في باب العيب، وترتب عليه آثاره.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨٣)

(٢) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٢٣)

(٣) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ٥٦

٣- أو بإغرائه بوسيلة خادعه تدفعه للتعاقد، ومن ذلك إظهار السلعة بصورة تدفع المتعاقد للتعاقد كأن يصبغ سلعة قديمة ليظهرها جديدة، أو بتقليد العلامات التي تميز الشركات المعروفة بالجودة والإتقان ودقة الصنع.

حماية المستهلك الإلكتروني من الغش في الشريعة الإسلامية:

اتفقت كلمة فقهاء الشريعة على حرمة الغش بكل صورته وأنواعه، وذلك للأدلة الصحيحة الصريحة التي وردت فيه، نذكر منها^(١):

١- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، والغش من قبيل أكل أموال الناس بالباطل، كما أنه من التطفيف الذي نهى عنه الشارع الحكيم، يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

٢- ما ورد عن أبي هريرة أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢)، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن هذا الحديث وأمثاله غير محمول على الظاهر، فالغش لا يخرج الغاش عن الإسلام، قال الخطابي: معناه ليس على سيرتنا ومذهبنا^(٣)، ووصف الغاش بذلك دليل على سوء فعله وأنه منهي عنه شرعا.

(١) الفقه الإسلامي وأدلتها، للزحيلي (٧/ ٤٩٨٢)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣١/ ٢١٩)، المغني لابن قدامة (٤/ ١٠٩)، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين لحميس الرستاقى (٨/ ١٥).

(٢) المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج، (١/ ٩٩).

(٣) معالم السنن للخطابي (٣/ ١١٨).

٣- ولما يترتب على الغش من مضار إذ إنه يضر بالعلاقات بين الناس، حيث إنه يفقد الثقة بين المتعاملين، ويضر بالمصنع الأصلي للسلعة، ويجعل الحياة التجارية في اضطراب.

الآثار الشرعية المترتبة على الغش: إذا ثبت الغش فإنه يترتب عليه شرعا ما يلي:

- ١- إثم الفاعل لما سبق من الأدلة ولأنه من الكبائر التي نهي عنها.
 - ٢- جواز فسخ العقد ورد السلعة لمن وقع في الغش، جاء في منح الجليل: (الواجب على من غش أخاه المسلم أو غيره أو دلس له بعيب أن يؤدب على ذلك مع الحكم عليه بالرد)^(١) أو أن تُتلف السلعة -بأمر ولي الأمر- إذا كانت فاسدة، وذلك لوجوب إزالة الضرر، للقاعدة الفقهية (الضرر يزال).
 - ٣- تعزير الغاش بتوقيع عقوبة عليه، جاء في مواهب الجليل: (عن مطرف وابن الماجشون أن من غش في أسواق المسلمين يعاقب بالسجن والضرب، وبالإخراج من السوق)^(٢).
- وبناء على ما سبق فإذا ثبت أن المستهلك الإلكتروني قد وقع في غش بأي صورة من الصور التي ذكرناها سابقا، جاز له شرعا أن يفسخ العقد، مع وجوب تعويضه إن كان قد تضرر من الغش، وتعزير (معاينة) الغاش.

(١) منح الجليل شرح مختصر خليل (٥ / ١٨٨)

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤ / ٣٤٣)

حماية المستهلك الإلكتروني من الغش في القانون الإماراتي:

تشير الدراسات الحديثة^(١) إلى تزايد عدد المتعرضين للغش في كافة أشكال الصناعات والتجارات، خاصة في حالة التعاقد بطريق الإنترنت، بل قد أصبح الغش والتقليد اليوم ظاهرة عالمية خطيرة تؤرق اقتصاديات الدول وتهز من مكانتها وسمعتها^(٢)، وقد حمى المشرع الإماراتي المستهلك من الغش، وذلك في ثلاثة قوانين تضمنت نصوصاً تتعلق بالغش بصوره المختلفة، وفيما يلي سأورد هذه القوانين والنصوص التي تضمنتها بشأن الغش:

القانون الأول: القانون الاتحادي رقم (٤ لسنة ١٩٧٩)، في شأن قمع الغش والتدليس في المعاملات التجارية، وقد وردت فيه مادتان تتعلقان بتقرير حماية جنائية للمستهلك من الغش وهما: المادة (١) والتي نصت على أنه: (يعاقب بالحبس لمدة لا تجاوز سنتين، وبغرامة لا تقل عن خمسمائة درهم ولا تجاوز عشرة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من خدع أو شرع في أن يخدع المتعاقد معه بأية طريقة من الطرق في إحدى الأمور الآتية:

١- عدد البضاعة المباعة أو مقدارها أو مقاسها أو كيلها أو وزنها أو طاقاتها أو عيارها أو مواصفاتها.

٢- ذاتية البضاعة إذا كان ما سلم منها غير ما تم التعاقد عليه.

(١) حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي ص ١٤

(٢) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ٤٩

- ٣- حقيقة البضاعة أو طبيعتها أو صفاتها الجوهرية أو ما تحتويه من عناصر نافعة وعلى وجه العموم العناصر الداخلة في تركيبها.
- ٤- نوعها أو أصلها أو مصدرها في الأحوال التي يكون فيها لنوع البضاعة أو لأصلها أو لمصدرها اعتبار ملحوظ عند التعاقد عليها.
- ٥- إجراء تخفيضات وهمية في أسعار السلع والبضائع المعروضة للبيع في التصنيفات الموسمية أو غير الموسمية)
- كما نصت المادة (٢) على أنه (يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنتين وبغرامة لا تقل عن خمسمائة درهم ولا تتجاوز عشرة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين:
- ١- كل من غش أو شرع في أن يغش أغذية للإنسان أو الحيوان أو عقاقير طبية أو حاصلات زراعية أو منتجات طبيعية أو أية مواد أخرى معدة للبيع.
- ٢- كل من طرح أو عرض للبيع أو باع أغذية للإنسان أو الحيوان أو عقاقير طبية أو حاصلات زراعية أو منتجات طبيعية أو مواد أخرى مع علمه بغشها أو فسادها، ويفترض العلم بالغش أو الفساد إذا كان المخالف من المشتغلين بالتجارة أو من الباعة الجائلين ما لم يثبت حسن نيته ويرشد عن مصدر المواد موضوع الجريمة.
- ٣- كل من أعد أو طرح أو عرض للبيع أو باع مواداً بقصد استعمالها في غش أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المواد الأخرى).

وهذا القانون أراه من أهم القوانين التي تضمنت حماية للمستهلك الإلكتروني من الغش، وذلك لأنه قد قرر حماية جنائية، بنصوص صريحة وقاطعة وشاملة لكل صور الغش.

القانون الثاني: قانون حماية المستهلك^(١)، وقد نص على حماية وقائية للمستهلك من الغش في المادة (٦) منه، والتي جاء فيها: (لا يجوز للمزود عرض أو تقديم أو الترويج أو الإعلان عن أية سلع أو خدمات تكون مغشوشة أو فاسدة أو مضللة بحيث تلحق الضرر بمصلحة المستهلك أو صحته عند الاستعمال العادي)، فقد قرر هذا النص حماية وقائية للمستهلك من السلع المغشوشة أو الفاسدة وذلك بمنع عرضها أو تقديمها أو الترويج لها أو الاعلان عنها.

القانون الثالث: قانون المعاملات المدنية الإماراتي (١٩٨٥ / ٥)، ومن نصوصه التي تضمنت حماية للمستهلك من الغش، النصوص التي وردت بشأن التغيرير بالآخر، والتغيرير صورة من صور الغش والخداع بإيهام الآخر بوسائل احتيالية تدفعه للتعاقد: والنصوص التي وردت في ذلك:

١- المادة رقم ١٨٥ (التغيرير هو أن يخدع أحد المتعاقدين الآخر بوسائل احتيالية قولية أو فعلية تحمله على الرضا بما لم يكن ليرضى به بغيره)، والمادة رقم ١٨٦ (يعتبر السكوت عمدا عن واقعة أو ملابسنة تغريراً إذا ثبت أن من غرر به ما كان ليبرم العقد لو علم بتلك الواقعة أو هذه الملابسنة). هاتان المادتان قد بينتا المقصود بالتغيرير وصوره، ثم أورد المشرع نصوصاً تبين الآثار المترتبة عليه وهي:

(١) قانون حماية المستهلك الإماراتي رقم (٢٤) لسنة ٢٠٠٦ م

المادة رقم ١٨٧ (إذا غرر أحد المتعاقدين بالآخر وتحقق أن العقد تم بغبن فاحش جاز لمن غرر به فسخ العقد)، والمادة رقم ١٩٠ (إذا صدر التغيير من غير المتعاقدين وأثبت من غرر به أن المتعاقد الآخر كان يعلم بالتغيير جاز له فسخه)، هذه النصوص تتحدث عن الحالة التي يكون فيها الغش قد تم بوسائل احتيالية قولية أو فعلية.



المطلب الرابع

حماية المستهلك الإلكتروني من عيوب السلعة

يتعرض كثير من المشتريين إلكترونياً لمخاطر ظهور عيب في السلعة بعد استلامها الأمر الذي يستدعي حمايتهم من ذلك، وستتناول بإيجاز بيان الحماية المقررة للمشتريين من عيوب السلعة في الفقه الإسلامي، والقانون الإماراتي، وقبل هذا نورد تعريفاً موجزاً للعيب في المصطلح الشرعي والقانوني.

تعريف العيب في الفقه الإسلامي: عرف بتعريفات مختلفة في المبنى متحدة معنى منها: ما جاء في المغني، عرف العيوب بأنها: (النقائص الموجبة لنقص المالية في عادات التجار)^(١)، وفي مغني المحتاج: (كل ما ينقص العين أو القيمة نقصاً يفوت به غرض صحيح إذا غلب في جنس المبيع عدمه)^(٢)، فالعيب وفقاً لهذه التعريفات هو نقص في المبيع أو قيمته يقتضي العرف السلامة منه، وحرى بنا أن نشير إلى أن الفقهاء قد عالجوا مسألة العيب تحت مسمى خيار العيب، أو خيار النقيصة كما يسميه بعض الفقهاء، وهو خيار يثبت للمشتري حق الرد عند ظهور عيب معتبر في المبيع إذا توافرت الشروط التي حددها الفقهاء؛ لأن سلامة المبيع شرط في العقد دلالة^(٣).

تعريف العيب في القانون: العيب ورد في القانون تحت مسمى العيب الخفي، وقد عرف في قانون المعاملات الإماراتي المادة (٤٤٤ / ٤) أنه: (العيب الذي

(١) المغني لابن قدامة (٤ / ١١٥)

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني (٢ / ٤٢٨)

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩ / ٢١٣)

لا يعرف بمشاهدة ظاهر المبيع أو لا يتبينه الشخص العادي، أو لا يكشفه غير خبير، ولا يظهر إلا بالاستعمال أو التجربة^(١)، فالعيب وفقاً لهذا التعريف هو الذي لا يظهر إلا بطرق معينة ولا يكشفه إلا الخبير.

١ - حماية المستهلك الإلكتروني من عيوب السلعة في الشريعة الإسلامية:

اتفق فقهاء الشريعة على أن المشتري (المستهلك) إذا وجد في المبيع عيباً توافرت فيه شروط معينة له حق الخيار في فسخ العقد، جاء في الموسوعة الفقهية: (لا خلاف بين الفقهاء في الرد بالعيب في الجملة)^(٢)، بل إن الفقهاء قد اتفقوا على أن على البائع إعلام المشتري بالعيب الذي في مبيعه، وذلك فيما يثبت فيه خيار، فإذا لم يبينه فهو آثم عاص.

شروط خيار العيب: واشتروطا للعيب الذي يوجب الخيار ما يلي^(٣):

١ - ظهور عيب معتبر في المبيع: والعيب المعتبر هو العيب الذي ينقص قيمة المبيع نقصاً معتبراً عند أهل الخبرة أو يفوت غرضاً صحيحاً في المبيع، على أن يكون الأصل في جنس المبيع السلامة من العيب.

٢ - أن لا يكون المشتري على علم بالعيب عند التعاقد؛ لأن إقدامه على الشراء مع علمه بالعيب رضاه به دلالة، ومن المقرر عند الفقهاء أن خيار العيب إنما هو

(١) قانون المعاملات المدنية الإماراتي رقم ٥ / لسنة ١٩٨٥

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٠ / ١١٣)، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين لحميس الشخصي (٩ / ١٤٠)

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٠ / ١١٦)

للعيوب الخفية التي لا تدرك بالنظر، إذ لو كان العيب بارزاً لا يخفى عند الرؤية غالباً فيعتبر المتعاقد عالماً به.

٣- أن لا يكون البائع قد اشترط البراءة منه عند بعض الفقهاء، واشترط البراءة من العيب جائز عند الحنفية سواء أكان العيب معلوماً للمشتري أم مجهولاً له، ومهما كان محل العقد، وأجازته مالك والشافعي في الحيوان وحده.

والخلاصة: أن المستهلك الإلكتروني إذا وجد في المبيع عيباً معتبراً لم يكن على علم به عند التعاقد، ولم يشترط البائع البراءة من العيوب المجهولة له، فإن له الحق في فسخ العقد شرعاً، والمطالبة برد الثمن كاملاً ويرد المبيع، أو بإنقاص الثمن مع إمضاء البيع، والرد بالعيب شرعاً لا يحتاج إلى اتفاق بين الطرفين، بل يثبت متى توافرت شروطه الشرعية.

٢- حماية المستهلك الإلكتروني من عيوب السلعة في القانون الإماراتي:

حمى القانون المستهلك الإلكتروني من العيوب الخفية التي قد تظهر في المبيع، وقد هدف بذلك الحفاظ على السلامة المالية للمستهلك ودرء الضرر الذي قد يصيبه في حالة وجود عيب خفي في السلعة^(١)، وقد وردت الحماية عن العيب في قانونين إماراتيين هما:

القانون الأول: قانون حماية المستهلك رقم (٢٤) لسنة ٢٠٠٦ م، وهو قانون خاص يلجأ إليه أولاً فيما يتعلق بحماية المستهلك، وقد أورد نصاً واضحاً يلزم

(١) حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي، ص ٦٤

فيه البائع (المزود) برد السلعة، أو إبدالها إذا وجد فيها المستهلك عيباً، فقد نصت المادة (٥) منه على أن: (يلتزم المزود برد السلعة أو إبدالها في حال اكتشاف المستهلك لعيب فيها، ويتم الرد أو الإبدال وفقاً للقواعد المقررة في اللائحة التنفيذية لهذا القانون)، ولفظ المستهلك عام يشمل المستهلك الإلكتروني.

القانون الثاني: قانون المعاملات المدنية الإماراتي (١٩٨٥ / ٥)، تناول قانون المعاملات معالجة موضوع العيب تحت مسمى خيار العيب، ومن المعلوم أن نصوص قانون المعاملات نصوص عامة، يتحاكم إليها في جميع المعاملات المالية التي لم يرد بشأنها نصوص خاصة، وقد أورد القانون حق المشتري في خيار العيب في النصوص التالية: نص المادة (٢٣٧) جاء فيه: (يثبت حق فسخ العقد بخيار العيب في العقود التي تحتمل الفسخ دون اشتراطه في العقد)، والمادة (٢٣٨) (يشترط في العيب لكي يثبت به الخيار أن يكون قديماً، ومؤثراً في قيمة المعقود عليه، وأن يجهله المشتري، وأن لا يكون البائع قد اشترط البراءة منه)، والمادة (٢٣٩): (إذا توفرت في العيب الشروط المبينة في المادة السابقة كان العقد غير لازم بالنسبة لصاحب الخيار قبل القبض قابلاً للفسخ بعده. ٢- ويتم فسخ العقد قبل القبض بكل ما يدل عليه دون حاجة إلى تراضٍ أو تقاضٍ بشرط علم المتعاقد الآخر، أما بعد القبض فإنه يتم بالتراضي أو التقاضي).

وجاء في المادة (٢٤٠): (يترتب على فسخ العقد للعيب رد محله إلى صاحبه واسترداد ما دفع)، وفي المادة (٢٤٢): (لصاحب خيار العيب أيضاً إمساك المعقود عليه والرجوع بنقصان الثمن).

ووفقا لهذه النصوص فإن خيار العيب يثبت للمشتري (المستهلك) إذا توافرت الشروط التالية:

١- أن يكون العيب قديما، أي موجودا في المبيع قبل التسليم، وغير ظاهر، وقد ذهبت بعض التشريعات إلى أن للمستهلك الاستفادة من هذا الضمان ولو كان العيب ظاهرا في حالتين^(١): أن يكون البائع قد أكد للمستهلك خلو المبيع من العيوب، أو أن يثبت المشتري أن البائع قد تعمد إخفاء العيب غشا منه، وهذا يمثل مدى أوسع في حماية المستهلك.

٢- أن يكون العيب مؤثرا في قيمة المعقود عليه، ويكون العيب مؤثرا إذا كان على درجة من الجسامة، وأحدث خللا في المبيع أنقص الفائدة منه.

٣- وألا يكون معلوما للمشتري قبل العقد؛ فإذا أعلم البائع المشتري بالعيب ولو كان خفيا قبل العقد، فإنه يسقط الضمان.

٤- أن لا يكون البائع قد اشترط البراءة من العيب.

على أن هذه النصوص يرجع إليها في بعض المسائل الخاصة بالعيب، والتي لم ترد في قانون حماية المستهلك، سواء ما تعلق منها بتقدير العيب، أو بما يتعلق بشرط البراءة من العيب. وغيرها من المسائل التي لم يرد بها نص خاص.



(١) حماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية، د. خالد ممدوح إبراهيم، ص ٢٤٦، حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي ص ٦٥.

المطلب الخامس

أثر المستهلك الإلكتروني على نمط الحياة الإسلامي

نمط الحياة الإسلامي كما ذكرنا سابقاً هو الطريقة التي يعيشها الأفراد، والجماعات وفقاً للنظام الإسلامي، ويشمل ذلك ماكلهم ومشربهم وملبسهم، وتعليمهم، وهذه الطريقة قد تؤثر فيها البيئة سلباً أو إيجاباً، ومن ذلك المستهلك وكيفية استهلاكه، فإن له آثاراً على نمط الحياة الإسلامي، من الناحية الإيجابية، ومن الناحية السلبية، نوردتها فيما يلي:

أولاً: الآثار الإيجابية للمستهلك الإلكتروني على نمط الحياة الإسلامي:

للمستهلك الإلكتروني آثار إيجابية على نمط الحياة الإسلامي من حيث التالي:

١ - الاستفادة المثلى من الوقت، وتقليل الجهد:

من السمات الرئيسة لنمط الحياة الإسلامي، الاهتمام بالوقت والمحافظة عليه، وإدارته بالطريقة المثلى، وهذا ما يحققه الاستهلاك الإلكتروني، حيث إنه يوفر كثيراً من الوقت والجهد والمال للمستهلك، على خلاف الطرق التقليدية في التوزيع والاستهلاك، والتي تأخذ وقتاً طويلاً في الحصول على السلع، وكذلك في تسويقها، أما في العصر الحاضر فقد تغير الأمر وأصبح المستهلكون (تجاراً أم غير تجاراً) يحصلون على ما يريدون وهم جالسون في منازلهم وخلال وقت قصير، وهذا ما ينعكس إيجاباً على حياة الناس في توفير الوقت الثمين لهم، والمسلم أولى بالاستفادة من وقته، وهو أول ما يحاسب عليه، كما أنه مأمور بأن يأخذ بكل ما فيه منفعة ومصلحة مشروعة^(١)،

(١) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ٣١٠

والتسوق الإلكتروني - إذا التزم فيه بموجهات الإسلام - من ثمار التكنولوجيا النافعة في العصر الحاضر، والذي باتت فيه العقود الإلكترونية تشكل نسبة كبيرة من حجم التجارة الدولية والداخلية، وذلك بسبب سرعة إبرامها وتنفيذها^(١).

٢- تقليل التكلفة بالتسوق المباشر:

من المساوئ الكبيرة في عملية التسوق قديماً وحديثاً، وجود وسطاء في البيع والشراء، (سماسة) ينتفعون من هذه الوساطة دون أن يضيفوا منفعة اقتصادية للسلع والخدمات، فتزيد تكلفتها، مما يلحق ضرراً بالبائعين أو بالسوق، ولذلك جاء النهي الشرعي عن مثل هذه الوساطات لما فيها من أضرار، ومن ذلك ما ورد من النهي عن بيع الحاضر للبادي، وما ورد من النهي عن تلقي الجلب حتى يهبطوا السوق، وقد قصد الشارع من ذلك أن يكون التعامل مباشراً بين صاحب السلعة والمشتري (المستهلك) دون وساطة، ليستفيد الطرفان والسوق، وعقد المستهلك الإلكتروني يدعم هذه الطريقة التي تقوم على التعامل المباشر دون واسطة غالباً، وبهذا يكون المستهلك الإلكتروني داعماً للسوق الإسلامية القائمة على سلامته من الوساطات المضرة به وبأهله.

٣- دعم الاستثمار في أنماط الحياة الإسلامية:

نمط الحياة الإسلامي يتميز بأن له ضوابط فيما يؤكل ويشرب ويلبس، ومن ذلك مثلاً أن يكون المأكول والمشروب من الطيبات، وأن يكون اللبس محتشماً إلى

(١) المنظور الإسلامي لوسائل حماية المستهلك الإلكتروني (بحث)، د. سيد حسن عبد الله، ج ٣، ص ١٢١٧

غير ذلك... وهذا يقتضي من المزودين للسوق الإسلامي أن يراعوا ذلك فيما ينتجون ويستثمرون، وبقدر تقييد المسلمين وإقبالهم على استهلاك ما يتوافق مع شريعتهم بقدر ما يزيد الاستثمار في هذه الأنماط، وبما أن الاستهلاك الإلكتروني قد أصبح من السمات الرئيسة لهذا العصر، فإن حضور المستهلك الإلكتروني المسلم فيه بقوة يشجع ويدعم الاستثمار العالمي في هذه الأنماط، خاصة وأن نسبة المسلمين من جملة سكان العالم ليست بالنسبة اليسيرة، وهذا بلا شك سيكون مردوده إيجاباً، في التعريف بنظام المسلمين، وبنشر الحلال للناس عامة، في المأكول، والمشروب، وغير ذلك من متطلبات الحياة، ومن أدل الصور على ذلك الإقبال الكبير على المنتجات الإسلامية المصرفية، أو ما يعرف بظاهرة الصيرفة الإسلامية، والتي انتشرت حتى في البلاد غير الإسلامية لتلبي حاجة المسلمين في كل مكان، وفي هذا من الفوائد ما لا يخفى، خاصة إذا زاد إقبال المستهلكين إلكترونياً من المسلمين^(١).

ثانياً: الآثار السلبية للمستهلك الإلكتروني على نمط الحياة الإسلامي:

١ - الإضرار بهاله وأخلاقه:

رغم ما ذكرنا من آثار إيجابية للمستهلك الإلكتروني، فإن له آثاراً سلبية على نظام الحياة الإسلامي، حيث يغير من النمط الإسلامي في بعض جوانب الحياة، وذلك بتقليده لغير المسلمين فيما يأكلون أو يشربون أو يلبسون مما لا يتفق مع الذوق الإسلامي ويتنافى مع القيم الإسلامية، ودافعه لذلك هذا التسوق المفتوح والمغري

(١) دور نمط الحياة الإسلامي والشباب في الاقتصاد الإسلامي (مقال)، عبد الله محمد العور، صحيفة الاتحاد، ص الاقتصادي ٢٧ / ٥ / ٢٠١٧ م

عبر الشبكة التي يتعامل معها والتي تعرض الغش والتمين، وهذا الأثر لا يمكن تجنبه إلا بتحصين الشباب المسلم من التقليد الأعمى لغير المسلمين، أو من الانسياق وراء الدعايات المضللة، بل إن الانسياق وراء الدعايات الزائفة، والإعلانات الكاذبة، قد يعرض ماله للخطر، خاصة وأن الشبكة الإلكترونية معرضة لمخاطر جمة، فقد ذكر د. حميش^(١): بأن إحدى الدراسات الحديثة أفادت بأن ٩ من ١٠ شركات في الولايات المتحدة قد تعرضت لمحاولات اختراق لشبكات ونظم المعلومات التابعة لها ويتوقع أن تكلف عمليات الاختراق لشبكات ونظم المعلومات ١ و٦ تريليون دولار لعام ٢٠٠٠م، إضافة إلى زيادة انتشار الغش والخداع والإعلانات المضللة عبر الإنترنت، وظهور شركات وهمية تعمل على عرض السلع بقصد الاحتيال، وعمليات الاحتيال على البطاقات الائتمانية أو استخدام البيانات المضللة، وكل هذا يؤدي إلى تعريض كثير من المستهلكين لمخاطر جمة تضيع معها أموالهم، بل قد تعرض اقتصاديات دول للتراجع بسبب الخداع والغش في المنتجات من السلع والخدمات، وهذا ينعكس سلباً على الحياة الإسلامية التي ينبغي أن تقوم معاملاتها على الوضوح والسلامة.

٢- الإفراط في الاستهلاك:

كذلك من الآثار السلبية لهذا النوع من الاستهلاك، دفع المستهلك الإلكتروني للاستهلاك الذي يتجاوز الحد المعتدل؛ وذلك نتيجة لكثرة الدعايات المضللة وإغراءاتها بالتسوق، وكذلك انتشار التنزيلات الوهمية لأسعار السلع، وقد تتضمن

(١) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ٣٠٧

عرض سلع أو شك تاريخ صلاحيتها على الانتهاء، وكل ذلك قد يؤدي بالمستهلك الإلكتروني إلى الإفراط في الاستهلاك، بل ويصبح معها الاستهلاك دون هدف، أو إشباع حاجة معينة أو منفعة محددة^(١)، والاستهلاك في الإسلام ليس مطلقاً وإنما مقيد بقيود الحل والحرمة، بما يلزم حفظ المال لتحقيق منفعة شخصية ومنفعة المجتمع، والإفراط في الاستهلاك يتنافى وتوجيهات الإسلام في ربط الاستهلاك بالدخل والحاجة على حد سواء، فكما يعمل الدخل على تنظيم الاستهلاك في الإسلام يكون للحاجة دور كبير في هذا التنظيم، فيجب على المسلم لكي يكون مستهلكاً رشيداً أن يضع في خطته حاجات نفسه روحاً وبدناً، وحاجات المجتمع في العاجل والآجل والقيام بالواجبات الدينية لإشباع الحاجات الأخروية، بحيث يتيسر له استهلاك الطيبات من السلع والخدمات ضمن حدود دخله، فإن لم يوف بذلك فإن المجتمع يعينه على ذلك بحدود إمكانياته، وفي هذا يختلف نمط الاستهلاك الإسلامي عن الاستهلاك الوضعي والذي يقوم على مبدأ أن المستهلك يتصرف تصرفاً رشيداً عندما يحصل على أكبر قدر من المنفعة أو الشباع، دون ضابط أو وازع ديني أو أخلاقي^(٢).

٣- تأثيره على مراعاة الأولويات في الاستهلاك:

الاستهلاك في النظام الإسلامي قائم على مراعاة المستهلك للأولويات في الاستهلاك، فيبدأ في النفقة على نفسه، ثم عياله وأسرته ثم القرابة وهكذا، وكذلك

(١) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ١٥٣

(٢) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ١٣٨

في السلع والخدمات فيبدأ بالأهم ثم المهم، بيد إن التقدم السريع في وسائل التجارة والتكنولوجيا والتطور العلمي والعولمة، وكثرة الدعايات المسلطة على المستهلك الإلكتروني،... أثرت سلباً على حرية المستهلك في اختيار ما يناسبه من سلع، خاصة وكثير من شباب المسلمين قد ابتعد عن شريعة الإسلام، وأصبح يقلد الآخرين، ويسعى وراء حياة الترف والمجون، حتى ظن أنها الأصل والعرف^(١).



(١) حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، ص ١٥٨

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أورد أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، والنتائج هي:

١- الراجح الأخذ بالتعريف الموسع للمستهلك ليشمل المهني وغير المهني؛ وذلك لما في التعامل الإلكتروني من مخاطر - ذكرتها في البحث - تقتضي أن تعم الحماية جميع المستهلكين، مع العلم بأن لفظ المستهلك عندما يطلق في التشريعات التي تنظم حقوقه وواجباته ينبغي أن يشمل المستهلك الإلكتروني.

٢- الحماية من الشروط التعسفية تقرر بطريقتين: الأولى: بطريق عقود الإذعان وقد نص على الحماية منها قانون المعاملات الإماراتي بنصوص واضحة، وصدر فيها قرار لمجمع الفقه الإسلامي، ونص على وجوب تدخل الدولة العادل في شأنها ابتداءً، وبإلغائها أو تعديلها لا حقا وفقا لمقتضيات العدل والإنصاف، والثاني: بطريق غير عقود الإذعان وتكون الحماية منها وفقا للقواعد العامة للتعسف في استعمال الحق، في الفقه الإسلامي، وقانون المعاملات الإماراتي.

٣- اتفقت كلمة فقهاء المسلمين على حرمة الغش، فإذا ثبت أن المستهلك الإلكتروني قد وقع في غش بأي صورة، جاز له أن يفسخ العقد، على أن يترادى السلعة والتمن، مع التعويض إن كان له مقتضى، وتعزيز الغاش.

٤- وردت حماية المستهلك من الغش في ثلاثة من القوانين الإماراتية، أهمها القانون الاتحادي رقم (٤ لسنة ١٩٧٩)، في شأن قمع الغش والتدليس في

المعاملات، وقد وردت فيه مادتان تتعلقان بتقرير حماية جنائية للمستهلك من الغش، ثم قانون حماية المستهلك (٢٠٠٦م) والذي وردت فيه نصوص تقرر حماية وقائية للمستهلك، ثم قانون المعاملات المدنية الإماراتي (١٩٨٥) والذي تناوله تحت مسمى التغيرير.

٥- أجازت الشريعة للمشتري (المستهلك الإلكتروني) إذا وجد في المبيع عيباً معتبراً لم يكن على علم به عند العقد، ولم يشترط البائع البراءة من العيوب المجهولة له، أن يفسخ العقد، والرد بالعيب شرعاً لا يحتاج إلى اتفاق بين الطرفين، بل يثبت متى توافرت شروطه الشرعية.

٦- نص قانون حماية المستهلك الإماراتي على إلزام البائع (المزود) برد السلعة، أو إبدالها إذا وجد فيها المستهلك عيباً، ولفظ المستهلك عام يشمل المستهلك الإلكتروني، كما تناول قانون المعاملات المدنية معالجة الموضوع تحت مسمى خيار العيب، ومن المعلوم أن نصوصه نصوص عامة، يتحاكم إليها في جميع المعاملات المالية التي لم يرد بشأنها نص خاص.

٧- للمستهلك الإلكتروني آثار إيجابية وسلبية على نمط الحياة الإسلامي، فمن آثاره الإيجابية: توفير الوقت والجهد، وتقليل نفقات الحصول على السلعة بالتعاقد المباشر، ودعم الاستثمار في أنماط الحياة الإسلامية، أما آثاره السلبية فتتمثل فيما تترتب عليه من أضرار بالمال والأخلاق، وما يؤدي إليه من إفراط في الاستهلاك، وعدم مراعاة الأولويات في الاستهلاك.

التوصية:

- من خلال اطلاعي على القوانين المتعلقة بحماية المستهلك، وجدت أنها موجهة للمستهلك التقليدي، وهي غير كافية لحماية المستهلك الإلكتروني لكثرة ما يتعرض له من مخاطر الأمر الذي يستوجب إصدار قانون خاص بحماية المستهلك الإلكتروني.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



قائمة المصنّور

- ١- القانون الإماراتي الاتحادي رقم ٢٤، صادر بتاريخ ١٣/٨/٢٠٠٦ م
- ٢- الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، سورية - دمشق، طبعة: الرابعة.
- ٣- المنظور الإسلامي لوسائل حماية المستهلك الإلكتروني (بحث)، د. سيد حسن عبد الله، مؤتمر الأعمال المصرفية الإلكترونية بين الشريعة والقانون (١٤٢٤-٢٠٠٣ م) غرفة تجارة وصناعة دبي.
- ٤- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، طبع (من ١٤٠٤-١٤٢٧ هـ)، الأجزاء (١-٢٣) ط. الثانية، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء (٢٤-٣٨) ط الأولى، دار الصفوة - مصر.
- ٥- المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠ هـ)، مكتبة القاهرة، النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٦- المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧- دور نمط الحياة الإسلامي والشباب في الاقتصاد الإسلامي (مقال)، عبد الله محمد العور، صحيفة الاتحاد، الاقتصادي ٢٧/٥/٢٠١٧ م.
- ٨- حماية المستهلك في العقد الإلكتروني، د. قدري محمد محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٤ م.
- ٩- الحماية المدنية للمستهلك بعد التعاقد الإلكتروني، رمزي بيد الله على الحجازي، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م).

- ١٠ - حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني، عبد الله ذيب عبد الله محمود، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين ٢٠٠٩ م.
- ١١ - حماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية، د. خالد ممدوح إبراهيم، الدار الجامعية - الإسكندرية (٢٠٠٧).
- ١٢ - حماية المستهلك عبر شبكة الإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي، دار الكتب القانونية سنة (٢٠٠٨ م).
- ١٣ - حماية المستهلك من منظور إسلامي، د. عبد الحق حميش، جامعة الشارقة النشر العلمي (٢٠٠٤ م).
- ١٤ - حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني، د. أسامة أحمد بدر، دار الكتب القانونية ٢٠٠٨ م.
- ١٥ - قانون المعاملات المدنية دولة الإمارات العربية المتحدة، رقم ٥ لسنة ١٩٨٥.
- ١٦ - قانون قمع الغش والتدليس في المعاملات التجارية، دولة الإمارات العربية المتحدة رقم (٤) سنة (١٩٧٨).
- ١٧ - لسان العرب، محمد ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- ١٨ - موقع رابطة الحوار الديني للوحدة، شبكة الإنترنت (مقال)، نمط العيش بين المفاهيم وواقع الحياة، رامي سند.
- ١٩ - مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الرابعة عشرة الدوحة (قطر) ذو القعدة ١٤٢٣ هـ، (يناير) ٢٠٠٣ م، قرار رقم ١٣٢ (٦/١٤).
- ٢٠ - مصادر الحق في الفقه الإسلامي، د. عبد الرزاق السنهوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

- ٢١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٢٢- معالم السنن، أبو سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى (١٩٣٢م).
- ٢٣- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عlish، (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٤- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٥- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٦- منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، خميس بن سعيد بن علي الشقصي، المحقق: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ٢٧- الموطأ، مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي - الإمارات، الطبعة: الأولى (٢٠٠٤م).
- ٢٨- نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٩ - ١٩٩٨م).





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

موجّهات الاستهلاك ومحدّداته في نمط الحياة الإسلامي

إعداد

د. محمد جنيد بن محمد نوري الديرشوي

أستاذ الفقه والأصول المشارك بجامعة الملك فيصل

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على خير خلقه سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

لا يخفى على أحد أنّ نمط الحياة المعاصرة نمط ماديّ بامتياز، فقد صاغت مفاهيم الثقافة الماديّة التي عمّت مشارق الأرض ومغاربها، واستولت على تفكير أكثر الأفراد والمجتمعات، وصادرت عواطفهم ووجداناتهم حتى كانت هي الموجّه الأول لميولهم ورغباتهم وسلوكهم، فولّد ذلك رغبة جامحة إلى الاستزادة من الأموال والثروات ابتغاء الحصول على أكبر قدر ممكن من وسائل المتعة وصنوف اللذات المادية، وساعد على تعظيم هذه الرّغبة وشدّة جموحها الدّعايات والإعلانات وأساليب التسويق المتنوّعة، ولقد ولّد ذلك لدى الإنسان المعاصر حاجات كثيرة مصطنعة ومتوهّمة، ظنّها حاجات حقيقيّة، بل ربّما ظنّها ضرورات، ولو تأمل لرأى أن الغالبية العظمى منها كاليّات يمكن الاستغناء عنها بسهولة.. وكان من نتائج ذلك وقوع أكثر الناس في الحيرة والاضطراب والقلق النفسي من جرّاء العجز عن توفير هذه الحاجات كلّها.

وإذا كان الحال ما ذكرنا فإنّ الحاجة ماسّة إلى التعرّف على المنهج الإسلامي في الاستهلاك، ونشره في مجتمعاتنا الإسلاميّة، ولا سيّما تلك التي أكرمها الله تعالى بوفرة في الثروة، ومكّنها من أسباب الرّخاء والرّفاه. ولقد كانت حاجة هؤلاء إلى

معرفة هذا المنهج أشدّ من المجتمعات الفقيرة، لأنّ المبالغة في الاستهلاك وتبديد الأموال الكثيرة في الكماليّات إنّما يكون على أشده في المجتمعات الغنية، وعند الأفراد ذوي الاقتدار المالي؛ أمّا المجتمعات الفقيرة فإنّ واقع فقرهم وضرورات عيشتهم تسوقهم - شأؤوا أم أبوا - إلى سلوك منهج استهلاكي أكثر اعتدالاً، فما عندهم من المال قد يكون أقلّ من أن يسدّ جميع ضروراتهم وحاجاتهم الأساسية، فضلاً عن أن يستهلكوها في اقتناء الكماليّات.

وقد وضعنا هذا البحث لبيان المنهج الإسلامي في الاستهلاك، لسيتهدي به المسلمون إلى السلوك الاستهلاكي الرّشيد، الذي يحقق لهم حياة متوازنة رخيّة، ويوفّر لهم ولمجتمعاتهم كثيراً من الثروة التي تعينها على التقدّم والرّخاء.

ويتكوّن هذا البحث من تمهيد ومبحثين وخاتمة فيها أهمّ نتائج البحث. وأسأل الله تعالى أن يلهمنا السّداد والرّشاد وصدق النية وصالح العمل، وأن يتمم فضله علينا فيكرمنا بالخاتمة الحسنى، إنّه أرجى من سؤل وأكرم من أعطى.



تمهيد: التعريف بمفردات البحث

لبحثنا هذا مصطلحان أساسيان، هما الاستهلاك، ونمط الحياة الإسلامي، وهذا تعريف مختصر بكل واحد منهما.

أولاً: الاستهلاك:

هو لغةً الإنفاق والإنفاق، يقال: استهلك المال، أي أنفقه وأنفده^(١).

- الاستهلاك اصطلاحاً: هو «التناول الإنساني المباشر للسلع والخدمات؛ لإشباع رغبات الإنسان وحاجاته»^(٢). وهذا هو الذي عناه الإمام العزّبن عبد السلام رحمه الله حين ذكر أنواع الإتلاف فقال: «إتلاف لإصلاح الأجساد وحفظ الأرواح، كإتلاف الأطمعة والأشربة والأدوية، وذبح الحيوان المباح حفظاً للأمزجة والأرواح»^(٣).

ولا شك أن للاستهلاك أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وفي تحريك عجلة الاقتصاد، وبخاصة في هذا العصر؛ ذلك أن الغاية من كل نشاط اقتصادي إنما هو توليد المنافع وتعظيمها من أجل أن تُستهلك في حاجات الإنسان ورغباته.

الاستهلاك والإنفاق: أرى أنه ينبغي أن يكون هناك تفریق بين استهلاك المال وبين إنفاقه في الاصطلاح الإسلامي، فإن الإنفاق أعم من الاستهلاك، ذلك أن

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: مادة (هلك).

(٢) النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، د. شوقي دنيا: ص ٩١، السلوك الاستهلاكي في الإسلام، د. محمد أنس الزرقا: ٣٣٩ ص - ٣٣٤٠، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، د. محمد رؤاس قلعجي: ٩٤ ص، النظام الاقتصادي في الإسلام، د. عبد الله الديرشوي وزملاؤه: ص ١٣١، الاستهلاك في الإسلام، د. زيد بن محمد الرماني، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/culture/0ixzz52LiRSZ9O#/52236>

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العزبن عبد السلام: ٧٤ / ٢.

الاستهلاك يُطلق على ما أنفقه الإنسان لحاجاته ولإشباع رغباته، أمّا ما يُنفق في وجوه الخير وابتغاء مرضاة الله وإصلاح الآخرة؛ فيسمى إنفاقاً، ولا يستقيم أن يُقال عنه استهلاك؛ لأنّ الاستهلاك من الهلاك الذي هو الإتلاف والعطب، وهذا يُخالف ما تقرّره النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، من أن إنفاق المال في وجوه البرّ ليس إهلاكاً له ولا إنفاقاً، بل هو زيادة للمال ونماء له، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وكقوله ﷺ في حديث مُطَرِّفٍ عن أبيه قال أتيتُ النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، قال: «يقول ابن آدم مَالِي مَالِي. قال: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»^(١)، ولذا فإننا نقصد بمصطلح الاستهلاك إنفاق الإنسان المال في حاجاته ورغباته المادية فحسب.

ثانياً: نمط الحياة الإسلامي:

هو أسلوب الحياة وطريقة العيش التي يهيمن عليها الإسلام، ولما كان الإسلام مؤلفاً من أقسام ثلاثة، هي العقيدة والشريعة والأخلاق؛ فقد كان المقصود بنمط الحياة الإسلامي أسلوب العيش الذي تُصاغ مفاهيمه وتصوّراته للكون والإنسان والحياة وفق مبادئ العقيدة الإسلامية، ويتمّ توجيه حركة المجتمع فيه والأنشطة المختلفة لأفراده بوحى من التشريع الإسلامي، المتمثل في الأحكام الفقهية، ثم تتولّى القيم والأخلاق الإسلامية توجيه بواعث الناس وتطلّعاتهم وتهذيبها، وترشدهم إلى غاياتهم.

(١) صحيح مسلم، باب الزهد والرفائق، رقم / ٢٩٥٨.

وفيما يأتي نبين بشيء من التفصيل الذي يتسع له المقام - أثر هذه الأقسام الثلاثة التي هي الموجهات والمحددات الأساسية، التي توجه حركة المجتمع بشكل عام، بما في ذلك الاستهلاك الذي هو موضوع هذا البحث، وسنبحث ذلك في مبحثين، الأول منها نخصّه لبيان دور كل واحد من هذه الأقسام في الاستهلاك، والثاني سنفرده لبيان آثار هذا التوجيه على المجتمع من النواحي الاقتصادية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والأمنية، بإذن الله تعالى.



المبحث الأول

المؤثرات في السلوك الاستهلاكي الإسلامي

لا شك أن ثقافة المجتمع وفلسفته هي التي تكون نمط الحياة فيه، ويكون لها أبلغ الأثر في توجيه وتحديد سلوك أفراد وأنشطتهم المختلفة.. ومن أبرز أنواع السلوك الإنساني وأهمه الاستهلاك؛ إذ هو يتعلق بتلبية حاجات الإنسان ورغباته المادية التي تلاحقه في الليل والنهار.. وإذا صحَّ هذا فلا بد أن يكون لثقافة المجتمع المسلم أثر كبير في تحديد السلوك الاستهلاكي وتوجيهه في المجتمع المسلم، وهذا بيان لذلك.

المطلب الأول: أثر العقيدة في الاستهلاك:

لعقيدة المجتمع الدور الأهم في تحديد الهيكل الاستهلاكي والفلسفة الاستهلاكية، لما لها من الأثر الكبير في القوانين والتشريعات التي تسننها والمبادئ والقيم التي تتبناها، وأنماط السلوك والتصرُّفات التي تشيع فيما بين أفرادها.

ولعل أثر العقيدة يتجلى بشكل أوضح من خلال المقارنة بين معتقد الإنسان المادي والمجتمعات المادية، وبين معتقد الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي الذي ينسجم في سلوكه مع العقيدة الإسلامية، ويترجم الإسلام عملاً في واقعه.

ففي المجتمعات المادية تتركز فلسفة الاستهلاك على تحقيق الرفاهية، والاستكثار من التمتع بالملذات المادية، وتعظيم الانتفاع بها بأقصى ما يمكن؛ ذلك أنه لما كان أفق الإنسان المادي يقف عند حدود ما هو مادي ومشاهد، وما كان ليخترق بفكره وعقله حاجز الموت إلى ما وراءه من عالم الغيب وحقائقه، بل كان يرى في الموت

العدم المحض، والنتيجة الحتمية لهذا التصور هي أن يرى في هذه الدنيا جنته، وأن يسعى سعيه اللاهث للتمتع بشتى صنوف اللذائذ وألوان المتع، ويجعل من المنفعة واللذة هدفه الأول، فيسلك إليها مختلف السبل؛ لأنه إذا مات دون أن يكرع ويعبّ أكبر قدر يستطيعه من ألوان النعيم، فإنه سيخسر فرصته الذهبية القصيرة والوحيدة، التي لا يمكن أن تعوض.. وما دامت الحياة قصيرة، ووقوع المرء صريعاً بين برائن الموت وشيكاً، ونصيبه من تناول المتع قليلاً في حساب الزمن، فليستكثر من ذلك جهد استطاعته.. هذه هي النظرية التي تتولد من إنكار الآخرة. وقد أعرب عن هذا الشاعر الجاهلي بقوله:

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
وعبر عن هذا المعنى الغربيون الماديون فقالوا: «كُلْ، واشرب، وكن مرحاً»،
Eat & Drink & Merry، فالأكل والشرب والتمتع غاية ما يصبو إليه صاحب
هذه العقيدة.

وهذا الشعور هو الذي يفسر انتشار مذاهب اللذة والمنفعة والذرائعية في المجتمع
المادي الحديث»^(١).

أما أثر العقيدة الإسلامية في سلوك من يدينون بها فهو نابع من فلسفة العقيدة
الإسلامية لهذا الوجود، ويمكن أن نلخص ذلك في الآتي:

(١) الحرية الاقتصادية ومدى سلطان الدولة في تقييدها في الشريعة الإسلامية، د. محمد جنيد
الديرشوي: ص ٢٧-٢٨.

١- إن هذا الكون بسماواته وأرضه وما فيها مخلوق لخالق عظيم مدبر حكيم، وقد خلقه في غاية الإتقان وكمال الحكمة، فلا مكان للعبث والمصادفة فيه بشكل من الأشكال، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ۖ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

٢- إن الوجود ليس محصوراً في هذا العالم المشاهد، بل إن وراء أسوار هذا العالم وجوداً آخر أتم وأكمل، ودنيانا هذه إنما هي محطة مؤقتة وممرٌ عابر إلى ذلك العالم الذي هو مستقرنا الدائم، ونسبة هذه الحياة الدنيا إلى ذلك الوجود المطلق - كماً وكيفاً - هي كنسبة اللحظة العابرة إلى الوجود اللانهائي، وكنسبة الشيء التافه الذي لا قيمة له إلى القيمة اللانهائية: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

٣- إن الإنسان كذلك مخلوق لله جلّ وعلا، وقد أكرمه الله تعالى، فميّزه على سائر المخلوقات بأن جعله خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فجعله سيّداً على هذه الأرض، وسخر له ما في السماوات والأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩].

٤- لما كان الإنسان بالمحلّ الذي ذكرنا من الكرامة عند الله تعالى؛ لم يكن من المعقول أن يكون شأنه كشأن كسائر العجماوات والجمادات، بأن يُترك هملاً لا يؤمر ولا ينهى: ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، بل اقتضت الحكمة أن

تكون له مهمّة قدسيّة تتناسب مع عِظَم المكانة التي بوّأه الله تعالى إيّاها، وقد تمثّلت هذه المهمّة في أن يتحقّق بوصف العبوديّة لله جلّ وعلا طواعيّةً واختياراً، كما أنّه عبدٌ لله تعالى جبراً واضطّاراً.

٥- هذه الحياة الدنياء دار ابتلاء واختبار للإنسان، ومُدّة الاختبار هي عمر الإنسان ومُدّة وجوده على سطح هذه البسيطة، وبحلول أجل الإنسان ونزول الموت به ينتهي الاختبار وتُطوى الصُّحف، ويكون ذلك إيذاناً بانتقال الإنسان إلى مستقرّه الدائم في الحياة الآخرة، حيث يكون رهيناً بما كسب، فإن أحسن في هذه الدّنيا كانت نتيجته مشرّفة، وكان ناجحاً في الاختبار، وحقّ له أن يحصل على المكافأة والجائزة التي هي حياة أبدية في نعيم مقيم لا يحيط الكلام بوصفه ولا يبلغ الخيال كُنْهه وعظّمته. وإن عمل سيئاً خاب وخسر، ونزل به من العذاب ما لا يحيط به الوصف. نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

٦- إنّ اختبار الحياة في غاية التعقيد، إذ كلّ ما يحيط بالإنسان - سواء ما كان في هذه الأرض أو خارجها ممّا يتّصل به الإنسان أو تبلغه حيلته - مادّة اختبار له، ويمكن أن نقسّم هذه المادّة إلى قسمين: الأول منهما يرجع إلى العلاقة المباشرة بين الإنسان وربّه جلّ وعلا، وهذا إنّما يكون في العبادات المحضّة كالصلاة والصوم والحجّ والزكاة، والقسم الثاني يرجع إلى تصرّفات الإنسان وسلوكه تجاه هذا الكون الذي يحيط به، فقد شاء الله تعالى بباهر حكمته أن يأتمن الإنسان على ما في هذه الأرض من الثروات والمدّخرات، وأن يجعل مهمّة الإنسان في هذا الصّدّد عمارة الأرض والمحافظة على صلاحها، وإصلاح ما قد يطرأ من الفساد عليها، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١].

٧- إذن فسيادة الإنسان على هذه الأرض ليست مطلقة، بل هي مقيدة بحدود مهمته التي هي عمارة الأرض، وملكيته لما تحت يده من الأموال والثروات والإمكانات ليست ملكية حقيقية، بل هي ملكية مجازية، إذ كل ذلك إنما هو أمانات مستودعة لديه من قبل مالكة الحقيقي الذي هو الله جلّ وعلا، وإنما الإنسان مستخلف فيها، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧].

ولما كان الأمر كذلك فقد كان الإنسان بمثابة وكيل عن الله تعالى في هذه الأرض، ولا شك أن الوكيل ملزم بأن يعمل بمقتضى عقد الوكالة وبموجب ما فيها من الشروط، وإذا هو خالف بنودها وشروطها كانت عليه تبعة ذلك من المساءلة والمحاسبة، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع... وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»^(١)، وهو إذا صرف المال إلى ما فيه مرضاة الله تعالى كان الحساب في السؤال أهون عليه منه إذا صرفه إلى شهوات بدنه»^(٢).

هذا هو باختصار فلسفة الإسلام للكون والإنسان والحياة، وهذا هو السر في أن المجتمع الذي يلتزم بالمنهج الإسلامي في حياته يميل إلى الاعتدال والالتزان في

(١) سنن الترمذي، الترمذي: ٤ / ٦١٢ من رواية أبي برزة الأسلمي، وقال عنه الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) الكسب، محمد بن الحسن الشيباني: ١ / ١٢٢، المبسوط، السرخسي: ٣٠ / ٢٨٦.

السُّلوك الاستهلاكي، وإلى تحقيق التوازن بين الجانب المادي وبين الجانب الروحي المعنوي، وهذا هو الذي يجعل سلوك الإنسان المسلم عقلاً نياً وهادئاً وهادفاً، فلا يسعى لأخذ نصيبه من المتع والملذات بدافع من التعشُّق النفسي، بل بسائقٍ من القيام بالواجب وبأداء المهمة، فيتصرّف وفق ميزان المصلحة والمفسدة، العامة والخاصة، والعاجلة والآجلة، ولا يكون للنفس والهوى سلطان عليه.

ولا نعني بهذا الذي قرّرناه من أثر العقيدة الإسلامية أنّها تقضي على رغبة الإنسان المسلم في التمتع بملذات الحياة، ولكننا نعني أنّها تهدّب النفس المسلمة وتقيها من الانجرار وراء رعوناتها، فتجعل سلوك المسلم في إقباله على ملذات الحياة معتدلاً، يأخذ حظه منها، ولكنّ خياله يبقى مشدوداً أبداً إلى ما هو موعود به في الآخرة، فيكون مظهراً لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

إنّ العقيدة الإسلامية تقرّر في وعي الإنسان وعقله قناعة و يقيناً بوجود اليوم الآخر، وما فيه من الحساب الدقيق، وتبثُّ في شعوره ووجدانه الرّهبة من عذاب الله والرّغبة في ثوابه، وهذا كفيلاً بأن يجعل الإنسان المسلم يتوجّه إلى طلب مرضاة الله تعالى، والالتزام بالسلوك الرّضي الذي يتمثّل في التزام أوامره جلّ وعلا، واجتناب مناهيه، ولا شكّ أنّ تطلّب ذلك يقتضي الرّجوع إلى أحكام التشريع الإلهي المتمثّل في الفقه والآداب الشرعية، إذ ذلك هو الذي يضعه أمام السبيل الذي لا عوج فيه إلى مرضاة الله تعالى. يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «وليس التّشهير في الدّنيا

مقصوراً على المعاد دون المعاش، بل المعاش ذريعة إلى المعاد، ومُعِين عليه، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدْرَجَةٌ إليها.. ولن يَنْتَهِضَ من طلب الدنيا وسيلةً إلى الآخرة وذريعةً ما لم يتأدّب في طلبها بأداب الشريعة»^(١). ويقول أيضاً: «إن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة»^(٢).

المطلب الثاني: أثر التشريع في الاستهلاك:

دأب الباحثون عند حديثهم عن السلوك الاستهلاكي في الإسلام على ذكر المبادئ العامة التي تحكمه وتوجّهه، ثم إنهم يذكرون في ثنايا حديثهم نماذج تطبيقية ومسائل جزئية، ولا يتناولون هذه المسألة تناولاً فقهياً، فلا يفصلون ولا يبيّنون حدود الاستهلاك في مختلف درجاته بشكل دقيق، ولا يقدمون في ذلك الرأي الفقهي المبني على القواعد الفقهية والتأصيل الفقهي. ونحن سنذكر هنا هذه المبادئ باختصار شديد، ثم نعقب ذلك ببيان التقسيم الفقهي للسلوك الاستهلاكي بشيء من التفصيل الذي يسمح به المقام، إن شاء الله تعالى. وأهمُّ هذه المبادئ هي:

أولاً: حصر الاستهلاك في المباح: إذ من المعلوم أنّ التشريع المتعلّق بالمال يقوم على أساس تقسيمه إلى حلال وحرام، سواءً كان ذلك فيما يتعلّق باكتسابه أو بإنفاقه واستهلاكه، ولفظ الحلال والحرام تعبيرٌ شرعي عن معنى النافع والضار، فالحلال هو النافع والحرام هو الضار، وقد يسمّى الشرع الحلال طيباً والحرام خبيثاً، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وإنما

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي: ٢ / ٦١.

(٢) نفس المرجع: ١ / ١٢.

نهي عن الحرام وسمي خبيثاً لما فيه من الضرر، أو لما رافقه من الظلم، سواء في جمعه واكتسابه أو في طريقة إنفاقه واستهلاكه، ومن ذلك المخدرات والخمر ونحوها، وكالتبذير الذي هو إنفاق المال في الحرام، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

ثانياً: مراعاة حق المجتمع عند التصرف في المال الخاص: فللمجتمع شائبة حق في المال الخاص، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥]، ولندع بيان هذا للعلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله، إذ يبين النكته في استعمال ضمير المخاطب بدل ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ إذ لم يقل: ولا تؤتوا السفهاء (أموالهم)، فقد بين رحمه الله دقة مرمى هذا الكلام وعمقه بكلام بديع، وهو قوله: «المراد بالأموال، أموال المحاجير المملوكة لهم، ألا ترى إلى قوله «وارزقوهم فيها»، وأضيفت الأموال إلى المخاطبين بـ «يا أيها الناس» إشارة بديعة، إلى أن المال الراجح بين الناس حقٌ للمالكه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه - عند التأمل - تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء، لأن في حصوله منفعة للأمة كلها، لأن ما في أيدي بعض أفرادها، من الثروة، يعود على الجميع بالصالحه، فمن تلك الأموال ينفق أربابها، ويستأجرون ويشترون ويتصدقون، ثم تورث عنهم إذا ماتوا، فينتقل بذلك من يد إلى غيرها، فينتفع العاجز والعامل والتاجر، والفقير وذو الكفاف، ومتى قلّت الأموال عن أيدي الناس تقاربوا في الحاجة والخصاصة، فأصبحوا في ضنك، وبؤس، واحتاجوا إلى قبيلة، أو أمة أخرى، وذلك من أسباب ابتزاز عزهم، وامتلاك بلادهم، وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم، فلاجل هاته الحكمة، أضاف الله تعالى، الأموال إلى جميع المخاطبين،

ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام، التي تحفظ الأموال والثروة العامة. وهذه إشارة، لا أحسب أن حكيماً من حكماء الاقتصاد، سبق القرآن إلى بيانها»^(١).

ومراعاة مصلحة المجتمع، قد تكون مندوباً، وقد تصل إلى حدّ الوجوب، وتقوم به الدولة إذا تطلّب الأمر، فلا مكان للترف مع وجود الجوع، كما لا التفات إلى الرغبة في التمتع بالكماليات مع وجود الخطر الذي يتهدّد الأمة، ومن هنا مشروعية فرض الضرائب لحماية الأمة.

ثالثاً: الاعتدال في الاستهلاك والإنفاق: هذا المبدأ مقرر في كثير من آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ومن أظهر ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، فلا ينفق المسلم ماله ولا يستهلكه فيما لا يعود عليه أو على غيره بالفائدة، ومن أوجه تبديد المال وإهدار منافعه الإسراف، وهو تجاوز الحدّ في المباحات^(٢).

رابعاً: مراعاة سلّم الأولويات في الاستهلاك: ونعني بهذا ضرورة مراعاة المصالح الخمسة التي هي مقاصد الخلق، والتي جاءت بها كلّ الشرائع، وهي على هذا الترتيب، الدّين والنفس والعقل والنسل والمال^(٣)، ولكلّ واحدة من هذه المصالح

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٥/٤، ٢٦.

(٢) النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور: ص ٢٠٦.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي: ٣/٣٠٠، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ابن السبكي: ٣٣٤/٤.

مستويات ثلاثة، هي الضروري والحاجي والتحسيني^(١). ومراعاة سلم الأولويات تقضي بجلب المصلحة الأهم فالأهم، وبدفع الضرر الأشد فالأشد، وبالتضحية بأقل المصلحتين لجلب أعلاهما، وبدراء أعظم المفسدتين بارتكاب أخفهما، للخروج بأقل الخسائر. لذا يجب تقديم الضروريات على الحاجيات، والحاجيات على التحسينيات، فما ينبغي للإنسان أن يستهلك أمواله في الكماليات إذا كانت ضروراته أو حاجاته غير موفورة، وكذلك ليس له ذلك إذا كانت ضرورات وحاجات من تجب عليه نفقته غير موفورة. هذه أهم المبادئ التي تحكم السلوك الاستهلاكي في الإسلام. فلنتقل الآن إلى دراسة الاستهلاك من المنظور الفقهي.

الاستهلاك من المنظور الفقهي: إن الفقهاء هم لسان الشرع الناطقون بحكمه، وقد كان لهم كلام في غاية الدقة في بيان كيفية استهلاك الأموال والتصرف فيها، وما كان من ذلك موافقاً للشرع وما خالفه، ويمكن أن يلخص كلامهم في هذا في أن الإنسان مؤتمنٌ على المال وأنه مأمورٌ بأن يسير في تصرفه فيه وفق ميزان الشرع، وذلك بأن يصرف المال فيما فيه فائدة له أو للمجتمع، وأن يحذر من استهلاكه فيما لا يعود بالنفع، أو فيما يعود بالضرر، لأن ذلك إضاعةٌ للمال، وقد نهى الشارع عن ذلك. ولما كانت حاجات الإنسان الأساسية والثابتة على طول الزمان وامتداد المكان هي المأكل والمشرب والملبس والمسكن؛ كان يجب عليه أن ينفق ماله بالدرجة الأولى في هذه الأشياء لتأمين ما يحتاجه منها. ولكن للإنفاق في هذه الأشياء تفصيلاً فقهيًا، إذ ليس كل إنفاق سواء، بل إن استهلاك المال في هذه الأشياء وغيرها تعتريه الأحكام

(١) الموافقات، الشاطبي: ١ / ٣٠.

التكليفية الخمسة، الوجوب والندب والإباحة والكرهية والتحريم، وفيما يأتي بيان لحدود كل قسم منها.

أولاً: الاستهلاك الواجب: يندرج تحت هذا النوع سائر الأشياء التي بها قوام حياة الإنسان، من المأكل والمشرب والملبس والمسكن؛ إذ هذه ضروراته التي لا يمكنه أن يعيش بدونها، وهي ما يجب عليه أن يستهلك فيها ما يملكه من المال بالدرجة الأولى. ولا يجوز أن يقتصر في أخذه منها على حد الضرورة، بل يجب عليه أن يزيد على ذلك بأن يحصل كل ما يضمن له حياة مستقرة، ويمكنه من القيام بواجباته الشرعية ومهامه^(١)، وسنورد هنا بعض عبارات الفقهاء في هذا، يقول الإمام السرّحسي رحمه الله: «قال: (وليس على الرجل أن يدع الأكل حتى يصير بحيث لا ينتفع بنفسه) يعني حتى ينتهي به الجوع إلى حال تضره وتفسد معدته، بأن تحترق فلا ينتفع بالأكل بعد ذلك، لأن التهاون عند الحاجة حقّ قبله، قال عليه السلام لبعض أصحابه: «نفسك مطيتك فارفق بها ولا تجمعها»^(٢)، وقال عليه السلام لآخر: «إنّ لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، والله عليك حقاً، فأعط كل ذي حق»^(٣)، والأمر

(١) قد يُقال: إنّ الواجب هو ما يُثاب على فعله، وفعل الواجب هو أولى ما تُبتغى به الآخرة ومرضاة الله، فكيف يُقال إنّهُ مستهلك، وقد قرّرتم أنّ ما يُبتغى به الآخرة لا ينبغي أن يقال عنه مستهلك؟.. وفي الجواب عن هذا الإشكال نقول: إنّ كون هذا النوع من الاستهلاك واجباً عارضاً، وليس وصفاً لازماً له، فإننا إنّما وصفناه بالوجوب من جهة كونه يُعاقب على تركه مطلقاً، ولكن الإثابة عليه ليست مطلقة، بل إنّها يُثاب عليها إذا ابتغى بذلك امتثال أمر الشّرع والتقرب إلى الله تعالى، فإنّ المباحات كذلك يُثاب عليها إذا اقترنت بها هذه النية الصالحة، ولكن لا يُعاقب على تركها، بخلاف ما وصفناه بكونه واجباً.

(٢) لم أجده في كتب الحديث، وقد ذكره الإمام محمد بن الحسن في كتاب الكسب: ١ / ٨٦.

(٣) صحيح البخاري، باب صنع الطام والتكلف للضيف، رقم / ٥٧٨٨.

لِلْإِيْجَابِ حَقِيْقَةٌ، وَلِأَنَّ فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْأَكْلِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ تَعْرِضُ النَّفْسَ لِلْهَلَاكِ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَفِيهِ اكْتِسَابُ سَبَبِ تَفْوِيْتِ الْعِبَادَاتِ، وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى آدَاءِ الْعِبَادَاتِ إِلَّا بِنَفْسِهِ، وَكَمَا أَنَّ تَفْوِيْتِ الْعِبَادَاتِ الْمُسْتَحَقَّةِ حَرَامٌ؛ فَاكْتِسَابُ سَبَبِ التَّفْوِيْتِ حَرَامٌ... وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ النَّفْسَ مُحْتَمَلَةً لِأَمَانَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهَا مَعْصُومَةً لِتُوَدِّيَ الْأَمَانَةَ الَّتِي تَحَمَّلَتَهَا، وَلَا تَتَوَصَّلُ لِذَلِكَ إِلَّا بِالْأَكْلِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَمَا لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى إِقَامَةِ الْمُسْتَحَقِّ إِلَّا بِهِ يُكُونُ مُسْتَحَقًّا^(١). وَقَالَ السَّفَارِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ بَالَغَ فِي تَقْلِيلِ الْغَدَاءِ، فَأَصْرَ بِيَدَيْهِ أَوْ قَصَرَ عَنِ فِعْلٍ وَاجِبٍ لِحَقِّ اللَّهِ أَوْ لِحَقِّ آدَمِيٍّ - كَالْتَكْسِبِ لِمَنْ تَلَزَمَهُ مُؤْنَتُهُ - حُرْمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَإِلَّا يُضْرَبُ بِيَدَيْهِ وَلَا يَشِيءُ مِنْهُ وَلَا قَصَرَ عَنِ فِعْلٍ وَاجِبٍ؛ كُرْهَ لَهُ إِنْ خَرَجَ مِنَ الْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ. وَرَوَى الْخَلَّالُ فِي جَامِعِهِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هُوَ لَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُونَ مِنْ طَعَامِهِمْ؟ قَالَ: مَا يُعْجِبُنِي. سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ: فَعَلَ قَوْمٌ هَكَذَا فَقَطَعَهُمْ عَنِ الْفَرَضِ أَنْتَهَى»^(٢).

وحكم المسكن والملبس كحكم الطعام، سواء بالنسبة له أو لمن تجب عليه نفقته، قال ابن مفلح رحمه الله: «اعلم أن المسكن لا بد للإنسان منه في الجملة، فيجب تحصيله لنفسه وللمن تلزمه نفقته، ومثل هذا يعاقب على تركه ويثاب على فعله»^(٣).

(١) المبسوط: ٣٠ / ٢٦٩-٢٧٠، كشف القناع: ٥ / ١٧٩.

(٢) غداء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني: ٢ / ٨٧.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح المقدسي: ٣ / ٤٠٩-٤١٠.

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى: «اتفقوا على أن بناء ما يستتر به المرء هو وعياله وماله من العيون والبرد والحَرّ والمطر فرضٌ، أو اكتساب منزل أو مسكن يستتر ما ذكرنا»^(١).

ثانياً: الاستهلاك المندوب: قال القرطبي رحمه الله: «ما تدعو الحاجة إليه - وهو ما سدَّ الجوعَ وسَكَنَ الظمَّ - فمندوب إليه عقلاً وشرعاً؛ لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال؛ لأنه يضعف الجسد ويميت النفس ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل»^(٢).

والتوسط هو المستحب سواء في المأكل والمشرب والملبس أو المسكن؛ إلا إذا كان الخروج عنه لغرض شرعي، وقد يكون ذلك بالتقليل - وهو الأصل - وقد يكون بالتوسُّع، وهذه بعض عبارات الفقهاء رحمهم الله في ذلك، يقول الإمام النووي رضي الله عنه: «يستحب ترك الترفع في اللباس تواضعاً، ويستحب أن يتوسط فيه، ولا يقتصر على ما يزدري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي»^(٣). ويدخل في المقصود الشرعي توسُّع الغني في النفقة على نفسه وعلى عياله شكراً لله تعالى، قال العلامة الألويسي رحمه الله: «وقد نص الفقهاء على أنه يستحب التجمل لقوله عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه»^(٤).

(١) مراتب الإجماع، ابن حزم: ١ / ١٥٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٧ / ١٩١، الموافقات: ١ / ١٣١.

(٣) المجموع، النووي: ٤ / ٣٩١.

(٤) سنن الترمذي، باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، رقم / ٢٨١٩ وقال: هذا حديثٌ حسن، روح المعاني: الألويسي: ٨ / ١١١.

ويقول القرافي رحمه الله: «قال عمر رضي الله عنه: إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم، فما فضل عند الرجل من المال بعد أداء الواجب، فلبس من رفيع الثياب وأكل من طيب الطعام وركب من جيد المراكب؛ فحسنٌ من غير إسراف، فإن الله تعالى يجب أن يرى أثر نعمته على عبده كما في الحديث، وفي مسلم يقول الله تعالى: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك»^(١). وينبغي أن يكون هذا بحسب حال المرء، لحديث أبي الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه أن النبي ﷺ قال له وراه رث الثياب: «إذا آتاك الله مالا فليرأه عليك»^(٢) قال الحافظ في الفتح: «أي بأن يلبس ثياباً تليق بحاله من النفاسة والنظافة؛ ليعرفه المحتاجون للطلب منه، مع مراعاة القصد وترك الإسراف»^(٣).

وقد جمع شاه ولي الله الدهلوي بين الأحاديث التي فيها حثٌ على التواضع في اللباس ونحوها وبين الأحاديث الأخرى التي فيها دعوة إلى التبسط؛ بفقهِ دقيق، فقال رحمه الله: «وقال ﷺ: «من ترك لبس ثوبٍ جمال تواضعاً كساه الله حُلَّة الكرامة»^(٤) وبين قوله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٥) وقال ﷺ: «إذا آتاك الله مالا فليرأه نعمته الله وكرامته عليك؛ لأن هنالك شيئين مختلفين في الحقيقة قد يشتبهان بادئ الرأي: أحدهما مطلوب، والآخر مذموم، فالمطلوب ترك

(١) صحيح مسلم، باب في الكنّازين للأموال والتغليظ عليهم، رقم / ٩٩٣، الذخيرة، القرافي، ٣٣٣/١٣.

(٢) أخرجه النسائي وأبو داود، وصحّحه ابن حبان والحاكم، ينظر فتح الباري: ١٠ / ٢٦٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: ١٠ / ٢٦٠.

(٤) سنن أبي داود، باب من كظم الغيظ، رقم: ٤٧٧٧.

(٥) سبق تحريجه.

الشُّح، ويختلف باختلاف طبقات الناس، فالذي هو في الملوك شُحُّ ربها يكون إسرافاً في حق الفقير... والمذموم الإمعان في التكلف والمراعاة والتفاخر بالثياب وكسر قلوب الفقراء ونحو ذلك، وفي ألفاظ الحديث إشاراتٌ إشارةً إلى هذه المعاني كما لا يخفى على المتأمل، ومناط الأجر ردة النفس عن أتباع داعية الغمط والفخر^(١).

ثالثاً: الاستهلاك المباح: الإسلام دين واقعي، يراعي رغبات الإنسان فيجيز له بعد حصوله على حاجاته الأساسية، أن يتوسّع في الإنفاق على نفسه وعياله، بحيث يعيش حياة الرِّخاء والرِّفاه، ولا يجرمه من ذلك ما دام أنه في حدود معقولة، فلإنسان المقدر أن يأخذ حظّه ممّا يسمّيه الأصوليون التحسينيّات أو الكماليّات، وهو أخذ الزّينة من اللباس ومحاسن الهيئات والطيب وما أشبه ذلك^(٢) من أنواع الحلال الطيب، مع التّرقّي في ذلك بحسب رقي أحواله المادية، فكل أنماط الطيبات من الرزق مباحة، وكل صنوف الزينة والجمال.. يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولا يحد حرية الإنسان في ذلك إلا في حالتين: الأولى الإضرار، والثانية التجاوز في الاستهلاك إلى درجة الإسراف والتبذير؛ لأن فيها هدراً، والهدر إضرار بالموارد، طبيعية كانت أم صناعية، والإضرار ممنوع. ولهذا جاءت النصوص القرآنية صريحة في النهي عن الإسراف: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان ٦٧]. وفيها وراء ذلك فإن الأخذ بالطيبات والجماليات فيه ترقيق

(١) حجّة الله البالغة، ولي الله الدهلوي: ١ / ٨٢٩.

(٢) الموافقات، الشاطبي: ٤ / ٣١.

للحياة، وذلك الترقيق ينعكس على النفوس فيكسبها راحة وبهجة، كما أنه أدخل في باب إعمار الأرض المكلف به الإنسان، وطريق للسعي في منابها بالتنافس والتسابق لإحسان العمل وإتقانه، ولولا كماليات الحياة وتحسينياتها لما كانت الحضارات^(١)، يقول الشيخ محمد طاهر بن عاشور رحمه الله: «ولولا طموح الناس للترفه والزينة لما وُجد لكثير من نتائج الأرض منفق، مثل الأزهار والرياحين والأدهان والعطور والأصباغ والصبغة، وكان وجودها غير مُنتفع به. وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. وهذا عموم مؤكد بمثله، ولتعطلت صنائع منها معائش لطوائف من الناس، ولا تنحصر عمل العمال في الأعمال الضرورية والحاجية، من نحو النسيج والرحى والعصر والخبز وصنع النعال، كما في صورة أسواق البادية، فأين عمال الصنائع الظريفة البديعة؟!»^(٢).

وقد يُشكّل على هذا إنكار سيّدنا عمر بن الخطاب على جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين أراد أن يشتري لحماً لأنه اشتهاه، إذ قال له: «أو كلما اشتهيت اشتريت؟!» ويُقال في الجواب عن هذا: إن هذا تحذير من الاسترسال في المباحات، لأن ذلك قد يوصل إلى ما يُعرف في الاقتصاد بالاستهلاك الكبير الذي يسبق ما يعرف بجنون الاستهلاك، كما نرى الآن في ظل تزايد الائتمان وتسهيل الشراء بالتقسيط، إذ نجد الكثير من الناس يسعون إلى تكديس الأنواع العديدة من السلع التي لا يحتاجونها من باب المفاخرة والمباهاة، وليس إنكار سيّدنا عمر للتمتع بالمباحات مطلقاً، وقد

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح المقدسي: ٣ / ٤٠٩-٤١٠، ضوابط الاستهلاك وحماية المستهلك في الشريعة الإسلامية: د. بابكر خليفة الحسن.

(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور: ص ٢٠٦.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت والبس ما شئت؛ ما أخطأتك سرفاً ومخيلة، وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله. وقال: لو أنفقت مثل أحد في طاعة الله لم يكن سرفاً، ولو أنفقت درهماً أو مُدّاً في معصية الله كان إسرافاً^(١).

وقال العلامة الألوسي رحمه الله: والحق أنّ كلّ ما لم يقم الدليل على حرمة داخل في هذه الزينة، لا توقّف في استعماله ما لم يكن فيه نحو مخيلة..... وقيل لبعضهم: أليس عمر رضي الله عنه كان يلبس قميصاً عليه كذا رقعة؟ فقال: فعل ذلك لحكمة، هي أنه كان أمير المؤمنين، وعماله يقتدون به، وربّما لا يكون لهم مال فيأخذون من المسلمين^(٢) ويشهد لهذا حديث سواد بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله، إني رجلٌ حُبب إليّ الجمال وأعطيت منه ما ترى، حتى ما أحبُّ أن يفوقني أحدٌ في شرك نعلي، أفمن الكبر ذاك؟ قال: لا، ولكن الكبر من بطر الحقِّ وغمص - أو غمط^(٣) الناس^(٤)». ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال للذي سأله عن حبه لجمال ثيابه وشرك نعله: هل ذلك من الكبر؟ فقال عليه السلام: «لا، ولكن الله جميل يحب الجمال». فإن قيل: قد روي عن سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن الرجل ليُعجبه شرك نعله أن

(١) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، أبو إسحق الثعلبي النيسابوري: ٤/ ٢٢٩، وينظر مقال: ضوابط الإنفاق والاستهلاك في الإسلام: د. محمد عبد الحليم عمر، رابط: <https://www.google.com.sa/search?safe=strict&ei=Hv19WsKsKITiUZaQjfAH&q> تاريخ الاسترجاع: ٢٤/ ٥/ ١٤٣٩ هـ - ١٠/ ٢/ ٢٠١٨ م.

(٢) روح المعاني، الألوسي: ٨/ ١١١.

(٣) غمص النعمة وغمطها: إذا لم يشكرها، شرح السنة، البغوي: ١٣/ ١٦٦.

(٤) صحيح مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم/ ٩١، سنن أبي داود، باب ما جاء في الكبر، رقم/ ٤٠٩٢.

يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. وقد أجاب عن هذا الإمام الطبري رحمه الله بقوله: فالجواب أن من أحب ذلك ليتعظم به من سواه من الناس ممن ليس له مثله، فاختال به عليهم واستكبر، فهو داخل في عدة المستكبرين في الأرض بغير الحق، ولحقته صفة أهله، وإن أحب ذلك سروراً لجودته وحسنه، غير مُريد به الاختيال والتكبر؛ فإنه بعيد المعنى ممن عناه الله تعالى بقوله: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، بل هو ممن قد أخبر الله تعالى أنه يجب ذلك من فعله، على ما ورد في حديث عبد الله بن عمر^(١)، وقال ابن حزم رحمه الله: «واتفقوا أن الاتساع في المكاسب والمباني من حلٍّ - إذا أدى جميع حقوق الله قبله - مباحٌ، ثم اختلفوا فمن كارهه، ومن غير كارهه^(٢)».

ولا بأس من الاستكثار من المباحات إذا كان الحاجة، قال ابن نجيم رحمه الله: «وَمِنْ الْإِسْرَافِ فِي الطَّعَامِ الْإِسْرَافُ فِي الْمُبَاحَاتِ وَالْأَلْوَانِ، فَذَلِكَ مِنْهُيٌّ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، بَأَنْ يَمَلَّ مِنْ نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَيْسَتْ كَثْرُ الْمُبَاحَاتِ، لَيْسَتْ تَوْفِيٍّ مِنْ أَيِّ لَوْنٍ شَاءَ؛ فَيَحْصُلُ لَهُ مِقْدَارٌ مَا يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ قَصْدِهِ أَنْ يَدْعُو الْأَصْيَافَ قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ إِلَى أَنْ يَأْتُوا إِلَى آخِرِ الطَّعَامِ، فَلَا بَأْسَ بِالِاسْتِكْثَارِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ»^(٣).

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال البكري: ٩ / ٩٣، فتح الباري: ١٠ / ٢٦٠، تفسير القرطبي: ٢٩٦ / ١.

(٢) مراتب الإجماع، ابن حزم: ١ / ١٥٥، الآداب الشرعية، ابن رجب: ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) البحر الرائق، ابن نجيم: ٨ / ٢٠٨.

رابعاً: الاستهلاك المكروه: إنَّ النفسَ الفقهي العام يتّجه إلى أنَّ الأصل في الإكثار من الإنفاق فيما هو زائد عن حاجات الإنسان الأساسية مكروهٌ، ما عدا حالاتٍ استثنائية ذكروها، فقد صرّح الشيخان من الشافعية^(١) بكراهة أن يأكل الإنسان فوق الشّبع؛ ما لم يكن من مال غيره، وما لم يكن فيه ضررٌ عليه، وإلاّ فإنّه يجرم حينئذٍ^(٢)، وقال الشيخ سليمان الجمل رحمه الله: «وينبغي عدم التوسّع في المأكل والمشرب إلا لغرض شرعي؛ كإكرام ضيف والتوسيع على العيال، وإيثار شهوتهم على شهوته من غير تكلف^(٣)، وقال الباجي من المالكية رحمه الله: «ويكره كثرة إنفاقه (أي المال) في مصالح الدُّنيا، ولا بأس به إذا وقع نادراً لحادث يحدث، كضيفٍ أو عيدٍ أو وليمةٍ، ومما لا خلاف في كراهته مجاوزة الحدِّ في الإنفاق على البناء زيادةً على قدر الحاجة، ولا سيّما إن أضاف إلى ذلك المبالغة في الزخرفة^(٤). وقد عدّ الفقهاء من السرف أن يأكل الإنسان كلّ ما اشتهى^(٥).

وقال الإمام السرخسي رحمه الله تعالى: «وكذلك أمر اللباس، يعني أنّه مأجور فيما يوارى به سوائه، ويدفع أذى الحرِّ والبرد عنه، ويتمكن من إقامة الصلوات، وما زاد على ذلك مباح له، وترك الأجود من الثياب والاكتفاء بما دون ذلك أفضل كما في الطعام، لما روي... عن عمر رضي الله عنه أنه رفع ثوبه إلى عامله ليرقع فزاد عليه ثوباً آخر، وجاءه بالثوبين فأخذ عمر رضي الله عنه ثوبه ورد الآخر وقال: ثوبك

(١) الشّرخان عند الشافعية هما أبو القاسم الرّافعي والنووي رحمهما الله تعالى.

(٢) حاشية البجيرمي (تحفة الحبيب على الخطيب): ٢٢٧ / ٤.

(٣) حاشية الجمل على شرح المنهج، الشيخ سليمان الجمل: ٨٨ / ٢.

(٤) فتح المعين بشرح قُرّة العين، المليباري: ٣ / ٣٦٧، فتح الباري: ١٠ / ٤٠٨.

(٥) كشف القناع: ١٧٩ / ٥.

أجود وألين ولكن ثوبي أنشف للعرق، وعن علي رضي الله عنه أنه كان يكره التزيي بالزّي الحسن، ويقول: أنا ألبس من الثياب ما يكفيني لعبادة ربي فيه، فعرفنا أن الاكتفاء بما دون الأجود أفضل له، وإن كان يرخص له في لبس ذلك»^(١).

وقد يتوهم بعض الناس أن كلامنا هنا يخالف ما قرّرناه عند حديثنا عن الاستهلاك المباح، والحقُّ أنه لا خلاف؛ ذلك أن المباح يُستعمل عند العلماء بمعنيين: الأوّل بمعنى مستوي الطرفين، وهو المخير بين فعله وبين تركه، بحيث لا يُدْمُ فاعله ولا تاركه ولا يُمدح، والثاني بمعنى ما لا إثم فيه، فيقال: هو مباح، أي لا إثم فيه، أو ليس بمحرّم^(٢)، وغير المحرّم قد يكون مكروهاً، كهذه الحالات التي ذكرناها.

ويلاحظ أن هذا الذي حكم العلماء بكرهته إنما هو ما كان في الأصل مباحاً من حيث الجزء، وواجباً من حيث الكل، كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن^(٣)، وقد حذروا من التبسُّط فيه لغير مقصدٍ شرعي، فكيف بالمبالغة في التوسُّع في الملهيات ووسائل الترفيه والتسلية، ممّا الأصل فيه أن يكون على النّدور وفي حالات قليلة، وأن يُستعان بشيءٍ منها من أجل دفع الملل واستعادة النشاط لمزاولة العمل؛ فإنّ هذا أقلُّ ما يُقال فيه أنّه مكروهٌ كراهةً شديدةً، وقد يكون محرّماً، ومن صور ذلك ما نرى من استهلاك الأموال الكثيرة بسخاء من أجل مواكبة الحديد في أسواق الجوّالات

(١) المبسوط، السرخسي: ٣٠ / ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ٢ / ٣٨٢.

(٣) أي إذا اختار أحد هذه الأشياء على ما سواها فذلك جائز، أو تركها الرجل في بعض الأحوال أو الأزمان، أو تركها بعض الناس؛ لم يقصد ذلك، فلو فرضنا ترك الناس كلّهم ذلك لكان تركاً لما هو من الصّوريات المأمور بها، فكان الدّخول فيها واجباً بالكل. الموافقات للشاطبي: ١ / ١٣١-١٣٢.

والسيّارات والملابس والقصور والزّخارف ونحو ذلك، فكم من ثروات الأمة تُهدّر في هذه الأشياء التي لا فائدة فيها، ولا غاية لمعظم من يكتنيها إلاّ مجاراة الموضة، أو التباهي والتفاخر. ويدخل في هذا أيضاً المبالغة في الخروج في السياحة إلى شرق العالم وغربه، وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل ذلك.

خامساً: الاستهلاك المحرّم: إنّ الذي يقرأ كلام الفقهاء عند حديثهم عن الاستهلاك المحرّم تتملّكه الدهشة، إذ يجد شيئاً غريباً، يدلّ على مدى تقديرهم لأهميّة المال، وعلى حرصهم الشديد على عدم التفريط في شيء منه، مهما قلّ، وهذا نابع من وحي الشريعة وروحها، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً عبثاً، بل حكمته تعالى مبثوثة وظاهرة في كلّ ما خلقه، والمال به قوام بدن الإنسان وصلاح معاشه، ولا بدّ منه لصلاح أمر معاده أيضاً، لذا كان المال من أهمّ الموادّ الذي يُمتحنُ فيها الإنسانُ في اختبار الحياة، ونجاحه في هذا الاختبار يتوقّف إلى حدّ كبيرٍ على حسن تصرّفه في المال وسلوك سبيل تقوى الله تعالى في اكتسابه وفي إنفاقه واستهلاكه، وهذه بعض عبارات الفقهاء في بيان الاستهلاك المحرّم، قال الإمام النووي رحمه الله: «وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية، وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد، والله لا يحبّ المفسدين، ولأنه إذا أضع ماله تعرّض لما في أيدي الناس»^(١).

ويقول الإمام العزّ بن عبد السلام رحمه الله: «كلُّ تصرّفٍ جرّ فساداً أو دفع صلاحاً فهو منهى عنه، كإضاعة المال بغير فائدة، وإضرار الأمزجة لغير عائدة،

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢ / ١١.

والأكل على الشَّبَعِ منهيٌّ عنه؛ لما فيه من إتلاف الأموال، وإفساد الأمزجة، وقد يؤدي إلى نفويت الأرواح»^(١)، ونقل رأيه هذا الإمام التقيُّ الشُّبكي رحمه الله في فتاواه مقرراً له، ثم بعد أن نقل من كلام فقهاء الحنفية حرمة تناول الطعام فوق حدِّ الشَّبَعِ؛ إلا إذا كان لغرض صحيح؛ يبيِّن أن تلبية شهوة النفس ليست من الأغراض الصحيحة التي يُباح من أجلها الأكل فوق حدِّ الشَّبَعِ، قال رحمه الله: «الرجل إذا أكل مقدار حاجته لمصلحة بدنه لا بأس به إذا لم يأكل فوق الشَّبَعِ .. وإذا لم يكن لمصلحة البدن، بل مجرد من نقل أو حلوى أو سكر وليمون وما أشبه ذلك، مما ليس فيه إلا قضاء شهوة؛ فأولى بأن يتقيَّد أنه لا يزيد على قدر الشَّبَعِ، فمتى زاد يكون حراماً، وقَلَّ من المُسرفين مَنْ يحترز عن ذلك ... فاستعمال هذه الأمور الزائدة إن اقتضتها ضرورة، وإلا فمجرد الشهوات النفسانية لا تبيحها، بل تكون حراماً مع كونها مضرّة، والله أعلم»^(٢).

وليس كلامهم في هذا مقصوراً على الطعام فقط، بل إنَّ هذا هو حكم سائر الأموال التي ينفقها الإنسان، لأنَّ القاعدة في هذا هي أنه ﷺ «نهى عن إضاعة المال»، وهذا نصٌّ عامٌّ يعمُّ كلَّ مال، وقد قال البغوي رحمه الله في بيان هذا: «وقوله: (وإضاعة المال) قيل: هو الإنفاق في المعاصي، وهو السرف الذي نهى الله عنه، ويدخل فيه الإسراف في النفقة في البناء، ومجاوزة حدِّ الاقتصاد فيه في الملبس والفرش، وتمويه الأواني والسقوف بالذهب والفضة»^(٣).

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العزّ بن عبد السلام: ٧٥ / ٢.

(٢) فتاوى الشُّبكي: ٢٩١ / ١، الكسب، محمد بن الحسن الشيباني: ٨٦ / ١، المبسوط، السرخسي:

٣٠ / ٢٧٨-٢٧٩، البحر الرائق، ابن نجيم: ٨ / ٢٠٨.

(٣) شرح السنة، البغوي: ١ / ٢٠٤.

وأختم الكلام في هذا بتفصيل بديع لكثرة إنفاق المال، ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، قال: «والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه، الأول إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعاً، فلا شك في منعه، والثاني إنفاقه في الوجوه المحموده شرعاً، فلا شك في كونه مطلوباً بالشرط المذكور، والثالث إنفاقه في المباحات بالأصالة كملاذ النفس، فهذا ينقسم إلى قسمين: أحدهما أن يكون على وجه يليق بحال المنفق وبقدر ماله، فهذا ليس بإسراف، والثاني ما لا يليق به عرفاً، وهو ينقسم أيضاً إلى قسمين: أحدهما ما يكون لدفع مفسدة إما ناجزة أو متوقعة، فهذا ليس بإسراف، والثاني ما لا يكون في شيء من ذلك، فالجمهور على أنه إسراف، وذهب بعض الشافعية إلى أنه ليس بإسراف، قال: لأنه تقوم به مصلحة البدن، وهو غرض صحيح، وإذا كان في غير معصية فهو مباح له، قال ابن دقيق العيد: وظاهر القرآن يمنع ما قاله، وقد صرح بالمنع القاضي حسين فقال في كتاب قسم الصدقات: هو حرام، وتبعه الغزالي وجزم به الرافعي في الكلام على المغارم، وصحح في باب الحجر من الشرح وفي المحرر أنه ليس بتبذير، وتبعه النووي، والذي يرجح أنه ليس مذموماً لذاته، لكنه يفضي غالباً إلى ارتكاب المحذور، كسؤال الناس، وما أدى إلى المحذور فهو محذور»^(١).

المطلب الثالث: أثر الأخلاق والقيم في الاستهلاك:

القيم والأخلاق الإسلامية لا تخرج عن دائرة التشريع الإسلامي، ولكنها مرتبة أرقى من مرتبة ما تقضي به أحكام الفقه العام، الذي يقف عند مقاطع الأحكام

(١) فتح الباري: ١٠ / ٤٠٨.

وحدود الحلال والحرام، فالقيم والآداب الإسلامية الرفيعة تمثل مثالية الإسلام ومدى رقيّه، ومدارج الكمال التي يمكن أن يترقى فيها المسلم، فهي تنشُد الكمال أو ما هو الأقرب إلى الكمال، وتشدُّ أصحاب الهِمَم العلية إليها، وهو ما يدخل في الورع والزهد، وذلك درجات، أعلاها الورع الشديد والزهد الذي يقتصر على الضروري وأقل ما تسدُّ به الحاجة.

والحقُّ أننا لا نجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة نبيه المصطفى ﷺ نصّاً فيه تعظيم لشأن الدنيا وحثُّ على التكثر من متاعها، والتلذُّذ بمُتَعِها، بل على العكس من ذلك فإننا نجد في نصوصها التهوينَ من شأن الدنيا وما فيها من ألوان المتع، والتحذير من الاسترسال في الحلال المباح منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧]، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وفي صحيح مسلم: «عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيْتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ. وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟، قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسْكَ؛ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتٌ؟! فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(١). وقال ﷺ: «ما ملأ آدميُّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صُلبه»^(٢) وقد كان ﷺ متقللاً من الدنيا، حتى كان يمرُّ الشهر والشهران ولا

(١) صحيح مسلم، باب الزهد والرفائق، رقم / ٢٩٥٧.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم / ٢٣٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يوقد في بيته ﷺ ناراً لطعام. وقد بين ابن رجب الحنبلي رحمه الله أن ذلك لم يكن لقلّة ما عندهم، بل لحكمة أرادها الله تعالى فقال: «وقد كان النبي ﷺ وأصحابه يجوعون كثيراً ولا يشربون كثيراً، يتقلّلون من أكل الشهوات وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام، إلا أن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها، ولهذا كان ابن عمر يتشبه به في ذلك مع قدرته على الطعام، وكذلك أبوه من قبله، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من خبز برّ ثلاث ليال تباعاً حتى قبض»^(١)، ولمسلم: «قالت: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض»^(٢)، ومّا يؤكّد كلام ابن رجب أنّه لما وسّع الله تعالى على المسلمين بقي سيّدنا عمر رضي الله عنه على حالة من التقشّف الشديد، ولم يتبسّط في المال، بل ربّما أنكر على بعض من يتوسّع في النفقة، فقد روى جابر رضي الله عنه قال: رأى عمر لحماً معلّقاً في يدي فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال: أو كلما اشتهيت اشتريت يا جابر، أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]؟. وقد قال المفسرون المراد (بطيباتهم) ما كانوا فيه من اللذات مشتغلين بها عن الآخرة، معرضين عن شكرها، ولما وبّخهم الله تعالى بذلك آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون بعدهم رضي الله عنهم اجتناب نعيم العيش ولذته؛ ليتكامل أجرهم، ولئلا يُلهمهم عن معادهم^(٣).

(١) صحيح البخاري، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وخليّهم من الدّنيا، رقم ٦٠٨٩.
 (٢) صحيح مسلم، كتاب الزّهد والرّقائق، رقم / ٢٩٧٠، جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي: ٤٢٨ / ١.

(٣) الآداب الشرعية: ٣ / ١٩٢.

وليس غريباً عن أهل التقوى الذين فاضت قلوبهم تعظيماً لله تعالى وخشية من سطوته وخوفاً من الوقوف بين يديه أن يفرّوا من الدنيا، وأن يببالغوا في التخفف من متاعها حين يسمعون النصوص التي ذكرناها وغيرها كقوله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل .. وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟». وهذه مرتبة قلّ من يستطيعها، ولذا لم يُطالب بها الناس على جهة الوجوب، بل هي مندوبة، وهي أشدُّ استحباباً في حق من هم قدوة ليتأثر بهم الناس، قلّ هذا التأثير أم كثير.

قال السرخسي رحمه الله: «لا بأس للرجل أن يتجمل بلبس أحسن الثياب وأجودها، فقد كان لرسول الله جبة فنك علمها من الحرير، فكان يلبسها في الأعياد وللوفود؛ إلا أن الأولى أن يكتفي بما دون ذلك في المعتاد من لبسه، على ما روي أن ثوب مهنة رسول الله كان كأنه ثوب دَهان» - وقال عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٢]: «ولو أن الناس قنعوا بما دون ذلك، وعمدوا إلى الفضول فقدّموها لآخرتهم كان خيراً لهم، والأصل فيه حديث أبي ذر رضي الله عنه فإنه كان يتعلق بأستار الكعبة في أيام الموسم وينادي بأعلى صوته: «ألا من قد عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر جندب بن جنادة صاحب رسول الله، وإن أحدكم إذا أراد سفراً استعدّ لسفره، فما لكم لا تستعدّون لسفر الآخرة وأنتم تتيقنون أنه لا بد لكم منه؟! ألا ومن أراد سفراً في الدنيا فإن بدّ له أن يرجع تمكّن، وإن طلب القرض وجد، وإن استوهب ربماً يوهب له، ولا يوجد شيء من ذلك في سفر الآخرة»... فعرفنا أن الأفضل أن يكتفي من الدنيا بما لا بدّ له منه، ويقدم لآخرتة ما هو زيادة على ذلك مما اكتسبه، ولكنه لو استمتع بشيء من ذلك في

الدنيا بعد ما اكتسبه من حِلِّه لم يكن به بأس، والقول بتأثيم من يُنفق على نفسه وعياله مما اكتسبه من حِلِّه وأدى حقَّ الله تعالى منه غيرُ سديد؛ إلا أن أفضل الطريق طريق المرسلين»^(١)، وطريقه ﷺ في هذا هو ما ذكرناه قبل قليل من التقلُّل والتقشُّف، قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى: «ما أجمعت الأمة على مدحه والمبالغة في الشناء عليه، وهو تقليلُ الغداءِ بحسبِ الإمكان، كما في خبرِ حسبِ ابنِ آدمَ لقيماتٍ يُقمنَ صُلبه»^(٢) وقالوا: من أذهب طيباته في حياته واستمتع بها نقصت درجاته في الآخرة، للأحاديث الصحيحة، وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: «يؤجر في ترك الشهوات» ومراده ما لم يخالف الشرع»^(٣).

وقد بيّن الحكمة في هذا التأكيد على التقلُّل من متاع الدنيا بِشَرِّ بْنِ الْحَارِثِ المشهور بالحافي رحمه الله فقال: «مَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَشْبَعَ الْيَوْمَ مِنَ الْحَلَالِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا شَبَعَ مِنَ الْحَلَالِ دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ، وَقَالَ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً»^(٤).

لفتةٌ مهمّة: أريد أن أنبه هنا إلى أمر أراه من الأهميّة بمكان، وهو أن في الناس من قد ينكر المبالغة في الزهد، وقد يصم من تلبس بذلك بالتنطع.. ولكن الحق أن الزهد ليس من التنطع في شيء، ما دام أن الزاهد يتناول ما يقيم صلبه، ويكفيه للنهوض بما هو مطلوب منه من الواجبات والمهام، ولا حرج عليه بعد ذلك في ألا يسترسل مع دواعي شهوة البطن والنفس. وهذا كان شأن أكابر الزهاد في أمتنا من لدن عصر

(١) المبسوط، السرخسي: ٣٠ / ٢٨٥.

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر الهيتمي: ٤ / ٢٢٨.

(٣) كشف القناع، البهوتي: ٥ / ١٧٩.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني: ٢ / ٨٧.

الصحابة ومن بعدهم، وإن كانوا يقلّون شيئاً فشيئاً، حتى صاروا اليوم أحاديث وأخباراً، ولهذا النوع من الزهد أدلته من الشرع كما رأينا.. على أن فهم حكمة وجودهم في المجتمعات يبصّرنا بفائدة وجودهم وعائده على مجتمعاتهم، فإننا لو أنعمنا النظر لعلمنا أن وجود هؤلاء المتجرّدين عن الدّنيا ضروري لاعتدال مزاج المجتمع، ذلك أن تعلق معظم الناس بالدّنيا شديد، وعشقهم لحطامها عظيم، وإنما يتحقّق الاعتدال في التعامل مع الدّنيا بوجود هذين الطرفين؛ فإن رؤية المنهمكين في جمع الدّنيا تشدّ الناس إليها، ورؤية الزّهاد تجعلهم يميلون إلى العزوف عنها والتقاعد عن العمل فيها، وإذا كانت النّسبة متكافئة بين طرفي الإفراط والتفريط، سار أكثر الناس على الحدّ الوسط، بحيث يعملون للدّنيا بهدوء ويمشون في مناكب الأرض يتتبعون من فضل الله تعالى باعتدال، فلا هم ينغمسون في الدنيا ويغرقون في لججها، ويتسوّرون حدود الشرع ليجمعوا المال من حِلّه وحرامه، ولا هم ينفضون أيديهم من الدّنيا بحيث لا تتحقّق عمارة الأرض، لذا كان من علامات إرادة الله تعالى الخير بالأمة ألاّ يُخلّيها من بعض الزّهاد.



المبحث الثاني

أثر المنهج الإسلامي في الاستهلاك على الفرد والمجتمع

للاستهلاك وفق نمط الحياة الإسلامي آثار إيجابية عظيمة، على الفرد وعلى المجتمع، وسنبيّن بعض هذه الآثار، وهي الأثر الاقتصادي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي والأمني، وذلك في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الأثر الاقتصادي:

إنّ العيش وفق نمط الحياة الإسلامي يعني أن يبدأ الناس بإنفاق المال في ضروراتهم وحاجاتهم، ثمّ أن يصرفوا شيئاً منه في الكماليّات دون أن يبالغوا في ذلك، ومن شأن هذا أن يجعل الإنسان مكتفياً في الغالب، وأن يقيه الوقوع تحت طائلة الديون التي تثقل كاهله، بل إنّ الاستهلاك المعتدل يجعل الإنسان قادراً على ادّخار شيء من المال يرصده لما قد تفاجئه به الأيام من الحوادث، وقد قيل: «ما عال من اقتصد»^(١).

كما أنّ اعتدال المرء في الاستهلاك يجعله قادراً على أن ينفق من فائض المال الذي بين يديه على الفقراء والمحتاجين، ولمصالح المجتمع ومرافقه، سواء كان هذا الإنفاق على سبيل الوجوب أو التطوّع.. وإذا انتقل فائض المال من صناديق الأغنياء إلى جيوب الفقراء عظم الانتفاع به؛ ذلك أنّ منافع هذا المال الفائض تكون شبه معطّلة عندما تكون في أرصدة الأثرياء أو حين تُنفق في الكماليّات وأسباب الترف، أمّا حين

(١) أخرجه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد وكلاهما ضعيف، المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي: ٢ / ٨٩٦.

تصل إلى يد الفقير فإنه ينفقها في تحصيل ضروراته وحاجاته، وشتان بين منفعة المال حين ينفق في شراء القوت وما يستر البدن ويقيه عادية الحرّ والقرّ، وبين منفعته حين ينفقه المتخّم في أشياء يملك منها الكثير الفائض عن حاجته .. إنّ الثري حين يحصل على ضروراته وكل ما يحتاج إليه، ثم ينفق من ماله على كثير من الكماليّات، ويبالغ في ذلك؛ يصل إلى ما يسمّيه الاقتصاديون بالمنفعة الحديّة، أي أن منفعة المال الفائض تصبح صفراً، أي يكون مالاً غير مُنتفع به فعلاً، وهذا المال بعينه إذا انتقل إلى الفقير الذي ينفقه في أسباب عيشه الأساسيّة يعظم الانتفاع به، فكأن هذا المال كان ميتاً حين كان في أرصدة الأثرياء، ثمّ دبّت فيه الحياة حين صار في يد الفقير.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفقراء بامتلاكهم لهذه الأموال يغدون قادرين على شراء ما يحتاجونه من السلع والخدمات، فيزداد الطلب للخدمات والسلع المختلفة؛ ومن شأن هذا أن يدفع أصحاب المكنة إلى فتح مشاريع جديدة وتوسيع القائم منها لتلبية الطلب المتزايد، ابتغاء الاستزادة من المرباح، فتنشأ مصانع ومحلات جديدة، ويجنّد لتشغيلها جيوش من العاطلين عن العمل، فتكافح البطالة، وتنشأ أفواج جديدة ممن يملكون القوة الشرائية، ومن ثم يتزايد الطلب من جديد على مختلف السلع والخدمات، وهكذا دواليك، وبهذا تغدو عجلة الاقتصاد في حركة دائبة مستمرة، ويصبح الاقتصاد في انتعاش دائم، وفي منأى عن الانكماش والركود والكساد الاقتصادي والأزمات المالية الخانقة التي هي من متلازمات العيش وفق نمط الحياة الرأسمالي؛ إذ معلوم أنّ من أهم أسباب الكساد والأزمات المالية انحباس الثروة في أيدي عدد قليل من أفراد المجتمع؛ ذلك أنّ هذه الفئة تنفق القليل من هذه الثروة على الضروريات والحاجيات، ثم تنفق قسطاً كبيراً منها على الكماليّات، وتتفنّن

في اقتناء هذه الكماليّات، فيشتدّ الطلب عليها أولاً، ويتوجّه المنتجون إلى إنتاجها؛ لأنّها مطلوبة من قِبَل مَنْ عندهم القوة الشرائية، ولأنّها تُباع بأثمان باهظة، ويعزف المنتجون عن إنتاج ما يحتاجه عموم الناس من السلع والخدمات. وهذا توجيه سيء جداً لموارد المجتمع وثرواته. على أنّ الطامّة أنّ القلّة الغنية سرعان ما تأخذ كفايتها من الكماليّات، ويبقى لدى منتجها فائض كبير لا يجدون له مصرفاً، فيضطرون إلى إغلاق معاملهم ومصانعهم، ويسرّحون العمال الذين يقومون بتشغيلها، فتفشو البطالة وتشتدّ الحاجة، ويحصل الكساد.

المطلب الثاني: الأثر النفسي والأخلاقي:

إنّ من أهمّ أسباب الاستقرار النفسي والوقاية من الأمراض النفسية ألاّ يحمل الإنسان الهموم، فإذا كانت حاجات الإنسان موفورة وكان يتمتع بالكفاية استقرّ نفسياً غالباً. وإنّ هموم العيش، وعجز الإنسان عن تأمين ضرورات العيش وخوفه من المستقبل يهدّد كيانه، ويزجّه في الهموم والغموم التي تعصف بهدوء نفسه وراحة باله وطمأنينة قلبه، وينجم عن هذا عقدٌ نفسيّة كثيرة وكبيرة، كالتوتر العصبي والقلق والكآبة وغير ذلك، وينشأ عن ذلك سوء الخلق، فقد «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١).

أمّا العيش وفق نمط الحياة الإسلامي فإنّه يحصّن أفراد المجتمع من الهمّ والغم، ويقيهم عادية القلق والاضطراب النفسي، وذلك بما يكفله من تأمين أسباب العيش

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، أبو الفضل العراقي: ٢ / ٨٦٣، قال: «أبو مسلم الليثي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ: (كادت الحاجة أن تكون كفراً) وفيه ضعف أيضاً».

الكريم لهم، وبما يورثهم من الطمأنينة بأن المجتمع لن يتخلى عنهم إذا فاجأهم الزمان بحوادثه ودواهيته، فيقضي بذلك على واحد من أهم أسباب القلق والأمراض النفسية، وهذا يساعد على اعتدال المزاج والأخلاق.

المطلب الثالث: الأثر الاجتماعي والأمني:

لا شك أن أهم سبب من أسباب استقرار المجتمعات وشيوع الأمن والأمان فيها يرجع إلى علاقة ما بين أفرادها، فمهما كان أفراد المجتمع متحابين كان النسب الاجتماعي متمسكاً وقوياً، ومهما كانت العلاقات بين أفراد المجتمع واهية كانت بنية المجتمع هشّة متهاكّة، فإذا شاع التباغض والتحاسد والتدابير بين أفرادها فقد تُودّع منه، وكان ذلك مؤذناً بانتشار الجريمة فيه.

وإنّ للاستهلاك وفق نمط العيش الإسلامي دوراً كبيراً جداً في تقوية اللّحمة الاجتماعية، ومن ثمّ فله أبلغ الأثر في مكافحة الجريمة وشيوع الأمن والاستقرار في ربوع المجتمع، وآية ذلك أن ما يحمل على ارتكاب الجرائم إمّا أن يكون الحاجة، أو خللاً نفسياً ينتج غالباً عن الحاجة التي يعجز صاحبها عن تلبيتها، وإلا فإنّ المكتفي الذي عوفي من ضغط الحاجات وملاحقتها له يعيش وضعاً نفسياً هادئاً ومستقراً غالباً، ويكون أقرب إلى الرّشد والعقلانية والاتّزان في تصرّفاته، فالذي يزرح تحت ضغط الحاجة ويعاني الفقر وضنك العيش، ويفتقر إلى تأمين ضرورات عيشه وحاجاته الملحّة، يحمل في نفسه على أهل البّدخ والترّف، حين ينظر من حوله فيرى في مجتمعه أناساً يبدّدون الأموال الطائلة في الكماليّات وبيالغون في الترف،

وقد يتعاضم هذا فيتحوّل إلى حقد عليهم، ثم قد يتطوّر إلى رغبة في الانتقام منهم، ثم قد يُترجم هذا الشعور إلى عمل يتمثل في الاعتداء عليهم وارتكاب الجرائم في حقّهم، إمّا بالأخذ من أموالهم بما أمكن من الوسائل، من سرقة أو نهب أو غصب.. إلخ، أو حتى بتفويت أموالهم عليهم بإتلافها بتحريق أو نحو ذلك؛ إن لم يكن بالإمكان اقتناص هذه الأموال والانتفاع بها، بل قد يصل الأمر إلى الاعتداء على أشخاص المترفين.

وحتى لو لم يحصل شيءٌ من هذا؛ فإنّ مشاعر الكراهية التي تعتلج في قلوب الفقراء والمحتاجين لمن حولهم كفيلاً بأن توهن دعائم المجتمع وتصدّع بنائه وتمزيق نسيجه.

أمّا حين يرى من قديرٍ عليه رزقه أنّ الأغنياء في مجتمعه لا يعيشون تلك الحياة المترفة الباذخة، بل يعودون بقسط من ثروتهم إلى المقلّين، ويمدّونهم بأسباب العيش الكريم، ولا يُوجون من قَلَّتْ حيلته وضعفت وسيلته واشتدّت خصائصه إلى إراقة ماء وجهه؛ فإنّ قلوب هؤلاء تمتلئ محبةً لهؤلاء المحسنين وتقديراً لهم، فيتمنّون لهم المزيد من الثراء والغنى، ويحرصون عليهم وعلى أموالهم وثروتهم أشدّ الحرص، حتى إنّ الواحد منهم يكون مستعداً للتضحية من أجلهم، وهذا أمرٌ بدهي فطريّ:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟! وإنّ أظهر دليلٍ واقعي على صدق هذا الذي نقرّره شيوعُ الجريمة في البلدان الرأسمالية الغنية اليوم وبخاصّة في الأحياء الفقيرة، وندرتهما - إلى درجة شبه الانعدام - في تاريخنا يوم كانت مجتمعاتنا

المسلمة تلتزم في عيشها بالمنهج الربّاني إلى حدّ كبير. ألا ترى أنّه في بعض الحواضر في أكثر بلاد الدّنيا تقدّمًا و ثراء لا يكاد يخلو يومٌ من أيام دهرهم من عشرات الجرائم، التي تتمثّل في السّطو على الأموال، والاعتداء على الأنفس بالضرب والقتل أيضاً، حتى إنّ الدّولة تعجز عن مكافحة الذين يرتكبون هذه الجرائم؛ مع ما لها من وسائل وتقنيّات وما أوتيت من إمكانيات متطوّرة هائلة.



الخاتمة وأهم النتائج

قد فرغنا الآن من بيان الاستهلاك في نمط الحياة الإسلامي، وبيّنا أثر العقيدة والأحكام الفقهية والقيم في توجيه وتحديد السلوك الاستهلاكي الإسلامي، وبيّنا كذلك ما له من الأثر على المجتمع من النواحي الاقتصادية والنفسية والاجتماعية والأمنية، ويمكننا أن نلخص أهم نتائج هذا البحث في الآتي:

١- إن للعقيدة أكبر الأثر في توجيه السلوك الاستهلاكي، شريطة أن تكون عقيدة راسخة في عقول وقلوب أتباعها، وأن تكون من القوة بحيث تخرج القناعات العقلية والقلبية إلى سلوك عملي.

٢- إن الاستهلاك في الإسلام وسيلة، وهو في النظام الرأسمالي غاية، ذلك أن الدنيا في المنظور الإسلامي محطة في رحلة الإنسان إلى مستقره الأبدي، أما في المنظور المادي فإن الحياة تنتهي إلى ظلمات العدم بطرء الموت، ولذلك فالإنسان الذي يتبنى الفلسفة المادية يريد أن يستزيد من التمتع فيها قبل أن تفوته الفرصة.

٣- يسائر الإسلام في واقعياته رغبات الإنسان، فيجيز له التبسط والتمتع بطيبات الحياة بحسب إمكاناته؛ شريطة ألا يصل ذلك إلى الإسراف والتبذير اللذين فيها إضاعة للمال وهدر له.

٤- وإن الجانب المثالي في الإسلام يفضل للإنسان ألا يتوسع في الاستهلاك المباح حتى لا يجره ذلك إلى الإسراف.

٥- إن لوجود الزّهاد المتجرّدين عن الدنيا، الذين يقتصرون على ضرورات العيش دورٌ كبير في اعتدال السلوك الاستهلاكي في المجتمعات، وهو صمام أمان لاعتدال مزاج المجتمع.

٦- للاستهلاك وفق نمط الحياة الإسلامي أثرٌ إيجابي كبير على الفرد والمجتمع من الناحية الاقتصادية، فهو يقي الفرد من الوقوع في الضائقات الاقتصادية، ويعظّم منفعة ثروات المجتمع ويضاعفها، ويساهم في مكافحة البطالة.

٧- السلوك الاستهلاكي الإسلامي الرّشيد يوجّه ثروات المجتمع بما يحقّق الاستقرار النفسي لأفراد المجتمع، ويزيد لحمته قوّة وتماسكاً بتألف أفرادها، ممّا يقلّل من وقوع الجرائم.

والحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قائمة المصنّاور

- ١- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي أبو الحسن، ت ٦٣١هـ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سيد الجميلي.
- ٢- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ت ٥٠٥هـ، دار المعرفة - بيروت.
- ٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، ت ٩٧٠هـ، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية.
- ٤- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط (١).
- ٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ، دار الشعب - القاهرة.
- ٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، ت ٧٩٥هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس.
- ٧- حاشية البجيرمي على الخطيب، (تحفة الحبيب على شرح الخطيب)، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، ت ١٢٢١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.
- ٨- حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج (لذكريا الأنصاري)، سليمان الجمل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون.

- ٩- حجة الله البالغة، الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي، ت ١١٧٦، دار الكتب الحديثة - مكتبة المثنى - القاهرة - بغداد، تحقيق: سيد سابق.
- ١٠- الحرية الاقتصادية ومدى سلطان الدولة في تقييدها في الشريعة الإسلامية، د. محمد جنيد بن محمد نوري الديرشوي، دار النوادر، سورية - لبنان - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١١- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ت ٧٦٣ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ١٢- الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ت ٦٨٤ هـ، دار الغرب - بيروت - ١٩٩٤ م، تحقيق: محمد حجي.
- ١٣- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، ت ٦٤٦ هـ، عالم الكتب - لبنان / بيروت - ١٩٩٩ م - ١٤١٩ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود
- ١٤- السلوك الاستهلاكي في الإسلام، د. محمد أنس الزرقا، بحث مطبوع ضمن كتاب السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي للتنمية، وقائع ندوة رقم /٣٦/ ط أولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٥- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦ هـ، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش.

- ١٦- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،
ت ٦٧٦، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.
- ١٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،
ت ٢٦١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ١٨- غداء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني
الحنبلي، ت ١١٨٨هـ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،
الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي.
- ١٩- فتاوى السبكي، الامام أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي،
ت ٧٥٦هـ، دار المعرفة - لبنان/ بيروت.
- ٢٠- الفتاوى الكبرى الفقهية، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن
محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي، ت ٩٠٩هـ - ٩٧٣هـ،
دار الفكر.
- ٢١- ضوابط الإنفاق والاستهلاك في الإسلام: د. محمد عبد الحليم عمر، رابط:
<https://www.google.com.sa/search?safe=strict&ei=Hv19WsKsKITiUZaQjfAH&q=>
تاريخ الاسترجاع: ٢٤ / ٥ / ١٤٣٩هـ - ١٠ / ٢ / ٢٠١٨م.
- ١٩- ضوابط الاستهلاك وحماية المستهلك في الشريعة الإسلامية: د. بابكر خليفة
الحسن، رابط: <http://www.aliqtisadalislami.net>
تاريخ الاسترجاع: ٢٥ / ٥ / ١٤٣٩هـ - ١١ / ٢ / ٢٠١٨م.

- ٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: ت ٨٥٢، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- ٢١- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثانية.
- ٢٢- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، ت ٦٦٠، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٣- الكسب، الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ت ١٨٩، عبد الهادي حرصوني - دمشق - ١٤٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سهيل زكار.
- ٢٤- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري الوفاة: ٤٢٧هـ - ١٠٣٥م، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
- ٢٥- كشف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ت ١٠٥١، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال.
- ٢٦- المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي، ت ٨٠٦هـ، مكتبة طبرية - الرياض - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أشرف عبد المقصود.
- النظام الاقتصادي في الإسلام، د. عبد الله الديرشوي وزملاؤه، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط أولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٢٧- النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، شوقي دنيا، مكتبة الخريجي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

- ٢٨- مباحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية، د. محمد رؤاس قلعجي،
دار النَّفائس، بيروت، ط أولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٢٩- المبسوط، شمس الدين السرخسي، ٤٨٣هـ، دار المعرفة - بيروت.
- ٣- الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي،
ت ٧٩٠هـ، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

نحو اقتصاد رقمي منضبط رؤية شرعية

إعداد

د. إبراهيم عبد اللطيف الأعظمي العبيدي

باحث أول بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن وآلاه، وبعد:

فيوم بعد آخر تتجلى أهمية تكنولوجيا المعلومات في مختلف مجالات الحياة، ومن ضمنها الجانب الاقتصادي بمختلف تطبيقاته التبادلية والاستهلاكية والإنتاجية وغيرها، وفي ظل توسع عالم التكنولوجيا فقد انتشر مجال هذه التطبيقات وتطور كثيرا عن الماضي، ولم يعد النشاط الاقتصادي الحالي بمختلف مراحل مقتصر على شكله النمطي القائم على مبادلة سلعة أو خدمة بنقد في بقعة جغرافية محددة في دولة معينة ضمن اقتصادها المحلي، إنما أصبح التعاقد يتم على السلع والخدمات بمختلف أشكالها وأحجامها مع إمكانية التعرف على جودتها وكامل أوصافها قبل إبرام العقد وإتمامه من أقصى بقعة في الأرض إلى أقصاها، وكل منهما في مكانه؛ من دون معاناة السفر ومشاقه وتكاليفه، بفضل التطور التقني التكنولوجي.

ووفقا لهذا الأمر؛ فقد تطوّر مفهوم البيع والشراء (عملية التبادل) والتي لم تتوقف على صورة البيع النمطي، والقبض الحقيقي، إنما تم اعتماد القبض الحكمي في مجمل أو جميع التعاملات الإلكترونية الرقمية المعمول بها حاليا من إيجاب وقبول وما يقوم مقام التوقيع، إذ تعد التجارة الإلكترونية التي تعتمد بدورها على الاقتصاد الرقمي في التعامل بالنقد مقابل السلع والبضائع والخدمات على آلية شاشة الحاسبات الإلكترونية والأجهزة اللوحية وتطبيقاتها الذكية أساسا لمعاملاتها المعاصرة، عن طريق النقود الإلكترونية؛ في شكل البطاقات الائتمانية المعتمدة، ثم في شكل العملات الإلكترونية؛ التي لا تخضع إلى معايير جهة إصدار معينة ولا إلى

سلطات سيادية تخضع لمصرف مركزي صادرة عنه، كما هو الأساس المعمول به في سائر النقود النمطية المعروفة منذ القدم.

ومع مرور الوقت أصبح الاقتصاد الرقمي تيارا قويا ونمطا من أنماط الحياة البارزة؛ وله من يتعامل به ويدعمه، حتى صار واقع حال، وصارت له أذرع ووسائل وآليات، ويكاد يكون توجه الدول المتطورة في تعاملاتها المستقبلية؛ فضلا عن المؤسسات والشركات؛ وحتى الأفراد لأسباب عدة، منها اختصار الوقت وتقليل الجهد وسرعة التنفيذ ودقة إحكامه؛ وغيرها من المميزات الأخرى، مع عدم خلو الأمر من مساوئ وعيوب أيضا. ومثل هذا الأمر -المستجد- يحتم على المختصين دراسة مثل هذه التغييرات الجوهرية في مفهوم التبادل الاقتصادي العام، وفق رؤية شرعية تضبط ما يجري من مبادلات سلعية مقابل عملات نقدية، تختلف أشكالها من حين لآخر؛ لاسيما مع بروز نجم النقود الإلكترونية؛ وتطورها المستمر ولا سيما العملات الرقمية المعماة منها على وجه الخصوص، والإشكالات والشبهات والضبابية التي تحوم حولها، إلى غيرها من المستجدات الأخرى، إذ لا يخفى الدور الذي يؤديه الاقتصاد الرقمي وتفوقه على الاقتصاد النمطي؛ في سهولة وسرعة الإجراءات التي يعتمدها، إلا أن هذا كله مرهون في الاقتصاد الإسلامي بتحقيق المقاصد الشرعية، فالأمر بمقاصدها؛ التي تضبط حقيقة المعاملات المالية وتقومها في شريعتنا الغراء، والتي تقوم -كما حددها الفقهاء- على اجتناب ثلاثية (الربا والغرر وأكل المال بالباطل) وهو ما تهدف إليه هذه الدراسة من النظر في حقيقة امثال الاقتصاد الرقمي لمعايير الاقتصاد الإسلامي الرئيسة من عدمه، وتسعى إلى تصحيح مساره.

تمهيد

هل يتعارض الاقتصاد الرقمي مع أسس ومبادئ وتشريعات الاقتصاد الإسلامي؟ من خلال تتبع مفهوم الاقتصاد الرقمي وخصائصه وواقعه، يتبين الدور الحيوي الذي يقوم به، وحضوره الفاعل؛ الذي بات يُشكّل نمطا مهما من أنماط التعامل في الحياة المعاصرة، حتى باتت الكثير من المعاملات تتم من خلاله، وأصبح غيابه يمثل حرجا كبيرا؛ من حيث التكلفة والجهد والوقت، على مستوى الأفراد والمؤسسات والدول.

والسؤال المطروح: هل تتعارض آلية عمل الاقتصاد الرقمي بكامل تفاصيله الدقيقة؛ التي تقوم بالدرجة الأساس على ظاهرة العمل عن بعد؛ والتي تتم بين طرفين متباعدين غالبا، والتي تندرج ضمنها مسألة التعامل بالنقود - بمختلف أشكالها - مقابل السلع والمنتجات والخدمات المقدمة، عبر شبكات الحوسبة والبرامج التقنية التي تسيرها؛ التي تقوم على استخدام تكنولوجيا الاتصالات الرقمية من خلال تقنية الإلكترونيات؛ المتمثلة بوجود شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) التي ترتبط مع بعضها وتمتد من شرق الكرة الأرضية إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها عبر البحار والمحيطات واليابسة؟ فضلا عن استخدام الأقمار الصناعية هي الأخرى في ربط العالم بعضه ببعض من دون التأثير بعوائق البعد واختلاف التوقيت والطقس وتعاقب الليل والنهار وغيرها، مع ثوابت الاقتصاد الإسلامي ومبادئه العامة؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال جاءت هذه الدراسة.

المبحث الأول

الاقتصاد الرقمي مفهومه ودوره ومزاياه

المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد الرقمي ومميزاته:

مثلت تقنيات الاتصال الحديثة بمختلف أشكالها وسائل انتشار للاقتصاد الرقمي (الإلكتروني)، التي اختصرت بدورها الخطوات الروتينية والأوقات الطويلة والكلف المرتفعة التي كانت وما تزال سائدة في تأمين السلع والخدمات المطلوبة من قبل الأفراد والمؤسسات والدول. ويلاحظ أنه مع ظهور أجهزة الاتصال العادية المتمثلة بالتلغراف ثم الهاتف السلكي واللاسلكي قد خفت معاناة المستهلك الذي استخدم هذه الوسائل في إنجاز أعماله المختلفة، التي أتاحت له إمكانية التواصل مع الطرف الآخر المتمثل بالبائع أو المنتج أو المورد وغيرهم؛ عن طريق الاستفسار منهم مباشرة عن السلعة والخدمة المطلوبة، وعن جودتها وسعرها وعن بقية المعلومات المتعلقة بها، من دون الوصول إليهم ولقائهم شخصياً؛ والاكتفاء بالتواصل معهم من خلال التواصل بوسائل الاتصال التقليدية آنذاك.

وقد تضاعف مقدار هذا العمل وتنوع وانتشر في عصر الأنترنت والعمولة الاقتصادية أضعافاً مضاعفة؛ وأصبح البديل المنطقي لكثير من التعاملات النمطية الروتينية؛ لما يوفره من مصروفات ووقت وجهد. وقد زادت هذه التعاملات بشكل أكبر في العقد الأخير من خلال اعتماد آلية التعامل التجاري عن طريق الأجهزة اللوحية المحمولة والتطبيقات الذكية التي تحتويها؛ التي تعد الأوسع انتشاراً واستخداماً من مختلف فئات المجتمع. وكل هذا ساعد بشكل مباشر على

طي المسافات البعيدة بين المستهلك والمورد والمنتج، وأصبحت مختلف المعاملات تتم عن طريق هذه التقنية الجديدة بمجرد ضغط بعض أزرار الأجهزة المحمولة؛ ولمس إحدى تطبيقاتها الذكية بين طرفي العقد المتباعيين، واللذين تفصلهما ربما آلاف الأميال خلال وقت قصير جدا! وكأن عملية التبادل (البيع والشراء) أو تنفيذ الخدمة المطلوبة، قد تمت في سوق البلدة أو المدينة التي يسكنها المتعامل نفسه!

ويجد الباحث عن الطبيعة المحرّكة لهذا الاقتصاد الجديد أنه لم يعد يعتمد على عناصر الإنتاج التقليدية الرئيسة الأربعة (العمل، رأس المال، الأرض، التنظيم) وحدها فحسب؛ وإنما أصبحت الموارد الجديدة في الاقتصاد؛ هي المعرفة التقنية والإبداع والذكاء والمعلومات بشكل عام؛ زيادة على عناصر الإنتاج المعروفة، وصار للذكاء المستجد في برامج الكمبيوتر نطاقا واسعا من المنتجات ربما تفوق أهمية رأس المال وبقية العناصر^(١).

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الاقتصاد الرقمي (الإلكتروني) يعمل ضمن منظومة؛ قاعدته (الأنترنت)، ومجال نطاقه (التجارة الإلكترونية) والتي تعد مفهوما حديثا -نوعا ما- في عالم المال والأعمال، إذ لم يكن مسمى الاقتصاد الرقمي (الإلكتروني) متداولا قبل ثلاثة عقود من الزمن، إنما ارتبط عمله بظهور وتطور شبكة الأنترنت، وإن كان استخدام تكنولوجيا الاتصالات في هذا المجال يرجع إلى سنة ١٩٦٩م من خلال أول أشكال استخدامات شبكة الأنترنت بمعاملة (التحويل الإلكتروني للأموال) بعد أن تم تحويل شبكة الأنترنت من الاستخدام التقليدي في

(١) إمكانات توجه البلدان العربية نحو الاقتصاد المعرفي، أ. محيي الدين عيسى كاظم، د. مناقل حسن الجوراني، دار الأيام للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ١٠.

المجال العسكري والأكاديمي إلى وسيلة من وسائل الاتصالات، إلا أن استخدامه اقتصر في تلك الحقبة على كبريات المؤسسات التجارية والمالية، ثم القليل جدا من الأعمال الصغيرة^(١). بعد ذلك توسعت شبكة الأنترنت وتمكنت من ربط العالم بسلسلة شبكات بعد أن كانت مجرد شبكة محدودة؛ على مستوى سعتها؛ والأجهزة المتصلة بها؛ والمستخدمين لها، ثم توسعت خدماتها بعد ما تولت الهيئة القومية الأمريكية للعلوم سنة ١٩٨٦م الإشراف عليها؛ حيث أدخلت في مجال عملها البحوث وخدماتها، بعد أن كانت خدماتها مقتصرة على وزارة الدفاع الأمريكية. ثم توسعت شبكة الأنترنت بشكل كبير بعد أن دخلت في الأغراض التجارية سنة ١٩٩٢م بظهور شبكة الويب العالمية التي طغت على مثيلاتها بسبب تنوعها واحتواء محرّك بحثها على إمكانية البحث عن الصور الملونة، زيادة إلى الخيارات البحثية الأخرى، وقد تفاعل الكثير من رجال الأعمال مع هذه الخدمات بسبب رخصتها قياسا بالأعمال الكبيرة التي تقدمها لهم، حتى عمّ التعامل بعد ذلك تجار التجزئة والأفراد تدريجيا سنة ١٩٩٦م^(٢).

والواقع اليوم يؤكد ذلك، بعد نمو العالم الرقمي وتشعبه في أغلب مرافق الحياة، إذ ارتبطت الأجهزة التقنية المحمولة بالإنسان ارتباطا وثيقا بشتى مجالات حياته ومختلف اهتماماته وتطلعاته وأعماله حتى صار يختم في الأعم الأغلب الكثير من الناس -إلا ما ندر- ليلتهم ويفتتحون صباحهم على هذه الأجهزة؛ وتصفح ما

(١) التبادل الإلكتروني للبيانات، منير محمد الجنيهي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص ١٤.

(٢) التعاقد الإلكتروني عبر الأنترنت، محمد أمين الرومي، دار المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٢١.

ورد فيها بمختلف وسائل التواصل التي تحتويها، ومنها ما يتعلق بمعاملاته؛ سواء أكانت الشخصية التي تخصه وأسرته؛ من شراء سلع وخدمات وحجز تذاكر سفر وفنادق وغيرها، أو ما يتعلق بعمله ضمن مؤسسته العامة والخاصة التي يعمل بها.

وقد أطلق على الاقتصاد الرقمي أكثر من مسمى، ومنها المسميات الآتية:

اقتصاد المعلومات: وهو الاقتصاد الذي تزيد فيه قوة العمل المعلوماتية، عن قوة العمل العاملة في كل من قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات، بالنسبة للدول المتقدمة، وتختلف بالنسبة للدول الأقل تقدماً^(١).

اقتصاديات المعرفة: وهو مجموعة من المعلومات الموجهة والمختبرة والتي تخدم موضوعاً معيناً تمت معالجتها وإثباتها وتعميمها وترقيمها بحيث نحصل من تراكمية هذه المعلومات وخصوصيتها على معرفة متخصصة في موضوع معين، ومنها ظهرت النظم المبنية على قواعد المعرفة^(٢). وقد ارتبط اقتصاد المعرفة بأربعة مقومات هي^(٣):

١- البحث والتطوير والابتكار

٢- تقنية الاتصالات والمعلومات

٣- التعليم

٤- العولمة الاقتصادية

(١) مبادئ الاقتصاد الجزئي، إبراهيم سليمان قطف، علي محمد خليل، دار الحامد، ٢٠٠٤هـ، ص ١٧.
 (٢) نظم المعلومات الإدارية، إيمان فاضل السامرائي، هيثم محمد الزعبي، عمان، دار الصفاء، ٢٠٠٤، ص ٢٤.
 (٣) الاقتصاد المعرفي، هاشم الشمري، نادية الليثي، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ١٥.

الاقتصاد المعلوماتي: هو الاقتصاد الذي يقوم بشكل مباشر على إنتاج وتوزيع واستخدام المعلومات والمعارف^(١).

كما سمي بمسميات أخرى منها:

(الاقتصاد القائم على الأنترنت) و(الاقتصاد الإلكتروني) و(الاقتصاد الشبكي) وغيرها من المسميات الأخرى التي تدور حول المفهوم نفسه للاقتصاد الرقمي، والذي تم تعريفه بتعريفات متنوعة، في غالبها لا تخرج عن تعريفات المسميات أعلاه، حيث تم اعتماد مسمى (الاقتصاد الرقمي) على المسميات الأخرى باعتبار التأكيد على أن المعلومات الرقمية (التي تمثل المنتجات والخدمات الرقمية) هي المورد الأساسي لطبيعة عمله. كما يميل بعض الباحثين إلى تغليب مسمى اقتصاد المعلومات واقتصاد المعرفة على مسمى الاقتصاد الرقمي، والذي تم تعريفه بأنه: عملية التحول المتزايد في ظل الأنترنت من اقتصاد تقليدي بفرص عمل محدودة في ظل محدودية الموارد ورأس المال وقيود الاستشارات المادية إلى الاقتصاد الريادي الذي يتسم بانفجار فرص الأعمال بموارد محدودة، مما يجعل الاقتصاد الجديد هو اقتصاد الوفرة والإفاضة في الأفكار والمواهب والموارد وحتى في فرص العمل من زوايا معينة في مناطق معينة^(٢).

- (١) المعلوماتية واقتصاديات المجتمعات المعاصرة ومواردها البشرية، عبد السلام الدويبي، المجلة الليبية للمعلومات والتوثيق، العدد الأول، ٢٠٠٤، ص ٤٨.
- (٢) الإدارة الإلكترونية؛ الاستراتيجية والوظائف والمشكلات، نجم عبود نجم، الرياض، دار المريخ، ٢٠٠٤م، ص ٨١. نحو توجه البلدان العربية نحو الاقتصاد المعرفي، أ. محيي الدين عيسى كاظم، د. مناضل عباس الجواري، ص ١٣-١٤.

أما عن أبرز مميزات الاقتصاد الرقمي فيمكن إجمالها فيما يلي^(١):

١- ركز الاقتصاد الرقمي على الإنسان وليس - كما يُظن - على الآلة؛ باعتباره المحرّك الرئيس للثروات والمستخدم الفعلي للتقنيات، وبه يَناط تحقيق النمو الاقتصادي المستدام.

٢- مثلت المعلومات الثروة الأساسية التي ميزت الاقتصاد الرقمي باعتبارها الثروة الفكرية والمحرّك الرئيس له، حتى أصبحت السمة السائدة لهذا العصر بأنه عصر (الثورة المعلوماتية)، وهذا خلاف ما كان عليه في السابق؛ إذ كانت الأرض هي الأساس في الاقتصاد الزراعي، ورأس المال هو الأساس في الاقتصاد الصناعي.

٣- أصبح رصيد المؤسسة الاقتصادية يعتمد على مخزونها المعلوماتي، الأمر الذي حتمّ عليها ضرورة التحديث المستمر للبيانات والمعلومات أولاً بأول.

٤- عدم اقتصار الاقتصاد الرقمي بشكل كلي على الموارد والثروات الطبيعية والمعادن مثل الاقتصاد التقليدي، إذ يركز الاقتصاد الرقمي على الأمور غير الملموسة مما يعني أنه يهيمن على السلع والخدمات من حيث المخرجات، أما الأصول الرئيسة له فتتمثل بالأفكار والعلامات التجارية.

٥- إمكانية انتقال السلع والبضائع وتسهيلات ذلك في ظل تهاوي الحدود والقيود الاقتصادية التقليدية في ظل ما بات يعرف بـ(الاقتصاد اللاحدودي).

(١) المعلوماتية واقتصاديات المجتمعات المعاصرة ومواردها البشرية، عبد السلام الدويبي، المجلة الليبية للمعلومات والتوثيق، العدد الأول، ٢٠٠٤م، ص ٤٥-٤٧.

٦- السرعة في التبادلات والاتصالات والتي تحد بدورها من مظاهر عدم الكفاءة في الأسواق بسبب سرعة تدفق المعلومات حول الأسعار.

٧- يعمل الاقتصاد الرقمي ضمن ما يسمى بالعوالم، التي تمثل ظاهرة ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، إذ تشير ظاهرة العوالم الاقتصادية إلى تزايد الاعتماد المتبادل بين بلدان العالم من خلال زيادة حجم وتنوع التجارة بين الدول في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والانتشار السريع للتكنولوجيا.

ويمكن أن نختصر خصائص ومميزات الاقتصاد الرقمي المعرفي المقترن بتكنولوجيا الاتصال بالسرعة الفائقة، فإذا كان الاقتصاد التقليدي في العصر الصناعي هو اقتصاد الحركة البسيطة؛ ووسيلته هي السكك الحديدية والطائرات والسفن والسيارات والبريد التقليدي، فإن الاقتصاد الرقمي هو اقتصاد الحركة السريعة، وطريقه الأقمار الصناعية ووسائل التواصل الإلكترونية، وحيث إن التحول من الاقتصاد التقليدي إلى الاقتصاد الرقمي يوجد تحدياً أمام إدارة مؤسسات الأعمال في ظل الاقتصاد التقليدي؛ كان التحدي الذي يواجه المؤسسات هو كيفية إدارة (الندرة) في الموارد الاقتصادية (الأموال، المعدات، اليد العاملة) والتي تتناقص كلما زاد استعمالها. أما في ظل الاقتصاد الرقمي فقد انتقل التحدي إلى إدارة (الوفرة) حيث تحول الاهتمام إلى إيجاد الوفرة في المعلومات والمعرفة التي تزداد قيمتها بالاستخدام، فقد أصبحت المعرفة ورأس المال الفكري أهم مستلزمات الاقتصاد الرقمي.

المطلب الثاني: حقيقة الفرق بين الاقتصاد التقليدي والاقتصاد الرقمي:

استخدم علماء المسلمين الأقدمون مصطلح (الاقتصاد) في كتبهم بمعناه اللغوي؛ والذي يعني: الاعتدال والتوسط من دون إفراط ولا تفريط، وإلى هذا أشارت بعض آيات الذكر الحكيم، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾^(١) بمعنى توسط في مشيك من دون بطء أو إسراع، ومنه كذلك قوله عز وجل: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾^(٢) أي معتدلة، فقد جاء في تفسيرها (أن الاقتصاد في اللغة يعني الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، وأصله القصد، وذلك لأن من عرف مطلوبه فإنه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب، أما من لم يعرف موضع مقصوده فإنه يكون متحيرا، تارة يذهب يمينا وأخرى يسارا، فلهذا السبب جعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي إلى الغرض)^(٣).

وأما في السنة النبوية المطهرة فقد ورد قوله عليه الصلاة والسلام: «ما عال مقتصد قط»^(٤).

ومن العلماء الذين استخدموا تسمية (الاقتصاد) العز بن عبد السلام الذي قال

(١) سورة لقمان الآية ١٩.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٦.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ، ٣٩٨/١٢.

(٤) رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ورجاله وثقوا، وفي بعضهم خلاف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن الهيثمي، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ٢٥٢/١٠.

عنه: (الاقتصاد رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين، والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما)^(١).

أما علماء الاقتصاد فقد عرفوا الاقتصاد التقليدي الوضعي بتعريفات عدة نختار منها التعريف الآتي: (دراسة كيف يمكن للمجتمعات أن تستخدم مواردها النادرة لإنتاج سلع قيّمة وتوزيعها بين الناس)^(٢).

وبغض النظر عن التعريفات المتعددة لعلم الاقتصاد بشكل عام، فإننا نعد -جميعاً- ملمّين بعلم الاقتصاد من الناحية التطبيقية بالاكْتساب؛ ولا نحتاج إلى من يشرح لنا طريقة التعامل مع الأسعار مثلاً، فإذا رأى أحدنا سلعة ما؛ في متجر بسعر معين، ثم رأى المتجر الآخر يبيع مثيلتها بسعر أعلى، فإننا نرجع إلى المتجر الأول ونشترىها منه، إذا كانت مثلها تماماً -أي غير مقلدة- من خلال الدافع الغريزي في خِلقة البشر في حب المال والاستثمار به، ورغم هذا التصرف العفوي تجاه التعامل مع هذه السلعة، إلا أنه تصرف اقتصادي بحت.

ولكن من دون أدنى شك فإننا نحتاج إلى تنزيل علم الاقتصاد النظري على الواقع العملي في التعاملات الكبيرة التي لم تقتصر على واقع تبادل السلع والخدمات بين الأفراد فحسب؛ إنما تنوعت وتوسعت إلى أبعد الحدود، وصارت التعاملات متداخلة بين الأفراد والمؤسسات، بعد أن توسع مفهوم الاقتصاد هو الآخر، ولم يعد كما كان في السابق يعتمد نمطاً واحداً، بعد أن تطور من واقع الاقتصاد القائم

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م، ٢/٢٠٥.

(٢) الاقتصاد، بول آسامويلسون- ويليام د. نورد هاوس، ترجمة هشام عبد الله، مراجعة د. أسامة الدباغ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ص ٣٠.

على الزراعة؛ عندما كان المجتمع كله يعمل في هذا المجال، ثم تطور إلى الاقتصاد الصناعي بعد اكتشاف البخار ودخول الماكينة إلى واقع الحياة؛ حيث أصبحت المجتمعات توصف بالصناعية واقتصادها كذلك، حتى وصلنا إلى عصرنا الحاضر الذي يغلب عليه طابع المعرفة وتقنية المعلومات، إذ أصبح تطور الدول وتقدمها يقاس بما وصلت إليه من تقدم في الجانب التكنولوجي، بعد أن أصبح الاقتصاد التقليدي يتخلى عن طريقه النمطية تدريجياً من حيث الإنتاج والإدارة والتسويق، ويعتمد على الجانب التقني الرقمي الإلكتروني في أغلب الأحيان.

وفي ظل تنامي أهمية المعرفة وضرورة تحديث المعلومات المرتبطة بها يمكن القول إن الاقتصاد العالمي لم يعد يقتصر على الاقتصاد التقليدي القائم على اعتماد الموارد الطبيعية الخام وتحويلها إلى سلع ومنتجات مختلفة؛ باستخدام الآلات الصناعية والمكائن وما يتطلب من مجهود بشري يعتمد على قوة البدن والتحمل، وإنما أصبح يعتمد على وحدات قليلة من العمال والآلات مع أجهزة الحاسبات، ويمكن القول إن النظرية التي كانت سائدة بأن (العمل هو أساس القيمة) قد انحسرت الآن وأصبحت (المعرفة هي أساس العمل) بظهور ما بات يعرف بمصطلح (العمل عن بعد) الذي يعتمد على الخلفية التقنية التي يتحلى بها العامل ربما وراء حدود بلد جهة العمل. وحتى نكون بعيدين عن الإسهاب وتكرار الكلام المعلوم في أساسيات علم الاقتصاد التقليدي، وندخل في صميم المقارنة بينه وبين الاقتصاد الرقمي، نجري مقارنة عامة بينها مباشرة، بطريقة الجداول الآتية^(١):

(١) مقدمة في الاقتصاد الرقمي، د. جعفر حسن جاسم، دار البداية ناشرون وموزعون، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م-١٤٣٨هـ، ص ١٧٨-١٧٩.

جدول رقم (١) الأسس المتحولة للتفكير الاقتصادي بين التقليدي والرقمي

الافتراض	التفكير الاقتصادي التقليدي	التفكير الاقتصادي الرقمي
الموارد الاقتصادية	محدودة ومقصورة على الموارد المتاحة من قشرة الكرة الأرضية	محدودة وغير محدودة باعتبارها أفكاراً تبدها العقول البشرية
مبدأ الثروة هو	لا زيادة في المجموع الفعلي للأشياء المادية	المعرفة والأفكار الكلية في تزايد
القانون الاقتصادي الأساسي هو	العوائد متناقصة بسبب ندرة الموارد وما ينتج عنها من ازدياد تكلفة الوحدة الواحدة	العوائد متزايدة لأن تكرار الاكتشافات يؤدي إلى هبوط تكاليف الوحدة الواحدة
الأسواق تعمل كـ	أسواق سلعية قائمة على نفس المنتجات والموارد	أسواق قيمة مضافة قائمة على منتجات مختلفة بشكل متميز وموارد فكرية فريدة
الملكية تعني	حقوق ملكية الأشياء إلى الأبد	حقوق ملكية براءات اختراع لمدة محدودة
العمل منظم بواسطة	تقسيم العمل	شبكات تعامل بين أنداد أو نظراء
ديناميكية النظام هي	تحدث مأساة عندما يشترك الأفراد في مورد واحد	لا يحدث أي نقص في المورد الواحد عندما يتم اقتسام الأفكار
الأهداف الاقتصادية الرئيسية هي	الإنتاج الكفء واستخلاص الكفاءات من العمل والآلات	شبكات قيمة مؤلفة من علاقات معقدة وديناميكية ومعتمدة على بعضها
المؤشرات الاقتصادية	كمية	كمية وكيفية

جدول رقم (٢) مقارنة بين خصائص الاقتصاد التقليدي والاقتصاد الرقمي^(١)

الاقتصاد الرقمي	الاقتصاد التقليدي		
عالمية	وطنية	مجال المنافسة	الخصائص التطبيقية
متقلبة	مستقرة	الأسواق	
مرتفعة	منخفض/متوسط	حركة العمال	
توجيهي: التخصصية. الانضمام لمنظمة التجارة العالمية. التكتلات الإقليمية. الشراكة مع القطاع الخاص	تجهيزي: البنية التحتية للسياسات التجارية (الصناعات التقليدية)	دور القطاع العام	
تضامنية/ مشتركة	تنافسية	علاقات سوق العمل	خصائص العمالة والتوظيف
تعلم شامل	مهارات محددة حسب الوظائف	المهارات المطلوبة	
تعلم مستمر مدى الحياة. تعلم بالممارسة	محدد حسب المهام	التنظيم اللازم	
الأجور/ الدخول المرتفعة	إحداث فرص التوظيف	أهداف السياسات	
الاتحاد والتعاون	مغامرات/ مخاطر مستقبلية	العلاقات مع المنشآت الأخرى	خصائص الإنتاج
التجديد. الجودة النوعية	الكتل الاقتصادية	مصادر الميزة التنافسية	
الرقمية	المكننة	المصدر الرئيس للإنتاجية	
الابتكار. التجديد. الاختراع والمعرفة	مدخلات العوامل (العمل. رأس المال)	موجهات النمو	

(١) موجهات التنمية الصناعية في الاقتصاد الجديد، مداخلة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الأول للجمعية الاقتصادية العمانية، مسقط، ٢-٣/١٠/٢٠٠٥م، ص ١٤.

ومن خلال العرض السابق نرى بجلاء هيمنة وسعة الاقتصاد الرقمي مقارنة بالاقتصاد التقليدي من حيث مفهومه العام وتشعبه وتعدد موارده التي تتوافق مع طبيعة عصرنا الحالي، ويبقى هذا الأمر -نسبيا- يتوقف على مدى تطور هذه الدولة أو تلك ومدى تغلغل الاقتصاد الرقمي فيها من عدمه، ولا شك أن توسع نمط صور الحياة في شتى المجالات المختلفة أصبح الهدف الأبرز الذي تطمح إليه جميع الدول، إلا أنه مرهون بوجود الوسائل والآليات التي مثلنا لها سابقا؛ التي يعتمد عليها في مسيرته، والتي تعتمد هي الأخرى على الطاقة المحركة لها، فضلا عن وجود البنية التحتية المساعدة لها والبيئة الجاذبة والمشجعة للاستثمار فيها .

المطلب الثالث: عيوب الاقتصاد الرقمي ومزاياه:

إذا كان الاقتصاد العالمي يتجه صوب الاقتصاد الرقمي لمزاياه وإيجابياته، فهذا لا يعني أنه يخلو من السلبيات والأضرار التي تؤثر على الاقتصادات الوطنية المحلية، فضلا عن قيمها وثوابتها العقدية، وإرثها وتقاليدها. وقد احتوت البحوث والدراسات التي عرضت لموضوع العولمة الاقتصادية والثقافية هذا الأمر إبان الدعوة إليها في نهايات القرن الماضي؛ بمزيد من العناية والاهتمام، وركزت على هذا الجانب تحديدا لما يترتب عليها من مساوئ وآثار سلبية. من جانب آخر فإن آليات الاقتصاد الرقمي التي يعتمد عليها في بعض تعاملاته؛ كأدوات للتعامل الرقمي ومنها النقود الإلكترونية - مثلا - التي لا زالت الضبابية تحيط بكنها؛ والجهة التي تقف خلف إصدارها وغيرها من الأمور المبهمة إلى الآن.

ويمكن الإشارة إلى أهم السلبيات في طبيعة عمل الاقتصاد الرقمي والتي تتمثل بـ (اللامركزية) بشكل عام، والعملات الإلكترونية بشكل خاص، من وجهة نظر الباحث، مع التذكير بأن وجهات النظر متباينة ومختلفة أحيانا في تحديد طبيعة النظم الاقتصادية والقيم التي يؤمن بها أنصار كل نظام، من ذلك على سبيل المثال موضوع (اللامركزية) الذي يُنظر إليه من جهة أنه تغييب كامل للسلطة التي من واجبها حماية مجتمعها من تمويل الأعمال الممنوعة والمشبوهة، والذي من الممكن أن يكون الأداة المساعدة لهذه الأعمال. بينما ينظر الطرف الآخر إلى (اللامركزية) إلى أنها تمثل ملمحا إيجابيا يساعد على حرية التداول اللحظي والتبادل التجاري المفتوح من دون معوقات، من خلال إرسال واستقبال الأموال والمبالغ من العملات المختلفة فورا في أنحاء دول العالم؛ من دون إجراءات التحويل المالي النمطية.

ويمكن الإشارة إلى أهم سلبيات الاقتصاد الرقمي من خلال النقاط الآتية^(١):

١- يمكن أن نعد الاستخدام غير القانوني للاقتصاد الرقمي عبر استخدام النقود الإلكترونية من أكبر العيوب والسلبيات التي تصاحبه؛ من خلال استخدام معاملاتها بعيدا عن الرقابة في تمويل الأنشطة الممنوعة والمتمثلة بغسيل الأموال والجرائم المنظمة؛ فضلا عن إمكانية تمويل العمليات المشبوهة؛ كونها تحفي هوية المتعاملين بها بحكم الخصوصية التي تتميز بها.

(١) اللامركزية في الاقتصاد الرقمي، مناهل ثابت، صحيفة البيان، الموقع الإلكتروني الرسمي لجريدة البيان الإماراتية ٢٣/١٠/٢٠١٧ م. <http://www.albayan.ae>

٢- لم تحظ النقود الإلكترونية بالقبول العام إلى الآن، بل ما زالت تعاني من تدني درجة القبول العام، من قبل البنوك المركزية العالمية، بالرغم من مرور أكثر من عقد من انطلاقتها؛ وسعة التعاملات بالعملات الرقمية والصعود والانخفاض الصاروخي لعملة (البيتكوين) على سبيل المثال شاهد على ذلك.

٣- ما زال الكثير من رجال المال والأعمال غير ملمين بألية وطبيعة عمل العملات الرقمية، بسبب اعتمادها على حسابات رقمية مشفرة لا يتقنها إلا عمالقة المعرفة التقنية وخبراء الحوسبة الإلكترونية.

٤- تدني قيمة المعاملات التي تتم بالعملات الرقمية مقارنة بما يتم التعامل به بالنقود النمطية، فبالرغم من الهالة الإعلامية التي رافقت بعض العملات الرقمية إلا أنها لا زالت ضئيلة جدا.

أما مزايا وإيجابيات الاقتصاد الرقمي، فتبرز من خلال النقاط الآتية^(١):

١- تدني تكلفة تنفيذ المعاملات التي تجري من خلال التعامل بالعملات الإلكترونية، باعتبار غياب الرسوم بشكل كامل عند إجراء المعاملة بها، أو استحصال رسوم قليلة جدا؛ مقارنة بالتكلفة الكبيرة لتنفيذ المعاملات المالية بشبكات التحويل المالية.

٢- تدني مخاطر الاحتيال والسرقة في معاملات العملة الإلكترونية تعد ميزة يوفرها الاقتصاد الرقمي؛ لطبيعة الأمان المحكم، لأنه مؤمن من خلال نظامي تعميمية

(١) التجارة في مستقبل الثورة الرقمية- العرب والتحدي القائم، مجلة العربي، ٢٠٠٤م، ص ٢٨٤. مقدمة في الاقتصاد الرقمي، د. جعفر حسن جاسم، ص ٣٨٦. اللامركزية في الاقتصاد الرقمي، مناهل ثابت، جريدة البيان، ٢٣/١٠/٢٠١٧م.

وتشفير كاملين، إذ يمتلك مستخدمو العملة الإلكترونية تحكما إلكترونيا كاملا في معاملاتهم؛ يمنع فرض رسوم عليهم غير معلن عنها مسبقا.

٣- يتيح الاقتصاد الرقمي ميزة الإفصاح والحياد والشفافية للمعلومات الخاصة بمعاملات العملة الرقمية، والتي تكون متاحة بسلسلة من الأقفال الإلكترونية (البلوكات) لمن يستخدمها ويستوثق منها بشكل لحظي.

٤- ومن مزايا الاقتصاد الرقمي أنه لا يعتمد في تعاملاته على الأجهزة والمعدات والمصانع، وإنما يعتمد التعامل مع العقول البشرية بشكل أساسي، وإن كانت هذه العقول تعتمد على نظم الحوسبة الدقيقة؛ إلا أنها متوقفة على تحكم الإنسان نفسه.

٥- القنوات المفتوحة أمام المستهلك على مدار الساعة، وعدم التقيّد بوقت فتح المتاجر وإغلاقها، وقرّبها وبعدها، وما يترتب على ذلك من عوائق وجود مواقف السيارات وتأمين المواصلات، وما شابه هذه الأمور.

٦- تحسين خدمة الزبائن وتسهيل عمليات الدفع وتولي توصيل المنتج من قبل جهة البيع.

٧- تنويع الخيارات أمام المستهلك من خلال تنوع صور ومنافذ البيع بما فيها المزايدات الإلكترونية.

٨- التوفير في رأس المال عن طريق تخفيض عدد المحلات والموظفين واختصار الاتصال عن طريق الانترنت بدلا عن الهاتف الأعلى كلفة.

٩- عدم الاقتصار على السلع الموجودة في الأسواق المحلية، إنما فتح المجال أمام الأسواق العالمية بتكاليف قليلة.

١٠- زيادة العائد على استثمارات أصحاب الأسهم والملاك.

١١- قطع الطريق أمام المحتكرين الذين يسعون إلى فرض تعريفات باهضة لتسويق سلعهم والخدمات التي يقدمونها.



المبحث الثاني

ضوابط الاقتصاد الرقمي الشرعية

**المطلب الأول: آلية توليد النقود بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي وتأثيرها
بالاقتصاد الرقمي:**

أولاً: آلية توليد النقود في الاقتصاد الوضعي:

يسعى موظفو البنوك بكل ما أوتوا من قوة إلى تقديم خدمات بنوكهم المتمثلة بتقديم القروض النقدية المغرية! لدرجة الدهشة أحياناً؛ فما هو الدافع لهذا الإصرار؟ وهذا يرجع إلى الوظيفة الرئيسة للبنوك القائمة على مبدأ (الوساطة المالية) المتمثلة باختصار شديد؛ بسحب وجذب الودائع من أصحاب الأموال، وتقديمها بشكل قروض إلى رجال الأعمال والجمهور بشكل عام.

وطبيعة هذه القروض تؤدي إلى توليد النقود في البنوك من خلال صور معينة، نختار منها واحدة-بما يتوافق وحجم المساحة المقررة لهذه الدراسة المختصرة- وهي اقتطاع نسبة الاحتياط النقدي الإلزامي التي تتراوح من ١١-١٢٪ عادة؛ والتي يفرضها البنك المركزي كمعدل ثابت على كل بنك تقريباً لضمان حقوق المودعين من التقلبات المالية المحتملة. إذ يتم اقتطاع ما يعادل نسبة ١٢٪ عن كل مبلغ يتم إيداعه في البنك، مع بقاء الباقي من أصل المبلغ رهن تصرف البنك؛ وإمكانية تقديمه كقروض لمن يرغب من المتعاملين معه. وهذه العملية بطبيعة الحال تولد أموالاً أخرى. ويمكن أن تمثل لها من خلال قيام زيد من الناس بإيداع مبلغ

١٠٠٠ درهما مثلاً في بنك ما، فإنه سوف يتم حجز ما يساوي ١٢٠ درهما وفق نسبة الاحتياط الإلزامي والبالغة بحدود ١٢٪. وبقاء مبلغ ٨٨٠ درهما في حساب البنك الذي بإمكانه أن يقدمه لمقترض جديد. فإذا قام بهذه العملية فإن الـ ١٠٠٠ درهم تبقى في سجلات البنك ديناً على البنك في حساب المودع (زيد)، وبإمكان البنك أن يقدم المبلغ المتقيد (٨٨٠) درهما لمقترض جديد؛ وهذا المقترض الجديد بإمكانه أن يقوم بإيداع مبلغ (٨٨٠) درهما في بنك آخر، فيقوم البنك الجديد باقتطاع مبلغ ١٠٤ درهم عن نسبة ١٢٪ كاحتياطي نقدي من أصل المبلغ، ليتبقى لديه مبلغ ٧٧٦ درهماً الذي بإمكانه أن يقرضه لمقترض آخر، فيقوم هذا المقترض بإيداعه بمصرف جديد آخر وليقتطع منه النسبة المئوية المقررة، وهكذا تستمر العملية، لتصبح المائة دولار في النهاية ما تقارب أربعة أضعافها تقريباً، بسبب التوالد المستمر للنقود بهذه الطريقة.

ولا يخفى ما شكلته القروض من أزمات مالية عالمية دورية في التاريخ المعاصر على مدى المائة عام الماضية، والتي اتسمت أضرارها بالخطورة تارة والخطورة الشديدة تارة أخرى على واقع الاقتصاد العالمي، بسبب الآلية التي تقوم عليها المؤسسات المالية في عملها الرئيس المتمثل بـ (الوساطة الاستثمارية) في كونها الجهة الوسيطة بين رأس المال والعمل، أي بين أصحاب رؤوس الأموال غير القادرين على استثمار أموالهم في مشاريع ناجحة، وبين رجال الأعمال الذين يملكون الخبرة والدراسة وعنصر المخاطرة التي تمكنهم من تنفيذ مشاريع ناجحة إلا أنهم بحاجة إلى الأموال لتمويل مشروعاتهم. وقد تسبب نظام الوساطة المالية في إدخال

المجتمعات في أزمات مالية قاسية، بسبب الإخلال بوظائف النقود المعروفة^(١). حيث عمدت البنوك إلى استقطاب الأموال من المودعين؛ مقابل فائدة مقطوعة، ومن ثم إقراضها للمقترضين منها؛ مقابل فائدة مقطوعة، ما يعني تحول النقود إلى ديون، وعند عجز المدين عن السداد، يتم بيع هذه الديون عن طريق توريقها بفائدة وإعادتها نقوداً، مما يعني تكوّن نقود وهمية مضاعفة على الحسابات الورقية فقط، للنقود الحقيقية المودعة^(٢). من جهة ثانية فإن هذه الديون الناشئة المتراكمة، قد أدت بطبيعة الحال إلى تراكم ثروات وهمية لا وجود لها؛ وإنما ينحصر وجودها كرقم داخل الحواسيب أو على الورق؛ وقد أدت هذه الحسابات الوهمية إلى مسألة بيع المشتقات المالية والخيارات والمستقبليات وغيرها من أدوات الاقتصاد المالي التي ساعدت على ارتفاع نسبة التضخم وحصول الانهيارات الدورية المتتالية في الاقتصاد التقليدي.

وقد ساعد الاقتصاد الرقمي على زيادة هذه الفجوة من خلال اعتماد آلية إصدار الشركات العالمية للبطاقات الائتمانية بطاقتها المغطاة بسقف محددة، فعلى سبيل المثال لو تم إصدار بطاقة ائتمانية بقيمة ٢٠٠٠ دولار، فإنها سوف تصدر ما يقابل سقفها من أشباه النقود! بمعنى لو تم إصدار ٧٥ مليون بطاقة ائتمان، فكل بطاقة منها مصدرة بسقف ائتماني يساوي ٢٠٠٠ دولار، وهذا يعني وجود ١٥٠ مليار دولار في السوق من ناحية القوة الشرائية، ولكنه غير موجود كنقد حقيقي! وهو

(١) كما ستتم الإشارة إليها باختصار إلى وظائف النقود في ص ٢٥.

(٢) النظام المصرفي، مادة تطبيقية متوافقة مع شهادة المصرف الإسلامي المعتمد، د. عز الدين خوجة، المجلس العام للمؤسسات المالية الإسلامية، ص ٤٥.

ما يطلق عليه مصطلح أشباه النقود، علماً أن بطاقات (فيزا) وحدها - على سبيل المثال - قد بلغت قرابة (٨٧, ١) مليار بطاقة في العالم^(١).

ثانياً: آلية توليد النقود حسب قواعد وأسس الاقتصاد الإسلامي:

أكدت الشريعة الإسلامية الغراء على أهمية النقود ورغبت في استعمالها من خلال وسائل عدة، منها تضييق التعامل في السلع المتشابهة كلما كانت متماثلة في جنسها و صنفها، إذ عدتها من الربا المحرّم؛ وتشجيع استخدام النقود بدل مبادلة السلع مع بعضها؛ إذ نلاحظ أن السلع المتبادلة التي تتعلق بربا الفضل (البيوع) - على سبيل المثال - كلما كانتا متماثلتين شُددت الشروط الشرعية وزيّدت القيود عليها، بحيث:

١- تجب فيها الفورية في التقابض.

٢- والمساواة في المقدار.

بينما تخف هذه القيود والشروط كلما اختلف الجنس والصنف في السلع المتبادلة، وفي ذلك كله تشجيع على إدخال النقود واستخدامها في السوق مقابل السلع والخدمات وسائر المعاملات المالية التي يتم فيها التبادل بين الأطراف من البيع والشراء؛ لما للنقود من دور مهم في حياة الناس، وعدم الاكتفاء بنظام المقايضة الذي كان سائداً قبل أن يهتدي الإنسان إلى استخدام النقود لتكون بديلاً عنها.

(١) موت النقود، جويل كارترمان، ترجمة د. محمد سعود العصيمي، دار الميمان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢م، ص ٥٦. والإحصائية المذكورة تعود إلى قبل سنة ٢٠١٢ حسب المصدر.

ونلمح ذلك من تأكيد النبي ﷺ في الحادثة المشهور المعروفة بتمر خيبر، حيث استعمل عليه الصلاة والسلام رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال له رسول الله ﷺ: (أكل تمر خيبر هكذا)؟ فقال: لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين بالثلاثة فقال النبي ﷺ: (لا تفعل، بع الجمع بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنيباً)^(١)، فنلاحظ أنه على الرغم من أن المحصلة النهائية لكلا المعاملتين واحدة؛ من حيث تحقق حصول الصاع الجيد من التمر مقابل الصاعين الرديئين منه، سواء بالمبادلة أم بالنقود، إلا أن تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم وحثه على استعمال النقود في المعاملة بمرحلتها - البيع ثم الشراء - لا يخفى، وتعليله لربوية المسألة كما ذكرها نصابي رواية أخرى واضحة تمام الوضوح، كما جاء برواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال، جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر برني، فقال له النبي ﷺ: (من أين هذا)؟ قال بلال: كان عندنا تمر ردي فبعنا منه صاعين بصاع لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ عند ذلك: (أَوْهَ أَوْهَ عَيْنُ الرِّبَا؛ عَيْنُ الرِّبَا، لا تفعل ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به)^(٢). يتبين لنا من ذلك أن للنقود في الشريعة الإسلامية وظائف تتمثل بكونها:

١- وسيطا للتبادل.

٢- ومقياسا للتقييم.

(١) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، عند البخاري برقم ٤٠٠١، وعند مسلم برقم ١٥٩٣.

(٢) متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عند البخاري برقم ٢١٨٨، وعند مسلم برقم ١٥٩٤.

٣- ومستودعا للمدخرات.

ووظائف النقود هذه ليست خاصة أو مقتصرة على الشريعة الإسلامية فحسب؛ بل هي وظيفتها الرئيسة العامة في الاقتصاد الوضعي كذلك، والتي يتفق فيها الاقتصاد الإسلامي مع النظرية الرأسمالية في دور ووظائف النقود، ولكنه يرفض أن تصبح سلعة يتاجر فيها، فأى زيادة تتولد عن توظيف النقود بمجرد إقراضها عبر الزمن تعتبر من الربا المحرّم، ولا تستحق النقود العائد عليها إلا إذا امتزجت مع العمل، وكذلك لا يمكن أن يكون لها ربح مشروع إلا إذا ساهمت فعليا في عمليات الاستثمار وتحمل تبعاته وإيجاد وتداول الثروات. وتعد العبارات المتداولة (النقود لا تلد النقود) و(النقود عقيمة) وغيرها من الأدبيات المهمة التي قام عليها الفكر الاقتصادي الإسلامي في تأكيد هذا الجانب، وحثه الدائم على أهمية العمل، وأنه البوابة الأوسع لكسب الإنسان^(١)، وهذا ما نلاحظه في كثير من النصوص الشرعية المؤكدة على أهمية العمل، وكيف كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعملون ويقتاتون من كسب أيديهم. ومن هنا حرّم الإسلام الربا؛ لأنه يجعل المرابي عاطلا عن العمل، معتمدا ومكتفيا بما يرد إليه من فوائد أمواله الربوية، التي يلزم المدين في تحصيلها وتقديمها للمرابي، إلى أن يصير المال كله في النهاية إليه! وهذا ما أكده الاقتصاديون الغربيون المنصفون أنفسهم؛ إذ ذكر الدكتور شاخت مدير بنك الرايخ الألماني الأسبق: أنه بعملية غير متناهية يتضح أن جميع مال الأرض صائر إلى عدد

(١) لا يخفى أن العمل هو إحدى طرق الكسب في الشريعة الإسلامية الغراء، وهناك طرق أخرى منها: الإرث والهبة والتولد من المملوك وغيرها.

قليل جداً من المرابين، ذلك أن المرابي يربح دائماً في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة، ومن ثم فإن المال كله في النهاية يؤول بالحساب الرياضي إلى الذي يربح دائماً، وهو أمر مرفوض لأنه غير عادل^(١).

المطلب الثاني: مسيرة النقود ومراحل تطورها من المعدن النفيس إلى الفضاء الرقمي:

يمكن أن نقسم المراحل التي مرت بها النقود في مسيرتها إلى مرحلتين رئيسيتين؛ هما:

أولاً: مرحلة النقود المقيّمة بالذهب والفضة:

معلوم أن النقود كظاهرة اجتماعية كانت موجودة قبل الإسلام، فقد اخترعها السومريون في العراق قبل نحو خمسة آلاف عام، وقد ارتبطت تاريخياً باقتصاد المبادلة وإنتاج السوق، ومنذ ذلك التاريخ وحتى مطلع السبعينيات من القرن الماضي ظلت تؤدي دورها التقليدي المعروف، بما في ذلك العصر الجاهلي، فقد كانت (دنانير هرقل ترد على أهل مكة في الجاهلية، وترد عليهم دراهم الفرس البغلية، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر)^(٢)، وكذلك استمر الحال في عصر الرسالة؛ إذ تعامل النبي ﷺ بهذه العملات ولم يبلغها كما كانت الزكاة والجزية وسائر معاملات البيوع الأخرى تتم في عهد النبي ﷺ بهذه العملات من دون نكير منه^(٣)، حيث كانت النقود تصنع من

(١) الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، د. بلال صلاح الأنصاري، مركز الدراسات العربية، القاهرة، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص ١٣٥.

(٢) فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٥٧١، والتبر هو الذهب غير المضروب.

(٣) تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، حسان علي حلاق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٢١.

الذهب والفضة، فقد كان يطلق على الدينار (الذهبي) لأن وزنه من قيمته الذهبية، والدرهم (الفضي) لأن وزنه من قيمته الفضية المصنوعين منه.

وهكذا كان يتم التبادل بالبيع والشراء بين الناس على هذا الأساس حصراً، وبسبب وجود بعض السلع منخفضة القيمة التي يحتاج إليها الناس عادة، والتي لا يمكن تقييمها بالفضة ولا بجزء منها - التي هي أقل من الذهب غالباً - تم التوافق على ما يشبه النقود، يقول المقريري: (إن النقود التي تكون أثماً للمبيعات وقيماً للأعمال إنما هي الذهب والفضة فقط، ولا يعلم في خبر صحيح ولا سقيم في أمة من الأمم، ولا طائفة من طوائف البشر أنهم اتخذوا أبداً في قديم الزمان ولا حديثه نقداً غيرهما، إلا أنه لما كانت في المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم أو بجزء منه، احتاج الناس من أجل هذا في القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات، ولم يسم أبداً ذلك الشيء الذي جعل للمحقرات نقداً البتة فيما عرف من أخبار الخليقة، ولا أقيم قط بمنزلة أحد النقدين)^(١). ويبين الإمام الغزالي أهمية وجود مثل هذا الوسيط من غير الذهب والفضة في تقييم السلع المتفاوتة وتبادلها بقوله: (من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج

(١) النقود الإسلامية؛ المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تقي الدين أحمد بن علي المقريري، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ٨.

إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير إذ لا يبذل صاحب الجمل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة^(١).

ومن المهم أن نذكر باختصار أنه بعد عصر الرسالة مرت النقود بمراحل يطول شرحها بداية من زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) الذي يعد أول من ضرب النقود، ثم توالى من بعده بصور مختلفة حتى توسعت الأمصار وبرزت مشكلة الغش وتزييف النقود وتزويرها في بعض الأقاليم، إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أطلق عليه المؤرخون لقب (أول مصلح نقدي) للدور والإجراءات الحاسمة التي اتخذها في السيطرة على النقود المزيفة وتوحيدها ومنها تعيين بيوت ضرب النقود، وإنقاص عددها، من أجل السيطرة والرقابة المركزية عليها. ثم تبعه بعده ابنه هشام عبد الملك بالحزم نفسه في هذا المجال^(٢).

ثانياً: مرحلة انتهاء عصر النقود المقيّمة بالذهب وظهور العملات المتنوعة:

استمر الحال على الطريقة الأنفة الذكر من حيث كون فكرة النقود تساوي في قيمتها الكليّة للمعدن الثمين على اختلاف في الأشكال والصور حسب العصور والدهور والحقب المختلفة طوال هذه القرون إلى العصر الحديث، حيث تقلص دور المعدن الثمين مقابل النقد؛ وأصبح بضاعة عادية في الوقت الذي درجت المصارف

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ٩١/٤.

(٢) الدرهم الأموي المعرب، ناصر بن محمود النقشبندي ومهاب درويش البكري، وزارة الإعلام، جمهورية العراق، ١٩٧٤م، ص ٧٤.

المركزية شيئاً فشيئاً بعدم استعمال الذهب كأداة احتياطية رئيسة أو وسيلة للتسوية^(١). وبهذا انتهى دور الذهب وأخرج من النقد الدولي بعد أن سقط عنه السعر الرسمي وأصبح كأى سلعة يتحدد سعرها بناء على أحوال العرض والطلب^(٢).

وقد قضى بعض الاقتصاديين بموت النقود التي عرفها الإنسان منذ آلاف السنين، وانقضى عصر النقود المستقرة القيمة بصدور قرار الرئيس الأمريكي نيكسون في ١٥ أغسطس ١٩٧١م الذي فصل العلاقة بين الدولار والذهب، حيث كانت أوقية الذهب تعادل ٣٥ دولاراً، وأغلقت نافذة الذهب التي كان يتم من خلالها للحائزين على الدولار خارج أمريكا تحويله إلى ذهب^(٣). ثم حل الورق النقدي بدل الذهب الذي تمثل بعملات الدول المختلفة والتي اصطلح على تسميتها بالبنكوت من الدينير والريالات والدولارات وغيرها زيادة إلى النقود المساعدة التي تمثلت بأجزائها من الفلسات والقروش والسنتات وغيرها وأصبحت نقوداً ائتمانية، وقد درجت على هذا الشيء النظم النقدية الحديثة كافة، بحيث اعتمدت على النقود الائتمانية كأساس في نظمها النقدية؛ التي لا تقوم -هذه النظم- بأي محاولة لربط قيمة نقودها بأي سلعة من السلع، بل تتوقف كمية المعروض على قرار السلطات النقدية في كل دولة^(٤). بعد ذلك تقرر رسمياً في مؤتمر جامايكا عام ١٩٧٦م لمجلس محافظي صندوق النقد الدولي إلغاء السعر الرسمي للذهب، ونزع

(١) أوهام وحقائق حول الأزمة النقدية العالمية، غيوم كندي، ترجمة هشام متولي، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٧٩م، ص ٧٤.

(٢) التاريخ النقدي للتخلف، رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة ١١٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٤٠٨هـ، ص ٢٤٥.

(٣) موت النقود، جويل كارتزمن، ترجمة د. محمد العصيمي، ص ١٧.

(٤) النقود والبنوك، سامي خليل، شركة كاظمة للنشر، الكويت، ١٩٨٩م، ص ٦٨.

الصفة النقدية منه، وإبداله بعملة الدولار والذي يرمز له بالرمز SDR لتصبح الأساس في الأصول الاحتياطية لنظام النقد الدولي^(١).

وبعد هذه المرحلة بدأ ظهور نوع جديد من النقود بعد هذا التحول الكبير الذي تزامن مع ظهور وانتشار الأنترنت، والذي أدى إلى تزايد هائل في حجم المعاملات الدولية، فظهرت البطاقات الائتمانية والنقود الإلكترونية التي تقوم بوظيفة النقود بمعاملات البيع والشراء كاملة، عن طريق أجهزة الدفع الآلي عبر البطاقات الائتمانية، والتي تندرج ضمن منظومة الاقتصاد الإلكتروني الرقمي.

المطلب الثالث: آلية عمل الاقتصاد الرقمي وحكمه الشرعي:

أولاً: تصور عام عن طبيعة الاقتصاد الرقمي وعلاقته بعالم المال والأعمال:

يشبه الاقتصادي (جويل كار تزن)^(٢) آلية عمل شبكات الأنترنت وطريقة تواصلها مع بعضها على مدار الساعة من خلال ملايين أجهزة الحاسبات بمختلف أشكالها بشبكات دماغ الإنسان والشبكات الداخلية للمخ^(٣)؛ حيث تتواصل كلها في رقصة إلكترونية متوازنة منتجة إيقاعاً لارتفاع السوق وانخفاضه الذي لا يختلف

-
- (١) مقدمة في النقود والبنوك، محمد زكي شافعي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٥١.
- (٢) اقتصادي متخصص، وكان يشغل رئيس تحرير قسم مراجعات الأحد (Sunday review) في جريدة نيويورك تايمز، ثم تولى رئاسة تحرير مراجعة الأعمال في جامعة هارفارد سنة ١٩٩٣م. ينظر كتابه (The Death Of Money) موت النقود الذي ترجمه إلى العربية، د. محمد بن سعود العصيمي، وقامت بنشره دار الميكان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ضمن سلسلة مطبوعات المجموعة الشرعية لبنك البلاد، ص ١٥. ويعد أحد الكتب المرجعية المهمة التي تنبأت بالكثير من الأحداث الاقتصادية المهمة من حصول الأزمات المالية والاختلالات الهيكلية في عصب الصناعة المالية التقليدية في وقت مبكر من حدوثها.
- (٣) مع التحفظ على هذا التشبيه من حيث إن صنع الله تعالى لا يضاهيه صنع آخر.

كثيراً عن إيقاع نبضات مخ الإنسان، إذ ينتقل النقد في صورته الجديدة من حاسوب إلى آخر مثلما تنتقل النبضات العصبية عبر الأعصاب من عقدة عصبية إلى أخرى، ولكن في حالة النقود كلما قام إلكترون بالقفز تم تبادل وحدات من القوة الشرائية، كبيرة وصغيرة، ويتم معها تبادل السلع والثروات والأحلام والقوة. وكل يوم يتم تبادل أكثر من ١٩ تريليون دولار إلكتروني بسرعة الضوء، هذه الدولارات تظهر كلمحات سريعة على الشاشات^(١).

إن مجرد تصور حجم المبادلات التي تتم من خلالها كمية النقود ليس بالأمر الهين، فكل ثلاثة أيام تمر من النقود عبر شبكات الألياف الضوئية في شوارع المدن الكبرى؛ مثل نيويورك ما يساوي الإنتاج السنوي لكل شركات أمريكا مع كل قواها العاملة، وكل أسبوعين يمر عبر شبكات نيويورك الناتج السنوي لكل العالم، كما أن مجاميع شبيهة بتلك الكميات تمر عبر شوارع طوكيو ولندن وفرانكفورت وشيكاغو وهونك كونك، وكلها تمر تحت البحر وتنعكس في طبقات الجو^(٢).

إن حقيقة العالم الرقمي اليوم شبيهة بالحقوق المشاعة في أراضي الرعي منه إلى الاقتصاد؛ إذ إنه مثله مثل الأراضي الموجودة في مدينة قديمة مثلاً، لا تملكها الدولة وإنما تعود ملكيتها لأشخاص يستفيدون منها، لأن أغلب مستخدمي العالم الرقمي (الإلكتروني) هم أصحاب مؤسسات القطاع الخاص كشركة (آي بي إم) و(إم سي

(١) هذه الإحصائية تعود إلى العقد الأخير من القرن الماضي، كما أشار إلى ذلك المؤلف، فما بالنابقيمة حجم التبادل اليوم!

(٢) موت النقود، جويل كارتزمن، ص ٢٢-٢٣ بتصرف.

آي) و(فيزا) و(ماستر) وغيرها لأن هذه الشركات هي التي تملك القنوات التي تمر عبرها المعلومات^(١).

ثانياً: حكم التعامل الشرعي بوسائل وآليات الاقتصاد الرقمي:

تصوّر بعض الأفراد أن مصطلح الاقتصاد الرقمي يقتصر على النقود الإلكترونية، وهذا يرجع - فيما يظهر للباحث - بسبب الارتفاع الصاروخي الأخير للعملة الرقمية (البتكوين) في الآونة الأخيرة، وإلا فالواقع أن مصطلح الاقتصاد الرقمي مصطلح واسع وشامل يرتبط بالثورة المعلوماتية الهائلة التي تميز بها عصرنا الحالي؛ وله أكثر من مسمى، كما وضحنا هذا في بداية هذه الدراسة^(٢). وبناء على ما تقدم فإن الاقتصاد الرقمي يمثل المظلة الرئيسة التي اختصرت تحتها المسافات الشاسعة والأوقات الطويلة والجهود المضنية، والذي شكل طفرة عملية في واقع الأفراد والمؤسسات والدول؛ وخاصة الساعية منها إلى الريادة التي باتت في سباق محموم في مواكبة تطوراتهِ وطفراتهِ، وما النقود الإلكترونية إلا إحدى وسائله وآلياته التي يعتمد عليها في عمله، وإلا ففيها أكثر من صورة، ومن أشهرها البطاقات الممغنطة الائتمانية التي يعتمدها الاقتصاد الرقمي كذلك؛ بل والتي ما تزال تمثل الجانب الأكبر في تعاملاته، والتي يتم التعامل بها من قبل جمهرة كبيرة من الناس بمختلف دول العالم، إذ تقوم بوظيفة النقود في محلات السوبر ماركت ومحطات التزود بالنقود والفنادق والمطاعم وما إلى ذلك، وتتم كل هذه المعاملات الرقمية

(١) المصدر نفسه.

(٢) كما في الصفحات من ٧ - ٩ من هذه الدراسة.

بسرعة الصوت وتخرق البحار والمحيطات عبر الأسلاك أو بالبث في الفضاء عبر الأقمار الصناعية في الليل والنهار على مدار الأربع والعشرين ساعة يوميا بشكل متصل، ويصل حجم هذه المعاملات المالية الرقمية إلى أكثر من ١٠٠٠ ألف مليار دولار يوميا^(١)، تمثل ما نسبته ٥, ٢٪ من قيمة هذه المعاملات ما يرتبط منها بالاقتصاد الفعلي والتجارة العينية، أي بما يعادل ٢٥ مليار دولار فقط، أما باقي المعاملات فتتم في أوعية وهمية مشتقة تهدف إلى تحقيق الزيادة في الأموال من خلال تقلبات الأسعار والمضاربة بينها في الاقتصاد المالي المجرد.

وفي المحصلة فإن الاقتصاد المالي أصبح في زيادة تضخمية هائلة؛ ساعد الاقتصاد الرقمي على ذلك وشجعه، بل يعد المحرك الرئيس له، في زيادة حجم المعاملات التي تجري على أجهزة الحاسب الآلي من مضاربات تعتمد على المشتقات المالية والخيارات والمستقبلات وغيرها من التعاملات؛ التي تقوم أساساً على فكرة إعادة بيع الدين وجدولته؛ والذي يدخل في صميم باب الربا المحرم بالكتاب والسنة، والتي لا تكاد تستند إلى أي إنتاج حقيقي، إلا بنسبة ضئيلة جدا.

أما بالنسبة لأهم المعاملات المالية المباحة المرتبطة بالاقتصاد الرقمي، فنشير إليها مع بيان المستند الشرعي؛ الذي يمثل الاجتهاد الجماعي المؤسسي المعاصر، كون أغلب هذه المعاملات أو جميعها تعد من المستجدات التي تحتاج إلى قرار جماعي واضح في بيان الحكم الشرعي الخاص بها، وقد جمعتها على النحو الآتي:

(١) من الجدير بالذكر أن هذه الإحصائية لقيمة التعاملات الرقمية صدرت في أواخر القرن الماضي قبل دخول الألفية الثالثة.

١- المسألة الأولى: بيان حكم إجراء العقود من خلال الأجهزة الإلكترونية بين طرفين في مكانين متباعدين.

٢- المسألة الثانية: بيان حكم التعامل بالبطاقات الائتمانية خلال عمليتي البيع والشراء واعتماد أجهزة الدفع الآلي.

٣- المسألة الثالثة: بيان حكم التعامل بالنقود الإلكترونية.

وسنين القرارات المجمعية والمعايير الشرعية الصادرة بحققها باختصار، باستثناء الفقرة الثالثة التي لم يصدر بها شيء يتعلق بالاجتهاد الجماعي المؤسسي إلى الآن فيما يبدو على مستوى المجامع الفقهية أو هيئة المعايير الشرعية؛ وكل ما صدر بشأنها فهو على مستوى الأفراد، وهي على النحو الآتي:

١- المسألة الأولى: فيما يتعلق بمسألة إجراء العقود من خلال الأجهزة الإلكترونية، والذي يتمثل في صور كثيرة جدا في عصرنا الحالي، فإن الجدل الدائر حولها يعد محسوما سلفا من خلال قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي بجدة الخاص بحكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، والذي استثنى بعض العقود المخصوصة مثل النكاح والصرف والسلم؛ حيث أشار إلى ضابط كل معاملة مع كل عقد في نص القرار الذي نص على ما يلي^(١):

أولا: إذا تم التعاقد بين غائبين لا يجتمعهما مكان واحد، ولا يرى أحدهما الآخر معاينة، ولا يسمع كلامه، وكانت وسيلة الاتصال بينهما الكتابة أو الرسالة

(١) موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، التابع لمنظمة التعاون الإسلامي المرقم ٥٢ (٦/٣) كما احتوته مجلة المجمع بعددها السادس، ٢/٧٨٥. <http://www.iifa-aifi.org>

أو السفارة (الرسول)، وينطبق ذلك على البرق والتلكس والفاكس وشاشات الحاسب الآلي (الحاسوب)، ففي هذه الحالة ينعقد العقد عند وصول الإيجاب إلى الموجّه إليه وقبوله.

ثانياً: إذا تم التعاقد بين طرفين في وقت واحد وهما في مكانين متباعدين، وينطبق هذا على الهاتف واللاسلكي، فإن التعاقد بينهما يعتبر تعاقداً بين حاضرين، وتطبق على هذه الحالة الأحكام الأصلية المقررة لدى الفقهاء.

ثالثاً: إذا أصدر العارض، بهذه الوسائل، إيجاباً محدد المدة يكون ملزماً بالبقاء على إيجابه خلال تلك المدة، وليس له الرجوع عنه.

رابعاً: إن القواعد السابقة لا تشمل النكاح لاشتراط الإشهاد فيه، ولا الصرف لاشتراط التقابض، ولا السلم لاشتراط تعجيل رأس المال.

خامساً: ما يتعلق باحتمال التزيف أو التزوير أو الغلط يرجع فيه إلى القواعد العامة للإثبات.

وقد ناقش المعيار رقم (٣٨) الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية المسألة بشكل مستفيض بالجوانب المتعلقة بها من مختلف جهاتها، حيث تناول بيان الأحكام المتعلقة بإبرام العقود المالية باستخدام شبكة الأنترنت، سواء ما تعلق منها بإنشاء المواقع التجارية، أم بتقديم خدمة الاتصال بها، وبيان التكييف الشرعي لإبرام العقود باستخدامها، وتحديد زمان انعقاده بهذه الوسيلة،

وبيان ما يتعلق بالقبض من أحكام عند إبرام العقود بالإنترنت، إضافة إلى بيان الأحكام الشرعية بحماية التعاملات المالية التي تبرم عبر الشبكة^(١).

٢- المسألة الثاني: أما ما يتعلق بالتعامل البطاقات الائتمانية، فقد حسم مجمع الفقه الإسلامي المسألة من خلال إصداره للقرار الآتي^(٢):

أولاً: لا يجوز إصدار بطاقة الائتمان غير المغطاة، ولا التعامل بها، إذا كانت مشروطة بزيادة فائدة ربوية، حتى ولو كان طالب البطاقة عازماً على السداد ضمن فترة السماح المجاني.

ثانياً: يجوز إصدار البطاقة غير المغطاة إذا لم تتضمن شرط زيادة ربوية على أصل الدين.

ويتفرع على ذلك:

أ- جواز أخذ مصدرها من العميل رسوماً مقطوعة عند الإصدار أو التجديد بصفتها أجراً فعلياً على قدر الخدمات المقدمة منه.

ب- جواز أخذ البنك المصدر من التاجر عمولة على مشتريات العميل منه شريطة أن يكون بيع التاجر بالبطاقة يمثل السعر الذي يبيع به بالنقد.

(١) المعايير الشرعية، النص الكامل للمعايير الشرعية التي تم اعتمادها حتى صفر ١٤٣٧ هـ ديسمبر ٢٠١٥ م، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، AAOIFI، دار الميكان، الرياض، ص ٩٥٩ - ٩٧٨.

(٢) موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، قرار رقم: ١٠٨ / ٢) بشأن موضوع، بطاقات الائتمان غير المغطاة <http://www.iifa-aifi.org>

ثالثاً: السحب النقدي من قبل حامل البطاقة اقتراض من مصدرها، ولا حرج فيه شرعاً إذا لم يترتب عليه زيادة ربوية، ولا يعد من قبيلها الرسوم المقطوعة التي لا ترتبط بمبلغ القرض أو مدته مقابل هذه الخدمة. وكل زيادة على الخدمات الفعلية محرمة لأنها من الربا المحرم شرعاً.

رابعاً: لا يجوز شراء الذهب والفضة وكذا العملات النقدية بالبطاقة غير المغطاة. كما صدر بها كذلك المعيار الشرعي رقم (٢) الخاص ببطاقة الحسم وبطاقة الائتمان والذي عرف بكل منهما وبين نوعيهما وخصائصهما، كما قام بوضع القواعد الضابطة للتعامل بهما من قبل المؤسسات المالية والإسلامية وعملائها الذين يحملون بطاقتها ويتعاملون بها، وبين المعيار كذلك الأحكام الشرعية للتعامل بها في حالاتها المختلفة^(١).

٣- المسألة الثالثة: أما ما يتعلق بحكم التعامل بالعملات الرقمية المعماة والتي تم تسليط الضوء عليها من قبل الإعلام أواخر العام الماضي ٢٠١٧ وقد تناولها عدد من الباحثين والدارسين، وقد اختلفت وجهات نظرهم، ولا يزال الجدل محتدماً إلى اليوم بشأنها؛ بسبب صعود قيمتها الصاروخي. وقد صدرت دراسات مختلفة في بيان ماهيتها وبعضها من أحكامها، ولعل من أبرزها الدراسة المختصرة النافعة لشيخنا الدكتور أحمد عبد العزيز الحداد، والتي مال إلى منعها على الأقل؛ في وقتنا الحالي، ويين أن الكثير من هيئات الفتوى في عدد من الدول الإسلامية قد حسمت

(١) معيار رقم ٢، المعايير الشرعية، ص ١٥-٢٦.

أمرها في منعها وعدم التعامل بها، وبيّن أن دائرة الشؤون الإسلامية بدبي ما تزال بصدد دراساتها وخاصة في أعمال هذا المنتدى المبارك، وأرجع ميله إلى المنع إلى الأسباب الآتية باختصار^(١):

١- المخاطرة بالمال على أمل الربح السريع المريع، وقد تكون الخسارة الماحقة، كما كان ويكون مثل ذلك في الأنشطة الإغرائية، فغالباً ما تكون سراباً بقيعة، وفي ذلك محذور شرعي بإضاعة المال الذي يفِيء الله تعالى به على عباده ليتنفعوا به في معاشهم ومعادهم.

٢- الاستثمار المجهول في شيء لا تُعرف حقيقته وماهيته، بل في حسابات رقمية فلكية مشفرة، لا يتقن الدخول فيها إلا عمالقة المعرفة الإلكترونية والمعرفة الرقمية، وليس في شركة إنتاج نافع أو بيع وشراء عملات رسمية ذات ضمان قانوني أو نحو ذلك مما يُتتفع به وله أصل يركن إليه، ولعل ذلك الاستثمار مرتبط بالمافيات الإجرامية.

٣- مخالفة الأنظمة والقوانين الصادرة من أكثر الدول التي منعت تداول «البيتكوين»، وجعلت ذلك من غسيل الأموال المجرّم دولياً.

والواقع أن أغلب الدراسات المعاصرة التي بحثت موضوع النقود الرقمية في صورة العملات الرقمية قد اتفقت على ما تم ذكره أعلاه.



(١) العملات الرقمية والمخاطر المحدقة، د. أحمد عبد العزيز الحداد، الموقع الإلكتروني لصحيفة الإمارات اليوم <http://www.emaratalyoud.com>

الخاتمة

مرَّ الاقتصاد في مسيرته الطويلة بمراحل متعددة؛ اصطُح على تسميتها بمرحلة الاقتصاد الزراعي ثم مرحلة الاقتصاد الصناعي ثم مرحلة الاقتصاد الرقمي أو (الإلكتروني - المعرفي)، والذي أصبح تَطور الدول وتقدمها يُقاس بها وصلت إليه من تقدم في الجانب الإلكتروني، بعد أن كان المقياس يتم بوفرة الإنتاج من الزراعة ثم الصناعة.

وفي ظل تنامي أهمية المعرفة وتداخل العالم وترابطه أصبح الاقتصاد العالمي مستغنيا عن الاقتصاد التقليدي؛ القائم على الاعتماد على الموارد الطبيعية الخام كمصدر أول للثروة، إذ حلت محله المعرفة بمفهومها الواسع، والذي استطاع توظيفها في تنمية موارده الطبيعية بأقل التكاليف. وقد مثَّل الاقتصاد الرقمي بشبكاته مظلة كبرى استطاع أن يغطي مختلف مرافق الحياة، ويأتي من ضمنها الجانب المادي الذي يعد المرتكز الرئيس له.

وقد جاءت هذه الدراسة للإجابة عن بيان مدى توافق الاقتصاد الرقمي؛ والذي تم اختصار مفهومه بظاهرة (العمل عن بعد) مع ضوابط الاقتصاد الإسلامي؛ الذي أولى لوسيلة التبادل (النقود) عناية فائقة، وتتبع مدى هذا الانضباط من عدمه. وقد توصلت إلى ما يلي:

١- الاقتصاد الرقمي عبارة عن نظام بشري، يمكن توظيفه بما يتوافق أو لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية الغراء، حسب القائمين عليه وإرادتهم.

٢- يمثل الاقتصاد الرقمي انتقاله نوعية في تقديم الخدمات وطي المسافات وتقليل التكلفة المادية.

٣- الشريعة الإسلامية الغراء لا تعارض التطور ولا تتصادم معه، إنما تسعى لتحقيق مقاصد وغايات مثلى، متى ما تحققت بنظام دعت إليه وتبنته.

التوصيات:

ومن أجل إيجاد اقتصاد رقمي منضبط بضوابط الشرع الشريف يوصي الباحث بما يلي:

١- إصدار تشريعات خاصة في الدول المتجهة نحو التعامل بالاقتصاد الرقمي تتوافق مع عموميات الشريعة الإسلامية الغراء تنص على ضرورة الابتعاد عن الربا والغرر ومختلف صور أكل المال بالباطل بمختلف التعاملات الرقمية.

٢- توفير قدر معقول من الطمأنينة للأفراد أثناء قيامهم بالتعامل ضمن منظومة الاقتصاد الرقمي، وتأمينهم إذا ما تعرضت المعلومات الخاصة بهم إلى السرقة أو التزوير أو القرصنة.

٣- بيان واقع الاقتصاد الرقمي وحقيقته للجمهور من خلال بث الوعي المجتمعي والتركيز على الجانب الخدمي، والمزايا التي يقدمها في تقليل الجهد والوقت والتكلفة.

٤- بيان جزئية الجانب المالي الرقمي؛ من الكليات العامة للاقتصاد الرقمي بكل

جوانبه، وعدم حصره بما يجري فيه من تبادل العملات الرقمية المعماة؛ على أنها تمثل الاقتصاد الرقمي دون سواه.

٥- اعتماد القرارات الصادرة عن مجمع الفقه الإسلامي وهيئة المعايير الشرعية فيما يتعلق بالتعاملات الإلكترونية، والبطاقات الائتمانية ومسألة القبض الحكمي وبقية الأحكام التي تندرج ضمن واقع الجانب المالي في الاقتصاد الرقمي.



قائمة المصنّاور

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- الإدارة الإلكترونية؛ الاستراتيجية والوظائف والمشكلات، نجم عبود نجم، الرياض، دار المريخ، ٢٠٠٤م.
- الاقتصاد المعرفي، هاشم الشمري، نادية الليثي، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، د. بلال صلاح الأنصاري، مركز الدراسات العربية، القاهرة، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- الاقتصاد، بول آسامويلسون- ويليام د. نورد هاوس، ترجمة هشام عبد الله، مراجعة د. أسامة الدباغ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- إمكانات توجه البلدان العربية نحو الاقتصاد المعرفي، أ. محيي الدين عيسى كاظم، د. مناضل حسن الجوراني، دار الأيام للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- أوهام وحقائق حول الأزمة النقدية العالمية، غيوم كندي، ترجمة هشام متولي، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٧٩م.
- التاريخ النقدي للتخلف، رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة ١١٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- النقود الإسلامية؛ المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

- التبادل الإلكتروني للبيانات، منير محمد الجنيهي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
- التعاقد الإلكتروني عبر الأنترنت، محمد أمين الرومي، دار المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، حسان علي حلاق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- الدرهم الأموي المعرب، ناصر بن محمود النقشبندي ومهاب درويش البكري، وزارة الإعلام، جمهورية العراق، ١٩٧٤م.
- العملات الرقمية والمخاطر المحدقة، د. أحمد عبد العزيز الحداد، الموقع الإلكتروني لصحيفة الإمارات اليوم <http://www.emaratalyoun.com>
- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٥٧١، والتبر هو الذهب غير المضروب.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- اللامركزية في الاقتصاد الرقمي، مناهل ثابت، صحيفة البيان، الموقع الإلكتروني الرسمي لجريدة البيان الإماراتية ٢٣ / ١٠ / ٢٠١٧م. <http://www.albayan.ae>
- مبادئ الاقتصاد الجزئي، إبراهيم سليمان قطف، علي محمد خليل، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن الهيثمي، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- المعايير الشرعية، هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، AAOIFI المنامة - البحرين، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- المعلوماتية واقتصاديات المجتمعات المعاصرة ومواردها البشرية، عبد السلام الدويبي، المجلة الليبية للمعلومات والتوثيق، العدد الأول، ٢٠٠٤ م.
- المعلوماتية واقتصاديات المجتمعات المعاصرة ومواردها البشرية، عبد السلام الدويبي، المجلة الليبية للمعلومات والتوثيق، العدد الأول، ٢٠٠٤ م.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- مقدمة في الاقتصاد الرقمي، د. جعفر حسن جاسم، دار البداية ناشرون وموزعون، الطبعة الأولى، ٢٠١٧ م - ١٤٣٨ هـ.
- مقدمة في النقود والبنوك، محمد زكي شافعي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- موت النقود الذي ترجمه إلى العربية، د. محمد بن سعود العصيمي، وقامت بنشره دار الميمان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- موجبات التنمية الصناعية في الاقتصاد الجديد، مداخلة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الأول للجمعية الاقتصادية العمانية، مسقط، ٢-٣/١٠/٢٠٠٥ م.

- موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، التابع لمنظمة التعاون الإسلامي،

<http://www.iifa-aifi.org>

- النظام المصرفي، مادة تطبيقية متوافقة مع شهادة المصرفي الإسلامي المعتمد،

د. عز الدين خوجة، المجلس العام للمؤسسات المالية الإسلامية.

- نظم المعلومات الإدارية، إيمان فاضل السامرائي، هيثم محمد الزعبي، عمان، دار

الصفاء، ٢٠٠٤م.

- النقود والبنوك، سامي خليل، شركة كاظمة للنشر، الكويت، ١٩٨٩م.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

الاقتصاد الرقمي وأثره في نمط الحياة الإسلامي

إعداد

د. عبد المجيد عبيد حسن صالح

فلاح محمد فهد الهاجري

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه
وسلم، وبعد:

التحولات الواسعة التي يعيشها العالم اليوم من ثورة في العلم والتقنية نتيجة
التطور المستمر والمتسارع في العلم والتكنولوجيا وما يتعلق بها من عمليات
التواصل عن بعد جعل الاقتصاد العالمي يستفيد من السرعة والفعالية التي توفرها
له هذه الثورة العلمية، وكان نتاج هذه التحولات ما يسمى بالعمولة الاقتصادية^(١)
التي جعلت العالم قرية صغيرة عالمية^(٢).

ففي نهاية القرن الميلادي الماضي ظهر ما سُمي بثورة المعلومات (الثورة الرقمية)،
وبرز تأثيرها في الأنشطة الإنسانية عامةً، وكانت ثورة المعلومات تلك في مقدمة
الأولويات لدى الدول الكبرى لتستثمرها في تطوير منظومة الاقتصاد.

وحيث كانت العمولة الاقتصادية نتاج الثورة الرقمية فمن المهم هنا المزج بين
أمرين دقيقين:

(١) تحدث العمولة نتيجة التطور الهائل في وسائل الاتصال بين المجتمعات والدول وانتقال المؤثرات
من بلد إلى آخر بسرعة لم يسبق لها مثيل. الموسوعة العربية العالمية، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة
للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩ م، ج ١٦، ص ٧٢١.

(٢) الاقتصاد الرقمي في الجزائر الفرص والتحديات - دراسة حالة الجزائر -، إعداد
الطالبة سحقي نعيمة إشراف بصيري محفوظ، رسالة دكتوراه، جامعة البويرة كلية
العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير قسم العلوم التجارية، ٢٠١٤ / ٢٠١٥،
ص أ.

الأمر الأول: هو أن العولمة تعني عملية التداخل الثقافي بين أنحاء العالم المختلفة، وما نتج عن ذلك من تأثير ثقافي وسياسي واقتصادي^(١).

الأمر الثاني: تسليط ماهية العولمة على المجال الاقتصادي وفق الإطار المتكون من العصر والذي ينتشر فيه الإنترنت انتشارًا هائلًا.

ونتيجة هذا المزج نتج لدينا ما يسمى بـ «الاقتصاد الرقمي»، والذي شاع فيه مفهوم التجارة الالكترونية والتي أسهمت بدورها في توسيع دائرة حجم التبادل التجاري بين دول العالم إلى غير ذلك من العديد من المزايا، كما أدى الاقتصاد الرقمي إلى ظهور ما يعرف بالبنوك الالكترونية أو الصيرفة الالكترونية^(٢).

وهذه التطورات والميزات السابقة لا تجعل المتمعن في هذا المجال يجزم بأن هذه المنظومة الاقتصادية الرقمية المتطورة كاملة المظهر والجوهر، إذ إنَّ حيازة الدول الصناعية المتقدمة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وللمهارات التي تتطلبها، أعطتها أفضلية اقتصادية واجتماعية كبيرة، مما أدى إلى حدوث فروقات شاسعة بينها وبين الدول النامية عُرِف ذلك الفرق بـ (الفجوة الرقمية)، وهذا المصطلح يشير إلى مدى الهوة بين البلدان النامية والمتقدمة في قدرتها على النفاذ إلى مصادر المعلومات والقدرة أيضًا على الاستفادة.

واستدعى ذلك تنبُّه الدول النامية إلى تركيز اهتمامها على دراسة دور

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٦، ص ٧٢١.

(٢) الاقتصاد الرقمي في الجزائر الفرص والتحديات، ص أ.

قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لماله من دور كبير في تحقيق نموها الاقتصادي^(١).

وهذا التنبه لم يأت من فراغ إذ إنه من المشاهد لدى الكثيرين أن العولمة لم تؤدّ إلى تعددية متساوية أو متوازية في المؤثرات الثقافية والاقتصادية وإنما يعكس الوضع الحضاري العالمي الذي يهيمن فيه النموذج الحضاري الغربي على غيره من النماذج، وإذا كانت هذه الهيمنة لا تقوم على شكل المواجهة المباشرة كما كان في الاستعمار الغربي على الدول العربية في السابق إلا أن المنتجات الغربية الحديثة قد شاعت وانتشرت في البلدان العربية والإسلامية بشكل لا تستطيع هذه البلدان مجاراة تلك المنتجات ويعود السبب في ذلك إلى عدة أمور من أبرزها عدم التكافؤ في المنافسة الاقتصادية، إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً من حيازة تلك الدول الصناعية المتقدمة لمقومات النهضة الاقتصادية في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات^(٢).

وفي خضم ما ذكرناه سابقاً بغض النظر عن المستفيد الأول من المنظومة الاقتصادية المطورة فإنه من المحتم أن الاقتصاد الرقمي سيسيّطر في السنوات القادمة على حساب الاقتصاد الصناعي الذي بدوره قد سحب البساط عن الاقتصاد الزراعي بعد الثورة الصناعية التي غيرت أساليب تنظيم وإدارة النشاط الاقتصادي.

(١) دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق التنمية المستدامة، إعداد الطالب: حسين العلمي، إشراف الدكتور: عكي علوان عومر، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية، قسم إدارة الأعمال والتنمية المستدامة، رسالة دكتوراه، ٢٠١٢-٢٠١٣، ص أ.
(٢) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٦، ص ٧٢١.

لقد حقق الاقتصاد الرقمي نسباً عالية في اقتصاديات عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية والصين^(١).

وفي هذا البحث سيتم تناول مدى تأثير الاقتصاد الرقمي على نمط حياة الناس، ودراسة ذلك إيجابياً وسلبياً.

إشكاليات البحث:

- ١- ما هو مفهوم الاقتصاد الرقمي؟
- ٢- هل يمكن أن يشكل الاقتصاد الرقمي نمط حياة جديد للمجتمع؟
- ٣- ما هي الجوانب الإيجابية للاقتصاد الرقمي؟
- ٤- ما هي الجوانب السلبية للاقتصاد الرقمي؟

فرضيات البحث:

تتطلب إشكاليات البحث أن تُختبر مجموعة من الفرضيات، وهي كالآتي:

(١) وذلك وفق تقرير صدر خلال المؤتمر العالمي الرابع للإنترنت في مدينة ووزن في شرق البلاد واغتنته الحكومة لتعلن أن الفضاء الافتراضي لديها مفتوح مع التشديد على ضرورة فرض رقابة على الإنترنت، ويفيد التقرير الذي نشرته الأكاديمية الصينية لدراسات الانترنت أن الاقتصاد الرقمي الصيني بلغ ٥٨, ٢٢ ترليون يوان (٤, ٣ ترليون دولار) في ٢٠١٦م، وهذا يجعله ثانياً بعد الاقتصاد الرقمي الأمريكي، ويعد وفق التقرير ٣, ٣٠٪ من مجمل الاقتصاد الصيني،، اتبع الرابط:

<http://www.france24.com/ar/20171205-%D8%A7%D984%%D8%A7%D982%%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D984%%D8%B1%D982%%D985%%D98%A-%D98%A%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D984-%D8%AB%D984%%D8%AB-%D8%A7%D982%%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D984%%D8%B5%D98%A%D986%>

- ١- أن الاقتصاد الرقمي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعلومات الإلكترونية.
- ٢- يمكن للاقتصاد الرقمي أن يشكل للمجتمع نمط حياة جديد.
- ٣- أن للاقتصاد الرقمي تأثيراً إيجابياً على جوانب الحياة الخاصة والعامة المتعلقة بالأفراد والمجتمعات.
- ٤- أن للاقتصاد الرقمي بالمقابل تأثيراً سلبياً محدوداً على جوانب الحياة الخاصة والعامة.

أهداف البحث:

- ١- التعريف بالاقتصاد الرقمي وبيان أهميته في واقع الناس، وارتباطه بالثورة المعلوماتية.
- ٢- إبراز الآثار الإيجابية والسلبية في الاقتصاد الرقمي على حياة الناس الخاصة والعامة.
- ٣- التركيز على إيجابيات الاقتصاد الرقمي ومعالجة سلبياته.

خطة البحث:

- يتضمن البحث مقدمة وفصلين وخاتمة:
- فالمقدمة: تتضمن إشكالية البحث وافتراضاته وأهدافه وخطة البحث.
- الفصل الأول: تعريف الاقتصاد الرقمي وأهميته وأهدافه:
- المبحث الأول: تعريف الاقتصاد الرقمي.

المبحث الثاني: الفرق بين الاقتصاد الرقمي والاقتصاد المعرفي.

المبحث الثالث: أهمية الاقتصاد الرقمي.

المبحث الرابع: أهداف الاقتصاد الرقمي.

الفصل الثاني: تأثير الاقتصاد الرقمي على حياة الناس وفق نمط الحياة الإسلامي:

المبحث الأول: التأثير الإيجابي للاقتصاد الرقمي على حياة الناس.

المبحث الثاني: التأثير السلبي للاقتصاد الرقمي على حياة الناس.

المبحث الثالث: الاقتصاد الرقمي وتأثيره في نمط الحياة الإسلامي.

خاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات مع ملخص البحث.



الفصل الأول

تعريف الاقتصاد الرقمي وأهميته وأهدافه

المبحث الأول: تعريف الاقتصاد الرقمي:

جرت العادة أن يتم تعريف المصطلحات المركبة أولاً بتعريف كل مفردة على حدة، ثم تعريف المصطلح كلقب علمي للفن.

فأما الاقتصاد في اللغة: فهو مصدر اقتصد وأصله من القصد ومن معانيه الوسط وقصد في الأمر أي توسط أي لم يكن من أهل الإفراط ولا من أهل التفريط، والاقتصاد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر^(١).

وأما علم الاقتصاد في الاصطلاح فهو: علم يبحث عن أساليب إنتاجية وتوزيعية تمكّن المجتمع من استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة له بكفاءة لإنتاج مختلف السلع التي يرغب فيها.

والرقم: هو مصدر الفعل رقم يرقم الشيء إذا أعلمه أي: جعل فيه علامة تميّزه عن غيره^(٢)، وليس هذا هو المقصود بالبحث، إنما المقصود بالبحث هو الشيء الرقمي أي الإلكتروني.

(١) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأفرريقي (ت: ٧١١هـ)، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ٣٥٣.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٣٦.

أما تعريف الاقتصاد الرقمي باعتباره لقباً على علمٍ خاص، فقد وردت له تعريفاتٌ عدة:

التعريف الأول: أنه ممارسة الأنشطة الاقتصادية في المجال الإلكتروني باستخدام وسائط الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات من خلال إيجاد روابط فعالة ما بين أطراف النشاط الاقتصادي^(١).

التعريف الثاني: أنه التفاعل والتكامل والتنسيق المستمر بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات من جهة وبين الاقتصاد القومي والقطاعي والدولي من جهة أخرى بما يحقق الشفافية والفورية والإتاحة لجميع المؤشرات الاقتصادية المساندة لجميع القرارات الاقتصادية والتجارية والمالية في الدولة خلال فترة ما^(٢).

التعريف الثالث: أن الاقتصاد الرقمي ذلك النوع من الاقتصاد الذي يقوم في مجمل عملياته على المعلومات ويستند في أغلب خطواته على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال التي أسقطت وألغت كل الحدود والحوجز أمام تدفق المعلومات والسلع والخدمات وحركة رؤوس الأموال من وإلى أي نقطة في العالم وفي أي وقت.

(١) وهو تعريف خالد البراهمة في كتابه الموسوم بالاقتصاد الرقمي - اقتصاد المعلومات، نقلاً عن كتاب دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات، ص ٤.

(٢) الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستثمار والبورصات والبنوك الإلكترونية، د. فريد النجار، الدار الجامعة، مصر، ٢٠٠٧م، ص ٢٥.

من خلال التعريفات السابقة يتضح لنا جلياً أن الاقتصاد الرقمي هو عملية المزج بين الاقتصاد والتقنيات الحديثة من خلال ولوج العمليات الاقتصادية من باب التكنولوجيا المعاصرة وعلى رأسها الإنترنت - التي تميّزها عصرنا، والتي أزالَت جميع العوائق والحواجز في العالم.

ولذا فإنَّ الاقتصاد الرقمي لا يمكن أن ينشأ ويتطور إلا في مجتمع المعرفة، ويُعنى به ذلك المجتمع الذي يقوم على أساس نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي كالاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة، وصولاً إلى الارتقاء بالحياة الإنسانية باطراد، أي إقامة التنمية الإنسانية^(١)، لذلك كان لزاماً بيان الفرق بين الاقتصاد الرقمي والاقتصاد المعرفي.

المبحث الثاني: الفرق بين الاقتصاد الرقمي والاقتصاد المعرفي:

درج كثير من الكتاب على استعمال الاقتصاد المعرفي والاقتصاد الرقمي بمعنى واحد، إلا أن بعض المتخصصين يرى أن بينهما فرقاً يستبين من خلال الآتي^(٢):

أولاً: الرقمنة هي نتاج المعرفة العلمية الرياضية والفيزيائية.

ثانياً: الرقمنة هي مرحلة لاحقة بعد المعرفة؛ إذ يجب أن نعرف أولاً ثم نتحول

إلى نظام رقمي.

(١) التنمية المستدامة واقتصاد المعرفة في الدول العربية الواقع والتحديات، إعداد الطالب: بولصباح رياض إشراف الدكتور: مبروك محمد البشير، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية، قسم العلوم الاقتصادية، ٢٠١٢-٢٠١٣م، الجزائر، (رسالة ماجستير)، ص ٤٩.

(٢) إدارة المعرفة، نعيم إبراهيم ظاهر، عالم الكتب الحديث ودار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٢٨١. التنمية المستدامة واقتصاد المعرفة، بولصباح رياض، ص ٥٣.

ثالثاً: إنَّ الاقتصاد الرقمي هو التطبيق العملي للاقتصاد المعرفي على أجهزة الحاسوب وشبكات الاتصال عن طريق تحويل معارف ومعلومات ذلك الاقتصاد إلى مقابلات رقمية.

الخلاصة:

أولاً: إنَّ مفهوم اقتصاد المعرفة أوسع وأعمّ من مفهوم الاقتصاد الرقمي.

ثانياً: إنَّ الاقتصاد الرقمي هو تكنولوجيا الاقتصاد المعرفي.

المبحث الثالث: أهمية الاقتصاد الرقمي:

للاقتصاد الرقمي أهمية بالغة يمكن إبرازها في النقاط الآتية:

١- يساعد الاقتصاد الرقمي على زيادة اندماج اقتصاد الدولة في الاقتصاد العالمي، وزيادة فرص التجارة العالمية والقطاعات السوقية التي كان من الصعب الوصول إليها في الزمن الماضي^(١).

٢- يُحسِّن الاقتصاد الرقمي من العلاقات بين الموردين والمصدرين والمنافسين والمتعاملين والمستثمرين والبنوك وشركات التأمين والصناع والمنتجين والأجهزة الحكومية والجمارك والضرائب والمؤسسات المالية وغيرها^(٢).

٣- يعزز الاقتصاد الرقمي من القدرة على السيطرة على المخاطر وترشيدها

(١) اقتصاديات البيئة والعولمة، مصطفى يوسف كافي، دار مؤسسة رسلان، ص ٢٩٥. دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق التنمية المستدامة ص ٢.
(٢) الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستثمار والبورصات والبنوك الإلكترونية، د. فريد النجار ص ٢٥.

الاستثمار في الفرص المثلثة وجذب الاستثمارات ورؤوس الأموال عن طريق الشفافية والوضوح.

٤- يتميز الاقتصاد الرقمي بسرعة الحصول على المعلومات وسهولة استرجاعها وتخزينها وتحليل البيانات والإحصاءات التي تساعد في وضع الخطط واتخاذ القرارات.

٥- يساعد الاقتصاد الرقمي في معرفة أثر الاقتصاد على المجتمع وتشخيص المشكلات الاقتصادية من حيث الأسباب والنتائج والمساهمة في اقتراح الحلول الاقتصادية المثالية والعملية^(١).

٦- إن استخدام الاقتصاد الرقمي أدى إلى تسهيلات كثيرة كتخفيض فترات التخزين والتخليص الجمركي وغير ذلك.

المبحث الرابع: أهداف الاقتصاد الرقمي:

تتلخص أهم أهداف الاقتصاد الرقمي بالآتي:

١- إزالة الحواجز الجغرافية.

٢- إزالة الحواجز الزمنية.

٣- تحسين التعامل مع القيود التكاليفية.

٤- تخطيط الحواجز الهيكلية^(٢).



(١) الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستثمار والبورصات والبنوك الإلكترونية ص ٢٩.

(٢) دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق التنمية المستدامة ص ٦.

الفصل الثاني

تأثير الاقتصاد الرقمي على حياة الناس إيجاباً وسلباً

المبحث الأول: التأثير الإيجابي للاقتصاد الرقمي على حياة الناس:

تعددت الجوانب الإيجابية للاقتصاد الرقمي على حياة الناس الخاصة والعامة، وهذا تعداد للجوانب الإيجابية الواقعة والمتوقعة للاقتصاد الرقمي:

١- فسح المجال أمام الكثيرين الذين لم يتمكنوا من العمل وفق الظروف الاعتيادية - كالبقاء في المكاتب والنظر في الملفات الورقية - فسح المجال أمامهم ليلتقوا عبر الفضاء الافتراضي متجاوزين حدود الأمكنة الضيقة عبر وسائل الاتصال الحديثة، فيقوموا بإنجاز أعمال كبيرة بدقة عالية وسرعة فائقة، بالاعتماد على الشبكات المعلوماتية، مع كونهم في منازلهم^(١).

إنَّ هذا النمط الجديد من العمل استغله القطاع الخاص لما يحققه له من عوائد، حيث تخفف الشركات والمؤسسات من التزاماتها تجاه العاملين فيها كالتأمينات والضمانات الصحية والتعويضات وغيرها.

٢- استثمار الطاقات التي يملكها المتأهلون ولم يتمكنوا من الالتحاق بالأعمال الاعتيادية، وهذا مما يطور الاقتصاد ويعزز من نشاطه؛ إذ لولا الاقتصاد الرقمي لظلت هذه الطاقات مهدورة، وهذا ما يجعلنا نقول: إنَّ الاقتصاد الرقمي يجعل من الإنسان ذي الكفاءة هو مركز الموارد الاقتصادية لأنَّ الموارد الطبيعية هي المركز

(١) ولذا فإنَّ أهمية الموقع الجغرافي تتلاشى في ظل الاقتصاد الرقمي، إذ يمكن إنشاء أسواق افتراضية ومنظمات افتراضية.

كما هو عليه الحال في الاقتصاد القديم، وهذا مما يحسّن مستوى المعيشة ومحاربة الفقر في الدول النامية.

٣- إنَّ الاقتصاد الرقمي سيعزز من دور المرأة في التعاملات المالية والاستثمار، خاصةً في المجتمعات المحافظة التي لا تتقبل اختلاط المرأة بالرجال في المؤسسات المالية والمراكز التجارية؛ إذ يوفر الاقتصاد الرقمي هؤلَاء النساء إمكانية الاستثمار والتجارة عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة.

٤- إنَّ الاقتصاد الرقمي يساعد على سرعة التحول إلى نظام السداد الإلكتروني، وتحويل المجتمع إلى مجتمع غير نقدي، ويترتب على ذلك الحد من المخاطر المالية وضمان الحماية الكاملة ضد غسيل الأموال والوقاية من صعوبة السداد^(١).

٥- إنَّ الاقتصاد الرقمي يجعل من تأهيل العاملين في قطاعه ضرورةً مستمرة لا مرحلية، فالتكنولوجيا لا تقف عند حدٍ، ولذا فالتطور فيها مستمر، ولا بدَّ من مواكبته لها وتأهيل العاملين في مجالها مدى الحياة، وهذا ما يجعل الارتباط وثيقاً بين العاملين ومجال أعمالهم.

٦- تغطية احتياجات المجتمع - من شركات وعملاء ومنافسين وأصحاب رؤوس أموال وأفراد عاديين - التي اتسمت بالكثرة والسرعة، فتجد أن شركة أو صاحب رأس مال أو عميلاً أو غيرهم يطلب دراسةً جدوى لمشروع ما، تشمل تلك الدراسة على بيانات ومعلومات دقيقة ذات تحليل عميق لما يترتب عليها من قرارات مصيرية، فيكون الاقتصاد الرقمي القائم على تكنولوجيا المعلومات هو

(١) الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستثمار والبورصات والبنوك الإلكترونية ص ٤٥.

الوسيلة الأهم في إعداد مثل هذه الدراسات، وبعد تجهيز الدراسة فإنها تُعرض Online فورياً.

٧- إيجاد الاقتصاد الرقمي لخدمات عديدة لم يكن من الممكن تصور وجودها بدونها، فالتعاملات الحكومية كدفع الضرائب وتحصيل الغرامات ونحوها يمكن القيام بها من خلال الحواسيب أو تطبيقات على الهاتف المحمول، وهو ما يوفر الدقة والسرعة في تحصيل تلك المبالغ.

٨- توفير الكثير من الخدمات الإلكترونية للشركات والأفراد المتمثلة بتبادل السلع والخدمات، وتحصيل قيمتها، وشحنها وتسليمها، ثم شرائها من المستهلك عبر المواقع الإلكترونية^(١) أو بالبطاقات الذكية، كما أن الاقتصاد الرقمي سهّل إرسال واستقبال المبالغ من العملات الإلكترونية في أي وقتٍ ومكانٍ في العالم دون إجازات ونحوها.

٩- تقليل التعامل مع الوسطاء الماليين مثل السماسرة لتوفير التعامل الفوري المباشر بين العميل والبنك^(٢)، ولذا فالإقتصاد الرقمي يفتح قنوات اتصال بين

(١) لقد ازدهر التسويق الإلكتروني بشكل عام، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص، فمع تزايد قضاء الأوقات على هذه المواقع كان لا بد من استغلال ذلك على وجه يعود بالنفع على مؤسسي تلك المواقع والمستثمرين فيها، حتى صارت تلك المقولة: (إن لم تدفع لقاء المنتج، فأنت هو المنتج) محقة، ويمتاز التسويق عبر مواقع التواصل بأنه يعتمد على التسويق الإيجابي، فعند النظر إليها نجد أن هناك زراً للإعجاب [LIKE]، بينما لا يوجد زر آخر للنفور أو الكراهية [DISLIKE]، وبالتالي فالنظر إلى الإعلان يرى عدد من أعجبهم ولا يعرف العدد المقابل الذين لم يعجبهم، انظر ورقة بحثية بعنوان: مدى توافق الاستشار في وسائل التواصل الاجتماعي مع معايير اقتصاد المعرفة، د. علي ضميان العنزي، ص ١١.

(٢) الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستشار والبورصات والبنوك الإلكترونية ص ٤٧٠.

المستثمرين وصغار رجال الأعمال مع البنوك وشركات الاستثمار؛ وهذا مما يزيد الشفافية في الإدارة المالية.

١٠- إنَّ دخول الاقتصاد الرقمي حيِّز التطبيق في المؤسسات المالية والمصرفية استدعى إيجاد مهن ووظائف جديدة تواكبه، هذه المهن تقوم بإنتاج المعلومات ذات العلاقة وجمعها وتحليلها ومن ثمَّ نشرها للاستفادة منها.

وتتعلق هذه المهن والوظائف بإعداد الأبحاث، واستخدام وسائل الاتصال، والتعامل مع تكنولوجيا المعلومات، وإعداد هذه الكفاءات القادرة على ممارسة هذه الوظائف يتطلب إيجاد مراكز للتدريب والتأهيل لاكتساب تلك المهارات التي ينعكس أثرها على تطوير الاقتصاد^(١).

١١- إنَّ الاقتصاد الرقمي كان سبباً في ظهور البنوك الإلكترونية، وفكرة البنوك الإلكترونية تقوم على تطبيق مبدأ الحسابات الإلكترونية، ويستخدم البنك الإلكتروني مجموعة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والبرمجيات لاتخاذ قرارات الاستثمار عن طريق استخدام النظم الإلكترونية لتوفير خدمات أقل تكلفة ولتحسين السرعة والجودة في مشروعات الاستثمار، كما تستخدم بعض البنوك الاستخبارات والذكاء الصناعي لتخفيض مخاطر الاستثمار مع تخفيض تكلفة إدارة محافظ الاستثمار.

كما تقدم البنوك الإلكترونية خدمات الإقراض والاستثمار وقبول الودائع للشركات من المتعاملين، وتوفر للبنوك معلومات فورية عن فرص الاستثمار والخدمات المصرفية المطلوبة، ويتم سداد ديون الشركات فوراً^(٢).

(١) دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق التنمية المستدامة ص ٦.

(٢) الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستثمار والبورصات والبنوك الإلكترونية ص ٤٦٩.

١٢- إنَّ الاقتصاد الرقمي فتح الباب أمام ظهور التجارة الإلكترونية^(١) والتسويق الإلكتروني، وذلك من خلال الإعلانات التجارية والخدمية والوظيفية عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة.

١٣- لقد أدَّى الاقتصاد الرقمي إلى إيجاد ما عُرف بـ«الحكومة الإلكترونية»، أي: استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأعمال الحكومية مما يرفع مستوى جودة الأداء الحكومي عن طريق إنجاز المعاملات إلكترونياً وتوفير الوقت والجهد والمال على المستوى الوطني^(٢).

١٤- إنَّ الاقتصاد الرقمي سيغيِّب المركزية لكونه يعمل على إزالة جميع أشكال الامتيازات الفردية التقنية أو التنظيمية كي يكون قادراً على التكيف مع متطلبات السمة المفتوحة السائدة في كيانه^(٣).

خصائص الاقتصاد الرقمي:

يمتاز الاقتصاد الرقمي بجملة من الخصائص على النحو الآتي:

- من المحلية إلى العولمة: الاقتصاد المبني على المعرفة هو اتجاه متنام نحو آفاق التكامل العالمي، وبالتأكيد لم يكن هذا الاقتصاد ممكناً لولا ثورة المعلومات والاتصالات.

- من التمرکز إلى الانتشار: اتسم التوجه العام لاقتصاد الثورة الصناعية وحتى

(١) عُرِّفت التجارة الإلكترونية بعدة تعاريف ولعل أوجز ما قيل فيها: (هي مجموعة من المعاملات الرقمية المرتبطة بأنشطة تجارية). انظر: الاقتصاد الرقمي في الجزائر، ص ١٩.

(٢) دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق التنمية المستدامة ص ٣٤.

(٣) تنمية الموارد البشرية في ظل البيئة الرقمية، ومان محمد توفيق، رسالة دكتوراه ص ٨٦.

السبعينيات بالاتجاه نحو تركيز أكثر لرأس المال بيد شركات ضخمة تحتكر كل شيء وتفرض ما تشاء على الأسواق.

- من النمطية إلى التنوع: كانت الاحتكارات الضخمة في الستينيات من القرن العشرين تنتج أعداداً هائلة من المنتجات ذات نمط موحد، وكان توزيع هذه المنتجات الموحدة يتم عبر شركات توزيع ضخمة وقوية.

- من الانغلاق نحو الانفتاح: كانت شركات الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين تسعى نحو الانغلاق أي نحو إنتاج كل شيء ضمن أقسام الشركة بما في ذلك توزيع المنتج وتسويقه، في حين يتميز اقتصاد العالم اليوم بقدرته على صنع السيارة أو الحاسوب أو أية آلة أخرى.

- دورة حياة المنتج: من الدورة الطويلة إلى التسارع التنافسي: يتميز الاقتصاد المبني على المعرفة بأنه يعتمد على الصناعة المتنوعة التي تسعى إلى تخفيض عمر المنتج أو دورة حياة المنتج، فتحت ضغط المنافسة الشديدة يسعى المصممون إلى معرفة ردود فعل المستهلك فور توزيع المنتج الجديد^(٤).

المبحث الثاني: التأثير السلبي للاقتصاد الرقمي على حياة الناس:

إنَّ الجوانب والفرص الإيجابية التي تسبب الاقتصاد الرقمي في إيجادها وتطورها تصحبها مخاطر تستوجب توفير الحلول اللازمة لها قبل انتشار آثارها، ولعلَّ من أبرز الجوانب السلبية التي يعاني منها الاقتصاد الرقمي هي:

(٤) ملخص من بحث اقتصاد مدن المعرفة... خصائص وتحديات مع التعرض للتجربة المصرية، إعداد محمد محمود عبد الله يوسف المدرس المساعد بقسم التخطيط العمراني - كلية التخطيط العمراني والإقليمي - جامعة القاهرة Mmyoussif@yahoo.co

١- تأخر القوانين والتشريعات المنظمة له في كثير من الدول - ومنها معظم الدول العربية - عن التطور المتسارع الذي يشهده هذا القطاع^(١)، فلأجل أن يضع الناس ثقتهم بالتجارة الإلكترونية والبنوك الإلكترونية لا بد من وجود تشريعات قانونية تحفظ الحقوق وتنظم العلاقات، خاصة بما يتعلق بحقوق الملكية الفكرية لبرمجيات التكنولوجيا التي يركز عليها الاقتصاد الرقمي، وعلى المستوى الأكاديمي: قد لا نجافي الحقيقة إن قلنا بعدم وجود (كورسات) أو مواد تدرس في كلية الحقوق بالنسبة إلى التجارة الإلكترونية أو في الكليات الجامعية الأخرى المتخصصة في الاقتصاد والتجارة، بحكم أن مفهوم الاقتصاد الرقمي لا يزال جديداً على المستوى العالمي وحتى في بعض الدول المتقدمة فكيف الحال في دولنا.

٢- وهذه مناسبة للدعوة إلى ابتعاث طلبة للحصول على الشهادات الجامعية المناسبة للعودة والتدريس في تخصص جديد وحيوي ومرغوب فيه ومطلوب، وبكل تأكيد سيؤثر على الاقتصاد المحلي بشكل عام متى أولى بعض الأهمية.

٣- إن الاقتصاد الرقمي كان سبباً رئيساً في انتشار الجرائم الإلكترونية، والتي تتسم عادةً بأنها عسرة الاكتشاف والإثبات لكونها لا تترك أثراً بعد ارتكابها.

٤- توقع زيادة البطالة، حيث يعدّ الاقتصاد الرقمي من أكبر المسببات المتوقعة لزيادة البطالة - التي نسبتها عالية في المجتمعات العربية - خلال السنوات القادمة، وفي تقرير لشركة الاستشارات العالمية ماكينزي أن الكثيرين سيخسرون

(١) الجرائم المعلوماتية واقعها في الجزائر وآليات مكافحتها، أ. مزيود سليم، بحث منشور في مجلة الجزائر للاقتصاد والمالية، العدد الأول (٢٠٠٤م)، ص ١٠١.

وظائفهم في السنوات المقبلة، وحذر التقرير من أن نمو الاقتصاد الرقمي سيؤدي إلى حدوث تغيير كبير في أسلوب أداء المهام اليومية في غالبية الوظائف والمهن في العالم وفي الولايات المتحدة على سبيل المثال، وبالتالي خسارة الكثيرين لوظائفهم خلال السنوات العشر المقبلة^(١)، لكن في المقابل فإن الاقتصاد الرقمي قد عمل على إيجاد العديد من فرص العمل التي تحتاج إلى كفاءات ومهارات معينة كما تقدم، أما سلبيات الاقتصاد المعرفي فتتمثل في تكاليف تقنية أعلى، تكاليف تحسين الأنظمة المستمر، تكاليف نثرية أكبر^(٢).

٥- مرتبات عالية جداً لفريق العمل الأكثر كفاءة، فالإنترنت يمنح الجميع فرصة التواجد على الشبكة ولعب دور فعال سواء كان اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو فنياً أو غيره، ويمنح إمكانية التواصل مع العالم بأي وقت ومن أي مكان، ويعاني الشباب من أزمة بطالة، ومن أهم سمات ظاهرة البطالة تركزها بالدرجة الأولى بين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-٢٤ سنة والذين يدخلون سوق العمل للمرة الأولى، ونسبة كبيرة من بين هؤلاء المتعطلين إن لم تكن غالبية من الشباب الأكثر والأفضل تعليماً^(٣)

(١) اتبع الرابط على موقع البيان (الاقتصادي): <http://www.albayan.ae/economy/last-1.2540230-31-12-deal/2015>

(٢) - ملخص من بحث اقتصاد مدن المعرفة... خصائص وتحديات مع التعرض للتجربة المصرية، إعداد محمد محمود عبد الله يوسف، المدرس المساعد بقسم التخطيط العمراني - كلية التخطيط

العمراني والإقليمي - جامعة القاهرة Mmyoussif@yahoo.co

(٣) حنان قنديل، مصر في عيون شبابها، شباب الباحثين ومستقبل التنمية في مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٠٩.

٦- تعزيز التباين بين فئات المجتمع، من السلبيات المتوقعة للاقتصاد الرقمي أنه سيعزز الفوارق بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية والمجتمعات المتخلفة، وهو ما قد يسبب مشكلات نفسية وأمراض عصبية وغيرها^(١).

٧- إنَّ تقنية التكنولوجيا تفتح الغريزة أمام المستهلكين لمزيد من الشراء، فعرض عشرات الإعلانات على صفحات مواقع التواصل بشكل مستمر، يدفع الإنسان إلى الشراء بشغفٍ، وربما أوقعه ذلك في شراء ما لا يحتاج.

المبحث الثالث: الاقتصاد الرقمي وتأثيره في نمط الحياة الإسلامي:

النمط يقصد به الطريقة^(٢)، وعلى ذلك يقصد بنمط الحياة الإسلامي طريقة الحياة الإسلامية، والحقيقة أن الإسلام ليس فيه حياة دينية وأخرى غير دينية؛ لأن الحياة كلها مجال للممارسة الدينية بطريقة أو بأخرى، وكذلك الدين كله حياة، ولا حياة بغير دين حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وهنا الإسلام لم يشير إلى الزهد التام عن الدنيا؛ ولأنها وإن كانت دار فناء ولكنها دار اختبار وبلاء، نقاوم فيها مجريات الحياة ومغريات الشيطان؛ إذ أن هذه الحياة المؤقتة هي الجسر المؤدي إلى الدار الآخرة الدائمة حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، فيجب تعمير الدار الآخرة

(١) تنمية الموارد لبشرية في ظل البيئة الرقمية، ومان محمد توفيق، رسالة دكتوراه ص ١٠٠.

(٢) لسان العرب، ج ٧، ص ٤١٧.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٦٢.

(٤) سورة العنكبوت، آية ٦٤.

بالأعمال الصالحة في الحياة الدنيا لأنها مزرعة الآخرة وما تزرعه فيها تحصده هناك. وعمران الدار الآخرة لا يعني ترك الحياة الدنيا، بل العكس تمامًا وفق ما ذكرناه من أن الدنيا مزرعة الآخرة، وبهذه القاعدة تكون عمارة الحياة الدنيا بقدر طاقة الإنسان في عمل الخير وفعل الصالحات من الأعمال بقدر ما يكون له من النعيم والحياة الطيبة في الدار الآخرة.

وخير مثال للحياة في الإسلام هو قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)، فيتين لنا منهج وطريقة الحياة الإسلامية وهي أن يعيش الإنسان دنياه لآخريته ولا ينسى نصيبه من الدنيا^(٢).

وهنا تتجلى ضرورة مواكبة الإنسان المسلم للتطورات التي تحصل من حوله وألا يكون في معزل عنها بغية التزهد أن التقشف رغبة في القرب من الله عز وجل، فقد بين لنا الإسلام آلية العبادة، كما بين لنا آلية معايشة الحياة الدنيا دون إفراط ولا تفريط وكان الميزان الذي وضعه لنا الإسلام هو العيش وفق موازنة المقاصد الشرعية التي أقرها وأمرنا بمراعاتها، وهي حفظ الضروريات الخمس وهي الدين والنفس والعقل والمال والنسل.

وكما لا يخفى على باحث أن التطور قد تسارع في زماننا هذا بشكل يذهل العقول ويفوق التصورات، وكان هذا التسارع نتاج الثورة الرقمية، فأصبح لدينا في كل يوم

(١) سورة القصص، آية ٧٧.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ج ٩، ص ٦٠٤.

شيء جديد ومن الأمور التي استجذت في العالم هو الاقتصاد الرقمي، والذي بدوره لا يكاد يخلو منه بيت فيه آلة رقمية، فهل هو متعلق بالضروريات الخمس، أم أنه عارض لا يتجاوز الفكرة المطروحة بين رفوف المعلومات المخزنة من باب الدراسة والتطوير الشكلي للمكاتب الاقتصادية من أجل الدعاية والإعلان؟

الحقيقة أنها أمر حقيقي وواقع ملموس وآلية محتمة الوجود والتسارع والنهوض، وأيضاً لها علاقة وثيقة الصلة بالضروريات الخمس، وهي كالتالي:

أولاً: علاقة الاقتصاد الرقمي بالحفاظ على الدين.

وهنا بيان آلية الدعوة إلى الله بالشكل التقليدي، فقد أضحى هذا الأمر بطيئاً مع تسارع الديانات الأخرى بواسطة استخدامها للاقتصاد الرقمي، حيث أن المنتجات العامة والتقليدية والتي وضع عليها علماء الإسلام الصبغة الإسلامية ونزعتها مما شوبها من الشبهات والمحرمات، سواءً كان هذا الأمر في البيع والشراء والإجارة والتمويل وغير ذلك في معزل عن الترويج الرقمي، مما ساعد الديانات الأخرى بالولوج إلى هذا الباب ودعم اقتصادهم بالرقمنة، فالدعوة تحتاج إلى المال لتسيير عملها في شتى بقاع الأرض من مساعدات أو جهات وقفية مدرة للمال.

كما أن المعاملات المالية والاقتصادية الرقمية تحتاج إلى بيان الحكم الإسلامي للمحافظة على الحلال والبراءة من الحرام فإن لم يلج المتخصصون من المسلمين في

هذا المجال فإنه سيفتح باب شر على الأمة الإسلامية من استمرارية طغيان الاقتصاد التقليدي الرقمي على الاقتصاد الإسلامي إذا لم يكن رقمياً.

ثانياً: علاقة الاقتصاد الرقمي بالحفاظ على النفس.

كما هو معلوم أنّ الصراع بين الخير والشر مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هذا المنطلق وكما هو مشاهد من العصور السالفة من الحروب المضادة للإسلام من حملات صليبية وغزوٍ تاريٍّ وغير ذلك عبر العصور، فإن حماية بيضة الإسلام واجب على كل مسلم، والحماية لا تكون فقط بالجهاد بالنفس، بل هناك سبل أخرى.

ومن أنواع الجهاد في الإسلام هو الجهاد بالمال، ولا يستقيم هذا الجهاد في العصر الحالي إن لم نستطع مواكبة التطور المالي في الزمن الحالي، كيف لا؟ وقد نشأ الاقتصاد الرقمي والعملات الرقمية والبنوك والصيرفات الالكترونية.

ومن هذا المنطلق فإن ولوج الاقتصاد الرقمي ضرورة محتمة للدول الإسلامية، وذلك من خلال تغيير نمط حياتها وحياتها شعوبها، ولكن بشرط أن تكون هذه الدول كيسة فطنه، فالإقتصاد الرقمي اقتصاد على الهواء والأقمار الصناعية فإن لم يكن لها مقبض التشغيل فعلى الدنيا السلام!

ثالثاً: علاقة الاقتصاد الرقمي بالحفاظ على العقل.

قد يتصور البعض أن الحفاظ على العقل هو حمايته من التلف ومن ذهابه جرّاء مسكّرٍ أو ما مثله.

الحقيقة لا! بل إن حماية العقل تتعدى كون ذهابه من مسكّرٍ أو تلفه جرّاء أمرٍ يؤدي إليه، بل إنَّ الخطر الأعظم المحيط بالعقل هو الجهل، وممّا يعظم خطورته أنه ليس على نسق واحد في الزمان والمكان والموضوع.

في السابق كان من لا يقرأ ولا يكتب فهو جاهل، أما اليوم من لا يستخدم الكمبيوتر فهو جاهل، ولكن غداً وبعد أن يسيطر الغرب على الاقتصاد الرقمي سيكون من لا يعرفه هو الجاهل ولا يستطيع مجارة الحياة الاقتصادية المستقبلية ويكون عالية على غيره.

وهنا أحكي قصة عني شخصياً فقد كنت قبل أن أتعلم على الكمبيوتر ومستلزماته أتردد على أخي كي يكتب لي أو يبعث لي إيميل أو ما شابه ذلك، حتى انشغل عني وصار ينزعج في بعض الأحيان، فاتخذت القرار بحماية عقلي من الجهل بهذا الخصوص، فتعلمت وصرت أعتمد على نفسي، والآن خوفي على أخي المسلم من أن يكون نمط الحياة الإسلامية الحديثة عبء لا يستطيعه بسبب عدم حفاظه على عقله من الجهل بهذه الأمور.

رابعاً: علاقة الاقتصاد الرقمي بالحفاظ على المال.

كما ذكرنا سابقاً أن العولمة لم تؤدِّ إلى تعددية متوازنة في المؤثرات الثقافية والسياسية وبالأخص المؤثرات الاقتصادية.

وهذه العولمة أخذت نصيبها من الجانب الاقتصادي، فبعد حدوث الثورة الرقمية نتج لدينا الاقتصاد الرقمي، والخوف الحاصل هنا أن يكون الاقتصاد الرقمي الوجه الآخر للعولمة الغربية.

والمقصود مما سبق أن الكثير من المفكرين يرى أن العولمة أدت وتؤدي في كثير من الأحيان إلى هيمنة نموذج حضاري واحد هو النموذج الغربي الأمريكي في المقام الأول^(١).

ومن هذا المنطلق يجب على الدول حكماً ومجتمعات وشعوباً وأفراداً، أن يمكّنوا أنفسهم من هذا الحدث المهم والذي يفوز في سباقه المتمكن منه، فمن لا يتماشى مع النمط الرقمي سيخسر النمط الحقيقي.

إضافة إلى أن الاقتصاد الإسلامي أقيم من أجل الحفاظ على المال الحلال والبعد عن المال الحرام، فضرورة معيشة نمط الحياة الاقتصادية الإسلامية الرقمية أمر محتم، فنظام الاقتصاد الإسلامي^(٢) هو السلوك الإسلامي نحو استخدام الموارد المادية في إشباع الحاجات الإنسانية.

ولذلك فإن الاقتصاد الإسلامي الرقمي هو السلوك الإسلامي المتعلق بباهية الاقتصاد الرقمي.

وعلى ما سبق بيانه فإن الاقتصاد الإسلامي الرقمي ضرورة قصوى ودراستها أمر لا مناص منه، من حيث بيان العمليات التجارية وآلية القبض والفوائد المالية

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٦، ص ٧٢١.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ج ٢، ص ٤٢٢.

المتعلقة بالخدمات الالكترونية ونظرية الملكية الرقمية، وبيان الاقتصاد المختلط الرقمي في ضوء السلوك الإسلامي، وتكيف الحرية المالية في عالم الاقتصاد الرقمي، إلى غير ذلك من الأمور.

وهنا لفتة بسيطة وهي فيما لو قام أحد بالحجر على آخر من التصرف في أمواله إذا كان المدعى عليه بالحجر قد ولج بوابة الاقتصاد الرقمي وجعل فيه ماله وهو لا يفقه فيه شيئاً فهل يحجر عليه؟ طبعاً هذا تساؤل ليس من أجل الإجابة، وإنما من أجل حماية المال والحفاظ عليه، وهذا أمر يبين النمط الإسلامي للحياة بواسطة الاقتصاد الرقمي.

خامساً: علاقة الاقتصاد الرقمي بالحفاظ على النسل.

المحافظة على النسل يكون بطرق شتى شرعها الإسلام وأهمها الزواج وعدم الاختلاط.

أما الزواج فليس هنا وقت الحديث عنه وإن أوجدت الثورة الرقمية فيما يتعلق به، أما من ناحية عدم الاختلاط؛ فلأن الخلوة تفضي إلى ما حرم الله عز وجل، والاقتصاد الرقمي يتعدى كون الإنسان يعمل في مكتب بكرسي وطاولة وأوراق وملفات، بل يتعدى ذلك إلى العمل وهو في بيته.

وهذه اللفتة تبين أمثل حل لمعالجة مشكلتين الأولى الاختلاط المحرم والثاني البطالة النسائية.

أما الاختلاط فوجود المرأة في بيتها والعمل عبر الأجهزة الرقمية بكفاءة تخصصية تحميها وتصونها وتعفها من الاختلاط المحرم.

وكذلك بما يختص بالبطالة النسائية فقد وردت مقالات ذات نفس رفيع في هذا المقام من صحيفة العرب^(١) وكانت بعنوانين عدّة منها (الاقتصاد الرقمي فرص مهدورة في الارتقاء بتشغيل المرأة في الدول العربية)، (حلول غير تقليدية تحد من بطالة المرأة المصرية)، (الاقتصاد الرقمي يحفز المرأة المغربية على تجاوز الموروث الثقافي)، إلى غير ذلك.

الخلاصة:

إن الاقتصاد الرقمي ضرورة تكنولوجية اقتصادية اجتماعية سياسية، ويجب التنبه لها لأن لها تأثيراً عظيماً على نمط الحياة الإسلامي، ونذكر هنا قصة غزوة الخندق عندما قامت قريش تدعو قبائل العرب لمحاربة محمد ﷺ وأجابوه، فسمع الرسول ﷺ بهذا الخبر واستشار أصحابه فأشار عليه الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة المنورة فأمر به ﷺ مع أنه أمر جديد عليهم ولكن سلمان عاش عمراً مديداً أطلع فيه على فنون الحرب في بقاع الكرة الأرضية، فلما ذهب كفار قريش ومن حالفهم ورأوا الخندق محفور حول المدينة المنورة والنار تخرج منه قالوا: «إنّ هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها»، وكانت هذه الفكرة ركيزة أساسية في عملية النصر بعد توفيق الله عز وجل^(٢).

(١) العرب، صحيفة عربية يومية، تأسست في لندن عام ١٩٧٧م، العدد الأحد ١٥ / ١١ / ٢٠١٥ ص ٢٠.

(٢) زاد المعاد، ابن القيم محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، ط ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ٢٠١٢م، ج ٣، ص ٢٤٢-٢٤٣.

الحكمة من هذه القصة ألا نبادر بمهاجمة الجديد قبل دراسته والتمعن فيه،
والحذر الحذر ففكرة الخندق من صحابي جليل لنصرة نبيه وأصحابه، ولكن
الاقتصاد الرقمي أتى من الغرب وهو سلاحٌ مفيد وأن يكون زمامه لدى المسلمون
خيراً من أن يكون زمامه لدى الغرب، ودراسة الاقتصاد الرقمي وتأثيره على نمط
الحياة الإسلامي دليل على حكمة القائمين على هذا المؤتمر المبارك فأسأل الله أن
يوفقهم ويسدد خطاهم.



الخاتمة

نتائج البحث والتوصيات:

توصل البحث إلى النتائج، قُسمت إلى نتائج عامة وخاصة، فالنتائج العامة كالآتي:

١- إن الاقتصاد الرقمي هو الاقتصاد الذي سيسيطر في عصرنا الحديث عصر التكنولوجيا.

٢- إن الاقتصاد الرقمي نمطٌ جديدٌ في حياة الشعوب والمجتمعات.

٣- إن أسلوب الحياة الجديد الذي سيكتسبه الناس من الاقتصاد الرقمي له جوانب إيجابية تفوق كثيراً الجوانب السلبية التي من المتوقع حدوثها.

٤- إن الاقتصاد الرقمي يؤثر في نمط الحياة الإسلامي ويدخل تأثيره في مقاصد الشريعة وضرورياتها الخمسة.

أما النتائج الخاصة فهي على قسمين:

الأول: وهو المتعلق بالاقتصاد الرقمي:

١- إن الاقتصاد الرقمي هو الاقتصاد البديل عن الاقتصاد الصناعي.

٢- إن الهوة الرقمية ستتسع ما لم تأخذ الدول النامية والمتخلفة بالاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

٣- إن الاقتصاد الرقمي يتطلب وجود مجتمع معرفة لينشأ فيه.

- ٤- إنَّ العلاقة بين الاقتصاد الرقمي واقتصاد المعرفة هي علاقة جزء من كل، فالأول جزء من الثاني.
- ٥- إنَّ الاقتصاد الرقمي سيؤثر على المجتمعات والأفراد إيجاباً في مجالات كثيرة، إلا أنَّ له جوانب تأثير سلبية متوقعة.
- ٦- إنَّ الاقتصاد الرقمي يحسِّن من التجارة ويرفع من وتيرة الاستثمار.
- ٧- إنَّ الاقتصاد الرقمي يعزز من القدرة على السيطرة على المخاطر.
- ٨- إنَّ الاقتصاد الرقمي يتخطى الحواجز الجغرافية والمكانية.
- ٩- إنَّ الاقتصاد الرقمي يفسح مجال العمل لكثير ممن لم يتمكنوا من العمل وفق الظروف الاعتيادية.
- ١٠- إنَّ الاقتصاد الرقمي يستثمر جهوداً وطاقاتٍ مهدورة.
- ١١- إنَّ الاقتصاد الرقمي يعزز من دور المرأة في التعاملات المالية.
- ١٢- إنَّ الاقتصاد الرقمي يعمل على تحويل المجتمع إلى مجتمع غير نقدي.
- ١٣- إنَّ الاقتصاد الرقمي يجعل من تأهيل العاملين في قطاعه ضرورةً مستدامةً.
- ١٤- إنَّ الاقتصاد الرقمي أوجد الكثير من الخدمات والتعاملات التي لم تكن موجودة من قبل واتسمت بالدقة والسرعة.
- ١٥- إنَّ الاقتصاد الرقمي يعمل على زيادة الشفافية وذلك من خلال تقليل الوسطاء الماليين.

١٦- إن الاقتصاد الرقمي خلق فرص عمل جديدة تتناسب وبيئة تكنولوجيا المعلومات التي يعمل فيها.

١٧- إن الاقتصاد الرقمي يركز على الإنسان باعتباره أهم الموارد.

١٨- إن الاقتصاد الرقمي سيغيّب المركزية التي اتسمت بها الأنظمة الاقتصادية السابقة.

الثاني: وهو المتعلق بعلاقة الاقتصاد الرقمي بنمط الحياة الإسلامي:

١- إن الاقتصاد الرقمي يدخل في الناحية الدينية تحت قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١).

٢- إن الاقتصاد الرقمي هو البوابة المعيشية القادمة وتعلمها من باب المحافظة على النفس من الهلاك جوعاً.

٣- إن الاقتصاد الإسلامي متكيف مع جميع التطورات المحيطة به فمن باب حفظ المال من الحرام دراسة إمكانية إيجاد الاقتصاد الإسلامي الرقمي.

٤- في الزمن المستقبل سيكون من لا يعرف الاقتصاد الرقمي جاهل، فتعلمه من باب حفظ العقل من الجهل.

٥- من باب حفظ النسل المنع من الاختلاط المحرم وهذا ما سيؤديه الاقتصاد الرقمي.

(١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

ويوصي البحث بالآتي:

- ١- ضرورة توجّه الدول النامية والدول المتخلفة إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والاستفادة منها في النظام الاقتصادي مما يعمل على إيجاد التنمية المستدامة.
- ٢- دراسة التأثيرات السلبية المتوقعة للاقتصاد الرقمي ووضع الإجراءات والحلول التي تحدّ من وقوعها، وتعالجها بعد حصولها.
- ٣- ضرورة توجّه الدول النامية والدول المتخلفة إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والاستفادة منها في النظام الاقتصادي مما يعمل على إيجاد التنمية المستدامة.
- ٤- دراسة التأثيرات السلبية المتوقعة للاقتصاد الرقمي ووضع الإجراءات والحلول التي تحدّ من وقوعها، وتعالجها بعد حصولها.
- ٥- دراسة علاقة الاقتصاد الرقمي بالكليات الخمسة: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل.
- ٦- ضرورة دراسة إيجاد اقتصاد إسلامي رقمي يواكب الثورة الرقمية المتجدد.
- ٧- الدعوة إلى ابتعاث طلبة للحصول على الشهادات الجامعية المناسبة للعودة والتدريس في تخصص جديد وحيوي ومرغوب فيه ومطلوب، وبكل تأكيد سيؤثر على الاقتصاد المحلي بشكل عام متى أولى بعض الأهمية.



قائمة المصنّاور

أولاً: المراجع العربية:

- ١- الاقتصاد الرقمي في الجزائر الفرص والتحديات - دراسة حالة الجزائر -، إعداد الطالبة سحقي نعيمة إشراف بصيري محفوظ، رسالة دكتوراه، جامعة البويرة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير قسم العلوم التجارية، ٢٠١٤ / ٢٠١٥.
- ٢- الاقتصاد الرقمي، الإنترنت وإعادة هيكلة الاستثمار والبورصات والبنوك الاليكترونية، فريد النجار، الدار الجامعة، مصر، ٢٠٠٧م.
- ٣- التنمية المستدامة واقتصاد المعرفة في الدول العربية الواقع والتحديات، إعداد الطالب: بولصباع رياض، إشراف الدكتور: مبيروك محمد البشير، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية، قسم العلوم الاقتصادية، ٢٠١٢-٢٠١٣م، الجزائر، (رسالة ماجستير).
- ٤- الجرائم المعلوماتية واقعها في الجزائر وآليات مكافحتها، أ. مزبود سليم، بحث منشور في مجلة الجزائر للاقتصاد والمالية، العدد الأول (٢٠٠٤م).
- ٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦- الموسوعة العربية العالمية، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.
- ٧- تنمية الموارد لبشرية في ظل البيئة الرقمية دراسة في الأبعاد السوسيو-تقنية حالة مديرية الأمن لولاية بسكرة، إعداد الطالب: ومان محمد توفيق، إشراف الدكتور: زوزو رشيد، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ٢٠١٥ / ٢٠١٦، رسالة دكتوراه.
- ٨- دور الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق التنمية المستدامة، إعداد الطالب: حسين العلمي، إشراف الدكتور: عكي علوان عومر، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية، قسم إدارة الأعمال والتنمية المستدامة، رسالة دكتوراه، ٢٠١٢-٢٠١٣.

- ٩- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأفرقي (ت: ٧١١هـ)، ط ٣، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ.
- ١٠- ورقة بحثية بعنوان: مدى توافق الاستثمار في وسائل التواصل الاجتماعي مع معايير اقتصاد المعرفة، د. علي ضميان العنزلي.
- ١١- عادل حرحوش المبرجي وآخرون، الإدارة الإلكترونية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بحوث ودراسات، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ١٢- إدارة المعرفة، نعيم ابراهيم ظاهر، عالم الكتب الحديث و جدار للكتاب العالمي، ٢٠٠٩م.
- ١٣- اقتصاديات البيئة والعولمة، مصطفى يوسف كافي، دار مؤسسة رسلان.
- ١٤- حنان قنديل، مصر في عيون شبابه، شباب الباحثين ومستقبل التنمية في مصر، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.
- ١٥- بحث اقتصاد مدن المعرفة... خصائص وتحديات مع التعرض للتجربة المصرية، إعداد: محمد محمود عبدالله يوسف، المدرس المساعد بقسم التخطيط العمراني - كلية التخطيط العمراني والإقليمي - جامعة القاهرة، وكانت الاستفادة من ملخص البحث.
- ١٦- العرب، صحيفة عربية يومية، تأسست في لندن عام ١٩٧٧م، العدد الأحد ٢٠١٥/١١/١٥م.
- ١٧- زاد المعاد، ابن القيم محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، ط ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ٢٠١٢م.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

- <http://www.albayan.ae/economy/last-deal/2015-12-31-1.2540230>
- <http://www.france24.com/ar/20171205-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84-%D8%AB%D9%84%D8%AB-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86>





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

النقود الرقمية وأثر التعامل بها في نمط الحياة الإسلامية

إعداد

د. أحمد عيّد عبد الحميد إبراهيم

أستاذ مساعد بقسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر

وكلية العلوم الشرعية بسلطنة عمان

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فمما لا شك فيه أن العالم الآن يقف على أعتاب الثورة الصناعية الرابعة ويتحول تحولاً سريعاً ويتطور تطوراً مذهلاً في شتى المجالات، ومنها مجال الاقتصاد حيث أصبح الاقتصاد الرقمي الآن يزاحم الاقتصاد التقليدي ويكاد أن يحل محله، ومن مسائل الاقتصاد الرقمي «النقود الرقمية» التي ظهرت وحققَت نجاحات كبيرة وتكاد أن تصبح عملة رسمية معترفاً بها في بعض الدول، وأصبحت الصيرفة الرقمية تهدد البنوك والمصارف التقليدية بالاستغناء عنها لسهولة تكاليفها.

ولما كان الفقه الإسلامي يهتم باستشراف المستقبل وبيان الأحكام الشرعية لقضاياها كان من الواجب على المشتغلين به أن يدرسوا هذه القضايا ويبينوا الأحكام الشرعية لها، وهذه القضية شديدة الأهمية لكونها تتناول معاملة يتم عقد صفقات كثيرة جداً بها يومياً، ويتزايد الطلب عليها بشكل مستمر.

ولهذا فإني استخرت الله تعالى في أن أكتب في هذا الموضوع سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يوفقني لما فيه النفع والخير إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خطة الموضوع: يتكون هذا الموضوع من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

أما التمهيد: ففي أثر التحول للاقتصاد الرقمي على قضايا النقود، وأما المبحث الأول فعنوانه: النقود الرقمية الفكرة والنشأة والتطور، والمبحث الثاني عنوانه: سلطة

إصدار النقود في الفقه الإسلامي والمبحث الثالث عنوانه: أحكام النقود الرقمية ومدى انطباق وصف الثمنية عليها، أما المبحث الرابع والأخير ففي: أثر الالتزام بأحكام النقود في نمط الحياة الإسلامي. ثم خاتمة تتناول أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل عملي نافعاً ولوجهه تعالى خالصاً أنه نعم المولى ونعم النصير.

وأشكر دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري بدبي على تبنيها لفكرة هذا المنتدى الرائع الذي يساير الواقع ويضع استشرافاً للمستقبل، وأسأل الله أن يجزي القائمين على الدائرة خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهم.

أهم الدراسات السابقة: هذا الموضوع من الموضوعات المستجدة التي قلت الدراسات فيها، لكن مع جدته وجدت فيه بعض الأبحاث المعاصرة، والتي صدر بعضها أثناء كتابة هذا البحث ومنها:

١- الأحكام الفقهية المتعلقة بالعملات الإلكترونية، البيتكون، د. عبد الله بن محمد العقيل، وهذه الدراسة جديدة ومفيدة جداً؛ حيث إنها سلطت الضوء على هذه العملة الجديدة، لكنها ركزت على البيتكوين وإن كانت قد أشارت إلى العملات الأخرى ولم تركز على حكم التعامل بهذه العملة بل تناولت الآثار الفقهية لها مباشرة كجريان الربا ووجوب الزكاة وأحكام الصرف ونحوها.

٢- النقود الرقمية الرؤية الشرعية والآثار الاقتصادية أ.د / عبد الستار أبو غدة وقد تقدم بها المؤتمر الدوحة الرابع للامال الإسلامي «المستجدات المالية المعاصرة والبناء المعرفي» والذي عقد يوم ٩/ يناير ٢٠١٨ م وهي دراسة مفيدة لكنها مختصرة جداً.

٣- النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها وآثارها الاقتصادية، د. عبد الله بن سليمان بن عبد العزيز الباحث، وقد ركزت الدراسة على أهم الآثار الاقتصادية للنقود الافتراضية دون تطرق كبير للأحكام الشرعية.

بعض المقالات المنشورة على شبكة الإنترنت والفتاوى الصادرة عن بعض الجهات.

تمهيد: أثر التحول للاقتصاد الرقمي على قضايا النقود:

لقد تطور النظام الاقتصادي كثيراً في وقتنا المعاصر فبعد أن كانت البنوك تعمل بصورة تقليدية أصبحت الآن تعمل بصورة إلكترونية حتى أصبح عندنا ما يعرف بالنقود الإلكترونية، والدفع الإلكتروني والشراء الإلكتروني، بل والتجارة الإلكترونية، وأصبحت الكثير من المعاملات يتم إنجازها عن طريق الحاسوب دون انتقال من مكان إلى مكان أو تحمل لإجراءات نقل المبالغ أو المخاطرة بحملها.

والعالم الآن قد بدأ مرحلة الثورة الرابعة التي تهدف إلى التوسع في المسائل الإلكترونية بصورة أكبر، ونظراً للتطورات التقنية التي نشهدها أصبح الاقتصاد الرقمي -والذي يعتمد على مجرد الأرقام دون أن يكون هناك وجود مادي وراء هذه الأرقام - ينافس الاقتصاد التقليدي، ولذلك فإن هذا التحول سيؤثر كثيراً على مسائل العملة والقبض وينشئ أحكاماً جديدة من المهم التعرف عليها، ومنها مسائل الاعتماد على العملات الرقمية وأحكامها والنتائج المترتبة على التعامل بها وأثرها في الوفاء بالحقوق والالتزامات ومدى جواز السماح لها بأن تغزو حياتنا وآثار ذلك على الاقتصاد الحقيقي والتنمية الحقيقية.



المبحث الأول

النقود الرقمية الفكرة والنشأة والتطور

المطلب الأول: النقود الرقمية وصورها المعاصرة:

النقود الرقمية مصطلح شاع حديثاً بعد ازدهار حركة التجارة الإلكترونية والتعامل الإلكتروني، ويتضح من تعريفات الفقهاء للنقود أنها تطلق على كل ما اصطلح الناس على جعله مقياساً للقيمة ووسيطاً في التبادل وأداة للادخار ويلقى قبولاً عاماً بينهم^(١).

أما الرقمية فهي في اللغة: اسم مؤنث منسوب إلى رَقْم. والرقم في اللغة: النقش يقال: رَقَمْتُ الثوبَ أَرَقُمُهُ رَقْماً. وكل نقش رَقْمٌ، وبِهِ سُمِّيَ الأَرَقْمُ من الحيات للنقش في ظهره، ويطلق ويراد به الخطُّ في الكتاب والختم. قال تعالى: ﴿كُنْزٌ مَّرْقُومٌ﴾. والرقم هو الرَّمْزُ المُسْتَعْمَلُ للتعبير عن أحد الأعداد.

فاتضح أنه يطلق ويراد به الكتابة والخط والنقش والختم، وأقرب معانيه هو: أنه ما يعبر به عن عدد معين^(٢).

معنى النقود الرقمية اصطلاحاً: تعددت التعريفات المعاصرة للنقود الرقمية وكلها تحاول أن تذكر بعض خصائصها أو سماتها التي تميزها عن غيرها، ومن هذه التعريفات ما يلي:

- (١) بداية المجتهد (٢/ ٩٩)، المغني (٢/ ٣٢١)، إحياء علوم الدين (٤/ ٩٦)، تغير قيمة النقود ص (١٤)، حكم الأوراق النقدية، مجلة البحوث الإسلامية العدد (١) ج-١ ص ١٩٨.
- (٢) جوهرة اللغة ٢/ ٧٩٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ١٩٣٥، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ٩٣٠، المعجم الوسيط ١/ ٣٦٦.

١- هي تمثيل رقمي لقيمة نقدية ليست صادرة عن بنك مركزي أو سلطة عامة وليست مرتبطة بالضرورة بالعملة الورقية، ولكنها مقبولة لدى أشخاص طبيعيين أو اعتباريين كوسيلة للدفع، ويمكن نقلها أو تخزينها أو تداولها إلكترونياً^(١).

٢- هي وسيط تبادل تعمل مثل العملة في بعض البيئات ولكنها لا تملك كل صفات العملة الحقيقية^(٢).

٣- هي عملة رقمية افتراضية (ليس لها كيان مادي ملموس أو وجود فيزيائي) منتجة بواسطة برامج حاسوبية ولا تخضع للسيطرة أو التحكم فيها من جانب بنك مركزي أو أي إدارة رسمية دولية يتم استخدامها عن طريق الانترنت في عمليات الشراء والبيع أو تحويلها إلى عملات أخرى وتلقى قبولاً اختيارياً لدى المتعاملين فيها^(٣).

ومن الممكن وضع تعريف لها بأنها: وسائط تبادلية افتراضية تعتمد على الأرقام وليس لها كيان مادي، يتم إنتاجها واستخدامها عن طريق برامج إلكترونية وليست خاضعة لإشراف رسمي وتلقى قبولاً اختيارياً لدى المتعاملين بها.

فقولي وسائط تعبير عن حقيقتها لأن المتعاملين بها يجعلونها وسيطاً في التبادل، ومرادى بالافتراضية أي التي ليس لها وجود مادي حيث إن هذه العملات لا يمكن فيها القبض الحسي أو الرؤية البصرية وإنما هي أرقام تدخل محفظة البائع أو المشتري،

(١) النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها وآثارها الاقتصادية د. عبد الله الباحث ص ٢٠ ترجمة من تعريف البنك الأوروبي .

(٢) المرجع السابق نقلاً عن FIN CEN .

(٣) تعريف د عبد الله الباحث ص ٢١، ٢٢، النقود الرقمية الرؤية الشرعية والآثار الاقتصادية ص ٢ د عبد الستار أبو غدة .

وتنتج عن طريق برامج إلكترونية عن طريق الحاسوب أو الهاتف وتستعمل عن طريقها أيضاً وحال انعدامها لا يمكن استخدامها.

ليست خاضعة لإشراف رسمي فلا يمكن أن يسيطر عليها بنك مركزي أو مؤسسة مالية أو حكومة أو دولة بل هي متحررة من كل السلطات والتقييدات وتسمى معاملة الند للند، ولا يسيطر عليها فقط إلا المخترع أو المكتشف لها بوضع شفرات ورموز تمنع من التلاعب بها أو انتقالها لغير من يمتلك الرقم السري لها.

وتلقى قبولا اختياريا حيث إنها لا توجد لها قوة الإلزام مثل النقود الورقية الإلزامية التي ألزمت بها الدول رعاياها، بل تعتمد هذه النقود على ثقة المتعاملين بها في مصدرها وفي برامج التشفير الخاضعة لها وليس لها غطاء معدني تعتمد عليه.

المطلب الثاني: نشأة النقود الرقمية وانتشارها وفيه فرعان:

الفرع الأول: النشأة والوجود:

نظراً للتطور المعلوماتي الهائل وانتشار التجارة الإلكترونية بدأ التفكير في إنشاء عملات بعيدة عن سيطرة البنك المركزي وعن رقابة الحكومات وعن النقود التقليدية، تخضع هذه العملات إلى التعامل الفوري عبر شبكة الانترنت وسموها معاملة الند للند peer to peer وهو مصطلح تقني يعني التعامل المباشر بين مستخدم وآخر دون وجود وسيط.

وهذه العملات متعددة لكنها متشابهة في ظروفها وطبيعتها ولذلك سأحدث عن تاريخ أشهر هذه العملات وأقدمها في الظهور فقط وبقية العملات تلحق بها.

وأول صورة ظهرت بها العملات الافتراضية هي عملة بيتكوين التي بدأت في أواخر عام ٢٠٠٨ م وظهرت للعالم في ٢٠٠٩ م وظهرت على يد مبرمج يسمى: ساتوشي ناكاموتو^(١) واختراع ساتوشي يتمثل في أنه وجد طريقة لبناء نظام نقد رقمي لا مركزي^(٢) وقالوا إن الهدف من إنشاء هذه العملة تغيير الاقتصاد العالمي بنفس الطريقة التي غيرت بها ويب أساليب النشر^(٣).

وفي عام ٢٠١٠ م تم إنشاء سوق إلكتروني لصرف عملة البيتكوين مقابل العملات العالمية، وفي نفس العام تم شراء أول سلعة بالبيتكوين وهي عبارة عن بيتزا مقابل ١٠ آلاف بيتكوين، وتوالت التعاملات في نفس العام.

الفرع الثاني: الانتشار العالمي والاعترافات الدولية:

منذ أول ظهور للعملات الرقمية وهي في انتشار مستمر وبعضها حقق اعترافات رسمية من جهات معينة، ففي عام ٢٠١٢ م قام الاتحاد الأوروبي بالموافقة على منح رخصة بنك لأول مؤسسة صرف أوروبية لعملة البيتكوين، وأصدر القضاء في ولاية تكساس الأمريكية عام ٢٠١٣ حكماً باعتبار البيتكوين شكلاً من أشكال المال الذي يمكن استخدامه والاستثمار فيه، وكذلك اعترفت وزارة المالية الألمانية في نفس العام بعملة البيتكوين واعتبرتها نوعاً من أنواع المال الخاص، وفرضت الضرائب على حيازتها، وتم إنشاء أول جهاز صراف في ولاية ساندييغو الأمريكية لشراء عملة

(١) يرى البعض أن الذي ابتكرها هم مجموعة من الطلبة الإيرلنديين ولكنهم تخفوا وراء هذا الاسم.

ماذا تعرف عن عملة البيتكوين ص ٥١ أحمد محمد عصام الدين.

(٢) النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها ص ٤.

(٣) ماذا تعرف عن عملة البيتكوين ص ٥١ أحمد محمد عصام.

البيتكوين وكذلك صرفها للدولار^(١). وقامت شركة روبوكوين بتركيب أول جهاز صراف آلي ATM في العالم لعملة البيتكوين في كندا^(٢) ومن الشركات التي تتعامل بها مايكروسوفت، وأمزون، ودليل، وورد برس، وويكيبيديا وغيرها.

وهناك دول لم تعترف بها وقاومتها مثل الصين، وأصدر وزراء مالية الاتحاد الأوروبي قراراً في ٢٠١٥ م بتشديد القوانين المتعلقة باستخدام عملة البيتكوين؛ لمنع التنظيمات الإرهابية والتنظيمات الإجرامية من استخدام هذه العملة في تمويل أنشطتها، وحذر المصرف المركزي الروسي من استخدام العملة الإلكترونية بتكوين، وأشار إلى أنه يمكن استخدامها في غسيل الأموال أو تمويل الإرهاب والتعامل بها كعملة موازية مخالف للقانون.

المطلب الثالث: إنشاؤها وتداولها:

يتم إنشاء عملة البيتكوين - أشهر العملات - عن طريق ما يسمى بالتعدين وهي برامج متاحة للجميع وفي أي مكان في العالم ولكنها تتطلب وقتاً وكمبيوتراً سريعاً بمواصفات عالية تسمح بتحميل برنامج التعدين المجاني، وبهذا البرنامج يمكن حل عدد من الألغاز التي يحصل عليها المعدن من شبكة البيتكوين ويسمونها خوارزميات^(٣) وبعد الانتهاء من حل الخوارزميات يقوم البرنامج بإصدار العملة

(١) الأحكام الفقهية المتعلقة بالعملات الإلكترونية (بيتكوين) ص ١٣ د. عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب العقيل.

(٢) ماذا تعرف عن عملة البيتكوين ص ٥٢ أحمد محمد عصام الدين.

(٣) الخوارزمية هي مجموعة من الخطوات الرياضية والمنطقية المتسلسلة اللازمة لحل مشكلة ما.

وإضافتها إلى المحفظة الإلكترونية لمن قام بالتعدين^(١) وبقية العملات تشبه هذه العملة في كيفية إنشائها لكن بعضها يمتاز بالسهولة عن بعض.

أما عن تداولها: فيشترط له أن يكون لدى كل طرف من المتعاملين بها محفظة إلكترونية هي بمثابة الحساب البنكي، وفائدتها حفظ العملات الرقمية، وهي الطريق الوحيد لاستقبال العملات أو تحويلها، ويمكن عن طريق المحافظ الإلكترونية حفظ أكثر من نوع من العملات والمشاركة من خلالها في عملية التعدين.

والمحفظة الإلكترونية عبارة عن برنامج إلكتروني، وتحتوي كل محفظة على مفتاحين:

١- المفتاح العام: وهو مثل رقم الحساب في الحسابات العادية وهو عبارة عن مجموعة أرقام وحروف، فإذا رغب صاحب المحفظة في استقبال العملات فإنه يعطي المفتاح العام للمرسل فيقوم المرسل من خلال محفظته الإلكترونية بإدخال المفتاح العام للمستقبل وإرسال المبلغ المطلوب من العملات.

٢- المفتاح الخاص: وهو ما يقابل الرقم السري في الحسابات البنكية وهو مماثل للمفتاح العام في كونه حروف وأرقام، فحين يقوم المرسل بتحويل العملة إلى محفظة المستقبل لا يتمكن المستقبل من صرف هذه العملات إلا بإدخال المفتاح الخاص، ولذلك فإنه إذا تمكن أحد من الوصول إلى المفتاح الخاص لأي محفظة فإنه بإمكانه سرقة محتوياتها من العملة^(٢).

(١) ماذا تعرف عن عملة البيتكوين ص ٥١ أحمد محمد عصام الدين.

(٢) الأحكام الشرعية للعملات الإلكترونية البيتكوين ص ٤٦.

المطلب الرابع: أشهر أنواع العملات الرقمية:

هناك العديد من العملات الرقمية التي عرفت ويتم التداول بها، وتشير الإحصاءات إلى وجود العديد من العملات ونشر موقع coinmarketcap.com الذي يهتم بتداول العملات الرقمية وبيان سعرها ١٥٠٨ عملة حتى وقت كتابة هذا البحث، لكن بعض هذه العملات وجدت لها طريقاً إلى الشهرة والبعض الآخر لم يحقق الشهرة المطلوبة^(١).

وهذه العملات مع اختلاف أنواعها وتعدد أسماءها تتشابه في حقيقتها وكيفية إصدارها وفكرتها وأحكامها الشرعية وآثارها الاقتصادية، والذي يجعل أسماءها تختلف هو تسمية المخترع أو المكتشف أو من قام بالإصدار لها، وتجمعها كلها خاصية مزاحمة العملات الرسمية الصادرة من البنوك المركزية، والتداول الواسع لها، والقفزات المغرية من خلال تداولها^(٢).

وأول عملة نشأت هي البيتكوين -الذي يعد أشهر العملات الافتراضية- ثم بدأت كثير من العملات في الظهور بنفس الطريقة التي نشأت بها البيتكوين ويحاول كل مخترع أن يحقق شهرة لعملته التي اخترعها ويتجنب الصعوبات التي رآها في العملة التي ظهرت أمامه.

ويقولون إذا كانت البيتكوين هي الأشهر فليست هي الأوحده بل يتوفر حالياً ما لا يقل عن ألف عملة تشفيرية مختلفة منها ٥ عملات على الأقل توصف بأنها

(١) ذكر موقع coinmarketcap.com.

(٢) النقود الرقمية، د عبد الستار أبو غدة ص ١٤.

عملات رئيسية؛ بناء على عدد المستخدمين لها، واتساع بنية الشبكة التي تقبل التعامل بها، وعدد الأماكن التي يمكن من خلالها استبدال العملة التشفيرية الافتراضية بالعملات الورقية الأخرى، والعدد في زيادة مستمرة فكل يوم تكتشف عملة جديدة وبرمجة جديدة، وتبلغ القيمة السوقية للعملات الرقمية ١٤٨ مليار دولار، وللببتكوين أكبر حصة منها وتصل إلى ٤٩٪^(١).

وأذكر هنا أهم هذه العملات من حيث الانتشار بعد أن سبق الحديث عن الببتكوين.

١ - عملة الايثريوم (Ethereum) وهي ثاني أكبر العملات بعد الببتكوين

٢ - الريبل (Ripple) وتعد من أشهر وأهم العملات الرقمية الحالية حيث تحتل المرتبة الثالثة عالمياً من حيث السيولة، وقامت بإنتاجها شركة تسمى «أوبن كوين» في عام ٢٠١٣م^(٢).

٣ - بيركوين (Peercoin) وتمتاز بزيادة في كفاءة التعدين وتحسين الأمن والضمانات لتجنب سوء معاملة المعدنين، وقيمتها السوقية تعتبر الرابعة بين العملات الافتراضية.

٤ - باسكال كوين (PascalCoin's) والتي يرى مخترعها أنها تعالج بعض سلبيات الببتكوين، حيث إن الحصول عليها وتداولها أسهل بكثير من الببتكوين، وأرقام الحسابات التي يحصل عليها من اشتراكها أرقام قليلة لا تزيد على عشرة أرقام

(١) المرجع السابق نفس الموضوع.

(٢) أهم ١٠ معلومات عن الريبل موقع Arab@bit.net

بخلاف البيتكوين التي تكون الأرقام فيها كثيرة جداً، وتتميز بسرعة الإنجاز وكثرة المعاملات حيث يتم تسجيل أكثر من ١٠٠ معاملة في الثانية الواحدة^(١).

٥- بقية العملات ومن أهمها: عملة اللاتيتكون **Litecoin**، ونوفاكوين **NOVACOIN**، نيمكوين **Namecoin**، فيذركوين **Feathercion**. إي ديناركوين **(E-Dinarcoin)**، زيكاش **(ZCACH)**^(٢).

المطلب الخامس: الفرق بين النقود الرقمية والإلكترونية والورقية:

الفرع الأول: الفرق بين النقود الرقمية والنقود الإلكترونية:

هناك تعريفات كثيرة للنقود الإلكترونية ومن أهمها أنها: قيمة نقدية مخزنة بطريقة إلكترونية على وسيلة إلكترونية كبطاقة أو ذاكرة كمبيوتر، ومقبولة كوسيلة للدفع بواسطة متعهدين غير المؤسسة التي أصدرتها، ويتم وضعها في متناول المستخدمين لاستعمالها كبديل عن العملات النقدية والورقية، وذلك بهدف إحداث تحويلات إلكترونية لمدفوعات ذات قيمة محددة^(٣).

ويتضح من كثير من التعريفات أن النقود الإلكترونية تتمتع بالصفة النقدية المنقولة لها من النقود الورقية، فهي ليست نقداً قائماً بذاته، بل هي صيغة غير مادية

(١) باسكال كوين — ثورة جديدة في عالم العملات الرقمية تعالج سلبيات البت - كوين (PascalCoin's advantages over Bitcoin).

(٢) ماذا تعرف عن البيتكوين ص ٥٢، النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها عبد الله، الباحث ص ٣٠ نقلاً عن مواقع تلك العملات في شبكة المعلومات الدولية، مقال هشام الكوحة لندن «عام ٢٠١٨م عام استثنائي في العملات الرقمية»، وموقع coinmarketcap.com.

(٣) المفوضية الأوروبية عام ١٩٩٨ تعريف النقود الإلكترونية، النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها وآثارها الاقتصادية، د. عبد الله الباحث ص ١٤، ١٥.

من النقود الورقية؛ لأن إصدارها يتمثل في تحويل شكل النقود من الصيغة الورقية إلى الصيغة الإلكترونية، وتستخدم كأداة للمدفوعات وتسوية الحسابات فيما بين العملاء والبنوك من خلال قنوات الاتصال الإلكترونية^(١).

فالفرق بينها وبين العملة الافتراضية يتمثل فيما يلي:

١- أن النقد الإلكتروني له وجود مادي ملموس ومنقول عنه وهو النقود الورقية، أما النقود الافتراضية فليس لها هذا الوجود ولا يمكن تحويلها إلى شيء مادي إلا بيعها وشراء نقود ورقية أخرى بدلاً منها.

٢- محل التعامل بالنقود الإلكترونية هو شبكة الحاسوب أو ماكينات الصرف الآلي أو المتاجر أو الشركات أو غيرها، أما النقود الافتراضية فمحل التعامل بها هو شبكة الإنترنت فقط.

٣- النقود الإلكترونية لها قبول عالمي لأنها منقولة عن عملة معترف بها عالمياً، أما النقود الافتراضية فلا تتمتع بهذا القبول بل هي محل جدل كبير.

٤- النقود الإلكترونية لها جهات إصدار معروفة ويمكن الرجوع عليها، أما النقود الافتراضية فلا تعرف جهات إصدارها ولا توجد بنوك مركزية مسؤولة عنها.

الفرع الثاني: الفرق بين النقود الرقمية والنقود الورقية: تختلف النقود الرقمية

عن الورقية فيما يلي:

١- الوجود الفيزيائي: فالنقود الورقية لها وجود مادي محسوس وهي مصنوعة من أوراق ومواد أخرى بينما الافتراضية لا وجود لها وهي مجرد أرقام تظهرها

(١) النقود الافتراضية - مفهومها وآثارها الاقتصادية، د عبد الله البحوث ص ١٥.

المحافظ الإلكترونية الخاصة بها فتزيد الأرقام في محفظة المستقبل وتنقص في محفظة المرسل.

٢- الإنتاج: فالنقود الورقية تنتجها الجهات المعنية كالبنك المركزي في الدولة ويتولى نشرها بين الناس، بينما النقود الافتراضية يتم إنتاجها برمجياً بواسطة مبرمجين أو أفراداً عاديين بواسطة ما يسمى بتعددين العملة، ولا يتبعون أي جهة حكومية أو خاصة.

٣- التحكم: فيتم التحكم بالنقود الورقية عن طريق الدولة التي أنتجتها، فهي المسيطرة على طباعتها ونشرها وتحديد قيمتها وسعر صرفها ومراقبة حركتها في السوق، أما النقود الافتراضية فهي على خلاف ذلك، فلا توجد هيئة مركزية تتحكم بها وإنما يتم التعامل بها على طريق الند للند أو المرسل والمستقبل دون تدخل وسيط أو متحكم^(١).

المطلب الثاني: الدوافع لإنتاج النقود الرقمية وأهم مزاياها ومخاطبها:

أولاً: دوافع إصدارها: الذي دفع إلى إصدارها هو محاولة بعض الناس التخلص من سيطرة الدولة على الإصدار النقدي، وحرص المصدر على تحقيق المكاسب، وإيجاد آليات للتبادل النقدي لا تخضع لمركزية أو سلطة معينة.

ثانياً: أهم مزاياها: تمتاز النقود الرقمية بعدة مميزات لا توجد في غيرها من وسائل الدفع العادية ومن هذه المميزات ما يلي:

(١) الأحكام الفقهية المتعلقة بالعملات الإلكترونية «البيتكون» ص ١٣، د. عبد الله بن محمد العقيل.

١- سرعة الإنجاز فقد يقوم المتداول بتبادل المبالغ الكبيرة جدا بكل سهولة ويسر، ولا يحتاج إلى محاسبين أو دفاتر أو حمل أو نقل مادي، كما لا يحتاج إلى وسطاء بين البائع والمشتري حيث يتم مباشرة نقل المبلغ من محفظة المشتري إلى محفظة البائع.

٢- سهولة الإحصاء؛ لأن جهاز الحاسوب يقوم بالجمع والخصم من محفظة المشتري والتحويل إلى محفظة البائع بصورة مباشرة وسريعة، ولا يحتاج إلا إلى إدخال كلمة المرور وإصدار أمر بالتعامل.

٣- سهولة الحفظ وعدم القابلية للتلف أو الإتلاف؛ حيث يتم حفظها عن طريق شبكة الإنترنت ولا يحتاج من يحفظها إلا إلى تقنية معينة ومعرفة بآليات وبرامج الحفظ، ولا يحتاج حفظها إلى حراسة أو مراقبة.

٤- عدم التكلفة؛ لأنها عملة افتراضية وغير ملموسة فلن تكون لها كلفة طباعة أو إصدار أو نقل كما هي النقود الورقية أو المعدنية.

٥- السرية فلها خصوصيتها ولا يمكن لأحد أن يطلع عليها، وهي خارج سيطرة السلطة النقدية وأدوات الرقابة المصرفية.

٦- العالمية؛ فليس لها وطن أو هوية معينة، فلا تحدها حدود بل يمكن التعامل بها في أي مكان من العالم.

٧- لا تحتاج إلى تصاريح ولا تتحكم فيها البنوك المركزية ولا تخضع لتعليقاتها، فيمكن لأي شخص استخدام العملات الرقمية لأنها مجرد برنامج يمكن للجميع

تحميله مجاناً، وبعد تثبيته يمكنه الحصول على العملات، لا أحد يمكن أن يمنعه، فلا يوجد حارس بوابة وهذه ميزة تعطي حرية للتعامل لكنها قد تكون عيباً من العيوب أيضاً^(١).

ثالثاً: محاذير ومشاكل النقود الرقمية: وهذه النقود كما أن لها العديد من المزايا، فإن لها العديد من المخاطر والمحاذير الفنية والشرعية والاقتصادية، ومن هذه المحاذير والمخاطر ما يلي:

١- إمكانية الإنفاق المزدوج، وهذه من أهم المشاكل الفنية التي تواجه المعدنين، لاحتمال أن ينفق أحدهم نفس المبلغ مرتين، وعادة يتم مراقبة ذلك من قبل سيرفر مركزي يحتفظ بسجل حول جميع التعاملات والأرصدة، ويقع على المعدن عبء متابعة الإنفاق على مستوى العالم.

٢- أنها تؤثر سلباً على العملات التقليدية حيث تصيبها بالكساد وتؤثر على البنوك المركزية.

٣- عدم إمكانية استرجاعها في حال التعرض للقرصنة أو الخطأ، فبعد تأكيد الصفقة لا يمكن عكسها، ولا أحد يستطيع استرجاعها إذا تم إرسال الأموال إلى أحد المخادعين أو إذا سرقها القرصنة من جهاز الكمبيوتر الخاص بالمتعامل أو هاتفه الجوال.

(١) أ.د. غسان الطالب، عملة البيتكوين ومصارفنا الإسلامية، مقال منشور يوم الأحد ٥ نوفمبر ٢٠١٧ م، النقود الافتراضية، للباحث ص ٣٢، ٣٣، النقود الافتراضية، للدكتور عبد الستار أبو غدة ص ١٩.

٤- جهالة أطراف التعامل، فأكثرها يرتبط بحسابات غير معلومة وبيانات غير دقيقة.

٥- يمكن أن تستغل في تحويل الأموال في عمليات غير مشروعة، مثل غسل الأموال أو تجارة الممنوعات، كما حدث في موقع سوق الحرير، وكذلك ما يقوم به أصحاب فيروس الفدية الإلكتروني من اختراق العديد من الأجهزة وتشفير جميع البيانات، ثم يطلب المخرق فدية من صاحب الحاسب الآلي ما يساوي ٣٠٠ دولار يدفعها من عملة البيتكوين حتى يقوم بفك التشفير، واختاروا البيتكوين لأنه لا يمكن معرفة اسم المرسل إليه ولا تتبعه؛ إذ يتم التحويل إلى محفظته الإلكترونية مباشرة دون مرور الأموال على جهة حكومية تستطيع تتبع التحويل والتعرف على المرسل إليه^(١).

٦- أنها عرضة للضياع أو التلف نتيجة فقد المفتاح الخاص بحافظة العملة فيضيع معه كل الرصيد.

٧- ليس لها وجود مادي، ولا توجد تشريعات قانونية أو تنظيمية تحافظ على حقوق المتعاملين بها.

٨- لا يوجد لها سعر صرف رسمي كمرجعية يمكن القياس عليه أو الاعتماد عليه عند تنفيذ عمليات البيع أو الشراء، وقيمتها تتغير بشكل حاد، ولا تتمتع بالاستقرار مقارنة بالعملات الأخرى^(٢).

(١) الأحكام الفقهية المتعلقة بالعملات الإلكترونية «البيتكون»، ص ١٩، د. عبد الله بن محمد العقيل.

(٢) أ. د. غسان الطالب عملة البيتكوين ومصارفنا الإسلامية، مقال منشور يوم الأحد ٥ نوفمبر

٢٠١٧م

٩- بعض العملات معرضة للنفاد باعتراف مخترعيها، ولا يمكن إصدار المزيد منها ويكون الحصول عليها فقط عن طريق الشراء ممن يمتلكها أو تقسيمها إلى أجزاء.

١٠- تذبذب القيمة المادية لها ارتفاعاً وانخفاضاً، وفي بعض الأحوال يكون الارتفاع مبالغاً فيه ولا يعكس رؤية اقتصادية حقيقية.

١١- لم تتمتع بالقبول العام أو الاعتراف الرسمي بها في كثير من الدول، بل هناك بعض الدول تحذر من استخدامها وتمنعها^(١).



(١) النقود الافتراضية، للباحث ص ٤٢.

المبحث الثاني

سلطة إصدار النقود في الفقه الإسلامي

المطلب الأول: حق الدولة في الإصدار النقدي:

تقرر في الفقه الإسلامي أن الإصدار النقدي سلطة من اختصاص الدولة، وصرح الفقهاء بأن ضرب النقود من حق الإمام، وهو من المصالح العامة المنوطة به، ولا يجوز لأحد الافتئات عليه بضرب النقود بغير إذنه؛ لما يترتب على ذلك من المخاطر^(١).

وهذا ما يتم العمل به في الأنظمة الاقتصادية المعاصرة، فالإصدار النقدي من الوظائف السيادية التي تحتفظ بها الدول ويتولاها البنك المركزي، ولم نجد نظاماً يسمح للأفراد بإصدار النقود أو يكل أمرها إلى مؤسسات خاصة، وذلك لأن النقود لها أثر كبير في الاستقرار الاقتصادي وتحديد قيم الأشياء؛ لأنها من قبيل المقاييس والمكاييل والموازن وشأنها أن تكون منضبطة لا ترتفع ولا تنخفض حتى يصلح أمر الناس^(٢)، وإصدار النقود من قبل الحاكم يعطيها هذا الثبات والاستقرار النسبي، ولذلك منع الفقهاء من إصدار النقود بغير إذن ولي الأمر. قال الإمام أحمد ابن حنبل: لا يصلح ضرب الدراهم إلا في دار الضرب بإذن السلطان، لأن الناس إن رخص لهم ركبوا العظام^(٣).

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧٨/٢٨).

(٢) ينظر في هذا: إعلام الموقعين (دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ- ١٩٩١م) ج ٢ ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) الفروع لابن مفلح (٢/٤٥٧)، كشف القناع (٢/٢٣٢)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٨١ ط دار الكتب العلمية.

وقال الإمام النووي: يكره للرعية ضرب الدراهم وإن كانت خالصة، لأن ضرب الدراهم من شأن الإمام^(١).

والتعبير بالكراهة هنا محمول على حالة عدم صدور قرار من الحاكم بالتزام العملة المضروبة من الدولة وحدها، أو في حالة عدم المنع من إصدار عملات أخرى، أو لم تتوافر نية الإضرار أو الغش عند من قام بإصدار هذه العملة، وقالوا بالكراهة هنا سداً لذريعة الفساد، أما إن صدر منع أو تحققت نية غش أو كان هناك إضرار بالناس فيأخذ هذا الفعل حكم الفعل المحرم^(٢).

ونقول: إذا كانت هذه هي نصوص الفقهاء في النقود التي كانت ذهباً وفضة ومع ذلك منعوا من إصدارها مع كونها تحمل قيمة في ذاتها فكيف بالعملات التي لا تحمل أي قيمة في ذاتها؟ لا شك أنها أولى بالمنع.

الأدلة على استئثار الدولة بحق إصدار النقود:

استدل الفقهاء على اختصاص الدولة بحق إصدار النقود بأدلة كثيرة من القرآن والسنة والمعقول ومنها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾^(٣).

(١) المجموع (٥/٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) تغير قيمة العملة في الفقه الإسلامي، د. عجيل جاسم النشمي، مجلة مجمع الفقه، العدد (٥)

الجزء (٣) ج-١ ص ١٦٢٥.

(٣) من الآية (٥٩) من سورة النساء.

وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بطاعته ﷺ ثم بطاعة رسوله ﷺ فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء، ومن طاعة ولي الأمر أن نتقيد بالنقود التي أصدرها وألا نتعدى على حقهم في هذا الإصدار.

قال سهل بن عبدالله التستري^(١): أطيعوا السلطان في سبعة: ضرب الدراهم والدنانير والمكايل والأوزان، والأحكام، والحج، والجمعة، والعديد، والجهاد^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾^(٣).

وجه الدلالة: أن الله تعالى أخبر أن شعبياً نهى قومه عن إفساد الأموال، وكانوا يغشون الدراهم والدنانير بما يزيفونه منها ويعاملون الناس بها على أنها دراهم صحيحة، وكانوا يبخسون الناس في الكيل والوزن، فنهاهم عن ذلك، فقالوا ما قالوا، وكان عاقبتهم ما أخبر الله عنهم من الهلاك والدمار، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَبًا شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾^(٤) فمن

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع؛ وكُنِيته أبو محمد، أحد أئمة الصوفية وعلماهم، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين. وعاش ثمانين سنة أو أكثر. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠-٣٣٣).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٥٩).

(٣) سورة هود، الآية (٨٧).

(٤) سورة هود، الآيتان (٩٤، ٩٥).

فعل مثل فعلهم استحق العقاب من الله تعالى، فثبت أن العبث بالنقود منهي عنه، ولا شك أن من يصدر نقودا غير التي تصدرها الدولة يكون فاعلا مثل ما فعل قوم شعيب مما حذرنا الله منه^(١).

٣- عن علقمة بن عبد الله المزني عن أبيه أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة^(٢) المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس^(٣).

وجه الدلالة: أن الحديث أفاد النهي عن العبث بالنقود أو تضييعها، وعبر عن ذلك بالكسر الذي هو تضييع لوصف في النقد مع أنه قد يستفاد به كسلعة ومع ذلك ورد النهي عنه، ولا شك أن في إيجاد عملات مضاهية للعملة الرئيسية تحل محلها أو تنافسها بدون إذن من السلطة المختصة أولى بالمنع من الكسر لأن في ذلك إضرار بالناس وإغلاء للأسعار وإضاعة للمال^(٤).

٤- ما روي عن عدد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من الأخبار التي تدل على وجوب صيانة النقود وجعلها بيد الحاكم، ومعاينة من يزيها، أو

(١) إحياء علوم الدين (٩٦/٤)، تفسير الطبري (١٠١/١٢، ١٠٢)، روح المعاني (١١٧/١٢)، تفسير البيضاوي (٢٥٣/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٢٣/٣)..
(٢) السكة- بكسر السين المهملة- أي الدراهم المضروبة على السكة، وهي الحديد المنقوشة التي تطبع عليها الدراهم والدنانير والجائزة هي النافقة التي يتم التعامل بها.
(٣) قال البيهقي: وهذا الحديث رواه محمد بن فضاء وليس بالقوي عن أبيه عن علقمة بن عبد الله البرني عن أبيه، وأورده الحاكم ولم يعلق عليه. سنن ابن ماجه (٦٧١/٢)، المستدرک علی الصحیحین (٣٦/٢)، نيل الأوطار (٢٦٣/٥).
(٤) إعلام الموقعين (٣٨٧/٢)، شعب الإيمان (٢٢٧/٢)، نيل الأوطار (٢٦٣/٥)، النقود في الشريعة الإسلامية إصدارها وتداولها ص (١٤٦) رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الشريعة والقانون بأسبوط للباحث محمد هاشم محمود، إشراف الأستاذ الدكتور/ أحمد ريان.

يعتدي عليها، وروي هذا عن عبد الله بن الزبير وسعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، ولم يعرف لهم مخالف فكان ذلك إجماعاً على أن ضرب النقود من اختصاص الحاكم ولا يجوز لأحد أن ينافسه فيه^(١).

المعقول:

١- أن في إصدار النقود عن طريق آحاد الناس أضراراً عديدة تعود على المتعاملين بها، ويؤدي هذا إلى غلاء الأسعار والتضخم النقدي ونقص الصدقات وندرة السلع، ولأجل ضبط التعامل نص الفقهاء على أن من وظيفة المحتسب أن يتفقد عيار المثاقيل والصنج... كما تدخل في وظيفته مراقبة مقادير دنائير الذهب ودراهم الفضة وزنا وحجماً^(٢).

٢- ما سبق ذكره من كلام الفقهاء وتحذيرهم من إصدار النقود بدون إذن ولي الأمر كان في وقت تصدر فيه النقود من الذهب الخالص، أو من الفضة الخالصة، ومع ذلك قالوا بعدم جواز إصدارها من غير السلطة مع أنها لو ضربت خالصة بغير إذن الإمام فإنها تصلح نقداً لكونها سلعة تحمل قيمة في ذاتها وهي جيدة ومضروبة على نفس المواصفات التي تصدر بها النقود من الحاكم، فكيف بالنقود الأخرى التي لا تملك نفس المواصفات؟

(١) تفسير القرطبي (١٨/٣)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/١٣٥)، المحلى (١٢/٣٦٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٣/٢٤)، فتوح البلدان (٣/٥٧٧) ..

(٢) المجموع شرح المذهب (٥/٤٩٤)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١١/٢٦١، ٢٦٠)، تغير قيمة العملة في الفقه الإسلامي (مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد (٥) الجزء (٣)) ج-١ ص ١٦٢٧-١٦٣٠.

المطلب الثاني: حكم النقد الصادر من غير الحاكم إذا راج وانتشر:

مما لا شك فيه أن شيوع نقود غير صادرة من قبل الدولة يضر بالاقتصاد ولا يحقق العدالة لأنه يجعل المقياس غير موثوق به ويؤدي إلى التفاوت في الدخل وعدم الإنصاف فيما بين الدائن والمدين، وفي قيام الحاكم بإصدار النقود محافظة على الاستقرار النقدي فلا يؤدي إلى تضخم أو انكماش؛ لأنه يراعي التوازن بين الكمية المعروضة والكمية المطلوبة من النقود؛ لأن النقود لا تطلب لذاتها بل لكونها وسيلة للتبادل والتعامل، ولذلك اعتبر الفقهاء أن فساد النقد فساد للسياسة، قال الماوردي: وقد كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم^(١)، وقال الفقهاء: إن واجب ولي الأمر ليس في الإصدار النقدي فقط بل عليه مراقبة الأسواق وإن ظهرت في الأسواق نقود مغشوشة فعليه ألا يتهاون في ذلك^(٢).

قال الإمام الونشريسي: (ولا يغفل - أي الحاكم - النظر إن ظهر في سوقهم دراهم مبهرجة ومخالطة بالنحاس، بأن يشد فيها ويبحث عن أحدثها، فإذا ظفر أناله من شدة العقوبة، وأمر أن يطاف به الأسواق لينكله ويشرد به من خلفه، لعلمهم يتقون عظيم ما نزل من العقوبة ويحبسه بعد، على قدر ما يرى، ويأمر أوثق من يجد بتعاهد ذلك من السوق، حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم، ويحزوا نقودهم فإن هذا أفضل ما يحوط رعيته فيه، ويعمهم نفعه في دينهم ودنياهم، ويرتجي لهم الزلفى عند ربهم والقربة إليه، إن شاء الله)^(٣).

(١) الأحكام السلطانية (دار الكتب العلمية-بيروت-د.د. ط-د.ت) ج ١ ص ١٩٥-١٩٧

(٢) أثر التضخم والكساد (مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد (٩) الجزء (٢)) ج-١ ص ٤٩٣-٤٩٥

(٣) المعيار العرب ٦ / ٤٠٧.

وعلى هذا فإني أميل إلى أن النقود التي تظهر عن غير الحاكم - كما يحدث الآن في النقود الافتراضية - لا تأخذ وصف الثمنية ولا تنطبق عليها أوصاف العملات لما يلي:

أولاً: هذه النقود ليست لها قيمة في ذاتها وإنما تستمد قيمتها من وجود جهة تتكفل بها وتحمي مركزها والحاكم هو الذي يملك ذلك، فلا ينطبق وصف العملات على غير ما أصدرته السلطة المختصة لكن هذا لا ينفي عنها المالية أو التقوم.

ثانياً: لا يكفي تعارف الناس على استخدام عملة معينة لأنه عرف خاص ويصادم مسلمات شرعية وفنية^(١)، ولا عبرة بالعرف الخاص حال مصادمته للمصلحة العامة.

ثالثاً: أن النبي ﷺ لم يقبل النقود المعدنية التي تضرب في الفرس أو الروم بالقيمة الاسمية التي دونت عليها وإنما كان يتعامل بها وزناً، وذلك حماية للمتعاملين بها من الغش أو الخديعة، ومحافظة على أن يكون التقدير تقديراً عادلاً ليس فيه ظلم أو إضرار بطرف على حساب الآخر، فكيف نقوداً تحمل قيمة اسمية وليست هذه النقود أصولاً للأثمان وليس لها قيمة مادية في ذاتها وليس هناك من يلتزم بها ونقبلها بالرقم الاسمي الذي دون عليها؟^(٢).

رابعاً: أن النقود وسائل تبادل بين الناس في مجتمع منظم يدار من طرف السلطة، وهذه النقود لا تتمتع باعتراف السلطة فهي أشبه بالعقد الموقوف الذي لا بد من إجازته من ولي الأمر ليحدث الآثار.

(١) النقود الافتراضية، د ابو غدة، ص ٢٠

(٢) شرح رياض الصالحين ٥ / ٤١١ لمحمد بن صالح العثيمين، دسارة القحطاني، حوارات البيتكوين.

خامساً: أن أصول الأثمان تجري عليها الأحكام دون اعتبار من الدولة مثل الذهب والفضة، أما ما يتخذ ثمناً فلا بد من قرار من السلطة المختصة؛ لأن القاعدة تقول: المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً^(١) فمجرد القبول العام لا يكفي في عصرنا إلا تحت غطاء الدولة.

سادساً: أن هذه النقود ليست سلعة حتى تعطى وصف النقود السلعية؛ لأن السلعة لها منفعة شرعاً وتراد لذاتها أما النقود فتتراد لغيرها، وهذه العملات ليست مرادة لذاتها لأنها لا منفعة فيها بذاتها وإنما هي مرادة لغيرها وهو أن تتخذ وسيلة للتبادل^(٢).

سابعاً: أن إصدار النقد يعتمد على معادلة اقتصادية محددة تشمل معدل النمو في الناتج المحلي الإجمالي بالإضافة إلى المعدل السنوي للتضخم حيث تتم طباعة النقود بعد توافق أطراف المعادلة، وهذا لا يمكن ضبطه في النقود الافتراضية التي تصدر عن طريق آحاد الناس.

ولذلك نقول إن النقود الافتراضية بصورتها الحالية لا ينطبق عليها وصف النقدية أو أن تكون عملة يتحقق بها إبراء الذمم، وذلك لأنها تحتاج - لتقوية مركزها، وتحقيق ثقة الناس فيها، وإقبالهم على التعامل بها - إلى غطاء نقدي تتكون أصوله من ذهب أو صكوك أو أصول استثمارية، والدولة هي التي تملك هذا الغطاء، وتعمل

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق (عالم الكتب-د. ط-د. ت) ج ٢ ص ٨٥-٨٦.

(٢) د. محمد قراط، حوار حول البيتكوين، ص ١١٨.

على إيجاده، وأما الأفراد فلا يملكون هذا الغطاء^(١) وفي الحقيقة لا يملكون إلا برمجة وقد تفسد تلك البرمجة أو تتغير أو تعرض للقرصنة أو الاعتداء ولا يوجد شيء مادي يمكن اللجوء إليه حال الفساد يمكن من الرجوع إليه أو تعويض القيمة منه. وقد أفتت رئاسة الشؤون الدينية في تركيا إلى أن عدم الاعتماد الحكومي ينفي المالية عن البيتكوين^(٢).

وأقول ينفي عنها كونها عملة ولا ينفي عنها وصف المالية على اعتبار أن هذا شيء مرغوب فيه وتميل إليه بعض النفوس وفيه منفعة لبعض الناس وهذا بناء على رأي من توسع في تعريف المال من الفقهاء.



(١) النقود في الشريعة الإسلامية، ص (١٥١).

(٢) بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي، ص ١٦.

المبحث الثالث

حكام النقود الرقمية ومدى انطباق وصف الثمنية عليها

المطلب الأول: شروط النقد ومدى توافرها في النقود الرقمية

النقود التي تعامل بها النبي ﷺ والتي نص عليها الفقهاء توافرت فيها بعض الخصائص حتى تكتسب وصف الثمنية وتصلح لإبراء الذمم وقضاء الحقوق ومن أهم هذه الأوصاف ما يلي:

- ١- أنها كانت مقياساً للسلع والخدمات فتوافرت فيها صفة النقدية وصلحت لأن تكون ثمناً لمبيع أو أجراً في إجارة.
- ٢- أنها كانت صادرة عن سلطة معلومة وليست مجهولة فكانت تتمتع بضبط جهة الإصدار والعلم بها.
- ٣- إنها كانت شائعة بين الناس وتلقى قبولاً عاماً وليست خاصة بفئة دون أخرى.
- ٤- أنها كانت تصلح أداة للادخار.
- ٥- أنها تحمل قيمة في ذاتها أو تعتمد على سلطة معترف بها، ولذلك كانت تتمتع باستقرار التعامل.

مدى انطباق تلك المواصفات على النقود الرقمية:

وبالنظر في الخصائص والشروط السابقة نجد أنها لا تنطبق على النقود الرقمية - بوصفها الحالي - وذلك لما يلي:

أولاً: من حيث كونها مقياساً للسلع والخدمات فهذه الخاصية غير متوافرة لما يلي:

أ- أن المقياس ينبغي أن يكون عادلاً ومنضبطاً ومقبولاً عند المحتكمين إليه، وهذا المقياس ليس عادلاً لأنه شديد الاهتزاز والتقلب، وليس قادراً على الاحتفاظ بالقوة الشرائية بل يتأثر سريعاً بأي حدث تقني أو فني أو اختراق أو موقف رسمي، والواقع يشهد بذلك حيث إن بعض هذه العملات مثل البيتكوين تضاعف سعرها في وقت قصير إلى حوالي ١٠ آلاف ضعف وهذا يجعل المقياس مضطرباً وليس مقبولاً.

ب- كذلك فالمقياس ينبغي أن يكون مقبولاً ومتفقاً عليه، وهذه العملات لم تلق هذا القبول والاتفاق وما زالت محل إنكار من كثير.

ج- كذلك فهذه النقود لا تستطيع القيام بدور النقد المباشر في تحديد قيم السلع والخدمات مباشرة بل لا بد من تقييمها بعملة أخرى^(١).

ثانياً: أن من شأن النقد أن يصدر عن سلطة معلومة وليست مجهولة كما سبق؛ لما يترتب على ذلك من الغش أو الفساد واختلال مصالح الناس وفساد معاملاتهم، والبنوك المركزية - التي تشرف عليها الدولة - تعرف متى تصدر نقداً ومتى تمتنع لأسباب اقتصادية ومالية وسيادية وغيرها، مع قيامها بمراقبة ما أصدرته من عملة طيلة فترة التداول وفق معايير قانونية محددة وتكون ضامنة لها.

وهذه العملات لا تصدرها سلطة ولا دولة بل يمكن أن يصدرها أي شخص يمتلك جهاز حاسوب واتصال بالإنترنت من خلال عملية «التقيب»

(١) النقود الافتراضية للباحث، ص ٤٦.

«Mining» كما أنه ليست هناك سلطة تدعمها أو تلتزم بها، وأغلب جهات الإصدار لها تكون جهات مجهولة وليست خاضعة لإشراف أو رقابة أو محاسبة أو يمكن الرجوع عليها حال حدوث أي مشكلة من مشكلات النقد، وهذه الجهالة توجد شكوكاً كثيرة حولها وتفتح المجال أمام عصابات النصب وغسيل الأموال وتعطي فرصة لتمويل الإرهاب وارتكاب المفاسد الكثيرة ولذلك فينبغي أن تمنع من باب سد الذرائع لأن مفاسدها أغلب من المصالح المترتبة عليها^(١).

ثالثاً: أما عن خاصية الشيوخ والرواج وتمتعها بالقبول العام فهذه النقود الافتراضية لا تتوافر فيها هذه الخاصية لأننا نجد أن هذه النقود خاصة بفئة دون أخرى ولا يتم التعامل بها إلا عن طريق شبكة الحاسوب، ولا تعترف كثير من البلدان بهذه العملات، ولا يمكن استعمالها لشراء معظم السلع والخدمات، فليست مقياساً للسلع والخدمات على إطلاقها، بل هي فقط أداة تبادل لسلع وخدمات معينة^(٢).

رابعاً: أن النقود من شأنها أن تكون أداة للدخار وحفظ القيمة لفترة ما، وهذه الخاصية لا تتوافر أيضاً في النقود الافتراضية لأنها عرضة للتذبذب والضياع، والدليل على ذلك ما تطالعنا به بعض الإحصاءات من انخفاض قيمة البيتكوين انخفاضاً كبيراً، كذلك فهي سهلة السرقة والتلاعب بها، وقد نشر موقع NBC

(١) أبو خالد الحجازي واقع العملات الإلكترونية الجديدة مثل بيتكوين والحكم الشرعي المتعلق بها منشور بمجلة الوعي بتاريخ الخميس، ١٣ صفر ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧/١١/٢٠ م العدد ٣٧٠ - السنة الثانية والثلاثون، ذو القعدة ١٤٣٨هـ، الموافق آب ٢٠١٧ م.

(٢) النقود الافتراضية، د عبد الستار أبو غدة، ص ١٥.

Arabia خبراً يفيد باختفاء ٥٣٤ مليون دولار بعد اختراق منصة كوين تشيك اليابانية لتداول العملات المشفرة^(١).

خامساً: أما عن كون العملة تحمل قيمة في ذاتها كالنقود الذهبية أو الفضية أو تعتمد على سلطة معترف بها كالنقود الورقية الإلزامية فليست هذه الخاصية موجودة في النقود الافتراضية؛ فليست لها قيمة في ذاتها كالذهب أو الفضة الذي يحمل قيمة في ذاته ومع ذلك كانت السلطة لا تغفل عن متابعته وبيان الأوزان والمقادير التي ينبغي أن يكون عليها، وكذلك هي ليست مثل النقود الورقية الإلزامية التي التزمت الحكومات بتغطيتها.

المطلب الثاني: حكم تداول العملات الافتراضية:

تتبع أقوال من تكلم عن هذه العملات أستطيع القول بأن هذه القضية فيها قولان:

القول الأول: لا يجوز التعامل بهذه النقود وهو الاتجاه الغالب للعلماء المعاصرين وإليه ذهب بعض الفتاوى الصادرة من مؤسسات رسمية مثل دار الإفتاء المصرية والفلسطينية وغيرها، واستدلوا بما يلي:

أولاً: عدم الوجود المادي لهذه العملة وكونها عملات وهمية ولا أساس لها.

ثانياً: عدم وجود اعتراف من البنوك المركزية أو الدول التي تقف وراءها حتى تلتزم بدفع قيمتها وتصبح مثل النقود الإلزامية.

(١) CNBC Arabia تويتر بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠١٨.

ثالثاً: ما تسبب فيه من مشكلات ومحاذير من التلاعب باقتصاد الدول وضياع أموال الأفراد

رابعاً: أن هذه النقود لا تتمتع بالقبول العام وجهات إصدارها مجهولة.

خامساً: قيامها على المقامرة؛ لأن المعدن يتنافس مع المشاركين جميعاً بحل الأحجيات « الخوارزميات » وتكون الكمية المنتجة من نصيب أول الناجحين بحل الأحجية، وتذهب جهود الآخرين سدى مع خسارتهم لتكاليف الكهرباء والصيانة وغير ذلك^(١).

سادساً: أنها حولت النقد إلى سلعة يتاجر فيها ولا يتاجر بها فإن من يشتري هذه العملات لا يشتريها في مقابل الحصول على سلعة أو نحوها - لأنه بإمكانه أن يحصل على السلعة بالعملة الأخرى التي يملكها قبل أن يحولها إلى عملة افتراضية - وإنما يشتري العملة الافتراضية بغرض استبدالها بعملات أخرى ورجاء ارتفاع أسعارها، فيجعل النقد سلعة يتجر فيها ولا يتجر بها، وهي مسألة نبه الفقهاء على خطورتها^(٢).

وبناء على هذه الأسباب فلا يجوز التعامل بهذه النقود بيعاً ولا شراءً ولا امتلاكاً ما دامت لم تتمتع بالخصائص النقدية التي تكلمنا عنها.

ويؤيد ما سبق: أحاديث النهي عن بيع ما فيه غرر، كبيع ما في بطون الأنعام، والملاسة والمنازلة والحصاة^(٣) وهذه البيوع حُرمت لأن فيها غرراً وأحد المتعاقدين

(١) فتوى دار الإفتاء بفلسطين بخصوص البيتكوين.

(٢) الطرق الحكيمة (مكتبة دار البيان-د. ط-د. ت) ج ١ ص ٢٠٠-٢٠٣، القوة الشرائية للنقود

(مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رجب ١٤١١ هـ) ج-١ ص ١٦٤-١٧٢.

(٣) صحيح البخاري ج ٢/ ص ٧٥٣، صحيح مسلم ج ٣/ ص ١١٥٢.

يجهل الحقيقة الكاملة للمبيع، وينطبق هذا على واقع النقود الافتراضية فهي سلعة مجهولة المصدر، ولا توجد جهة رسمية أصدرتها حتى تكون ضامنة لها، وعليه فلا يجوز بيعها ولا شراؤها^(١).

مناقشة الأدلة: نوقشت أدلة القول بعدم جواز هذه النقود بعدة مناقشات من أهمها ما يلي:

أولاً: قالوا بأن التقلب في أسعار هذه النقود يؤثر في كفاءتها ولا يؤثر في الثمنية، فينبغي أن تكون أثمانا ونقوداً.

ويجاب عن هذا: بأن هذا قول غير مسلم لأن التغير لا يؤثر في الثمنية إذا كان تغيراً يسيراً أو معتاداً، أما إذا كان فاحشاً فإنه يؤثر، ولذلك قال الفقهاء: بأن الفلوس إذا كسدت فقدت خاصية الثمنية وبطل التعامل بها لأن هذا التغير يعد فاحشاً^(٢).

ثانياً: الاستعمالات غير القانونية أمر عارض لا يؤثر في الحكم الكلي كما أن هذا قد يحدث في العملات الائتمانية المعاصرة حيث إنها عرضة للتزوير، وهذه الاستعمالات قابلة للانحسار وليست سبباً كافياً للقول بالمنع.

ويجاب عن هذا: بأن هذا القول مقبول، لكن الاستعمالات لا تؤثر إذا كان يمكن التغلب على أضرارها أو ضبطها أو كشف آثارها، وهذا موجود في النقود الورقية

(١) يراجع فيما تقدم: فتوى دار الإفتاء الفلسطينية ١٤ كانون الأول ٢٠١٧ بخصوص البيتكوين، وفتوى دار الإفتاء المصرية.

(٢) المبسوط (دار المعرفة-بيروت-د. ط-١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ج ١٤ ص ٢٦، تبين الحقائق (دار الكتاب الإسلامي-الطبعة الثانية-د. ت) ج ٤ ص ٩٠-٩١، الموسوعة الفقهية الكويتية ج ٣٢ ص ٢٠٦-٢٠٩.

فيمكن بيان المزيف منها عن طريق المختصين، أو الآلات المعاصرة، أو ما يوضع فيها من علامات تكشف تزيفها للعامة، أما النقود الافتراضية فلا يمكن ضبط التزوير فيها أو الاستعمالات غير المشروعة؛ نظراً لأن الفضاء الذي تستخدم فيه هو العالم كله وهذا يصعب ضبطه فينبغي أن تمنع من باب سد الذرائع.

ثالثاً: جهالة المصدر وغياب جهات الرقابة ينبغي ألا يؤثر في الحكم الكلي؛ لأن قوانين العملة معلن عنها ومعروفة للمتعاملين من خلال التطبيقات الخاصة بالبيتكوين (البلوكت شين)، والثقة التي تمنحها الحكومة للعملة المعاصرة تم تعويضها بتقنية بلوك تشين التي تمنح الثقة بطبيعتها للمتعاملين بها.

ويجاب عن هذا: بأنه غير صحيح لأن الجهالة تؤثر في عقود المعاوضات لا سيما إذا ترتب عليها ضرر بأحد الأطراف، والقول بأن الثقة الحكومية يمكن أن تتوافر عن طريق تقنية (البلوكت شين) غير مسلم لأن هذه التقنية نفسها يسهل اختراقها والعبث بها أو التغيير فيها فلا أمان لها أيضاً.

القول الثاني: إباحة النقود الافتراضية وضرورة إفساح المجال لها وعدم التضييق عليها^(١) ويستندون إلى ما يلي:

١- أنها توفر قيمة رقمية مستمدة من الأسواق وليست من الأشخاص وتتمتع بقبول لها في أسواق الانترنت، وارتفاعها وانخفاضها ليس مبرراً لمنعها؛ لأن هذا التغير ناتج عن حوالة الأسواق، بل هي أشبه بالذهب في الارتفاع والانخفاض وفقاً لحركة السوق.

(١) حوارات منتدى الاقتصاد الإسلامي حول البيتكوين.

٢- القول بأنها عملة وهمية غير مسلم؛ لأن الأرصدة البنكية أشد وهمية من هذه العملات الافتراضية وكثير من العملات المعاصرة تطبع دون وجود أي غطاء من الذهب، فهي مجرد أوراق لا يتوافر لها غطاء ويتم التعامل بها بناء على تعارف الناس؛ ولذلك فما قبله الناس من هذه العملات وتعارفوا عليه وثبتت له منفعة تبادلية ورواج نسبي كالبيتكوين مثلاً فينبغي أن يأخذ نفس الحكم وهو الجواز حيث إنه لم يصدر إلى الآن فتوى تمنع التعامل بالنقود الورقية التي لا غطاء لها^(١).

٣- أن العالم الآن يعاني حالة هائلة من التضخم نتيجة توسع الدول في طباعة النقود دون غطاء مما يجعل انهيار المنظومة النقدية في العالم احتمالاً وارداً بنسبة ما، وذلك يستوجب وجود بدائل وربما تكون النقود الافتراضية بديلاً مناسباً للخروج من الأزمة واحتمالية انهيار النقدي.

٤- مهاجمة الحكومات والبنوك للبيتكوين والنقود الرقمية لأنها تمثل خطراً على منظومتهم.

٥- الأصل في الأشياء الإباحة والأصل في المعاملات الجديدة هو عدم الحظر وهذه معاملة جديدة تعود على الناس بالمنفعة والتيسير فيستصحب دليل الإباحة ونقول بالجواز.

٦- أن هذه العملات الافتراضية قامت بوظائف النقود في الجملة رغم عدم إصدارها من جهة حكومية، ولا يوجد حد اقتصادي أو شرعي للنقود يمنع من ذلك^(٢).

(١) حوارات منتدى الاقتصاد الإسلامي حول البيتكوين ص ٧.

(٢) بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي ص ٢٣.

مناقشة الأدلة: وناقش ما تقدم بأنه غير مسلم لما يلي:

١- القول بأنها تستمد قيمتها من السوق وليس من الأشخاص قول في غير محله، لأن القيمة ينبغي أن تكون حقيقية ومعترفاً بها، والقياس على الذهب قياس مع الفارق؛ لأن الذهب يحمل قيمته في ذاته ولن يفقد حامله كل شيء لو انخفضت قيمته لأنه مخزن للقيمة في حد ذاته ويمكن الاستفادة به على أي حال، أما هذه العملات فلا تحمل قيمة في ذاتها حتى تقاس على الذهب، والقيمة التي اكتسبتها من الأسواق قيمة وهمية؛ لأنها لا تنتج عن تعامل وتبادل حقيقي، فضلاً عن كون التعامل بها فيه مجازفة ومخاطرة لأنها عرضة للضياع في أي وقت، كما أن التقلبات الحادة في سوق هذه العملات ليس سببه السوق فقط بل سببه الأساس هو ضعف البنية التحتية لهذه العملات، وعدم وجود جهة مركزية تنظم إصدارها وتشرف عليه وتحميها عند الأزمات^(١).

٢- القول بأن الأرصدة البنكية أشد وهمية من العملات الافتراضية قول غير مسلم أيضاً؛ لأن هذه الأرصدة - وإن كانت لا توجد تغطية ذهبية لها - توجد لها أصول استثمارية أو عقارية وتوجد أنظمة مستقرة ومعروفة تقوي مركزها وتزيدها ثقة، فلا يصلح القياس على الأوراق النقدية التي تطبع دون غطاء معدني لأنها وإن فقدت الغطاء المعدني لكن لها أغطية أخرى. فلا يصلح قياس ما لا يتمتع بأي غطاء على ما يتمتع بأغطية.

٣- القول بأن العالم يعاني حالة من التضخم ومعرض لانحيار النظام النقدي الورقي قول صحيح، لكن علاج هذا التخوف لا يكون بزيادة المشكلة عن طريق

(١) النقود الافتراضية، د. عبد الله الباحوث.

السماح للأفراد بإنتاج النقود، بل نقول على العالم أن لا يتوسع في الإصدار النقدي ويساهم في التضخم بطباعة أوراق لا تحمل قيمة حقيقية، وأن تقوم الدول بالمتابعة الدقيقة لعمليات الإصدار النقدي وأن تعود للتعاملات الحقيقية، والسماح بهذه النقود سيزيد المشكلة تعقيداً ويزيد العالم انهياراً.

٤- القول بأن البنوك والحكومات تهاجم البيتكوين والعملات الافتراضية لأنها تهدد مستقبلهم غير صحيح؛ بل تمنعها لخطورتها على الاقتصاد لكونها تجعل الاقتصاد اقتصاداً وهمياً وليس حقيقياً، وعندما يتحول الاقتصاد والعملية إلى مسائل وهمية فهذا مؤشر على انهيار النظام النقدي بالكامل، وانهيار النقد انهيار للسياسة وضياع للأمم والشعوب كما سبق بيانه، ولذلك فليست التحذيرات لحماية المصالح الخاصة بل لحماية المصالح العامة للشعوب والدول.

القول المختار: في ضوء المعطيات السابقة فإني أميل إلى القول بمنع التعامل في هذه النقود الافتراضية ما لم يتدخل أولو الأمر ويجعلوها عملة معترفاً بها وتتولاها بعض البنوك المركزية حفاظاً على أموال الناس وأوقاتهم. ولهذا الاختيار مبرراته ومنها:

الأمر الأول: إن قلنا بأن هذه قضية مستجدة والأصل في الأشياء الإباحة فإنه من حق الحاكم أن يقيد المباح أو يمنع ما يترتب عليه من ضرر أو ما يترتب على إطلاقه من فوات مصالح أكثر^(١)، والحاكم هنا -ممثل في البنوك المركزية- قد منع أو لم يعترف بتلك العملات فدل على حظرها.

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٧ / ٤٩٩١.

الأمر الثاني: أن الشريعة حرمت كل ما فيه إضرار بالنفس أو المخاطرة بالأموال والمقامرة بها، والنقود الافتراضية فيها مخاطر كثيرة كما تقدم وهذا يدخلها تحت دائرة المقامرة المنهي عنها في الشريعة الإسلامية التي من مقاصدها حفظ المال وصيانتها وعدم العبث والتلاعب به.

الأمر الثالث: أن هذه النقود تتصادم مع أحكام وقواعد مسلمة مرتبطة بالمال مثل الزكاة أو المواريث فالزكاة تجب في الأموال النامية بطبيعتها أو القابلة للنماء بحيث تؤدي الزكاة من استثمارها، والعملات الافتراضية قد لا تتوافر فيها هذه الخصائص، وكيف ستم المحافظة على أنصبة الورثة أو معرفتها والنقود قائمة على الترميز وفي طي الخفاء؟^(١).

الأمر الرابع: أن فيها جهالة وغرراً أكبر من بعض المعاملات التي منعتها الشريعة مثل بيع الملامسة والمنازلة مع أن الغرر قد يكون فيها أخف من الغرر في هذه النقود التي تقوم على مبادئ التشفير في جميع جوانبها ووصفت بأنها عملة معماة^(٢)، كما أنها تنطوي على خطورة كبيرة ومعرضة للضياع في أي وقت بسبب التلاعب أو تغير الظروف^(٣).

ونقل عن الشيخ علي القرعة داغي القول بعدم جواز التعامل بهذه النقود بصورتها الحالية لأنها تهدد السلام الداخلي للإنسان أو الأمن الداخلي أو على أقل تقدير الأمن الاقتصادي والاجتماعي واقترح حلولاً للقول بمشروعيتها واعتبارها عملة وذلك

(١) د. عبد الستار أبو غدة، النقود الرقمية، ص ٢٥.

(٢) بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي، ص ١٠.

(٣) فتوى د. أحمد الخليل حول البيتكوين.

عن طريق إيجاد مرجعية لها مثل أن تتبناها الدولة كعملة ثانوية أو حتى أولية، وأن يتبناها مجموعة من المصارف والبنوك الإسلامية كبطاقة ائتمان مثلاً ويمكن إنشاء شركة كبيرة استثمارية لها^(١).

المطلب الثالث: حكم تعدين النقود الرقمية:

التعدين هو القيام بتوليد العملات وإنتاجها عبر البرمجة من قبل مبرمجين، وأطلق عليها مصطلح التعدين أو التنقيب تشبيهاً لهم بمن يقوم بالبحث عن المعادن أو التنقيب عنها.

كيف يتم التعدين: يتم من خلال تطبيق خاص يقوم المستخدم بتثبيته على أي جهاز كمبيوتر بحيث يقوم التطبيق بعملية إنتاج عملات جديدة، وبشكل بطيء، ويستطيع المستخدم من خلال هذه العملية الحصول على قطع العملات النقدية الافتراضية مقابل استخدام التطبيق للقدرة الحسابية التي يقدمها معالج جهاز الكمبيوتر الخاص بالمستخدم في توليد كميات جديدة من العملة^(٢).

حكم التعدين: بناء على ما خلصت إليه مما سبق وعلى الرأي الذي تبنيته - وهو عدم جواز هذه النقود بوضعها الحالي - فلا يجوز الاشتغال بتعدينها والبحث عنها لما يلي:

١ - أن إيجاد نقد للناس خلافاً للنقد الذي تعتمده السلطات المختصة نوع من الغش الذي لا يجوز شرعاً، كما أنه إعانة على أمر محظور، والإعانة على المحظور

(١) فتوى د. علي القره داغي بشأن البيتكوين.

(٢) الأحكام الشرعية للعملات الإلكترونية ص ١٥، ١٦.

غير جائزة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ﴾^(١).

٢- أن في هذه العملية إهداراً للأوقات والطاقات والأموال وقد لا يكون وراءها طائل؛ لأنه في التعدين يحتاج المعدن إلى أجهزة متطورة جداً وتستهلك عملية التعدين طاقة عالية ولها تكلفة كبيرة، وحتى تشجع الشركات الناس على العمل معهم في التعدين فإنهم يعطون حافزاً وعمولات لأول من ينجح في حل المعادلات المطلوبة، وعلى ذلك فالرابح هو الأول فقط وكل الباقي ممن شارك وصرف الطاقة في عمليات التحقق الأخرى يخسر ما أنفقه^(٢)، فهي نوع من المقامرة والمخاطرة حيث إنه ينفق ويهدر وقتاً وطاقة ولا يعلم عاقبة ما قام به من عمل.

٣- إن كان المعدن يدفع مالياً لاستئجار الجهاز المتطور ويقوم الجهاز تلقائياً بحل المعادلات فهذا نوع من المقامرة؛ لأنه دفع مالياً ليحصل على مال أكثر وهو أمر غير مضمون وهذه من صور المقامرة والميسر الذي نهت عنه الشريعة الإسلامية، أما إذا كان الجهد الذي يقوم به بالاشتراك مع الجهاز في إعطائه الأوامر ويشترك معه في حل الخوارزميات فهذه إجارة وينبغي في عقد الإجارة أن يكون المعقود عليه مشروعاً أما إذا لم يكن مشروعاً فإن العقد يكون باطلاً، وقد تبين أن القيام بهذا النشاط يترتب عليه العديد من المخاطر والأضرار الاقتصادية والشريعة لا ترضى بما فيه ضرر على الناس.

(١) سورة المائدة، من الآية ٢.

(٢) بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي، ص ١٣.

وقد أصدر مجلس الإفتاء الأعلى بدار الإفتاء الفلسطينية فتوى بتحريم تعدين البيتكوين.. لاحتوائه على غرر فاحش وتضمنه معنى المقامرة، كما لا يجوز بيعه ولا شراؤه، لأنه ما زال عملة مجهولة المصدر، ولا ضامن لها، ولأنها شديدة التقلب والمخاطرة، والتأثر بالسطو على مفاتيحها، ولأنها تتيح مجالاً كبيراً للنصب والاحتيال والمخادعات.. فلا يجوز التعامل بها بيعاً ولا شراءً ولا تعديناً، وكذلك صدرت فتوى مفتي جمهورية مصر العربية^(١).

المطلب الرابع: جريان الربا في النقود الرقمية:

اختلف الفقهاء في علة تحريم الربا في الذهب والفضة فقول هو الوزن، وهذا هو المشهور عن الإمام أحمد وهو قول النخعي والزهري والثوري وإسحاق وأصحاب الرأي^(٢). وبناء على هذا القول لا تجري في النقود الافتراضية علة الربا لأنها لا تباع وزناً بل تباع عدداً.

وقيل بأن العلة هي غلبة الثمنية، وهذا الرأي هو المشهور عن الإمامين مالك والشافعي، فالعلة عندهما في الذهب والفضة قاصرة عليهما، والقول بالغلبة احتراز عن الفلوس إذا راجت رواج النقدين فالثمنية عندهما طارئة عليها فلا ربا فيها^(٣).

وعلى هذا فإذا راجت هذه النقود الافتراضية وتم التعامل بها فإن الربا لا يجري فيها لأنها مثل الفلوس الرائجة والثمنية طارئة عليها .

(١) فتوى دار الإفتاء الفلسطينية والمصرية، بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي حول البيتكوين ص ٢٢.
(٢) إعلام الموقعين (دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ- ١٩٩١م) ج ٢ ص ١٠٤-١٠٥.
(٣) المجموع (مكتبة الإرشاد-السعودية- ومكتبة المطيعي-د. ط-د. ت) ج ٩ ص ٤٨٧-٤٩٤.

وقيل بأن العلة هي مطلق الثمنية، وهذا القول إحدى الروايات عن الإمام مالك وأبي حنيفة وأحمد وهو اختيار الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من محققي العلماء^(١).

القول المختار: وأرى أن الأولى بالقبول من الأقوال السابقة هو أن العلة في النقدين هي مطلق الثمنية وذلك لقوة هذا الرأي وسلامة أدلته من المعارضة القوية، ولأن الأقوال الأخرى يترتب عليها بعض المفاسد التي لأجلها حرم الربا، فكيف لا نحكم بجريان الربا في الأوراق النقدية مثلاً مع أنها أصبحت الآن تحل محل الذهب والفضة بل اختفى التعامل بالذهب والفضة مع وجودهما، وقصر الثمنية على الذهب والفضة فقط لا يوجد دليل صريح عليه بل إن المسألة مبنية على العادة والاصطلاح، والواقع التاريخي أثبت أن النقود اتخذت من غير الذهب والفضة من غير إنكار من أحد، وامتنع سيدنا عمر من اتخاذ النقود من جلود الإبل خوفاً على الإبل وحماية لمصالح المسلمين في بقاء الظهر الذي يركب، كذلك فإن المصلحة المكتسبة والضرر المدفوع الذي قصده الشارع في إجراء أحكام الربا على الذهب والفضة يتحقق في إجراء أحكامه على غير الذهب والفضة^(٢).

(١) شرح مختصر خليل للخرشي (دار الفكر- د. ط- د. ت) ج ٥ ص ٥٥-٥٦، الفواكه الدواني (دار الفكر- د. ط- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م) ج ٢ ص ٧٤، إعلام الموقعين (دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ- ١٩٩١م) ج ٢ ص ١٠٤-١٠٥، بحث في الربا والصرف (مجلة البحوث الإسلامية العدد (٤٦) ج-١ ص ٢١٣-٢١٩.

(٢) أحكام العملات الرقمية «البيتكوين» ص ٣١.

فالتعليل بمطلق الثمنية هو الذي يشمل كل نقد ويتفق مع مقاصد الشريعة، وقد تنبه أبو الخطاب الكلوذاني، الفقيه الحنبلي المتوفى سنة (١٠٥١ هـ)، إلى فائدة التعليل بالثمنية، وعدم قصره على الذهب أو الفضة فقال: (من فوائدها ربا حدث جنس آخر يجعل ثمننا، فتكون تلك علة)^(١).

وعلى ذلك أقول: إن النقود الافتراضية التي تطرح على الساحة الآن ينبغي أن يطبق عليها ما يطبق على النقود الورقية من أحكام فلا يجوز مبادلة العملة الواحدة منها بجنسها من نفس العملة متفاضلاً فمثلاً لا يجوز مبادلة ٢ بيتكوين ب ٣ بيتكوين، أما في حال اختلاف مسمياتها فيجوز فيها التفاضل ولا يجوز النسبية، فمثلاً لا مانع من مبادلة ١ بيتكوين ب ٢ ليتكوين أو ريبل أو غيرها من العملات الأخرى، فيجري فيها الربا رغم عدم تمتعها بقوة الإبراء القانونية في هذه الدولة لأن الربا يجري في النقد أو ما قام مقامه وهذه - عند من تعامل بها - تقوم مقام النقدين .

المطلب الخامس: زكاة العملات الرقمية:

العملات الرقمية أشبه ما تكون بالفلوس التي تكلم الفقهاء قديماً عنها حيث إنها شيء يلقي رواجاً بين الناس وليست نقداً سلعياً، ولذلك فإن الزكاة تخرج على الخلاف في زكاة الفلوس، وهناك اتجاهان للفقهاء في زكاة الفلوس:

القول الأول: أن الفلوس (النقود الورقية والمعدنية من غير الذهب أو الفضة) عروض تجارة وبالتالي لا زكاة فيها ما لم تعد للتجارة ويجوز فيها التفاضل والنسبية

(١) الإنصاف (دار إحياء التراث العربي- الطبعة الثانية- د. ت) ج ٥ ص ١٣، تجارة الذهب (مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد (٩) الجزء (١) ج-١ ص ١٥١-١٥٣)

كما يجوز في سائر عروض التجارة، وإليه ذهب الشافعية والحنابلة وهو المذهب عند المالكية^(١).

وعليه فإن من يتاجر بهذه العملات واجب عليه أن يزكّيها زكاة عروض التجارة أما من لا يتاجر فيها فلا زكاة عليه.

القول الثاني: أن الفلوس الرائجة تجب فيها الزكاة مطلقاً كالذهب والفضة، لأنها أثمان مطلقاً، أما إذا كسدت فلا زكاة فيها إلا إذا اتخذت للتجارة وإليه ذهب الحنفية، وهو قول عند المالكية^(٢).

وعلى هذا القول فإن العملات الرقمية أو الورقية الرائجة تجب فيها الزكاة؛ لأنها مال منتفع به وتتخذ لبعض الناس رأس مال في التجارة وفي الشركات ولو راجت ستكون مالاً مدخراً.

والفقهاء المعاصرون قالوا بأن العملات الرسمية التي يتعامل بها الآن والتي ألحقوها بالفلوس هي بمنزلة النقد في وجوب الزكاة نظراً لأنها عامة أموال الناس ورؤوس أموال التجارات والشركات وغالب المدخرات فلو قيل بعدم الزكاة فيها لأدى ذلك إلى ضياع الفقراء والمساكين^(٣)، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ

(١) حاشية العدوي على الخرشي ١٧٧/٢، ١٧٩، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٤٥٥، الأم (دار الفكر - بيروت - د. ط. - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ج ٣ ص ٩٨-٩٩، مغني المحتاج (دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ج ٢ ص ٣٦٨-٣٧٠، كشف القناع ٢/٢٣٥، وشرح منتهى الإرادات ١/٤٠١.

(٢) المبسوط (دار المعرفة - بيروت - د. ط. - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ج ١٢ ص ١٣٦-١٣٧، رد المحتار على الدر المختار ٢/٣٠٠ ط إحياء التراث).

(٣) النقود الرقمية: أبو غدة ص ٢٢.

لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١﴾^(١) والذي أراه هو أن هذه العملات تجب فيها الزكاة ويجري فيها الربا وليس هذا اعترافا بنقديتها بل لأن الموجب قد اختلف فالزكاة تجب فيما يعده الناس مالا له قيمة، وليست واجبة في النقود فقط ولا يشترط لها الاعتراف فلو امتلك رجل عملات لدولة ما وهذه العملات لا يتم التعامل بها في بلده فإنها تجب فيها الزكاة.



(١) سورة الذاريات، الآية ١٩.

المبحث الرابع

أثر الالتزام بأحكام النقود في نمط الحياة الإسلامي

تمهيد: إن الالتزام بأحكام الشريعة في مجال النقود يؤثر في نمط الحياة حيث يجعلها حياة سعيدة بعيدة عن المشكلات والشحناء والبغضاء، ويحافظ على أموال الناس وينظم اكتسابها وإنفاقها، وتتمثل أهم ملامح السعادة والاستقرار المالي في الآثار التي تعتبر من المكملات الأساسية لحفظ المال في الشريعة الإسلامية وأتناول في المطالب التالية هذه الآثار بشيء من البيان والتوضيح.

المطلب الأول: تحقيق الرواج والتداول العادل للأموال:

الالتزام بالأحكام الشرعية في مجال النقود يؤدي إلى دوران المال بين أيدي الناس بوجه حق، وهو مقصد شرعي لقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(١) فلا بد من تيسير دوران المال في الأمة، وتحوله عن طريق الاستهلاك أو الاستثمار وعن طريق أشكال المعاملات والمعاوضات المختلفة حتى لا يكون قاراً في يد واحدة، وقد حث الشارع على التداول فممنع الاكتناز وتجميد الأموال لأن في ذلك ضرراً يلحق بالأمة؛ ولأجل الوصول لهذا المقصد حرمت الشريعة الربا ومنعت الاحتكار والميسر وسهلت المعاملات بقدر الإمكان ويسرت ما فيه مصلحة.

وتطبيق ذلك على النقود الافتراضية بصورتها الحالية نجد أن هذا المقصد ليس متوافراً، حيث إن هذه النقود فيها ضرر يلحق بالأمة وفيها منع لرواج الأموال لأنه يساعد طائفة بعينها على احتكارها ومنع الرواج لها، وهي أيضاً قريبة من الميسر الذي

(١) من الآية ٧ من سورة الحشر.

فيه من الربح والخسارة الفاحشة وتبديد للطاقات والجهود المنتجة في الأفراد والأمة، ولذلك هي لا تساعد على تحقيق هذا المقصد الهام من مقاصد الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: وضوح المعاملات وانضباطها وعدم الغموض فيها:

إن المعاملات عندما تكون واضحة لا شبهة فيها يسعد بها المجتمع ويتحقق رخاؤه واستقراره، وعندما تكون معاملاته غامضة وحوها الشبهات لن يهنأ بها المجتمع بل يشقى ولن يستفيد، والشريعة حريصة على وضوح المعاملات بإبعادها عن الضرر والتعرض للخصومات، ولذلك شرعت الإشهاد والرهن في التداين حتى يسهل حفظ الأموال ولا تتعرض للضياع.

وبتطبيق ذلك على النقود الافتراضية نجد أنها لا تساعد على ذلك، حيث إنها معاملة ليست واضحة بل يكتنفها الغموض والجهالة من حيث الإصدار أو التعامل، بل وتسمى بـ «النقود المعماة» وهذا دليل على عدم وضوحها والمعرفة بها، والذين يحاولون إخفاء تصرفاتهم المشبوهة يلجؤون إلى هذا النوع من العملات حتى لا يعرف أحد جرائمهم وأين هم ولا يسهل الإمساك بهم.

كذلك لا يتوافر فيها الانضباط في التعامل حيث إن مجال التعامل بها يصعب ضبطه ومنع الانحراف عنه، وذلك لأن الفضاء الإلكتروني مجال خصب لكثير من المزورين أو المحتالين الذين يصعب التعرف عليهم أو الحذر من ألعبيهم، ولذلك فإن هذه النقود تفتقد عنصر الوضوح والانضباط الذي تهدف الشريعة إلى تحقيقه حفظاً لأموال الناس.

المطلب الثالث: المحافظة على الأموال من الاعتداء عليها:

إن صيانة المال والمحافظة عليه غريزة فطرية ورغبة إنسانية قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١) ولذلك راعت الشريعة هذه الغريزة ووضعت التشريعات التي تكفل حفظ المال من اعتداء الآخرين، وحرمت كل صور أكله بالباطل ووضعت العقوبات على ذلك.

وهذه النقود الافتراضية لا تساعد على تحقيق هذا المقصد بل هي تسهل الاعتداء على الأموال والمخاطرة بها، حيث يدفع الإنسان مالاً له قيمة معتبرة شرعاً وله اعتماد ومخاطره قليلة، ويشترى بذلك شيئاً موهوماً لا وجود له وعرضة للضياع أو السرقة أو الانهيار أو التذبذب كما سبق بيانه، والمسلم لا يخاطر بماله في شيء لا ضمان له، ولذلك نهت الشريعة عن بيع المجهول وما لا تعلم عاقبته.

المطلب الرابع: إثبات الأموال وعدم التنازع فيها :

من آثار الالتزام بالأحكام إثبات الأموال أي تقريرها لأصحابها دون أي منازعة، ولذلك سعت الشريعة إلى أن يختص المالك بما تملكه بوجه صحيح دون أي خطرٍ عليه؛ ولذلك وضعت عقوداً وأحاطتها بعدد من الشروط، كما أنها أرادت أن يتصرف صاحب المال بما تملكه أو اكتسبه بحرية، وألا ينتزع منه ماله بدون رضاه.

وبتطبيق ذلك على النقود الافتراضية نجد أنه لا يتوافر لصعوبة الإثبات الإلكتروني حيث إنه يعتمد على تقنية «البلوكت شين» وهي التوثيق الزمني

(١) سورة الفجر، الآية ٢٠ .

للمستندات الرقمية، وهي يمكن اختراقها من قبل المحترفين وذلك يسهل ضياع الأموال وعدم إثباتها ويؤدي إلى منازعات كثيرة، كما أن صاحب هذه النقود لا يتمتع بحرية في التصرف والتعامل بها بل يتعامل بها في حدود الشبكة العنكبوتية فقط، ومع من يقبل التعامل بهذه العملات، كما أن بعض المنصات تشترط على المتعاملين معها شروطاً تتناقض مع مبدأ حرية التصرف في الأموال.



الخاتمة

وبعد فإني أحمد الله تعالى أن وفقني لإكمال هذا البحث الذي خلصت فيه إلى ما يلي:

- ١- حق الإصدار النقدي من سلطة الدولة ولا يجوز لأحد الافتئات عليها.
- ٢- ما صدر من نقد عن طريق آحاد الناس فلا يعتد به حتى ولو حقق رواجاً أو انتشاراً.
- ٣- لا يجوز التعامل بالنقود الرقمية ولا التعدين فيها ما دامت على وضعها الحالي.
- ٤- النقود الرقمية المعاصرة يجري فيها الربا عند المتعاملين بها فلا يجوز فيها التفاضل في مبادلة العملة بجنسها أما عند الاختلاف بين العملات فيجوز التفاضل ولا تجوز النسيئة
- ٥- تجب الزكاة في النقود الرقمية عند المتعاملين بها إذا بلغت نصاب النقدين وتوافرت بقية الشروط.
- ٦- ضرورة وجود تنسيق وتعاون تشريعي دولي يعمل على وضع الأطر الكفيلة بحماية المتعاملين بالنقود الافتراضية وصياغة قوانين تضبط إصدار هذه النقود وآليات تداولها^(١).
- ٧- العمل على إيجاد نظم نقدي الإلكتروني يساهم في تسهيل حركة التجارة الدولية ويساعد عليها ويتجاوز سلبيات العملات الافتراضية.

(١) النقود الافتراضية للباحث ص ٥٥.

٨- العمل على أن يعود للذهب والفضة منزلتهما في اعتبارهما النقود الأساسية والشرعية، والتي تبعد الناس عن كثير مما يشكون منه الآن من تغير قيمة العملات وتدهورها أحياناً أو يعطي مجالاً لمثل هذه العملات مجهولة الهوية.

٩- التوسع في التعاملات الإلكترونية وتسهيل التبادل الإلكتروني بين البنوك والدول تيسيراً على المتعاملين بالتجارة حتى لا نحتاج لمثل هذه النقود.

١٠- أن تفكر الدول الإسلامية في نظام نقدي يحمل مزايا النقود الافتراضية ويتلافى سلبياتها حتى يتواجد البديل المناسب.

وفي الختام أدعو الله تعالى قائلاً: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(١).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) سورة البقرة، من الآية (٢٨٦).

قائمة المصانير

أولاً: القرآن الكريم وكتب التفاسير ثانياً: الحديث الشريف وعلومه:

- ١- الجامع الصحيح، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة: ٢٥٦هـ: نشر دار ابن كثير- اليمامة- سنة: ١٤٠٧هـ- الطبعة الثالثة- تحقيق د. مصطفى ديب البغا.
- ٢- سنن البيهقي الكبرى، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ: مكتبة دار الباز- مكة المكرمة سنة ١٤١٤ هـ: تحقيق / محمد عبد القادر عطا.

- ٣- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٤- المستدرک علی الصحیحین: للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ: ط / دار الكتب العلمية - بيروت - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

ثالثاً: الفقه الحنفي:

- ١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام علاء الدين الكاساني، المتوفى سنة ٥٨٧هـ: نشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، للإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي المتوفى سنة ٧٤٣هـ- ط / دار الكتاب الإسلامي.
- ٣- المبسوط لشمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (٤٨٣هـ- ١٠٩٠م) ط: دار المعرفة.

رابعاً: الفقه المالكي:

- ١- أنوار البروق في أنواء الفروق، للإمام شهاب الدين بن أحمد بن عبد الرحمن القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ط: عالم الكتب.
- ٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد بداية المجتهد ونهاية المقتصد، للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥ هـ) ط: دار الحديث - القاهرة
- ٣- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م) ط: دار إحياء الكتب العربية.
- ٤- الشرح الكبير لمختصر خليل، لسيدي أحمد الدردير أبو البركات، المتوفى سنة ١٢٠١ هـ نشر: دار إحياء الكتب العربية.
- ٥- شرح مختصر خليل، للإمام محمد بن عبد الله الخرشبي، ط: دار الفكر.
- ٦- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للإمام أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي المتوفى (١١٢٥ هـ). ط: دار الفكر

خامساً: الفقه الشافعي:

- ١- الأم للإمام الشافعي (دار الفكر - بيروت - د. ط - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)
- ٢- المجموع للإمام النووي (مكتبة الإرشاد - السعودية - ومكتبة المطيعي - د. ط - د. ت)

سادساً: الفقه الحنبلي:

- ١- الأحكام السلطانية، للأمام الماوردي (دار الكتب العلمية - بيروت - د. ط - د. ت).

- ٢- إعلام الموقعين (دارالكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- ٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، للإمام علي بن سليمان المرادوي، المتوفى سنة ٨٨٥ هـ، نشر: ط دار إحياء التراث العربي- بيروت - تحقيق محمد حامد الفقي.
- ٤- الطرق الحكمية، للإمام ابن القيم (مكتبة دارالبيان- د. ط- د. ت)
- ٥- الفروع، لابن مفلح.
- ٦- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى ط دارالكتب العلمية.
- ٧- كشف القناع عن متن الإقناع، للإمام منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ط: دار الفكر وعالم الكتب. ١٩٨٢م
- ٨- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، للإمام منصور بن يونس البهوتي، نشر عالم الكتب.
- ٩- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى.
- ١٠- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي «أبي محمد» المتوفى سنة ٦٢٠ هـ، نشر: دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

سابعاً: فقه الظاهرية:

- ١- المحلى بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، نشر: دار الآفاق الجديدة- بيروت - تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي.

ثامناً: الموسوعات الفقهية والمجلات:

- ١- الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية.
- ٢- مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- ٣- مجلة البحوث الإسلامية.
- ٤- مجلة الوعي العدد ٣٧٠ - السنة الثانية والثلاثون.

تاسعاً: مراجع عامة ومتنوعة:

- ١- الأحكام الفقهية المتعلقة بالعملة الإلكترونية، البيكون، د. عبد الله بن محمد العقيل.
- ٢- حوارات منتدى الاقتصاد الإسلامي حوار رقم ٢٠ حول البيكونين.
- ٣- شبكة المعلومات الدولية مواقع متعددة.
- ٤- فتوح البلدان، للإمام حمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، نشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٨ م
- ٥- الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي.
- ٦- ماذا تعرف عن عملة البيكونين، أحمد محمد عصام.
- ٧- النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها وآثارها الاقتصادية، د. عبد الله الباحث.
- ٨- النقود الرقمية الرؤية الشرعية والآثار الاقتصادية، د عبد الستار أبو غدة.
- ٩- النقود في الشريعة الإسلامية إصدارها وتداولها، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الشريعة والقانون بأسبوط. للباحث محمد هاشم محمود، إشراف الأستاذ الدكتور/ أحمد ريان.

عاشراً: اللغة العربية والمعاجم:

- ١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- ٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل. نشر عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨.
- ٣- المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: الناشر: دار الدعوة.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

العملات المشفرة والمعماة ماهيتها وضوابط التعامل بها

إعداد

د. محمد عيادة أيوب الكبيسي

كبير مفتين، إدارة الإفتاء

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله خلق فسوّى، والذي قدّر فهدي، بثّ الخلق ووزّع الأرزاق، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، فتعارف الناس على الأموال والنقود والأوراق، لثمين ممتلكاتهم وتبادل حاجياتهم وتيسير معاملاتهم. والصلاة والسلام على من أمر بالقسط وحذّر من الغرر والغش والربا والخداع، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

بمناسبة انعقاد منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع بعنوان «الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي - رؤية استشرافية»، رأيت أن تكون مشاركتي في المحور الأول: نمط الحياة الإسلامي والاقتصاد (العلاقة والتأثير)، حول: الاقتصاد الرقمي وتأثيره في نمط الحياة الإسلامي، وأن يكون البحث بعنوان:

(العملات المشفرة والعملات المعماة - ماهيتها وضوابط التعامل بها)

لا شك أن التطور السريع للتقنيات الرقمية بأنواعها، سيصاحبه تطور مشابه في مختلف نواحي الحياة، ومن ذلك المعاملات المالية. وقد حدث فعلاً الكثير من التطور في هذا الجانب، ويتوقع أن يحدث ما هو أكثر من ذلك في المستقبل القريب. ومن ذلك ما بدأت بوادره من ظهور العملات الرقمية والعملات المعماة والمشفرة باختلاف أنواعها وتفصيلها، وبعد بداية متواضعة مترددة، لاقت رواجاً شديداً وانتشاراً واسعاً، مما دفع بعض الجهات الحكومية وشبه الرسمية إلى دخول هذا الميدان.

يعنى هذا البحث بتوضيح مفهوم العملات المشفرة والعملات المعماة، ببيان ماهيتها وأنواعها، والحديث عن مخاطرها وميزاتها، وضوابطها وإشكالياتها، وعن علاقتها بنمط الحياة الإسلامي.

وقد قسمت البحث إلى محورين، هما:

المحور الأول: العملات المشفرة والمعماة، مفهومها والعلاقة بينها.

المحور الثاني: إشكاليات وضوابط التعامل بالعملات المشفرة والمعماة.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات والاقتراحات.

أدعو الله تبارك وتعالى أن يوفق القائمين على هذا المنتدى المبارك والمشاركين فيه،

ويجزئهم خير الجزاء.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.



المحور الأول

العملات المشفرة والمعاملة، مفهومها والعلاقة بينها

المراد بالمال شرعاً واقتصادياً:

المراد بالمال لغة وشرعاً:

المال لغة: ما مَلَكَتَهُ من جميع الأشياء. وقال ابن الأثير: المال في الأصل: ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يُقْتَنَى ويمْلِك من الأعيان.

ومصطلح المال يتأثر بالبيئة والعرف وقد يغلب إطلاقه على نوع من المال أكثر من غيره، حسب ما يتموله الناس في المكان والزمان، فمثلاً: كان أكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم^(١)، وأما في الحواضر فكان المال عندهم الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، وفي زماننا يطلق المال على العملات المعدنية والأوراق النقدية حول العالم، ومؤخراً أصبح يطلق كذلك على النقود الإلكترونية والعملات الرقمية في عالم التقنية والدول والأفراد الذين يتعاملون بها وهي الموازية للنقود الورقية. والبعض يسارع فيطلق المال كذلك على العملات المشفرة والمعاملة، والتي لم يحسم أمر ماليتها بعد، وإن كان يميل إلى هذا الاتجاه.

وقد اختلفت تعريفات الفقهاء للمال^(٢)؛ وتدور تعريفاتهم حول النقاط الآتية

أو بعضها:

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (مول).

(٢) ينظر ما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦ / ٣١) حول تعريفات الفقهاء للمال.

ميلان الطبع إليه.

إمكانية اقتنائه بلا حاجة.

إمكانية ادّخاره لوقت الحاجة.

وقوع الملك عليه واستبداد المالك به دون غيره.

إباحة منفعته في كل الأحوال.

الانتفاع به أي: استعداداه وصلاحيته للانتفاع به عادة وشرعاً.

تموّل الناس له في العادة.

جواز أخذ العوض عنه.

أن تكون له قيمة يباع بها وإن قلّت وتلزم متلفه، وألا يكون مما يطرحه الناس مثل الفلس وما أشبه ذلك.

وقد نصّ فقهاء الحنفية على أن المالية تثبت بتموّل الناس، سواء الناس كافة أو بعضهم. كما نصّ فقهاء الحنفية على أن التّقوّم يثبت بالمالية وبإباحة الانتفاع به شرعاً، فإذا ثبتت مالية الشيء وكان الانتفاع به مباحاً كان متقوماً، وإذا كان متمولاً ولم يكن مباحاً فلا يكون متقوماً^(١).

(١) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري، (٥ / ٢٧٧)، وغمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٤ / ٥). الجدير بالذكر أن فقهاء الحنفية يرون أن عدم التّقوّم لا ينافي الملكية، فتثبت الملكية ولم يثبت التّقوّم.

أما جمهور الفقهاء إذا أطلقوا لفظ (المتقوّم) فإنهم يريدون به ما له قيمة بين الناس، ويطلقون لفظ (غير المتقوّم) على ما ليست له قيمة في عرف الناس^(١).

المراد بالمال في علم الاقتصاد:

يعرف المال في علم الاقتصاد بتعريفات مختلفة تدور حول كون المال: أي سلعة أو عنصر، أو سجل يمكن التحقق منه، يمكن قبوله لشراء سلع وخدمات وسداد الديون في بلد معين أو في نطاق اجتماعي-اقتصادي. وتتميز المهام الرئيسية للمال في كونه: وسيلة للتبادل، ووحدة للحساب، ومخزن للقيمة. ويمكن اعتبار أي عنصر أو سجل يمكن التحقق منه ويستوفي هذه الوظائف مالاً^(٢).

هل توصف هذه العملات بأنها نقود؟

قسّم الفقهاء المال بالنظر إلى اتصافه بالنقدية إلى قسمين: نقود، وعروض، فالنقد هو الذهب والفضة، وتلحق الأوراق النقدية بهما في الحكم، وأما العرض فهو كل ما ليس بنقد من المتاع.

وبناء عليه، فإن هذه العملات تأخذ حكم النقد إذا استخدمت كاستخدامه، سواء كان استخدامها كنقد محصوراً على فئة معينة أو كان شائعاً.

وأما إذا كانت هذه العملات متخذة للتجارة بها فقط، فيمكن اعتبارها من العروض، بناء على رأي بعض الفقهاء، فقد «أدخل بعض فقهاء الحنابلة النقد في

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦ / ٣٥).

(٢) <https://en.wikipedia.org/wiki/Money>

العروض إذا كان متخذاً للتجار به، تأسيساً على أن العرض هو كل ما أعدّ لبيع وشراءٍ لأجل الربح، ولو من نقدٍ»^(١).

هل يمكن اعتبار الثمنية في العملات المعمّاة والمشفرة؟

اختلف الفقهاء في الثمنية، فقال بعضهم باعتبارها في الذهب والفضة، وقال بعضهم إن مرجع ذلك إلى اصطلاح الناس وعاداتهم، والذي يظهر أن الثاني هو الراجح، وأن الثمنية تثبت باصطلاح الناس كلهم أو بعضهم عليها واعتيادهم على ذلك.

ومما يرجح اتجاه بعض الفقهاء إلى أن الثمنية تكون باصطلاح الناس ما روي أن عمر رضي الله عنه أراد أن يسكّ الدراهم من جلود الإبل فقال: «هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل»، فقيل له: إذاً لا بعير!، أي لا يبقى بعير، فأمسك عمر رضي الله عن ذلك^(٢). ويضاف إلى هذا ما روي عن الإمام مالك قوله: «لو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى تكون لها سكة وعين لكرهتهما أن تباع بالذهب والورق نظرة»^(٣).

وأقرب مثال على ذلك ما يجري في زماننا هذا من اصطلاح الناس على اعتبار النقود الورقية أثماناً، واعتيادهم على استخدامها، وجريان أحكام النقود والأثمان عليها.

وسيأتي تفصيل القول في اعتبار العملات المعمّاة ثمنياً.

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦ / ٣٨).

(٢) فتوح البلدان، للبلاذري (ص ٤٥٢)، وتفسير عبد الرزاق (٢ / ٤٩٦)، وفيه: أنه «أراد أن يضرب من جلود الإبل دراهم، فقالوا: إذاً تفنى الإبل، فتركها».

(٣) المدونة، للإمام مالك بن أنس، (٣ / ٥).

وقد قررت المجامع الفقهية اعتبار العملات الورقية «نقوداً اعتبارية فيها صفة الثمنية كاملة ولها الأحكام الشرعية المقررة للذهب والفضة من حيث أحكام الربا والزكاة والسلم وسائر أحكامهما»^(١).

النقود الرقمية والعملات المعمّاة والمشفرة:

تطورت التعاملات البشرية من مقايضة وتبادل الطعام والسلع وسائر الحاجات والخدمات، إلى استخدام النقدين الذهب والفضة، مروراً باستخدام العملات الورقية القائمة على الذهب والفضة الأسهل حملاً ونقلًا، ثم العملات الورقية الرسمية الخاصة بكل دولة والتي لم تعد تقوم بالذهب أو الفضة في أكثر دول العالم، وصولاً إلى النقود الإلكترونية، وما بعدها.

الاقتصاد الرقمي والتجارة الإلكترونية حقيقة واقعة تتعامل معها البنوك في مشارق الأرض ومغاربها منذ عقود، ويتعامل معها كثير من الناس أو أكثرهم، علموا ذلك أم لم يعلموا، إلى أن ظهر ما يعرف بالعملات المشفرة والمعمّاة. فما المراد منها؟

المراد بالعملات المشفرة:

العملة المشفرة لها تعريفات كثيرة، من أشهرها أنها: «عملة رقمية تستخدم فيها تقنيات التشفير لتنظيم إيجاد وحدات جديدة من العملة، وللتحقق من تحويل الأموال، وتعمل بشكل مستقل عن أي بنك مركزي»^(٢).

(١) مجمع الفقه الإسلامي الدولي في مؤتمره الثالث بعمان الأردن، صفر ١٤٠٧هـ، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦م. وغيره.

(٢) <https://en.oxforddictionaries.com/definition/cryptocurrency>

وفي تعريف آخر: «عملة رقمية أو افتراضية تستخدم التشفير للأمن، ويصعب لذلك تزييفها. وهي لا تصدر عن أي سلطة مركزية، مما يجعلها محصنة نظرياً من تدخل الحكومة أو التلاعب بقيمتها»^(١).

وهناك تعريفات أخرى كل واحد منها يزيد وينقص، وكلها تدور حول الآتي:
أنها عملة رقمية، افتراضية، أي لا يوجد لها وجود فيزيائي بالمعنى المتعارف عليه.

لا يوجد لديها غطاء، وإنما تعتمد على البرمجيات المعقدة لإيجاد عملات جديدة منها.

تعتمد أنظمة التشفير لضمان الأمان، وللتحقق من المعاملات.
لا ترتبط بأية جهة مركزية.

ومن المهم أن يلاحظ أن التعريفات الرسمية المعتمدة لا تذكر خاصية «السرية»، رغم انتشار السرية في هذه العملات وتأثيرها في بعض الفتاوى المحرمة، وذلك لأن هذه الخاصية يمكن إلغاؤها أو استبدالها دون التأثير على حقيقة العملات المشفرة.

أسباب ظهورها:

من الواضح أن العملات الرقمية أولاً ثم العملات المشفرة والمعممة بأنواعها تبدو تطوراً طبيعياً لانتشار الإنترنت وتوفيرها واستمرار التحول الرقمي في جميع شؤون العالم في السنوات الأخيرة.

(١) <https://www.investopedia.com/terms/c/cryptocurrency.asp>

لكن الأزمة الاقتصادية العالمية عام ٢٠٠٨ وما بعدها كان أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهورها^(١)، حيث طُرح اقتراح لإنشاء عملات خارج السيطرة والتحكم التقليدي، ولضمان ذلك كان من اللازم أن تتم جميع المعاملات بين كل طرفين مباشرة باستخدام تقنية متاحة تعرف بنظام (P 2 P) أو الند للند دون وجود طرف ثالث.

إن العملات المشفرة والمعماة أمر واقع، ويبدو أنه سيبقى في المستقبل المنظور ويزداد توسعاً وانتشاراً. ومثل كل أمر جديد في بدايته، فإن عالم العملات المشفرة لا يزال فوضوياً، ومحفوفاً بالغموض والتناقضات والثغرات والكثير من التقلبات والتحديات. وبسبب ترابط العالم الإلكتروني فإن الصرعات الجديدة تتضخم بصورة متسارعة تشبه الفقاعات، ومما لا شك فيه أنه ستكون هناك موجات تصحيحية، وانفجار لهذه الفقاعات أو بعضها، إلى أن تتدخل الحكومات والجهات الرسمية والخاصة بجديّة، وتقوم بوضع قوانين ومعايير تضبط واقع هذه العملات.

بعد ظهور البيتكون، تسارع ظهور نماذج أخرى لهذه العملات، حتى بلغ عددها عند تاريخ كتابة هذا البحث (١٥٣٦) عملة، بقيمة إجمالية تزيد على (٤٥٤) مليار دولار^(٢)، والجدير بالتنويه أن أكثر العملات المشفرة والمعماة هي غش وخداع وتلاعب بالأرقام والأموال^(٣)، والقليل منها فقط يمكن اعتباره ابتكاراً حقيقياً

(١) [/https://analyticsindiamag.com/origin-bitcoin-brief-history](https://analyticsindiamag.com/origin-bitcoin-brief-history)

وكذلك: <https://www.newyorker.com/tech/elements/the-bitcoin-boom>

(٢) موقع <https://coinmarketcap.com>

(٣) https://en.bitcoin.it/wiki/Comparison_of_cryptocurrencies

بمفاهيم وآليات جديدة سواء في جانب الفكرة أو التقنية أو التطبيق، وهي الأمور التي تفتح آفاقاً واسعة للتطور التكنولوجي في هذا المجال، وتمهد الطريق لظهور عملات رقمية مشفرة معتمدة رسمياً.

أهم العملات المشفرة والمعممة، وميزاتها وعيوبها:

١ - بيتكوين (Bitcoin) الرمز (BTC)^(١):

هذه هي العملة المشفرة الأصلية، وهي سيدة هذا النوع. كان ظهورها في أعقاب الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨م. وهي عبارة عن رمز رقمي مشفر، يتم التتبع عنه، ويعطى الرمز مقابل اكتشاف حلّ لمعضلة رقمية، كحافز مقابل الأجهزة والطاقة والوقت، ويساهم هذا في تنفيذ المعاملات وتشفير وحفظ سجل المعلومات الخاص بها.

جهة إصدارها غير معروفة، وتنسب إلى مبرمج مجهول أو مجموعة من الأفراد تحت الاسم المستعار (ساتوشي ناكاموتو)، ويقول خبراء البرمجة إن البرمجة المستخدمة متقنة للغاية بما يفوق قدرات الفرد الواحد، وربما يكون وراءها جهات أطلقتها كتجربة لا تريد أن تنسبها إليها لسبب ما.

حظيت ابتداءً باهتمام المبرمجين والمتحررين، ثم باهتمام الجهات المشبوهة التي ترغب في سرية مطلقة لنقل الأموال خارج الرقابة الحكومية، خاصة في الأسواق السوداء والإنترنت المظلمة، مثل: عصابات التهريب والجرائم الإلكترونية.

(١) www.express.co.uk ، وغيره.

لم تحظ بانتشار كبير بين عموم الناس حتى عام ٢٠١٧ الذي شهد ارتفاعاً مذهلاً في شعبيتها والإقبال عليها وقيمتها السوقية، حيث تضاعفت قيمتها آلاف المرات، وتبلغ القيمة السوقية لإجمالي رموز البيتكوين المتداولة ١٩١ مليار دولار.

عانت من تقلبات سريعة ومفاجئة، ربح منها بعض الناس وخسر آخرون. كما عانت من بطء السرعات للتنفيذ، واستمرار ارتفاع رسوم المعاملات مع ارتفاع قيمة العملة، كما أنها تقترب من الوصول إلى الحد الأعلى المحدد سلفاً بـ (٢١) مليون رمز فقط.

٢- إثير - إثيريوم (Ethereum) الرمز (ETH)^(١):

تعتبر العملة الثانية في الشعبية في مجتمع العملات المشفرة، وتوصف بأنها المنافس الرئيس للبيتكوين، كما يعتقد مطوروها بأنها عملة رقمية قابلة للبرمجة أكثر من غيرها.

تختلف هذه العملة عن غيرها، فقد تم تطويرها لتغذية فكرة «كمبيوتر العالم» القائم على شبكة هائلة وفائقة القدرة، وذلك لتطوير التطبيقات بطريقة غير مركزية، بحيث يمكن الاعتماد على هذه التطبيقات والاستغناء عن شركات الطرف الثالث مثل جوجل وأبل.

التطبيقات التي تم تطويرها على إثيريوم تم وضعها على منصة عامة موزعة، ويقوم المنقبون بالعمل على هذه المنصة لتغذية الشبكة ومن ثم لكسب عملة إثير.

تقدّر قيمتها السوقية بأكثر من (١١٦) مليار دولار.

(١) www.express.co.uk، وغيره.

٣- ريبل (Ripple) الرمز (XRP)^(١):

ظهرت فجأة في أواخر عام ٢٠١٧م، واحتلت المرتبة الثانية بعد البيتكوين خلال فترة قصيرة من ظهورها المفاجئ، لكنها تراجعت بعد ذلك لتستقر في المرتبة الثالثة بعد الإثريوم.

على الرغم من أن هذه العملة تصنف على أنها العملة المنافسة للبيتكوين، إلا أنها تختلف عن غيرها أن لها مركزية تعتمد عليها. كما أنها تستخدم لغاية مختلفة تماماً، فهي عبارة عن شبكة معاملات مركزية تستخدم من قبل البنوك لتحويل النقود، مثلها مثل نظام (سويفت) المشهور، حيث يتم تحويل المبلغ المرسل أولاً إلى عملة الريبل ويرسل بعدها عبر الشبكة المشفرة، ثم يتم إعادة تحويله مرة أخرى إلى العملة المطلوبة في الطرف الآخر. ويرى مديرو هذه العملة أن هذه الطريقة أسرع وأكثر أماناً واعتماداً من استخدام عملات مشفرة أخرى غير مركزية.

تبلغ القيمة الإجمالية لهذه العملة حوالي ٥٢ مليار دولار.

مميزات العملات المشفرة عموماً:

لا شك أن توظيف التقنيات الحديثة له ميزات هائلة في شتى الاستخدامات، ومنها الجانب الاقتصادي والمالي، متمثلاً في العملات الرقمية ثم العملات المشفرة والمعممة. ومن أهم هذه الميزات ما يأتي:

(١) المرجع السابق

١ - تناسبها مع الاقتصاد الرقمي:

الاقتصاد الرقمي واقع يعيشه هذا الجيل بكل تفاصيله، فذروة الاقتصاد العالمي قائمة على المعرفة والبيانات - خاصة الرقمية منها -، فناسب أن تكون آلية التعامل بالنقود والعملات رقمية كذلك. والعملات المشفرة خطوة طبيعية في هذا الاقتصاد.

٢ - الأمان وصعوبة التزوير:

تمتاز العملات المشفرة بالأمان الشديد وصعوبة التغيير والتزوير نظراً لقيامها على نظام تشفير عالي الأمان، ووجود آلاف أو ملايين النسخ المتطابقة، حيث توجد نسخة من كامل البيانات لدى كل مستخدم للنظام في الشبكة، وفي حال اختلاف نسخة منها بسبب التزوير أو حصول خلل بها، فإنها ترفض آلياً من قبل بقية المستخدمين، مما يضمن استمرار النسخ الصالحة فقط.

الجدير بالذكر أن تقنية (البلوك تشين) ليست آمنة تماماً ولا تخلو من عيوب وملحوظات خطيرة، رغم أن نسبة المخاطر على هذه التقنية هي أقل من نسبة المخاطر في المعاملات الورقية. وقد أجرى فريق بحثي تجارب خلصت إلى أن ٤, ٣٪ من العقود الذكية على هذه التقنية عرضة لاختراق يؤدي إلى قفل الأموال إلى أجل غير مسمى مع عدم القدرة على فتحها، وكذلك القيام بتسريب الأموال بشكل عشوائي، أو ببساطة قتل العملية بالكامل وعدم تنفيذها^(١).

(١) <https://arxiv.org/pdf/1802.06038.pdf>

٣- السرعة الفائقة:

تمتاز التقنيات الحديثة بسرعة تنفيذ الأوامر وإنجاز المعاملات. وقد تمت برمجة العملات المشفرة للاستفادة من الإمكانيات الهائلة للأجهزة الإلكترونية المنتشرة الآن.

فالمعاملة المالية لتحويل أموال من مكان إلى آخر يمكن إنجازها خلال لحظات معدودة، بينما تستغرق في العادة يوماً كاملاً إلى سبعة أيام كاملة في النظام التقليدي. الجدير بالذكر أن المعاملة على شبكة البيتكون تستغرق حالياً ما بين ١٠ دقائق إلى ١٢٠ دقيقة، بينما لا تستغرق على شبكة الإثيريوم سوى نصف دقيقة إلى دقيقتين.

٤- الدقة والسلامة من الأخطاء:

تم تصميم العملات المشفرة والمعمّاة بناء على تقنية تشفير وتحقق عالية الجودة والكفاءة، مما يضمن دقة متناهية تمنع حصول خطأ بريء أو تلاعب مقصود بالبيانات. أما الأخطاء البشرية عند استخدام التقنية فلا علاقة لها بالتقنية نفسها.

٥- الشفافية والوضوح:

تقنية البلوك تشين التي تقوم عليها العملات المشفرة تمتاز بشفافية عالية أو مطلقة، حسب اختيار الجهة المصدرة، حيث يمكن الاطلاع على سائر العمليات والتفاصيل المعلنة دون استثناء، إذ لا يمكن إخفاء أي عملية أو التلاعب بها مهما صغرت. وأية محاولة لذلك تؤدي إلى تلف تلك النسخة وإلغائها من النظام آلياً.

هذه الشفافية تفيد في نضوج الأسواق واستقرار السعر العادل، كما تساهم في مكافحة التلاعب والغش، وغيرها.

٦- السهولة النسبية:

الكثير من المستخدمين يقومون اليوم بشراء حاجياتهم وإنجاز معاملاتهم وقضاء مصالحهم المختلفة عبر آليات الاقتصاد الرقمي، سواء علموا ذلك أم لم يعلموه. ولا يستغرق تعلم استخدام الأجهزة الذكية لإنجاز المعاملات الاقتصادية أكثر من دقائق معدودة، بل إن أكثر المستخدمين من الجيل الجديد يستطيعون تعلم ذلك تلقائياً بسبب خبرتهم في التعامل مع هذه الأجهزة والبرامج الشبيهة.

وأما الجهات الرسمية والمؤسسات الخاصة فإنها تسعى جاهدة إلى استخدام التقنيات الحديثة ودمجها في خدماتها ومعاملاتها، وتسهيلها للمتعاملين والمستفيدين. والعملات المشفرة والمعماة ليست بدعاً في ذلك، وسيحصل الشيء نفسه في حال اعتمادها أو تقنينها وبعد انتشار استخدامها وحل مشاكلها وعيوبها.

٧- قلة التكلفة:

تمتاز العملات المشفرة والمعماة بانخفاض تكلفة إنتاجها، وكذلك انخفاض تكلفة العمليات المصرفية المرتبطة بها من شراء وبيع وتحويل وصراف. وكلما زادت المبالغ المحولة، قلت تكلفة تحويلها عبر هذه الشبكات. الجدير بالذكر أن الارتفاع الهائل في قيمة بعض العملات المشفرة مثل البيتكوين قد أدى إلى ارتفاع تكلفة التحويل، لأن

التحويل يحسب كنسبة من العملة نفسها حوالي ٠,٠٠٠٦٢٥ بيتكوين، أي حوالي ٤ دولارات الآن. أما تحويل عملة الإيثريوم فيكلف ما بين سنت واحد إلى عشرة سنتات من الدولار.

٨- عدم المركزية:

عدم المركزية وحده ليس عيباً مطلقاً، بل إنه ينقل التحكم والتوجه بالمسار من أهواء أفراد قليلين إلى آراء مجموع الأفراد المستخدمين.

وهي ميزة من جانب، وعيب من جانب آخر يأتي توضيحه لاحقاً.

٩- المصدقية وسهولة التوثيق:

حسب النظام الأصلي للعملات المشفرة، فإنه يتم حفظ جميع العمليات والمعاملات التي تتم على النظام، ولا يمكن تعديلها أو إنكارها بعد إجرائها. كما يمكن لأي شخص في العالم التأكد من مصداقية أي معاملة أو ملكية أو عقد تم إجراؤه عبر هذا النظام.

١٠- امتداد الاستخدامات وتنوعها:

رغم تواصل انتشار استخدام العملات المشفرة والمعمّاة إلا أنه لا يزال محدوداً. لكن ما يميّزه عدم وجود حدود جغرافية أو تطبيقية لاستخدامها في حال الرغبة في ذلك بين طرفين، أو في حال اعتمادها رسمياً وتعميمها. وهذا يفتح آفاقاً واسعة للتبادل الاقتصادي على جميع الأصعدة.

عيوب العملات المشفرة والمعمّاة عموماً:

لا تخلو أي تقنية جديدة من عيوب، خاصة في بداياتها، والعملات المشفرة والمعمّاة لها نصيب كبير من ذلك، ومن عيوبها ما يأتي:

١ - عدم صدورها من سلطة الاختصاص:

من أهم ميزات النقود وجود سلطة اختصاص تصدرها وتضمنها وتعمم استخدامها، وتلتزم الناس بقبولها واعتماد قيمتها.

أما العملات المشفرة والمعمّاة فليس لها حظ من ذلك، وهو ما يدفع الكثير من الناس للعزوف عنها والحذر منها، كما يدفع الجهات المختصة إلى عدم اعتمادها والتحذير منها.

ويمكن تجاوز هذه العقبة بإصدار عملات مشفرة من السلطات المختصة، بحيث تحتوي على مميزات، وتتلافى عيوبها، وتكسب ثقة الناس وتضمن حقوقهم.

٢ - عدم وجود جهة إصدار معروفة أو موثوقة أو مرجعية متفق عليها:

هذه المسألة مرتبطة بسابقتها، ويقال فيها ما قيل في تلك، لأن عدم وجود جهة إصدار معروفة أو موثوقة يعني وجود قدر كبير من المخاطرة، كما أن عدم وجود مرجعية متفق عليها سيؤدي إلى النزاع والشقاق. وقد حصل فعلاً أن اختلف مستخدمو البيتكوين فيما بينهم، وتم حلّ النزاع بالانفصال وإنشاء عملة

أخرى تسمّى (البيتكون كاش)^(١)، وهناك توقعات بعشرات الانشقاقات في هذا العام^(٢).

٣- عدم المركزية:

وهي ميزة من جانب، لكنها عيب من جانب آخر، باعتبار غياب الضمان وتحكم أهواء المستخدمين بمسارها، وتسهيلها للسرية المطلقة وللمعاملات المشبوهة. يمكن تلافي هذه العيوب عبر إيجاد نوع من المركزية الحيادية لتسيير الأمور وضمان سلاستها وسلامتها. من السهل قول ذلك، لكن من الصعب تطبيقه، وأصعب منه إقناع مستخدمي العملات المشفرة والمعمّاة به، حيث لا يثق كثير منهم بنزاهة أية سلطة مركزية تتحكم بالمال. وهذا لا يعنينا كثيراً، لأن كلامنا هنا حول إيجاد عملات مشفرة ومعمّاة تتوافق مع ضوابط الشريعة الإسلامية وتضمن حقوق الناس.

٤- عدم وجود جهة ضامنة:

لا تتوفر للعملات المشفرة والمعمّاة أية ضمانات، وذلك لعدم وجود جهة مسؤولة أو ضامنة. وبالتالي، هناك قدر كبير من المخاطرة من قبل المستخدمين في حال فشلها أو انهيارها أو منع التعامل بها، أو عدم استمراريتها لأي سبب كان.

(١) <https://futurism.com/bitcoin-is-splitting-into-two-heres-what-it-means-for-your-investments>

(٢) <http://fortune.com/bitcoin-forking-splits/> 2018 /01/ 23

ولا شك أن العملات المشفرة والمعمّاة بهذه الطريقة فيها محاذير شرعية، ولا تتفق تماماً مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي. ويمكن تلافي هذا عبر اعتماد وضمان حكومي، أو ضمان من جهة محايدة.

٥- غموض آلية عملها:

يرى البعض أن غموض آلية عمل العملات الرقمية والمعمّاة سلبية كبيرة، وقد يبالغ البعض فيحكم بمنعها بسبب ذلك. والحقيقة أن هذه المسألة ليست ذات أهمية كبيرة للمستخدم إذا تلافينا العيوب الأخرى، لأن أكثر المستخدمين لأكثر أنواع النقود - خاصة الإلكترونية والرقمية منها - لا يعلمون شيئاً عن آلية عملها، وهذا لا يؤثر في الحكم عليها، إذا لم تكن هناك محاذير شرعية أخرى.

يضاف إلى ذلك أن آلية عمل العملات الرقمية والمعمّاة معلنة وواضحة للمتخصصين، ويمكن لمن شاء أن يدرسها ويفحصها. بل يزعم المتحمسون لها أنها أكثر شفافية وواضحة من بعض المعاملات المالية الشائعة في العالم.

٦- تعقيد العمليات البرمجية:

يرى البعض أن العملات المشفرة والمعمّاة قائمة على عمليات برمجية معقدة للغاية لا يفقهها إلا عمالقة البرمجيات والخوارزميات، ويصعب على كثير من الاقتصاديين فهمها. وهذه النقطة تشبه سابقتها، والجواب عليها يشبه الجواب على سابقتها.

٧- استهلاك الطاقة:

تحتاج العملات المشفرة إلى أجهزة ذات إمكانيات عالية جداً، تفوق قدرات الأجهزة الخارقة الموجودة حالياً، ولذا، فإنها بحاجة إلى تكاتف جهود أجهزة المستخدمين في العالم بأعداد هائلة لإجراء هذه العمليات البرمجية. الجدير بالذكر أن الأجهزة الدقيقة تتطور بسرعة عالية جداً، فتزداد قدراتها وكفاءتها، ويقل استهلاكها للطاقة. وبالمقابل، فإن الإقبال المتزايد للناس على هذه العملات سيرفع الطلب والمعاملات كذلك وبالتالي يرفع استهلاك الطاقة. من جهة أخرى، فإن المعاملات المصرفية التقليدية والإلكترونية تستهلك كذلك أنواعاً كثيرة من الطاقة ربما تفوق في مجملها ما تستهلكه العملات المشفرة والمعمّاة.

٨- بطء تنفيذ العمليات المصرفية:

المفترض في العملات الرقمية والمعمّاة أن تمتاز بالسرعة الفائقة في تنفيذ العمليات. إلا أن الطلب المتزايد عليها أدى إلى معاناتها من فترات بطء الشبكة وتوقفها. وهذا الأمر ليس بمستغرب، لأن الشبكات وقتها لم تكن مصممة لتنفيذ عمليات معقدة وسريعة بهذه الطريقة، ولم تكن مستعدة لهذا الزخم المفاجئ.

٩- احتمالية التلاعب أو الاختراق:

تمتاز العملات المشفرة والمعمّاة بميزات أمان عالية، مما يجعل احتمالية التلاعب أو الاختراق صعبة للغاية أو مستحيلة. نظرياً يجب أن يتواطأ أكثر من نصف المستخدمين على التلاعب لكي يتم تنفيذه على الشبكة، وهو أمر يصعب تصوره.

وأما احتمالية الاختراق فهي واردة جداً، ليس بسبب النظام نفسه، وإنما بسبب قصور الأمان في الجهة المتعاملة أو الوسيط. وهو ما جرى بالفعل، حيث حصلت اختراقات متعددة، بلغت قيمة المسروق في أحدها أكثر من ٥٠٠ مليون دولار^(١). كما أن من الممكن أن يتم خداع المستخدم أو استدراجه للإفصاح عن المعلومات أو اختراق جهازه والحصول على بيانات العملات المشفرة والمعمّاة وسرقتها. وهذا لا يختلف عن العملات الإلكترونية والحسابات المصرفية والبطاقات ونحوها.

وأما احتمالية الغش والتزوير فهي معدومة أو شبه معدومة، إذ تمتاز هذه العملات بخصائص أمان تمنع الغش والتزوير. وحتى لو قيل باحتمالية الغش أو كثرته أو نحو ذلك، فإن هذا لا يبطل الثمنية إذا كانت رائجة، لكن إذا زال رواجها زالت الثمنية. كما يفهم من أقوال الفقهاء^(٢).

١٠ - سهولة ضياعها أو فقدانها:

يتم حفظ العملات المشفرة والمعمّاة في محافظ إلكترونية أو مباشرة من قبل المستخدم، وإذا فقدت هذه المعلومات بسبب خلل تقني أو سرقة للأجهزة المحفوظ عليها أو نحو ذلك، فإن المستخدم يفقد أمواله ورصيده دون رجعة، إذ لا يمكن

(١) <http://fortune.com/coincheck-hack-how/> 31 / 1 / 2018

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٥ / ٣٠)، حيث جاء فيها: «أما الفلوس والدرهم التي غالبها الغش: فإن كانت رائجة فلا تتعين بالتعيين، لكونها أثماناً بالاصطلاح، فما دام ذلك الاصطلاح موجوداً لا تبطل الثمنية، لقيام المقتضي. وإن كانت غير رائجة فتتبع بالتعيين؛ لزوال المقتضي للثمنية وهو الاصطلاح، وهذا لأنها في الأصل سلعة، وإنما صارت أثماناً بالاصطلاح، فإذا تركوا المعاملة بها رجعت إلى أصلها».

استعادة هذه الأموال أو تعويضه. وهذه المشكلة لها ما يشبهها في النقود الورقية والإلكترونية وغيرها. فاحتمالية فقدان النقود بضياح الشفرة، مشابه لتعرض النقود الأخرى إلى آفة من الآفات التي تذهب بعينها، كالخريق ونحوه.

مع أن صنع نسخ متعددة من هذه الشفرات لهذه العملات وحفظها سهل ويسير، كما يمكن طباعة الرقم الخاص وحفظه مطبوعاً ورقياً لاستخدامه واستعادة النسخة الإلكترونية من الرقم الخاص عند فقدانها.

ومع ذلك، ينبغي أن يضاف إلى ضوابط الجواز: وجود جهة موثوقة لحفظ البيانات والشفرات بطريقة مشفرة كذلك، لكن بشفرة مزدوجة مثلاً، يمكن إعادة إصدارها لصاحبها الحقيقي عند الحاجة، وتكون هذه الجهة تحت إشراف ورقابة الجهات الرسمية، أو جهة الضمان المحايدة.

١١ - سوء الاستخدام والأغراض المشبوهة:

يسهم الاقتصاد الرقمي في تسهيل سوء الاستخدام وخدمة الأغراض المشبوهة والممنوعة. وسوء الاستخدام وارد في الاقتصاد التقليدي وليس حكراً على الاقتصاد الرقمي، وإن كان أسهل في الاقتصاد الرقمي خاصة مع العملات المشفرة والمعمّاة.

وإن نظرة سريعة إلى أكثر التقنيات المعاصرة الشائعة تبين بوضوح أن أكثر الاستخدامات تعتبر استخدامات سيئة من الناحية الشرعية، فمثلاً: أكثر من ٣٠٪ من مواقع الإنترنت مواقع إباحية^(١)، وهذا بخلاف المحاذير الأخرى! لكن هذا

(١) https://www.huffingtonpost.com/internet-porn-stats_n_3187682.html/3/5/2013

لا يغيّر من حكم جواز استخدامها ما دام بالإمكان تفادي المواقع المحرّمة وحظرها وعدم التعاون معها أو مساعدتها أو نشرها.

ويمكن أن يقال الشيء نفسه في العملات المشفرة والمعماة.

يضاف إلى ذلك وجود إمكانية للسيطرة على سوء الاستخدام وتقليله، كما جرى فعلياً في القضاء على أشهر موقع لاستخدام العملات المشفرة والمعماة في التجارة الممنوعة، وهو موقع «طريق الحرير».

مع ظهور مصطلحات جديدة في عالم التقنية والمعاملات المالية، يحصل خلط بينها عند كثير من المتعاملين وأصحاب الشأن على اختلاف علاقاتهم بها، ويقع في هذا الخلط بعض الباحثين ومصدري الأحكام والقرارات.

ومن ذلك مثلاً مصطلحات الاقتصاد الرقمي: كالنقود الإلكترونية (Electronic Money) أو اختصاراً: (eMoney)، والنقود الرقمية (Digital Money) والعملات الرقمية (Digital Currency)، والخلط بينها وبين النقود المشفرة والمعماة (Cryptocurrency).

المشكلة هي في نقل فتوى حول نوع من هذه الأنواع إلى نوع آخر:

مثلاً: ورد سؤال إلى أحد مراكز الإفتاء حول النقود الإلكترونية التي تعادل النقود الورقية، لكنها على بطاقات بدون حساب بنكي، فأجاب بالجواز، لأن «المخزون على هذه البطاقات يمثل وحدات نقدية، لكن بطريقة إلكترونية، وقد حازت القبول العام وحصول الثقة بها، كوسيط في التداول والتبادل، فهي نقد في حكم النقود

الورقية وبديل عنها، فتجب الزكاة فيها، ويجري فيها الربا»^(١). ثم لما ورد سؤال حول النقود الرقمية والبيتكوين، كان الجواب عن النقود الإلكترونية باعتبارها عملات: «فالعملة الرقمية، أو النقود الإلكترونية عملات في شكل إلكتروني غير الشكل الورقي، أو المعدني المعتاد. وعلى ذلك فشرائها بعملة مختلفة معها في الجنس أو متفقة يعد صرفاً، ولا بد في الصرف من التقابض، والتماثل عند اتحاد الجنس، والتقابض دون التماثل عند اختلاف الجنس»^(٢).



(١) موقع الإسلام سؤال وجواب، فتوى رقم (٢١٩٣٢٨).
(٢) مركز الفتوى على الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (١٩١٦٤١).

المحور الثاني

إشكاليات وضوابط التعامل بالعملات المشفرة والمعماة

أصبحت العملات المشفرة والمعماة أمراً واقعاً ينال حيزاً كبيراً من الإعلام والاهتمام من قبل المتخصصين والعوام، ولعل من المؤكد أنه سيبقى ويزداد انتشاراً واستخدماً، ومن المتوقع أن تتبناه المؤسسات والجهات الرسمية في مختلف دول العالم.

لذا، أصبح لزاماً على أهل العلم أن يدرسوا هذا الأمر ويتصوّروا أبعاده، ويبيّنوا ميزاته وعيوبه، ويحكموا على واقعه جوازاً أو تحريماً، مع بيان الضوابط الشرعية والبدائل المعتبرة لتصحيح مساره ليتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية ويقوم على أسس صحيحة، ويسهل تطبيقه في الدول الإسلامية التي ترغب في ذلك. وأرى أن يتبنى منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي بالتعاون مع مجامع الفقه الإسلامي مناقشة هذا الأمر بالتفصيل، والخروج بضوابط التعامل مع العملات المشفرة والمعماة إصداراً وتداولاً وتعديناً وغير ذلك.

والنظرة الفاحصة لواقع العملات المشفرة والمعماة بوضعها الحالي لا تنسجم تماماً مع مبادئ الشريعة الإسلامية، ولا بد من وضع ضوابط لها.

وسأشير في هذه العجالة إلى أهم الإشكاليات والضوابط التي خطرت لي حول هذا الموضوع:

١ - حق إصدار النقود:

ذكر العلماء أن سكّ النقود والعملات من مهام الدولة، فحق إصدار النقود هو للإمام وحده أو من يفوضه الإمام بهذه الوظيفة، وذلك لحفظ مصالح الناس، وحمايتهم من المزورين والغشاشين، وليتميز الخالص من المغشوش في المعاملات. ولا يجوز لغير الإمام ضرب النقود؛ لأن في ذلك افتياتاً عليه^(١).

الجدير بالذكر أن الفقهاء نصّوا على كراهية سكّ النقود من جهة خاصة لكنهم لم يصرّحوا بالتحريم، فروي أن الإمام الشافعي كره لغير الإمام ضرب الدراهم والدنانير وإن كانت خالصة؛ لأنه من شأن الإمام، وروي عن الإمام أحمد أن ضرب الدراهم لا يصلح إلا في دار الضرب ويأذن السلطان؛ لأن الناس إن رخص لهم ركبوا العظائم^(٢). وهذا الرأي كان في زمن لم يكن فيه أمر سكّ النقود وإصدارها وتداولها مقنناً ومستقراً كما هو عليه الآن.

إذا قارنا العملات المشفرة بالنقد من الذهب والفضة أو الأوراق النقدية المغطاة بالذهب والفضة، فلا شك أن المنع والقول بالتحريم أقوى وأولى. ويمكن الاستدلال على هذا بالآثار الدالة على حرمة كسر سكة المسلمين ونقدهم^(٣)، وأقوال الفقهاء بمعاقبة من يفعل ذلك بالتعزير، رغم أن الظاهر أن المراد في هذه الآثار

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧٨/٤١).

(٢) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد، (١/٢٧٢).

(٣) أخرج أبو داود (٣٤٤٩) وغيره أن النبي ﷺ «نهى أن تُكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم، إلا من بأس»، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٩٥٢١). وزاد الطبراني في المعجم الأوسط (٣/٤٩): «أن يكسر الدرهم فيجعل فضةً أو يكسر الدينار فيجعل ذهباً».

النهي عن إلغاء السكة السابقة الجائزة بينهم من حاكم جديد، أو النهي عن تزييف العملة وتزويرها^(١)، بدليل أن الفقهاء ذكروا ضرورة مراقبة أوزان وأحجام الدينار والدرهم من الذهب والفضة^(٢). والله أعلم.

وأما إذا قارنا العملات المشفرة بالأوراق النقدية التي لا غطاء لها، فإن الأمر أقرب إلى الجواز منه إلى التحريم، بشرط مراعاة بقية الضوابط الشرعية والجوانب القانونية.

الجدير بالذكر أن بعض الدول تسمح بإصدار نقود خاصة مع تقييدات قليلة أو كثيرة، ففي هونغ كونغ مثلاً، الحكومة تصدر العملة الرسمية، أما العملة الخاصة الصادرة من البنك فهي الوسيلة المهيمنة للتبادل، ومعظم آلات الصراف الآلي تصرف أوراقاً نقدية خاصة ببنك هونغ كونغ^(٣). يضاف إلى ذلك سماح بعض الدول بإصدار عملات تكميلية للعملة الوطنية ولا تحمل إلزاماً قانونياً، بل يكون استخدامها استناداً إلى اتفاق بين الطرفين المتبادلين للعملة^(٤). ومن أشهرها نظام «بنك وير»، والذي كان يسمى سابقاً «الدائرة الاقتصادية السويسرية»، وهو نظام

(١) ذكر بعض الفقهاء أن الإمام «إذا حرم المعاملة بالنقود السائرة بين الناس صارت عرضاً، وإذا ضرب لهم فلوساً أخرى أفسد ما كان عندهم من الأموال بنقص أسعارها فظلمهم فيما يضربه بإغلاء سعرها»، الإقناع في فقه الإمام أحمد، (١/٢٧٢).

(٢) نص الفقهاء على حرمة التزوير في النقود وأن عقوبة ذلك التعزير بما يراه الحاكم، وذكروا أن من وظيفة المحتسب مراقبة مقادير دينار الذهب ودرهم الفضة وزنا وحجماً. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١١/٢٦٠، ٢٦٣).

(٣) https://en.wikipedia.org/wiki/Private_currency

(٤) https://en.wikipedia.org/wiki/Complementary_currency

لعملة تكميلية مستقلة في سويسرا تخدم قطاع الأعمال وشركات الضيافة والبناء والتصنيع والتجزئة والخدمات المهنية، وهو الذي يصدر ويدير العملة الخاصة بهم والتي تدعى «فرانك وير»^(١).

كما أن بعض الدول تشرك الجهات الخاصة في مسؤولية إصدار النقود، ومن أشهر هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إن نظام الاحتياط الفيدرالي يشترك فيه جهات خاصة وحكومية^(٢).

وهنا تبرز الحاجة إلى تكييف آلية الحصول على العملات المشفرة والمعماة، إذ غالباً لا يوجد إصدار ولا جهة إصدار، وإنما يتم إيجاد هذه النقود عبر عملية التعدين التي تتم عبر أجهزة التعدين التي تخدم عمليات هذه النقود وتشفيرها وتبادلها، دون وجود جهة إصدار.

وأما إذا اعتبرنا العملات المشفرة والمعماة مجرد عملات اصطلح على تسميتها بين فردين أو أكثر فلا إشكال عندها. كما أن عملية التعدين الإلكترونية هذه تشبه - وإن كان من بعيد - عملية التنقيب والبحث عن المعادن واستخراجها من باطن الأرض. والذي يظهر أن هذه العملية لا تتعارض مع مهام الدولة في إصدار العملات الرسمية التي يلزم بها القانون ويصطلح عليها المجتمع كله ويقبل التعامل بها في العالم كله، هذا من الناحية الشرعية.

(١) https://en.wikipedia.org/wiki/WIR_Bank

(٢) https://en.wikipedia.org/wiki/Federal_Reserve_System

وأما من الناحية القانونية فقد قامت بعض الدول بإجازتها وبعض الدول بمنعها، لكن لا تزال أكثر الدول متوقفة في اتخاذ قرار واضح تجاهها. كما اتجهت بعض الدول إلى إصدار عملات مشفرة ومعممة خاصة بها، ومن أشهرها: الإكوادور، وتونس، والسنغال، والسويد، وإيستونيا، والصين، وروسيا، وفنزويلا، وغيرها^(١).

وجاء في إستراتيجية الإمارات للثورة الصناعية الرابعة أنها تركز على عدة محاور أساسية منها: «تعزيز الأمن الاقتصادي عبر تبني الاقتصاد الرقمي، وتكنولوجيا التعاملات الرقمية»^(٢)، وقد شرح هذا المحور في الكتيب التعريفي بأنه «تبني الاقتصاد الرقمي وتكنولوجيا التعاملات الرقمية (بلوك تشاين) لتعزيز اقتصاد الدولة في مجالات التمويل والخدمات»^(٣).

كما ذكرت الصحف أن بنك الكويت المركزي يخطط لإصدار نسخة من العملة الرقمية المشفرة العام المقبل، على أن تكون مرتبطة بالدينار، فيما لم تحظ بعد بموافقة مجلس إدارة البنك^(٤). والذي يظهر أن هذه ليست عملة مشفرة بالمعنى الاصطلاحي، وإنما نسخة رقمية من الدينار. ويتوقع أن يكون لها قبول وانتشار في حال إقرارها.

(١) <https://www.verdict.co.uk/bitcoin-countries-digital-currency>

(٢) موقع حكومة الإمارات، إستراتيجيات وخطط الحكومة الاتحادية في دولة الإمارات:

<https://government.ae/ar-ae/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/federal-governments-strategies-and-plans/the-uae-strategy-for-the-fourth-industrial-revolution>

(٣) كتيب إستراتيجية الإمارات للثورة الصناعية الرابعة، وزارة شؤون مجلس الوزراء والمستقبل، ط.١، ٢٠١٧، ص ١٤.

(٤) <https://www.alraimedia.com/Home/Details?id=a57003fb-602d-4a41-8627-6dc951168fdb>

هذا بخصوص الوضع الراهن، وأما عندما تتجه الدول إلى إصدار العملات المشفرة والمعماة أو تقنينها، فعندها قد يتغير الحكم الشرعي والقانوني بما يلائم ما يكون عليه الحال عندها.

ويبدو لي أنه لا يستساغ الجزم بتحريم التعامل بهذه النقود لمجرد عدم صدور قرار بالإباحة، أو لعدم صدور قانون صريح بالسماح بالتعامل بها، بل الإباحة هي الأصل، ما لم يكن هناك محذور شرعي معتبر، أو قانون صريح مانع لها، والله أعلم.

٢- الضوابط الشرعية لإصدار النقود:

لم أقف على من درس هذه المسألة بالتفصيل، سوى فتوى مختصرة صادرة عن مركز الإفتاء على الشبكة الإسلامية، جاء فيها: «لا نعلم أن هنالك ضوابط شرعية محددة لإصدار النقود، إلا أنه من المعلوم ضرورة أن الشريعة الإسلامية جاءت بدرء المفسد وتقليلها، وجلب المصالح وتحصيلها، ولا يخفى أن حاجة الناس إلى هذه النقود شديدة، بيعاً، وشراءً، ومهراً، وكراءً... إلى غير ذلك، فاقترضت قاعدة جلب المصالح أن تضرب هذه النقود من جهة مسؤولة يمكنها الوفاء بقيمة ما تصدره من نقود، وعندها من الوسائل ما يجعلها قادرة على ضرب نقود يستحيل أو يتعذر تزوير مثلها، تزويراً لا يمكن الاطلاع عليه، كما اقتضت قاعدة درء المفسد أنه لا يجوز أي تلاعب في هذه النقود، لما يترتب على ذلك من أضرار تمس مصالح الجميع»^(١).

وأما التخوف من أن الجهة المجهولة المصدر أو المبرمجة لهذه العملات المشفرة والمعماة تستطيع التحكم بها والتلاعب بأسعارها، فهذا القول محتمل لو كان المصدر

(١) مركز الفتوى على الشبكة الإسلامية، فتوى رقم (١١٠٧٤).

البرمجي مغلقاً أو مشفراً، أما وأن المصدر البرمجي مفتوح بالكامل، ويمكن لأي شخص أو جهة قراءته وفحصه كما يشاء، فإن هذا التخوف لا يكون له ما يبرره لاستحالة تواطئ العدد الكبير من الناس في مشارق الأرض ومغاربها على تلاعب برمجي كهذا - لو وجد -، بل العادة أن يبادر أي مبرمج يكتشف شيئاً أو يشك فيه إلى الإعلان عنه وتسجيله كأحد إنجازاته.

وأما العملات المشفرة فهي أنواع كثيرة، تختلف حسب نوعها، في بعض تفاصيلها أو أكثرها، وأرى أنه لا يمكن وضع الجميع في سلة واحدة، كما لا يمكن إطلاق حكم واحد عليها.

٣- ضعف الانتشار:

قد يرى البعض أن النقود المشفرة غير صالحة لاعتبارها نقوداً لقلّة انتشارها بين الناس.

والذي يظهر لي أن هذا لا يؤثر على النقد الخاص المصطلح عليه بين بعض الناس. كما أن هذه العملات لها انتشار واسع وعريض في الفضاء الرقمي، بما يفوق انتشار كثير من العملات الورقية لأكثر دول العالم، حيث لا ينتشر عالمياً من العملات الورقية إلا أنواع قليلة جداً وهي العملات القوية.

٤- قلة أماكن الاستخدام:

قد يرى البعض أن النقود المشفرة غير صالحة لاعتبارها نقوداً لقلّة الأماكن التي يمكن استخدامها فيها، حيث لا يمكن استخدامها إلا في الشراء من بعض مواقع الإنترنت ومن أماكن قليلة حول العالم.

والذي يظهر لي أن هذا لا يؤثر على النقد الخاص المصطلح عليه بين بعض الناس، كما أن أماكن استخدام هذه النقود في تزايد مستمر حول العالم، يضاف إلى ذلك العدد الكبير للجهات التي تتعامل معها عبر الإنترنت، حيث بلغ عدد منافذ البيع التي تتعامل مع البيتكون أكثر من ١٠٠,٠٠٠ تاجر عبر العالم^(١).

٥- حصر استخدامها عبر وسائل التقنية الحديثة:

قد يرى البعض أن النقود المشفرة غير صالحة لاعتبارها نقوداً لأنه لا يمكن استخدامها إلا عبر وسائل التقنية الحديثة.

والذي يظهر لي أن هذه الأمور لا تؤثر على النقد الخاص المصطلح عليه بين بعض الناس، كما أن وسائل التقنية الحديثة منتشرة ومستخدمة في جميع بقاع الأرض. كما أن النقود المشفرة لا تختلف في هذا كثيراً عن النقود الإلكترونية المقابلة للنقد الورقي كبطاقات الائتمان وغيرها، حيث لا يمكن استخدامها إلا عبر وسائل التقنية الحديثة كذلك، وبإجراءات أكثر تعقيداً.

٦- الاستخدامات الممنوعة:

دعوى أن الاستخدامات الممنوعة خاصة عبر مواقع على «الإنترنت المظلمة» مثل «طريق الحرير»، هي التي ساهمت في ارتفاع قيمة البيتكون فهذا له جانب من الصحة، حيث اشتهرت في عام ٢٠٠٩ عندما كانت العملة الوحيدة المقبولة على

(١) <https://www.cnbc.com/2017/07/12/https://www.cnbc.com/2017/07/12/heres-how-you-can-and-cant-spend-bitcoin.html>

موقع «طريق الحرير» المربوء. لكن هذا كان في بداية الأمر وقبل القفزات الخيالية الأخيرة؛ لأن هذا الموقع قد تم مهاجمته وإنهائه بالكامل من قبل الجهات الحكومية الأمريكية في عام ٢٠١٣، كما أن إجمالي قيمة المعاملات التي كانت تتم على هذا الموقع وأمثاله بلغت ٣٠٪ من معاملات العملات المشفرة والمعممة في ذروتها عام ٢٠١٢م، أما الآن فإنها لا تشكل سوى ١٪ بالمئة من معاملات البيتكون^(١).

٧- كونها عرضة للضياع وعمليات الاختراق والنصب الإلكتروني:

لا تختلف العملات المشفرة في هذا كثيراً عن النقود الأخرى سواء الورقية أو الإلكترونية. وأما اختلاف طرق الضياع والسرقة والاختلاس فلا يؤثر كثيراً في الحكم على هذه المسألة. كما سبق ذكره.

٨- المستقبل المجهول:

حذر العديد من أصحاب المال والأعمال من العملات المشفرة، فقد حذر الملياردير بيل جيت المضاربين لآجال بعيدة من العملات المشفرة لاحتوائها على «مخاطر هائلة»، كما فعل زميله الملياردير وارن بافيت حيث قال: «بخصوص العملات المشفرة عموماً، أستطيع أن أقول مع اليقين تقريباً أنها سوف تؤول إلى نهاية سيئة»، ونصح المستثمر الأسطوري جاك بوجل بتجنب الاستثمار في البيتكون قائلاً: «تجنب البيتكون مثل الطاعون»^(٢).

(١) <https://www.wired.com/story/bitcoin-drug-deals-silk-road-blockchain>

(٢) <https://www.cnbc.com/2018/bill-gates-calls-cryptocurrency-super-risky-/27/02/>
in-reddit-ama.html

وهناك اتهام آخر لهذه العملات بالتسبب في مقتل الناس عبر تسهيل شراء مخدرات قاتلة، وقد أطلق هذا الاتهام الشخصية المشهورة في عالم التقنية بيل جيت صاحب شركة مايكروسوفت العملاقة، كما ذكر أنه ضد العملات المشفرة لأن المجرمين والإرهابيين والمتهربين من الضرائب يستفيدون من معاملاتها المشفرة السرية^(١).

٩- تعقيد عملية التعدين:

هناك اعتقاد سائد بأن عملية التعدين معقدة للغاية ولا يقدر عليها إلا من كان لديه معرفة كبيرة بالرياضيات والبرمجة وعلوم الحاسب الآلي، وهذا يعطي بعض الناس أفضلية في الحصول على هذه النقود المشفرة دون وجه حق.

ربما كان هذا صحيحاً في بداية الأمر، أما بعد ذلك فالحقيقة أن عملية التعدين لا تتطلب سوى إعداد برنامج معين وتشغيله على الجهاز، ولا يشترط في المستخدم أن يكون ملماً بالمهارات البرمجية أو الحسابات الرياضية، لكن يشترط أن يكون الجهاز بمواصفات أداء عالية لتحمل العمليات البرمجية والحسابية المعقدة، وكلما ازدادت قوة أداء الحاسوب ازدادت معها احتمالية العثور على عملات جديدة.

١٠- الوجود الوهمي الافتراضي:

وأما الوجود الافتراضي، فالحقيقة أن هذه النقود موجودة فيزيائياً كذلك وبعدها كبير من النسخ المتطابقة لتأكيد هذا الوجود، وإن كان هذا الوجود على شكل معلومة رقمية مخزنة على وسيلة تخزين معلومات رقمية ملائمة.

(١) <https://www.cnet.com/news/bill-gates-warns-cryptocurrency-has-a-deadly-side>

كما أن حقيقة وجودها لا تختلف كثيراً عن النقود والعملات الإلكترونية والمحفوظة على وسائط إلكترونية، والتي يتم التعامل بها في الاقتصاد الرقمي حول العالم.

ولا تختلف كثيراً عن العملات الورقية الموجودة اليوم بشكل إلكتروني كذلك في أغلب مصارف العالم، حيث إن أكثر النقود التي تتعامل بها البنوك في العالم موجودة فقط على شكل أرقام وحسابات في أجهزة المصارف، لا يوجد لها مقابل من الأوراق النقدية، وتبلغ هذه النقود الوهمية التي ليس لها مقابل حتى من الورق النقدي حوالى (٩٢)٪ من أرصدة المصارف حول العالم^(١).

١١ - مشكلات عدم وجود مرجعية مركزية:

قد يرى البعض أن عدم وجود هيئة مركزية تضبط معاملات العملات المعمّاة والمشفرة أمر سلبي يؤدي إلى مخاطر كبيرة وغرر فاحش، كما يؤدي إلى تذبذب الأسعار، وإساءة استخدام هذه العملات في معاملات مشبوهة أو ممنوعة.

وأرى أن هذا خلاف الواقع لعدة أمور:

أولاً: يعتبر التعامل بهذه العملات حتى الآن مجرد اتفاق بين فردين أو أكثر يصطلحان على الثمنية، وهذا جائز عند بعض الفقهاء.

(١) <https://money.howstuffworks.com/currency6.htm>

ثانياً: شفافية التعامل بهذه العملات يمكن جميع الأفراد من الاطلاع على حركة الأموال ومراقبتها إذا أرادوا، ويمكن لهم كذلك التأكد من أي عملة أو عملية. مما يستحيل معه تزوير العملات أو المعاملات.

ثالثاً: تذبذب سوق العملات المعمّاة متوقع بشكل كبير، وذلك لأنها سوق جديدة غير مستقرة، وبحاجة إلى انتشار وقبول واسعين قبل أن تستقر بشكل مناسب. ومن أسباب تذبذبها الكبير كثرة المضاربين الساعين إلى الحصول على ربح سريع من توقعهم لارتفاع قيمة هذه العملات. فتساهم كثرة الطلب في ارتفاع الأسعار، ثم عند بيعهم تساهم كثرة المعروض في انخفاض الأسعار.

رابعاً: احتمالية إساءة الاستخدام لا يخلو منها منتج عبر التاريخ، والعملات المعمّاة ليست استثناءً، ويرى بعض المتخصصين أن هذه العملات ستساهم في ارتفاع الاستخدامات السيئة وتسهيلها، فيما يرى متخصصون آخرون أن الأمر يمكن السيطرة عليه عبر وسائل مختلفة، وكمثال على ذلك، استطاعت قوات مكافحة الجريمة الأمريكية السيطرة على موقع «طريق الحرير» الذي كان يسهل التجارة الممنوعة على «الشبكة المظلمة» وإغلاقه بالكامل والقبض على صاحبه ومصادرة أمواله المشفرة والمعمّاة، وذلك في عام ٢٠١٣م^(١).

هل العملات المشفرة والمعمّاة عملات حقيقية؟

يرى بعض المتعاملين أن العملات المشفرة والمعمّاة، - خاصة عملة البيتكوين - معترف بها عالمياً في بعض الدول، كما يمكن تحويلها إلى عملات أخرى، ولذا

(١) <https://www.forbes.com/sites/andygreenberg/2013//10//02/end-of-the-silk-road-fbi-busts-the-webs-biggest-anonymous-drug-black-market>

فهي عملة تؤثر على الاقتصاد، وبناء عليه فهي عملة حقيقية، وينبغي أن تكون شرعية!

وينبغي التنبيه أن هذا المنطق غير سليم على إطلاقه، فالجدل القانوني والاقتصادي حولها لا يزال قائماً. وكون هذه العملات منتشرة ومؤثرة في الاقتصاد ليس دليلاً على صحتها وجواز التعامل بها، إذ عالم المال والأعمال فيه الكثير من المعاملات المحرمة شرعاً، والتي تؤثر كثيراً على اقتصاديات الأفراد والدول.

هل يصح أن تكون العملات المعاملة ثمناً؟

ينظر في هذا، هل تنطبق شروط الثمن عليها أم لا؟

فقد اتفق الفقهاء على وجوب تسمية الثمن في عقد البيع، وأن يكون مالاً، ومملوكاً للمشتري، ومقدور التسليم، ومعلوم القدر والوصف^(١). وهذه الشروط تنطبق على العملات المعاملة، إلا شرط المالية، فمختلف فيه.

فهل يمكن اعتبار هذه العملات مالاً، أم لا؟

هناك جدل قانوني واقتصادي حول صحة إطلاق مصطلح المال على العملات المشفرة أو المعاملة، لا مجال لتفصيله هنا.

عموماً في عالم الاقتصاد، كان الاتجاه السائد إلى عدم اعتبار المالية في هذه العملات، وكان الكلام خاصاً بعملة البيتكوين، إلا أن هذا الاتجاه بدأ بالتحول

(١) الموسوعة الفقهية، مادة (ثمن).

بعد ذلك، فقامت ألمانيا باعتبار هذه العملة مالاً خاصاً، وشملت بالضرائب^(١)، كما صدرت أحكام قضائية باعتبار هذه العملة شكلاً من أشكال المال^(٢). واستمر هذا الاتجاه في صالح الاعتراف بهذه العملة خاصة في نهاية عام ٢٠١٧م وبداية عام ٢٠١٨م، عندما تراجع جولدمان ساك عن موقفه تجاهها، واعتبر البيتكون مالاً^(٣).

أما من الناحية الشرعية فقد ذهبت فتوى رئاسة الشؤون الدينية في تركيا إلى نفي المالية عن البيتكون لأن عدم الاعتماد الحكومي لها ينفي المالية عنها^(٤).

ولعل مرادهم عدم تموّل الناس لها، لأن المالية إنما تثبت بتموّل الناس كافة أو بعضهم، كما نصّ فقهاء الحنفية. فإن كان هذا مرادهم ففيه نظر، فقد ثبت أن بعض الناس يتموّل البيتكون وغيرها من العملات المشفرة والمعمّاة. والله أعلم.

كما يرى بعض الباحثين أن البيتكون لا يمكن اعتبارها مالاً لجهالة الجهة المصدرة لها. والذي يظهر أن هذا غير مسلم؛ إذ لم يذكر الفقهاء هذا ضمن شروط اعتبار المال، ما دام أن بعض الناس قد تموّلها أو اصطلحوا عليها، كما مرّ. فإذا لم يثبت الغرر

(١) <https://www.winhell.com/en/banking-finance-and-insurance-law/bitcoin-trading/bitcoin-and-tax.html>

(٢) <https://www.reuters.com/article/us-jpmorgan-cyber-bitcoin/bitcoin-is-money-u-s-judge-says-in-case-tied-to-jpmorgan-hack-idUSKCN11P2DE>

(٣) <https://www.forbes.com/sites/kenrapoza/2018/01/10/goldman-sachs-caves-bitcoin-is-money/#52fab11274b7>

(٤) بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي، نشر عبر وسائل التواصل.

أو سوء النية أو التلاعب والخداع، فلا يوجد مانع شرعي ولا قانوني من ذلك، فيما أعلم، والله أعلم.

وإذا قلنا باعتبار ماليتها، فإن العملات المعماة والمشفرة تعتبر من قبيل المال المثلّي المعدود، وهو ما يوجد مثله في السوق بدون تفاوت يعتد به^(١). كما أن من الواضح أن هذه العملات تعتبر من المال المنقول، فقد عرّف الفقهاء المال المنقول بأنه: «كل ما يمكن نقله وتحويله، فيشمل النقود والعروض وما أشبه ذلك»^(٢).

وهناك تجارب كثيرة ومتنوعة لإصدار عملات محلية أو محدودة يصطلح عليها بعض الناس دون غيرهم. هناك مجتمعات ومدن وأقاليم كثيرة حول العالم تصدر عملات خاصة بها وتعتمد التعامل بها^(٣)، وهذا يمكن توجيهه شرعاً وقانوناً. كما أن هناك فئات من الناس يصطلحون على عملة يتعاملون بها فيما بينهم، ومن أشهرهم تجربة التجار في سويسرا عبر «بنك وير» الخاص بهم، كما سبق ذكره.

ونظراً لطبيعة هذه العملات المشفرة والمعماة العابرة للقارات، وكونها تتم في الفضاء الرقمي، ودون وسيط، فلا بد من وجود تشريعات دولية يتفق عليها لتقنين هذه العملات والعمليات وحماية المتعاملين وضمان حقوقهم.

(١) حيث ذكر الفقهاء من أنواعه: ما هو في العادة «معدود كالنقود المتماثلة والأشياء التي تقدر بالعدد، وليس بين أفرادها تفاوت يعتد به». ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/٣٦).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/٣٧).

(٣) https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_community_currencies_in_the_United_States

هل يجب الضمان في إتلاف هذه العملات؟ وكيف يكون الضمان؟

إذا كان تملكها مباحاً ولم يكن حراماً، فإنه يجب الضمان في إتلافها.

وإذا سلمنا أن هذه العملات من المال المثليّ، فإن «الواجب في إتلاف المثليات هو ضمان المثل، لأنّه البديل المعادل»^(١).

هل يصحّ أن تكون هذه العملات ديناً في الذمّة؟

إذا سلمنا أن هذه العملات من المال المثليّ فإنه يصحّ أن تكون العملات المعمّاة والمشفرة ديناً في الذمّة، فقد اتفق الفقهاء على أن المال المثليّ يصحّ أن يكون كذلك، بخلاف المال القيمي الذي اختلفوا في جواز جعله ديناً في الذمّة^(٢).

حكم التعدين والبحث عن هذه العملات:

الحكم على التعدين والبحث عن هذه العملات فرع عن مسألتين؛ الأولى حكم هذه العملات المشفرة والمعمّاة، فإذا كانت حراماً فهو حرام، وإذا كان حلالاً، فينظر في المسألة الثانية وهي: طريقة عملية التعدين، فإذا كانت عادلة لا يشوبها غرر أو غش وخداع وليست قماراً أو تشبه القمار فهي جائزة. والله أعلم.

حكم تأجير واستئجار أجهزة للتعدين:

الحكم على تأجير واستئجار أجهزة للتعدين مبني على حكم التعدين نفسه، فإذا جاز التعدين جاز تأجير واستئجار أجهزة للتعدين، بشروط الإجارة الشرعية.

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/٣٦).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٦/٣٦).

حكم جعل الأجرة جزءاً من العملات المشفرة الحاصلة من التعدين:

هذه المسألة مما اختلف فيه الفقهاء؛ فأجاز بعض الفقهاء جعل الأجرة جزءاً

من الربح، فيما منعه فقهاء آخرون. فالمسألة فيها سعة، وإن كان الأولى والأحوط

اجتنابها، والله أعلم.



الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات والاقتراحات.

الذي يظهر ترجيح قول الفقهاء القائلين إن الثمنية ترجع إلى اصطلاح الناس كلهم أو بعضهم عليها واعتيادهم على ذلك. وأقرب مثال عملي على ذلك ما يجري في زماننا هذا من اصطلاح الناس على اعتبار العملات الورقية أثماناً، واعتيادهم على استخدامها، وجريان أحكام النقود والأثمان عليها.

الاقتصاد الرقمي والتجارة الإلكترونية حقيقة واقعة تتعامل معها البنوك منذ عقود، ويتعامل معها كثير من الناس أو أكثر بشكل يومي.

أما العملات المشفرة والمعماة فهي أمر جديد، وقد أصبحت واقعاً، ويبدو أنه سيبقى في المستقبل المنظور ويزداد توسعاً وانتشاراً. ولها العديد من المميزات، وكذلك العديد من العيوب.

اتجهت بعض الفتاوى إلى تحريم هذه العملات بسبب «السرية»، ورغم انتشار السرية في هذه العملات إلا أنها ليست أصيلة فيها، والتعريفات الرسمية المعتمدة لا تذكر خاصية «السرية»، وذلك لأن هذه الخاصية يمكن إلغاؤها أو استبدالها دون التأثير على حقيقة العملات المشفرة.

العملات الرقمية أولاً ثم العملات المشفرة والمعماة بأنواعها هي تطور طبيعي لانتشار الإنترنت والتقنيات وتوفرها واستمرار التحول الرقمي في جميع شؤون العالم في السنوات الأخيرة.

تعتبر الأزمة الاقتصادية العالمية عام ٢٠٠٨ وما بعدها أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه العملات، لتزعزع ثقة الناس بالأنظمة النقدية السائدة، والقابلة للتلاعب من قبل المتنفذين وعرضة للانحيار بسبب أو بدونه.

عالم العملات المشفرة لا يزال فوضوياً، ومحفوفاً بالغموض والتناقضات والثغرات والكثير من التقلبات والتحديات. وأكثر العملات المشفرة والمعمّاة الموجودة الآن هي غش وخداع وتلاعب بالأرقام والأموال. ومما لا شك فيه أنه ستكون هناك موجات تصحيحية، وانفجار هذه الفقاعات أو بعضها.

ينبغي أن تتدخل الحكومات والجهات الرسمية والخاصة بجديّة، وتقوم بوضع قوانين ومعايير تضبط واقع هذه العملات.

يجب العمل على إصدار عملات مشفرة من السلطات المختصة، بحيث تحتوي على مميزات، وتتلافى عيوبها، وتكسب ثقة الناس وتضمن حقوقهم.

العملات المشفرة والمعمّاة بواقعها الحالي فيها محاذير شرعية، ولا تتفق تماماً مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي. ويمكن تلافي هذه المحاذير الشرعية بوسائل مختلفة.

غموض آلية عمل العملات الرقمية والمعمّاة لكثير من الناس لا يؤثر في الحكم عليها، إذ لم تكن هناك محاذير شرعية أخرى.

مجرد انتشار هذه العملات وتأثيرها في الاقتصاد ليس دليلاً على صحتها وجواز التعامل بها، إذ عالم المال والأعمال فيه الكثير من المعاملات المحرمة شرعاً، والتي

تؤثر كثيراً على اقتصاديات الأفراد والدول، فلا بد من العمل على إصدار عملات مشفرة تتسق مع الضوابط الشرعية.

احتمالية الاختراق أو سرقة المعلومات أو ضياعها لا يؤثر في حكمها، لصعوبة ذلك وندرته، كما أنه مشابه لتعرض النقود الأخرى إلى آفة من الآفات التي تذهب بعينها، كالحرقيق ونحوه. كما أن هذا الأمر لا يختلف كثيراً عن ضياع أو سرقة العملات الإلكترونية والحسابات المصرفية والبطاقات السائدة بين الناس، ونحوها.

ينبغي وجود جهة موثوقة لحفظ البيانات والشفرات بطريقة مشفرة كذلك، لكن بطريقة يمكن إعادة إصدارها لصاحبها الحقيقي عند الحاجة، وتكون هذه الجهة تحت إشراف ورقابة الجهات الرسمية، أو جهة الضمان المحايدة.

سوء الاستخدام وخدمة الأغراض المشبوهة والممنوعة مشكلة كبيرة في العملات المشفرة والمعممة، إلا أنها ليست حكرًا على الاقتصاد الرقمي، والنسبة الأكثر من الاستخدامات للتقنيات الحديثة تعتبر استخدامات سيئة من الناحية الشرعية. وهذا لا يغيّر من حكم جواز استخدامها ما دام بالإمكان السيطرة عليها وتفادي الأمور المحظورة وحظرها، فيمكن أن يقال الشيء نفسه في العملات المشفرة والمعممة.

إذا قارنا إصدار العملات المشفرة بالأوراق النقدية التي لا غطاء لها، فإن الأمر أقرب إلى الجواز منه إلى التحريم، بشرط مراعاة بقية الضوابط الشرعية والجوانب القانونية.

يبدو لي أنه لا يستساغ الجزم بتحريم التعامل بهذه النقود لمجرد عدم صدور قرار بالإباحة، أو لعدم صدور قانون صريح بالسماح بالتعامل بها. ما لم يكن هناك محذور شرعي معتبر، أو قانون صريح مانع لها.

ينبغي للمجامع الفقهية والجهات الشرعية المبادرة بدراسة هذه العملات، ووضع الضوابط الشرعية للتعامل بها. هذا، والله أعلم، وهو ولي التوفيق.



قائمة المصنّاور

- الإقناع في فقه الإمام أحمد، لأبي النجا موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي (ت ٩٦٨هـ)، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، ط. دار المعرفة، بيروت.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، بيروت.
- المعجم الأوسط للطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط. دار الحرمين، القاهرة.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)، ط. الثانية، بدون، دار الكتاب الإسلامي.
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد مكي الحسيني الحموي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ)، ط. الأولى (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

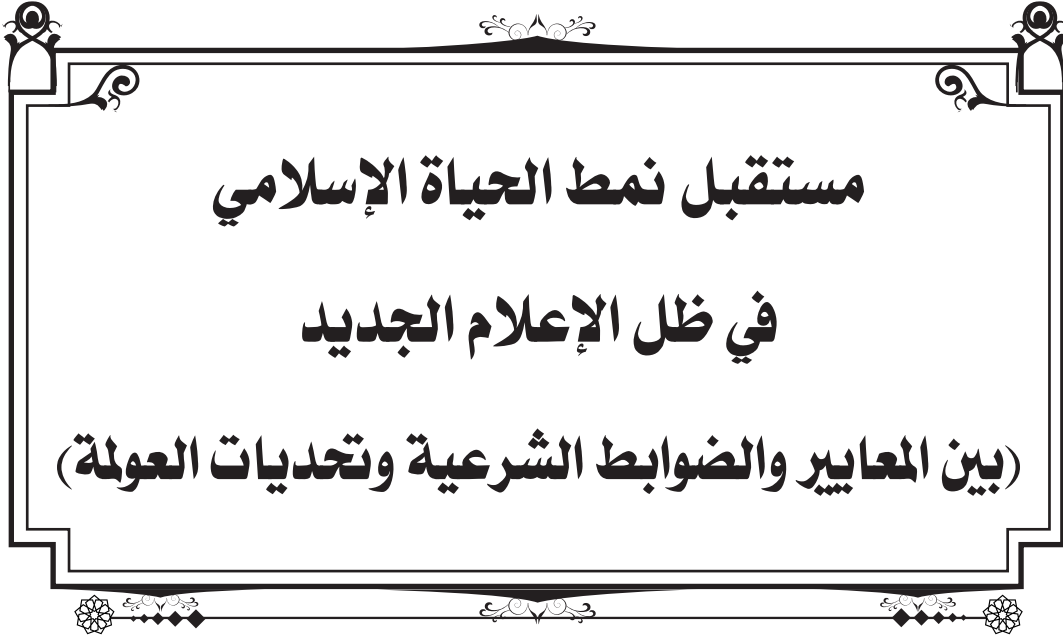
- إستراتيجية الإمارات للثورة الصناعية الرابعة، وزارة شؤون مجلس الوزراء والمستقبل، ط ١، ٢٠١٧ م.
- فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، ط. (١٩٨٨ م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- تفسير عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط. الأولى (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ط. الثالثة (١٤١٤هـ)، دار صادر، بيروت.
- المدونة، للإمام مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ)، ط. الأولى (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية.
- موقع الإسلام سؤال وجواب.
- مركز الفتوى على الشبكة الإسلامية.
- إستراتيجيات وخطط الحكومة الاتحادية في دولة الإمارات.
- بيان منتدى الاقتصاد الإسلامي، نشر عبر وسائل التواصل.

- وكالات الأنباء المذكورة في الحواشي.
- وسائل الإعلام المذكورة في الحواشي.
- المواقع الإلكترونية المذكورة في الحواشي.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



مستقبل نمط الحياة الإسلامي

في ظل الإعلام الجديد

(بين المعايير والضوابط الشرعية وتحديات العولمة)

إعداد

د. إبراهيم الوجاجي

عضو مختبر الاجتهاد المعاصر - أسس وقضايا

كلية الشريعة أكادير - المغرب

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

تحيل مفردة النمط على الطريقة والأسلوب والشكل أو المذهب، كما تحيل على الصنف أو النوع أو الطراز من الشيء، كما تدل على الجماعة من الناس أمرهم واحد^(١)، ويقال: الزم هذا النمط أي هذا الطريق. والنمط أيضا: الضرب من الضروب والنوع من الأنواع^(٢).

ويقال: ليس هذا من ذلك النمط، أي من ذلك النوع والضرب. والنمط بفتحيتين الجماعة من الناس أمرهم واحد^(٣)، وفي الأثر: «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي». وفي رواية: «عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي»^(٤).

وتتحدث المعاجم المعاصرة عن نمط الحياة أو نمط المعيشة باعتباره طريقة العيش وخصائصها التي يعتمدها الإنسان في بيته ومجتمعه وعمله.

والقاسم المشترك بين التعاريف المتداولة أن نمط العيش مظاهر سلوكية للأفراد والمجتمعات ترتبط باختياراتهم في تدبير المعيشة من ممارساتهم المتصلة بالحياة اليومية

(١) المعجم الوسيط - باب النون مادة نمط ٢/ ٩٥٥ مجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار الدعوة.

(٢) لسان العرب، ١٤/ ٣٦١ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. دار صادر. ٢٠٠٣ م.

(٣) مختار الصحاح ص ٦٨٨. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. طبعة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٤) قال الحافظ العراقي: لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه أبو عبيد في غريب الحديث بلفظ: «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليه الغالي» ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعا. اهـ، ينظر للمزيد: تخریج أحاديث إحياء علوم الدين، ١/ ٢٢٩ للحافظ العراقي وابن السبكي والزيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود الحداد. دار العاصمة للنشر - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس والتسوق والثقافة والفنون، وكل عناصر بيئتهم التي يعيشون فيها. والنمط بطبيعته يتسم بالثبات والاستمرار لأنه تشكل عبر زمن طويل، ولذلك يتطلب وقتاً طويلاً في تعديله أو استبداله.

ولا شك أن كل نمط من أنماط الحياة يختزل مرجعية عقدية أو فكرية تؤسس نظرتة للوجود، وهوية تميزه عن غيره، ومنظومة قيمية تؤطر السلوك الإنساني، وتراثاً حضارياً يستلهم منه شرعيته وقوته، وأهداف ومقاصد تحدد تطوره وتجده.

إن عناصر الثبات والاستقرار التي أشرت إليها لا تقتضي أن نمط الحياة لا يمكن تعديله أو تغييره، لا سيما مع اتساع دائرة الاختيار بانفتاح الناس على العالم وملاحظة أنماط أخرى من الحياة، هيمنت على العالم وروجت لقيم الحرية الشخصية والنزوع نحو الفردانية والاستقلالية وقيم الاستهلاك.

وقد ظهر الاهتمام بنمط الحياة في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى، مع نزوع الباحثين الاجتماعيين والشركات في السنين الأخيرة إلى الاهتمام أكثر بأنماط حياة الأشخاص وتسويق برامج تهدف إلى تغيير أنماط حياتهم الشخصية إلى الأفضل لمواجهة ضغوط الحياة اليومية، كخلاص للفرد من دوامة العولمة وآثارها، واكتساب صحة أفضل وحياة سعيدة.

وحيثما نصف نمط الحياة بالإسلامي فإننا نحيل على مجموع العناصر التي تحدد مرجعيته وهويته وقيمه، وهو بذلك نمط حياة مؤسس على تعاليم الإسلام وضوابطه الشرعية ومنظومة قيمه الأخلاقية. وهو بالضرورة نمط جماعي مجسد للوحدة والمشارك للمجتمع، بعيداً عن أنماط الحياة الفردية المنطوية على الذات والتي جاءت

كرد فعل على نمط الحياة الرأسمالي الذي هيمن على الحياة الخاصة والعامة لكثير من شعوب العالم، ويقدم نمط الحياة الإسلامي بديلاً متاحاً للعيش في بيئة أنتجتها الثقافة والحضارة الإسلاميتان.

وفي هذه الورقة سيتم التركيز على نمط الحياة الإسلامي الذي يشكل بديلاً متاحاً ومتميزاً ومرتباً بأصالة الحضارة الإسلامية من خلال تجلياته في الثقافة والفنون الإسلامية، والتصميم والأزياء المحافظة، والسياحة العائلية والترفيه والتواصل والإعلام وغيرها.

إشكالية البحث وفرضياته:

إذا كان نمط الحياة الإسلامي يخضع للضوابط والمعايير الشرعية ومنظومة القيم والأخلاق الإسلامية، فإنه في الوقت نفسه يواجه جملة معقدة من تحديات العولمة، من بينها الإعلام الجديد/ البديل الذي نشأ في حضانة العولمة ويزداد تطوراً وقوة وتأثيراً في الأفراد والمجتمعات، ويكرس مركزية الإعلام في عالم الحاضر والمستقبل.

فإلى أي مدى سيتأثر نمط الحياة الإسلامي بالإعلام الجديد/ البديل؟

وهل حرية الإعلام الجديد/ البديل ستقوي التأثير السلبي على نمط الحياة الإسلامي الخاضع للضوابط والمعايير الشرعية ومنظومة القيم والأخلاق الإسلامية؟

وبناء على هذه الإشكالية تم وضع فرضيتين هما:

- الإعلام الجديد سيشكل امتيازاً لنمط الحياة الإسلامي، ووسيلة لإثبات قوة نموذج له لدى المستهدفين.

- الإعلام الجديد سيشكل امتدادا للإعلام التقليدي المنخرط في تشويه صورة المسلمين والمنتجات الاقتصادية والخدمات الإسلامية، وهذا من شأنه تقويض جهود بناء نموذج نمط الحياة الإسلامي.

ولمعالجة الإشكالية وتمحيص الفرضيتين سأتناول الموضوع وفق التصميم الآتي:

- مقدمة.

- المبحث الأول: نمط الحياة الإسلامي بين المعايير والضوابط الشرعية

وتحديات العولمة.

المطلب الأول: المعايير والضوابط الشرعية لنمط الحياة الإسلامي.

المطلب الثاني: نمط الحياة الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة

- المبحث الثاني: مستقبل نمط الحياة الإسلامي في ظل الإعلام الجديد.

المطلب الأول: دور الإعلام الجديد في نمط الحياة الإسلامي، امتياز أم تهديد؟

المطلب الثاني: مستقبل نمط الحياة الإسلامي: من الممانعة إلى تقديم النموذج.

- خاتمة.



المبحث الأول

نمط الحياة الإسلامي بين المعايير والضوابط الشرعية وتحديات العولمة

سأتناول في هذا المبحث تلك المعايير والضوابط الشرعية التي يتأسس عليها نمط الحياة الإسلامي، حيث إن سائر أنماط الحياة تضمّر مرجعية عقدية فكرية تؤطرها، وإن كان اهتمام الدارسين مركزا على تجليات ومظاهر هذه الأنماط. كما سأتناول ما يتعلق بتحديات العولمة التي يواجهها نمط الحياة الإسلامي اعتبارا لكون الإعلام الجديد أهم آثار هذه العولمة.

المطلب الأول: المعايير والضوابط الشرعية لنمط الحياة الإسلامي:

ليس الحديث عن معايير وضوابط نمط الحياة الإسلامي ترفا فكريا أو مطلوبا ثانويا، بل هو في نظري من أكد الواجبات التي تعزز هذا النمط، وتكرس قوة نموذج في هذا العالم الذي تتصارع فيه أنماط حياة مع نمط مهيمن على العالم. إن إبراز مظاهر وتجليات نمط الحياة الإسلامي يستدعي التعريف بمعايير وضوابطه، التي تؤطر نفاذه وتطوره وتجده وتؤثر في وجدان وسلوك أفراده ومجتمعاته، وليس بخاف على أحد أن كشف هذه المعايير والضوابط إنما هو في حقيقة الأمر صيانة واستدامة لهذا النمط من الحياة، لأنها تقوم بوظيفة ضبط وتمييز نمط الحياة، ومن أبرزها:

أولا: منطقة العفو في الشرع، واعتبار دائرة الحلال أوسع من دائرة الحرام: فمعلوم أن منهج التشدد والتنطع والغلو في الدين يعمد إلى تضيق دائرة الحلال

ومحو منطقة العفو، ولا شك أن هذا يوقع الناس في الحرج ويضيق عليهم ويكلفون بما لا يطيقون، فكم من كفاءات في الإبداع تم هدرها، وكم من معالم الحضارة تم هدمها، وكم من مبادرة تم وأدها، وللأسف الشديد كان ذلك كله باسم الشرع وهو منه بريء.

فقد أخرج الدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني رفعه: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها».

قال الإمام النووي عن الحديث: حسن الإسناد.

وعن أبي الدرداء رفعه: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو؛ فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، وتلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١)»^(٢).

ومن إعجاز التشريع الإسلامي أن البدائل الشرعية عن المحرمات تحفظ إنسانية المكلف وتقيه من التردى إلى مستوى البهيمية، ولأن المباح واسع فلا يضيق إلا بدليل.

(١) سورة مريم الآية ٦٤.

(٢) قال ابن رجب: حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره. هذا الحديث من رواية مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني، وله علتان: إحداهما: أن مكحولا لم يصح له السماع من أبي ثعلبة، كذلك قال أبو مسهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهما. والثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة، ورواه بعضهم عن مكحول من قوله، لكن قال الدارقطني: الأشبه بالصواب المرفوع، قال: وهو أشهر. جامع العلوم والحكم ٢/ ٨١٧، زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

ثانياً: تعزيز الأعراف والعوائد الاجتماعية الحاملة لقيم الإيجابية والانفتاح التسامح والتعايش والإبداع والابتكار والتشجيع على المبادرة إلى فعل الخيرات، وكل ما يعتبر من باب الأعراف والعوائد المعتبرة شرعاً، والتي يجب على المجتهد والمفتي مراعاتها في الفتوى والأحكام الشرعية.

قال الإمام القرافي المالكي: «إن إجراء الأحكام التي مدرکها العوائد مع تغير تلك العوائد، خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد، يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة، وليس هذا تجديداً للاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه أهلية الاجتهاد، بل هذه قاعدة اجتهاد فيها العلماء وأجمعوا عليها فنحن نتبعهم فيها من غير استثناء اجتهاد»^(١).

وقال أيضاً: «فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمره... والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين، وعلى هذه القاعدة تتخرج أيان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنيات، فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية»^(٢).

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ص ٢١٨ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي. دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) أنوار البروق في أنواع الفروق ١/ ١٧٦. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الناشر: عالم الكتب. دت .

إن احترام الأعراف والعوائد التي لا تعارض الشرع في المجتمعات منهج أصيل في إغناء نمط الحياة الإسلامي بما يعزز تنوعه الذي يغني وحدته، وليس محو ومحق هذه الأعراف التي لا تخالف الشرع إلا تفقيرا معنويا للمجتمعات.

ثالثا: إنسانية نمط الحياة الإسلامي وانسجامه مع الفطرة البشرية: إن بعد مظاهر وتجليات نمط الحياة الإسلامي عن المحرمات وخضوعه لمنظومة الأحكام الشرعية يجعله موافقا ومنسجما مع الفطرة الإنسانية التي لبي الله تعالى حاجياتها من دينه الحنيف، في المأكل والمشرب والملبس والملكية والجنس والعمران والسياحة...

وهنا نتساءل عن العوامل التي تقف وراء ضمور قيم الجمال في المجتمعات المسلمة، رغم أن الطبيعة البشرية تنزع نحو ما هو جميل وتسعى إليه، وإن شئت فانظر كيف أحال القرآن الكريم والسنة المطهرة المؤمن على الكون المنظور ليتدبر تناسقه وجماله، والأدهى أن تراثنا في التصميم والهندسة صار اليوم تراثا إنسانيا عالميا نفتخر به، ويشهد على ما بلغه المسلمون من الفن والجمال في المشرق والمغرب والأندلس.

ومما يؤكد الارتباط الوثيق بين نمط الحياة الإسلامي وبين الفطرة ما نجده من التنظير لهذا الموضوع عند ثلاثة من أعلام المسلمين: الفارابي وابن خلدون وولي الله الدهلوي، وسأشير إلى بعض معالم نظريتهم لأن المقام لا يسمح بالتفصيل.

فتصور العمران وبنائه، وتدبير المدينة وسياستها نجده في تراثنا سواء في الفقه أو في الفلسفة العملية، انطلاقا من الإيمان بوظيفة الإنسان في الأرض التي استخلف فيها لعمارتها وصلاحتها.

فالمدينة الفاضلة عند الفارابي تعتبر أرقى أشكال الاجتماع الإنساني، وطبيعية القوانين فيها مرتبطة بالفطرة وبالشرعية، تحقيقاً لمقصد وجود الإنسان، وتلبية لضروراته الحياتية وحاجاته الاجتماعية. «ولا ينال الإنسان الكمال - الذي لأجله جُعِلت الفطرة الطبيعية - إلا باجتماع جماعة كثيرة متعاونين يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه إلى أن يبلغ الكمال»^(١).

وغاية هذه المدينة تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهو ما يميز حقيقة السعادة وطبيعة العمران في نمط الحياة الإسلامي.

أما ابن خلدون فبين أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران... فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه^(٢).

ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم.

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ٩٦. أبو نصر الفارابي. تحقيق: البير نصري نادر. الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون، «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»، ص ٥٤. عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة. دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

وميز ابن خلدون بين أهل البدو وأهل الحضرة بناء على سلامة الفطرة: «فأهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة، وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خير أو الشر»، «وأهل الحضرة لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر»^(١).

أما ولي الله الدهلوي فقد عقد بابا في كتابه «حجة الله البالغة» بعنوان: سياسة المدينة، واعتبر سياسة المدينة هي الحكمة الباحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المدينة. وربط بين سُكنى المدن والسعادة، وبين كيفية الحفاظ على الفطرة السوية من خلال سياستها^(٢). وتحدث في هذا الصدد عن الحُجُب المانعة من ظهور الفطرة. وقال: «اعلم أن الحجب ثلاثة: حجاب الطبع وحجاب الرسم وحجاب سوء المعرفة»^(٣).

رابعاً: تحقيق ثنائية السعادة والتكليف بالاستخلاف في الأرض: من أبرز أسس ومميزات نمط الحياة الإسلامي أنه يوفق بين سعادة الدارين، ولا يفوت على المكلف سعادة الدنيا بمبرر الرهبانية، ولا يجرمه من سعادة الآخرة بمبرر الاستمتاع والاغترار بالدنيا الفانية.

(١) المرجع نفسه ص ١٥٣.

(٢) حجة الله البالغة ١/ ٩٢، أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي. تحقيق: السيد سابق. دار الجيل، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٣) وحجاب الطبع عنده هو الأحوال الطبيعية وشغلها للإنسان، وحجاب الرسم وهو العقل وفهم منطق الاجتماع والعمران، وحجاب سوء المعرفة لما هو وراء الواقع الطبيعي والنظر العقلي، أي فهم منطق الكون وموقع الإنسان منه. ينظر حجة الله البالغة ٢/ ١١١.

وهذا المنهج التوفيقى مؤسس على ما سماه القرآن الكريم الحياة الطيبة التي تركز على اقتران الإيمان والعمل الصالح، مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقد انحرف بعض عن هذا المنهج القويم فحرموا الفنون والتصاميم والإسلامية، وجعلوا السياحة الثقافية والعائلية لهوا ولعبا، واعتبروا الموضة المحتشمة فسوقا وعصيانا.

ولأن هذا التوفيق هم وجودي للإنسان ناقش الفلاسفة السعادة والواجب من زوايا مختلفة: كالعلاقة بينهما، وهل يكمن أساس السعادة في فعل ما نريد، أم في الانصياع للواجب سواء كان طبيعيا أو أخلاقيا؟

تنطلق الفلسفة الرواقية من فكرة أن في الطبيعة قانون وعقل، والإنسان جزء من هذه الطبيعة، وتدعو الإنسان إلى أن يحيا وفق هذه الطبيعة إذا أراد إدراك السعادة وتجنب الشقاء، وإلا سيكون متمردا على القانون الطبيعي.

ويتحدث «الفارابي» في كتابه (تحصيل السعادة) عن موجبات السعادة التي إذا حصلت في الأمم وأهل المدن، حصلت لهم بها السعادة الدنيا في الحياة الأولى، والسعادة القصوى في الحياة الأخرى، وجعلها أربعة أجناس: الفضائل النظرية والفضائل الفكرية والفضائل الخلقية والصناعات العملية. وهو بذلك يتجاوز السعادة الفردية الشخصية إلى السعادة الجماعية لأهل المدن.

(١) سورة النحل الآية ٩٧.

المطلب الثاني: نمط الحياة الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة:

لقد كان التبشير بنمط الحياة الغربي رائجا منذ التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت بأوروبا خلال القرن التاسع عشر، وبدأت إرهابات تعميمه مع الحركة الامبريالية والبحث عن المجال الحيوي، وقد تكرر هذا التوجه منذ معافاة أوروبا من الحرب العالمية الثانية وتجاوز أمريكا لتتأجج الأزمة المالية ١٩٢٩ ومشاركتها بجانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وكان نمط الحياة الغربي في موقع الريادة عالميا، وتم التبشير بتعميمه استنادا إلى المؤشرات والحوافز التي حققتها التنمية الاقتصادية والرفاه الاجتماعي بدول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وكانت عجلة محرك هذا النمط مرتكزة على الحرية والمبادرة الفردية وثقافة الاستهلاك.

وفي مقابل هذا النمط المتطور على المستوى المادي والقيمي، لم تكن أنماط الحياة عند الشعوب الأخرى مستعدة للمواجهة والمقاومة، فتغلغلت القيم وأنماط السلوك الغربية شيئا فشيئا مع المحتل الأجنبي ثم مع الإعلام العابر للحدود. ومن ثم أصبح نمط الحياة الغربي نخبويا في مجتمعات وشعوب العالم الثالث، بمعنى أنه صار امتيازاً متاحاً لفئة محظوظة في المجتمع تتمتع بمنافع مادية، مع التميز في المظهر والعوائد ومستوى الثقافة والتعليم وقيم جديدة في الأسرة والعلاقات الاجتماعية.

إن قوة نمط الحياة الغربي استندت إلى عقيدة/ إيديولوجية تنتصر لمبدأ سيادة النموذج الرأسمالي، كما نجد عند المفكر الأمريكي ذي الأصل الياباني فوكوياما الذي اعتبر نهاية الشيوعية وسقوط الاتحاد السوفيتي نهاية للتاريخ بانتصار الرأسمالية. وتبعاً لهذه العقيدة السياسية فالعولمة ليست إلا إيديولوجيا تخدم الهيمنة الغربية، التي

تبتغي سيادة نمطها في الحياة القائم على الحرية الشخصية، وعلى الديمقراطية وحقوق الإنسان، واقتصاد السوق وتحرير التجارة وفتح الأسواق أمام التجارة العالمية، ورفع القيود عن النشاط الاقتصادي وقيام الشركات الكبرى متعددة الجنسيات، وهذا أمر لم تنتهياً له باقي الشعوب ثقافياً واقتصادياً فداهمتها أمواج العولمة في عقر دارها.

وفي حالتنا العربية والإسلامية بدأت الصدمة الأولى مع حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨ م، وأخطر هذه المشاعر المشكلة لوجدان المصدومين بالحضارة الغربية تلك التي سماها المفكر الجزائري «مالك بن نبي»^(١) القابلية للاستعمار، حيث اعتبر أصحابها نمط حياة المحتل خلاصاً حقيقياً من ربقة الجهل والتخلف وفتحا لأبواب الرقي والتقدم.

والتفسير الموضوعي لهذه الظاهرة من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي يجد مستنده فيما بينه ابن خلدون من « أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتّصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به. وذلك هو الاقتداء أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول»^(٢).

(١) في كتابه: شروط النهضة، ضمن سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي. دار الفكر، دمشق، سوريا ١٩٥٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق ص ١٨٤.

إن التحدي الأكبر لنمط الحياة الإسلامي يتجلى في العولمة الفكرية والثقافية التي تهدد المنظومة الفكرية والقيمية الحاضرة لهذا النمط، حيث إن العولمة في اتجاهها الفكري «تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة، تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، فهناك اتجاه صاعد يضغط في سبيل صياغة نسق ملزم من القواعد الأخلاقية الكونية»^(١).

إن العولمة بحسب التصور الغربي لا تستهدف إيجاد ثقافة عالمية جديدة ممتزجة من ثقافات مختلفة، أو ناشئة من تفاعلها جميعاً؛ وإنما تستهدف نشأة عالم جديد بلا حدود ثقافية خاصة، ينسلخ من هوياته الماضية، ويتم فيه التبادل الحر للأفكار والمفاهيم عبر المجتمعات، ويمكن من رواج المفاهيم الغربية وأذواق المجتمع الغربي^(٢).

إن هذه العولمة الفكرية والثقافية هي التي تم توظيفها للتحكم في أذواق الناس ونمط عيشتهم وسلوكهم، فتجد نوعاً من الموسيقى أو الأفلام السينمائية والكرتونية والأكلات الجاهزة والموضة يحتاج شعوب العالم متجاوزاً الحدود الجمركية والعوائق الثقافية والعوائد الاجتماعية ويخلق بديلاً لما استقرت عليه أنماط حياة شعوب لقرون خلت.

قال العلامة ابن خلدون: ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله، وانظر ذلك في الأبناء مع

(١) ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق، ص ١٠٤. مسعد محيي محمد، مجموعة النيل العربية، القاهرة ١٩٩٩-١٤١٩ هـ.

(٢) العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، د. عبد الخالق عبد الله، مجلة عالم الفكر ص ٧٦، عدد أكتوبر ١٩٩٩ م.

آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم. وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير^(١).



(١) تاريخ ابن خلدون مرجع سابق ص ١٨٤.

المبحث الثاني

مستقبل نمط الحياة الإسلامي في ظل الإعلام الجديد

يقتضي المنهج في هذا المبحث تمحيض الفرضيتين اللتين ذكرتهما في مقدمة هذه الورقة البحثية، وذلك بتحليل كل فرضية على حدة، وبناء على النتائج المتوصل إليها سيتم استشراف مستقبل نمط الحياة الإسلامي في علاقته بالإعلام الجديد.

المطلب الأول: دور الإعلام الجديد في نمط الحياة الإسلامي: امتياز أم تهديد؟

أفرزت ثورة الاتصال والإعلام التي ميزت هذا العصر أشكالاً وأنماطاً من التواصل بين الأفراد والمؤسسات والدول، وقد اختزلت الإنترنت الزمن والمسافات حيث تطورت بفضلها حوامل الاتصال، وتم تجاوز الوظيفة الكلاسيكية للهاتف وللحاسوب من خلال ظهور المنتديات الافتراضية ومواقع التواصل الاجتماعي والمدونات وتطبيقات الرسائل النصية القصيرة وغيرها.

ولعل أبرز ما تحقق إزاء هذه الثورة التكنولوجية هو ديمقراطية الإعلام، بحيث لم تعد قضية احتكار المعلومات والأخبار ووسائل الإعلام من اختصاص الدول والمؤسسات الكبرى، وإنما صار متاحاً لأي شخص أن ينشئ قنواته الإذاعية أو قناة على اليوتيوب، وينشئ مدونة أو منتدى أو حساباً على مواقع التواصل الاجتماعي، وبإمكانه إنتاج المعلومة أو الخبر أو أي مضمون إعلامي يستهدف به جمهوره الخاص عبر العالم بدون حدود ولا قيود.

وهذا هو الإعلام الجديد أو البديل الذي فرض نفسه بقوة في العقد الأخير ونافس الإعلام التقليدي، بل وتشير الدراسات الإعلامية والمستقبلية إلى أن الإعلام الجديد سيزيح وسائل الإعلام التقليدية من عرشها. ومن أجل هذا التحول الجذري تتسابق الجرائد الورقية والمحطات التلفزيونية والإذاعية إلى استثمار الإعلام الجديد وإعداده كبديل مستقبلي نظرا للتراجع الملحوظ والمطرد.

ولاشك أن بلداننا تشهد بدورها هذا التحول الإعلامي حيث انتعشت مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات وقنوات اليوتيوب، وغيرها، فأصبحت مصدرا للإخبار والمعلومات والتثقيف والترفيه، وصارت تلعب أدوار الإعلام التقليدي مع توسيع هامش الاختيار والحرية الشخصية وهذا من شأنه أن يهدد منظومة القيم في مجتمعاتنا ويواجه العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تضبط المجتمع وتضمن استقراره.

والإشكال الذي تعالجه هذه الورقة البحثية هو تبين حقيقة العلاقة المفترضة بين الإعلام الجديد، وبين نمط الحياة الإسلامي.

ومعلوم أن الميزة الرئيسة للإعلام الجديد تتجلى في الحرية واتساع دائرة الفاعلين، بمعنى أننا تجاوزنا مرحلة احتكار المؤسسات الإعلامية من طرف الدول والمؤسسات الاقتصادية، وصارت وسائل الإعلام متاحة للجميع بعيدا عن التوجيه والمراقبة.

ومعلوم أن وسائل الإعلام الكبرى المؤثرة في الجمهور لازالت محكومة بلوبيات معادية لكل ما يظهر محاسن ومقاصد الإسلام العظيمة، بل وانخرط البعض منها في حملة ممنهجة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وقد فطنت الإيسيسكو إلى هذا

المشكل المؤرق فأنجزت دراسات حول الصور النمطية للإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

وحسب الفرضية الأولى فإن الإعلام الجديد يعتبر امتيازاً وإيجابياً، حيث إنه سيكون حاضراً لنمط الحياة الإسلامي، بحيث سينخرط فيه تلقائياً لما لهذا النمط من جاذبية الأصالة والجددة والابتكار، كما سينخرط فيه ذاتياً للدفاع عن مشروع يشكل هويته وقيمه.

ومصدقية هذه الفرضية تتأسس على مسلمتين:

الأولى: نجاح التعبئة الداخلية في نمط الحياة الإسلامي التي تستطيع استنفار المنخرطين وتشجيع الأفراد المؤسسات الإعلامية وخلق منصات إلكترونية ومضامين إعلامية ذات جودة ومواصفات احترافية.

الثانية: كيفية تلقي الآخر للمضمون الإعلامي ذي الصلة بنمط الحياة الإسلامي، ومدى رضاه عنه، ومدى تحقيق رغبات وحاجيات المتلقي. وهذه المسألة رغم نسبيتها إلا أن نيل رضى شريحة واسعة من الجمهور يبعث على الاطمئنان ويضمن خلق تمثيلات إيجابية عن نمط الحياة الإسلامي.

أما الفرضية الثانية فتذهب إلى أن الإعلام الجديد رغم دمقرطته، إلا أنه لا يمكن أن يؤثر في صنع الرأي العام بشكل كبير، كما أن مادته الإعلامية لا يمكن أن تضاهي ما تستأثر به المؤسسات الإعلامية الكبرى، لاسيما المعادية لكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين. أضف إلى ذلك أن الثقافة الغربية هي المهيمنة على الإعلام الجديد في

البلدان الغربية والإسلامية. ولا يمكن لمنتوجنا الإعلامي التقليدي والجديد أن يشكل نسبة من شأنها منافسة ما تروجه امبراطوريات الإعلام العالمي.

ومصادقية هذه الفرضية تتأسس بدورها على أمرين:

الأول: أن الإعلام الجديد ليس إلا اختياراً آخر سيعزز وظيفة الإعلام التقليدي المعادي لتطوير نمط الحياة الإسلامي؛

الثاني: أن التنافسية الاقتصادية التي يحققها نمط الحياة الإسلامي، لا بد أن تكون مزعجة للمنافسين الذين يتمتعون بتجربة كبيرة في الإنتاج والتسويق مع توظيف شبكات من الشركات متعددة الجنسيات ووسائل الإعلام، وسيوظفون شتى الوسائل للطعن في المنتج المنافس وتشويه صورته لدى الجمهور، وهذا ما يؤثر على تمثلاته وعلى سلوكه الاستهلاكي.

ولكي أوضح هذه النقطة أكثر، أشير مثلاً إلى أن الأرقام الصاعدة التي يحققها الاقتصاد الإسلامي الذي يتوسع على حساب الاقتصاد الكلاسيكي، وكذلك قطاع الأغذية الحلال، والسياحة العائلية والموضة المحتشمة، من شأنها أن تلقى قبولا واسعا ليس في الدول الإسلامية فحسب، ولكن في الدول الغربية أيضا، وهذا ما سيزعج المنافسين الذين لا يتصور فيهم إغفال استثمار الإعلام الجديد الذي يتمتع بالسرعة وسعة دائرة الانتشار في تشويه صورة نمط الحياة الإسلامي.

فوسائل الإعلام تلعب دورا متناميا في نشر الأنماط الاستهلاكية المفرطة التي تلقى القبول لدى الناشئة، وتصرف الشركات الكبرى ميزانيات ضخمة على

الإشهار والإعلانات وقد تتجاوز هذه المبالغ أجور الموظفين أو مصاريف المادة الأولية لمنتجاتها، لأنها تدرك أهمية الإعلان في البقاء في ساحة المنافسة.

ورغم هذه الهجمة الشرسة لنمط الحياة الغربية عبر وسائل الإعلام، فإن نمط الحياة الإسلامي سيكتسب مناعته من مرجعيته العقدية ومنظومته الأخلاقية والضوابط والمعايير التي أشرنا إليها آنفا والتي هوية المسلم المتحمل لأعباء حماية نمط الحياة الإسلامي، وكما يقول المفكر المغربي الدكتور عبد الإله بلقزيز: « ففعل العدوان الثقافي كما يرى لا يحتل المشهد وحده؛ بل هو غالبا ما يستنهض نقيضه بسبب ما ينطوي عليه عنفه الرمزي من استفزاز لشخصية المعتدى عليه، ومن تشبث بثقافته وهويته»^(١).

المطلب الثاني: مستقبل نمط الحياة الإسلامي، من الممانعة إلى تقديم النموذج:

رغم ما ذكرته في المطلب السابق من وجود مشاعر رفض نمط الحياة المهيمن عالميا، إلا أن هذه الممانعة غالبا ما تستسلم تدريجيا وتقبل بالأمر الواقع تحت إكراه انعدام البديل. وعليه فالرهان على الممانعة اختيار غير واقعي، إذ نحن بحاجة إلى بديل يتجلى في نموذج لنمط الحياة الإسلامي القائم على الإبداع والابتكار المتشبع بالتحديث المسير للعصر وتطلعات الجمهور المتلقي التواق إلى أصالته والمتشوف إلى ركب التحديث، عبر مساهمة ومواكبة مستجدات العصر في استثمار الفنون والثقافة الإسلامية، والتصميم والهندسة الإسلامية، والسياحة المناسبة للعائلات، الموضة المحتشمة والترفيه والتواصل والإعلام.

(١) العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد الثالث، عام ١٩٩٨م ص ٩٩.

وتوجد لدينا الآن مؤشرات قوية على قوة هذا النموذج الذي يفرض ذاته بقوة، حيث كشف تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي^(١) والمؤشر العالمي للاقتصاد الإسلامي للعام ٢٠١٦-٢٠١٧، أن نمو إنفاق المستهلكين المسلمين حول العالم على قطاعات منتجات الأغذية الحلال ونمط الحياة الحلال وصل إلى ٩, ١ تريليون دولار أمريكي تقريباً في نهاية العام ٢٠١٥، وتقدر قيمة أصول التمويل الإسلامي بـ ٢ تريليون دولار أمريكي مع نهاية العام ٢٠١٥، وتصدرت ماليزيا والإمارات العربية المتحدة والبحرين نتائج بيانات المؤشر وأسواق الاقتصاد الإسلامي للعام ٢٠١٦.

كما أشار التقرير إلى تزايد أعداد المستهلكين حول العالم المقبلين على اختيار المنتجات والخدمات التي تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية، والتي تشمل مختلف قطاعات الاقتصاد الإسلامي، بما في ذلك قطاع الأغذية الحلال، والتمويل الإسلامي، ونمط الحياة الحلال والتعليم والرعاية الصحية.

ومن باب التفاصيل تصدر المأكولات والمشروبات الحلال القائمة بقيمة ١٧, ١ تريليون دولار أمريكي للعام ٢٠١٥، ثم قطاع الملابس بقيمة ٢٤٣ مليار دولار أمريكي، ثم الإعلام والترفيه الإسلامي بقيمة ١٨٩ مليار دولار أمريكي، والسفر بقيمة ١٥١ مليار دولار أمريكي، والأدوية ومستحضرات التجميل الحلال بـ ٧٨ مليار دولار أمريكي. ويتوقع أن يصل إنفاق المسلمين على المأكولات والمشروبات الحلال إلى ٩, ١ تريليون دولار أمريكي بحلول العام ٢٠٢١.

(١) التقارير منشورة على الموقع الإلكتروني لمركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي:

http://www.iedcdubai.ae/page/view/16/knowledge_base

ويبرز التقرير النشاط المزدهر لقطاع السياحة الحلال لاسيما المنتجعات الشاطئية الحلال، وإطلاق العديد من خطوط الطيران المخصصة والمواقع والتطبيقات الخاصة بالحجوزات، ويتوقع أن يشهد نمواً من حيث إنفاق المسلمين على السفر إلى خارج المنطقة ليصل إلى ٢٤٣ مليار دولار أمريكي بحلول العام ٢٠٢١. أما عن قطاع الأزياء المحافظة، فمن المتوقع أن تصل قيمة هذه الصناعة إلى ٣٦٨ مليار دولار أمريكي بحلول العام ٢٠٢١.

كما يتوقع أن يصل إجمالي إنفاق المسلمين على منتجات قطاع الأدوية ومستحضرات التجميل إلى ٢١٣ مليار دولار بحلول ٢٠٢١. أما قطاع الإعلام والترفيه الإسلامي فيتوقع أن يصل الإنفاق عليه إلى ٢٦٢ مليار دولار أمريكي.

وقد تم تعزيز هذه النتائج أيضاً في تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي ٢٠١٧-٢٠١٨ تكريسا للاستمرارية والنمو المطرد.

كما تبوّأت دولة الإمارات العربية المتحدة المرتبة الأولى من بين عشر دول من حيث المنظومة الأكثر تطوراً في ثلاثة قطاعات رئيسية، ضمن مؤشر الاقتصاد الإسلامي العالمي لعام ٢٠١٧/٢٠١٨^(١)، وحلت في المرتبة الأولى في قطاع الأزياء المحافظة، وقطاع الإعلام والترفيه، وقطاع مستحضرات الأدوية والتجميل الحلال، وتبوّأت ماليزيا المرتبة الأولى في قطاعات الأغذية الحلال والتمويل الإسلامي والسياحة الحلال، تلتها الإمارات في المرتبة الثانية ثم المملكة العربية السعودية في المرتبة الثالثة فالبحرين في المرتبة الرابعة فسلطنة عمان في المرتبة الخامسة.

(١) الصادر عن مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي بالتعاون مع تومسون رويترز، ودينار ستاندارد.

ومعلوم أن الريادة التي حققتها دولة الإمارات مبنية على رؤية وإستراتيجية لتصبح دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي في العالم. ومن معالم تنزيل هذه الرؤية عقد برامج تدريبية لنمط الحياة الإسلامي تستهدف الشركات الناشئة العاملة في مجالات الفنون والثقافة الإسلامية، التصميم والهندسة الإسلامية، السياحة المناسبة للعائلات والحلال، الموضة المحتشمة والترفيه والتواصل والإعلام.

ولا شك أن نمط الحياة الإسلامي سيواجه مسألة القابلية للتعميم، لاسيما وأن قاعدة كبيرة من أفراد المجتمعات العربية والمسلمة تعاني تدني مستوى المعيشة والقدرة الشرائية، فقد أشار التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٧ إلى تراجع نمو الناتج المحلي الإجمالي، وارتفاع متوسط معدل التضخم، وشهدت بعض الدول العربية زيادات في معدلات الفقر عام ٢٠١٦^(١).

ورغم كل هذه المنجزات وكل الإكراهات لا بد من الاستثمار في الإعلام بشتى أصنافه للترويج لهذه المنجزات، قصد تحقيق رهان التعميم وانتقال نمط الحياة الإسلامي من وضعية الممانعة في مواجهة نمط الحياة المهيمن إلى وضعية تقديم النموذج.

ويلاحظ تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي والمؤشر العالمي للاقتصاد الإسلامي للعام ٢٠١٦-٢٠١٧. أنه رغم نقص المواكبة الإعلامية الفعالة التي تقوم بدور التعريف والتوعية إلا هناك فرص لزيادة نمو القطاع بمقدار ٣,٣ ترليون دولار أمريكي بحلول العالم ٢٠٢١.

(١) للاطلاع على تفاصيل التقرير يمكن تحميله من الموقع الإلكتروني لصندوق النقد العربي:

<http://www.amf.org.ae/ar>

بمعنى أن الإعلام لم يؤد بعد دوره الوظيفي في إنجاح نموذج نمط الحياة الإسلامي، لأنه رغم تسخير كل عوامل النجاح إلا أن المواكبة الإعلامية لا محيد عنها، لاسيما الإعلام الجديد المتميز بسعة الانتشار وسرعة وتيرة تدفق المعلومات والأخبار وسهولة وصولها إلى قاعدة اجتماعية واسعة.

وقد كشف تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي ٢٠١٧-٢٠١٨ أن الإنفاق الإسلامي على قطاع الإعلام والترفيه بلغ ١٩٨ مليار دولار في عام ٢٠١٦ ومن المتوقع أن يصل الإنفاق إلى ٢٨١ مليار دولار بحلول عام ٢٠٢٢. وذكر التقرير أن هذا القطاع يتحدى الصور النمطية ويتكيف ليلبي احتياجات المسلمين لاسيما الشباب. وينشط قطاع إنتاج الأفلام والوثائقيات المخصصة للمسلمين ويتزايد عدد القنوات التلفزيونية التي تستهدف المسلمين وتنتج محتوى خاصاً بهم بدءاً من الفيديوهات والأفلام والوثائقيات حول الثقافة ونمط الحياة الإسلامي.

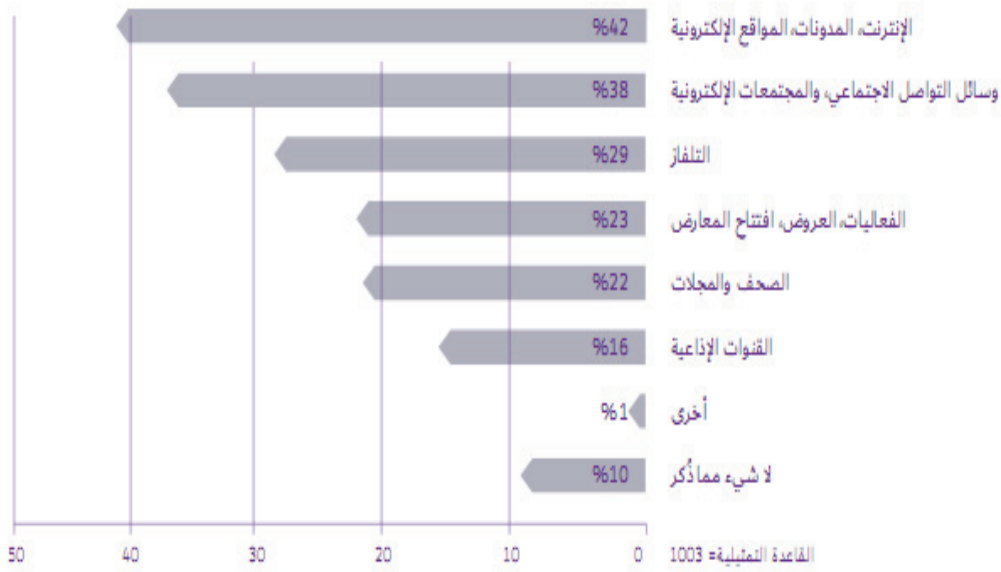
وفي نظري يجب أن يتجه الاستثمار أكثر إلى إغناء المضمون الثقافي والإعلامي لمواقع التواصل الاجتماعي والمدونات والمنتديات والتطبيقات التواصلية على الهواتف الذكية، لتحقيق التكامل مع الإعلام التقليدي، وكذا الانسجام مع السلوك المتغير للمواطنين الذين ينزعون أكثر نحو الإعلام الجديد ويهجرون الإعلام التقليدي، وإذا رجعنا إلى كتاب رؤى عالمية حول الاقتصاد الإبداعي الإسلامي سنكتشف زيادة الإعلام الجديد لسائر وسائل الإعلام المستخدمة لمواكبة المستجدات على صعيدي الثقافة والفنون، بل إن الإعلام الجديد استحوذ على المرتبتين الأوليين بنسبة ٨٠ في المائة، حيث استأثرت الانترنت والمدونات والمواقع الإلكترونية ب

٤٢ في المائة، واستأثرت وسائل التواصل الاجتماعي والمجتمعات الإلكترونية ب ٣٨ في المائة، بينما نسب استخدام التلفاز والقنوات الإذاعية والصحف والمجلات تركز تراجع الإعلام التقليدي أمام منافسة الإعلام الجديد.

وهذا مبيان يوضح وسائل الإعلام المستخدمة لمواكبة المستجدات على صعيدي

الثقافة والفنون^(١).

وسائل الإعلام المستخدمة لمواكبة المستجدات على صعيدي الثقافة والفنون



(١) «رؤى عالمية حول الاقتصاد الإبداعي الإسلامي»، هيئة دبي للثقافة والفنون بالشراكة مع مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، ٢٠١٧. يمكن تحميل الكتاب من الموقع الإلكتروني لمركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي:

http://www.iedcdubai.ae/assets/uploads/files/ar_Combine_book_Reference_1507802276.pdf

الخاتمة

إن انتقال نمط الحياة الإسلامي من الممانعة إلى النموذج، يجب أن يتعزز بدور فعال للإعلام البديل الذي يفترض فيه أن يعد مضامين إعلامية تروج لما تحقق على صعيد الاقتصاد الإسلامي وفي اقتصاد الثقافة والفنون، وقطاع الأغذية الحلال، والسياحة العائلية والموضة المحتشمة، وإضافة إلى ذلك يجب أن يكون هذا الإعلام واعياً باستحضار مقومات نمط الحياة الإسلامي التي تتكامل مع معاييرها وضوابطه التي سبق الحديث عنها، وأبرزها:

- الانتماء لتاريخ وحضارة وثقافة نموذجية في خدمة البشرية والسلم العالمي؛
- اعتبار المصلحة العليا للإنسان فوق كل اعتبار بعيداً عن ضيق الإيديولوجيا والهيمنة والعنصرية؛
- تصحيح التمثلات الخاطئة والصور النمطية عن الإسلام والمجتمعات المسلمة؛
- الإرشاد والتوجيه وتمييز الهدى عن الضلال، لاسيما لجموع الشباب المغرور بهم والتائهين بين الاستلاب الغربي والتطرف الديني، لأن نموذج نمط الحياة الإسلامي الذي قدمته تنظيمات الإرهاب والتطرف في أماكن نفوذها تم الترويج له بهتانا وزورا على أنه يجسد المجتمع المسلم في عهد النبوة والخلافة الراشدة.



قائمة المصنّاور

أولاً: الكتب:

- «رؤى عالمية حول الاقتصاد الإبداعي الإسلامي»، هيئة دبي للثقافة والفنون بالشراكة مع مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، ٢٠١٧م.
- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- آراء أهل المدينة الفاضلة، أبو نصر الفارابي، تحقيق: البير نصري نادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٩م.
- أنوار البروق في أنواع الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، عالم الكتب، د ت .
- تاريخ ابن خلدون، «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للحافظ العراقي وابن السبكي والزبيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود الحداد، دار العاصمة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
- جامع العلوم والحكم، زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
- حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي، تحقيق: السيد سابق، دار الجليل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

- شروط النهضة، ضمن سلسلة مشكلات الحضارة، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، سوريا ١٩٥٧م.
- ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق، مسعد محي محمد، مجموعة النيل العربية، القاهرة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، ٢٠٠٣م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار الدعوة.
- ثانيا: المجالات:

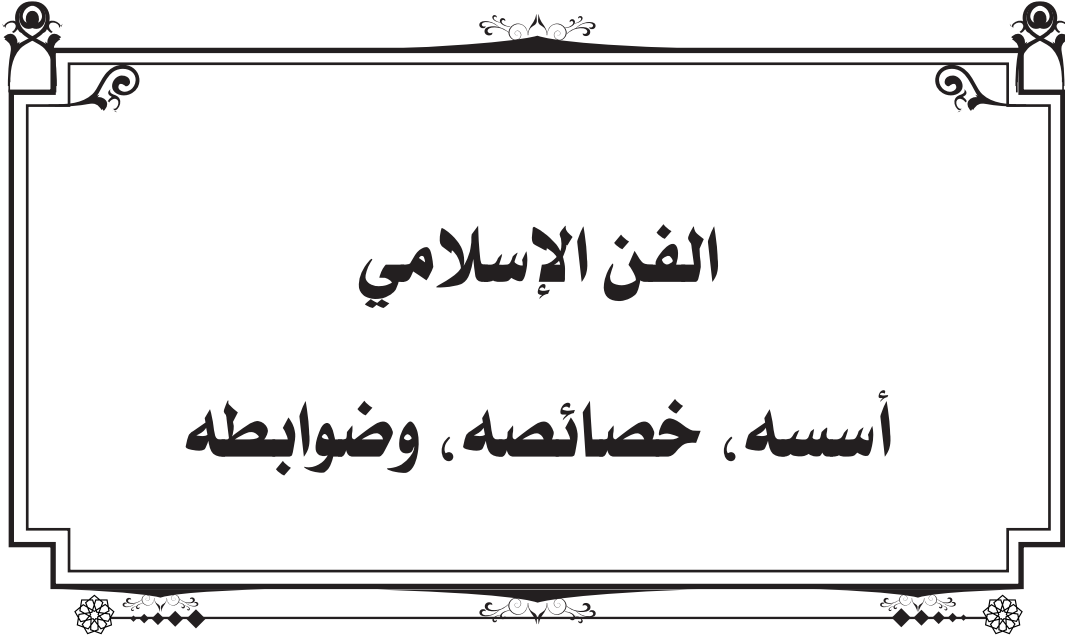
- مجلة المستقبل العربي، مقال: العولمة والهوية الثقافية، عبد الإله بلقزيز، العدد الثالث، عام ١٩٩٨م.
- مجلة عالم الفكر، مقال: العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عبد الخالق عبد الله، عدد أكتوبر ١٩٩٩م.
- ثالثا: التقارير:

- تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي ٢٠١٦/٢٠١٧ مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، إعداد وإنتاج طومسون رويترز بالتعاون مع دينار ستاندر وبدعم من دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي.
- تقرير واقع الاقتصاد الإسلامي العالمي ٢٠١٧/٢٠١٨ مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، إعداد وإنتاج طومسون رويترز بالتعاون مع دينار ستاندر وبدعم من دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي.
- التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٧ الصادر عن صندوق النقد العربي.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



إعداد

د. عز الدين بن زغيبية

رئيس قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية

مدير تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث

دبي - الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله الذي وجده يتيماً فأوى والصلاة والسلام على من لا ينطق في أحكامه بهوى، وعلى آله وأصحابه الذين صدقوه في كل ما عن مولاه الكريم روى
وبعد:

إن الحديث عن الفن الإسلامي ليس هو ما يتبادر إلى الأذهان من مفردات الفن التي يطالعونها كل يوم على صفحات الجرائد والمجلات التي تحصر الفن في الغناء والموسيقى والتمثيل والرقص، وإذا كانت موضوعية نوعاً ما وسعت هذه الدائرة فأضافت الرسم والنحت.

ولكن الفن هو المعاني والقيم الجمالية الماثرة في الكون وكائناته ومكوناته، وجميع الوسائل التي من شأنها إدخال السرور بجمالها على النفوس البشرية، وتربي فيها ملكة الذوق والشعور، وهدفها السمو بالإنسان وبأحاسيسه ووجدانه ومشاعره؛ ليتلمس مظاهر الجلال والكمال التي أبدعتها القوة العليا في الكون فيدين لها بالطاعة والخضوع، ويلتزم بما رسمت له من الحدود فيما أطلقت له فيه التعبير عن أفكاره وأحاسيسه بألوان الجمال وصنوف الإبداع.

ونحن في هذا البحث سوف نتقّب في تلك الحدود حتى نتعرف على أسس الفن الإسلامي، وخصائصه، والقواعد الضابطة له.

وقد قمنا بتناول هذا البحث في ستة عناصر رئيسية هي:

أولاً: مفهوم الفن الإسلامي.

ثانياً: القرآن والفن.

ثالثاً: موقف السنة النبوية من الفن.

رابعاً: الأسس التي يقوم عليها الفن الإسلامي.

خامساً: خصائص الفن الإسلامي.

سادساً: الضوابط التي تحكم الفن الإسلامي.

فنتقول وبالله التوفيق.



أولاً: مفهوم الفن^(١) الإسلامي.

١ - الفن في اللغة.

جاء في معجم مقاييس اللغة: «الفَاءُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يُدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَعْنِيَةِ، وَالْآخَرُ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ الضُّرُوبِ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا»^(٢).

قال الجوهري: «الفنُّ: واحد الفنون، وهي الأنواع. والأفانين: الأساليب، وهي أجناس الكلام وطرقه. ورجلٌ مُتَفَنَّئٌ، أي ذو فنونٍ. وأفتنَّ الرجل في حديثه وفي خطبته، إذا جاء بالافانين»^(٣).

وقال ابن منظور: «الفنُّ: وَاحِدُ الْفُنُونِ، وَهِيَ الْأَنْوَاعُ، وَالْفَنُّ الْحَالُ. وَالْفَنُّ: الضَّرْبُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَفْنَانٌ وَفُنُونٌ، وَهُوَ الْأَفْنُونُ. يُقَالُ: رَعَيْنَا فُنُونَ النَّبَاتِ، وَأَصَبْنَا فُنُونَ الْأَمْوَالِ؛ وَأَنْشَدَ:

قَدْ لَبِسْتُ الدَّهْرَ مِنْ أَفْنَانِهِ كُلَّ فَنٍّ نَاعِمٍ مِنْهُ حَبْرٌ

(١) يقول الدكتور محمد عبد السلام كفاي: ظهر في إيطاليا في القرن السادس عشر مصطلح جامع هو: فنون التصميم، كذلك ظهر مصطلح الفنون الجميلة في فرنسا إبان القرن السابع عشر، وكان هاذان المصطلحان يعنيان الفنون مثل: التصوير، النحت والعمارة، ومع ذلك يضم إليها بعض الأحيان الشعر والموسيقى... وبدأ مصطلح الفنون الجميلة يتخذ معناه الذي أصبح شائعاً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وأصبحت مجموعة الفنون الجميلة عند كتاب الموسوعات: الموسيقى والشعر والتصوير والنحت والعمارة، كتاب في أدب المقارن: محمد عبد السلام الكفاي، ص ٧٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ٤/ ٤٣٥.

(٣) الصحاح: الجوهري، ٦/ ٢١٧٧.

والرجل يُفَنُّ الكَلَامَ؛ أَي يَشْتُقُّ فِي فنِّ بَعْدَ فنِّ، وَالتَّفَنُّ فِعْلُكَ. وَرَجُلٌ مِفَنٌّ: يَأْتِي بِالْعَجَائِبِ، وَامْرَأَةٌ مِفَنَّةٌ. وَرَجُلٌ مَعْنٌ مِفَنٌّ: ذُو عَنَنِ وَاعْتِرَاضٍ وَذُو فُنُونٍ مِنَ الكَلَامِ؛ وَافْتَنَّ الرَّجُلُ فِي حَدِيثِهِ وَفِي خُطْبَتِهِ إِذَا جَاءَ بِالْأَفَانِينِ، وَهُوَ مِثْلُ اشْتَقَّ؛ قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ:

فَافْتَنَّ، بَعْدَ تَمَامِ الْوَرْدِ، نَاجِيَةً مِثْلَ الْهَرَاوَةِ ثَنِيًّا بِكُرِّهَا أَبَدٌ^(١)

وقد ذكر عباس محمود العقاد في كتابه ساعات بين الكتب: أن الفن في أصل اللغة؛ هو الخط واللون، ومنه التفنين بمعنى التزيين والتزويق، والأفانين بمعنى الفروع أو الضروب، وهكذا كل ما تعدد فيه الأشكال والأوصاف مما ينظر بالأعين أو يدرك بالأفكار.

والفنان بمعنى كثير الفنون، أو كثير التزيين؛ لأن العرب تقول: فن الشيء: أي زينه فهو فان وفنان، ولا خطأ، ولا تجوز في استعمال الفنان لمعناها الحديث؛ لأنها صحيحة في القياس...^(٢).

لكن المعاجم الحديثة قد تأثرت بالمفاهيم الجديدة للكلمة فأفسحت لها المجال لتأخذ مكانها على صفحاتها مسaire لما أصبح واقعاً متداولاً في استخدام هذه الكلمة، وهو شأن كثير من الألفاظ في لغتنا العربية.

جاء في المعجم الوسيط:

الفنُّ هُوَ التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ لِلنَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْوَسَائِلِ الَّتِي تَحَقِّقُهَا، وَيَكْتَسِبُ بِالدراسةِ وَالمِرَانَةِ وَجُمْلَةَ الْقَوَاعِدِ الْخَاصَّةِ بِحِرْفَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ، وَجُمْلَةَ الْوَسَائِلِ الَّتِي

(١) لسان العرب: ابن منظور، ٣٢٦/١٣.

(٢) ساعات بين الكتب: عباس محمود العقاد، ٢٤٠.

يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف، وبخاصة عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقى والشعر ومهارة يحكمها الذوق والمواهب جمع فنون، ويُقال فلان فن علوماً يحسن تحصيلها والقيام عليها.

والفنان صاحب الموهبة الفنية كالشاعر والكاتب والموسيقى والمصور والممثل وهو مُبالغة من فن^(١).

لكن كلمة الفن قد كثر ترديدها في الآونة الأخيرة، فدخلت كل ميدان، ووصفت بها كل مهنة، وأضيف إليها كل عمل. فالصحافة فن، والإذاعة فن، والإخراج فن، والحديث فن، والسطو على أموال الناس فن، والطبخ فن والدعاء فن، وهكذا توسع استعمال الكلمة، وتوسع بالتالي مدلولها، بل تميم، فأصبح كل عمل فنا، وفقدت الكلمة معناها ومدلولها، أو كادت.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من محاولة لتحديد هذا المدلول.

٢ - الفن اصطلاحاً.

إن الباحث عن تعريف للفن الإسلامي أو تحديد مفهومه في ثنايا الكتب فإنه يجدها قليلة؛ لأن هذا الموضوع بمحتواه المتداول لم يكن مطروحاً من قبل، ولا فيما مضى من العصور، بل كان الحديث يتناول كل فن على حدة، ضف إلى ذلك قلة الباحثين الإسلاميين في هذا الميدان، وأكثر الذين كتبوا عن الفن والجمال، إنما كانت كتاباتهم ترجمات لكتب لم تتحدث عن الفن الإسلامي، أو تحدثت وكانت قاصرة على مفاهيم فردية غير إسلامية.

(١) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٠٣/٢.

وبناء عليه فإن الذين تعرضوا لتعريف الفن الإسلامي وتحديد ماهيته وضبط تصوره من العرب والمسلمين قليلون إذا ما قارناهم مع نظرائهم في الحضارات الأخرى.

لقد حاول البعض ضبط مفهوم الفن الإسلامي، فقال: والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام، وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر، والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقائد المجردة المبلورة في صورة فلسفية، فليس هذا أو ذاك فناً على الإطلاق.

وإنما الفن الإسلامي: هو الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود، وهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان^(١).

وهو الفن الذي يهيء اللقاء الكامل بين «الجمال» و«الحق»، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.

وقد عرفه محمد شمس الدين صدقي معتمداً على وظيفة الفن فقال: «يجب أن يكون نقل أو إيصال أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل مؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة إضافةً للتأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم»^(٢).

(١) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ٣١،

(٢) كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم، أنور الجندي، دار الإعتصام، ١٩٨٤م.

وأثر بعضهم تعريفها تحت مسمى الفنون الجميلة^(١) - أو الصنائع النفيسة، وأسمائها بعضهم نواضر الفنون، وقيل إن العرب أطلقوا عليها اسم الآداب الرفيعة - ومن هؤلاء:

محمد كرد علي الذي عرفها بقوله: «هي الصنائع التي من شأنها إدخال السرور بجماها وجلالها على النفوس البشرية، وتربي ملكة الذوق والشعور»^(٢).

وهي سبعة أقسام: الموسيقى، الغناء، التصوير، النقش، البناء، الشعر والفصاحة، والرقص. وأرجعها بعضهم إلى ثلاثة فروع فقط: التصوير والشعر والموسيقى^(٣).

ويقول مصطفى عبده: «و حين نريد استنباط المعاني الدقيقة من وراء المصطلح نجد أن الفن يعني: تجديد الإحساس بالواقع الغيبي؛ عن طريق العقل الذي يمكن الوصول إلى ما وراء العقل المحسوس - وهو الواقع الغيبي - أي ما وراء الزينة والجمال والارتباط بهما ليس هو الغرض الأساس من الفن؛ إنما الفن وسيلة لنقل الإنسان من الإحساس المادي للجمال إلى الإحساس الروحي بالجمال»^(٤).

إذن فالفن عامل حيوي فعال يلعب دوراً هاماً في الحياة العقلية والوجدانية للإنسان؛ لأن للفن قدرة على توليد الجمال من الطبيعة والكون وإيقاظ النفوس لترى الجمال في الأنفس والآفاق.

-
- (١) يقول الأستاذ صالح الشامي: والذي يظهر لي أن الوصف بالجميلة يومئذ كان للبيان، بمعنى أن ما كان فنا لا بد وأن يتوفر فيه عنصر الجمال، ولم يكن ذلك من باب التخصيص بمعنى أن هناك نوعين من الفنون جميلة وغير جميلة - كتاب الفن الإسلامي التزام وإبداع: ١٦.
- (٢) خطط الشام: محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كُرد علي ت: ١٣٧٢هـ، ٩٠/٤.
- (٣) نفس المصدر: ٩٠/٤.
- (٤) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ٣١.

والحقيقة: أنه ليس من السهل إيجاد أو صياغة تعريف للفن الإسلامي، والسبب في ذلك - حسب رأي صالح أحمد الشامي - لعله يرجع إلى كثرة العناصر التي يجب مراعاتها عند تلك الصياغة^(١).

٣ - المصطلح في التراث العربي الإسلامي.

في العربية استعملت كلمة فن حديثاً عوضاً عن كلمة «صناعة» المتعارف عليها قديماً، فكل ما اقترن بكلمة فن، وبخاصة الفنون الجميلة عرفه المسلمون تحت عنوان الصناعة؛ حيث كانوا يقولون: صناعة الأدب وصناعة الشعر، وصناعة النحو، وصناعة الحكمة، وصناعة المنطق، وصناعة الموسيقى، وصناعة الطب، وصناعة الخط والكتابة، وغيرها في مختلف العلوم والقضايا.

وأضحت هذه الكلمة، المصطلح الفني لهذا المعنى بعد أن اختارها المؤلفون عنواناً لكتبهم، فقد ألف أبو هلال العسكري كتابه في النظم والنثر، وسماه «كتاب الصناعتين»، واستعملها القلقشندي في عنوان كتابه المشهور «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، وقد جاء في هذا الكتاب في صدد الحديث عن صنعة الأدب: والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف^(٢)، كما جاء قوله: والكتابة إحدى الصنائع فلا بد فيها من أمور^(٣)، ووسم ابن جني كتابه بـ: «سر صناعة الإعراب»، وعنون أبو الحسن الجيلي كتابه «أصول صناعة الأحكام»

(١) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٣٧.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشندي، ٧/١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦/١.

وصنف ابن الرشيقي القيرواني كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده»، وألف ابن معطي كتاب «البدیع في صناعة الشعر»، وألف البيروني «التفهيم لأوائل صناعة التنجيم»، وصنف أبو صقر القبيصي «المدخل إلى صناعة أحكام النجوم»، وصنف الفارابي «المدخل إلى صناعة الموسيقى»، وجاء في كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، قوله: وكنت ممن جعل صناعة الكتابة فننه الذي يستظل بوارفه^(١)، وجاء عن ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» عند حديثه عن الألمان: وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال عطلا من هذه الصناعة التي هي مراد النفس^(٢).

ومما سبق عرضه يتبين لنا بوضوح تام كيف كان يتم استعمال كلمة «صناعة» وتداولها بين أهل العلم في تناوهم الحديث عن الكتابة والشعر والموسيقى والرسم والزخرفة وغيرها من العلوم الشريفة والأعمال المنيفة، وهو ما يطلق عليه اليوم اسم الفنون أو الفنون الجميلة.



(١) نهاية الأرب: النوري، انظر المقدمة.

(٢) العقد الفريد: ابن عبد ربه، ٢/٧.

ثانياً: القرآن والفن

يلفت القرآن الكريم في العديد من آياته الأنظار إلى ما في الكون من تناسق وإبداع وإتقان، وما يتضمنه ذلك من جمال وبهجة وسرور للناظرين، وينبه العقول والألباب أنه خلق ما على الأرض زينة لها ل يتمتع بجمالها من يعيشون عليها ويسبحون في جنباتها، وجعل في السماء بروجاً زينة لمن ينظرون إليها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الحجر: ١٦].

فالله الذي بث زينته في الكون كله وأصبغ عليه من جماله ونوره، لا يمكن أن يمنع خلقه من التمتع بذلك، أو حجره عليهم، لأنهم عباده وخلق كل ذلك وأبدعه من أجلهم، فكيف يجرمه عليهم إذا أخذوه على الوجه الذي أمروا به، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

والقرآن يعبر بالصورة الحسية عن المعنى الذهني، وعن الحالة النفسية وعن الحالات المحسوسة والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، بل هو تصوير تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدان^(١).

(١) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٣٨.

ويصور القرآن الأفكار فيحيل المعقولات إلى صور محسوسة، تعرضها الآيات في لوحات، والإيمان بإعجاز القرآن مرهونٌ بازدهار الحاسة الفنية عند المسلم، وبتحويل هذه الحاسة إلى قسمة ملحوظة في الحضارة الإسلامية، ومن ثم فإن البداهة قاضية بأن يكون داعياً يذكي تنمية الحاسة الفنية لدى المسلم^(١).

والآيات الحافلة بالإشارات الإبداعية في القرآن الكريمة كثيرة، ونكتفي بذكر بعضها للبيان والإفهام، لا للحصر والتمام.

يقول تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٦﴾.

ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿إبراهيم: ٢٤ - ٢٦﴾.

(١) وانظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٣٨.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦ - ١١].

إذن فالجمال عنصر أصيل في بنية الكون وعنصر مطلوب ليستمتع به الناس وموهبة يذكر الله بها الناس ليشكروه ويعبدوه.

ويقول تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٥، ٦].

فالله سبحانه وتعالى بعد أن عدد لنا من خلقه المبتوث في الكون دعانا إلى النظر والتأمل في الجمال المبتوث في هذه الكائنات الحية والتمتع بهذا الجمال في تلك اللوحة

الطبيعية الحية المتناسقة البهيجة، فالجمال هنا هدف مغذي للروح، وهو هنا المقصود أولاً قبل غذاء الأبدان.

والذي يستخلص من هذه الآيات القرآنية؛ أن القرآن يوجه النفس إلى جمال السماء، وإلى جمال الكون كله؛ لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود، وهذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه؛ لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي يتهياً فيها للحياة الخالدة في عالم طليق جميل بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية، وإن أسعد لحظات القلب البشري هي اللحظات التي يتقبل فيها جمال الإبداع الإلهي في الكون ذلك أنها هي اللحظات التي تهيه وتمد له ليتصل بالجمال الإلهي ذاته».

وبالإضافة إلى ما سبق من الصور الإبداعية، ذكر القرآن الكريم كل الألوان الرئيسة التي يمكن من خلالها استخراج باقي ألوان الطيف المختلفة، والتي يمكن أن تصل إلى ١١٤ لوناً. وتأخذ استعمالات الألوان في القرآن بعداً تصريحياً وآخر كنائياً، وإن ارتباط الألوان بالتعبير القرآني، من شأنه أن يثير انتباه المتلقي بما يتضمنه من حيوية وقوة وتأثير في نفسه وشعوره، ويدفعه إلى التفاعل معها ترغيباً أو ترهيباً، وذلك وفق السياق الذي ترد فيه، والمعنى الذي تؤدي إليه.

يقول تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ

ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

ويقول تعالى عن الأبيض والأسود والأحمر: ﴿الْمَرْتَرَانُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، ينبغي أن نشير في هذا المقام إلى أن اللون الأبيض هو أكثر الألوان تردداً في القرآن الكريم؛ حيث تكرر اثنتي عشرة مرة، تارة مقترناً باللون الأسود، وتارة يذكر لوحده.

ويقول تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، قال ابن عاشور: «ليس المراد من الأخضر اللون وإنما المراد لازمه وهو الرطوبة؛ لأن الشجر أخضر اللون ما دام حياً فإذا جفّ وزالت منه الحياة استحال لونه إلى العُبرة فصارت الخضرة كناية عن رطوبة النبات وحياته»^(١).

ويقول تعالى عن اللون الأصفر: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]، قال الزمخشري: إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه،^(٢) ويرى الطاهر ابن عاشور أن اللون الأصفر في البقرة هو ما حسن صورة النظر إليها وليس اللون وحده، يقول: «وهذا اللون من أحسن ألوان البقر فلذلك أسند فعل «تسر» إلى ضمير البقرة لا إلى ضمير اللون فلا يقتضي أن لون الأصفر مما يسر الناظرين مطلقاً»^(٣).

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ٧٧/٢٣.

(٢) الكشاف: الزمخشري، ١٥٠/١.

(٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ٥٥٣/١.

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهَيِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال الطاهر بن عاشور: «إن اصفرار النبات أعظم دلالة على التهيؤ للزوال، وهذا هو الأهم في مقام التزهيد في متاع الدنيا. وعطف «فتراه مصفراً» بالفاء؛ لأن اصفرار النبات مقارب لبيسه^(١)».

ويشير تعالى إلى اللون الأخضر السندسي: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].



(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ٢٧/٤٠٥.

ثالثاً: موقف السنة النبوية من الفن

لقد وردت في السنة النبوية المطهرة نصوصٌ تفيد المنع والتحریم ونصوص أخرى تفيد الإباحة، وعدم المنع من ذلك، وبتناول تلك النصوص ودراستها يتضح المسألة وتبين أحكامها المطلوبة شرعاً.

١ - الأحاديث التي تناولت المنع.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي رسول الله ﷺ: «حولي هذا، فإني كلما دخلت فرأيتك ذكرت الدنيا» قالت: وكانت لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير، فكنا نلبسها^(١).

وجاء أيضاً عنها رضي الله عنها: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَائِيلٌ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَفِي الطَّرِيقِ الْآخَرَى: فَأَمَرَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ، فَنَزَعْتُهُ، وَقَالَ: «مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ وَفِي رِوَايَةٍ: الَّذِينَ يَصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوْرَ»، قَالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَاتَّخَذْتُ مِنْهُ نَمْرُقَتَيْنِ، فَكَانَتَا فِي الْبَيْتِ يَجْلِسُ عَلَيْهَا^(٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتحنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ٣/١٦٦٦، حديث رقم: ٢١٠٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب عذاب المصورين يوم القيامة، ٤/٥٧، باب ما وُطِئَ مِنْ التَّصَاوِيرِ، حديث رقم: ٢٣٠٣ - صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتحنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ٣/١٦٦٧، حديث رقم: ٢١٠٧.

وعن سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ قَتَادَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ، وَلَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى سُئِلَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةَ فِي الدُّنْيَا كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَكَأَنَّ بِنَافِخٍ»^(١).

عن أبي زرعة سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول «قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»^(٢).

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ تُمَاطِيلٌ»^(٣).

والملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة، هم ملائكة يطوفون بالرحمة

(١) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيه من الروح وليس بنافخ، ١٦٩/٧، حديث رقم: ٥٩٦٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى والله خلقكم وم تعملون، إنا كل شيء خلقناه بقدر، ويقال للمصورين أحيوا ما خلقتم، إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض، ٢٧٤٧/٦، حديث رقم: ٧١٢٠ - صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة، ١٦٦٥/٣، حديث رقم: ٢١٠٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ١١٤/٤، حديث رقم: ٣٢٢٥ - صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة/ ١٦٧١٣، حديث رقم: ٢١١٠.

والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة، فيدخلون في كل بيت، ولا يفارقون بني آدم في كل حال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها^(١).

عن مسلم قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير فرأى في صفته تماثيل، فقال سمعت عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون»^(٢).

عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم»^(٣).

عن القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها أخبرته: أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية، فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنت؟ فقال رسول الله ﷺ «ما بال هذه النمرقة». قالت فقلت اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم وقال إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»^(٤).

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: صهيب عبد الجبار، ١/٢١٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب عذاب المصورين يوم القيامة، ٥/٢٢٢٠، حديث رقم: ٥٦٠٦ - صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة، ٣/١٦٧٠، حديث رقم: ٢١٠٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب عذاب المصورين يوم القيامة، ٥/٢٢٢٠، حديث رقم: ٥٦٠٧ - صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة، ٣/١٦٧٠، حديث رقم: ٢١٠٨.

(٤) صحيح البخاري: كتاب البيوع وقول الله عز وجل: وأحل الله البيع وحرم الربا: باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، ٥/١٩٨٦، حديث رقم: ٤٨٨٦ - صحيح مسلم: كتاب اللباس =

وَرَوَى أَيُّوبُ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرُ أَنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ سَتَرَتْ بَيْوتَهَا بِقِرَامٍ، أَوْ غَيْرِهِ، أَهْدَاهَا لَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَذَهَبَ عُمَرُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَهْتِكَهُ، فَبَلَغَهُمْ، فَزَعَوْهُ^(١).

وَرُوِيَ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ تَزَوَّجَ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِذَا بَيْتُهُ قَدْ سُتِرَ بِهَذِهِ الْأُذْمِ الْمَنْقُوشَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ كُنْتُمْ جَعَلْتُمْ مَكَانَ هَذَا مُسُوحًا، كَانَ أَحْمَلَ لِلْغُبَارِ مِنْ هَذَا^(٢).

ويستخلص من النصوص النبوية السابقة النقاط الآتية:

١ - إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة هم من يضاھون بخلق الله في تجسيدهم للأصنام ونحت التماثيل المجسدة.

٢ - أن المضاهاة تنتهي وتزول، وتتحول الصور والرسومات إلى أشكال تجريدية إذا زال السبب المانع المؤدي إلى الحرمة، والمتمثل في استخدام الفن أداة للوثنية، وآلة لصناعة الشرك، ووسيلة لتدمير القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع، بمعنى أن الفن لم يعد كأداة تشكيلية لقيمة جمالية ومعاني سامية، فهو بذلك خرج عن مساره وصار دوره مناقضاً لدور الدين وأصبحت رسالته مضادة لرسالة الدين.

٣ - لقد كان الإسلام صارماً وقاطعاً وغير متسامح مع الفن عندما يمس الفن بأركان العقيدة ويتصادم معها، ويقوض أساس التوحيد ويهدم قواعده، كاستخدام

= والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتھنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ٣/١٦٦٩، حديث رقم: ٢١٠٧.

(١) شرح السنة: للبغوي، ١٢/١٣٥.

(٢) شرح السنة: للبغوي، ١٢/١٣٥.

الفن من خلال النحت كأداة في صنع أصنام تعبد، في تجسيد للآلهة التي يشرك بها، أو تكريم لأنفس مقدسة سواء في السلم أو الحرب؛ لذلك حطم رسول الله ﷺ الأصنام المنحوتة وغير المنحوتة باعتبارها دعوة للوثنية، كما فعل ذلك نبي الله إبراهيم قبله؛ قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) مَا لَكُمْ لَا نَنْطُقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِمِينُ ﴿[الصفات: ٩١-٩٣] بل حرم ﷺ الفن المستخدم في تثبيت أركان الدعوة الوثنية وتقديسها، كما حرم الفن التجسيمي؛ لأن فيه مضاهاة وتشبيها لأنفس لا تملك من أمرها نقيرا ولا قطميرا، فضلا عن أن تملك من شؤون غيرها شيئا.

٤ - لقد كان للأحاديث الشريفة التي تناولت بعض عناصر المنظومة الفنية بالمنع والتحریم والكرهه أثرها البين في تقويم المسار الفني للفن وتعديله، فمتى كان الإعوجاج كان التحريم لتقويمه وتعديله عند انحرافه، وتوجيهه للعمل من خلال العقيدة.

٥ - والذي يظهر من النصوص الشرعية أن القيود المضروبة على بعض مفردات الفن وعناصره لا تمس الأسلوب ولا الظاهرة الجمالية وإنما انصبت على الموضوع، يقول الدكتور محمد علي أبو ريان: «والتحريم لم يقع على الظاهرة الجمالية أو الأسلوب بل كان في الموضوع، فإذا ما انتقلنا إلى الشرع نجد أن الإباحة والتحریم لا ينصبان على الظاهرة الجمالية في ذاتها، ولكن على الموضوع نفسه وما يؤدي إليه من مخالفة الشرع»^(١).

(١) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة: محمد علي أبو ريان، ١٨.

إلا أن هناك تعليلا غريبا لمسألة التصوير جاء به الأستاذ غييت لم نجده عند أحد غيره؛ حيث قال: «أن فزع المسلمين من التصوير مرده إلى اعتقادهم أن للصور قوة سحرية، وأن الشعوب السامية كلها تخشى الصور»^(١).

قلت ما بال القرون الأولى التي كانت فيه الشعوب الإسلامية قبل الإسلام تتعاطى مع التصوير كعمل راق في المجتمع وتتفنن فيه وتبدع، ولم تكن ترهبها تلك القوة السحرية الموجودة في الصور، أما أن الإسلام هو الذي جاء بهذه القوة السحرية وأسكنها في الصور، وجعلها كأنها جان تخاف منه الناس، ياله من رأي غريب.

٢ - الأحاديث التي تناولت الإباحة.

عن سعيد بن أبي الحسن، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها، فقال له: ادن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له، بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم» وقال: «إن كنت لا بد فاعلا، فاصنع الشجر وما لا نفس له»^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ: وَأَمَّا صُورَةُ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ، فَلَا بَأْسَ بِهَا^(٣).

(١) مساجد القاهرة: غيت وهو تكير، ١٧١ - انظر: الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه: أبو صالح الألفي، ٨٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة، ٣/ ١٦٧٠ حديث رقم: ٢١١٠ - صحيح البخاري: كتاب البيوع وقول الله عز وجل: وأحل الله البيع وحرم الربا: باب، بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك، ٢/ ٧٧٥، حديث رقم: ٢١١٢ -

(٣) شرح السنة: للبغوي، ١٢/ ١٣٥.

والذي يفهم من هذا الحديث؛ أنه لا يمنع الإنسان من صنع الشجر وتصويره ونقله من الطبيعة وما فيه من تجسيم؛ لأنه لا يعارض العقيدة، ولا يمس بالتوحيد، ولا يهدم القيم والأخلاق، وكذا كل شيء ليس فيه روح كما جاء في رواية البخاري، وما لا نفس له كما جاء في رواية مسلم، ولم يحدث أن نهي عن التصوير الطبيعي؛ لأنه لم يكن من المعبودات، ولأن رسم الشجر لم يكن طريقاً معهوداً للوثنية، فالعرب لم تجسم الأشجار والنباتات في تماثيل تعبد.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال «ما هذا يا عائشة؟» قالت بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس، قال: «وما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان، قال: «فرس له جناحان؟» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجزه^(١).

قال ابن حجر في الفتح: واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب، من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض، ونقله عن الجمهور^(٢)، وقال ابن عاشور: «ووقعت الرخصة في اتخاذ صور تلعب بها البنات لفائدة اعتيادهن العمل بأمور البيت^(٣)».

(١) سنن أبي داود: كتاب: الأدب، باب في اللعب بالبنات، ٧٠١ / ٢، رقم الحديث: ٤٩٣٢ - قال الألباني صحيح، ١٠٧ / ٢.

(٢) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ١٠ / ٥٢٧.

(٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ١٦٢ / ٢٢.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت ألعبُ بالبنات عند رسول الله ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي»^(١).

وعن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلَيْتَمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ»، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصُومٌ صَبِيانًا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ»^(٢).

فقد دل هذان الحديثان على جواز التصوير واقتنائه إذا ترتب من وراء ذلك مصلحة تربية تعين على تهذيب النفس وثقيفها وتعليمها وكذلك كل ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين من التصوير والصور^(٣).

ولقد أفتى جمهور الفقهاء بجواز تمكين الصغار من اللعب بالتمثيل وهي العرائس، كما أفتوا أن اللعب بالبنات للبنات رخصة^(٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ خَرَجَ فِي غَزَاةٍ، قَالَتْ: فَأَخَذْتُ نَمَطًا، فَسَرَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ، فَلَمَّا قَدِمَ، فَرَأَى النَّمَطَ، عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ، فَجَذَبَهُ حَتَّى

(١) صحيح البخاري: كتاب: الأدب، باب الانبساط إلى الناس وقال ابن مسعود خالط الناس ودينك لا تكلمنه والدعابة مع الأهل، ٣/٣٧ حديث رقم: ١٩٦٠.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصيام: باب من أكل في عاشوراء فليكيف بقية يومه، حديث رقم ١١٣٦.

(٣) إشكالية الصورة بين الفقه والفن: الدكتور نذير طعمة، ص ١٣ بحث ضمن كتاب، إشكالية التحيز في الفن والعمارة - تحرير عبد الوهاب المسيري ط: ١ - ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م دار السلام القاهرة - مصر.

(٤) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٥١

هَتَكَهُ، أَوْ قَطَعَهُ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ، قَالَتْ: فَقَطَعْنَا مِنْهُ
وِسَادَتَيْنِ، وَحَشَوْنَهُمَا لِيَفَاءً، فَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ»^(١).

قَالَ الْإِمَامُ: «وَيُكْرَهُ سِتْرُ الْجُدْرِ بِالشَّيَابِ الْمَلَوَّنَةِ وَتَنْقِيشُهَا» لهذا الحديث^(٢)، وهذا
يعني أن هذا النص لا يقتضي التحريم وإنما الكراهة فقط كما نص عليها الإمام.

عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة
لا تدخل بيتا فيه صورة قال بسر ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة
فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟
فقال عبيد الله ألم تسمعه حين قال «إلا رقما في ثوب»^(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أتاني جبريل فقال إني كنت أتيتك
البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان في
باب البيت تمثال الرجال وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب
فمر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فليصير كهية الشجرة ومر بالستر فليقطع
ويجعل منه وسادتين متبذتين يوطآن ومر بالكلب فيخرج ففعل رسول الله ﷺ وكان
ذلك الكلب جروا للحسن أو الحسين تحت ذئب له فأمر به فأخرج»^(٤).

(١) شرح السنة: للبغوي، ١٣٥/١٢.

(٢) شرح السنة: للبغوي، ١٣٥/١٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة
غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة، ٣/١٦٦٥،
حديث رقم: ٢١٠٦.

(٤) سنن الترمذي: كتاب: الأدب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب،
٥/١١٥، رقم الحديث: ٢٨٠٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن، قال الألباني: صحيح - سنن
أبي داود: كتاب: اللباس، باب الصور، ٦/٢٣٥، الحديث رقم: ٤١٥٨،

وعلق الخطابي على الحديث فقال: «وإنما لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس بحرام، من كلب الصيد والزرع والماشية، والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما، فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه»^(١).

إن طلب جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ بقوله: «فمر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فليصير كهيئة الشجرة» يتنازعه نظران:

الأول: أن قطع رأس التمثال يدل على قطع عضو تستحيل الحياة بدونه، وبالتالي إذا قطع من الجسم للإنسان والحيوان ما تمتنع الحياة بفقده، تزول الحرمة منه، قال صاحب التحرير والتنوير: «واتفق الفقهاء على تحريم اتخاذ ما له ظل من تماثيل ذوات الروح إذا كانت مستكملة الأعضاء التي لا يعيش ذو الروح بدونها وعلى كراهة ما عدا ذلك مثل التماثيل المنصفة ومثل الصور التي على الجدران وعلى الأوراق والرقم في الثوب ولا ما يجلس عليه ويداس. وحكم صنعها يتبع اتخاذها»^(٢).

الثاني: أن العبرة ليست بتأثير العضو الناقص في حياة الصورة أو موتها بدونه، وإنما العبرة في تشويهها بحيث لا يبقى منظرها موحياً بتعظيمها بعد نقص هذا الجزء منها، ويرى الدكتور مصطفى عبده: أنه إن كان ينجم عن التشويه تغيير في الشكل وتحليله إلى أجزاء بالإضافة أو الحذف فهو ابتعاد عن التجسيم واقتراب من التجريد،

(١) شرح النووي على مسلم: الإمام النووي، ٧/٢٠٧.

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ٢٢/١٦٢.

فباقي جسم التمثال موجود وهو منحوت أيضاً، ولكنه لا يماثل أو يشابه الأصل، فعليه يمكن اعتباره من باب الفن التجريدي^(١).

وقد اجتهد الدكتور دهينة في تلخيص موقف الدين من الفن، فقال: «إن التحريم في الفن روعي فيه أن يكون هابطاً لا هادفاً، وأن التحريم كان صريحاً للأصنام؛ لأن العرب عرفوا هذه التماثيل كوسيلة للعبادة فكان تعظيمها وتقديسها حراماً، ولهذا وردت الأحاديث، أما إقامة التماثيل للتعظيم والتقديس فهي إشراك في مقام الألوهية»^(٢).



(١) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٥٢
 (٢) انظر: منبر الإسلام: العدد ١٠، ص ٣٦، ٣٩، سؤال ١٤٠٢ هـ - وانظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٦٢، ١٦٣.

رابعاً: الأسس التي يقوم عليها الفن الإسلامي

١ - الأساس الفطري فطرة الله التي فطر الناس عليها.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

إن الذي يتضح من خلال هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وصف الإسلام بأنه دين الفطرة^(١)، أو أنه الفطرة، كما عبر عن ذلك الشيخ ابن عاشور، ولم يوجد دين عبر الله تعالى عنه بهذا التعبير إلا الرسالة الخاتمة، ويؤكد هذا الكلام ما قاله الإمام ابن عاشور «إن وصف الفطرة للدين مما اختص به الإسلام، فلم يوصف دين من الأديان السالفة بأنه الفطرة، كما لم يوصف أحدها بأنه عام، ولا بأنه دائم»^(٢).

والفطرة كما يراها أبو علي ابن سينا هي الحاكم الفيصل في تمييز أحوال الوهم حقه وباطله، فقال: «ومعنى الفطرة أن يتوهم نفسه حصل في الدنيا دفعة وهو عاقل، لكنه لم يسمع رأياً، ولم يعتقد مذهباً، ولم يعاشر أمة، ولم يعرف سياسة، ولكنه

(١) عرّفها الجرجاني بقوله: «الفطرة: الجبلية المهيئة لقبول الدين»، الجرجاني: التعريفات، ١٦٨. وقال ابن عطية: «والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة، أي الفطرة: أنها الخلقة، والهبة التي في نفس الإنسان، التي هي معدودة ومهيئة؛ لأن تميزها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه»، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٩٠/٢١. وعرفها سماحة الإمام ابن عاشور فقال: «الفطرة: الخلقة؛ أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، فطرة الإنسان هي ما فطر - أي خلق - عليه الإنسان ظاهراً وباطناً؛ أي جسداً وعقلاً»، ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ٥٧.

(٢) أصول النظام الاجتماعي: ٢٠.

شاهد المحسوسات، وأخذ منها الحالات، ثم يعرض على ذهنه شيئاً ويتشكك فيه، فإن أمكنه الشك، فالفطرة لا تشهد به، وإن لم يمكنه الشك، فهو ما توجهه الفطرة، وليس كل ما توجهه فطرة إنسان بصادق، إنما الصادق فطرة القوة التي تسمى عقلاً، وأما فطرة الذهن بالجملة فربما كانت كاذبة، وإنما يكون هذا الكذب في الأمور التي ليست بمحسوسة بالذات، بل هي مبادئ المحسوسات، فالفطرة الصادقة: مقدمات وآراء مشهورة محمودة أو جب التصديق بها، إما شهادة الكل: مثل إن العدل جميل، وإما شهادة الأكثر، وإما شهادة العلماء، أو الأفاضل منهم، وليس الذائعات من جهة ما هي ما يقع التصديق بها في الفطرة، فما كان من الذائعات ليس بأولي عقلياً ولا وهمي، فإنها غير فطرية، ولكنها متقررة عند الأنفس، لأن العادة^(١) مستمرة عليها منذ الصبا، وربما دعا إليها محبة التسالم والاصطناع المضطر إليهما الإنسان «أي ربما دعا النفس إلى قبولها أن كثيراً منهم مال إليها بهواه فاتبعه البقية خشية منه أو ترلفاً له» أو شيء من الأخلاق الإنسانية، مثل الحياء والاستئناس أو الاستقراء الكثير، أو كون القول في نفسه ذا شرط دقيق، يكون حقاً صرفاً، فلا يفتن لذلك الشرط ويؤخذ على الإطلاق^(٢).

والذي نلتمسه من خلال هذا الإبداع في الإفصاح عن الفطرة هو الدعوة إلى الحيلة والتمسك بأسباب الحذر حتى لا يقع الخلط بينها وبين المدركات الباطلة، التي عرضت للبشر من خلال الأوضاع المزدهمة بالعقائد المنحرفة والعوائد الفاسدة،

(١) العادة: هي الاستمرار على شيء مقبول للطبع والمعاودة إليه مرة بعد أخرى، وهي المرادة بالعرف العملي. أحمد الزرقاء: شرح القواعد الفقهية، ص ١٦٥.

(٢) ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الثانية تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٨.

والتي ألفتها النفوس بسبب ترويح أهل الضلال لها، وبناء على هذا نجد ابن سينا يوجه دعوته هذه للعلماء، والحكماء، والأفاضل؛ لأنهم هم الذين امتلكوا العقول الراجحة التي تمكنهم من تمييز الطيب من الخبيث، وإرشاد الناس إليه، وأكد هذا ابن عاشور بدقة أكثر ووضوح أكبر عندما قال: «إن الوجدان الإنساني العقلي لا يدخل تحت الفطرة منه إلا الحقائق والاعتباريات^(١)، ولا يدخل فيه الأوهام والتخيلات؛ لأنها ليست مما فطر عليها العقل، ولكنها مما عرض للفطرة عروضاً كثيراً، حتى لازمت أصحاب الفطرة في غالب الأحوال، فاشتبهت بالفطريات، وإنما كان عروضها للفطرة بسوء استعمال العقل، وسوء فهم الأسباب، ولذلك تجد العقلاء متفقيين في الحقائق والاعتباريات، ولا تجدهم متفقيين في الوهميات والتخيلات، بل تجد سلطان هذين الأخيرين أشد بمقدار شدة ضعف العقول، وتجد أهل العقول الراجحة في سلامة منها»^(٢).

قبل الولوج في أثناء هذا الموضوع هناك نقطتان أساسيتان لا بد من إيضاحهما: .
النقطة الأولى: أن الفطرة: هي الوصف المشترك بين جميع أفراد المكلفين، والعامل الذي يحدد استعداداتهم وميولاتهم، ويوحد مطالبهم ومصالحهم، ومن خرج عن هذا مما قل منهم أو كثر هو انحدار في فطرتهم بسبب عوامل اجتماعية وتربوية وغيرها حجبتها عن مهمتها المنوطة بها، والله سبحانه وتعالى لما أراد أن يكون الإسلام عاماً دائماً جعله مساوقاً لهذه الفطرة ومتصلاً بها.

(١) الاعتباريات: الأمر الاعتباري هو الذي لا وجود له إلا في عقل المعتبر مادام معتبراً - يوسف كرم، مراد وهبة، يوسف شلالة، المعجم الفلسفي، ٢١.
 (٢) مقاصد: ٥٩.

النقطة الثانية: أن الفطرة السليمة نزاعة لتلمس القوى الكبرى في الكون، لتدين لها بالخضوع والطاعة أمراً ونهياً، دون أن يكون مبتغاهما من وراء ذلك تلمس منفعه مادية معينة أو غير معينة، وبهذا تعدّ الرواق الذي يتحرك من خلاله قانون الاستجابة بين السماء والأرض.

يتبين لنا مما سلف ذكره أن الفطرة الإنسانية لا تستوعب البواعث الباطنية والعقلية فقط، ولكنها تتعلق بصورة خاصة بما فطرت عليه الأفعال الإنسانية؛ لأن التزام الإنسان الطاعة في جميع تصرفاته تجعله في وضع فطري وشرعي في آن واحد، وخروجه عن الطاعة يجعله في مقام معاكس، ولقد وضح علال الفاسي هذا المعنى بقوله: «اتباع الطاعة في الأعمال الإنسانية تجعلها أعمالاً شرعية، والخروج عنها يجعل العمل الإنساني في إطار خارج عن الشريعة، ومن ثم فهو خارج عن الفطرة»^(١)، فالإنسان إذا ما حافظ على فطرته ظاهراً وباطناً يعيش في أحسن تقويم، وإذا انحرف عن مسارها يجد نفسه تهوي في خضخاض من التناقضات تفكيراً وسلوكاً، إلا إذا أنقذه إيمانه وعمله الصالح اللذان يتوقان دائماً إلى الاستيقاظ بعلاقة الإنسان الثابتة بالفطرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٦﴾ [التين: ٤ - ٦].

فالفطرة لا يكتفي سلطانها بممارسة دوره التوجيهي في أفعال الإنسان على الجانب الذي ينظمه القانون الفقهي فقط، بل يمتد نفوذها ليشمل حيز الأخلاق الخاصة بالمرء مع نفسه أو مع غيره، وذلك صيانة لهذا المكلف من الزلل، والانحراف،

(١) مقاصد الشريعة ومكارمها: ٨، ٧.

وهو يتحرك نحو غايته في هذا الوجود - تحصيل المنفعة الدنيوية المؤدية إلى المنفعة الأخروية - ولا تتجلى النزعة الفطرية لدى الإنسان في شيء بقدر ما تتجلى في نزوع هذا الكائن إلى تحقيق منفعة نفسه بالجملة في شقيها الدنيوي والأخروي، سواء كانت خاصة به دون غيره، أو عامة له ولغيره، وهذا العمل المزدوج للفطرة - تنظيم تصرفات الإنسان وأخلاقه وتحريكه نحو تحقيق المنفعة - أورثها سمة الاستقامة التي أهلتها لأن تكون مقياساً إسلامياً، يتبين به الطيب من الخبيث، والحلال من الحرام، لا يجيب أبداً من لجأ إليه، ويكون الخلق المنبجس منها، والقائم على أساس العمل لمرضاة الله سبحانه وتعالى معياراً لكل مصلحة يسعى نحوها الإنسان، أو يتسلل إليها من وراء الأحكام والقوانين الشرعية، ومن هنا يتضح أن الفطرة هي القاعدة التي شيد عليها صرح الفن الإسلامي، ويجب أن تكون الأساس الذي ينطلق منه المكلفون حتى تكون مقاصدهم من وراء تصرفاتهم موافقة لمقصد الشارع^(١).

وفي هذا السياق: «فلا انحراف في الإعجاب بالجمال بل هو الأمر الطبيعي الفطري الذي يعتبر غيابه نقصاً في الكيان البشري، ولكن عبادة الجمال هي الانحراف، وهو انحراف وثني لا تلجأ إليه الفطرة السليمة، التي تعبد الله خالق الجمال»^(٢).

وكما أن للفن هدفاً يسعى إليه، فإن له أيضاً باعثاً يدفع إليه، هذا الباعث يغذيه جذران، جذر يمتد في أعماق فطرة النفس، إذ من الفطرة التي فطرة عليها الناس،

(١) مقاصد: ٥٩، ٦٠.

(٢) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ٢٦٦.

السعي إلى الجمال، وجذر آخر يغذيه المنهج الإسلامي الذي يهدف إلى الجمال. وهكذا يلتقي ما تصبو إليه النفس البشرية بدافع من فطرتها مع ما يطلبه المنهج. إذن فالإنسان مدفوع إلى تحقيق الجمال بفنه، بباعث من رغبة النفس المفطورة على الجمال وباعث من أمر الشرع بإتقان العمل وإحسانه.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها في النهاية أن الفطرة هي الموجه للفنان تفكيراً وتصرفاً وأخلاقاً، وهي السمة الرئيسة للدين ووصفه الأعظم، فكانت العامل المشترك بين السماء والأرض، مما جعل استدعاءها كأساس للفن أمراً ضرورياً. والله أعلم.

٢ - الأساس العقدي والتوحيد السليم.

من المناسب جداً أن نفتح الحديث على هذه المسألة بكلمة قالها المفكر - أوليغ أربان - وهو يتحدث عن الدور المحوري للعقيدة الإسلامية في الفن الإسلامي: «إن الفن الإسلامي هو نقل بعدي لرؤية العقيدة الإسلامية الكونية»^(١).

ويقوم الفن الإسلامي على أساس عقيدة التوحيد، وعلى تصور شامل للإنسان والكون والحياة، ولذا فلا مجال فيه للباطل من وثنيات وخرافات وأوهام وأساطير^(٢). فلو أخذنا مثالا على هذا الرسم والتصوير، فإنه يجب علينا أن نقيم هذا العمل الفني من حيث دلالاته في الجانب العقدي فإن اتصلت الصورة بالأصنام كان التحريم هو السياق، وإن اتصلت بأماكن العبادة كما في صور إبراهيم ومريم في

(١) وعود الإسلام: رجاء غارودي، ١٥٣.

(٢) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٣٧.

الحرم^(١) كان التحريم واجبا أما فيما عدا ذلك كانت الصورة مقبولة رقما في ثوب أو نقش في ستر^(٢).

ولذلك نجد أن الخبر الذي رواه الأزرقى في تاريخ مكة من بقاء صورتي إبراهيم الخليل وصورة مريم بنت عمران على بعض جدران الحرم ودعائمه إلى عهد ابن الزبير^(٣) قد لقي رفضا من خلال أمر رسول الله ﷺ بطمسها عشية الفتح، ودحضا من قبل تقليد المسلمين كافة في شتى أصقاع الأرض يخلوا مساجدهم من الصور وردا من الفقهاء الذين رفضوا روايته مستندين بالحديث الشريف، عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يزعم «أن النبي ﷺ نهر عن الصور في البيت ونهى الرجل أن يصنع ذلك وأن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيه»^(٤)، لكن التسامح حيال الصورة خارج المسجد وأماكن العبادة يبرز واضحا في عدد من المناسبات في الحديث الشريف^(٥).

فالعقيدة الإسلامية بتعاليمها أمرا ونهيا أرادت النأي بالفن عن التجسيم والتشبيه، والابتعاد بالعقلية الإسلامية الناضجة والمستنيرة بنور الدين عن العقليات

(١) أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار: الأزرقى، ١/ ١١٠ - ١١٣.

(٢) إشكالية الصورة بين الفقه والفن: الدكتور نذير طعمة، ص ١١ بحث ضمن كتاب إشكالية التحيز في الفن والعمارة - تحرير عبد الوهاب المسيري.

(٣) أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار: الأزرقى، ١/ ١١٠ - ١١٣.

(٤) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٤٦١٠.

(٥) إشكالية الصورة بين الفقه والفن: الدكتور نذير طعمة، ص ١١ بحث ضمن كتاب إشكالية التحيز في الفن والعمارة - تحرير عبد الوهاب المسيري.

المنحرفة التي لم تفهم ولم تعي معنى الألوهية، فجسدتها في أصنام تعبد، ورمزت للآلهة في شكل رموز مقدسة، ولهذا نجد الأصنام في المعابد الوثنية والصوامع البوذية والبيع اليهودية والكنائس المسيحية، فاستخدمت تلك الدور التعبديّة الفن وسيلة لادخال الخوف والرهبّة في نفسية العابد، وذلك من خلال تماثيل الآلهة وصور ورسومات لمشاهد القيامة والجنة والنار، واستخدموا كذلك الأضواء والأصوات لإعطاء جو مخيف، وكل هذه الأدوات والوسائل تبعث الخوف والرهبّة، ولكنها وسائل خارجية، لا تولد الخشية والمحبة، فالخشوع والمحبة لا تتأتيا بتلك الوسائل الخارجية، بل يكون ذلك من داخل النفس البشرية من القلب والوجدان، ولهذا لا تجد تلك الوسائل والأدوات في المساجد الإسلامية^(١)، يقول الدكتور مصطفى عبده: «لقد ظهر الفساد في الفن عندما ظهر الفساد في العقيدة»^(٢) ويقول أيضا: «وعلى ضوء ذلك يمكن القول: أن الانعتاق الحقيقي للفن من الأسر الكهنوتي كان في القرن السابع الميلادي وذلك بظهور الإسلام وتحريمه للفن المستخدم في تعصيد العقائد المنحرفة والتي تخدم الوثنية وتنشد الإباحية»^(٣).

وقد جعل الشيخ رشيد رضا الأساس العقدي للفن الإسلامي هو العلة في التحريم لبعض مفردات الفن وعناصره التي تؤدي إلى انخراط الأساس العقدي للفن الإسلامي من خلال ملازمة الشرك، فهو يرى أن علة ما ورد من تحريم يتعلق

(١) انظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٧٤.

(٢) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٦٤.

(٣) الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ٢٤٧.

بصيانة العقيدة من لوازم الشرك وشعائره وعلى هذا حرم ما كان فيه التعظيم وما كان شعارا دينيا^(١).

وقد ذهب أكثر الباحثين الغربيين في الفن الإسلامي إلى تعليل وحدة الفن العربي، بوحدة العقيدة؛ قال كونل: «ولا شك أن وحدة العقيدة الدينية في العالم الإسلامي أقوى تأثيرا منها في العالم المسيحي؛ ذلك لأن الإسلام قضى على الفوارق الناشئة من اختلاف الأجناس والتقاليد، وعني بتوجيه شؤون الفكر والأداب والعادات في مختلف البلاد، وكان الأمر بنشر القرآن بلغته الأصيل العربية وحدها، مما جعل لها وللتعاليم القرآنية سيادة مطلقة في العالم الإسلامي كله، فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع الكثير من الفنون وازدهارها»^(٢).

إن العقيدة الإسلامية لم تطلب من الداخلين تحتها ولا أمرتهم أن يتخذوا صيغة فنية محددة وأن يجمدوا عليها، كما هو الحال في عقائد الأديان الأخرى، بل كل الذي قامت به هو أن أوقفت الفن المنحرف عقائديا وأخلاقيا، وتركت للناس الخيار في الممارسة الفنية فيما وراء ذلك، فالشريعة أوقفت كل فن خارج عن المنهج، وتركت للداخلين في المنهج حرية الاختيار، ولذلك واجه الإسلام الوثنية وحرم كل أدواتها، ومنها الفن المستخدم لهذا النوع من التعبد.

«وهكذا ابتعد الفن الإسلامي عن التجسيم واستخدم التجريد اللانهائي، وعمل الفنان المسلم من خلال العقيدة بواسطة المجردات، وبالابتعاد عن الماديات

(١) فتوى الشيخ رشيد رضا: مجلة منار الإسلام، التاريخ، ٣٠ ذو القعدة، ١٣٣٠، ص ٢٤ - ٢٦.
(٢) الفن الإسلامي. أرنست كونل ترجمة د. أحمد موسى ١١ - الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤٤.

ليس بطرحها كلياً بل بإيقافها عند حدود المعقول، فلا تكون الغلبة للماديات على الروحيات بل بإيجاد التوازن بين الروح»^(١).

ونختم هذا الأساس بقول المفكر الإسلامي رجاء غارودي: «إن للفن الإسلامي الإسهام الهائل الذي شارك به في الفن العالمي، والمشاركة العظمى التي يمكنه أن يؤديها لبناء مستقبل مشترك للبشر، إن هذا الفن كالعلوم وكالحياة الاجتماعية أو الفلسفة لا يمكن إدراكه إلا انطلاقاً من مبدأ نظام العقيدة الإسلامية»^(٢).

٣ - الأساس الأخلاقي.

إن الفن الإسلامي يجعل الأولوية للمبدأ الأخلاقي على المبدأ الجمالي، بمعنى أنه يجعل الثاني مرتباً على الأول ومرتباً به، وهذا هو الموقف المبدئي للإسلام إزاء جميع أشكال الفنون^(٣).

ومن ثم فإن الوصول إلى فن إسلامي سام وراق وهادف محلي بالأخلاق المطلوبة، يحتم على الفنان - أي فنان - أن يعمل بالطريقة الإنسانية الملتزمة بالقوانين العلوية، وأن يتصرف بالطريقة الملائمة لها، وليس بالطريقة الحيوانية المنحدرة عن مستوى الإنسانية والأدمية المكرمة في القرآن.

ومن هنا كان الجمال نوعان؛ جمال تريده النفس البشرية الغريزية، وهو الجمال عند عباد الشهوات الذي يشعل وقدة الغرائز الخسيسة، أما الجمال الآخر فهو ما

(١) انظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ٢٤٩.

(٢) وعود الإسلام: رجاء غارودي، ١٤٣ - انظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ٢٩٠.

(٣) شبهات المشككين: محمد حمدي زقروق، ١٣٥.

تحس به النفوس المطمئنة، وهو الجمال الذي يتصوره الإسلام، ويحث عليه، ويطلب به، فالله جميل يحب الجمال كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه؛ عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(١)، وإن في الكون جمالا فعند الإحساس بهذا الجمال الموجود في الفضاء الكوني ذي الرهبة الواسع ما يجعل المتأمل يقف خاشعا ويقع في حب الله قائلا: وإن من شيء إلا يسبح بحمده^(٢).

فمكارم الأخلاق هي الميزان الذي يحكم كل التصرفات البشرية ومن بينها الفنان، ويضبط إطارها العملي بين الإنسان وربّه وبين الإنسان ومجتمعه والآخرين، فمكارم الأخلاق هو واحد من الأسس الرئيسة التي يجب أن يركز عليها عمل الفنان حتى يكون عمله مقبولا عند الله ومقبولا في مجتمعه، مما يشجعه ويحفزه على المضي قدما في بناء صرحه الفني، وهو بذلك يخدم دينه ووطنه وحضارته.



(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب، تحريم الكبر وبيانه، ١/٩٣، حديث رقم: ٩١.

(٢) انظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٦٣.

خامسا: خصائص الفن الإسلامي

لعل خير وسيلة تعرفنا على الفن الإسلامي، هي الوقوف على خصائصه الذاتية، وسماته المميزة. ومن خلال ذلك، يمكننا استكمال صورته واضحة جلية، بعيدة عن كل غبش أو التباس.

ونستطيع إجمال أهم هذه الخصائص في النقاط الآتية:

١ - إن وحدة الفن هي السمة الرئيسية التي يتميز بها الفن الإسلامي - بكل أنواعه - على غيره من فنون الأمم الأخرى.

هذه الوحدة، التي تخطت عامل المكان فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين وامتدادها، كما تخطت عامل الزمان فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون، هذا ما قرره دارسو الفن الإسلامي:

وفي صدد الحديث عن ميزات الفن الإسلامي يقول الاستاذ أنور رفاعي: «إنه - أي الفن الإسلامي - ذو شخصية واحدة رغم تعدد مراكزه وتباعد أقطاره وظهور تأثيرات محلية فيه»^(١).

ويقول دومنغايم: «إنه رغم اختلاف الأقطار الإسلامية وابتعادها فإننا نلاحظ قرابة وشيجة لاتقطع بين لوحة الجص المنحوتة في قصر الحمراء، وصفحة من قرآن في مصر، وتزيين لوعاء من النحاس الفارسي»^(٢). ويقول غوستاف لوبون: «إنه

(١) النظم الإسلامية. تأليف أنور رفاعي، ٢٩٢ - الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤.

(٢) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤٢.

يكفي نظرة على أثر يعود إلى الحضارة العربية كقصر أو مسجد، أو على الأقل أي شيء، محبرة أو خنجر أو مغلف قرآن، لكي تتأكد من أن هذه الأشغال الفنية تحمل طابعا موحدًا، وأنه ليس من شك يمكن أن يقع في أصالتها، ليس من علاقة واضحة مع أي فن آخر، إن أصالة الفن العربي واضحة تماما»^(١).

ويؤكد الدكتور ديهاند هذه الظاهرة في كتابه «الفنون الإسلامية» فيقول: «قد يكون من الصعب في أغلب الأحيان أن نحدد بدقة الإقليم الذي يصح أن يرجع إليه من بين الأقطار الإسلامية الفضل في ابتكار نوع من أنواع الخزف، أو شكل معين من أشكال زخرفته، إذ أننا نلقى كثيرا هذه الأنواع والأشكال المختلفة بعينها في أقطار عديدة من العالم الإسلامي»^(٢)، ويقول أيضا: «أن التشابه بين الخزف المملوكي والخزف الإيراني يكاد يكون تاما، حتى أن بعض القطع المملوكية قد نسبت إلى إيران»^(٣).

ومظاهر هذه الوحدة ودلالاتها كثيرة ومتعددة، منها:

أ - انعدام الفرق بين الفن الذي خصت به المساجد وبين الفن الذي ساد الأماكن الأخرى سواء أكانت عامة أو خاصة، يقول أرنست كونل: «غير أن الاختلاف بين الفن لخدمة الدين والفن المدني ليس واضحا في البلاد الإسلامية ووضوحه في الغرب، وصحيح أن دور العبادة الإسلامية اتخذت أشكالا معمارية

(١) جمالية الفن العربي: عفيف بهنسي، ٦٩ - الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٣٧.

(٢) الفنون الإسلامية: الدكتور ديهاند، ترجمة، أحمد محمد عيسى، ١١.

(٣) نفس المصدر: ١١.

خاصة اقتضتها احتياجات العملية، ولكن زخرفتها لم تخرج عن القواعد المتبعة في العمارة المدنية»^(١).

ب - العامل الثاني في بناء هذه الوحدة هو اختفاء جنسية الفنان، وبقاء الإسلام هوية واحدة لكل فنان مسلم، يقول كونل: «وكان لتشجيع الحكام والكبراء أثر كبير في إزدهار العمارة وبعض فروع الصناعة، كما تشهد بذلك آثار كثيرة أقيمت طبقاً لرغباتهم وتوجهاتهم حسب اتجاهاتهم الثقافية، بغض النظر عن جنسية الفنانين الذين أقاموها لهم، ومن هنا يتعذر في الفن الإسلامي تقرير وجود اتجاه عربي أو فارسي أو تركي أو هندي موحد؛ لأن المماريين والصناع كانوا يستقدمون من مختلف البلاد الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها الثقافية للقيام بتلك الإنشاءات طبقاً لإرادة مستقدميهم وتوجهاتهم الخاصة»^(٢).

ج - وهناك مظاهر كثيرة أخرى تضافرت على إبراز هذه الوحدة منها؛ استبعاد رسم الإنسان، وعدم تقليد الطبيعة، والاهتمام بالزخرفة والتزيينات الهندسية، وعدم التفكير في إقامة التماثيل والأصنام^(٣).

ويرى الأستاذ بهنسي أن وحدة الفن كانت أوسع وأرسخ من وحدة اللغة التي يهتم بها الإسلام، ويحث عليها، إذ قال: «ولعل الفن الإسلامي أصبح أكثر وحدة من وحدة اللغة في شرقي أرض الإسلام، فعلى الرغم من بقاء لغات أخرى كالفارسية

(١) الفن الإسلامي. أرنست كونل ترجمة د. أحمد موسى ١١ - انظر: الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤٢.

(٢) نفس المرجع: ١٢.

(٣) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤٣.

والتركية والهندية إلى جانب اللغة العربية، فإن الفن الإسلامي لارتباطه بأيدولوجية واحدة حمل شخصية واحدة رغم اختلاف المذاهب والسلطات»^(١).

٢ - إن وظيفة الفن هي صنع «الجمال»، وحين يتعد الفن عن أداء هذه الوظيفة، فإنه حينئذ لا يسمى «فنا» ذلك أنه تخلى عن عمله الأصيل، وقد نسميه «مهارة» أو «دقة». والفن الإسلامي موكل «بالجمال». يتتبعه في كل شيء، وكل معنى في هذا الوجود. الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس، ولا ينحصر في قالب محدود، جمال الكون بنجومه وشموسه وأقماره وما بينها من تجاذب وارتباط، وجمال الطبيعة بما فيها من جبال وأنهار وأضواء وظلال وجوامد وأحياء. وجمال المشاعر بما فيها من حب وخير وطلاقة وارتفاع. وجمال القيم والأوضاع والنظم والأفكار والمبادئ والتنظيمات. كل ذلك ألوان من الجمال يحتفي بها الفن الإسلامي، ويجعلها مادة أصيلة للتعبير، بل هو يعرض الحياة كلها من خلال المعايير الجمالية، سواء بالسلب أو الإيجاب^(٢)، ويكفي في الدلالة على هذا المقام أن جعل الرسول ﷺ الجمال وصفاً لله عز وجل، وجعله أيضاً من الأشياء المحبوبة لله تعالى، فقد جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(٣)، وفي هذا السياق يقول الدكتور الترابي: «فالجمال

(١) الفن العربي الإسلامي تأليف د. عفيف بهنسي ص ٦ ط ١ دار فكر - الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي،.

(٢) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٣٩.

(٣) سبق تخريجه.

كان معتبرا والفن كان واردا في إطار الحياة الدينية المثلى، فالتماس الجمال وصناعته سنة مسنونة»^(١).

٣ - للفن في التصور الإسلامي غاية وهدف إذ كل أمر يخلو من ذلك فهو عبث وباطل، والفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون طعمة للعبث الذي لا طائل تحته^(٢).

٤ - إن الغاية التي يهدف الفن الإسلامي إلى تحقيقها، هي إيصال الجمال إلى حس المشاهد «المتلقي»، وهي الارتقاء به نحو الأسمى والأعلى والأحسن؛ أي نحو الأجل، فهي اتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والإنتاج، ورفض للهبوط^(٣)، فالإسلام إذن لم يكن يوما ضد الفن، ولكنه ضد الوثنية بأشكالها وأنواعها، وقد وقف وما زال يقف حائلا بين الإنسان وهبوطه لمهاوي الضلال والهلاك^(٤).

فالإسلام لم يمنع المسلم أن يعبر عن فكرته الفنية بأسلوبه الخاص، ولم يقيدتها عليه إلا من حيث ما تعبر عنه، قال الدكتور عبد الحلیم محمود: «أن المذاهب الفكرية والفنية ووسائل التعبير لا يقيدها الإسلام إلا من حيث ما تعبر عنه»^(٥).

٥ - للفن شخصيته المستقلة، فليس هو فرعا من الفلسفة، أو فرع من فروع العلم - وإن كان العلم هو بعض ما يحتاجه الفنان - ولذا فليس من مهمات الفن

(١) رسالة الفن: حسن الترابي، ١٨.

(٢) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٣٩.

(٣) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤٠.

(٤) انظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٤٧.

(٥) موقف الإسلام من الفنون: عبد الحلیم محمود، ٤٣.

البحث عن الحقيقة أو الكشف عنها. وحينما يطلب إليه ذلك فلقد حمل ما لا طاقة له به، فقد يحدث أن يكون الفن في بعض الأحيان طريقة لاكتشاف حقيقة ما، ولكن هذا ليس مهمة دائمة يكلف بها؟^(١).

إن الذين جعلوا اكتشاف الحقيقة من أغراض الفن، دفعهم إلى ذلك تصورهم الخاطيء عن تحديد مكانة الفن ومهمته.

٦- إن الفن الإسلامي ينبع من داخل النفس، فتجيش به العواطف والأحاسيس، فإذا به ملء السمع والبصر، وهو بهذا تعبير عن الالتزام وليس صدى لإلزام قهري أو أدبي^(٢).

٧- إن ساحة الجمال في الإسلام هي الوجود كله، وأن الإسلام أوصل الجمال إلى مجالات لم يعرفها من قبل، ونؤكد هنا أن ساحة الجمال نفسها هي ساحة الفن، وهي ساحة لا تضيقها الحدود، ولا تحصرها الحواجز، ذلك أنها مساحة منهج التصور الإسلامي^(٣).



(١) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٤٠.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

سادسا: الضوابط التي تحكم الفن الإسلامي

١ - الفن من التحسينات في السلم المقاصدي.

إن مرتبة الفن بالنظر إلى «أصول مقاصد الشريعة»^(١) ليست في مرتبة الضروري، ولا مرتبة الحاجي، بل هي في مرتبة التحسيني، وهذا التحديد لمرتبة الفن من جهة النظر الشرعي ضروري وأساسي، في تحقيق مناسبات وقائعه وتقرير الأحكام الملائمة لتصرفاته.

وقولنا بعدم دخوله في مرتبة الضروري؛ لأنه إذا فقدت بعض الفنون من المجتمع كالرسم والزخرفة والموسيقى والمسرح مثلا، فإنه لا يؤدي إلى جريان مصالح الدنيا على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران الميين».

وكذلك عدم دخوله في الحاجي: لأنه إذا انعدمت تلك العناصر الفنية لا تؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، وإذا لم تراعى تلك العناصر لا يدخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة.

ولما كانت مرتبة التحسيني تتعلق بجلب مكرمة أو دفع نقيض لها، وبها يحصل كمال حال الأمة في نظامها، حتى تعيش آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع

(١) لاحظ العلماء من خلال تتبعهم لأحكام الشريعة، واستقراء تصرفاتها في تلك الأحكام أنها دائرة حول أصول ثلاثة: هي الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وهي لا تتخلف عن تحقيق جزئي منها ما وجدت المسلك إلى تحصيله، اللهم إلا إذا عارض ذلك معارض، من جلب منفعة عظيمة، أو دفع مفسدة كبرى.

في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج فيها، أو في التقرب منها، كان هذا المقام الأجدر بالمنظومة الفنية والأليق بعناصرها. من حيث إفضاء الجمال على الأمة، وتقوية الرغبة في نفوس الغير المنتمين إليها بتقليد أعمالها.

٢ - الفن وسيلة لا غاية.

إن الإسلام لا يلتفت إلى المقولة القائلة: «الفن للفن» ولكنه ينظر للفن على أنه وسيلة لا مقصد، وتشرف هذه الوسيلة بشرف المقصد الذي تؤدي إليه.

ولما كان الحق والفضيلة والعدالة والجمال وسبل الخير مقصودة للشريعة، وجعلها الإسلام غايته ومطلبه في سياسة المجتمع الإسلامي، كان لزاماً إيجاد الوسائل المتنوعة الموصلة إليها، إلا أن هذه الوسائل ليست على وزان واحد في تحصيل تلك المقاصد والغايات والمطالب من جهة أو صافها، فهناك الأعلى الذي يوصل إلى أعلى المقاصد، وهناك الأدنى الذي يوصل إلى أدناها، والمتوسط منها متوسط فيها، وبناء على ذلك قرر علماءنا هذه القاعدة: «إن الوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والمتوسطة متوسطة، والمقاربة قد يختلف في إلحاقها بالمفضي»^(١).

كما أن تلك الوسائل تعترها الأحكام الخمسة من جهة الشرع فمنها الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، إلا أن هذه الأحكام الخمسة التي تتقلب الوسائل في منازلها ليس من جهة استقلال تلك الوسائل بالحكم في ذاتها، وإنما من

(١) وانظر ابن عاشور: مقاصد الشريعة، ص: ١٤٥.

جهة تبعيتها لأحكام المقاصد الموصلة إليها، فلذلك لم يقع التحريم على الفن كفن، بل على الفن كوسيلة من وسائل الوثنية فتحريم التماثيل لم يكن لأجل اشتغالها على مفسدة في ذاتها ولكن لكونها كانت ذريعة للإشراك بالله تعالى المحرم قطعاً، وبناء عليه فقد قرر علماءنا في باب الوسائل والمقاصد قاعدتين عظيمتين تنظم العلاقة بينهما، وتحدد موقع الآثار المترتبة على تلك العلاقة من أحكام الشريعة، فقالوا: «الوسائل تتبع المقاصد في أحكامها»^(١)، «مراعاة المقاصد مقدّمة على رعاية الوسائل»^(٢).

ويتفرع على الأصل الذي سبق ذكره أربع قواعد يجب على المتعاطي للفن الإسلامي أن يضعها نصب عينيه، وعلامات مضيئة تنير له طريقه ومسيرته، وهذه القواعد هي:

أ - الوسيلة إلى الواجب واجبة، ومنها جاء قولهم: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(٣). ويتبع هذا القول: أن الوسيلة إلى المندوب مندوبة أيضاً.

ومما يدخل في هذا الباب بعض عناصر الفن ومفرداته؛ مثل: الرسم والخط والتصوير والتشكيل من الوسائل الأكثر تأثيراً في العملية التعليمية من غيرها من الوسائل الأخرى؛ وذلك لارتباطها الوثيق بالكلمة، وليس هذا بالأمر الجديد ولكنه قديم قدم الوظيفة التعليمية نفسها.

(١) القرافي: الفروق، ج: ١، ص: ١١١ - المقري: القواعد، مخطوط، الورقة ١٢٠ وجه - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: القواعد والأصول الجامعة، ص: ٢٥ - ابن عاشور: مقاصد الشريعة، ص: ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه: الوجه ٨٣.

(٣) ابن السبكي: الأشباه والنظائر، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ج: ١ ص: ١٢٠ - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: القواعد والأصول الجامعة، ص: ٣٦.

ومع تطور المجتمعات الإنسانية وتقدم المدنية توسع ميدان هذه الوسائل
توسعا كبيرا، وتطور تطورا غير مسبوق في استعمال تلك الوسائل بأنواعها الثابت
والمتحرك والملون، فأصبحت تلك العناصر أدوات لا يمكن الاستغناء عنها في
العملية التعليمية.

وقد استعمل الرسول ﷺ بعض تلك الأدوات في تعليم أصحابه رضي الله
عنهم وتلقينهم تعاليم الدين الجديد، فاستعان بأداة الرسم في ذلك، فعن
عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ «أَنَّ خَطَّ خَطًّا مَرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا وَسَطًا
الْمَرَبَّعَ، وَخَطَّوْطًا إِلَى جَنْبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمَرَبَّعِ، وَخَطَّ خَارِجًا مِنْ
الْخَطِّ الْمَرَبَّعِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
«هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخَطُّوْطُ الَّتِي إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، إِنْ أَخْطَأَ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمَرَبَّعُ الْأَجْلُ الْمَحِيطُ، وَالْخَطُّ
الْخَارِجُ الْأَمْلُ»^(١).

وعن أبي وائل قال قال عبد الله بن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا،
فقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال: هذه سبل على
كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]^(٢).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، رقم الحديث: ٤٢٣١.

(٢) مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصحابة: مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ٤/ ١٥٦ -
سنن الدارمي: المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، ١٤١.

ويتبين مما سبق كيف أنه ﷺ استعمل الخط والرسم كوسيلة إيضاح وبيان واستعان بها على الوصول إلى التصور الذهني الذي أراد بقاءه واضحا جليا في فكر أصحابه من بعده،^(١) فهو رسم توضيحي وتعليمي ووسيلة تربوية استخدم فيها الرسول ﷺ الخطوط المجردة ليقرب المعاني للسامع عندما يتخيل تلك الخطوط، أو للرأي الذي كان مع الرسول ﷺ فسمع ورأى من خلال وسائل سمعية ومرئية، وهو استخدام لمفردات من مفردات الفن للاستدلال بها على معاني مجردة بواسطة رسوم تجريدية^(٢).

إذن فالصور والرسوم واللعب المجسمة كوسيلة تعليمية أمر يقره الإسلام بل يدعو إليه، فهو من باب إحسان العمل الذي طالب به الإسلام، وهذا ما يفسر لنا عدم تخرج المسلمين في الرسم التعليمي، حتى ولو كان تشبيها، وهكذا حفلت كتب الأطباء والصيادلة والبيطريين والفلكيين والجغرافيين والرحالة وغيرهم بالرسوم، ولا تخرج عن ذلك كتب الأدب التي زينت بالرسوم^(٣).

ومما يندرج في هذا السلم ما أخرجه البخاري؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي - الله ﷺ - أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم فقبل له إنهم لا يقبلون كتابا إلا عليه خاتم فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله فكأنني بوبيص أو ببصيص الخاتم في إصبع النبي ﷺ أو في كفه^(٤)، وجاء في رواية

(١) الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٢٥١.

(٢) انظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٥٥.

(٣) انظر: الفن الإسلامي التزام وإبداع: صالح أحمد الشامي، ٢٥٣.

(٤) صحيح البخاري: كتاب: اللباس، باب: نقش الخاتم، ٥/ ٢٢٠٤، الحديث رقم: ٥٥٣٤.

مسلم: «أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، فقيل: إنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم،» فصاغ رسول الله ﷺ خاتما حلقتة فضة، ونقش فيه محمد رسول الله^(١).

فلما اقتضى مقام السياسة والإمامة أن يتخذ رسول الله ﷺ خاتما نقش عليه اسمه فعل ذلك مع وجود النقش، وهو نوع من أنواع الفن؛ لأن الأمر متعلق بمصلحة عليا راجعة إلى الأمة فلزم رعايتها.

ب - الوسيلة إلى الحرام حرام، ومنها جاء قولهم: ما أفضى إلى الحرام فهو حرام^(٢)، ويدخل في هذه القاعدة: أن ما أدى إلى المكروه فهو مكروه أيضاً، ولذلك لما كان الشرك بالله تعالى من أكبر الكبائر، وأن الله يغفر كل شيء إلا أن يشرك به، لعظم ذلك الجرم، فكانت كل وسيلة تؤدي إليه محرمة أيضاً، ويجرم اتخاذها من قبل المسلمين، وبناء على ذلك اتفق الفقهاء على تحريم اتخاذ ما له ظل من تماثيل ذوات الروح إذا كانت مستكملة الأعضاء التي لا يعيش ذو الروح بدونها وعلى كراهة ما عدا ذلك مثل التماثيل المنصفة، ومثل الصور التي على الجدران وعلى الأوراق والرقم في الثوب ولا ما يجلس عليه ويداس. وحكم صنعها يتبع اتخاذها^(٣)، وفي

(١) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب: في اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم، ١٦٥٧/٣، حديث رقم: ٢٠٩٢.

(٢) ابن السبكي: الأشباه والنظائر، ج: ١ ص: ١٢٠ - الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حاجي، ج: ٥ ص: ٢٥ - ابن ناصر السعدي: القواعد والأصول الجامعة، ص: ٣٥ - ٣٦.

(٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ١٦٢/٢٢.

الجملة تحرم كل أنواع الفنون التشكيلية وغيرها التي تستخدم في الدعوة الوثنية، أو في الشرك أو التقديس، أو للهبوط بالقيم الإنسانية، أو للخروج عن المنهج الإلهي، أو الانحراف عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

ولم تكن التماثيل المجسمة محرمة الاستعمال في الشرائع السابقة، وقد حرّمها الإسلام لأن الإسلام أمعن في قطع دابر الإِشراك لشدة تمكن الإِشراك من نفوس العرب وغيرهم. وكان معظم الأصنام تماثيل فحرّم الإسلام اتخاذها لذلك، ولم يكن تحريمها لأجل اشتغالها على مفسدة في ذاتها ولكن لكونها كانت ذريعة للإِشراك^(١).

ج - قد تكون وسيلة الحرام غير محرمة إذا أفضت إلى مصلحة راجحة^(٢)، ومثاله جواز استخدام الصور والمجسمات في التربية والتعليم ولعب الأطفال لرجحان جهة المصلحة فيه على جهة المفسدة التي بنيت عليها الحرمة وهو ما أكدته النصوص النبوية التي سبق ذكرها.

د - قال ابن عاشور: وقد تعدد الوسائل إلى المقصد الواحد فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها أقوى تلك الوسائل تحصيلاً بالمقصد المتوسل إليه، بحيث يحصل كاملاً، راسخاً، عاجلاً، ميسوراً، فتقدمها على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل، وهذا مجال متسع صدق فيه نظر الشريعة إلى المصالح وعصمتها من الخطأ والتفريط، وإذا قدرنا وسائل متساوية في الإفضاء إلى المقصد باعتبار أحواله كلها،

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ٢٢/١٦٢.

(٢) المقرئ: القواعد، ج: ٢، ص: ٣٦٤.

سوت الشريعة في اعتبارها وتخيير المكلف في تحصيل بعضها دون الآخر، إذ الوسائل ليست مقصودة لذاتها^(١).

٣ - معيار الحكم على الفن.

إن المعيار الإسلامي للحكم على أي فن من الفنون يتمثل في قاعدة تقول: حَسَنُهُ حسن وقبيحه قبيح^(٢).

ومن هنا لا يعقل أن يرفض الإسلام الفن إذا كان جميلاً. أما إذا اشتمل على القبح بما يعنيه ذلك من قبح مادي ومعنوي فإن الإسلام يرفضه ولا يوافق عليه.

وترتيباً على ما تقدم فإن الفن إذا كان هدفه المتعة الذهنية، وترقيق الشعور، وتهذيب الأحاسيس، فلا اعتراض عليه. ولكن إذا خرج عن ذلك وخاطب الغرائز الدنيا في الإنسان، وخرج عن أن يكون فناً هادفاً فإنه حينئذ لا يساعد على بناء الحياة، بل يعمل على هدمها، وبذلك يخرج عن أن يكون فناً، بل يصير نوعاً من اللهو المذموم والعبث المرفوض. وهذا أمر لا يقره الإسلام^(٣).

٤ - كراهية تصوير الكائنات الحية.

كان رسم الكائنات الحية سائداً في الوطن العربي قبل الإسلام بغض النظر عن بعده عن المحاكاة أو القرب منها، ولما أشرق الإسلام بنوره على العالم، وأبطل عبادة الأصنام وقضى عليها وعلى كل ما يتصل بها من العبادات والعادات، إلى جانب ما حملته العقيدة الجديدة من تعاليم صارمة وحاسمة في التعامل مع كل مظاهر الشرك

(١) ابن عاشور: مقاصد الشريعة، ص: ١٤٩.

(٢) شبهات المشككين: محمد حمدي زقروق، ١٣٥.

(٣) شبهات المشككين: محمد حمدي زقروق، ١٣٥.

والوسائل المستخدمة فيه، ومنه جاء أمر تحطيم الأصنام وإزالة كل مظاهر الشرك بمقام الألوهية، وانطلاقاً من هذه التعاليم الجديدة التي جاء بها الإسلام، انتقل الناس مما عهدوا إلى ما وجدوا، فنشأت في نفوسهم كراهية طبيعية لكل عمل فني يذكرهم بذلك الماضي البغيض، والشرك بالله الواحد القهار، وقد كانت الاستجابة لتلك التعاليم الجديدة استجابة يئس معها الشيطان أن يعبد بتلك الأرض فما بالك بالحجارة والخشب.

وبالرغم من أن القرآن الكريم لم يرد فيه نص صريح يمنع الفنان المسلم من تصوير الكائنات الحية، إلا أن السنة النبوية حسمت ذلك في جملة من النصوص الصريحة والواضحة منها:

عن مسلم قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير فرأى في صفتة تماثيل فقال سمعت عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون»^(١).

عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتكم»^(٢).

عن أبي زرعة سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»^(٣).

(١) سبق تخريجه:

(٢) سبق تخريجه:

(٣) سبق تخريجه:

عن سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ قَتَادَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ، وَلَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى سُئِلَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»^(١).

فهذه النصوص توضح بجلاء بأن الإسلام كان صارماً وحاسماً مع الفن عندما يمس الفن بأركان العقيدة ويتصادم معها، ويقوض أساس التوحيد ويهدم قواعده، كاستخدام الفن من خلال النحت كأداة في صنع أصنام تعبد، وفي تجسيد للآلهة التي يشرك بها، أو تكريم لأنفس مقدسة سواء في السلم أو الحرب؛ لذلك حطم رسول الله ﷺ الأصنام المنحوتة وغير المنحوتة باعتبارها دعوة للوثنية، كما فعل ذلك نبي الله إبراهيم قبله؛ قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾^(٩١) مَا لَكُمْ لَا نُنطِقُونَ^(٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿[الصفات: ٩١-٩٣]، بل حرم ﷺ الفن المستخدم في تثبيت أركان الدعوة الوثنية وتقديسها، كما حرم الفن التجسيمي؛ لأن فيه مضاهاة وتشبيها لأنفس لا تملك من أمرها نقيراً ولا قطميراً، فضلاً عن أن تملك من شؤون غيرها شيئاً.

ولم تكن التماثيل المجسمة محرمة الاستعمال في الشرائع السابقة، فقد كان النحاتون يعملون لسليمان - عليه السلام - صوراً مختلفة كصور موهومة للملائكة وللحيوان مثل الأسود، فقد كان كرسي سليمان محفوراً بتماثيل أسود أربعة عشر كما وصف في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول. وكان قد جعل في الهيكل جابية

(١) سبق تخريجه:

عظيمة من نحاس مصقول مرفوعة على اثنتي عشرة صورة ثور من نحاس، لكن الإسلام قد حرمها؛ لأن الإسلام أَمَعَن في قطع دَابِر الإِشْرَاك لِشِدَّة تَمَكَّن الإِشْرَاك من نفوس العرب وغيرهم. وكان معظم الأصنام تماثيل فحرّم الإسلام اتخاذها لذلك، ولم يكن تحريمها لأجل اشتغالها على مفسدة في ذاتها ولكن لكونها كانت ذريعة للإشراك. واتفق الفقهاء على تحريم اتخاذ ما له ظلّ من تماثيل ذوات الروح إذا كانت مستكملة الأعضاء التي لا يعيش ذو الروح بدونها وعلى كراهة ما عدا ذلك مثل التماثيل المنصفة ومثل الصور التي على الجدران وعلى الأوراق والرقم في الثوب ولا ما يجلس عليه ويداس. وحكم صنعها يتبع اتخاذها^(١).

وقد أفتى شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بأن التصوير الضوئي والرسم لا بأس بهما متى كان ذلك لأغراض علمية، ومفيدا للناس، وخلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ومظنة التكريم وإثارة الغرائز، وحرّم النحت الذي يكون تمثالا كاملا للإنسان أو الحيوان، وأجاز إقامة المتاحف؛ لأنها لحفظ التراث وآثار الأمم السابقة، ولأنها وسيلة لدراسة تاريخهم علميا وسياسيا وحربيا وأخذ النافع منها، وإقامة المتاحف ضرورة حضارية وتحرم الصلاة في مكان تجميعها^(٢).

ويرى الشيخ محمد عبده أن التصوير إذا لم يمس بالعقيدة والأخلاق لا شيء فيه؛ حيث يقول في ذلك: «وبالجمله يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن

(١) التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ٢٢/١٦٢.

(٢) انظر: منبر الإسلام: العدد ١٠، ص ٣٨، ذو القعدة ١٤٠٠ هـ، ص ٤٠ - وانظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٦١

تحرّم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد التحقق أنه لا خطر منه على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل»^(١).

وقال الشيخ عطية صقر بعد أن ذكر الأحكام المتعلقة بالنحت والتصوير: إن المسألة اجتهادية لا يقطع فيها بحكم ويراعى في ذلك النية الباعثة والأثر المترتب عليه»^(٢).

ويرى نذير طعمة: أن الصورة إذا كانت لا تتناول ثوابت العقيدة وكان المعيار هو مصلحة الإسلام والمسلمين، وجب علينا فقهاء وفنانين ومفكرين أن نعيد النظر من الصورة وفقا لهذا المعيار^(٣).



(١) الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه: أبو صالح الألفي، ٨٤.
 (٢) انظر: منبر الإسلام: العدد ١٠، السنة ٤٠، ذو القعدة ١٤٠٢ هـ، ص ٤٠، ٤٢ - وانظر: الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: مصطفى عبده، ١٦٣.
 (٣) إشكالية الصورة بين الفقه والفن: الدكتور نذير طعمة، ص ١١ بحث ضمن كتاب، إشكالية التحيز في الفن والعمارة - تحرير عبد الوهاب المسيري

الخاتمة

إن مهمة الفنان في عصرنا الحاضر الذي يتردى في مهاوي الهلاك عسيرة جدا؛ لتداخل الحلال بالحرام، ولم يعد الأمر بينا كما عهدته أهل خير القرون، واختفاء منطقة الشبهات التي تنذر الداخل فيها بأنه يوشك أن يقتحم الحرام، وعليه فيجب علينا جميعا إعادة النظر في المنظومة الفنية بكاملها، والعودة بها إلى مسارها الحقيقي والطبيعي المنسجم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن نجعل منها طريقا للهداية لا طريقا للضلال.

فعندما حطم رسل الله ﷺ الأصنام، ومنع الفن المستخدم في ممارسة الوثنية، اتجه الفن نحو وجهته الصحيحة لتحقيق إنسانية الإنسان، ولهذا فلا بد من ممارسة الفن إما تعبيرا أو تذوقا؛ لأن الشعور بالجمال صفة إنسانية.

فالفن إذن هو فعل إنساني والجمال مصدر إلهي، والفن يرتقي ويسمو بالإنسان والجمال بفيض من الرحمن، والإنسان يحس بالجمال على حسب ترقيه في المراتب الإنسانية؛ ليتلقف الأنوار الإلهية.

إنه يجب علينا أن ننظر للفن الإسلامي على أنه لقاء كامل بين إبداع الموهبة ونتاج العبقرية وبين دقة الصنعة ومهارة التنفيذ وحسن الإخراج، بل هو اجتماع بين الذكاء المتقد وبين الخبرة والإتقان، وبهذا يصل الفن إلى ذروة الجمال، إن أحد العنصرين - الموهبة والخبرة - قد يصل بنا إلى إنتاج فني، ولكنها معا يصلان بنا إلى جمال فني.



قائمة المصنّاور

أولاً: الكتب.

أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.

١ - سنن النسائي الكبرى: تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤١١ - ١٩٩١ م.

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: ٣٩٥ هـ.

٢ - معجم مقاييس اللغة: المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

الأزرقى.

٣ - أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار: تحقيق رشدي الصالح ملحق، مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ط: ٣.

أنور الجندي.

٤ - كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم: دار الإعتصام، ١٩٨٤ م.

أنور الرفاعي.

٥ - تاريخ الفن عند العرب والمسلمين: دمشق: دار الفكر، ط: ٢، سنة ١٩٧٧ م.

البخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله الجعفي.

- ٦ - صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة
مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
بركات محمد مراد.
- ٧ - الإسلام والفنون: الشارقة: دائرة الإعلام والثقافة، ٢٠٠٧ م.
البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي المتوفى: ٥١٦ هـ.
- ٨ - شرح السنة: تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، دمشق،
بيروت: المكتب الإسلامي، ط: ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
الترمذي: محمد بن عيسى، أبو عيسى السلمي.
- ٩ - الجامع الصحيح سنن الترمذي: تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت:
ادار إحياء التراث العربي.
- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس، ت: ٧٢٨ هـ.
- ١٠ - مجموع الفتاوى: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المغرب، مكتبة
المعارف.
- الرجاني: عبد القاهر.
- ١١ - التعريفات: ط: ٢، دار الكتاب العلمية: بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
الجوهري: إسماعيل بن حماد، ت: ٣٩٣ هـ.
- ١٢ - الصّحاح: تحقيق أحمد عبدالغفور عطار مصر: مطابع دار الكتاب العربي.

- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ.
- ١٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري: أشرف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي،
ومحب الدين الخطيب، مصر: المطبعة السلفية ومكتبتها.
- الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد،
التميمي السمرقندي ت: ٢٥٥ هـ.
- ١٤ - سنن الدارمي: المحقق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر: بيروت، ط: ١،
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي
السجستاني ت: ٢٧٥ هـ.
- ١٥ - سنن أبي داود: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- ١٦ - سنن أبي داود: المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة
العالمية، ط: ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- رجاء غارودي.
- ١٧ - وعود الإسلام: ترجمة ذوقان قرقوط، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط: ١، سنة
١٩٩٤ م.
- الزرقا: أحمد.
- ١٨ - شرح القواعد الفقهية: راجعه وصححه عبد الستار أبو غدة، بيروت: دار
الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

الزنجشري: محمود بن عمر جارالله، ت: ٥٢٨ هـ.

١٩ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ.

ابن السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، ت: ٧٧١ هـ.

٢٠ - الأشباه والنظائر، تحقيق عادل أحمد عبد الوجود وعلي محمد عوض، بيروت:

دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

صالح أحمد الشامي.

٢١ - الفن الإسلامي التزام وإبداع: دمشق: دار القلم، ط: ١، سنة ١٤١٠ هـ -

١٩٩٠ م.

أبو صالح الألفي.

٢٢ - الفن الإسلامي أصوله فلسفته مدارسه: مصر: دار المعارف.

ابن عاشور: محمد الطاهر، ت: ١٣٩٤ هـ.

٢٣ - مقاصد الشريعة الإسلامية، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر:

المؤسسة الوطنية للكتاب، ط. ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٤ - التحرير والتنوير: تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.

٢٥ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس: الشركة التونسية للتوزيع،

ط. ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

عبد الحلیم محمود.

٢٦ - موقف الإسلام من الفن والعلم: القاهرة: دار الشعب، سنة ١٣٩٩ هـ.

عبد الرحيم فارس أبو علبة.

٢٧ - شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: رسالة مقدمة لنيل درجة

العالمية، في الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية ١٤٢٦ هـ

- ٢٠٠٥ م.

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: ٢٤١ هـ.

٢٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث: القاهرة،

ط: ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

علال الفاسي.

٢٩ - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية.

القرافي: شهاب الدين أحمد بن إدريس، ت: ٦٨٤ هـ.

٣٠ - الفروق: القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط. ١، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٦ م.

ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت: ٢٧٣ هـ.

٣١ - سنن ابن ماجه: المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد

كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية: ط: ١، ١٤٣٠ هـ -

٢٠٠٩ م.

م، س، ديمانـد.

٣٢ - الفنون الإسلامية: ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم أحمد فكري،
مصر: دار المعارف.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر /
محمد النجار.

٣٣ - المعجم الوسيط: دار الدعوة.

محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كُرد علي ت: ١٣٧٢ هـ.

٣٤ - خطط الشام: دمشق: مكتبة النوري، ط: ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

محمد عبد السلام الكفافي.

٣٥ - في أدب المقارن: بيروت: دار النهضة العربية، ط: ١، سنة ١٩٧٢ م.

محمد علي أبو ريان.

٣٦ - فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة: دار المعرفة الجامعية، ط: ٥.

محمد شكر الجبوري.

٣٧ - الخط العربي قيم ومفاهيم والزخرفة الإسلامية: الأردن: دار الأمل للنشر

والتوزيع.

مصطفى عبده.

٣٨ - الدين والإبداع أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي: القاهرة: مكتبة مدبولي،

ط: ٣، سنة ١٩٩٩ م.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت: ٢٦١هـ.

٣٩ - صحيح مسلم: المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي:

بيروت.

المقري: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ت: ٧٥٨هـ.

٤٠ - القواعد: تحقيق: أحمد بن عبد الله بن حميد، مكة المكرمة: معهد البحوث

العلمية وإحياء التراث، ط. ١.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي

الإفريقي ت: ٧١١هـ.

٤١ - لسان العرب: دار صادر: بيروت، ط: ٣، ١٤١٤ هـ.

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت: ٣٩٣هـ.

٤٢ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار

العلم للملايين: بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

نذير طعمة.

٤٣ - إشكالية الصورة بين الفقه والفن: بحث ضمن كتاب إشكالية التحيز في

الفن والعمارة - تحرير عبد الوهاب المسيري.

أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق.

٤٤ - أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار: بيروت: مكتبة الخياط،

ط: ١، ١٩٦٤ م.

الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى، ت: ٩١٤هـ.

٤٥ - المعيار المعرب الجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب:
خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حاجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط. ١،
١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م.

ثانيا: المجلات.

٤٦ - أحمد حسن الزيات باشا ت: ١٣٨٨هـ، مجلة الرسالة: الأعداد: ١٠٢٥
عددا على مدار ٢١ عاما.

٤٧ - عفيفي بهنسي: جمالية الفن العربي، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٤، سنة
١٩٧٩ م، تصدر بالكويت.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

الفرص الاستثمارية للفنون الإسلامية رؤى استشرافية وتجارب معاصرة

إعداد

د. عبد الحلیم مناع العدوان

أستاذ مشارك / نائب عميد كلية الفنون والعمارة الإسلامية

جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المُقَدِّمَة

الحديث عن العلاقة بين الفن والفقهِ والاقتصاد لم يصبح حديثاً مألوفاً في الأوساط والفعاليات العلمية بعد، على الرغم من كون هذه العلاقة العضوية الحميمة حقيقة قائمة ومدركة وناشطة بقوة في الأوساط الاجتماعية المتنوعة وفي الفعاليات الحياتية المختلفة؛ حيث كثيراً ما تعرض المعارض والمزادات والمتاحف والمكتبات المحلية العالمية للبيع والشراء تحفاً ولوحات ومخطوطات ومسكوكات وغير ذلك من المشغولات اليدوية والمصنوعات الإبداعية والأعمال الفنية التي تقدر قيم بيعها وشرائها بمبالغ مالية كبيرة نوعاً ما، لاسيما وإن أعمال الفنون الإسلامية وآثارها الجميلة والنافعة قد أصبحت اليوم من أنفس المقتنيات الإنسانية قيمة ثقافية واجتماعية واقتصادية عالية التقدير، حيث يعد إنتاجها واقتنائها وتداولها جاذباً قوياً للاستثمار الثقافي (بأوجهه المختلفة التربوية والتعليمية والسياحية والترويجية وغيرها) بسبب طبيعتها المعرفية القائمة على الابتكار الإنساني والسعادة الاجتماعية، وجاذباً قوياً للاستثمار الاقتصادي بسبب خاصيتها النفعية المفيدة القائمة على طبيعتها الوظيفية الجامعة بين الجمال والاستعمال.

ومن هنا؛ نحاول في هذه العجالة البحثية المتواضعة أن نسبر أغوار الاستثمار الاقتصادي للفنون الإسلامية، وذلك من خلال تحليل بنيتها المعرفية القائمة (أولاً وقبل كل شيء) على أصول الفقهِ ومقاصد الشريعة، ومن خلال استشراف الرؤى الاقتصادية الإسلامية المرجعية الضابطة لعمليات الاستثمار المحتملة في المجالات الوظيفية المتنوعة للفنون الإسلامية.

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية: فنحاول أن نتعرف على بعض الفرص الاستثمارية الفردية والجماعية الممكنة في الوقت الحاضر وفي المستقبل لهذه الفنون.

وللتمثيل على ذلك، تركز هذه العجالة البحثية المتواضعة على فن الخط العربي الإسلامي مجالاً معرفياً اقتصادياً واسعاً للاستثمار الوظيفي في مجالات الحياة الإنسانية وأنماطها المختلفة؛ مثلاً نظرياً وعملياً على الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي.

■ مفهوم الاستثمار المعرفي وأفاقه الاقتصادية:

يعرف علماء التنمية والاقتصاد والعمران والسياسة والإعلام والثقافة والترويج والسياحة وغير هذه المجالات المعرفية التي غالباً ما يكون الابتكار الإنساني والسعادة الاجتماعية مقوماً أساسياً وهدفاً هاماً فيها؛ الاستثمار الاقتصادي بأنه ذلك التخطيط العلمي والتنفيذ المنهجي للمشروعات التنموية الشاملة التي تعتمد عن استغلال كافة الموارد والطاقات المادية والبشرية المتوافرة والمتاحة، وتنشيطها بالتعليم والتدريب والتأهيل المستمر، لتحقيق زيادات إنتاجية مستقبلية متواصلة في مجالات الإنتاج والدخل والتنمية والرفاه والأمن والعيش الكريم.

وإذا كانت أهمية الاستثمار وجدواه المباشرة تقوم على مبدأ خلق فرص العمل المتعددة والمتواصلة والكفيلة بتحقيق أهداف الاستثمار الإنسانية الخاصة والاجتماعية العامة؛ فإن طبيعة هذا الاستثمار أصبحت تقوم على نوعين من المجالات والفرص الاستثمارية؛ وهما:

أ) المجالات والفرص التقليدية المتمثلة في المشروعات والأعمال والممارسات الاقتصادية المتعلقة بقطاعات العمل والإنتاج التجارية والصناعية والزراعية الواضحة والمعروفة في طبيعتها المادية المباشرة.

ب) المجالات والفرص غير التقليدية المتمثلة في المشروعات والأعمال والممارسات المعرفية المتعلقة بقطاعات التربية والتعليم والإعلام والسياحة والثقافة والفنون غيرها من القطاعات الاعتبارية والمعنوية في طبيعتها المادية غير المباشرة.

إن هذه المجالات والفرص الاستثمارية كلها تصب في بوتقة واحدة هي بناء الصورة الحضارية وتعزيز الهوية الثقافية للإنسان والمجتمع، ولكن الاستثمار المعرفي يتميز بأنه العصب الحيوي المزدوج لكل من اقتصاد السوق واقتصاد المعرفة الذي يقوم؛ في خصوصيته على الذكاء والإبداع والابتكار والمعرفة الفنية والمعلومات، بحيث تُصبح المعرفة هي المحرك الرئيس لهذا النوع من الاقتصاد من حيث كونها: السلعة المعروضة والمنتج المتداول.

لقد صار اقتصاد المعرفة فرعاً جديداً من فروع علم الاقتصاد، وهو يقوم على فهم جديد أكثر عمقاً لدور المعرفة ورأس المال البشري في تطور الاقتصاد وتقدم المجتمع. وصار الاستثمار المعرفي العمود الفقري لهذا الفرع العلمي الذي أصبح تعريف الاستثمار المعرفي فيه يقوم على كونه: الاستثمار الكلي للموارد والطاقات والإمكانات والأفكار والمعلومات التنموية الشاملة؛ البشرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية^(١).

(١) ينظر: الاقتصاد المعرفي؛ نمط اقتصادي جديد، باسم غدیر، حلب (سوريا): دار شعاع، ٢٠٠١، ص ٤٦.

ولعل أوضح مجالات الاستثمار المعرفي وأفضلها على الإطلاق: التربية، والتعليم، والصحة، والإعلام، والسياحة، والفنون التي يمكن عدها - بكل بساطة - عصباً معرفياً لكثير من هذه المجالات؛ فهو شكل من أشكال المعرفة الأساسية في التعليم مثلاً، وهو الوسيلة الإبداعية الضرورية لتحقيق الإعلام الناجح مثلاً آخر، وهو الحاجة الجمالية الأولى لإشباع الذوق وترويح النفس وتنشيط السياحة الثقافية مثلاً ثالثاً.

■ الابتكار بوصفه قيمة معرفية - اقتصادية:

غالباً ما يستخدم المفكرون وفلاسفة العلم لفظين مختلفين لمفهوم واحد يتعلق بالتربية الإنسانية والتنشئة الاجتماعية والبناء الحضاري، وهذان اللفظان هما: الابتكار والإبداع، وهما ترجمة عربية للمصطلح الأجنبي: Creativity^(١).

وقد يبدو ثمة فرق بسيط ودقيق بين الابتكار والإبداع لكنهما في المحصلة المعرفية الأخيرة يكادان يكونان مفهوماً واحداً شاملاً جامعاً لكل القوى والطاقات والقدرات الإنسانية الفاعلة في إيجاد أو توليد فكرة أو تصميم أو أسلوب أو عمل لبناء الحضارة وترقية المجتمع وتأمين الإنسان وتحقيق سعادته.

ويمكن تعريف كل من الابتكار والإبداع أيضاً بأنه العامل الفاعل في تطوير هذه الفكرة أو هذا التصميم أو هذا الأسلوب أو هذا العمل بطريقة أفضل وأيسر وأكثر استخداماً وفائدة على مختلف الأصعدة والمستويات والمجالات.

(١) ينظر: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، حسن شحاته وزينب النجار، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣، ص ١٥.

ومن هنا؛ يبدو الابتكار أو الإبداع قيمة معرفية ضرورية في الحياة الإنسانية؛ حيث يمكن أن يصنف الابتكار أو الإبداع تصنيفاً معرفياً طبقاً لكل من العلوم والآداب والفنون والصناعات التي ينتجها الإنسان؛ فقد يكون الابتكار علمياً، أو أدبياً، أو فنياً أو غير ذلك من حالات الابتكار ومستوياته التي غالباً ما توصل بعض العلماء إلى بيانها في الأنواع الخمسة الآتية^(١) :

١- الابتكار التعبيري Expressive Creativity : وهو التعبير الحر الذي

لا تشكل المهارة أو الأصالة عنصراً أساسياً فيه؛ مثل رسوم الأطفال.

٢- الابتكار الإنتاجي Productive Creativity : ويقوم هذا النوع من أنواع

الابتكار على القواعد والقيود التي تقيد اللعب الحر وتضبطه وتحسن من أسلوبه. ويتمثل هذا الابتكار في المنتجات الفنية والعلمية على حد سواء.

٣- الابتكار الاختراعي Inventive Creativity : حيث تظهر ابتكارات

المخترعين في الطرائق والأساليب والتصاميم المبتكرة لاستخدامهم الخامات والمواد في إنتاج مبتكراتهم.

٤- الابتكار التجديدي (الابتداعي) Innovative Creativity : وهو مستوى

ليس شائعاً بل لا يظهر إلا عند قليل من الناس لأنه يتطلب تعديلاً هاماً في الأسس والمبادئ الأساسية التي تحكم مجالاً عاماً في الفن أو في العلم، ويعتمد هذا النوع على استخدام المهارات الفردية.

(١) The Nature of Creative Process, I. A. Taylor, Englewood: Prentice Hall Inc., 1965, p55

٥- الابتكار الانبثاقي Emergentive Creativity : وهو أعلى مستويات الابتكار حيث نجد مبدأ أو افتراضاً جديداً ينبثق عنه المستوى الأكثر أساسية والأكثر تجريداً.

وعلى الرغم من أن علماء النفس والاجتماع كانوا أكثر أهل العلم عناية بالابتكار أو الإبداع بوصفه موضوعاً من موضوعات علم النفس بشكل خاص، ومجالاً من مجالات علم الاجتماع العامة.. فقد اعتبر كثير من هؤلاء العلماء وغيرهم الابتكار موضوعاً مهماً وحيوياً من موضوعات الاقتصاد المعرفي الذي غالباً ما لا يغفل عن حساب القيمة المضافة للأفكار والتصاميم والأساليب الناتجة عن الخبرة والمهارة والإبداع الإنساني من حيث الأهمية والمكانة والدور الفاعل في التنمية الاقتصادية.

■ الابتكار بوصفه مقصداً في الاقتصاد الإسلامي:

يكاد علماء الأمة المجتهدون من السلف والخلف يتفقون على تعريف مقاصد الشريعة بأنها المعاني والغايات والمصالح الإنسانية والاجتماعية والعمرانية التي بُنيت عليها الشريعة. وقد رتب هؤلاء العلماء مقاصد الشريعة هذه بحسب أهميتها المصلحية إلى ضروريات، وحاجيات، وتحسينات. أما الضروريات فتتنقسم إلى حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وتتعلق الحاجيات بما دون ذلك من مصالح لا تترتب عليها حياة أو موت، كالزواج والتجارة وما إلى ذلك. أما التحسينات فتشمل ما وراء الضروريات والحاجيات من كماليات وجماليات^(١).

(١) ينظر: الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج ١، ص ٣٨، ج ٢، ص ١٠، ج ٣، ص ٤٧.

وإذا ما حاولنا قراءة الابتكار بوصفه قيمة معرفية - اقتصادية في ضوء مقاصد الشريعة وفقه تنزيلها على الواقع الإنساني والاجتماعي، فيمكن أن نعرض هذا الموضوع على مراتب المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية لمصالح الإنسان المعاشية في ضوء الشريعة الإسلامية ونصوصها المقاصدية المعتبرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي ينبغي أن تقوم عليها فلسفة الاقتصاد الإسلامي من حيث المبادئ: تساوي الناس جميعاً في الفطرة والعيش، ومن حيث القيم: العدل بين الناس في فرص العمل وتعاملاته، ومن حيث المقاصد الشرعية الحاكمة لمصالح الإنسان الاقتصادية ومجالاتها المعرفية المتنوعة؛ وبخاصة: الاقتصاد المعرفي؛ حيث ينبغي أن تركز قراءته المقاصدية الخاصة والأصيلة للابتكار على الكيف في التفكير (الابتكاري)، قبل التركيز على كم المعلومات النظرية المجردة، فالكيف أولى من الكم في ميزان الإسلام^(١).

إن هذه النظرة الإسلامية لقيمة الابتكار في الاقتصاد المعرفي ترتب أولويات السياسات التنموية على نحو أكثر إنسانية وأكثر عدلاً وأكثر منفعة في إنتاج السلع والخدمات والأدوات والتطبيقات الضرورية والحاجية والتحسينية التي تعمل على تحقيق التنمية الاقتصادية المتوازنة من خلال ربط الابتكارات (من الاختراعات والاكتشافات والتأليفات وغيرها) بأداب الجودة ومعاييرها الإسلامية^(٢) في تحقيق

(١) توظيف مقاصد الشريعة في ترشيد سياسات الاقتصاد المعرفي، جاسر عودة، بيروت: إسلامية المعرفة (مجلة علمية محكمة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، السنة (١٨)، العدد (٧٠)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ٤٣.

(٢) آداب الجودة وتقاليدها في الصناعات الفنية الإسلامية (رسالة ماجستير غير منشورة)، رندة العتيبي، الأردن: جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ٢٠١٣، ص ٣٦.

مصالح الأمة العليا، وأولوياتها من فروض العين وفروض الكفاية، مع ضرورة إيلاء الأفكار التي تتعلق بالضروريات والأساسيات أهمية أكثر من تلك المتعلقة بالحاجيات والاستهلاكيات، فالنوافل والتحسينيات^(١).

وينبغي التركيز في هذا السياق أيضاً على تنمية الأفكار والأبحاث والاختراعات والاكتشافات في مجالات المعرفة الإنسانية جميعاً من العلوم والآداب والفنون والصناعات وغيرها مما يساهم في تنمية روح الابتكار وتطوير أدواته لدى الأفراد والجماعات عبر التعليم والتدريب والتأهيل، حيث تتجلى هنا مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية في حفظ العقل وتنشيط الوعي وتحفيز الذكاء وتحقيق الابتكار.

■ الفقه الإسلامي لاقتصاد المعرفة:

يتعلق الاقتصاد المعرفي بالبيانات والمعلومات والعلوم والآداب والفنون والصناعات التي هي عبارة عن أفكار وتصميمات واكتشافات واختراعات ناشئة عن الابتكار والإبداع الإنساني الذي هو المحرك الرئيس للعمران الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

ومن هنا؛ فإن هذا الابتكار أو الإبداع الإنساني هو القيمة الإضافية (الحقيقية والمجازية) التي تميز الوجود والحياة الإنسانية عن غيرها من حيوات الكائنات والمخلوقات الأخرى التي سخرها الله تعالى لخدمة الإنسان وعمارة الأرض.

(١) توظيف مقاصد الشريعة في ترشيد سياسات الاقتصاد المعرفي (مرجع سابق)، ص ٤٧.

ومن هنا أيضاً؛ يمكن اعتبار المصالح والمنافع الاقتصادية القائمة على قيم هذا الإبداع الإنساني ومعطياته الإنتاجية هو رأس المال الأول الذي يجب أن يعنى به الاقتصاد المعرفي من حيث التعليم والتأهيل والتدريب وغير ذلك من برامج وأعمال تنمية هذا الإبداع بوصفه رأس المال الأول والأثمن من القوى والمواد والآلات والموارد والمصادر المادية والطبيعية الاقتصادية الأخرى.

وحيث إن فقه الاقتصاد المعرفي الإسلامي يقوم - بشكل عام - على مقاصد الشريعة الضرورية المتعلقة بحفظ المال، فإنه يمكن اعتبار كل ما يقع في إطار الأفكار والمعلومات والمعنويات والخصوصيات الثقافية المتعلقة بالأعمال والخدمات والمنتجات الإبداعية؛ وبخاصة منها: الفنية والمعمارية هو في حكم المال الضروري من حيث التداول الاجتماعي، والواجب من حيث الحفاظ عليه، إذ إن « المنافع تعتبر أموالاً »^(١) في ما استنتج بعض أهل العلم الشرعي المعاصرين، لاسيما وأن أعلى مستويات التفكير الإنساني وأوضح أشكال الابتكار الإبداعي تتمثل في الفنون.

إن الفنون هي الفضاء المعرفي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي التي تتجلى فيه قيم الابتكار وقدراته المعرفية بوصفها سمة من سمات الشخصية الثقافية، وبوصفها نتاجاً مادياً محسوساً ومحسوباً بالحسابات الاقتصادية، وبوصفها أسلوباً حضارياً من أساليب الحياة الاجتماعية، وبوصفها رؤية تنموية شمولية لتحقيق الرقي والرفاه والسعادة الإنسانية.

(١) نظرات في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ص ٣٥٥.

ومن هنا؛ يمكن القول بأن الفنون هي مقوم أساس من مقومات الاقتصاد المعرفي، ومجال رحب من مجالات الاستثمار المعرفي، ويمكن القول أيضاً بأن الفنون الإسلامية هي مادة من المواد الثقافية الجوهرية لاقتصاد المعرفة الإسلامي.

■ مفهوم الفنون الإسلامية وحدودها المعرفية الاقتصادية:

تعددت الآفاق المعرفية القائمة على توصيف أعمال الفنون الإسلامية، وتعريف أشكالها، وتصنيف أجناسها وأنواعها الإبداعية من أجل الوصول إلى بيان مفهوم هذه الفنون وحدودها المعرفية التي أصبح أغلب دراسات هذه الفنون تؤطر لها بالإطارات المفهومية الثلاثة الآتية^(١):

الأول: إطار عام وواسع وشامل لكل أشكال الإبداع اللغوية والأدبية والفنية وغيرها مما لا تميز معرفياً فيها بين العلم والأدب والفن، فيحيط مفهوم الفن الإسلامي بكل ما له علاقة مباشرة بالشعور والإحساس والتذوق الجمالي عبر الأذن والسمع كالشعر ولموسيقى والنغم؛ وعبر العين والإبصار كالعمارة والرسم وغيرهما.

الثاني: إطار متوسط؛ فلا هو مفتوح على كل المنتجات التاريخية للحضارة الإسلامية بغض النظر عن قيمتها الجمالية، ولا هو مغلق على أشكال وأجناس ومواد ومضامين مقصورة وضيقة الوظيفة والاستعمال.

(١) ينظر: نظرية الفن الإسلامي، إدهام محمد حنش، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٣، ص ١٣.

أما الإطار الثالث: فيضيق بمفهوم الفن الإسلامي عند أغلب مؤرخي هذا الفن ونقاده المعاصرين على كل ما له علاقة بصرية مباشرة بصناعة الجمال الإنسانية في الإبداع الإسلامي، وبكل ما له علاقة معرفية بمنجزات هذا الإبداع المتحققة في مجالات:

أ) الفنون المكانية المتعلقة بهندسة العمارة وأنظمة البناء وتخطيط المدن وتنظيم العمران.

ب) الفنون الزمانية المتعلقة بالموسيقى والأنغام والترتيل والتجويد والنظم وما شاكل.

ج) فنون الكتاب الإسلامي (المصحف الشريف) المتمثلة في كل من فنون الخط، والزخرفة، والتذهيب، والتجليد.

د) الفنون التطبيقية أو الصنائع الفنية الإسلامية القائمة على التوفيق المبدع بين جمالية الفنون المكانية والزمانية والكتابية؛ واستعمالها الوظيفية في مواد البناء المعماري، وفي صناعة مواد الكتب والمخطوطات، وفي إنتاج الأدوات والأثاث والتحف وغير ذلك من المصنوعات المختلفة المواد والوظائف.

■ الاستثمار المعرفي للفنون الإسلامية؛ فن الخط مثلاً:

ولعل المتأمل في الخصائص المعرفية الاقتصادية للفنون الإسلامية يمكن له أن يقرأ فيها إمكانيات كونها مجالاً رحباً وواسعاً من مجالات الاستثمار المعرفي الإسلامي في التعليم وفي الإعلام وفي السياحة، لاسيما وإن هذه الخصائص المعرفية الاقتصادية

تقوم - في الأصل - على صفة الجمع الطبيعي بين الجمال والاستعمال أو الجمع بين البُعدين الجمالي والوظيفي في العمل أو في المنتج.

وهذا امتياز معرفي يمكن أن يكون أساساً لتصنيف الفنون الإسلامية في المنطقة المعرفية الاقتصادية الوسطى والجامعة بين ما يعرف اليوم بالفنون الجميلة ذات النزعة الإبداعية الذاتية القائمة على نسبية التذوق وخصوصيته الإنسانية من جهة، ومن جهة أخرى: بين ما يعرف اليوم بالحرف الشعبية والصناعات التقليدية ذات النزعة الإبداعية الموضوعية القائمة على خصوصية الوظيفة وقيمة المنفعة ومدى الفائدة وعموم الاستعمال المجتمعي.

وربما يكون هذا كله داعياً كبيراً وسبباً وجيهاً للبحث العلمي في الأبعاد والفرص الاستثمارية الممكنة والمحتملة للفنون الإسلامية بعامة؛ لا سيما وإن الاهتمام المعرفي بالفنون الإسلامية نشأ وتطور في أحضان حاجة المتاحف الغربية لتسويق خدماتها الثقافية^(١)، وفن الخط العربي الإسلامي بوصفه مثلاً خاصاً ونموذجياً للاستثمار المعرفي، وذلك لأن فن الخط يتفرد من بين الفنون الإسلامية بخاصية التنوع المفتوح في تكوين أشكاله وصوره وأساليبه التي تمثلت في عددٍ كبيرٍ - نسبياً - من ما يعرف بأنواع الخط العربي التي منها - على سبيل المثال لا الحصر: الثلث، والنسخ، والمحقق، والإجازة، والتعليق، والديواني، والرقعة، وغيرها.

(١) ينظر: الفنون الإسلامية، ديباندا، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨، ص ٢٣.



(الشكل رقم ١: أنواع الخط العربي)

وفن الخط هو أول الفنون الإسلامية وأهمها؛ بل هو:

أولاً: الفن الإسلامي الأكثر أصالة وأهمية ودوراً في النسق المعرفي والجمالي والوظيفي لهذه الفنون في الحضارة الإسلامية ونمط حياتها الاقتصادي؛ حيث يدخل الخط العربي عنصراً فنياً وبعدها دلاليّاً في بنية العمارة والفنون والصنائع

والحرف الإسلامية كلها تقريباً. ويمكن أن نعد المساجد فضاءات رحبة للابتكار الخطي.



(الشكل رقم ٢)

ثانياً: الفن الإسلامي الأكثر أهلية معرفية وإمكانية وظيفية لفرص الاستثمار التعليمي والثقافي (السياحي) التواصلي (الإعلامي) والمهني (الحرفي) والوظيفي العام في المجتمع؛ ذلك لأن الخط العربي هو ركن من أركان اللغة، وهو علامة من علامات الدلالة، وهو حقل من حقول الفن والجمال التي تمثل الجوهر المعرفي والمقوم الوظيفي (النظري والتطبيقي) لما يعرف بلغة الاتصال المعاصرة، ففن الخط هو الوسيلة والرسالة معاً في نظرية التواصل الإنساني بعامة، وفي نظرية التعارف الإنساني الإسلامية بخاصة^(١)؛ حيث تقوم على منطوق الآية القرآنية الكريمة:

(١) ينظر: تواصلية الفن الإسلامي، إدهام محمد حنش، إسلامية المعرفة (مجلة علمية محكمة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، السنة (١٦)، العدد (٦٤)، بيروت ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م، ص ٧٧.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].



(الشكل رقم ٣)

وبذلك؛ يمكن أن تكون لهذا الفن الإسلامي الأصيل والجليل العديد من الأبعاد والمجالات والفرص الاستثمارية المحتملة والممكنة على النحو الآتي:

■ فرص استثمارية لفن الخط:

إذا كانت الهندسة هي الأساس الفلسفي النظري لفن الخط، فإن الصناعة هي الأساس التطبيقي لهذا الفن في مختلف المجالات المحتملة للتعليم والإبداع والإنتاج وغير ذلك. ولا شك في أن العلاقة العضوية المتكاملة بين الهندسة والصناعة هي الأساس المعرفي الضروري^(١) لاستثمار فن الخط في كل تلك المجالات الواقعة في إطار كل من: التعليم، والثقافة، والإعلام، والفن أو التصميم، والحرفة اليدوية، والمهنة الشعبية، والصناعات التقليدية.

(١) ينظر: ما يحتاج إليه الصانع من علم الهندسة، محمد أبو الوفاء البوزجاني (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٨م)، تحقيق: الدكتور صالح أحمد العلي، بغداد: مطبعة جامعة، ١٩٧٩، ص ٤٦.

يتميز فن الخط العربي بطبيعته الشكلية والدلالية المطواعة؛ وإمكاناته التصميمية القابلة للاستثمار السهل عبر استخداماته الوظيفية والجمالية المتنوعة التي غالباً ما تتجلى في الأبنية والعمائر الإسلامية، وفي التحف والمصنوعات الخشبية والمعدنية والنسجية والخزفية وغيرها.

ولذلك؛ يمكن القول بأن فرص الاستثمار الإبداعية والتواصلية والوظيفية والمهنية والإنتاجية لفن الخط العربي تفتح - في أقل تقدير - على المجالات والفرص المتمثلة بإعداد كوادر مؤهلة بالتربية الجمالية الإسلامية التي غالباً ما تكون ذات دور إنتاجي مثمر في المجتمع على صعيد الأمثلة الآتية:

(أ) إعداد معلمي تربية لفن الخط في المدارس.

(ب) خطاطين في سوق الإعلان التجاري.

(ج) دليل أو مُعرّف ثقافي في المتاحف والميادين السياحية.

(د) صناعي أو مدير فني في مشغل أو صالة عرض Gallery.

أو غير ذلك من الوظائف والمهن وفرص العمل والإنتاج الثقافية المتعلقة بهذا الفن.

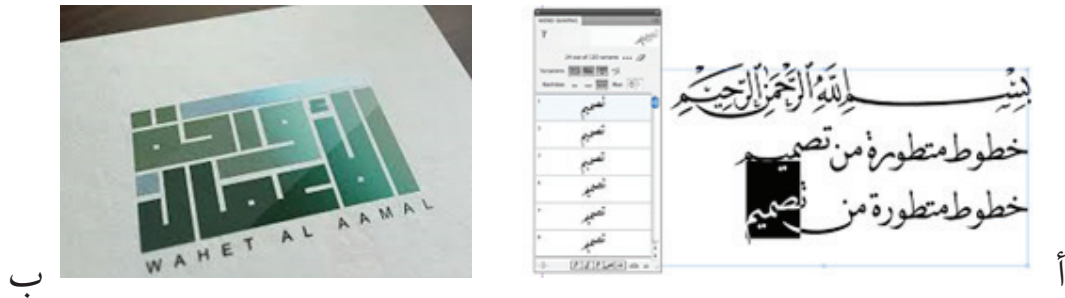
ولعل المجال الاستثماري الأرحب لفن الخط في نمط الحياة الاقتصادي الإسلامي المعاصر هو التصميم بأنواعه ومجالاته ووظائفه الكثيرة والمتنوعة، لاسيما وإن التصميم هو لغة من لغات التواصل الإنساني، ووسيلة بليغة من وسائله العابرة في علاقاتها المعرفية والتعارفية حدود النفوس والمجتمعات والشعوب والثقافات والحضارات والقارات.

إن مكانة فن الخط ودوره في التصميم التواصلي يعد اليوم من أوسع مجالات العمل والاستثمار بالفن عموماً؛ إذ أن مجالات هذا المستوى المعرفي المركب من مستويات التصميم فيه تشمل كلاً من:

ه. الكتابة البصرية في الصحافة الورقية المطبوعة، وفي الصحافة المرئية كالتلفزيون والفيديو.

و. إنتاج برامج الكتابة والطباعة الإلكترونية الخاصة بالنشر الحاسوبي ومواقع الإنترنت وغيرها.

ز. صناعة الكتاب والإنتاج الطباعي؛ وبخاصة: كتابة العناوين وصناعة الشعارات، وغير ذلك من المجالات القائمة بشكل كبير على فن الخط.



(الشكل رقم ٤: أ + ب)

وفي هذا السياق؛ يحتل فن الخط ذات المكانة ويلعب نفس الدور في التصميم المعماري الإسلامي؛ إذ توصف العمارة الإسلامية بأنها عمارة خطية بامتياز، أي يحتل فن الخط المساحة الجمالية والتزيينية الأوسع في واجهاتها الداخلية والخارجية، وقلما نجد عمارة إسلامية من مسجد أو قصر أو غير ذلك.. خاليةً واجهاتها الخارجية أو الداخلية من فن الخط.



(الشكل رقم ٥)

ولقد فتح دور فن الخط الوظيفي في الكتابة الإعلامية والتوثيقية والإرشادية وغيرها على العمائر الإسلامية الباب واسعاً وضرورياً أمام المعرفة الفنية المتعلقة بالخط للعمل والاستثمار في مجال آخر مرتبط به - نوعاً ما، وإلى حدٍ ما - ألا وهو: علم الآثار والدراسات الأثرية القائمة على ما يسمى عند علماء الآثار: رفع الكتابات التاريخية وتوثيقها بشكل علمي صحيح، أو في ما يمكن أن نطلق عليه: الترميم الفني للآثار المعمارية التاريخية.

ولا بد - أخيراً وليس آخراً - من التوقف عند بعض الفرص الاستثمارية لفن الخط في ما يمكن أن نسميه: التصميم الثقافي التقليدي لأعمال الحرف الشعبية والصناعات اليدوية ومنتجاتها وتطبيقاتها المتعلقة بالخشب، والنحاس، والخزف، والنسيج، وغير ذلك من المواد والخامات، حيث يكون فن الخط أحد بل أبرز مقومات هذا التصميم والإنتاج الاقتصادي فيها.

■ استثمار فن الخط في الصناعات التقليدية والحرف الشعبية:

الصناعات الشعبية اليدوية ذات تأريخ طويل من الممارسة التقليدية المتوارثة والندجة في النسيج المعرفي - الاجتماعي الإسلامي. وكانت القيم التي تعكسها هذه الصناعات تجمع ما بين الجمال والاستعمال اللذين يليان حاجة الإنسان والمجتمع المعنوية الذوقية والمادية الوظيفية المباشرة؛ بحيث أصبحت هذه الصناعات ولا تزال جزءاً من البنية المعيشية والحضارية للمجتمع الإسلامي.

كان تعلم هذه الصناعات وتعليمها؛ ولا يزال عنصراً أساسياً من عناصر المزاولة الاجتماعية التقليدية التي غالباً ما تكون قد توارثت طرق تنفيذها وأساليبها المختلفة بشكل خاص التناول؛ ومتنوع المنهج؛ ومتقلب المزاج بحسب معارف واجتهادات بعض أساتذة هذه الصناعات التقليدية وشيوخها، إذ كانت مناهج تعليمها تقوم على مبدأ سر المهنة المتوارث في تنظيم مهني أو حرفي يستند إلى العرف الاجتماعي العربي الإسلامي القائل بأن الصناعة نَسَب^(١).

وربما لذلك؛ قد يصعب حصر هذه الصناعات على وجه دقيق؛ لا سيما وإنها كانت ابنة بيئتها الاجتماعية والثقافية المباشرة، ولكن هذه المقاربة البحثية المتواضعة تحاول أن تلم بأطراف أكثر هذه الصناعات في المجتمعات العربية والإسلامية، وتحاول أن تحصر الأساسي منها؛ وبخاصة تلك التي يدخل فن الخط فيها بشكل كبير؛ منها على سبيل المثال في الصناعات الآتية:

(١) الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٦، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٦، مج٢ ص ٣٣.

أولاً: الصناعات الخشبية الخاصة بإنتاج الأثاث المتنوع الاستعمال في ما بين المحلات الخاصة كالبيوت مثلاً؛ والمحلات العامة كالمساجد مثلاً.

وتقوم هذه الصناعة الفنية على أساس اختيار الأخشاب اللائقة بالعمارات المختلفة، وبواسطة أدوات صناعية خاصة تجري عمليات تصنيع هذه الأخشاب؛ المتمثلة في الحفر والتخريم والتعشيق والتطعيم وغير ذلك من التقنيات المساعدة في تنفيذ الأساليب وأشكال والأساليب الفنية المتعلقة؛ على سبيل المثال لا الحصر؛ بفنون الخط والزخرفة والتذهيب.

ولعل من أبرز أنواع الأثاث الخشبي الإسلامي وأجملها: الأبواب والمنابر والمقصورات والكراسي الخاصة بالمصحف الشراء والقراء والمشربيات والسقوف وغير ذلك من الأثاث الوظيفي والجمالي المستعمل في التصميم الداخلي للعمارة الإسلامية.



(الشكل رقم ٦)

ثانياً: الصناعات المعدنية؛ والنحاسية منها على وجه التحديد؛ حيث تقوم هذه الصناعة - بشكل رئيس - على عمليات وتقنيات خاصة أهمها: طرق النحاس لإنتاج بعض الأواني النحاسية كالصواني والأباريق وغيرها.

ولكن ما يميز به التناج الفني النحاسي هذا هو مشكاوات الإنارة الصناعية في التصميم الداخلي للعمارة الإسلامية؛ حيث غالباً ما تكتب على هذه المشكاوات بعض أو كل آية [النور: ٣٥]: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ في صورة خطية وزخرفية جميلة، ومنفذة بإحدى طريقتين من طرق العمل الفني على النحاس: إما تخريم الكتابة أو طرقتها على سطح القطعة النحاسية.



ب

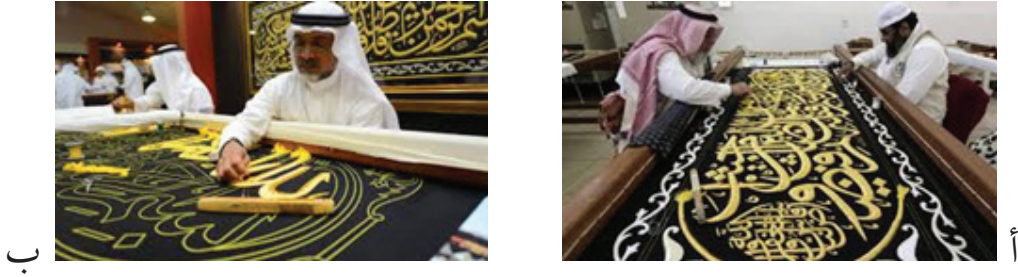


أ

(الشكل رقم ٧: أ + ب)

ثالثاً: الصناعات النسيجية التي كانت تعرف عند المسلمين باسم الطراز الذي هو عبارة عن تنفيذ الكتابة الخطية الجميلة في تطريز الأقمشة والألبسة الخاصة، حيث كان فن الخط هو العلامة الفنية الفارقة لتطريز القماش في الحضارة الإسلامية، وقد أخذ الأوربيون هذه الصنعة الإسلامية التقليدية بصورتها الكتابية العربية.

ويمكن أن نلاحظ اليوم عودة أسلوب الطراز الإسلامي هذا إلى الصناعات النسيجية المعاصرة؛ وبخاصة منها تلك المتعلقة بالأزياء الراقية والمتميزة بطرازها الخطي العربي الجميل.



(الشكل رقم ٨: أ + ب)

ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى جانب آخر وأساسي من الصناعات النسيجية التي يدخل فن الخط في صناعتها الفنية التقليدية؛ ألا وهو صناعة السجاد.

رابعاً: الصناعات الجلدية المتعلقة بإنتاج الألبسة والأحزمة والأقربة وغير ذلك؛ فضلاً عن اللوحات الفنية الخطية المنفذة على الجلد؛ والتي غالباً ما تدخل في تزيين الفراغات الداخلية للعمارة الإسلامية.

خامساً: الصناعات الجبسية؛ كالسيراميك والقاشاني والزليج وغيرها من الأعمال الفخارية التي يدخل فن الخط في بنيتها الفنية المستخدمة في تغليف القباب والبحرات والجدران والنافورات وغير ذلك من المظاهر الداخلية والخارجية في العمارة الإسلامية.



(الشكل رقم ٩)

■ تجارب استثمارية للفنون الإسلامية:

أولاً: تعليم الفنون الإسلامية:

ظل هذا التعليم على حاله التقليدي حتى اليوم في العديد من المؤسسات التعليمية الرسمية والاجتماعية التي قامت في بعض الدول العربية والإسلامية، ولم يدخل إلى دائرة التعليم الأكاديمي العالي، بل ولم يرق إلى مستواه، فظل بعيداً عن المناهج والأساليب التعليمية الأكاديمية؛ الحديثة والمعاصرة على الرغم من الحاجة والاهتمام العربي والإسلامي والعالمي؛ الرسمي والشعبي المتزايد يوماً بعد يوم بهذه الصناعات التقليدية المرتبطة بالهوية الثقافية.

من هنا؛ يمكن القول بأن إنشاء مؤسسة تعليمية أكاديمية عليا لتعليم هذه الصناعات كان فكرة رائدة على الصعيد العربي والإسلامي عندما تأسس (لأول مرة) معهد الفنون التقليدية الإسلامية في مطلع العام الدراسي (١٩٩٨-١٩٩٩) في حضانة جامعة البلقاء التطبيقية (حكومية. الأردن)، وانتقل في العام الدراسي (٢٠٠٨-٢٠٠٩)؛ ليكون إحدى كليات جامعة العلوم الإسلامية العالمية (رسمية. الأردن).



(الشكل رقم ١٠)

ويمكن القول بأن كلية الفنون والعمارة الإسلامية تعد اليوم المؤسسة الأكاديمية العربية والإسلامية الأولى والوحيدة التي تختص بدراسة هذه الحرف اليدوية والصناعات التقليدية تدريسياً جامعياً عالياً بمستويات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

وهي بذلك؛ تسعى إلى الاستثمار الاقتصادي المعرفي القائم على كل من:

أ) خلق الأنموذج المؤسسي العلمي والأكاديمي لتعليم تلك الفنون والحرف والصناعات.

ب) توطين المعرفة التقليدية؛ النظرية والعملية المتعلقة بهذه الفنون والحرف والصناعات في مؤسسات التعليم العالي الجامعية في الوطن العربي والشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

ومن هنا؛ ربما تكون تجربة كلية الفنون والعمارة الإسلامية في مجال استثمار فن الخط (مثلاً) وتطبيقاته في هذه الحرف والصناعات جديرة بالاهتمام، لاسيما وإنها تنطلق من الأبعاد المعرفية (الهندسية والصناعية) لفن الخط، وتلتزم بالأساليب والتقنيات العلمية كالتعشيق والتطعيم والحفر والطرق والتخريم والتنزيل والتذهيب وغير ذلك من الأساليب والتقنيات اليدوية الممكنة لتطبيقات فن الخط على الأخشاب والمعادن والجلود والحجر والقماش وغير ذلك من المواد والخامات.

ولتحقيق أفضل استثمار معرفي لفن الخط وغيره من الفنون الإسلامية في إحياء هذه الصناعات التقليدية؛ قام برنامج العمل المهني والأكاديمي لكلية الفنون والعمارة الإسلامية على مسارين رئيسيين متكاملين؛ هما:

أ) التعليم الأكاديمي؛ القائم على دراسة وتدريب الفنون والصنائع الإسلامية وتطبيقاتها المختلفة في شتى المجالات؛ حيث يتألف المنهاج التعليمي من مساقات ومواد نظرية وعملية في: العمارة الإسلامية وتصميمها الداخلي، وفنون الخط والزخرفة والتصوير والتذهيب وغيرها، والصنائع الإسلامية المتعلقة بالخشب والنحاس والجبس وغيرها، فضلاً عن منهاج دراسي خاص بإدارة المشاريع العامة ومشاريع العمارة والفنون والصنائع الإسلامية بخاصة.



(الشكل رقم ١١)

ب) الإنتاج الفني في المجالات الصناعية المتعلقة بالفنون والعمارة الإسلامية؛ إذ تقوم مشاغل الكلية بتصميم وإدارة وتنفيذ الأعمال الخشبية كالأبواب والسقوف وغيرها؛ والنحاسية كالمشكاوات وغيرها؛ والجبسية كالنافورات وغير ذلك من الأعمال الفنية والمعمارية التي تكون عادة هي المادة الإنتاجية للمشاريع

الاستثمارية التي تنفذها الكلية في مؤسسات المجتمع الخاصة كالبيوت والعمارة كالمساجد وغيرها.

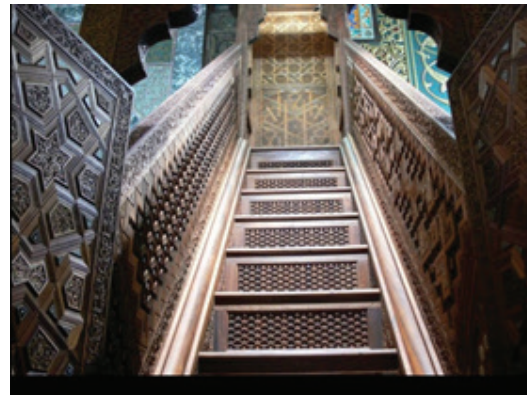


(الشكل رقم ١٢)

ولعل من أهم وأبرز وأكبر المشاريع الإنتاجية الاستثمارية لكلية الفنون والعمارة الإسلامية هذه هو لإعادة بناء منبر صلاح الدين الأيوبي للمسجد الأقصى المبارك، وهو المشروع (الشكل رقم ١٣: أ + ب) الذي أدت محاولة الاستثمارية الناجحة إلى إنشاء برنامج علمي لتدريس الفنون والصنائع الإسلامية تدريساً أكاديمياً طموحاً في مستوياته الجامعية العليا.



ب



أ

(الشكل رقم ١٣: أ + ب)

ثانياً: إعادة تصنيع منبر المسجد الأقصى:

وصفه المؤرخون بأن هذا المنبر كان نادراً في « شكله و غرابة صنعته »^(١)؛ وفي حجمه الذي يبلغ خمسة أمتار وخمسة وثلاثين سنتيمتراً طويلاً، وأربعة أمتار عرضاً؛ مما جعله تحفة فنية لا مثيل لها في العالم الإسلامي. وكان هذا المنبر مصنوعاً بشكل رئيس من أخشاب الأرز والصنوبر والأثل والتك أو الساج والابنوس، مطعماً بالعاج، منقوشاً بفنون الزخرفة والخط.

بُني هذا المنبر لأجل المسجد الأقصى المبارك؛ بأمر من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)؛ وذلك عام (٦٥٣ هـ / ١١٦٧ م). وقد نقله الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٥٨ هـ / ١١٩٣ م) إلى القدس عند تحريرها من الصليبيين عام (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م).

في عام (١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م)؛ ارتكب اليهود المتطرفون جريمة حرق المسجد الأقصى المبارك، فطال الحريق هذا الأثر القدسي الفني الفريد.

ولكن في مطلع عام (١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م) أعيد نصبه من جديد في مكانه من المسجد بعد أن أعيد بناؤه على يد فريق فني متخصص بالهندسة الإسلامية الفاضلة والفنون والصنائع الإسلامية في مشاغل كلية الفنون والعمارة الإسلامية (الأردن) الكبيرة والفخمة.

(١) الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الأردن: مكتبة دنديس، ١٩٧٣، ج ١ ص ٣٢٨.



(الشكل رقم ١٤)



الخاتمة

النتائج والتوصيات:

إن العناية بالفنون الإسلامية وإحياء صناعاتها التقليدية هما حاجة نهضوية معاصرة بالنسبة لنمط الحياة الإسلامي المعاصر، وذلك لأهمية هذه الفنون ودورها في تكوين الهوية الثقافية والحضارية لكل منهما، ولأنها كانت - ولا تزال - واحداً من أرحب مجالات العمل الاقتصادي القائم على الحرف اليدوية والصناعات التقليدية والمهن الشعبية التي توفر قاعدة استثمارية في جوانب الاقتصاد المعرفي المتمثلة بالعمارة والبناء والتصميم الداخلي والإعلام والإعلان والاتصال والمعارض والمتاحف وتكنولوجيا المعلومات والطباعة والتدريس والتربية الفنية والتخطيط العمراني وصيانة الأبنية التراثية وغير ذلك كثير من الجوانب التي قد أصبح الطلب المحلي والعالمي المعاصر عليها متزايداً في الصرف على اقتناء الأعمال الفنية والمصنوعات التقليدية والمخطوطات التراثية واللوحات الخطية وما شابه ذلك من الخدمات الثقافية والكنوز المعرفية المتعلقة بالهوية الوطنية والقومية والإسلامية.

ولعل من نافلة القول: إن مجالات العمل الاقتصادي المتعلقة بالفنون والصناعات الإسلامية بعامة، وفن الخط العربي بخاصة؛ تعاني من قلة العاملين فيها؛ بل وندرتهم على مستويات المعرفة والإبداع والإنتاج والتسويق، وهو الأمر الذي قد يجعل الاستثمار المعرفي في هذه المجالات من أفضل أوجه الاستثمار التنموي: الاجتماعي والاقتصادي، وأكثرها نفعاً في حسابات الجدوى الاقتصادية والنجاح الاجتماعي.

ومن هنا، توصي هذه المقاربة المتواضعة أخيراً بتوجه الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية؛ الخاصة والعامة من الأشخاص والمؤسسات إلى الاستثمار المعرفي في هذه المجالات والقنوات المعرفية والثقافية الحيوية الأساسية المتمثلة - على سبيل المثال لا الحصر - في كلٍ من: التعليم والإنتاج، والتسويق الثقافي (كالسياحة والمتاحف) لمنتجاته الفنية، وذلك من خلال إنشاء مؤسسات اقتصادية معرفية إسلامية متخصصة بذلك كله، كأن تكون هناك مثلاً: مدارس تعنى بالتعليم والتدريب والتأهيل، أو مراكز مهنية تعنى بالإنتاج والتسويق، أو أكاديميات تعليمية - إنتاجية جامعة للفنون والصنائع الإسلامية بعامة أو لفن الخط وتطبيقاته المحتملة في الحرف اليدوية والصناعات التقليدية بخاصة.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

دور وسائل التواصل الاجتماعي
في الترويج للأزياء الإسلامية المحافظة
وانعكاسه على نمط حياة المرأة المسلمة

إعداد

الأستاذة: ليلى حجازي

مديرة مدرسة حكومية بمديرية التربية لولاية خنشلة - الجزائر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



لقد أصبح العالم قرية صغيرة نتيجة لتطور الوسائل التكنولوجية، خاصة وسائل التواصل الاجتماعي المتاحة على الشبكة العنكبوتية - الإنترنت - ووسائل التواصل الاجتماعي هي عبارة عن مواقع إلكترونية أو تطبيقات برمجية صممت خصيصا لتواصل الناس عبر تلك المواقع أو التطبيقات، ومن أهمها الفيسبوك، وهو من أشهر المواقع عالميا، وإلى جانبه تويتر، اليوتيوب، الانستغرام، قوقل بلس وغيرها وكذلك تبادل الآراء والأفكار في شتى القضايا، اجتماعية، اقتصادية، سياسية وتجارية وغيرها. وأصبحت هذه الوسائل تستخدم كأداة للتسويق للمنتجات بأشكالها المختلفة، باعتبارها الوسائل الأكثر ملائمة لهذا الميدان، والأقل تكلفة، ومن أهمها صناعة الأزياء الإسلامية المحافظة، حيث ازداد عدد النساء المسلمات والشركات الصغيرة التي اقتحمت سوق هذه الأزياء، فكان استخدام هذه الوسائل سببا في انفتاح المجتمعات الإسلامية على أزياء بعضها البعض، فتبلورت أفكار مختلفة من مجتمعات تتبع تعاليم الدين في تصميم أزياء موافقة للشريعة الإسلامية. وبشهادة بعض مصمحات الأزياء الإسلامية فإن مواقع التواصل الاجتماعي كانت السبب الرئيسي في نجاحهن. وأصبحت صناعة الأزياء الإسلامية أحد الأعمدة الرئيسة للاقتصاد الإسلامي والمقدر ب ٩, ١ مليار دولار عام ٢٠١٥. ووسائل التواصل الاجتماعي هي الوسائل الأسرع والأوسع نطاقا للترويج لمثل هذه الصناعة، لأنها أصبحت سوقا مهمة من أسواق المال والاقتصاد، بعدما اعتبرت سوقا غير مستغلة

ومهملة. فأصبحت النساء المحجبات يتألقن بموضة خاصة بهن، تجمع بين ثقافتهن الإسلامية والأناقة، واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك اليوتيوب وغيرها بعرض هذه الأزياء، وتعرفت المرأة من خلال هذه المواقع على أهم العارضات لهذه الأزياء من مختلف الدول وعلى أبرز عروضهن.

لذلك جاء هذا البحث للتعريف بهذه الوسائل، والدور الذي لعبته وما زالت تلعبه في الترويج لصناعة الأزياء الإسلامية، وانعكاس انتشار مثل هذه الصناعة على حياة المرأة المسلمة. فأصبحت هذه المواقع رابطة وصل بين المسوق والمستهلك، وانتشرت أسواق الأزياء الإسلامية واجتمع رواد تصميم الأزياء الإسلامية في معارض عديدة. مثل: الإمارات العربية المتحدة، أندونيسيا، ماليزيا وغيرها. وبما أن وسائل التواصل الاجتماعي تعد من أنسب الوسائل للترويج للأزياء الإسلامية والوصول إلى الزبائن وإقناعهم بشراء المنتج، مما أحدث ثورة في عالم الأزياء وشد أنظار المرأة المسلمة وغير المسلمة لمثل هذه الأزياء، وانعكاس انتشار مثل هذه الصناعة على حياتهن، كون هذه الأزياء تعتمد بشكل أساسي على المظهر وتعبر عن الذات، ومن هنا يأتي الإبداع ومواكبة العصر مع الحفاظ على هويتهم العربية والإسلامية، وتحبيب المرأة غير المسلمة وجذبها إلى هذه الأزياء لمحو فكرة أن المرأة المسلمة تعاني من التخلف والتهميش بسبب دينها وعادات وتقاليد مجتمعتها. ومن هذا المنطلق يمكننا طرح التساؤل الرئيس الآتي:

ما هو دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج للأزياء الإسلامية المحافظة؟ وما هي انعكاساته على نمط حياة المرأة المسلمة؟

الكلمات المفتاحية: وسائل التواصل الاجتماعي، الأزياء الإسلامية، الترويج.



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونصلي ونسلم على حبيبنا المصطفى ﷺ

أما بعد:

إن الثورة التقنية والتكنولوجية الحاصلة اليوم في العالم واستخدامها لوسائل تواصل بين البشر أكثر تطوراً وانتشاراً، جعلت من العالم قرية صغيرة يتواصل أفرادها بسهولة عبر أجهزة حديثة الصنع، وبتقنيات عالية، ويتبادلون الآراء والأفكار في شتى المجالات، وتسمى هذه الوسائل، بوسائل التواصل الاجتماعي التي باتت من أهم مصادر تبادل المعلومات، كما أنها تحظى بكم هائل من المستخدمين، فأتحت فرصة لرجال السوق لتقديم سلعهم ومنتجاتهم، ومن أهم الصناعات التي عنيت ووسائل التواصل الاجتماعي بالترويج لها هي صناعة الأزياء الإسلامية، ونجحت إلى حد كبير في إنجاح هذه الصناعة وجعل الإقبال كبيراً عليها كون هذه الصناعة تعتمد على الصورة والمظهر وإبراز الذات والظهور بأحسن صورة. فنشأت علاقة بين الشركات وبين المستهلكين من خلال هذه المواقع، كما أنها أصبحت حقلاً خصباً لتبادل التجارب والآراء والإبداع من خلال الانفتاح على دول العالم وإنشاء علاقات. كما أن هذه الوسائل أتاحت الفرصة أمام العملاء للتفاعل مع المستهلكين، وأيضاً ساهمت بقدر كبير في تنامي وتطور صناعة الأزياء الإسلامية المحافظة في العديد من الدول الإسلامية، ماليزيا، إندونيسيا، دبي، تركيا، وقد وصلت قيمة هذه السوق إلى نحو ٢٣٠ مليار دولار سنة ٢٠١٤، ومنذ بداية التسعينات بدأت عروض الأزياء الإسلامية في الانتشار عالمياً، كما اتجه رواد تصميم الأزياء الإسلامية مسلمين وغير

مسلمين إلى المشاركة في مسابقات عروض الأزياء الإسلامية - مارس ٢٠١١ -
ومن المتوقع أن تصل قيمة هذه السوق إلى ٣٢٧ مليار دولار عام ٢٠٢٠.

مشكلة البحث:

لقد برزت صناعة الأزياء الإسلامية المحافظة من خلال هذه الوسائل في الكثير من الدول العربية والإسلامية مثل: ماليزيا، الإمارات، تركيا، إندونيسيا وغيرها وأصبح لها سوق خاصة بها، وعروض أزياء. وكون الدول الإسلامية تنتشر فيها وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مذهل ومتسارع وهي الأنسب للترويج لهذه الصناعة والوصول إلى الزبون بشكل مباشر وإقناعه بشراء المنتجات مما جذب المرأة المسلمة إلى الالتفات إلى هذه الأزياء واقتنائها ومحاربة فكرة أن الحجاب لباس المتخلفات والمضطهدات، مما جعل المرأة في حيرة بين البقاء على الثوابت والتمسك بالزي الشرعي وبين مسaire الموضة والحداثة ولكن وفق ضوابط شرعية.

لهذا جاء هذا البحث الموسوم ب: دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج للأزياء الإسلامية المحافظة وأثره على نمط حياة المرأة المسلمة ليجيب على التساؤل الرئيس التالي:

ما هو دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج للأزياء الإسلامية المحافظة؟
وما هو أثره على نمط حياة المرأة المسلمة؟

وتتفرع عن هذا التساؤل، التساؤلات الفرعية الآتية:

- ماهي وسائل التواصل الاجتماعي؟

- ماهي أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في الترويج للأزياء الإسلامية؟

- كيف تبرز مواقع التواصل الاجتماعي موقع المرأة من صناعة الأزياء كمصممة ومستهلكة لها؟

- ما هو سر انجذاب العارضات للأزياء الإسلامية المحافظة؟

فرضيات البحث:

للإجابة على تساؤلات البحث تم وضع الفرضيات التالية:

- لم يعد التواصل الاجتماعي مقتصرًا على وسائل إعلام تقليدية بل تطورت بشكل سريع إلى تقنيات حديثة من خلال الشبكة العنكبوتية الإنترنت، من مواقع للتواصل أهمها: الفيسبوك، الانستغرام، اليوتيوب، تويتر، سناب شارب.

- نمو وتطور صناعة الأزياء الإسلامية من خلال الترويج لها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

- دور المرأة في تطوير قطاع الأزياء الإسلامية من خلال مواقع التواصل.

- جاذبية الأزياء الإسلامية أكسبها العالمية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١- إبراز الدور الإيجابي الذي لعبته وسائل التواصل الاجتماعي للترويج للأزياء الإسلامية المحافظة.

٢- جذب انتباه الشركات المتخصصة في صناعة الأزياء الإسلامية المحافظة إلى استغلال وسائل التواصل الاجتماعي استغلالًا إيجابيًا في تسويق منتجاتها، ودخول السوق العالمية من بابها الواسع.

٣- إعطاء صورة صحيحة للمرأة المسلمة لكيفية تعاملها مع واقع الموضة الإسلامية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

أهداف البحث:

١- تشجيع تطوير صناعة الأزياء الإسلامية في العالم لبناء اقتصاد إسلامي قوي من خلال امتلاك مواقع خاصة في وسائل التواصل الاجتماعي ومواكبة التطور الحاصل.

٢- التعاون المشترك بين أخصائيين في الأزياء من دول عربية وإسلامية لإنتعاش هذه السوق.

٣- تبادل الأفكار والآراء والإبداعات من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بين فئات مختلفة من النساء من دول مختلفة.

٤- محاربة فكرة أن الحجاب هو عقاب للمرأة وهو لباس المتخلفات وفيه اضطهاد للمرأة وحرمانها من العيش وفق متغيرات الحياة.

أسباب اختيار البحث:

١- الرغبة الشخصية للبحث في هذا الموضوع، لأن له علاقة بواقعنا نحن النساء المسلمات كمستخدمات لوسائل التواصل الاجتماعي وكذلك الوقوف على التطور الحاصل في الزي الإسلامي عربيا وعالميا وأثره على المرأة المسلمة الحائرة بين التزامها بالزي الشرعي ومواكبتها للموضة الحاصلة اليوم.

٢- الموضوع جديد يحتاج إلى بحث.

٣- الاطلاع على جانب مهم من جوانب حياة المرأة المسلمة وهو عالم جمالها وأناقته.

٤- إبراز أثر الاستغلال الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي لخدمة الدين والفرد وإضفاء السعادة على حياة الفرد المسلم.

٥- البحث في أسباب تطور صناعة هذه الأزياء عربيا وعالميا، وسر انجذاب المرأة إليها.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بجمع البيانات والمعلومات عن موضوع البحث وتوظيفها في الجانب العملي والتي تثرى بدورها المعرفة العلمية لبيان الدور الإيجابي لوسائل التواصل الاجتماعي ودورها في إبراز صناعة الأزياء الإسلامية وانعكاسها على حياة الفرد والمجتمع.

هيكل البحث:

للإجابة على تساؤلات البحث وحل الإشكالات المطروح، وكذلك اختبار صحة الفرضيات، والوصول إلى الهدف من الموضوع، قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث، كل مبحث ينطوي على مطالب، أما المقدمة فاشتملت على إشكالية البحث، فرضيات البحث، أهمية البحث، أهداف البحث، أسباب اختيار البحث، منهجية البحث وهيكل البحث.

المبحث الأول: وسائل التواصل الاجتماعي، ينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: أنواعها ومميزاتها.

المبحث الثاني: الترويج للأزياء الإسلامية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الترويج وعلاقته بوسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: سوق الأزياء الإسلامية المحافظة من خلال أهم مواقع التواصل الاجتماعي.

المبحث الثالث: موقع المرأة المسلمة من الموضة الإسلامية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، اندرج تحته مطلبين:

المطلب الأول: صناعة الأزياء الإسلامية بين المحافظة على الهوية العربية والإسلامية والعادات والتقاليد ومسايرة الموضة.

المطلب الثاني: أثر مواقع التواصل الاجتماعي على سلوك المرأة كمستهلكة للأزياء الإسلامية.

المبحث الرابع: نماذج عربية وعالمية، يحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: نماذج لأشهر مصمحات الأزياء المحافظة.

المطلب الثاني: نماذج لأشهر العارضات للأزياء الإسلامية.

وختتمت البحث، بخاتمة اشتملت على النتائج والتوصيات.



المبحث الأول

وسائل التواصل الاجتماعي

بعد التطور التقني الذي اجتاح العالم، ظهر مصطلح التواصل الاجتماعي، وتم التحدث عنه لأول مرة عام ٢٠٠٤ في جلسة عصف ذهني ملتقى الويب بين REILLY و MEDIA LIVE INTENATIONAL وتم من خلاله تقسيم مواقع الويب ٠, ١ تقليدية ومواقع ويب ٠, ٢ الجيل الجديد، ومن مميزات الويب ٢ أنه قليل التكلفة وأكثر سهولة في الاستخدام، وأكثر إنسانية وذلك من خلال كمية الاكتشافات والاختراعات الجديدة التي أصبحت تضاف إلى رصيد الإنسانية كل يوم^(١).

لم يعد دور شبكات التواصل الاجتماعي يقتصر فقط على التواصل مع الأصدقاء بل يتجاوز إلى استغلاله من قبل الشركات للترويج لمنتجاتها، لذلك سنحاول أن نتعرف على هذه الوسائل.

المطلب الأول: مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي:

أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي تؤثر بشكل كبير على التواصل بين الأفراد والمجتمعات، حيث أصبحت تستخدم في شتى أنحاء العالم: لذلك سنتعرض لتعريف هذه الوسائل:

هناك ارتباط بين كلمتي الاتصال والتواصل إلا أن هناك فرقا جوهريا بينهما،

حيث أن:

(١) التواصل والتعليم الإلكتروني، اتحاد أبو عراج، جامعة دمشق ١٤ / ٢ / ٢٠١٥.

الاتصال: هو رغبة شخص ما بالاتصال بشخص آخر، وقد يرد الطرف الآخر على هذا الاتصال أو يبقى مستمعا فقط، كالخطب مثل خطبة الجمعة مثلا أو خطاب الرؤساء.

بينما يعتبر التواصل: تفاعل بين شخصين في الوقت نفسه، بحيث يرسل الشخص كلامه ويرد الطرف الآخر عليه في تلك اللحظة أو فيما بعد، ولهذا سميت المواقع المشهورة في وقتنا وسائل التواصل الاجتماعي^(١) والتي تعرف كما يلي:

تعرف مواقع التواصل الاجتماعي: «بأنها تطبيقات تكنولوجية حديثة تعتمد على الويب لتنتج التواصل والتفاعلات المسموعة، والرسائل المرئية، وتقوم على تفعيل وبناء المجتمعات الحية في بقاع العالم، حيث يقوم الناس بمشاركة أنشطتهم، واهتماماتهم من خلال تطبيقات التواصل الاجتماعي ذات سمة التواصل من الجهتين، كما تساعد التطبيقات في نقل المعلومات وتبادلها بسهولة»^(٢).

كما عرفت أيضا: «بأنها عملية انتقال وتبادل المعلومات والأفكار والسلوكيات بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمعات المختلفة، فهي العملية التي يتم بها تبادل رسائل من المصدر إلى المستقبل، ويوجد نوع يسمى الاتصال الجماهيري الذي يتم بين فرد ومجموعة من المستقبلين، وهو عبارة عن تفاعل مشترك بين هذه الأطراف»^(٣).

(١) إسرائ ريجي، وسائل الاتصال والتواصل، mawdoo3.com تاريخ الزيارة ١٠/٠١/٢٠١٨.
 (٢) سميحة ناصر خليف، أنواع مواقع التواصل الاجتماعي mawdoo3.com، تاريخ الزيارة ١٠/٠١/٢٠١٨.
 (٣) علا العناتي، ما هي وسائل الاتصال حديثا وقديما mawdoo3.com، تاريخ الزيارة ١١/٠١/٢٠١٨.

كما عرفت مواقع التواصل الاجتماعي «بأنها مجموعة التقنيات المتاحة على الشبكة العنكبوتية والتي يستعملها الناس لغايات التواصل والتفاعل وأغلب أشكال مواقع التواصل الاجتماعي هي إلكترونية وتعطي للمستخدمين القدرة على التواصل والتفاعل مع بعضهم البعض باستخدام أجهزة الحاسوب والهواتف الذكية وشبكة الإنترنت والشبكات الاجتماعية الأخرى مثل: فيسبوك، تويتر، بينترست»^(١).

المطلب الثاني: أنواع ومميزات وسائل التواصل الاجتماعي:

أولاً: أنواع وسائل التواصل الاجتماعي: تنوعت وسائل التواصل ويمكن تصنيفها لأشهر المواقع:

الفيسبوك - تويتر - الفاير - فليكر - تمبلر - بلارك - أوركوت

يوجد الكثير من أنواع مواقع التواصل الاجتماعي وهي:

مواقع تختص في تبادل وإيجاد المعلومات، وفي الاتصالات أمثلتها:

- المدونات الجزئية، والمدونات بروجر.

- مواقع تختص في القضايا المهمة، وجمع التبرعات ومن أمثلها موقع الويكي.

- مواقع الفعليات، مثال موقع تويتر وموقع meetup.

(١) علا العناتي، ما هي وسائل الاتصال حديثاً وقديماً mawdoo3.com، تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠١/١١.

- مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، تستعمل في التواصل بين المستخدمين، والبحث عن الأصدقاء ومعرفة كل شيء جديد في حياة المستخدمين، ويقوم المستخدمون بمشاركة فعاليتهم واهتماماتهم في هذه المواقع ومن أمثلتها: فيسبوك، هاي فايف.

- مواقع تجميع المعلومات.

- مواقع مشاركة الاهتمامات، ومن أمثلها موقع good reads.

- مواقع بناء فرق العمل، والتعاون ومن أمثلتها:

- موقع الملاحظة الاجتماعية، مثال: موقع waze.

- موقع الويكي، وهو موقع خاص بالفرد والأصدقاء.

- موقع الأخبار الاجتماعية، مثال new suine.

- مواقع المرجعيات، فعند القيام بتصفح الإنترنت وحفظ الموقع الخاص بك

يمكنك مشاركته مع الآخرين.

- مواقع تحرير إدارة النصوص، مثال: موقع قوغل ووكس

- مواقع الوسائط المتعددة، ومن أمثلها:

- مواقع البث الحي ومشاركة الفيديو، مثال: فيديو شارتك

- مواقع الفن والتصوير، مثال موقع flocké

- مواقع بث الفيديو والتخزين، مثال: موقع اليوتيوب

- مواقع الاستعراض والرأي، ومن أمثلتها:

- مواقع الأجوبة والأسئلة الاجتماعية.

- مواقع استعراض السلع^(١).

ثانيا: مميزات وسائل التواصل الاجتماعي:

- زيادة الترابط بين أفراد المجتمع الواحد، بتعزيز التواصل فيما بينهم ومعرفة

أخبار بعضهم البعض.

- تقوية صلة الرحم التي أوصانا بها الإسلام.

- تقريب المسافات وذلك بواسطة استخدام التواصل عبر المواقع مما يسهل على

الأشخاص مشاركة عائلاتهم كل لحظات حياتهم بالصوت والصورة.

- تقريب وجهات النظر، وتبادل الأفكار والآراء والمعلومات والمعارف من

خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

- تنمية المهارات والأفكار الإبداعية، والتعرف على ثقافة الشعوب الأخرى، مما

يؤدي إلى تطور المجتمعات.

- تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على تقديم معرفة جديدة من خلال تجميع

مختلف الموارد المعرفية من مصادر متنوعة ثم إعادة بناء معرفة جديدة خلاصة لكل

محتويات المصادر المختلفة^(٢).

(١) سميحة ناصر خليف، أنواع مواقع التواصل الاجتماعي الموقع: mawdoo3.com تاريخ الزيارة:

٢٠١٨/٠١/١١.

(٢) الموقع الرسمي الخاص بالأستاذ الدكتور محمد جابر خلف الله، الموقع: بحثي - تربوي - تعليمي -

مميزات وخصائص مواقع التواصل الاجتماعي Zhar. gaperckenanaonline.com.

- التواصل بين مجموعة ذات اهتمام مشترك أو ما يسمى بإنشاء المجموعات.
- تقدم مواقع التواصل الاجتماعي آلية جديدة لفهرسة المعلومات وذلك بجمع وتنظيم وفهرسة المعلومات بشكل تعاوني.
- تتميز مواقع التواصل الاجتماعي بتوفير المحادثات التفاعلية بشتى أنواعها وذلك من خلال النقاشات والمنتجات.
- تسمح هذه المواقع للمجموعات أن تقيم مساهمات من خلال التواصل والتفاعل فيما بينها.
- تزيل كل القيود المفروضة على السلوك الاجتماعي والمتمثلة في اللغة والموقع الجغرافي والثقافة وقيود الزمان والمكان.
- تخزن هذه المواقع أكبر مجموعة من المعارف والمعلومات حول مختلف أشكال المعرفة، مشكلة بذلك أكبر مكتبة تعاونية تشاركية افتراضية حول العالم.

ثالثاً: أهمية مواقع التواصل الاجتماعي:

- ١- تمكن الفرد من إنشاء علاقات مع من حوله.
- ٢- تقوي شخصية الفرد، إذ تجعله يتقن الحديث ويرتب أفكاره، وذلك يمكنه من إنشاء علاقات في العمل أو غيره^(١).
- ٣- إمكانية مشاركة الآخرين في أي مكان من العالم مناسباتهم الخاصة وأفراحهم.

(١) أروى بريجية، أهمية التواصل الاجتماعي، الموقع: mawdoo3.com، تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠١/٢١.

٤- إتاحة الفرصة للكثير من الشركات الاجتماعية، وقد خصصت شبكات لمثل هذه الأغراض كموقع linkedin.

٥- تتيح الفرصة للفرد بالانفتاح على الآخرين وبالتالي الاستفادة من تجاربهم والتعلم من أخطائهم، كما تنمي العديد من الأخلاق الحميدة في نفس الفرد.

٦- تنمي الوعي لدى الشباب عبر تزويدهم بالمعلومات المهمة في شتى المجالات.

٧- نقل الأحداث والأخبار في مختلف مجالات الحياة.

٨- تعتبر مكانا لتسويق المنتجات بشكل إلكتروني.

٩- التأثير على الرأي العام بشكل واضح ومن مختلف الجوانب^(١).

رابعا: أثر وسائل التواصل الاجتماعي على الفرد والمجتمع:

تعد وسائل التواصل الاجتماعي ميزة العصر الحديث وقد اخترعت هذه الوسائل من قبل عقول عملاقة ومبدعة عبر التكنولوجيا المتطورة حيث إنها أصبحت تمثل قوة كبيرة في عالم الاتصالات والمراسلات كما أنها أثرت تأثيرا مباشرا على حياة الفرد والمجتمع ومست كل جوانب حياته: الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الدينية، الإعلامية والثقافية... ولهذا الوسائل آثار إيجابية وأخرى سلبية.

(١) إحسان الغفلة، أهمية شبكات التواصل الاجتماعي، الموقع: mawdoo3.com، تاريخ الزيارة:

٢٢/٠١/٢٠١٨.

١- الآثار الإيجابية لوسائل التواصل الاجتماعي:

- تبادل الخبرات والآراء والأفكار في شتى مجالات الحياة من خلال المحادثات مع الأصدقاء.

- الاطلاع على الأحداث والمستجدات في مختلف الميادين مما يكسب الشخص وعي أكثر لما يدور حوله.

- اكتساب مهارات متعددة في الحياة.

- جعل التواصل بين المستخدمين مستمراً على مدار الساعة مما زاد في قوة الترابط بينهم، وتوطيد العلاقات من خلال تبادل التهاني بالمناسبات، والمواساة عند المصاعب والملمات.

- تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً فعالاً في تفعيل الأعمال التطوعية بيسر وسهولة بما يعود بالنفع على المجتمع والإنسانية جمعاء.

- التأثير على سلوك أفراد المجتمع واكتسابهم لقيم جديدة.

- تلعب هذه الوسائل دوراً هاماً في المجال السياسي حيث أنها تعد من أهم وأسرع الوسائل التي يوظفها رجال السياسة في الدعاية الانتخابية وحث الناس على التصويت في الانتخابات وقد أنفق هؤلاء مبالغ ضخمة للدعاية، كما أنها توظف في استطلاع الرأي العام للمستخدمين لمرشح دون الآخر كما حصل في الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ٢٠٠٨ التي فاز بها أوباما.

- تبادل الرأي حول قضايا سياسية مختلفة.

- شكلت مواقع التواصل الاجتماعي نافذة اقتصادية خاصة بالنسبة للشباب، في البحث عن العمل وكذلك إعلان الشركات عبر هذه المواقع عما يتوفر لديها من فرص العمل^(١).

- وقد أشارت الدراسات إلى أن الفيسبوك هو أفضل أداة للتسويق والتسوق وأن الفئة الكبيرة من الشباب تتجه إلى التسوق الإلكتروني عبر هذه المواقع^(٢)، كما تعد هذه الوسائل من أسرع وأسهل الطرق للوصول للمستهلكين وعرض منتجاتهم وتعتبر أقل تكلفة من غيرها.

- لعبت هذه الوسائل دورا بارزا في خدمة ديننا الحنيف وهي من أسمى ما يمكن أن يقوم المرء ويشغل به في عمره وذلك بالاهتمام بالدعوة للإسلام ونشره وتبليغه، فاستغل الدعاة هذه المواقع للدعوة والدفاع عنها ضد الآخر والدعوة إلى الإصلاح في جميع مجالات الحياة، كما تعتبر هذه الوسائل من أسرع وأيسر وأحسن الوسائل لنشر الثقافة الإسلامية في كل أنحاء العالم.

- مكنت الناس من معرفة ما يدور في هذا العالم دون عوائق زمنية ولا مكانية، وربط الأشخاص المتابعين للأخبار في العالم الخارجي، فأصبح باستطاعة الفرد أن يشارك أصدقاءه ما لديه من أخبار ومستجدات عبر صفحته.

(١) عزيز رشيد، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الفرد والمجتمع، www.academia.edu/29616133

(٢) عبد المحسن بن أحمد العصيمي، الآثار الاجتماعية للإنترنت، الناشر: قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ، ص ٧٣٣.

- تقوم هذه الوسائل بالدور التوعوي وتقدم النصح للمجتمع فيما يتعلق بإجراءات حماية حياة الأفراد وحماية الممتلكات العامة والخاصة، وكذلك محاربة كل ما من شأنه أن يوقع الفرد في الجريمة، بالإضافة إلى مساعدة رجال الأمن على أداء مهامهم ورفع معنوياتهم إزاء ما يقومون به اتجاه مجتمعاتهم لتحقيق الأمن والسلم.

٢- قد تترتب على الاستعمال السيئ لهذه الوسائل آثار سلبية، نلخص أهمها فيما يلي:

- استغلالها من قبل البعض لتضليل شبابنا المسلم وإبعادهم عن عقيدتهم الصحيحة وذلك بنشر شبّهات مغرّضة بحيث برزت ظاهرة خطيرة وهي تفاخر بعض الشباب بإلحادهم، كما أصبحت هذه الوسائل مسرحاً لنشر الإشاعات الكاذبة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين وذلك باستعمال شعارات كاذبة وبمسمى الحريات والمحافظة على الحقوق، خاصة حقوق المرأة وحرية التعبير.

- أصبحت بعض هذه المواقع للأسف مستنقعا للرديلة والترويج لها ونافذة للتحرش والاعتصاب وذلك للتغريب بالشباب والفتيات.

- ارتفاع نسبة الطلاق التي سببها المباشر في بعض الحالات هو الفيسبوك، لأن هذه الوسائل تشغل وقت الأزواج وخاصة عندما يدمنون عليها، وبذلك يغلق باب الحوار بين الأزواج مما يوسع هوة المشاكل بينهما، وكذلك سهولة الدردشة والتواصل بين الأشخاص الغرباء بلا حواجز أو وسائط فأصبح الزوج وكأنه يتخلص في العالم الافتراضي من شخصيته الرزينة والمتحفظة.

- غياب التواصل الروحي والعاطفي بين أفراد الأسرة، فأصبح كل واحد مشغول بهاتفه^(١).

- نشر شائعات ومعلومات غير المؤكدة مما يسيء إلى الآخرين.

- تقليل التواصل مع الأهل والأصدقاء.

خامساً: تعزيز الاستخدام الإيجابي لوسائل التواصل الاجتماعي:

وبعد عرضنا لهذه الآثار وما يترتب عن الاستخدام السيئ لهذه الوسائل على الفرد والمجتمع، فلا بد من توفر أمور وضوابط حتى تحقق هذه الوسائل دورها الإيجابي والمناسب.

ومن أهم هذه الضوابط ما يلي:

- عدم الإكثار من استعمال هذه الوسائل وتخصيص وقت محدد لها يوميا أو أسبوعيا، حتى لا تصبح إدماناً بالنسبة للأشخاص.

- إشراك الشباب في وضع حلول لظاهرة الاستعمال المفرط والخاطيء لوسائل التواصل الاجتماعي.

- لا بد من تحري المصادقية أثناء نشر الأخبار والمعلومات والابتعاد عن الإشاعات.

(١) نجاح شوشة، أثر وسائل التواصل الاجتماعي في تفكك الأسرة والمجتمع، العدد ٣٤١.

- الرقابة الأسرية على الأبناء وتوجيههم توجيهها صحيحا لكيفية استخدام هذه الوسائل^(١).
- الدعوة إلى وضع تشريعات تقنين استخدام هذه الوسائل وليس تقييدها وذلك حماية لأفراد المجتمع.
- تجديد الأنشطة اليومية التي يقوم بها الأشخاص للخروج من الروتين، كتعلم لغة جديدة، أو ممارسة رياضة أو قراءة كتاب أو القيام بأية هواية أخرى.
- إقامة دورات توعية وإرشاد لمستخدمي هذه الوسائل من مختلف الفئات العمرية وتدريبهم على استثمار فوائدها والحد من أضرارها.



(١) ناصر بن محمد، تقليل سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي مسؤولية مشتركة، ختام النسخة الرابعة من الملتقى الخليجي العدد ٩٥١٨ الجمعة ALAYAMNEWSPAPER.

المبحث الثاني

الترويج للأزياء الإسلامية عبر مواقع التواصل الاجتماعي

بعد أن تعرضنا في المبحث السابق لمفهوم وسائل التواصل الاجتماعي أنواعه، مميزاته، آثاره على الفرد والمجتمع سنعرض في هذا المبحث لمفهوم الترويج وعلاقته بمواقع التواصل الاجتماعي وبالأخص الترويج للأزياء الإسلامية المحافظة.

المطلب الأول: مفهوم الترويج وعلاقته بوسائل التواصل الاجتماعي:

أولاً: مفاهيم عامة حول الترويج:

١- تعريف الترويج: يعد الترويج من المفاهيم الحديثة وقد عرف بتعريفات متعددة منها:

أ- عرفه كوتلر: «بأنه نشاط يتم ضمن إطار الجهود التسويقية، وينطوي على عملية اتصال إقناعي»^(١).

ب- يعرف الترويج على أنه: (الجهد الذي يبذله البائع في إبراز الخصائص المميزة للسلعة أو الخدمة التي يتم الترويج لها كالتصميم، والتغليف... ثم إقناع هذا المشتري بتلك الخصائص لشراء هذه السلعة أو الخدمة)^(٢).

ت- كما عرف بأنه: (ذلك العنصر المتعدد الأشكال والمتفاعل مع غيره من عناصر المزيج التسويقي والهادف إلى تحقيق عملية الاتصال الناجحة بين ما تقدمه الشركات

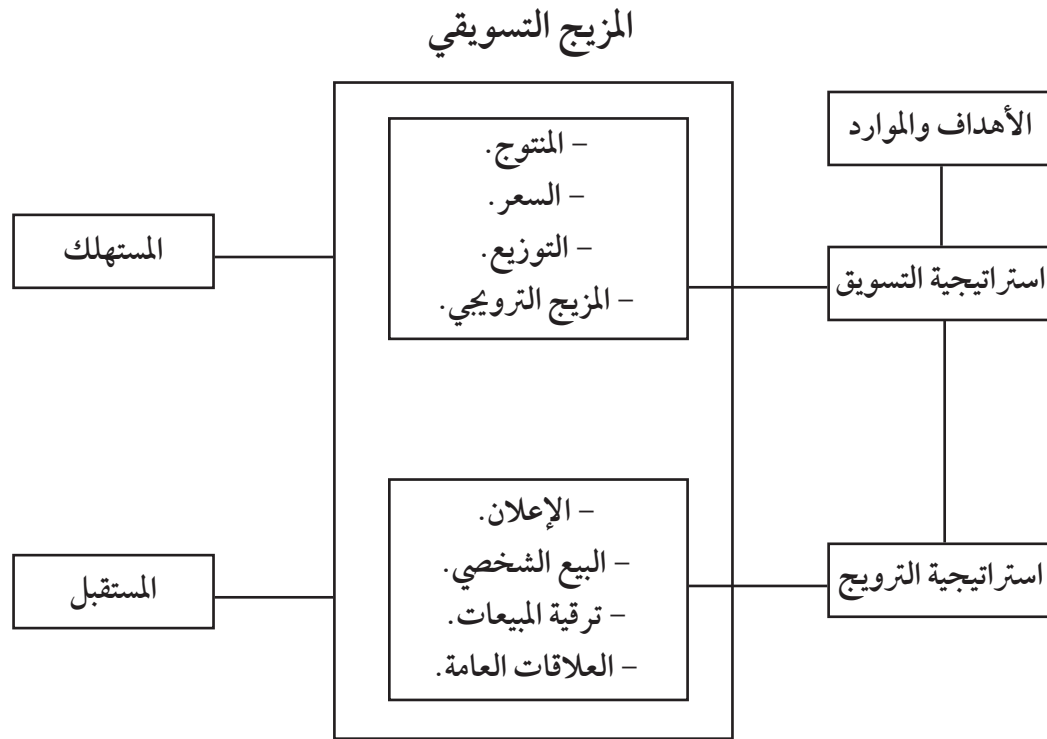
(١) ناجي معلا، الأصول العلمية للترويج التجاري والإعلان، السدار الجامعية، الأردن، ١٩٩٦، ص ٠١.

(٢) ويكيبيديا الحرة https://ar.m.wikipedia.org/wiki/تاريخ_الزيارة، تاريخ الزيارة ٢٤/٠١/٢٠١٨.

من السلع أو خدمات أو أفكار تعمل على إتباع حاجات ورغبات المستهلكين من أفراد أو مؤسسات وفق إمكانياتهم^(١).

ث- وقد عرف تعريفاً مختصراً للترويج: «بأنه تعريفهم بأنواع السلع والخدمات المتوفرة لديها، ومحاولة إقناعهم بشراء المنتج»^(٢).

ج- ويعد الترويج أحد عناصر المزيج التسويقي ptomolional mix يوضحه الشكل الآتي:



المصدر: د. عمر وصفي عقيلي، د. قطحان بدر العبدلي، د. حمد راشد العذير، مبادئ

التسويق (مدخل كامل) دار زهران للنشر عمان، الأردن، ١٩٩٦، ص ١٩٠.

(١) عاشقة الأهل، مفهوم الترويج وأهدافه، الموقع: malina.yoo7.com تاريخ الزيارة ٢٤/٠١/٢٠١٨.

(٢) عبد الحق بن موسى، أساسيات حول الترويج وسلوك المستهلك، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ٢٠١٣، ص ٣.

ومن أهم وظائف الترويج وأهدافه:

- تزويد المستهلك بكل المعلومات الخاصة بالسلعة.
- عندما تكون هناك منافسة في السوق حول سلعة معينة فإن الترويج يساهم بقدر كبير في إثارة اهتمام المستهلك بالسلعة وكذلك خلق التفضيل لديه بتغيير اتجاهه لاقتناء هذه السلعة.
- يساهم في سياسة الإقناع تجاه المستهلك وذلك بتعميق المواقف الإيجابية للمستهلكين حول السلعة أو الخدمة بهدف دفعهم لشرائها.
- خلق الرغبة لدى المستهلك والوصول إلى مشاعره وذلك بتذكيرهم بما يرغبون فيه وما يحتاجون إليه وذلك بحصول المستهلك على مزايا مباشرة وسريعة من الترويج وهي مهمة رجال التسويق، كما أن الترويج يحقق تطلعات المستهلك المستقبلية إلى حياة أفضل.
- أما من جهة رجال التسويق فإنه هناك علاقة بين المبيعات والترويج بالتأثير على منحنى الطلب، حيث يؤثر الترويج على السعر كما يؤثر على الكمية المباعة^(١).
- إذن هناك علاقة وطيدة بين الترويج والتسويق للسلع ونحن سنركز في هذا المبحث على العلاقة بين الترويج للزبي الإسلامي المحافظ ولكن قبل ذلك لا بد من معرفة علاقة الترويج بوسائل التواصل الاجتماعي.

(١) أساسيات حول الترويج وسلوك المستهلك، مرجع سابق، ص ٣ و ٤.

ثانيا: علاقة الترويج بوسائل التواصل الاجتماعي:

تلعب شبكات التواصل الاجتماعي دورا هاما في مجال التسويق حيث يلجأ رجال الأعمال إلى الترويج لمبيعاتهم وخدماتهم بإنشاء قاعدة اجتماعية مع المستهلكين، من خلال مختلف المواقع مثل: twitter. facebook. youtube وهذا بالتسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي social media marketing وتعد الاستراتيجية التسويقية الصحيحة عبر مواقع التواصل الاجتماعي الأكثر فعالية في تحقيق النجاح سواء كان الترويج للعلامة التجارية والمنتجات أو لزيادة المبيعات^(١).

وهناك ما يسمى بخطة التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهي عبارة عن مخطط لكل ما يود الأشخاص تحقيقه في مجال أعمالهم باستخدام هذه المواقع، ولا بد أن تتضمن هذه الخطة الدقة من حيث حساباتهم في هذه المواقع وكذلك تحديد الأهداف المرجو تحقيقها في القريب العاجل والأدوات التي ينوون استخدامها لتحقيق ما يصبون إليه، فكلما كانت الخطة دقيقة كانت أكثر فعالية أثناء التنفيذ، ونستطيع أن نلخص خطوات هذه الاستراتيجية التسويقية كما يلي:

- ١- وضع وتحديد الأهداف التي يرغب في تحقيقها.
- ٢- أن يعيد النظر في حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي ويحدد أي شبكة اجتماعية يزورها جمهوره المستهدف، ونسبة هذه الزيارة مقارنة مع منافسيه.
- ٣- اختيار شبكات التواصل الأفضل لتحقيق أهدافه وكذلك تحديث حساباته وتحسينها للوصول لأفضل النتائج الممكنة.

(١) تولين إبراهيم، دراسة استراتيجية التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومقاييس نجاحها في شركة سيرياتل للاتصالات. ص ٥، url?sa=t&source=web&rct=j&url=http://

- ٤- التركيز على الزبائن لأنهم مصدر الإلهام عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وكذا المنافسين له فهذا يدفعه إلى أن يكون فعالاً أكثر ويخلق لديه دائماً روح المنافسة.
- ٥- لا بد أن تتضمن خطة التسويق التي أعدها محتوى تسويقي إلى جانب أجندة تحريرية بحيث تجيب هذه الخطة على الأسئلة التالية: أي نوع يستعد لنشره أو ترويجه عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟ كم عدد المرات التي ينوى نشر المحتوى فيها؟ من سيتولى عملية النشر؟ كيف سيقوم بالترويج للمحتوى؟
- ٦- تعديل وتطوير خطة التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي وذلك بالتجريب في كل فعل يقوم به وتعقب روابطه باستخدام اختصار الروابط (urlshorteners) أو خدمة (hootsuite) الخاصة بالإحصائيات لقياس مدى نجاح حملته وكذلك استطلاعات الرأي عبر هذه المواقع، بالإضافة إلى حرصه على متابعة التعبير الحاصل في هذه المواقع باستمرار، فنجاحه يجعله ينمي عمله أكثر ويحتاج لإدراج أدوار جديدة وتوسيع حضوره ليشمل مجالات أخرى ودول أخرى^(١).
- وسائل الترويج (المزيج الترويجي): وتشمل كل وسائل الاتصال التي يمكن أن توصل رسالة إلى الجمهور المستهدف وهي:

- ١- الإعلان: تعرفه جمعية التسويق الأمريكية أنه: «وسيلة غير شخصية لتقديم الأفكار أو السلع أو الخدمات بواسطة جهة مقابل أجر مدفوع»^(٢).

(١) عادل راوئي، مواقع التواصل الاجتماعي: كيف تنشئ خطة للتسويق من ست خطوات، adelraouti.net/blog/hootsuite.social-media-marketingandadvertisingart.com

(٢) صفاء أبو غزالة، ترويج الخدمات السياحية، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧، ص ١٩٨.

ومن بين الوسائل المستخدمة في الإعلان: الصحف، المجلات، التلفزيون... وهنالك أنواع مختلفة للإعلان منها: الإعلان التعليمي، الإعلان الإرشادي أو الإخباري، الإعلان التذكيري، الإعلان الإعلامي، الإعلان التنافسي... ويمتاز الإعلان بالانتشار الجغرافي والقدرة على تكرار الرسالة الإعلانية ولكنه مرتفع التكلفة إلا أنه منخفض لكل مستهلك^(١).

ومن أهداف الإعلان:

- تغيير اتجاه المستهلكين وميولهم لشراء سلع لم يكونوا مقتنعين بشرائها.
- البيع الشخصي: وهو عبارة عن اتصال شخصي بين البائع والمشتري لإتمام عملية البيع، حيث يلعب مندوب البيع دورا هاما في الترويج لمنتجات أي شركة.
- تنشيط المبيعات: ويهدف إلى زيادة مبيعات الشركة في الأجل القصير من خلال تجزئة السلع الجديدة للمستهلكين وكذلك تقديم حوافز لهم.
- الترويج عبر الإنترنت: يعتبر الترويج عبر الإنترنت من أهم عناصر المزيج التسويقي وقبل أن نعرف الترويج عبر الإنترنت لا بد أن نعرض على التسويق الإلكتروني ومميزاته.
- ويعرف التسويق الإلكتروني بأنه: «التعامل التجاري القائم على تفاعل أطراف التبادل الإلكتروني بدلا من الاتصال المادي المباشر في عملية بيع وشراء السلع والخدمات عبر شبكة الإنترنت»^(٢).

(١) محمد صالح المؤذن، مبادئ التسويق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٢، ص ٤٢٨.

(٢) أبو خريص عمران علي، شكشك مصطفى أحمد ٢٠١٥، التسويق الإلكتروني وأثره على جودة الخدمات المصرفية، مجلة الأسمرية، العدد ١٧، جامعة الأسمرية، ليبيا، ص ١٥٩.

ومن أهم مميزات التسويق الإلكتروني ما يلي:

- ١- يستخدم عنصر الإثارة لجذب انتباه المستخدم للرسائل الإلكترونية.
 - ٢- عدم وجود قيود، ماعدا قيود التكاليف على المعلومات المعروضة على الإنترنت.
 - ٣- بناء علاقات قوية مع الزبائن في كافة أنحاء العالم من خلال الاتصالات الإلكترونية.
 - ٤- يعتبر سلم لمنظمات الأعمال الصغيرة للوصول للسوق الدولية.
 - ٥- حداثة المعلومة المعروضة على هذه المواقع تحث الزبائن على زيارة هذه المواقع عدة مرات مما يؤدي إلى تكرار عملية الشراء وتكرار مشاهدة الرسالة الترويجية^(١).
- أما الترويج عن طريق الإنترنت فقد عرف في علم الاتصال التفاعلي على أنه: «الإمكانية التي تسمح لشخص أو عدة أشخاص من الاتصال بشكل تفاعلي مثل مرسل ومستقبل مع شخص أو أشخاص أو آلة في وقت حقيقي مباشرة كما هو الحال في الموقع الإلكتروني أو في وقت لاحق كما هو الحال في البريد الإلكتروني»^(٢).
- كما عرف أيضا بأنه: «عبارة عن عملية الاتصال المتبادل بين الزبون والبائع بواسطة استخدام شبكة الإنترنت لإثارة الزبون للتعامل مع هذه المنظمة أو تلك بحسب العوامل المحفزة التي تستخدمها هذه المنظمات».

(١) أ.شلالى الطاهر حسام الدين، أ.دبودي عبد القادر، دور الترويج عبر الإنترنت في تحقيق الريادة التسويقية لمنظمات الأعمال الاقتصادية مع الإشارة لمتعامل الهاتف النقال في الجزائر «أوريدو» مجلة البشائر الاقتصادية المجلد الثالث العدد: ٣ سبتمبر ٢٠١٧، ص ١٨١.

(٢) حماني أمينة، ٢٠١١-٢٠١٢، أثر الاتصالات التسويقية الإلكترونية.

وهناك مجموعة من الوسائل المستخدمة في الترويج عبر الإنترنت والتي تستخدمها منظمات الأعمال الإلكترونية لترويج المنتجات نذكر من أهمها:

١- الموقع الإلكتروني: يعتبر أداة أساسية وفعالة للترويج الإلكتروني، ولا بد أن يروج لهذا الموقع كي يكون فعالاً في أداء وظيفته بسهولة، وهو أيضاً يعد شكلاً من أشكال التسويق التي تعتمد عليها معظم المؤسسات في تنفيذ إستراتيجياتها التسويقية.

٢- الإعلان عبر الإنترنت: يعتبر الإعلان من أهم عناصر المزيج الترويجي، يستخدمه رجال التسويق الإلكتروني لإيصال صورة ذهنية جيدة عن منتجاتهم للزبون أو جذب المستهلكين للمواقع الخاصة بهم، وللإعلان أشكال مختلفة نذكر منها:

أ- الإعلانات المتحركة عبر الشاشة.

ب- إعلانات ناطحات السحاب.

ت- المستطيلات.

ث- الإعلانات التي تجدها تتحرك متخللة الأنسجة التي تشكل موقع الويب.

ج- إعلانات الدعاية لمواضيع أو برامج معينة.

٣- استخدام محركات البحث: تعد محركات البحث تقنية بالغة الأهمية في استرجاع المعلومات المطلوبة وقد وردت عدة تعاريف لمحركات البحث نذكر منها:

- تعرّف محركات البحث بأنها: برمجيات تستخدم التطبيقات لجمع المعلومات عن صفحات الويب، والتي تستخدم كلمات مفتاحية، تكون عبارة عن مؤشرات محتملة عما تحتويه صفحات الويب^(١). وغيرها من الوسائل الأخرى.

المطلب الثاني: سوق الأزياء الإسلامية المحافظة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي:

دخلت الأزياء الإسلامية المحافظة عالم السوق في الآونة الأخيرة، وتعد صناعة الأزياء الإسلامية صناعة حديثة لها جذور، وتعد الصيحة الرائجة حالياً وتشكل قاعدة استهلاكية قوية، ومن هذا المنطلق بادرت دولة الإمارات وعلى رأسها قيادتها الرشيدة والمتمثلة في صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، إلى تطوير قطاع التصاميم والأزياء الإسلامية حيث إن مجلس دبي للتصميم والأزياء سيدعم مسيرة دبي ويكون منصة عالمية للتصاميم والأزياء الإسلامية من خلال: تخصيص حيز للأزياء الإسلامية ضمن إستراتيجية الموضة ٢٠٢٠، وتطوير منصة الأزياء الإسلامية مع أسبوع الموضة في دبي، وكذلك تحديد سلسلة المبادرات والفعاليات التي من شأنها تعزيز قطاع التصاميم والأزياء الإسلامية في دبي.

وقد شهد هذا القطاع رواجاً كبيراً عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهذا ما أشار إليه موريس عايق فيما يخص كتاب إسلام السوق للباحث السويسري باتريك هايني الصادر بالفرنسية عام ٢٠٠٥، وبالعربية بترجمة عومرية سلطاني عام ٢٠١٥ حيث

(١) Ledford.j.l ، 2008، searchengineoptimization، wiley publishing، inc، Canada.

يُنّ قضايا تمكين المرأة والبيئة بما يسمح للاندماج في العالم المعاصر وقيمه ويمكن المسلمين من أن يصبحوا جزءاً من العالم وليس في مواجهة معه وأكثر ما عبر عن هذا الاندماج هو الاندماج في السوق والخضوع لقواعده، فتغلغلت المنتجات الدينية في الحياة الاجتماعية من خلال البرامج التلفزيونية الإسلامية وغير الإسلامية، وكذا مواقع التواصل الاجتماعي التي لعبت دوراً كبيراً في فتح الباب واسعا أمام إنجاح هذه السوق وخاصة سوق الأزياء الإسلامية المحافظة^(١).

فأصبح المنتج الديني قائماً على الرغبة والمتعة وخلق حاجات جديدة مندرجة في نظام السوق وليس قائماً على الترهيب من الآخرة.

ما المقصود بالأزياء الإسلامية المحافظة؟

مما لا شك فيه أن الإسلام وضع ضوابط شرعية للباس المرأة وفرض عليها الحجاب بنص قرآني صريح، بما يتوافق ومقاصد الشرع في حفظ عورات النساء ودرء الفتنة عنها وعن المجتمع وحفاظاً على الأخلاق قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢)، فهنا دعوة صريحة إلى وجوب ستر المرأة لجسمها وعدم إظهار شيء من زينتها للأجانب، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾^(٣)، فيه دليل واضح على وجوب تغطية المرأة لشعرها.

(١) موريس عايق، في ما يخص كتاب «إسلام السوق» والثورة المحافظة، www.alhayat.com،

تاريخ الزيارة: ٢٠/٠٢/٢٠١٨.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٩.

(٣) سورة النور الآية ٣١.

إذا فالحجاب فرض لتحقيق مقصد عظيم من مقاصد الشرع وهو الحفاظ على كيان المرأة المسلمة وعفتها.

ولكن الشرع لم يمنع المرأة من الزينة وأن تظهر في مظهر حسن، والإسلام انتشر عبر أنحاء العالم ولا يزال الكثير يعتقدون الدين الإسلامي من غير العرب فأصبح من الصعب على المعتنقين الجدد للدين الإسلامي ارتداء البرقع أو النقاب من الوهلة الألى، وإنما جاء لباسهن محتشما بما يتوافق مع البيئة التي يعيشون فيها.

وكذا طبيعة العمل الذي يمارسونه مما دفع بعض أصحاب هذه الصناعة إلى تطويرها وابتكار بعض التصاميم الجديدة مع الإبقاء على كون هذه الأزياء تجعل من المرأة أنيقة ومحتشمة في نفس الوقت.

وتعد مواقع التواصل الاجتماعي الوسيلة المثلى للإعلان عن منتجات الشركات الخاصة بهذه الأزياء عن طريق انستغرام أو فيسبوك. وكذلك أحدثت نقلة نوعية فأصبح الحجاب يغزو أكبر دور للعرض وكذا إقامة أسابيع للموضة في دول غير إسلامية كلندن مثلاً.

وحتى نطلع أكثر على دور مواقع التواصل الاجتماعي في إنجاح هذه الصناعة وإعطاء أهمية لسوق الأزياء الإسلامية سنختار الوسيلة الأكثر ترويجاً لهذه الأزياء وهي الفيسبوك، وسنوضح كيفية الترويج عبر صفحة الفيسبوك:

- لا بد من الإعلان أولاً عن الصفحة لتصل للزبائن عن طريق البريد الإلكتروني، وحتى بطباعته على غلاف المنتج وعلى لباس الموظفين الذين يقابلون الزبائن.

- وضع دعوة واضحة على الموقع الإلكتروني الخاص بالشخص المروج يدعو فيها للانضمام إلى صفحته.
- وضع صندوق المعجبين facebook fanbox في مكان واضح في الموقع الإلكتروني الخاص به.
- وضع الدعوة للانضمام للصفحة في الإعلانات المطبوعة التي تنشرها الشركة في الصحف والمجالات.
- دعوة المتابعين له في تويتر للانضمام للصفحة.
- المشاركة في صفحات الفيسبوك التي لها علاقة بعمل شركته فيسهل عليه العثور على المهتمين بمنتجاته.
- المشاركة في المنتجات والمدونات والمواقع الإخبارية باستخدام اسم صفحة الفيسبوك.
- استعمال إعلانات جوجل للكلمات المفتاحية.
- بعد نشر أي فيديو في يوتيوب يتأكد من وضع الدعوة أسفل الصفحة.
- تخصيص مبلغ للإعلان عن الصفحة من خلال خدمة إعلانات فيسبوك.
- إخبار المعجبين عن صفحته خاصة إذا كان ذلك فيه فائدة له، ولكن هذا لا يكون إلا بعد أن يطلب هو بنفسه ذلك منهم.

- كتابة المعلومات بشكل صحيح في صفحة المعلومات وإبراز الهدف من فتحه لهذه الصفحة.

- الترويج للشركة على صفحات خاصة بالموظفين من خلال إعلام أصدقائهم وأقاربهم.

- الإثارة والتجدد في المحتوى من أسرار النجاح، ويشجع الغير على الانضمام لصفحته^(١).

الفيسبوك وعلاقته بالترويج:

الفيسبوك: يعتبر من مواقع التواصل الأكثر شيوعاً في المجتمع وهو يسمح للمستخدمين بإنشاء ملفات شخصية، وإضافة أصدقاء آخرين، وتبادل الرسائل والمعلومات والفيديوهات.

كما يسمح أيضاً بتشكيل مجموعات groups ذات اهتمامات ومصالح مشتركة^(٢)، كما يتيح الفيس بوك لمستخدميه إمكانية لعب الألعاب المختلفة وتفاعل العديد من المواقع الإلكترونية الأخرى مع الفيسبوك فيتمكن زوارها من نشر ما يتم نشره على الموقع وذلك طبعاً لأسباب ترويجية.

(١) ١٧ طريقة للترويج لصفحة شركتك على الفيسبوك، مشابك:

mashabek.com /17-ways-To-promote-your-face book-fa

(٢) محمد مروان، تعريف الفيس بوك، ديسمبر 2014 mawdoo3.com، تاريخ الزيارة ٢٥/٠١/٢٠١٨.

ويجدر الذكر أن الفيسبوك قد تم إنشاؤه عام ٢٠٠٤ من قبل مارك زوكربيرغ وإدوارد سافرين، وأندرو ماكولوم، وداشن موسكوفيتروكريس هيوز، وكانوا طلابا في جامعة هارفرد، وكان الموقع في البداية مقتصرًا على طلاب الجامعة ثم امتد ليشمل جامعات أخرى، وانتهى به الأمر كموقع متاح للجميع. ويعد أكبر موقع اجتماعي حول العالم^(١).

إنستغرام: instagram: هو تطبيق مجاني لتبادل الصور وهو من تطبيقات الشبكة الاجتماعية، أطلق في أكتوبر سنة ٢٠١٠ سمح هذا التطبيق المجاني لمستخدميه تبادل الصور وإضافة فلتر رقمي إليها، وبالتالي فهو يشارك في مجموعة متنوعة من خدمات الشبكات الاجتماعية، وشبكة الانستغرام نفسها استحوذت عليها شركة فيسبوك بصفقة بلغت مليار دولار نقدا في ١٢ من أبريل^(٢) ٢٠١٢.

اليوتيوب: YouTube: أسس في ١٤ فبراير سنة ٢٠٠٥ من قبل ثلاثة موظفين في شركة داي وهم: تشاد هيرلي، وستيف تشي، وجاويد كريم في كاليفورنيا، ويتنوع محتوى الموقع بين مقاطع أفلام وتلفزيون وموسيقى وفيديو منتج، سنة ٢٠٠٦ أعلنت شركة جوجل عن الوصول لاتفاقية لشراء الموقع مقابل ١,٦٥ مليار دولار أمريكي^(٣).

(١) atlast-the full story of how face book and mary 2010-3-Nicholas carlson 5
the history of face book and how it was inverted، thoughtco، 2017-6-bellis 17
edited، 2017-6-retrie 30 تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠٢/٠١ .

(٢) ويكيبيديا الموسوعة الحرة http://: ar.wikipedia. org/wiki/ تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠٢/٠١ .

(٣) الأعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي) ص ٩٠ .

تويتر twitter : يعد أشهر شبكات التواصل الاجتماعي ويقدم خدمة التدوين المصغر، يمكن استخدامه من إرسال تغريدات بـ ٢٨٠ حرف للرسالة الواحدة، وذلك مباشرة عن طريق موقع تويتر أو إرسال رسالة نصية قصيرة sms أو التطبيقات التي يقدمها المطورون مثل: الفيس بوك... وأصبح موقع التويتر متوفر باللغة العربية منذ مارس ٢٠١٢، وقد ظهر هذا الموقع في أوائل عام ٢٠٠٦ كمشروع تطوير بحثي أجرته شركة أديو الأمريكية في مدينة سان فرانسيسكو، بدأ هذا الموقع بالانتشار كخدمة جديدة عام ٢٠٠٧^(١).



(١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة <http://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ الزيارة ٠٢/٠٢/٢٠١٨.

المبحث الثالث

موقع المرأة المسلمة من الموضة الإسلامية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي

المطلب الأول: صناعة الأزياء الإسلامية بين المحافظة على الهوية العربية والإسلامية والعادات والتقاليد ومساييرة الموضة:

من السمات الطبيعية للمرأة اهتمامها بمظهرها الخارجي وإبراز جمالها أكثر مما هو عليه الرجل، وهذا ما جعلها دائمة الاهتمام بكل ما هو جديد في عالمها من لباس ومكياج وإكسسوارات ومتابعة للموضة. ومما لاشك فيه أن الزي الإسلامي مر بمراحل عبر التاريخ. أما فيما يخص حجاب المرأة فقد فصل فيه ديننا الحنيف ووضح شروطه، لكن الكم الهائل للأزياء التي تعرض جعل المرأة في حيرة من أمرها بين أن تكون عصرية ومتصالحة مع دينها، فالحجاب يعتبر رمزا للحياء والعفة، وهو: ضابط شرعي اجتماعي لم يكن يوما قييدا للمرأة عن ممارسة حقوقها، بل العكس فقد حقق لها الطمأنينة والحماية أثناء قيامها بمهامها فكانت تحضر الندوات العلمية والأدبية، وتلقى الأئمة والخلفاء، وقد حافظت المرأة على لباسها الشرعي في كل المجتمعات الإسلامية بالرغم من كل التغيرات التي طرأت على هذه المجتمعات، ورغم الهجمات التي تشن ضدها من أن الحجاب لباس المتخلفات وأنه قمع للمرأة. كما أن الحجاب يعتبر رمزا للثقافة الإسلامية، إذ يميز المرأة المسلمة عن غيرها. ولكن خضوع الحجاب اليوم للموضة جعله ينحرف عن معناه الشرعي ويجول في بعض الأحيان إلى زي للإغراء والفتنة، وذلك بخضوعه لمقاييس الموضة وفقدانه

للكثير من شروطه ومواصفاته، واكتسابه لمواصفات دخيلة على مجتمعاتنا وتخص اللباس الغربي^(١).

والزي الإسلامي بالإضافة إلى أنه فريضة وحكم شرعي، وعلاج للكثير من المشاكل الاجتماعية، فهو رمز للهوية الثقافية للأمة الإسلامية.

ولقد شهدت صناعة الأزياء الإسلامية انتشارا واسعا وإقبالا كبيرا من النساء وذلك من خلال الترويج لها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ولكن السؤال المطروح هنا: كيف تشكلت هذه الأزياء الإسلامية؟ وما هو أصلها؟

بالعودة إلى تاريخ الأزياء نجد أنه بعد انتشار الأزياء الأوروبية إلى أقطار من العالم الإسلامي خلال القرن ٢٠، ومع مطلع السبعينات، بدأت العديد من النساء ومن الشابات المتعلمات وضع أغطية الرأس الإسلامية المختلفة التصاميم التي تسمى الحجاب، ووجدت هذه النزعة صدى بين منتقدي انتشار العلمانية، وكان العديد من المهتمين بالموضوع قد وضعوا أملهم أن يقضي التحجب الجديد على الأزياء والموضة، وأن يزيل التمايز بين الأغنياء والفقراء. لكن الموضة الآن أصبحت لا تقتصر على الذوق فقط، بل صارت صناعة مرتبطة بالشركات المنتجة، فهناك

(١) رتيبة أزوين، الحجاب بين الشرعية والموضة، دراسة ميدانية مقارنة بين الحجاب الشرعي والحجاب العصري، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر ٢٠٠٧-٢٠٠٨ ص ١٠٩.

أزياء لا تعبر تماما عن عاداتها وتقاليدها ولا على حضارتها، بل هي أزياء معولمة، إذن فالزني أصبح أوسع من أن يكون معبرا فقط عن هوية الشخص والبلد الذي ينتسب إليه. فأصبحت المرأة تتجاوزها عدة جهات وكذلك هي تعيش في حيرة بين ما يحصل من تغير داخل المجتمعات وبين ما هو ثابت بالدين، أما من ناحية لباسها فهي إما أن تكون ملتزمة بالشرع، فتلبس ما يوافق ذلك، وإما أن تتبع الموضة وأزياء العصر فتخالف الشرع، وإما أن تحاول أن توفق بين ما هو شرعي وما هو عصري أو حديث، بمعنى أن تظهر بحجاب عليه تغيرات في شكله أو ألوانه، وهناك من يرى أنه يوجد فرق بين إتباع الموضة في الحجاب كحدثة استهلاكية وبين تطويره وتغير ألوانه، فليس الثابت أن اللون الأسود هو الوحيد الشرعي الإسلامي وأن لبس لون آخر من الحدثة الدخيلة، فلو ربطنا الحجاب بالموضة الرأسمالية التي تعتنق كبرى شركاتها فكرة الهدف المادي، فسيتحول الحجاب هنا إلى ظاهرة استهلاكية تسويقية في قالب حدائي^(١).

ولكن لا يخفى علينا أن المرأة المسلمة أصبحت تشكل قوة اجتماعية في الغرب، فأصبحت النساء المسلمات يخترن الزي للتعبير عن عقيدتهن وإسلامهن، وقد يكون هذا الزي إما حجابا ملونا كاملا الطول أو جلابيب، وفي بعض الأحيان يضعن حتى النقاب، أما البعض الآخر يمكن اعتبار لباسهن لباسا تقليديا ولكن له أشكال إبداعية جديدة بعضها اخترع في مدن عالمية عربية.

(١) أحمد فتحي الجميل، الإسلام والحدثة، ١٥ مارس ٢٠١٥، www.sasapost.com/opinion/، islam.and-moderity تاريخ الزيارة: ٢٧/٠١/٢٠١٨.

أجري حوار مع الباحثة الدكتورة (إيما تارلو) باحثة في قسم الأنثروبولوجيا، في جامعة لندن، تدرس الأنثروبولوجيا، وهي مؤلفة للعديد من الكتب آخرها كتاب أزياء المسلمات: سياسة وعقيدة ٢٠١٠، وهذا الكتاب نقل واقع المرأة المسلمة في المملكة المتحدة وعلاقة الدين باللباس، كما ركز بصفة خاصة على مناقشات الزي الإسلامي وكذلك عالم الأزياء وعلاقته بالعوامة، وقد اهتمت الباحثة من خلال إجابة على سؤال المحاور بلباس المرأة المسلمة بعد أن أعلنت الحكومة الفرنسية حظر ارتداء الرموز الدينية في المدارس الحكومية عام ٢٠٠٤، وكذلك حضرت العديد من التجمعات للنساء المسلمات الشبابات المحجبات في بريطانيا على هذا الحظر، فلم تر من هؤلاء النسوة أن لباسهن يعبر عن التطرف أو أنهن ضحايا الدين المتطرف بل بالعكس أن هذه الشريحة من المجتمع هي عناصر خلاقة وديناميكية إلا أنها غيبت عن الإعلام. هذا ما أدى بها إلى إجراء بحوث في هذا العالم المتغير وتنوع اللباس الإسلامي في بريطانيا ودعمت ذلك بصور منها ما هو ملون لتبرز جمال اللباس الإسلامي أنه ليس لباس القمع.

وأشارت إلى أن معظم مصممي الأزياء الإسلامية عملوا على تلبية الحاجة إلى ملابس عصرية ومتواضعة وكذلك رغبة الكثيرين عن التعبير عن إيمانهم من خلال ارتداء لباس مغطي لكامل الجسم، فأصبحت العباءات والجلابيب متوفرة في محلات تجارية إسلامية، ولكن لم تتفق هذه الأزياء مع نظرهم العصرية الحديثة.

وكذلك نبهت إلى أن الأزياء الإسلامية انتشرت بكثرة على مواقع الإنترنت واتصفت بالجاذبية وكثرة المعجبين بها، واشتملت على مصممين يعملون على إرضاء

الأذواق العصرية، وسوق الموضة الإسلامية، سوق متواضع يمكن أن يصل إلى الناس من خلفيات ومعتقدات مختلفة.

وإجابة على السؤال حول علاقة الأزياء بهوية المرأة المسلمة في العالم المعاصر، فقد أكدت الكاتبة (إيما تارلو) بأن اللباس يمكن أن نرى من خلاله تشكيلات الهوية الجديدة، واللباس يربط بين الشخصية وبين التشكيلات الاجتماعية الدينية والثقافية والجمالية والأخلاقية والسياسية، وكذلك فإن الموضة العالمية لهذه الأزياء تعكس طبيعة عالمية المجتمعات الإسلامية في بريطانيا وأماكن أخرى.

أما عن سؤالها عن سبب إدراج الأزياء الإسلامية ضمن المواضيع التي تشكل قلقاً لوسائل الإعلام الدولية، فقد أجابت بأن وسائل الإعلام الغربية أعطت صورة خاطئة على الإسلام والمسلمين واعتبرت الحجاب رمزاً للإرهاب والتخلف وتخويف الغرب من المسلمين مما أدى بهم إلى حظر ارتداء الحجاب في المدارس والأماكن العامة في عدة دول أوروبية، فحصل خلط بين الزي الإسلامي وما يراه البعض تهديداً إسلامياً متطرفاً.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد شاركت هذه الباحثة منذ عام ٢٠٠٩ في اثنين من المشاريع البحثية الجماعية للنظر في تطورات الأزياء الإسلامية في أوروبا^(١).

ونلخص إلى أن المرأة المسلمة غالباً ما تحرص على الجمع بين القديم والحديث، كما أن هناك من النساء المسلمات من تسمو عقولهن وأخلاقهن ودينهن على أن يكن

(١) عبد الرحمان أبو المجد، حوار إيما تارلو حول الأزياء الإسلامية:

71755/www.alukah.net/culture/0 2014/06/40 تاريخ الزيارة ٢٨ / ٠١ / ٢٠١٨.

تابعات للموضة دون تمييز بين ما يليق بهن، وأدركت أن الموضة ليست مقياساً نحكم من خلاله على أن المرأة متقدمة أو متخلفة، ولكن لا مانع من اقتناء المرأة لهذه الأزياء خاصة في المناسبات النسائية وتحت العباءة أو في منزلها. وعلينا أن نحذو الاعتدال في الأخذ بالأمور فنأخذ ما يفيدنا ونترك ما يضر بقيمتنا وأخلاقنا من حيث الملابس.

المطلب الثاني: أثر مواقع التواصل الاجتماعي في نمو صناعة الأزياء الإسلامية:

أولاً: مساهمة مواقع التواصل الاجتماعي في نمو صناعة الأزياء الإسلامية:

مما لا شك فيه أن وسائل التواصل الاجتماعي لعبت دوراً رئيسياً في نمو وتطور صناعة الملابس المحتشمة حول العالم. ففي القمة العالمية للاقتصاد الإسلامي المنعقدة في دبي الإمارات العربية، شرح مصممون ورجال أعمال في مجال ملابس المحجبات والموضة المحتشمة كيف ساعدتهم وسائل التواصل الاجتماعي في السنوات الأخيرة في تطوير هذه الصناعة، وقد زاد عدد المسلمات الشابات والشريكات الصغيرة اللواتي اقتحمن سوق الملابس المحتشمة.

كما صرحت مصممة الأزياء المصرية المقيمة في دبي سهى محمد طه بأن نجاحها في عالم الأزياء المحافظة هو نتاج تواجدها على مواقع التواصل الاجتماعي، وقد أنشأت طه صفحة انستغرام، ووصل عدد قرائها ومتابعيها ١٧٠ ألف، كما استطاعت أن تحول المتابعين إلى زبائن ومشتريين.

كما أشار توريه أن فيس بوك كان الوسيلة الأكثر شعبية حينما أطلق موقع مودانيسا عام ٢٠١١. كما أضاف أن المواقع تأخذ شعبيتها بحسب المنطقة مثال: في

تركيا الفيس بوك هو الأكثر شعبية، في دول أخرى يفضلون سناب شات، ولكن حسب رأيه يبقى الانستغرام هو الأقوى في مجال بيع الملابس المحافظة^(١).

أما في إندونيسيا وهي أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان، وقد زاد عدد النساء المحجبات فيها، فإن موقع متجر متخصص في ملابس المحجبات، حجاب دوت كوم على الإنترنت يزود المحجبات بالملابس في شتى أنحاء العالم.

أما في بريطانيا فقد ذكرت شيلينا جان محمد وهي نائبة رئيسة وكالة أوغلفي نور التجارية: أن صناعة الأزياء الإسلامية لديها إمكانيات تجارية ضخمة على مستوى العالم، ولكن غير مستغلة بشكل صحيح.

وسنعرض على سبيل المثال لموقع من المواقع الخاصة ببيع الأزياء الإسلامية وهو: modaniza: موقع تركي نسائي خاص ببيع أزياء المحجبات، بالإضافة إلى أقسام أخرى، يوفر عدة طرق للدفع منها: الدفع عبر البطاقات الائتمانية وباي بال خاصة للتسوق من كافة الدول، إضافة إلى وسائل دفع محلية تستخدم داخل تركيا فقط. بالدخول للموقع وجدنا كل المعلومات مزودة بصور الماركات المفضلة الخاصة بكل الفئات مع الأسعار وكذا التخفيضات كمحفزات للزبائن.^(٢)



(١) هالة دروي: كيف ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في نمو صناعة الموضة المحتشمة؟ <http://www.mysalaam.com/ar/story> تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٢.

(٢) أفضل ١٠ مواقع تسوق ملابس تركية بواسطة: echomoda: <https://echo-moda.com/best-turkish-shopping> تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١٠/٣٠.

المبحث الرابع

نماذج عربية وعالمية

المطلب الاول: نماذج لأشهر مصممات أزياء إسلامية:

شهدت صناعة الأزياء الإسلامية في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا، وانتشارا هائلا عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي جعلت لهذه الصناعة نطاقا واسعا ووصولاً أسرع إلى كل دول العالم، فأصبح لها اسم بارز في السوق وبرز العديد من المصممين المشهورين الذين دخلوا مجال تصميم الأزياء الإسلامية المحافظة من بابها الواسع لذلك سنعرض لأشهر المصممين في هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر:

١- المصممة المصرية سها محمد sohamt: هي مصممة أزياء مصرية، تعيش في العين في الإمارات، شقت طريقها في عالم الموضة الإسلامية الخاصة بالمحجبات بقوة منذ ٣ سنوات، معروفة بتصميماتها العصرية والأنيقة، وهي تهتم أكثر بتصميم العبايات والطرح، وقد أدى ذلك إلى انتشار sohamt على السوشال ميديا وذكرت بأنها تسعى إلى أن تصل إلى العالمية وأن توصل تصاميمها إلى كل الناس، لها متابعين من افريقيا وحتى دول أوروبا مثل: سويسرا، ولها أكثر من ٢٠٠ ألف متابع على الانستغرام وهي تعرض مجموعة أزياء محجبات من كوليكتشن^(١).

٢- بلقيس بخر شيففا: مهاجرة شيشانية، فرت من حرب الشيشان قبل ١٢ سنة، تعد أول مصممة أزياء المحجبات في ألمانيا، وهي صاحبة وكالة zabbary

(١) آية حسان، sohamt مجموعة أزياء محجبات من كوليكتشن المصممة سها محمد:

soha.mt/06/07/http://banat7wa.com/2017 تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠٢/٠٣

حيث اختارت أن تدرس تصميم الأزياء في الجامعة وهو حلم حياتها منذ الطفولة، ولم تكن تنوي أن تحول هذه الهواية إلى مهنة وتختص بأزياء المحجبات حيث إنها لم تكن ترتدي الزي الإسلامي ولا تعرف عن الإسلام الكثير، ولكنها قررت عام ٢٠١٠ أن تلتزم باللباس الإسلامي، بالرغم من الصعوبات التي عانتها، ولكنها عندما أرادت أن ترتدي لباس يجمع بين الأناقة والعصرية، والالتزام بتعاليم الدين، لم تجد في السوق ما يلبي رغبتها، فقررت أن تغير من هذا الوضع لإدراكها بأن هناك الكثير من النساء يواجهن نفس المشكلة. وبعد تخرجها من الجامعة، فتحت وكالة صغيرة عام ٢٠١٢ مستقلة لتصميم الأزياء وبيعها، وكانت عملية البيع تتم عن طريق الإنترنت وأصبح الطلب على موضتها أكبر مما كانت تتوقع، خاصة وأن هذا النوع من التجارة جديد في ألمانيا، وفي نهاية شهر مارس ٢٠١٣ أقامت أول عرض أزياء محجبات في تاريخ ألمانيا وهي تطمح رغم إمكانياتها البسيطة إلى دعوة مصممات أزياء أخريات لإقامة عروض مشتركة والعجيب أن الزائرات اللواتي يشتريهن الأزياء لسن فقط مسلمات، بل غير مسلمات أيضا لإعجابهن بالملابس الطويلة الساترة لكامل الجسم، وهذا ما أسعدها كثيرا حتى تزول الصورة السيئة التي رسمها الغرب عن الإسلام والمسلمين. وتطمح إلى جعل المرأة المسلمة في ألمانيا تجمع بين العصرية والالتزام بتعاليم الدين في لباسها حتى لا تجد أي عوائق للقيام بدورها ونشاطها في المجتمع^(١).

(١) فلاح آل ياس، مهاجرة شيشانية، أول مصممة أزياء المحجبات في ألمانيا. m.dw. 31/07/2013. /com/ar; تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٣.

٣- أنيسة حسيبوان: مصممة أزياء إسلامية، تبلغ من العمر ٣٠ سنة، إندونيسية الأصل، مسلمة، تألفت في عرضها لمجموعة ربيع صيف ٢٠١٧ جاكرتا، ليصبح العرض الأول في تاريخ أسبوع نيويورك للموضة، وقد عرضت حسيبوان ٤٨ إطلالة مستوحاة كلها من مسقط رأسها جاكرتا وهي تطمح لأن تضع اسم إندونيسيا في تصميم الأزياء عالميا، يعرف بالحضارات المختلفة والمتنوعة في اندونيسيا. وعن تجربتها في أسبوع الموضة بنيويورك قالت أنيسة: هي فرصة لأي شخص لكي يحقق أحلامه من أوسع الأبواب، وأتمنى أن يكون القادم أفضل. وأكدت حسيبوان أن المرأة لا تتعرض لصعوبات في أمريكا بسبب ارتداء الحجاب. وتمنت حسيبوان أن تكون علامتها التجارية عالمية، وأن تغزو بها العالم كما أكدت أنها تريد أن تكون مصدر إلهام لجميع السيدات والمسلمات حول العالم، لأن العالم مليء بالأفكار الإيجابية التي تتمنى أن تنتشر بشكل كبير^(١).

إلى جانب هؤلاء المصمات، ظهرت أيضا:

٤- إلهام العريف: موهبة جديدة في عالم تصميم الأزياء الإسلامية وهي من دولة الإمارات الشقيقة، وهي تعنى بتقديم أزياء الحجاب في إطلالات جديدة ومتكاملة، تتميز بتصاميمها بالجرأة والإبداع وهي تعتمد الألوان المحايدة والأساسية لتناسب جميع أنواع البشرة، ويسهل تنسيقها مع الإكسسوارات^(٢).

(١) cnn بالعربية، أنيسة حسيبوان تصنع التاريخ بأزيائها:

2016http://arabic.cnn.com/style-09-18/ تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٣.

(٢) إلهام عريف، تصاميم الحجاب الحديثة من الإماراتية:

www.sayidaty.net/node/512686، 2016-12-31 تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٤.

المطلب الثاني: أشهر عارضات للأزياء الإسلامية:

هيمنت عارضات أزياء محجبات على عالم الموضة، خاصة بعد أن انتبه عالم الأزياء إلى السوق الخاصة بالمحجبات، فعلى مدى سنوات عانت العارضات المحجبات كثيرا من أجل خوض التجربة في الترويج لمنتجات لها خصوصيتها، وسنعرض هنا لأهم العارضات اللواتي خضن هذه التجربة ومن بينهن:

١- ماريا إدريسي: ابنة ٢٣ عاما، نشأت في لندن، وهي من أم باكستانية وأب مغربي، بدأت مسيرتها في مجال عرض الأزياء عندما قبلت عرضا للعمل مع إحدى دور الأزياء الكبيرة في العاصمة لندن، عرضته عليها إحدى صديقاتها، ومن هنا مع اسم ماريا إدريسي كأول عارضة أزياء محجبة في بريطانيا، وقد تحمست لدخول هذا المجال لأن أزياء المحجبات تفتقد إلى التنوع، حيث تشعر الفتاة المحجبة بصعوبة في انتقاء ماترتديه، وبالرغم من الانتقادات التي واجهتها ماريا من أن هذه الأزياء لا تتفق مع الدين إلا أن ردة فعل العامة كانت إيجابية حيث حظيت ماريا بتغطية مكثفة من وسائل إعلام عالمية كثيرة^(١).

٢- حليلة عدن: شابة ذات ١٩ سنة، شاركت في مسابقة ملكة جمال منيسوتا وهي ترتدي الحجاب، كما ارتدت البور كيني في الجزء الخاص بملابس السباحة، اشتهرت بشكل سريع، حيث تمكنت من توقيع عرض مع كبرى وكالات عارضات الأزياء mg كما ظهرت في مجموعة kanye wests yeezy كما ظهرت على غلاف مجلة carine roitfelds magazine وكتاب crfashion book.

(١) ماريا إدريسي عارضة أزياء محجبة في بريطانيا:

2016-09-http://arabic.cnn.com/styl/gallery 18 تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٥.

ولدت حليلة الصومالية الأمريكية في مخيم كاكوما للاجئين بكينيا، وجاء صعود حليلة بسرعة في عالم الأزياء نتيجة لاهتمام صناعة الأزياء الكبير بالمتسوقات المسلمات اللواتي أنفقن نحو ٢٣٠ مليار دولار على الملابس عام ٢٠١٤ أي ما يعادل ١١ بالمائة من إجمالي السوق العالمي، وعلقت حليلة بأنها فخورة جدا كونها مسلمة صومالية أمريكية، تربيتها دينية، تشعر براحة كبيرة لارتدائها الحجاب والملابس المحتشمة، وعبرت بأن إظهار الكثير من البشرة ليس المعيار الوحيد للجمال^(١).

٣- ياسمين محسن: أول عارضة أزياء محجبة مصرية، عمرها ٢٦ سنة، أنشأت أول رابطة لعارضات الأزياء المحجبات جمعت فيها الفتيات اللواتي يردن العمل بمجال الأزياء تقدم دورات للمحجبات، وقد جاءت هذه الفكرة بعد تزايد عدد المحجبات بمصر وانتشار المحلات المخصصة للباسهن، وقد بدأت الرابطة ب ٣٠٠ عضوه، ووصل إلى ١٥٠٠ عضوه. ووضحت في إحدى اللقاءات أنها قررت ارتداء الحجاب منذ ٧ سنوات قبل إنشاء الرابطة، فقد عملت في هذا المجال وهي ترتدي الحجاب، وكان هدفها هو تحسين صورة الفتاة المحجبة والارتقاء بها في اختيار الملابس والطرح، وقالت بأنها تعيش حياة طبيعية وتمارس الرياضة، وتحضر ندوات وكورسات خاصة بالاستايل واتيكت اختيار اللبس، وأخبرت بأن عروض الرابطة كلها محلية وهي تسعى إلى العالمية، كما أنها

(١) لي بي كيو، مراسلة بمجلة كوارنز، ترجمة حفصة جودة، مقالات قصة حليلة عدن من لاجئة صومالية لعارضة أزياء محجبة ٢٦/٠٢/٢٠١٦. المصدر: كوارتز الموقع: www.noonpost.otg

تعرضت لإغراءات لترك الحجاب، ولكنها تمسكت به أكثر لأنه هو أهم سبب لتوفيقها ونجاحها^(١).

وقد نالت هؤلاء المصممات والعارضات الشهرة والرواج من خلال مواقع التواصل خاصة الفيس بوك، الانستغرام، تويتر، والمواقع الإلكترونية.



(١) دنيا الوطن، أول عارضة أزياء مصرية محجبة:

https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2010_14/04/2014

الخاتمة

١ - النتائج:

- وفي نهاية هذا البحث نخلص إلى النتائج التالية:
- أن وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل إلكترونية سريعة الانتشار، سهلة الاستخدام، أقل تكلفة لذلك فهي أكثر استخداماً في جميع مجالات الحياة.
 - وسائل التواصل الاجتماعي لها إيجابيات وسلبيات أي أنها سلاح ذو حدين، وعلينا كمسلمين أن نجيد استغلال الجانب الإيجابي لها.
 - دور وسائل التواصل الاجتماعي في إبراز صناعة الملابس المحتشمة وجذب اهتمام أكبر رجال الأعمال واشتراكات لهذه الصناعة.
 - هناك علاقة بين الترويج ووسائل التواصل الاجتماعي وكذلك المستهلك لهذه الوسائل.
 - سلطت وسائل التواصل الاجتماعي الضوء على جانب مضيء وفعال في حياة المرأة المسلمة ألا وهو اللباس الإسلامي المعاصر، الأناقة والجمال.
 - الأثر الإيجابي لأشهر المواقع: انستغرام، الفيسبوك، يوتيوب في تطوير صناعة الملابس المحافظة عبر العالم.
 - إقبال المرأة المسلمة وغير المسلمة على مثل هذه الأزياء بنسبة كبيرة، ومن مختلف الأعمار والأجناس.

- تأثر الكثير من المسلمات بهذا المجال وظهور إبداعاتهن، وخططهن المستقبلية لتطوير هذا السوق حسب احتياجات المرأة ووفق ما يتلاءم مع دينها ومجتمعها.

٢- التوصيات:

بناء على ما توصلت إليه نتائج الدراسة يمكن اقتراح التوصيات التالية:

- إقامة ملتقيات وندوات خاصة بالتعريف أكثر بوسائل التواصل الاجتماعي، وإبراز الجانب الإيجابي لها وطريقة توظيفها توظيفا إيجابيا بما يعود على المسلم بالنفع.

- على شركات الأزياء الإسلامية أن تكثف من جهودها في الترويج لهذه الصناعة وذلك بمواكبة التطور التكنولوجي الحاصل، وأن تختص بمواقع خاصة بها والسهر على التجديد المستمر للتعريف بمنتجاتها.

- توحيد الرؤى حول الزي الإسلامي المعاصر الموافق لشروط الشرع، أي وفق ضوابط شرعية.

- توعية المرأة المسلمة من خلال هذه الوسائل وترشيد استهلاكها لهذه الأزياء بما يتلائم ودينها ومجتمعها وقدراتها المادية.

- تحفيز الحكومات للعاملين بهذا الميدان وذلك بتقديم العون المادي.

- توحيد الجهود، لإزالة فكرة أن الزي الإسلامي زي يعبر عن تخلف واستعباد المرأة، وذلك بتوسيع نشاط الشركات عبر العالم للتأثير على المرأة غير المسلمة وتحبيبتها في هذا الزي.

- تطوير صناعة الأزياء الإسلامية المحافظة تطوير للاقتصاد الإسلامي عالمياً.
- فتح مجال عرض الأزياء أمام الفتيات المسلمات، على أن تكون الأزياء المعروضة موافقة لشروط اللباس الشرعي وكذلك لا يكون جذاباً أو لافتاً للانتباه وهذا حتى لا يصبح لبس الحجاب عائقاً لبعض النساء في عملهن كمقدمات برامج أو طالبات.



قائمة المصانير

- التواصل والتعليم الإلكتروني، اتحاد أبو عراج، جامعة دمشق ٢٠١٥/٢/١٤.
- إسراء ريجي، وسائل الاتصال والتواصل، mawdoo3.com تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠١/١٠
- سميحة ناصر خليف، أنواع مواقع التواصل الاجتماعي mawdoo3.com تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠١/١٠
- علا العناتي، ما هي وسائل الاتصال حديثا وقدمها mawdoo3.com تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠١/١١
- علا العناتي، ما هي وسائل الاتصال حديثا وقدمها mawdoo3.com تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٠١/١١
- سميحة ناصر، أنواع مواقع التواصل الاجتماعي الموقع: mawdoo3.com تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠١/١١
- محمد جابر، مميزات وخصائص مواقع التواصل الاجتماعي Zhar. gaperckenanaonline.com
- أروى بريجية، أهمية التواصل الاجتماعي، الموقع: mawdoo3.com، تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠١/٢١
- إحسان الغفلة، أهمية شبكات التواصل الاجتماعي، mawdoo3.com، تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠١/٢٢
- عبد المحسن بن أحمد العصيمي، الآثار الاجتماعية للإنترنت، قرطبة للنشر والتوزيع، ط١: ١٤٢٥هـ.

- نجاح شوشة، أثر وسائل التواصل الاجتماعي في تفكك الأسرة والمجتمع، العدد ٣٤١.
- ناجي معلا، الأصول العلمية للترويج التجاري والإعلان، الدار الجامعية، الأردن، ١٩٩٦.
- ويكيبيديا الحرة <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>، تاريخ الزيارة: ٢٤/٠١/٢٠١٨.
- عاشقة الأهل، مفهوم الترويج وأهدافه، : malina.yoo7.com تاريخ الزيارة: ٢٤/٠١/٢٠١٨.
- عبد الحق بن موسى، أساسيات حول الترويج وسلوك المستهلك، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ٢٠١٣.
- تولين إبراهيم، دراسة استراتيجية التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومقاييس نجاحها في شركة سيرياتل للاتصالات، <url?sa=t&source=web&rct=j&url=>
- عادل راوني، مواقع التواصل الاجتماعي: كيف تنشئ خطة للتسويق من ست خطوات، - <adelraouti.net/blog/hootsuite.social-media-marketingandadvertisingart.com>
- صفاء أبو غزالة، ترويج الخدمات السياحية، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧.
- محمد صالح المؤذن، مبادئ التسويق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٢.
- أبو خريص عمران علي، شكشك مصطفى أحمد، التسويق الإلكتروني وأثره على جودة الخدمات المصرفية، مجلة الأسمرية، العدد ١٧، جامعة الأسمرية، ليبيا، ٢٠١٥.

- شلاي الطاهر حسام الدين، بودي عبد القادر، دور الترويج عبر الإنترنت في تحقيق الريادة التسويقية لمنظمات الأعمال الاقتصادية مع الإشارة لمتعامل الهاتف النقال في الجزائر «أوريدو» مجلة البشائر الاقتصادية المجلد الثالث العدد ٣، سبتمبر ٢٠١٧.

- أفضل ١٠ مواقع تسوق ملابس تركية بواسطة echomoda:

https://echo-moda.com/best-turkish-shopping، تاريخ الزيارة

٢٠١٨/١٠/٣٠

- حماني أمينة، أثر الاتصالات التسويقية الإلكترونية، ٢٠١٢:

Ledford.j.l, searchengineoptimization, wiley publishing, inc,

.Canada. 2008

- موريس عايق، «إسلام السوق» والثورة المحافظة، www.alhayat.com،

تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٢٠

- طريقة للترويج لصفحة شركتك على الفيسبوك، مشابك:

mashabek.com /17-ways-To-promote-your-face book-fa تاريخ

الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/١٠.

- محمد مروان، تعريف الفيس بوك، ديسمبر 2014mawdoo3.com، تاريخ

الزيارة ٢٠١٨/٠١/٢٥.

Nicholas carlson 5-3-2010 atlast-the full، story of how face book and

mary bellis 17-6-2017، the history of face book and how it was inverted،

thoughtco، retrie 30-6-2017، edited تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠١

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة/ http://: ar.wikipedia. org/wiki/ تاريخ الزيارة:

٢٠١٨/٠٢/٠١.

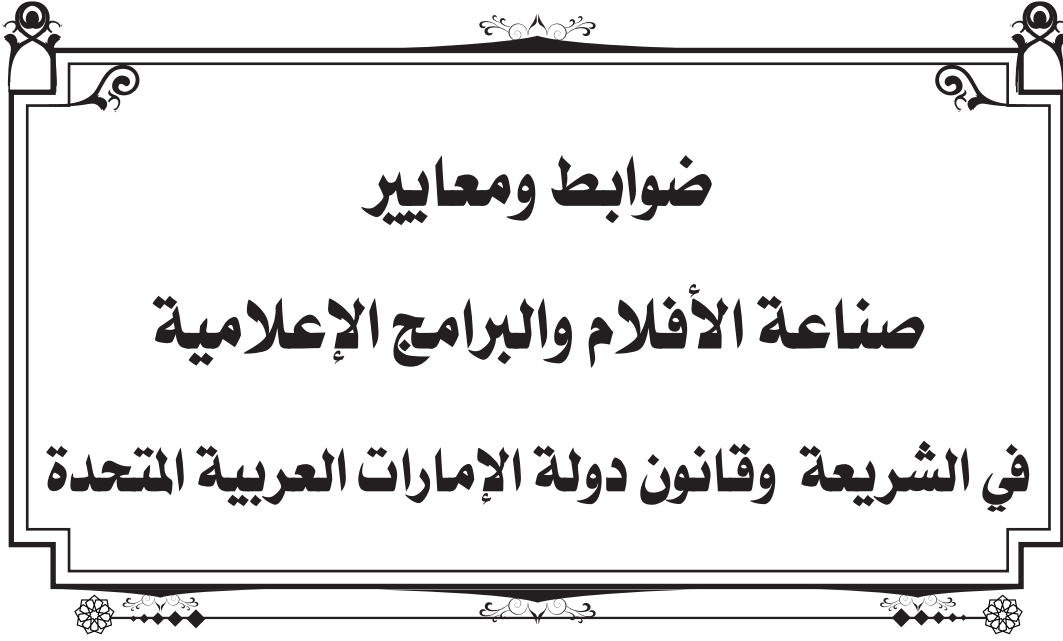
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة <http://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٢.
- رتيبة أزوين، الحجاب بين الشرعية والموضة، دراسة ميدانية مقارنة بين الحجاب الشرعي والحجاب العصري، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي، جامعة الجزائر ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- أحمد فتحي الجميل، الإسلام والحداثة، ١٥ مارس ٢٠١٥:
- www.sasapost.com/opinion/islam.and-moderity تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠١/٢٧.
- عبد الرحمان أبو المجد، حوار إيما تارلو حول الأزياء الإسلامية ٢٠١٤/٠٦/٤٠
- www.alukah.net/culture/0/71755 تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠١/٢٨
- هالة دروي: كيف ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في نمو صناعة الموضة المحتشمة؟ www.mysalaam.com/ar/story/ تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٢
- آية حسان، sohamt مجموعة أزياء محجبات من كوليكتشن المصممة سها محمد <http://banat7wa.com/2017/07/06/soha.mt> تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٣
- فلاح آل ياس، مهاجرة شيشانية، أول مصممة أزياء المحجبات في ألمانيا، m.dw.com/ar/2013/07/31؛ تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٣
- cnn بالعربية، أنيسة حسيوان تصنع التاريخ بأزيائها، <http://18-09-2016>
- arabic.cnn.com/style تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٣
- ثناء عبد الله، تصاميم الحجاب الحديثة من الإماراتية إلهام عريف، -12-31
- ٢٠١٦، www.sayidaty.net/node/512686 تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٤

- مها إبراهيم، ماريا ادريسي أول عارضة آداب محجبة في بريطانيا <http://arabic.cnn.com/styl/galeery> 18-09-2016 تاريخ الزيارة: ٢٠١٨/٠٢/٠٥
- لي لي كيو، مراسلة بمجلة كوارنز، ترجمة حفصة جودة، مقالات قصة حليلة عدن من لاجئة صومالية لعارضة آداب محجبة ٢٦/٠٢/٢٠١٦. تاريخ الزيارة: www.noonpost.otg كوارتز الموقع
- دنيا الوطن، أول عارضة آداب مصرية محجبة، ١٤ / ٠٤ / ٢٠١٤ <https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2010>





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



إعداد

د. علي بن محمد العيّدروس

مفتي أول بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا بحث موجز قدمته لمنتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع ٢٠١٨م تنظيم دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي في الفترة من المنعقد في ١٧ - ١٨ / ٤ / ٢٠١٨م، ضمن المحور الثاني من محاور المؤتمر، وهو المتعلق بالتصاميم والفنون الإسلامية، بعنوان: (ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية في الشريعة وقانون دولة الإمارات العربية المتحدة).

وهو يتضمن الكلام عن ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية في الشريعة المستنبطة من القرآن الكريم والسنة المشرفة وكلام العلماء المتقدمين والمعاصرين، وذكر ما يتعلق بها في قانون دولة الإمارات العربية المتحدة، وأثرها في تنمية الاقتصاد الإسلامي، وفق ضوابط الشرع الحنيف.

وتناولتُ في البحث حكم تمثيل الأنبياء والصحابة في الأفلام والرسوم المتحركة وفتاوى المعاصرين والمجامع الفقهية ودور الإفتاء المعتمدة ومنها فتاوى إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي.

ويشتمل على: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، ثم فهرس المصادر والموضوعات.

المقدمة: وفيها سبب الكتابة في هذا الموضوع والتعريف به وذكر خطة البحث.
 المبحث الأول: في الكلام عن ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية
 في الشريعة المستنبطة من القرآن الكريم والسنة المشرفة وكلام العلماء قديماً وحديثاً.
 المبحث الثاني: في بيان حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة
 رضي الله عنهم في الأفلام والرسوم المتحركة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: حكم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: في ذكر فتاوى المعاصرين والمجامع الفقهية ودور الإفتاء المعتمدة
 ومنها فتوى إدارة الإفتاء بدائرة الشئون الإسلامية بدبي.

المبحث الرابع: في ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية في قانون
 دولة الإمارات العربية المتحدة.

ثم الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته، ثم فهرس المصادر والموضوعات.

والله تعالى أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين.



المبحث الأول

في الكلام عن ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية في الشريعة

يمكن استنباط جملة من الضوابط والمعايير لصناعة الأفلام والبرامج الإعلامية في الشريعة مستقاة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وكلام العلماء قديماً وحديثاً.

ومن أهم هذه الضوابط والمعايير ما يلي:

١- عدم اشتغالها على أمور محرمة في الشرع سواء كانت فعلية أو قولية، مثل إظهار العورات والمفاتن التي أمر الشرع بسترها، أو الكذب والتزوير، والإسعاف، والاستهزاء، والخروج عن الآداب والأخلاق الدينية، قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢- خلوها مما ورد النهي في الشرع عن تمثيلهم والتشبه بهم، ومن ذلك:

أ- تجسيد وتمثيل الأنبياء والملائكة باتفاق أهل العلم، أو الصحابة رضي الله عنهم، وكبار العلماء وصلحاء هذه الأمة، على خلاف بين العلماء فيها، كما سيأتي تفصيله.

ب- خلوها من تمثيل الكفار والنطق بأقوال كفرية لتحريم ذلك وخطورته إلا من أكره على ذلك بشرطه عند العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وكذا التشبه بهم لحديث: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» رواه أحمد، وأبو داود^(١).

(١) رواه أحمد في مسنده (٥٠/٢) رقم (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، قال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (ص ٢٨٦): «صححه ابن حبان»، وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢١٧/١): «أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح». وفي فتح الباري (٢٧١/١٠): «أخرجه أبو داود بسند حسن».

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٩):

«ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها»^(١).

ج- خلوها من تشبه الرجل بالمرأة وبأدوارها والعكس؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ، المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه^(٢).

٣- خلوها عن الأمور الغيبية كاشتغالها على ما يتعلق بالآخرة والروح والقبر والبرزخ والجنة والنار، وكل ما استأثر الله بعلمه؛ لأن الخوض فيها أمر محرم لاشتغاله على الكذب وأدعاء الغيب.

٤ - خلوها عن الدعوة إلى أمور محرمة في الشرع ومنكرة، مثل:

أ- الدعوة إلى مناهج وأفكار هدامة مخالفة للشريعة الإسلامية كالإلحاد والتنصير والإرهاب والغلو والتطرف أو الدعوة إلى الخروج على أولياء الأمور وإثارة الفتن في بلدان المسلمين، أو الدعوة إلى البدع المحرمة المخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولقواعد الشرع وأصوله.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٥٩) رقم (٥٨٨٥) وأحمد (١/ ٣٣٩) رقم (٣١٥١)، وأبو داود في سننه (٤/ ٦٠، رقم ٤٠٩٧)، والترمذي في سننه (٥/ ١٠٥، رقم ٢٧٨٤)، وقال: حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦١٤، رقم ١٩٠٤)، واللفظ للبخاري.

ب- الدعوة إلى المعاصي كالقتل والزنا والسرقه والترويج للمسكرات والمخدرات والرذيلة ونحوها من الجرائم.

ج - الدعوة إلى العادات السيئة المخالفة للشرع الحنيف وآدابه.

٥- ألا تؤدي إلى أمور محرمة أو مكروهة في الشرع، مثل اشتغالها على ما يلهي عن ذكر الله أو ما يشغل عن الفروض والواجبات الدينية والدنيوية، أو تشمل على ما فيه تضييع للأوقات والمال والجهد فيما لا نفع فيه.

٦- أن تكون مصادر تمويلها وإنتاجها حلال خالية عن القروض الربوية والمصادر المشبوهة.

٧- أن توافق وتلبي الأولويات الإسلامية وهي: الضروريات والحاجيات والتحسينيات؛ لتحقيق الإشباع المادي والروحي للأمة الإسلامية.

٨- خلوها من أي تزوير تاريخي أو علمي أو قصص أو حوادث مكذوبة أو مختلقة أو ما يشوه تاريخ العرب والمسلمين ومن أي مغالطات.



المبحث الثاني

في بيان حكم تمثيل الأنبياء والصحابة في الأفلام والرسوم المتحركة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

اتفق المعاصرون - فيما أعلم - على تحريم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم أجد من أجاز تمثيلهم - ممن يعتد بقوله - فيما وقفت عليه من كتب ومراجع. واستدلوا على تحريم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدة أدلة، منها ما يلي:

١ - من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

٢ - من السنة المطهرة قصة الحكم بن أبي العاص الأموي ومحاماته للنبي ﷺ، قال ابن عبد البر: «كان الحكم يحاكي النبي ﷺ في مشيته وبعض حركاته... - أي: كان الحكم يمثل النبي ﷺ، وكان الحكم من مسلمة الفتح ومطلقهم -، ذكروا أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه - أي يمثله -، فالتفت النبي ﷺ فرآه يفعل ذلك، فقال ﷺ: «فكذلك فلتكن»، فكان الحكم محتجباً يرتعش من يومئذ»^(١).

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١/٣٥٩)، ونحوه في دلائل النبوة للبيهقي (٦/٢٣٩-٢٤٠). وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/٣٨٧): «أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديجة بإسناد جيد».

ونفاه من المدينة المنورة إلى الطائف^(١).

ووجه الدلالة منه:

أن في محاكاة وتمثيل الحكم للنبي ﷺ في حركته ومشيه وقول النبي ﷺ (هكذا فلتكن)، ونفيه له، دليل على حرمة التمثيل بالنبي ﷺ.

٣- واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأي في المنام فقد رأي؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(٢).

٤- جلالة مقام النبوة وعصمتهم، وأفعالهم تشريع، والكذب عليهم عظيم، وقد ورد عنه قوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٣)، وهذا في حق النبي ﷺ، وفي حق غيره بالقياس.

٥- أن القول بمنع تمثيل الأنبياء فيه سد لذريعة إهانتهم وتنقيصهم والإضرار بمقامهم والخط من مكانتهم وقدرهم، وفي هذا مدخل لتنقيص قدرهم في نفوس العوام، والقول بالمنع أثار بالغ في التعظيم المشروع الذي يستحقونه كأنباء معصومين^(٤).

فُعُلم مما سبق تحريم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما لهم من قُدسية وعصمة ولمقام النبوة الشريف.

(١) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٢٣٨/٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٩٩٣)، ومسلم في صحيحه (رقم ٢٢٦٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١١٠)، ومسلم في صحيحه (رقم ٣).

(٤) ينظر تفصيل الأدلة ومناقشاتها وما يتعلق بها: فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا (٤/١٤٢٠-١٤٢٣)، مجلة البحوث الإسلامية (١/٢٢٧-٢٤١).

المطلب الثاني: حكم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم:

اختلف العلماء المعاصرين في حكم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم على قولين كما يلي:

القول الأول: تحريم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم، وهو قول جمهور الفقهاء المعاصرين^(١).

واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: ذهبت أحكي امرأة أو رجلاً عند النبي ﷺ، فقال: «ما أحبُّ أني حَكَيْتُ أحداً، وأنَّ لي كذا وكذا، أعظَمَ ذلك»^(٢).

٢- خصوصية الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم، وقول جمهور العلماء بحُجية قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف^(٣).

٣- القول بالمنع فيه سدٌّ لذريعة انتقاصهم، والخط من قدرهم، والاستهزاء بهم، وهو يناف ما جاء بشأنهم وفي فضلهم والثناء عليهم في القرآن والسنة المطهرة مما هو معلوم ومشهور.

٤- أن في تمثيلهم اعتداء عليهم وعلى حقهم وكذب عليهم، وهو ممنوع.

(١) انظر مقدمة المطلب الأول، ففيه ذكر الفتاوى والقرارات عن المجامع الفقهية ودور الإفتاء بالتحريم.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٢٨/٦)، وأبو داود (رقم ٤٨٧٥)، والترمذي (رقم ٢٥٠٣)، وقال: حسن صحيح.

(٣) ينظر الكلام حول حجية قول الصحابي وشروطه: البحر المحيط للزرکشي (٥٣/٦)، شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/٤٢٢).

القول الثاني: يجوز تمثيل الصحابة رضي الله عنهم، وهو قول لبعض المعاصرين، وأول من أفتى بهذا القول الشيخ محمد رشيد رضا^(١)، وتبعه بعض المعاصرين^(٢)، على خلاف فيما بينهم: فقد أجاز به البعض منهم بإطلاق دون استثناء، واستثنى بعضهم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واستثنى البعض معهم العشرة المبشرين بالجنة، واستثنى بعضهم مع من سبق آل البيت؛ فدخل بناته كفاطمة الزهراء، وأحفاده كالحسن والحسين وكبار سادة آل البيت رضي الله عن الجميع^(٣).

جاء في فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا^(٤):

«السؤال: هل يجوز تمثيل بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل لأجل الاتعاظ لسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحرّي لضبط سيرته دون إخلال بها من أي وجهة كانت أم لا؟»

الجواب: لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل حياة الصحابة أو أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال».

(١) فتاوى محمد رشيد رضا (٦/٢٣٤٨). وهو الشيخ محمد رشيد رضا الحسيني، صاحب مجلة (المنار)، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام)، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. من آثاره: مجلة المنار، وتفسير لم يكمل، والوحي المحمدي، وغيرها. توفي بالقاهرة عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م. ينظر: الأعلام للزركلي (٦/١٢٦).

(٢) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥/٢٣٧٨).

(٣) ينظر: فتوى لجنة الأزهر نشرت في مجلة الأزهر في عددها الصادر بتاريخ محرم سنة ١٣٧٩ هـ، مجلة البحوث الإسلامية (١/٢٤٢-٢٤٣)، مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥/٢٣٧٨) و ص ٢٤٤٣ و ٢٤٤٦.

(٤) فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا (٦/٢٣٤٨).

واستدلوا على ذلك بعدة أدلة، منها ما يلي:

١- حديث ابن مسعود رضي الله عنه في آخر أهل النار خروجاً منها ودخولاً في الجنة في حديث طويل وفيه: «فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يرضيني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله - ﷺ -، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ فقال: من ضحك رب العالمين، حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر»^(١).

والشاهد فيه قوله: «فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله - ﷺ -».

٢- حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في الأضاحي، فقد روى أصحاب السنن عن عبيد بن فيروز قال: قلت للبراء: حدثني ما كره أو نهى عنه رسول الله - ﷺ - من الأضاحي؟ قال: فإن رسول الله - ﷺ - قال هكذا بيده، ويدي أقصر من يد رسول الله - ﷺ -: أربعة لا يجزين في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمریضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعتها، والكسيرة التي لا تُنقي»^(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ١٨٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨٩/٤) رقم (١٨٥٦٥)، والنسائي في سننه (٢١٥/٧) رقم (٤٣٦٩ و٤٣٧٠)، وابن ماجه في سننه (١٠٥١/٢) رقم (٣١٤٤)، وصححه ابن خزيمة (٢٩٢/٤) رقم (٢٩٢)، والحاكم في المستدرک (١/٦٤٠) رقم (١٧١٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وعند البيهقي في السنن الكبرى بلفظ: «أن رسول الله ﷺ سُئِلَ ماذا يُتَّقَى من الضحايا؟ فأشار بيده، فقال أربعاً، وكان البراء يشير بيده ويقول: ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ»^(١).

٣- أن الأصل هو الإباحة، ولم يرد دليل على المنع، فيبقى الأمر على الإباحة والجواز.

٤- أنه يلزم من منع التمثيل أن يمنع وصفهم ولا يقول به أحد، لأن التمثيل هو تقريب لما عليه الموصوف، فقد ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِرُؤُوسِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»^(٢).

وفيه جعل الوصف كالرؤية الحقيقية، ووصف خلق النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم مشهور في كتب السيرة والحديث والشمال والتراجم، من غير تكبر.

المناقشة والترجيح:

يتبين لي مما سبق أن القول الأول بالقبول والترجيح هو القول القائل بمنع تمثيل الصحابة الكرام، لاسيما الخلفاء الأربعة والعشرة المبشرون بالجنة رضي الله تعالى عنهم وأمّهات المؤمنين وآل البيت الأطهار كفاطمة والحسين رضي الله عنهم وسادة آل البيت الكبار.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٧٤) رقم (١٨٨٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٩٤٢).

وأقوى ما يستدل به على المنع هو خصوصيتهم ومكانتهم المجلدة، لما ورد في شأنهم من الثناء في القرآن الكريم والسنة المطهرة والآثار ونصوص العلماء من السلف والخلف.

ومعظم النصوص التي استدل بها الفريقان ليس فيها نص يدل على كُـلِّ قولٍ لعموم بعضها، ولدلالة البعض منها على تحريم الاستهزاء والغيبة، وبعضها للتعليم والتمثيل والمحاكاة للتقريب أو لأمرٍ جائز شرعاً، وليس بمعنى التمثيل المعاصر الوارد في أذهان المعاصرين عند الإطلاق، إلا أن المنع كما سبق دليله ثبوت خصوصية الصحابة الكرام وفضائلهم ومناقبهم المتكاثرة.



المبحث الثالث

في ذكر أهم قرارات المجامع الفقهية وفتاوى المعاصرين ودور الإفتاء المعتمدة

صدرت جملة من الفتاوى والبحوث عن حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم في الأفلام والمسلسلات ونحوها، ومن ذلك ما يلي:

- ١- فتاوى في حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتمثيل الصحابة رضي الله عنهم، للشيخ محمد رشيد رضا المتوفى سنة (١٩٣٥هـ).
- ٢- بحث (حكم تمثيل الصحابة): إعداد اللجنة الدائمة للإفتاء بالرياض برئاسة الشيخ إبراهيم بن محمد إبراهيم آل الشيخ المفتي (ت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، وفتوى عن نفس اللجنة بمنع تمثيل الأنبياء والصحابة والتابعين صدرت عام (١٤٠٢هـ).
- ٣- فتوى بمنع تمثيل الأنبياء صادرة عن لجنة الفتوى بالأزهر سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م)، وفتوى بشأن تمثيل الصحابة رضي الله عنهم سنة (١٣٧٩هـ).
- ٤- قرار بمنع تمثيل الصحابة صادر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف عام (١٣٩٤هـ)، وقرار ثان مؤكد له عام (١٤٣١هـ).
- ٥- فتوى عن حكم تمثيل الأنبياء صادرة عن دار الإفتاء المصرية عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) عن الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بعنوان (حرمة تمثيل شخصيات الأنبياء)، وأخرى بشأن حكم تمثيل الأنبياء والصحابة عام (١٤٣٢هـ).

٦- قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بتحريم تمثيل الأنبياء والصحابة، (رقم ١٣) عام (١٣٩٣هـ)، و(رقم ١٠٧) عام (١٤٠٣هـ).

٧- قرار صادر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة بشأن تمثيل الصحابة، ونقلوا الاتفاق على التحريم قبيل عام (١٣٩٣هـ).

٨- قرار مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بتحريم تمثيل الأنبياء والصحابة (رقم ٦) الدورة الثامنة عام (١٤٠٥هـ)، وأكدته بقرار آخر في الدورة (٢٠) عام (١٤٣٢هـ)...، وغيرها مما يطول ذكره.

- أهم القرارات والفتاوى الصادرة في حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم:

وفيما يلي سأذكر أهم القرارات والفتاوى الصادرة في هذا الشأن باختصار كالآتي:

١- فتوى دار الإفتاء المصرية:

أصدر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فتوى في (حكم تشخيص نبي من الأنبياء أو زوجه أو ولده أو والده أو والدته) في شوال ١٤٠٠ هجرية - ١٧ أغسطس ١٩٨٠م.

ومما جاء فيها:

«اختارهم الله - (يعني الأنبياء) - لما علمه فيهم سلفاً من نقاء وفضل، فهم أفضل بشر على الإطلاق وإن تفاوتوا في الفضل فيما بينهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وهم بهذه المنزلة أعز من أن يمثلهم أو يتمثل بهم

إنسان أو حتى شيطان، فقد عصمهم الله واعتصموا به فلم يزلوا؛ لأن لهم عصمة تصونهم وتقودهم بعيداً عن الخطايا الكبار والصغار قبل الرسالة وبعدها.

يدلنا على هذه الحصانة - كما نسميها في تعبيراتنا العصرية - الحديث الشريف الذي رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي)^(١)، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو لكَأَنَّ رآني في اليقظة، لا يتمثل الشيطان بي) متفق على صحته^(٢).

وهذا واضح الدلالة في أن الشيطان لا يظهر في صورة النبي ﷺ عياناً أو مناماً، صوناً من الله لرسله وعصمة لسيرتهم، بعد أن عصم ذواتهم ونفوسهم.

وإذا كان هذا الحديث الشريف يقودنا إلى أن الله قد عصم خاتم الرسل عليه والصلاة والسلام من أن يتقمص صورته شيطان، فإن فقه هذا المعنى أنه يحرم على أي إنسان أن يتقمص شخصيته ويقوم بدوره.

وإذا كان هذا هو الحكم والفقه في جانب الرسول الخاتم، فإنه أيضاً الحكم بالنسبة لمن سبق من الرسل؛ لأن القرآن الكريم جعلهم في مرتبة واحدة من حيث التكريم والعصمة، فإذا امتنعوا بعصمة من الله أن يتمثلهم الشيطان امتدت هذه العصمة إلى بني الإنسان، فلا يجوز لهم أن يمثلوا شخصيات الرسل، إذ لا يوجد الإنسان الذي ابيضت صفحته وظهرت سريره ونقاه الله من الخطايا والدنيا كما عصم أنبياءه

(١) سبق تخريجه (ص ٩) وهو متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٩٢)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٦٦)، واللفظ له.

ورسله، ويستدل على ذلك من قول الله سبحانه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وإذا كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب كما قال القرآن ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: ١١١]، فإن القصة لا تستفاد منها العبرة آخذة بالنفوس إلا إذا كانت من الإنسان الذي اصطفاه الله واختاره لإبلاغ الرسالة وإنقاذ أُمته، وكيف تتأتى الاستفادة من تمثيل إنسان لشخص نبي ومن قبل مثل شخص عريبد مقامر سكير رقيق حانات وأخ للدعارة والداعرات، ومن بعد يمثل كل أولئك أو كثير منهم. إنه جميل جداً أن نتجه إلى القصص الديني القرآن نعرضه بطرق العصر ولغته ومواده ونقربه إلى أذهان أولادنا بدلاً من القصص المستوردة التي تحرض على التحلل والانحلال.

نعم، إن هذا أمر محمود، لكن لا بد فيه من الالتزام بأداب الإسلام ونصوص القرآن ولصور الوقائع كما حكاها القرآن واقعاً لا خيال فيه، ولنحجب شخص النبي الذي نعرض قصصه مع قومه، فلا يتمثله أحد، وإنما نسمع صوت من يردد إبلاغه الرسالة ومحاجته لقومه وإبانتة لمعجزته كما أوردها القرآن الكريم.

وإذا كان هذا أمراً لازماً بمقتضى فقه ذلك الحديث الشريف؛ فإن ما بدا في مسلسل محمد رسول الله من إظهار شخص المتحدث باسم رسول الله موسى عليه السلام وقت النطق بما يردده من أقوال هذا النبي، هذا الذي حدث يكون منافياً للالتزامنا نحن المسلمين نحو الأنبياء من التكريم والتوقير والارتفاع عن الغضب من مكانتهم التي صانها الله.

كما أن النبي هارون وأم موسى وأخته وزوجه يأخذون هذا الحكم؛ فلا يجوز أن يتقمص أشخاصهم أحد من الممثلين، بل نسمع الأقوال المنسوبة إليهم نطقاً، لأن الله سبحانه كرم أم موسى بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وأيضاً ما كان معنى هذا الوحي وطريقه فهو وحي من الله إلى من اصطفاها أما لنيبه ترتفع به عن مستوى الغير فلا تتمثلها امرأة - مع الاحترام لأشخاص من قاموا بهذا التمثيل - وهذه أخته وهذه زوجته، لكل منهما مكانتها وموضعها الذي رفعها الله إليه في قرآنه، ثم هذا النبي هارون شريك موسى في الرسالة قال تعالى: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿ [طه: ٣١-٣٢]، وإن فقه كل ذلك يجعل لأولئك مكاناً علينا بالتبع لهذا النبي إن لم يكن لذواتهم التي كرمها الله وشرفها بالوحي.

ولعلنا نسترشد في هذا المعنى بقول الرسول ﷺ في حق نفسه ونشأته ونسبه: (أنا خيار من خيار) (١) وهذا الحكم - كما سبق - يمتد إلى غيره ممن سبقه من الأنبياء.

من أجل ذلك يجب أن ينقَى هذا المسلسل وغيره من المناظر المصورة التي يمثل الأنبياء فيها بأشخاص ظاهرين، أو يمثل فيها أصولهم كالأُم أو زوجاتهم وأولادهم، بل إن هذا الحظر يمتد إلى الأصحاب الذين عاصروا الرسالة وأسهموا في إبلاغها، لأن القدوة من بعد النبي في هؤلاء الأصحاب ومن ثم كان لزاماً صونهم عن التمثيل والتشخيص، ويكفي أن نسمع أقوالهم مرددة من خلال الأصوات التالية لها...». انتهى المراد منها.

(١) رواه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد (٨ / ٢١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وحسنه الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص ٦٨). ولم أعر عليه في المطبوع من المعجمين. وله شواهد متكاثرة.

٢- قرار مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة:

صدر عن مجمع الفقه الإسلامي، في دورته الثامنة، المنعقدة في الفترة ما بين ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ و ٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ قرار رقم: ٤٠ (٨/٦) بشأن موضوع استنكار المجلس تصوير النبي ﷺ، وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

جاء فيه ما يلي:

«قرر ما يلي: أن مقام النبي ﷺ مقام عظيم عند الله تعالى، وعند المسلمين، وأن مكانته السامية، ومنزلته الرفيعة، معلومة من الدين بالضرورة، فقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وأرسله إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وقد رفع ذكره، وأعلى قدره، وصلى عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فهو سيد ولد آدم، وصاحب المقام المحمود ﷺ. وأن الواجب على المسلمين احترامه، وتقديره، وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزله عليه الصلاة والسلام. فإن أي امتهان له، أو تنقص من قدره، يعتبر كفراً، وردة عن الإسلام، والعياذ بالله تعالى.

وأن تخيل شخصه الشريف بالصور، سواء كانت مرسومة متحركة، أو ثابتة، وسواء كانت ذات جرم وظل، أو ليس لها ظل وجرم، كل ذلك حرام، لا يحل، ولا يجوز شرعاً، فلا يجوز عمله أو إقراره لأي غرض من الأغراض، أو مقصد من المقاصد، أو غاية من الغايات وإن قصد به الامتهان كان كفراً؛ لأن في ذلك من المفاصد الكبيرة، والمحاذير الخطيرة شيئاً كثيراً وكبيراً، وأنه يجب على ولاية الأمور، والمسئولين ووزارات الإعلام وأصحاب وسائل النشر، منع تصوير النبي ﷺ، صوراً مجسمة،

أو غير مجسمة: في القصص والروايات، والمسرحيات، وكتب الأطفال، والأفلام، والتلفاز، والسينما، وغير ذلك من وسائل النشر، ويجب إنكاره وإتلاف ما يوجد من ذلك. وكذلك يمنع ذلك في حق الصحابة - رضي الله عنهم - فإن لهم من شرف الصحبة، والجهاد مع رسول الله ﷺ، والدفاع عن الدين، والنصح لله ورسوله ودينه، وحمل هذا الدين والعلم إلينا، ما يوجب تعظيم قدرهم واحترامهم وإجلالهم. ومثل النبي ﷺ سائر الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فيحرم في حقهم ما يحرم في حق النبي ﷺ؛ لذا فإن المجلس يقرر: أن تصوير أي واحد من هؤلاء حرام، ولا يجوز شرعاً، ويجب منعه. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

ثم أكد المجمع المذكور ما سبق في دورته العشرين المنعقدة من ١٩-٢٣ محرم ١٤٣٢ هـ، الموافق ٢٥-٢٩ ديسمبر ٢٠١٠م في مكة المكرمة.

٣- فتاوى صادرة عن إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي:

أ- جاء في المجلد السابع عشر من كتاب الفتاوى الشرعية (ص: ٢٠٩):

«وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

فقد وردنا اقتراح - عبر موقع الدائرة الالكترونية - بعنوان (مسابقة لأفضل مسرحية دينية) تقام على مستوى المدارس بقصد تعريف الطلاب بأعلام التاريخ الإسلامي.

وعليه فإننا نستفسر منكم عن مشروعية ذلك حيث تتضمن المسرحية تجسيداً

لشخصيات ورموز دينية كالصحابية والخلفاء الراشدين وغيرهم؟

الجواب وبالله التوفيق:

لا مانع من إقامة مسرحية هادفة متضمنة مواقف إسلامية عظيمة، وأخلاقاً كريمة، بشرط عدم تمثيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم جسدياً، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين، ولا مانع من حكاية أقوالهم أو مواقفهم مما صح من السير والأخبار، أو استفاض من غير نكير عند علماء الأمصار.

وقد ناقش هذه المسألة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته العشرين المنعقدة من ١٩-٢٣ محرم ١٤٣٢ هـ، الموافق ٢٥-٢٩ ديسمبر ٢٠١٠م في مكة المكرمة، وأكد قراره السابق في دورته الثامنة الذي نص على حرمة تمثيل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

وقد كان هناك خلاف في غير العشرة المبشرين من سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، إلا أن الاتجاه العام كان مع التحريم، وهو الذي نراه ونفتي به.

لذلك فإذا كانت هذه المسرحية خالية من تمثيل الصحابة الكرام فإنه لا مانع منها. وينبغي أن تكتب بعناية فائقة، وأن تمثل تمثيلاً صحيحاً لئلا يرتسم في أذهان الأطفال معلومات خاطئة فيصعب إزالتها من أذهانهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ب - فتوى أخرى صادرة عن إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي:

وفي المجلد الثامن عشر من الفتاوى الشرعية (ص ٢٦٠) ما نصّه:

«حكم تمثيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم:

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

ظهر مؤخراً مسلسل يسمى (عمر بن الخطاب) يجسد شخصية الخليفة؛ فما حكم تجسيد وتمثيل دور الصحابة رضوان الله عليهم؟ وهل الحكم بالجواز أو المنع يشمل جميع الصحابة أم هناك فرق بينهم؟

وهل يجوز عرض هذه المسلسلات ورؤيتها؟

الجواب وبالله التوفيق:

الصحابة الكرام، ولا سيما الخلفاء الأربعة والعشرة المبشرون بالجنة رضي الله تعالى عنهم أجمعين هم جميعاً في محل القداسة والتبجيل العظيمين؛ لتعظيم الله تعالى لهم، وثنائه عليهم في آيات كثيرة من كتابه العزيز، والإزرار بهم بأي طريقة كانت، يعتبر طعناً في الدين، واستفزازاً لمشاعر المسلمين، فهم الذين حملوا الدين ونقلوه إلى أصقاع الأرض، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ببركة جهودهم في نشر الإسلام.

ومعلوم أن تمثيل أدوار حياتهم لا يخلو من نقص في التمثيل درامياً وفنياً، وذلك ينعكس في أذهان المشاهدين، فيظنون أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم كذلك، فيكون ذلك تقليلاً من شأنهم وانتقاصاً لدورهم العظيم في نقل رسالة الله

وشرعه، وهم الذين عظم الله تعالى شأنهم ومكانتهم فجعل مبايعتهم لرسول الله ﷺ مبايعته لله تعالى، ورضي عنهم وأرضاهم، ووصفهم بصفات الجمال والكمال في كل أحوال حياتهم، في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى.

والنبي ﷺ عظم من شأنهم، وأوجب توقيدهم، بل أرشد إلى أن أهل بدر منهم محل العفو والعافية؛ فلا يكون منهم إلا ما يرضي الله تعالى، فقال ﷺ: «ما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» متفق عليه.

وكل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين هم من أهل بدر، وخالد بن الوليد لقبه النبي ﷺ بسيف الله، فلا يجوز إذاً أن تُمثّل أدوار حياتهم من قبل أحدٍ من الممثلين.

وهذا ما كنا قد أفتينا به سابقاً في فتوى رسمية رقم (٣) تاريخ ١٣ / ١ / ٢٠١١ م. وصدرت فتاوى مُماثلة من المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عام ١٤٠٥ هـ، وأكدها في بيانه في دورته العشرين عام ١٤٣٢ هـ، وهو ما ذهب إليه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ كما تضمنه بيان مؤتمره الرابع عشر المنعقد عام ١٤٣١ هـ، مؤكداً ما أصدره المجمع قديماً من تحريم تمثيل الصحابة، وقررت هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية بقرارها رقم (١٣) تاريخ ١٦ / ٤ / ١٣٩٣ هـ، وأفتت به لجنة الإفتاء بالكويت.

وهذا كله يدل على أن كافة الهيئات والمؤسسات المعنية بالإفتاء في الدول الإسلامية على منع مثل هذه المسلسلات غير الموفقة، وذات الهدف السيء ظاهراً وباطناً.

فإذا علم ذلك؛ فإنه يتعين على الجهات الراعية والمنفذة لهذا المسلسل الكف عن المضي فيه وإن كان قد تم، فيتعينُ وأدُهُ، والانشغال بما ينفع من برامج نافعة ومسلسلات هادفة.

كما أن على جمهور المشاهدين أن يتجنبوا متابعة هذا المسلسل؛ لئلا يكون تشجيعاً لهم على هذا الإنتاج غير المرضي، وهجرأً لبدعتهم، ونصراً لأصحاب رسول الله ﷺ، وتعظيماً لهم، فضلاً عن أن مثل هذا المسلسل سيؤجج مشاعر الكراهية بين طوائف المسلمين؛ فلا يخفى أن سيدنا عمر - رضي الله عنه - هو رمز من رموز الإسلام العظيمة؛ لما له من فضل كبير ليس فقط في صحبته وجهاده؛ بل كذلك في نشر دين الله وتثبيت دعائم الدولة الإسلامية وتنظيمها، ومن معه من كبار الصحابة جاهدوا معه وكان لهم من ذلك الفضل العظيم ما لا يقلُّ أهمية عنه، فكيف يقبل المسلمون تمثيلهم من مثل هؤلاء الممثلين؟! والله سبحانه وتعالى أعلم».

ج- وصدرت فتوى حديثة عن إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي برقم ٢٠١٨/٢٢م بشأن حكم تمثيل شخصيات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

«ما حكم تمثيل شخصيات الأنبياء والرسل عليهم السلام؟

الجواب وبالله التوفيق:

يحرّم اتفاقاً تمثيل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لما في ذلك من الإضرار بعظيم مكانتهم وشريف منزلتهم عند الله تعالى وعند خلقه، وفي ذلك تجرؤ كبير على تلك المكانة العظيمة من قبل ممثلين مهما كان وضعهم.

وقد اتفقت المجامع الفقهية وفتاوى المفتين على حرمة هذا التمثيل، وعدم جواز إقراره أو مشاهدته؛ لما في ذلك من تشجيع على الأمر المحرم اتفاقاً، والله تعالى أعلم.

د- فتوى أخرى عن إدارة الإفتاء بنفس الدائرة برقم: ٢١/٢٠١٨م عن حكم تمثيل شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم:

«ما حكم تمثيل شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم؟»

الجواب وبالله التوفيق:

سبق أن أجبنا على مثل هذا السؤال، وقلنا: الصحابة الكرام، ولا سيما الخلفاء الأربعة والعشرة المبشرون بالجنة رضي الله تعالى عنهم أجمعين هم جميعاً في محل القداسة والتبجيل العظيمين؛ لتعظيم الله تعالى لهم، وثنائه عليهم في آيات كثيرة من كتابه العزيز، والإزرار بهم بأي طريقة كانت، يعتبر طعناً في الدين، واستفزازاً لمشاعر المسلمين، فهم الذين حملوا الدين ونقلوه إلى أصقاع الأرض، فدخل الناس في دين الله أفواجا بركة جهودهم في نشر الإسلام.

ومعلوم أن تمثيل أدوار حياتهم لا يخلو من نقص في التمثيل درامياً وفنياً، وذلك ينعكس في أذهان المشاهدين، فيظنون أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم كذلك، فيكون ذلك تقليلاً من شأنهم وانتقاصاً لدورهم العظيم في نقل رسالة الله وشرعه، وهم الذين عظم الله تعالى شأنهم ومكانتهم فجعل مبايعتهم لرسول الله - ﷺ - مبايعه لله تعالى، ورضي عنهم وأرضاهم، ووصفهم بصفات الجمال والكمال في كل أحوال حياتهم، في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى.

والنبي ﷺ عظم من شأنهم، وأوجب توقييرهم، بل أرشد إلى أن أهل بدر منهم محل العفو والعافية؛ فلا يكون منهم إلا ما يرضي الله تعالى، فقال ﷺ: «ما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» متفق عليه. وكل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين هم من أهل بدر، وخالد بن الوليد لقبه النبي ﷺ بسيف الله، فلا يجوز إذاً أن تمثل أدوار حياتهم من قبل أحدٍ من الممثلين.

وهذا ما كنا قد أفتينا به سابقاً في فتوى رسمية رقم (٣) تاريخ ١٣ / ١ / ٢٠١١ م.

وصدرت فتاوى ثمانية من المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عام ١٤٠٥ هـ، وأكدها في بيانه في دورته العشرين عام ١٤٣٢ هـ، وهو ما ذهب إليه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ كما تضمنه بيان مؤتمره الرابع عشر المنعقد عام ١٤٣١ هـ، مؤكداً ما أصدره المجمع قديماً من تحريم تمثيل الصحابة، وقررت هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية بقرارها رقم (١٣) تاريخ ١٦ / ٤ / ١٣٩٣ هـ، وأفتت به لجنة الإفتاء بالكويت.

وهذا كله يدل على أن كافة الهيئات والمؤسسات المعنية بالإفتاء في الدول الإسلامية على منع مثل هذه المسلسلات غير الموقفة.

فإذا علم ذلك؛ فإنه يتعين على الجهات الراعية والمنفذة لهذا المسلسل الكف عن المضي فيه وإن كان قد تم، فيتعين وأدُهُ، والانشغال بما ينفع من برامج نافعة ومسلسلات هادفة.

كما أن على جمهور المشاهدين أن يتجنبوا متابعة هذا المسلسل؛ لئلا يكون تشجيعاً لهم على هذا الإنتاج غير المرضي، وهجراً لبدعتهم، ونصراً لأصحاب

رسول الله ﷺ، وتعظيماً لهم، فضلاً عن أن مثل هذا المسلسل سيؤجج مشاعر الكراهية بين طوائف المسلمين؛ فلا يخفى أن سيدنا عمر رضي الله عنه هو رمز من رموز الإسلام العظيمة، لما له من فضل كبير ليس فقط في صحبته وجهاده؛ بل كذلك في نشر دين الله وتثبيت دعائم الدولة الإسلامية وتنظيمها، ومن معه من كبار الصحابة جاهدوا معه وكان لهم من ذلك الفضل العظيم ما لا يقلُّ أهمية عنه، فكيف يقبل المسلمون تمثيلهم من مثل هؤلاء الممثلين؟! والله تعالى أعلم».

٤ - فتوى لجنة الإفتاء بالكويت:

صدرت فتوى عن لجنة الإفتاء بالكويت - قطاع الإفتاء بوزارة الأوقاف الكويتية (٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣) رقم [٥٥٨] بخصوص (التمثيلات الإسلامية والمسرحيات: عن الرأي الشرعي فيها، وفي عناصرها، ودور المرأة فيها).

جاء فيها ما نصه:

* «أجابت اللجنة بما يلي:

(أ) الأصل أن التمثيلات والمسرحيات مباح إنتاجها والعمل فيها من تمثيل وإخراج وعرض وغير ذلك إذا روعي فيها الأمور المعتمدة شرعاً، وذلك لأن التمثيل من أحسن الوسائل التثقيفية، وأن تأثيره في النفوس أقوى من كثير من الوسائل التقليدية.

(ب) لا بد في التمثيلات التاريخية الإسلامية من أن تكون صادقة تاريخياً، بأن تتقيد في إيراد الوقائع والظروف المحيطة بها بتمثيل ما كان واقعاً، قدر الإمكان،

وذلك بأن تكون موافقة للروايات الصحيحة الواردة في المصادر الإسلامية الموثوقة، وخاصة في التمثيليات التي تتعرض لحياة النبي ﷺ وأصحابه وأبطال الإسلام.

(ج) لا يجوز تمثيل النبي ﷺ وخلفائه الأربعة الراشدين وأمتهات المؤمنين. ويستعاض عن ذلك بأن تحكي بعض الشخصيات الأخرى أقوالهم.

(د) لا مانع من ظهور المرأة في التمثيل بشرط أن تكون محتشمة غير مبتذلة في ملابسها وحركاتها وسائر المواقف التمثيلية، على أن لا يقتضي التمثيل الخلوة غير المشروعة في أي مرحلة من مراحلها.

(هـ) لا مانع أن تكون التمثيليات دائرة حول قصص متخيلة غير حقيقية.

(و) يراعى في أهداف المسرحيات والتمثيليات أن تكون مقرررة لمحاسن الأخلاق والآداب ومنفرة عن مساوئها ومرغبة في أن تكون الحياة ملتزمة بالإسلام، بعيدة عن الإثارة الجنسية والإسفاف الخلقي.

(ز) ترى اللجنة أنه يحسن من الوزارة الدعم المادي بالمكافآت التشجيعية للمسرحيات التي تحقق مستوى رفيعاً من الالتزام بالمنهج الإسلامي والدعوة الإسلامية، وتنتج تأثيراً ثقافياً واجتماعياً ممتازاً. وأن تسعى الوزارة للاتصال بمنتجين مختارين لتدفعهم نحو إنتاج مسرحيات تحقق الأهداف الإسلامية. والله أعلم.

وقد صدرت فتاوى عديدة عن دور الإفتاء وكثير من العلماء المعاصرين، يطول ذكرها، واكتفيتُ بما سبق روماً للاختصار.



المبحث الرابع

في ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية

في قانون دولة الإمارات العربية المتحدة

صدر في دولة الإمارات العربية المتحدة قانون اتحادي برقم (١٥) لسنة (١٩٨٠م) ينظم شئون المطبوعات والنشر ويتضمن ما يتعلق بالوسائط الرقمية والبث التلفزيوني والأفلام والسينمائية والبرامج الإعلامية ونحوها، بالإضافة لقرارات المجلس الوطني للإعلام رقم (٢٠) لسنة (٢٠١٠م) ورقم (٣٥) لسنة (١٩٨٠م).

وألزم القانون رقم (٢٠) كافة المؤسسات الإعلامية التي تُعنى بمختلف أنواع المحتوى الإعلامي السمعي والمرئي والمطبوع والرقمي في كافة إمارات الدولة ومناطقها الحرة أن تمتثل لمعايير المحتوى الإعلامي الواردة في القانون الاتحادي رقم ١٥ لسنة ١٩٨٠ بشأن المطبوعات والنشر، وغيره من القوانين واللوائح المعمول بها.

أولاً: أهم فقرات القانون الاتحادي رقم (١٥) لسنة ١٩٨٠ م في شأن المطبوعات والنشر:

وفيماء يلي أهم فقرات القانون الاتحادي رقم (١٥) لسنة ١٩٨٠ م في شأن المطبوعات والنشر المتعلقة بموضوع البحث كالاتي^(١):

(١) القانون الاتحادي رقم (١٥) لسنة ١٩٨٠ م في شأن المطبوعات والنشر (نسخة مصورة).

جاء في الفصل السادس: في الأفلام السينمائية والعروض الفنية الأخرى:

المادة ٥٩:

تنشأ بالوزارة لجنة تسمى لجنة مراقبة الأفلام السينمائية برئاسة وكيل الوزارة المساعد لشئون الرقابة الإعلامية وعضوية مندوبين عن وزارات التربية والتعليم والشباب والداخلية والشئون الاجتماعية والعدل والشئون الإسلامية والأوقاف، ويصدر بتشكيل هذه اللجنة قرار من الوزير ويتم ترشيح مندوبي الوزارات من قبل وزرائهم.

وتختص اللجنة المذكورة بمراقبة الأفلام وما في حكمها المعدة للعرض في دور السينما، كما تختص بمراقبة الأفلام التي تعرض في غير مقار أو على غير منتسبي البعثات الدبلوماسية والهيئات القنصلية كذا الأفلام التي تعرضها الأندية والجمعيات والمراكز وتشمل الرقابة النواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية والدينية. وللوزير أن يضم إلى عضوية هذه اللجنة من يقع عليه اختياره من ذوي الكفاءة والخبرة.

المادة ٦٠:

للجنة المشار إليها في المادة السابقة أن تحذف من الفيلم المشاهد التي ترى فيها إخلالاً بالمقومات أو القيم التي يقوم عليها الدين أو الأخلاق أو الدولة أو المجتمع.

وللجنة المذكورة أن ترخص بعرض الفيلم بعد قطع المشاهد المخلة.

ولا يخل ما تقدم بحق الوزارة في أن تصدر إلى أصحاب دور السينما أو المسؤولين عن إدارتها التعليمات والتوجيهات التي تستهدف الحفاظ على مستوى البرامج السينمائية دينياً وقومياً وفنياً ورعاية الآداب العامة في هذه الدور.

المادة ٦١:

لا يجوز للجنة مراقبة الأفلام السينمائية أن ترخص بعض الأفلام الأجنبية ما لم تكن عليها ترجمة إلى اللغة العربية.

ويجب أن يذكر بطلب الحصول على الترخيص ملخصاً عن موضوع الفيلم وأسماء أبطاله واسم المنتج، وفي جميع الأحوال يجب أن يكون النص العربي المترجم مطابقاً للغة الحوار.

المادة ٦٢:

تنشأ بالوزارة لجنة تسمى اللجنة العليا للتظلمات تؤلف من عناصر فنية وقانونية وذلك للنظر في التظلمات التي يرفعها أصحاب الشأن في شأن القرارات الصادرة عن لجنة مراقبة الأفلام السينمائية وفقاً لأحكام المواد ٥٧، ٥٨، ٦١ من هذا القانون. ويصدر بتشكيل هذه اللجنة قرار من الوزير وفي جميع الأحوال يجب أن يكون قرار اللجنة بالبت في التظلم مسبباً.

ويجوز التظلم من قرار اللجنة أمام الوزير خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ إخطار صاحب الشأن به ويكون قرار الوزير نهائياً.

المادة ٦٣:

لا يجوز أن يُسمح للأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ستة عشر سنة ميلادية بدخول دور العرض السينمائية أو غيرها من الأماكن التي يصدر بتعيينها قرار من وزير العمل والشؤون الاجتماعية وذلك متى كانت لجنة مراقبة الأفلام السينمائية قد حضرت عليهم ذلك.

المادة ٦٤:

على مديري دور العرض السينمائية وغيرها من الأماكن المماثلة المشار إليها في المادة السابقة أن يعلنوا وبذات اللغة التي استعملت في الدعاية وفي مكان ظاهر وبارز ما يفيد حظر الدخول لمن هم دون سن السادسة عشرة طبقاً للقرار الصادر بهذا الشأن عن لجنة مراقبة الأفلام السينمائية.

المادة ٦٥:

يصدر الوزير قراراً بتحديد موظفي الوزارة الذين يحق لهم دخول دور العرض السينمائية وغيرها من الأماكن المشار إليها في المادة ٦٣ وكذلك المطابع ومحال بيع وتوزيع المطبوعات والمصنفات في البلاد، وتكون لهؤلاء في ممارستهم لأعباء وظائفهم صفة مأموري الضبط القضائي في ضبط وإثبات ما يقع من مخالفات لأحكام هذا القانون ولهم في سبيل ذلك حق ضبط المواد والوسائل التي استعملت في ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون بما في ذلك قوالب وأصول الطباعة.

المادة ٦٦:

في غير العروض السينمائية لا يجوز في عرض عام، عرض أي مصنف على الجمهور قبل الحصول على ترخيص بذلك من إدارة الاستعلامات بالوزارة، ويجب أن يشتمل طلب الترخيص على البيانات والوثائق التي يصدر بتحديدتها قرار من الوزير.

ويسري حكم الفقرة السابقة على نشر أو تداول أي مصنف بين الجمهور سواء كان هذا المصنف مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً.

المادة ٦٧:

لا يجوز لأي شخص أن يشتغل بأعمال الانتاج المسرحي أو السينمائي أو ما يدخل في حكمها إلا بعد الحصول على ترخيص بذلك من الجهة المختصة بالوزارة. ويكون الترخيص لمدة سنة قابلة للتجديد.

ويصدر بتحديد شروط منح الترخيص وتجديده، وكذلك بتحديد البيانات والوثائق التي يجب أن يشتمل عليها أو ترفق بطلب الترخيص قرار من الوزير بعد أخذ رأي وزير الداخلية.

المادة ٦٨:

تسري الأحكام المنصوص عليها في المادة السابقة بالنسبة إلى المشتغلين بأعمال الوساطة في إلحاق الممثلين أو السينمائيين أو الموسيقيين أو غيرهم من الفنانين أو من في حكمهم بالعمل.

المادة ٦٩:

لا تسري أحكام المواد ٦٦، ٦٧، ٦٨ من هذا القانون على العروض التي تقدم عن طريق الوزارات أو الدوائر الحكومية أو المؤسسات العامة أو الهيئات العامة مما يتعلق بنشاطها.

وفي الفصل السابع: في المسائل المحظور نشرها:

المادة ٧٠:

لا يجوز التعرض لشخص رئيس الدولة أو حكام الإمارات بالنقد.

المادة ٧١:

يحظر نشر ما يتضمن تحريضاً أو اساءة إلى الإسلام أو إلى نظام الحكم في البلاد أو الإضرار بالمصالح العليا للدولة أو بالنظم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع.

المادة ٧٢:

لا يجوز نشر آراء تتضمن انتهاكاً لحرمة الآداب العامة أو تنطوي على الإساءة إلى الناشئة أو على الدعوة إلى اعتناق أو ترويج المبادئ الهدامة.

المادة ٧٣:

يحظر نشر ما من شأنه التحريض على ارتكاب الجرائم أو إثارة البغضاء أو بث روح الشقاق بين أفراد المجتمع.

المادة ٧٤:

لا يجوز بغير إذن من الجهة المختصة بالوزارة نشر أنباء الاتصالات السرية الرسمية أو الشؤون العسكرية كما لا يجوز نشر نصوص الاتفاقيات أو المعاهدات

التي تعقدتها الحكومة قبل نشرها في الجريدة الرسمية إلا بإذن خاص من هذه الجهة.

المادة ٧٥:

لا يجوز بسوء قصد نشر تحريف لما يجري في الجلسات أو المداولات أو في الجلسات العلنية للمحاكم أو الهيئات النظامية في الدولة.

المادة ٧٦:

لا يجوز نشر ما يتضمن عيباً في حق رئيس دولة عربية أو إسلامية أو أية دولة أخرى صديقة، كما يحظر نشر ما من شأنه تعكير صفو العلاقات بين الدولة وبين البلاد العربية أو الإسلامية أو الصديقة.

المادة ٧٧:

لا يجوز نشر ما يتضمن تجنياً على العرب أو تشويهاً لحضارتهم أو تراثهم.

المادة ٧٨:

لا يجوز نشر أخبار بشأن تحقيق جنائي قائم إذا كان قاضي التحقيق قد أمر بجعل التحقيق سرياً أو كانت النيابة العامة قد حظرت إذاعة شيء عنه.

المادة ٧٩:

لا يجوز نشر الأخبار أو الصور أو التعليقات التي تتصل بأسرار الحياة الخاصة أو العائلية للأفراد ولو كانت صحيحة إذا كان من شأن نشرها الإساءة إلى من تناوله

النشر، كما يحظر نشر ما يتضمن إفشاء سر من شأنه أن يضر بسمعة شخص أو بثروته أو باسمه التجاري أو نشر أمر يقصد به تهديده أو إرغامه على دفع مال أو تقديم منفعة للغير أو حرمانه من حرية العمل.

المادة ٨٠:

لا يجوز بسوء قصد نشر أخبار كاذبة أو أوراق مصطنعة أو مزورة أو منسوبة كذباً إلى الغير.

المادة ٨١:

لا يجوز نشر ما من شأنه الإضرار بالعملة الوطنية أو يؤدي إلى بلبلة الافكار عن الوضع الاقتصادي للبلاد.

المادة ٨٢:

لا يجوز أن تتضمن النشرات أو الإعلانات عبارات أو صوراً أو رسوماً تنافي الآداب العامة أو يكون من شأنها تضليل الجمهور.

المادة ٨٣:

لا يجوز نشر إعلانات عن الأدوية أو المستحضرات الصيدلانية إلا بإذن خاص من الجهة المختصة بوزارة الصحة). انتهى المراد منه المتعلق بموضوع البحث.

ثانياً: قرار رئيس المجلس الوطني للإعلام رقم ٢٠ لسنة ٢٠١٠م بشأن معايير المحتوى الإعلامي:

ينص هذا القرار على ضرورة التزام جميع مؤسسات ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الدولة، بما في ذلك مناطقها الحرة بالالتزام بالمعايير الخاصة بالمحتوى الإعلامي، الواردة في القانون الاتحادي رقم ١٥ لسنة ١٩٨٠م في شأن المطبوعات والنشر والقوانين والأنظمة الأخرى السارية.

كما يلزم القرار كافة المؤسسات الإعلامية الاحتفاظ بسجل وأرشيف يتضمن جميع المواد والأعداد الإعلامية التي تم إنتاجها أو طباعتها أو توزيعها أو بثها خلال ثلاثة أشهر متتالية، والسماح للمجلس بالاطلاع على ذلك الأرشيف في أي وقت يطلبه.

كما يتعين على هذه المؤسسات تقديم تقارير شهرية للمجلس بشأن الالتزام بهذه المعايير.

ثالثاً: معايير محتوى الإعلانات في وسائل الإعلام في دولة الإمارات العربية المتحدة:

ينظم قرار رئيس المجلس الوطني للإعلام رقم ٣٥ لعام ٢٠١٣م معايير محتوى الإعلانات في وسائل الإعلام.

ووفقاً للقرار، يجب أن تلتزم جميع الإعلانات التي يتم إنتاجها أو وضعها أو توزيعها داخل الدولة، أو استيرادها إلى دولة الإمارات بالمعايير الوطنية للمحتوى الإعلامي، والقانون الاتحادي رقم ١٥ لعام ١٩٨٠م بشأن المطبوعات والنشر.

بالإضافة إلى ذلك، يتعين الحصول على الموافقة المسبقة من الجهات المختصة في كل ما يتعلق بالإعلانات المتخصصة كتلك المتعلقة بالطب والأدوية، أو بالأغذية أو التجارية المتعلقة بحملات الترويج والعروض الخاصة، أو بالعقارات والجامعات والمعاهد التعليمية ودور الحضانة وكل ما شابه ذلك.

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تمثل الإعلانات مع الضوابط التالية:

- عدم نشر صور أو كلمات مخلة بالأداب العامة.
 - لا يسمح بالإعلان عن أعمال السحر والشعوذة وأعمال التنجيم.
 - مراعاة الشروط والضوابط الخاصة بعلم الدولة، وشعارها ونشيدها الوطني.
 - يجب ألا يكون الإعلان غامضاً.
 - ألا يتضمن الإعلان أو يحتوي على ادعاءات غير صحيحة أو مضللة أو يعتمد إلى التهويل، وادعاء التفرد وتحقير المنافس، وكل ما ينضوي على شبهة الغش والتضليل.
 - يجب ألا يتضمن الإعلان علامات أو إشارات أو صور مزورة أو مقلدة.
 - أن يكون حقيقياً وغير مبالغ فيه، وألا يؤدي إلى خلق لبس أو خلط بأية طريقة كانت مع أسماء أو منتجات أو أنشطة أخرى.
- هذا أهم ما يتعلق بموضوع البحث مما يتعلق بضوابط ومعايير الأفلام والبرامج في القانون الإماراتي.



الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

وفي ختام هذا البحث الموجز الذي تناولت فيه ضوابط ومعايير صناعة الأفلام والبرامج الإعلامية في الشريعة وقانون دولة الإمارات العربية المتحدة، وغيرها من الأمور المتعلقة بها، سأذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث كالآتي:

١- ضرورة تدخل الدولة ومؤسساتها وعلى رأسها وزارة الإعلام والمجلس الوطني للإعلام في مراقبة إنتاج الأفلام والبرامج والتأكد من موافقتها للضوابط والقيم الإسلامية والمعايير الشرعية والقانونية.

٢- ضرورة الإبداع والابتكار في إنتاج أفلام وبرامج لجميع فئات المجتمع ترسخ الهوية الإسلامية والوطنية والعربية، وتنمي حب الوطن والانتماء إليه، وتواجه الأفكار الهدامة والقيم المستوردة من الغرب من خلال الأفلام والمسلسلات المدبلجة والمترجمة والبرامج ورسوم الأطفال المتحركة.

٣- زرع القدوة الحسنة والمبادئ السليمة في نفوس فئات المجتمع كباراً وصغاراً، والبديل الطيب في هذا المجال، وتحصنهم فكرياً وثقافياً وتربوياً، ومعالجة مشاكل المجتمع من باب (درهم وقاية خير من قنطار علاج).

٤- اجتناب عرض ومشاهدة الأفلام والبرامج والإعلانات والرسوم المتحركة التي تدعو للعنف والغلو والتطرف والإرهاب بكافة صورته وأشكاله، وتؤثر على نفوس الناشئة والأسر ومختلف فئات المجتمع وسلوكهم.

- ٥- تحريم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما لهم من قدسية وعصمة ولقمام النبوة الشريف وسداً لذريعة أي تنقيص أو إخلال بمقام النبوة.
- ٦- منع تمثيل الصحابة الكرام، لاسيما الخلفاء الأربعة والعشرة المبشرون بالجنة رضي الله تعالى عنهم وأمهات المؤمنين وآل البيت كفاطمة والحسين وسادة آل البيت الكبار رضي الله عنهم؛ لخصوصيتهم ومكانتهم المجلّة وما ورد بشأنهم وفضلهم.
- ٧- ضرورة التقيّد بالمعايير والضوابط الشرعية والقانونية في إنتاج الأفلام والبرامج الإعلامية ونحوها.
- ٨- دعوة أصحاب رؤوس الأموال والشركات والأفراد للاستثمار في مجال الأفلام الهادفة والبرامج الإعلامية وفق المعايير والضوابط التي سبق تفصيلها في البحث.
- وبعد، فهذا جهد المقل، فأرجو من الله تعالى أن أكون قد سُدَّدْتُ في البحث، ووفَّقْتُ للصواب، فإن بلغتُ المراد فهذا توفيق من الله تعالى، أحمدُه على ذلك حمداً كثيراً، وإن جانبني الصواب، فهذا من نفسي، والإنسان مُعَرَّضٌ للخطأ والسَّهو والنِّسيان كما هو حال البشر، وحسبي أني اجتهدتُ، ولكلِّ مجتهدٍ نصيب.
- وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنَّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جديرٌ، وصَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



قائمة المصنّاور

- القرآن الكريم.

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: للإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، دار الأندلس للنشر - بيروت (١٩٩٦م - ١٤١٦هـ)، تحقيق: رشدي الصالح.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار الجليل - بيروت (١٤١٢هـ)، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

- البحر المحيط في أصول الفقه: للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) (ط ١)، تحقيق: د. محمد محمد تامر.

- بلوغ المرام من أدلة الأحكام: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي (ط ٢) دار ابن كثير - دمشق - وبيروت (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

- تفسير ابن كثير: للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي الشافعي (ط ١) دار الفكر - بيروت سنة (١٤٠١هـ).

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري الأندلسي، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

- سبل السلام شرح بلوغ المرام: للعلامة محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني - دار الريان (ط ٤) - (١٤٠هـ - ١٩٨٧).

- سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: الشيخ محمد عوامة، (ط ١) دار القبلة - جدة، نشرته مؤسسة الريان - بيروت، والمكتبة المكية - مكة المكرمة (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

- سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، طبع الحلبي - القاهرة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

- سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- السنن الكبرى: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق: د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي (ط ١) دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

- السنن الكبرى: للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، طبع في حيدر آباد بالهند، صورته دار المعرفة - بيروت (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

- سنن النسائي (المجتبى): للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (ط ٣) نشره مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

- سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) بشرح السيوطي وحاشية السندي، بعناية الشيخ: عبد الفتاح أبو غدة (ط ٤) دار البشائر - بيروت (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه: للإمام محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف

بابن النجار، دار النشر: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية (١٤١٣هـ)،
الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد.

- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط) دار الكتب العلمية - بيروت، مصورة عن طبعة
عيسى البابي الحلبي (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان): للإمام محمد بن
حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم التميمي البُستي السجستاني، والإحسان للأمر
علاء الدين ابن بلبان الفارسي، (ط ١) دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٧هـ).

- صحيح ابن خزيمة: للحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري،
تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، (ط ٢) المكتب الإسلامي - بيروت (١٤١٢هـ -
١٩٩٢م).

- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق
د. مصطفى البغا، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، (ط ٥) (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،
تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، مصورة عن
طبعة عيسى الحلبي (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،
طبعة دار الريان للتراث - القاهرة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

- المستدرک علی الصحیحین: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم
النيسابوري، دار الفكر - بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) مصورة عن الطبعة الهندية.

- المسند: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، نشر مؤسسة قرطبة.
- الفتاوى الإسلامية: إصدار دار الإفتاء المصرية - القاهرة سنة (٢٠١٢ م).
- فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا: جمع وترتيب د. صلاح الدين ويوسف خوري (ط) دار الكتاب الجديد (٢٠٠٥ م).
- فتاوى شرعية: تصدر عن إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي (ط ١) دائرة الشؤون الإسلامية بدبي - إدارة الإفتاء، المجلد (١٧) سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠١٢ م.
- فتاوى شرعية: تصدر عن إدارة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي (ط ١) دائرة الشؤون الإسلامية بدبي - إدارة الإفتاء، المجلد (١٨) سنة ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م.
- الفتاوى الشرعية: الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م - نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية - الكويت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان للتراث - القاهرة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م).
- قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة: نشر المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض صدرت في (١٠٠ عدد) (من ١٣٩٥ هـ - إلى ١٤٣٤ هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، (ط ٣) دار الكتاب العربي - بيروت (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

- المستدرك على الصحيحين: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الفكر - بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- مسند أحمد: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية.
- المعجم الكبير: للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، (ط ٢) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: للإمام أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، (بهامش إحياء علوم الدين)، ط دار المعرفة - بيروت (مصورة).
- موطأ الإمام مالك، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة ١٧٩هـ - طبعة دار القلم - بيروت - لبنان.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

حماية الموروث الثقافي الإسلامي بقواعد الملكية الفكرية

إعداد

د. زياد طارق جاسم

كلية القانون - جامعة الفلوجة

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



يشكل التراث الثقافي عموماً حلقة الوصل بين ماضي المجتمع وحاضره، فالتقاليد والعادات وأشكال التعبير والمعارف والفنون بمختلف أنماطها تشكل محطة مهمة في تاريخ المجتمع وحضارته وتجزره بالهوية التي ينتمي لها، ولا شك أن التراث الإسلامي واحد من أهم الموروثات على الصعيد العالمي، فتنوعه وامتداده وسعة مضمونه، يجعله يحتل هذه القيمة، وهنا يكون على كل مجتمع، بما فيها المجتمعات الإسلامية حماية هذه الموروثات والحفاظ عليها وصيانتها، ومثل هذه الحماية متحققة في الغالب عبر تشريعات خاصة بحماية التراث والآثار، وقد يكون من الممكن حمايتها، بموجب قواعد الملكية الفكرية، وهنا لا بد من بيان مدى ملاءمة هذه الموروثات وأشكال التعبير التقليدية لتلك الشروط الواجب توافرها في الأعمال الفكرية، لتكون محلاً للحماية بموجب هذه القواعد، وهنا يدور البحث عما إذا كانت قواعد الملكية الفكرية قابلة للتطبيق على الموروث الثقافي كعنصر من عناصر الابتكار والإبداع لمجتمع معين.



المقدِّمة

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية، أياً كانت تركيبته، أو نمط حياته، أو طبيعة نسيجه الاجتماعي، العديد من الآثار والأبنية والأشكال المعمارية، فضلاً عن العادات والتقاليد والثقافات التي وجدت منذ نشأة المجتمع وانتقلت وتوارثت بين أفرادها وتطورت بمرور الوقت، ولحماية الموروث الثقافي الإسلامي، لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار أن الثقافة الإسلامية ليست حصراً على المسلمين فحسب، بل امتد تأثيرها وانعكست آثارها إيجابياً على العالم أجمع، فكان للتراث الإسلامي على تنوعه وعراقتة وعمق معناه الأثر في عدم تحديد تصنيف ووصف دقيق لهذا الموروث المتنوع والزاهر بالقيم والعادات والثقافات.

- موضوع البحث:

الموروث الثقافي عموماً منظومة متكاملة من الثراء الثقافي والحضاري المتميز الذي يتم من خلاله تحديد أسس التجذر والانتماء التاريخي الراسخ في مجتمع معين، ويعكس الانتماء الشعبي للهوية، وهو أداة تدلل على الإنجازات الثقافية والفكرية للماضي، الذي رسّخت أسسه ودعائمه الشعوب، من خلال سلوكياتها الاجتماعية والمادية والمعنوية، معلنة من خلالها عن صور تعاشيها وطريقة انسجامها مع زحام الحياة وركام التجارب الإنسانية، فأثرت وتأثرت بالعلاقات الإنسانية المحيطة بها^(١).

(١) د. علي حمزة عسل، الحماية الجنائية للآثار والتراث، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الثاني، السنة السادسة، ٢٠١٦، ص ٢٠.

والموروث الثقافي يعني كل ما صار إلى الوارث والخلف عن الموروث أو الأسلاف من أشياء ذات قيمة مادية ومعنوية، وسمات أصلية انتقلت عبر الزمن من جيل إلى آخر^(١)، ومعنى الموروث أو التراث واسع يشمل المال والدين والعلم والإيمان، وهذه الحقيقة يجسدها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢)، فالموروث الإسلامي هو كل ما خلفته الأجيال والعصور الإسلامية السالفة للخلف في مجال الحضارة والعقائد والعلوم، ويصاحب الأمة على مدى تاريخها في المجالات المادية والروحية والعقائدية، فهو نتاج جهد متواصل؛ أسهم فيه جميع أفراد المجتمع، في ميادين المعارف والسلوك الاجتماعي، إذ يعد ركناً أساسياً من أركان هوية المجتمع الإسلامي، وخزانة خبراتها التي تسهم وبشكل فاعل في تعاملها مع الحاضر، من ناحية، ويعمل كمرشد لها عند رسم مستقبلها المشرق، من ناحية أخرى^(٣).

- أهمية الموضوع:

بالنظر لصعوبة تصنيف الموروث الثقافي عموماً وتحديد معناه القانوني، وبالتحديد ما يتعلق بالتراث أو الموروث الثقافي الإسلامي، لسعة هذا المصطلح من الناحية المادية والمعنوية وسعته من الناحية الاجتماعية والثقافية، فمفردة التراث

(١) ياسر هاشم عماد الهياجي، دور المنظمات الدولية والإقليمية في حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه، مجلة ادوماتو، العدد الرابع والثلاثون، يوليو ٢٠١٦، ص ٨٩.

(٢) سورة فاطر من الآية (٣٢).

(٣) د. محمد شامة، التراث الإسلامي بين القبول والرفض، مجلة الأزهر، موضوعات قضايا التجديد، ديسمبر ٢٠١٧، ص ٦٤٤.

ترتبط بنوعين من الحقائق، أولهما: مرتبط بالمفهوم التقليدي للقانون المدني، الذي يجعل من التراث ممتلكات خاصة لها قيمة مالية، بينما تجعل الحقيقة الثانية من التراث نوعاً من التطور المدني للجماعات الإنسانية فيجعل التراث مملوكاً للجماعة يتجلى الهدف منه تحقيق المصلحة العامة، وهو ما يجعل من التراث ذا مفهوم رمزي وقيمة عاطفية، فكرية، علمية جمالية، ارتبطت بمشاعر ومؤشرات خيالية عامة في مخيلة المجتمع؛ ولا يتضمن قيمة نقدية بالمعنى الحقيقي، مما يجعل التراث غير قابل للاستهلاك وغير نفعي، مقارنة مع المفهوم الذي تجسده الممتلكات باعتبارها ذات قيمة مالية^(١).

وهذا التنوع يجعلنا ندقق البحث في المفاهيم ونمحص الموجود منها، ونجمع شتات المفردات لنصبها في بوتقة واحدة ونصوغ منها تعريفاً يتلاءم والموروث الثقافي الإسلامي العريق والمتنوع، إذ إن الموروث الثقافي الإسلامي يرتبط بالمجتمع وسلوكياته، من ناحية، وبالعقائد الإيمانية والروحية، من ناحية أخرى.

وهنا تأتي أهمية البحث في مدى فاعلية قواعد حقوق الملكية الفكرية في حماية الموروث الثقافي الإسلامي، وهل يمكن أن تشكل القواعد الناظمة لحماية التراث الثقافي وسطاً فعالاً يتم من خلاله حماية الموروث الثقافي بالتزامن مع قواعد الملكية الفكرية؟ هذا فضلاً عن أن تطور وسائل الإنتاج الفكري جعل من الموروثات الثقافية بمختلف مسمياتها وأصنافها مادة دسمة، يمكن أن تشكل حجر الأساس

(١) د. حسام عبد الأمير خلف، نحو قانون دولي للتراث، مكتب الهاشمي للكتب الجامعية، بغداد ٢٠١٥، ص ٢٢.

في إنتاج وإعادة إنتاج التراث بشكل رقمي، عبر ترقيم ونسخ ومسح ضوئي للمخطوطات والمنحوتات، أو حتى المواقع الأثرية وإعادة دمجها بمؤثرات صوتية ورسوم وصور، وعرضها بتقنية التصوير ثلاثي الأبعاد (3D, MP3, MP4, MULTIMEDIA)، فهل يشكل هذا الترخيم اعتداء على الموروث الثقافي؟ أم هو وسيلة من وسائل الإنتاج الفكري التي أوجب التشريع حمايتها بموجب قواعد حماية الملكية الفكرية.

- نطاق البحث وفرضياته:

تدور فكرة البحث حول تحديد التصنيف القانوني للموروث الثقافي عموماً، مع التركيز على الموروث الإسلامي، دون الخوض في تفاصيل هذا الموروث وصوره المنوعة والواسعة، إذ يتم التركيز على مدى إمكانية حماية الموروث الإسلامي غير المادي، بموجب قواعد الملكية الفكرية ومدى فاعليتها، من خلال القياس والتحليل والتدقيق، بين التراث وأصنافه عموماً، وبين الموروث الإسلامي، مع المقارنة بين نصوص القانون المدني والقوانين الخاصة بحماية الآثار والتراث والملكية الفكرية، تاركين موضوع حماية الموروث المادي للقوانين الخاصة بالملكية العقارية، ولأحكام الوقف الخاصة بالملكية المادية الإسلامية، وعلى ضوء الفرضيات الآتية:

١- ما هو التصنيف القانوني للموروث الثقافي بالمقارنة مع التراث الثقافي؟

٢- مدى فاعلية قواعد الملكية الفكرية في حماية الموروث الثقافي؟

٣- مدى إمكانية تطبيق قواعد الملكية الفكرية، والتشريعات الخاصة بحماية التراث والآثار على الموروث الثقافي الرقمي.

- منهجية البحث:

تدور منهجية البحث حول تحليل نصوص التشريعات الخاصة بالملكية الفكرية وتشريعات حماية الآثار والتراث وتأسيس مبدأ الحماية بموجب قواعد الملكية الفكرية للموروث الثقافي الإسلامي، والعمل على تطوير نصوص التشريعات المقارنة في القانون المدني وحماية التراث والآثار والملكية الفكرية قدر توفر نصوصها الخاصة أو العامة في ميدان البحث، آخذين بنظر الاعتبار الإشارة إلى التطبيقات القضائية، التي تخدم مسار البحث سواء بالقياس على ما موجود منها أو بالمقارنة معها، وبما يخدم الموضوع ويخرج إلى حلول موضوعية تخص هذا الشأن.

- صعوبات البحث:

كل بحث علمي مختص لا يخلو من بعض المصاعب، التي تجول بفكر الباحث وتضع أمامه جملة من الخيارات؛ لتذليل تلك المصاعب والعقبات، ومن بين تلك الصعوبات: قلة الدراسات القانونية المتخصصة التي تبحث في حماية الموروث الثقافي الإسلامي بشكل مباشر، وما زاد الصعوبة هو البحث في حماية هذا النوع من الموروثات الزاخرة والمتنوعة، بقواعد الملكية الفكرية التي تتسم بخصوصيتها الموضوعية والإجرائية والوقفية، وهو ما جعلنا نبحت في سياق التشريعات الخاصة والقواعد العامة، فضلاً عن الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة بالقدر الذي يساعدنا في إيجاد الحلول للفرضيات التي سبق وأثرناها بهذا الخصوص.

- خطة البحث:

لأجل الإحاطة بموضوع البحث وتفاصيله، سنتبع تقسيمه على مطلبين الأول
منهما خصصناه للبحث في تصنيف الموروث الثقافي الإسلامي، بينما عقدنا المطلب
الثاني للبحث في فاعلية قواعد الملكية الفكرية في حماية الموروث الثقافي الإسلامي،
وعلى النحو الآتي:



المطلب الأول

تصنيف الموروث الثقافي الإسلامي

يشكل الموروث الثقافي أو التراث الثقافي امتداد الماضي بالحاضر، واستمراراً لما ورثه الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد من قيم ومعارف وتقاليد، ولا بد من الإقرار بأن تصنيف الموروث الثقافي الإسلامي، يشكل بحد ذاته تحدياً لكل باحث في التراث الثقافي، فتشعب الموروث الثقافي وتعدد محتواه الإبداعي والثقافي، يعكس مدى اتساع نطاقه ومفهومه وأنواعه، فهناك الموروث المادي، والموروث غير المادي، وهو ما نبخته وعلى النحو الآتي:

الفرع الأول: تعريف الموروث الثقافي:

هناك العديد من المصطلحات التي تعكس في معناها هذا الامتداد الروحي والمادي بين السلف والخلف، فيقال: التراث الثقافي، والموروث الثقافي، والمال الثقافي، أو الإرث الحضاري والثقافي. والموروث اسم مفعول مشتق من الإرث، والإرث هو الميراث وهو الأصل، ويقال الإرث في الحسب، والورث في المال^(١).

فالموروث الثقافي من وجهة نظر فقهية، يراد به «كل أعمال الإنسان المنسوبة إلى نشاطه الإبداعي، في الحاضر والماضي فنياً، وعلمياً، وتربوياً، والتي لها أهمية من أجل

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صار، بيروت ١٩٩٠، (ورث) ص ٧، والموروث اسم مفعول من ورث، والجدُّ الموروثُ الَّذِي تَرَكَ المِيرَاثَ، وَمَوْرُوثَاتُ العَائِلَةِ مَا تَوَارَثَتْهُ مِنْ إِرْثٍ، والموروث والتراث مجموعة من العادات والأعراف يُنظر إليها كسوابق تشكّل الجزء الأساسي المؤثر على الحاضر. ينظر معجم المعاني الجامع، منشور على الرابط: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%88%D8%88%D8%B1%D9%5%D9>، تمت الزيارة ١٢/١/٢٠١٨ الساعة ١٥:٠٥ م، مكة المكرمة.

تفسير وتطوير ثقافة الماضي في الحاضر والمستقبل»^(١)، وهو ما يعني في واقع الأمر مجموعة من القيم التي ينبغي على الأجيال نقلها من جيل إلى آخر بكل أنواعها المادية والمعنوية، كالعادات والتقاليد والمعرفة والفكر واللغة^(٢).

فالموروث الثقافي أو التراث الثقافي الإسلامي من هذا المنظور، هو مجموعة من الآثار والقيم والعادات والتقاليد والسلوكيات الاجتماعية والاعتقادية والروحية والفكرية التي توارثتها الأجيال المسلمة عبر العصور، فأكسبها نوعاً من القدسية والارتباط الروحي، والتجذر بالهوية الإسلامية، والتي لا تقدر بهال.

وعند التعرّيج على النصوص القانونية نجد أن اتفاقية اليونسكو لعام ١٩٧٠ جاءت بتعريف الممتلكات الثقافية في مادتها الأولى بأنها: «الممتلكات التي تقرر كل دولة لاعتبارات دينية أو علمانية أهميتها لعلم الآثار أو ما قبل التاريخ أو الآداب أو الفن أو العلم، والتي تدخل في إحدى الفئات التالية (الممتلكات المتعلقة بالتاريخ، نتائج الحفائر الأثرية، التماثيل والمنحوتات الأصلية)»^(٣).

(١) سعد رحال، حماية الأموال والممتلكات أثناء النزاعات المسلحة في ظل أحكام القانون الدولي الإنساني، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة سعد دحلب، البلدة الجزائرية ٢٠٠٦، ص ٨٣.

(٢) COISSARD Pascale, la protection du patrimoine culturel en cas de conflit arme: enjeux et limites du cadre international, memoire de fin d'etudes, option droit international, institute d'etudes politique de lyon, universite de lyon II, 2007, p7.

(٣) ينظر نص المادة الأولى والتي تضمنت أصناف الممتلكات الثقافية، بالمقارنة مع ينظر المادة (١ و ٢) من اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في باريس بتاريخ ١٦ / تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٩٧٢. والمصادق عليها من جمهورية العراق بالقانون رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٩ منشور بالوقائع العراقية، العدد ٣١٣٤ بتاريخ ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٩.

وقد تبني قانون التراث الثقافي لإمارة دبي رقم (٤) لسنة ٢٠١٦، تعريفاً للتراث الثقافي في المادة الأولى منه إذ نص على أن التراث الثقافي: «كل ما له أهمية ثقافية بطبيعته سواء كان تراثاً مادياً أو معنوياً وينسب للإمارة وفق أحكام هذا القانون أو أي أمر آخر يقرر المجلس التنفيذي اعتباره من قبيل التراث الثقافي»^(١).

فالعادات والقيم والمعارف التقليدية الممتدة عبر الزمن تشمل العديد من المظاهر التي تبيّن بشكل ملموس وغير ملموس الإبداعات والإنجازات الفكرية والعلمية لمجتمع ما^(٢)، والموروث الثقافي الإسلامي يجمع بين تلك القيم الروحية والمعارف والتقاليد التي تربط المجتمع المسلم بماضيه الحضاري والديني والعقائدي التي تناقلتها الأجيال عبر الزمن جيلاً بعد جيل.

ومن خلال هذا العرض يمكن أن نبين خصائص الموروث الثقافي الإسلامي على النحو الآتي:

أ- تنوع الموروث الثقافي الإسلامي، وهو ما جعل من الموروث الإسلامي المعبر الحي عن الصفات المميزة للمجتمع المسلم، والتي تجلت بالمعارف والعلوم والابتكارات المختلفة.

ب- ارتباط الموروث الثقافي بالسلوك الاجتماعي الإسلامي في أغلب مضامينه، إذ يشكل سجلاً كاملاً للنشاط الإنساني في المجتمع المسلم عبر العصور الإسلامية حفظته ذاكرة الأجيال والشعوب وتناقلته عبر الزمن.

(١) منشور بالجريدة الرسمية العدد التاسع ١٥ / ديسمبر / ٢٠١٦.

(٢) ينظر تقرير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بشأن حقوق الشعوب الأصلية، الأمم المتحدة، مجلس حقوق الإنسان بدورته الحادية والعشرون، المعقودة بتاريخ ٢٥ / ١ / ٢٠١٢ رقم الوثيقة 23/A/HRC/21 البند (٢ / ٥).

ت - خلفيته العالمية، إذ يعد الموروث الثقافي الإسلامي من أهم المصادر التاريخية لتطور الحياة الإسلامية وانتشارها عبر المعمورة؛ مما جعل منها من أهم الحضارات الحية والمؤثرة في العالم بمختلف عصوره.

الفرع الثاني: الموروث المادي:

الموروث الثقافي المادي قد يكون أثراً ثابتاً أو منقولاً^(١)، فالموروث الثقافي -إن شئت تسميته التراث المادي أو التراث الثقافي المادي- الثابت يشمل كل أثر لا يمكن نقله أو تحويله من مكان إلى آخر، وهو ما ينطبق حتماً على المباني والمواقع الأثرية التاريخية، وكذلك الجوامع والمساجد، والأبنية التراثية القديمة، والمحلات والأسواق والشوارع التراثية، وبمعنى أكثر دقة يشمل كل مال له كيان مادي، يتسم بالقدم واكتُشف منذ زمن ليس قريباً^(٢)، بمعنى أن التراث المادي هو «كل تراث ملموس له أهمية ثقافية سواء كان عقاراً أو منقولاً بما في ذلك الآثار والمجمعات والمباني التاريخية والمواقع الثقافية والمناظر الطبيعية الثقافية والتراث المعماري الحديث وذلك وفقاً لما تحدده اللائحة التنفيذية لهذا القانون»^(٣)، بينما عُرف دولياً بأنه: «جميع

(١) ينظر نص المادة (٦٢) من القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١، والتي تميز بين المنقولات والعقارات، القانون منشور في الوقائع العراقية بالعدد (٣٠١٥) بتاريخ: ١٩٥١/٩/٨.

(٢) ينظر المادة (٧/٤) التي تنص على أن المواد التراثية هي «الأموال المنقولة وغير المنقولة التي بناها أو صنعها أو نحتها أو أنتجها أو كتبها أو رسمها أو صورها الإنسان ولا يقل عمرها عن (٢٠٠) مئتي سنة وكذلك الهياكل البشرية والحيوانية والنباتية» قانون الآثار والتراث العراقي رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢، منشور في الوقائع العراقية بالعدد (٣٩٥٧) بتاريخ: ٢٠٠٢/١١/١٨.

(٣) ينظر نص المادة الأولى من قانون التراث لإمارة أبوظبي رقم (٤) لسنة ٢٠١٦.

الممتلكات العقارية أو المنقولة المتعلقة بالممتلكات العامة أو الخاصة، التي تمثل أهمية تاريخية وفنية أثرية وجمالية علمية أو تقنية»^(١).

فالتراث المادي يشمل الأعمال المعمارية بما فيها النحت والنقوش والكهوف، ومجموعة المعالم الأثرية، وأيضا قد يأخذ شكل المجمعات، والتي تتمثل في مجموعة المباني المنعزلة أو المتصلة التي لها بسبب عمارتها أو تناسقها قيمة تراثية، وينطوي أيضاً على المواقع الأثرية التي أوجدها الإنسان من عمله أو بالاشتراك بينه وبين الطبيعة^(٢)، التي تنطوي بمجموعها على قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ والفن والعلم، والتي تمثل أهمية تراثية وثقافية لمجتمع معين وتعكس هويته وانتائه الحضاري^(٣).

أما الموروث أو التراث المنقول؛ فيشمل كل الأموال التراثية المنقولة، أو القابلة للنقل، من مكان إلى آخر بالرغم من حظر حيازتها أو التعامل بها بحكم القانون، ويدخل تحت هذا النوع المواد الإنشائية والمواد الأثرية والتراثية الموجودة في دور العبادة، والمخطوطات والمسكوكات الأثرية المرخص بحيازتها والتحف واللوحات، والمعاجم القديمة وأمّهات الكتب التراثية النادرة المملوكة للأشخاص

(١) ينظر المادة (١ و ٢) من اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في باريس بتاريخ ١٦ / تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٩٧٢. والمصادق عليها من جمهورية العراق بالقانون رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٩ منشور بالوقائع العراقية، العدد ٣١٣٤ بتاريخ ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٩.

(٢) د. حسام عبد الأمير خلف، المرجع السابق، ص ٢٦-٢٧.

(٣) مصطفى كامل الإمام شحاتة، الاحتلال الحربي وقواعد القانون الدولي المعاصرة، مع دراسة تطبيقية عن الاحتلال الإسرائيلي للأقاليم العربية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٥٧.

العامة والخاصة^(١)، وهو بذلك يشمل جميع ما يعبر أو يمثل صناعة الإنسان أو تطوره نتيجة للطبيعة التي لها قيمة فنية وأثرية وعلمية أو تقنية، ولا سيما تلك التي ترتبط بنتائج الحفريات والاستكشافات الأثرية، والتي تتمثل: بالقطع والأدوات والفخار والنقوش والعملات والجنايز والمومياءات، وممتلكات التاريخ والعلوم والتكنولوجيا، وحياة الشعوب والقادة والمفكرين والعلماء والفنانين الوطنيين، والممتلكات ذات القيمة الفنية والأهمية التراثية، مثل اللوحات والرسومات والمصنوعات الحرفية اليدوية^(٢).

ولا جدال حول تحديد وصف لهذا النوع من الموروث بالرجوع للقاعدة العامة في القانون المدني العراقي وبالتحديد المادة (٦٢) منه والتي جعلت الأبنية والعقارات تلك الأشياء التي لا يمكن نقلها وتحويلها دون تلف، بينما بينت أن المنقول هو الشيء القابل للنقل والتحويل دون تلف، ولكن الأمر يدق في مسألة تحديد طبيعة الأشياء التراثية المنتزعة والمقلووعة من المواقع والآثار الثابتة، فهل تشكل مالا منقولاً أم تظل رغم ذلك محتفظة بوصفها الثابت، كاللوحات والجدارية والمنحوتات والتماثيل والزهريات والمقاعد الحجرية والمنحوتات والفرش والبسط، فهل تعد من قبيل العقارات بالتخصيص والذي يرصده صاحب العقار لخدمة العقار المملوك له أو استغلاله^(٣)؟ وعند تفحص القواعد العامة في القانون المدني، نجد أن نصوص

(١) د. نافع بحر سلطان، فكرة المال الثقافي في القانون الدولي الخاص، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق جامعة النهدين، المجلد ١٩، العدد ٣، الجزء الأول، كانون الأول ٢٠١٧، ص ١٤٧.

(٢) للمزيد ينظر المادة (١) من اتفاقية اليونسكو لعام ١٩٧٠.

(٣) ينظر المادة (٦٣) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١، والمادة (٢/٨٢) من القانون

المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨، منشور في الوقائع المصرية العدد (١٠٨) مكرر (أ)

بتاريخ ١٩٤٨/٧/٢٩.

القانون المدني تجعل من هذه المنقولات المنزوعة والمقلوعة بمثابة الأموال المنقولة وبالنتيجة تخضع لقانون حماية المال التراشي المنقول^(١)، وقد حسمت محكمة النقض الفرنسية الخلاف حول عد اللوحات المنزوعة من إحدى الكنائس الفرنسية أموالاً منقولة، ونقضت بذلك حكماً استثنائياً صادراً من محكمة استئناف (مونبيليه) والتي كيفت اللوحات بأنها أموال غير منقولة، وهو ما يؤكد على الطبيعة المنقولة لهذه اللوحات رغم أنها كانت تعد أشياء غير منقولة قبل فصلها من جدران الكنيسة^(٢).

ولا خلاف أيضاً في أن الموروث الإسلامي الثابت هو مجموعة الأبنية والهياكل والأشكال المعمارية والتي تضم عدداً ضخماً من المساجد والجوامع، ودور العبادة، والقصور التاريخية الإسلامية، التي لا يتصور نقلها أو تحويلها دون تلف. وهناك شواهد وشواخص إسلامية على هذا النوع من الموروث الإسلامي، بينما الموروث المنقول يضم كل ما يمكن نقله أو تحويله من المخطوطات والتحف والمسكوكات والكتب والصور والسيوف والمنحوتات والوثائق، بالقدر الذي لا يسبب تلفاً أو محواً لمضمون تلك المجموعات عند نقلها أو تحويلها^(٣).

(١) وقد جاءت المادة الثانية من قانون الآثار القديمة العراقي الملغي رقم (٥٩) لسنة ١٩٣٦، المنشور في الوقائع العراقية بالعدد (١٥٠٧) بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٣٦، والتي بينت الفارق بين الآثار المنقولة وغير المنقولة بالقول: (تقسم الآثار إلى نوعين، منقولة وغير منقولة، ويقصد بالآثار غير المنقولة الآثار القديمة المشيدة على الأرض والمتصلة بها كالمباني والتلول والمغاور وسائر الأشياء التي ترتبط عادة بالمباني وتؤلف جزءاً منها، ويقصد بالآثار المنقولة الآثار القديمة المنفصلة عن الأرض والمباني والتي يسهل فصلها عنها ونقلها لأي مكان آخر)

(٢) ينظر تفاصيل القضية د. نافع بحر سلطان، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) من الأمثلة على التراث الإسلامي الثابت المساجد الأثرية الإسلامية والمقابر والقصور الإسلامية المنتشرة في العديد من المدن الإسلامية منها كمسجد القبلتين في المدينة المنورة وجامع الخلفاء في بغداد، والمسجد الأموي في دمشق وقصور مدينة سر من رأي في سامراء، بينما نجد التراث المنقول يتجسد في المخطوطات القديمة وأمهات الكتب التراثية القديمة والتحف والسيوف =

الفرع الثالث: الموروث الثقافي غير المادي:

الموروث غير المادي أو الموروث الثقافي المعنوي يتصف بتنوع مضمونه ونطاقه وعناصره، ويتجسد هذا التراث غير المادي «بالتصورات والممارسات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصوغات وأماكن يعتبرها مواطنو الإمارة جزءاً من تراثهم الثقافي المتوارث، جيلاً عن جيل، وينمي لديهم الإحساس بهويتهم والشعور بالاستمرارية»^(١).

وهو بهذا الوصف يشكل مجمل الإبداعات الثقافية والعادات الاجتماعية سواء التقليدية أو الشعبية المتبعة في مجتمع معين والمنقولة عبر التقاليد والتي تضم في الغالب

= التراثية، منها المصاحف الأثرية القديمة الموجودة في متحف واشنطن وبردة النبي ﷺ وسيفه وعكازه الموجود في المتحف التركي، والمخطوطات القديمة الموجودة في مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد، والمتحف والنوادير الموجودة في متحف أبوظبي ما هي إلا دليل على امتداد الموروث الثقافي الإسلامي الثابت من عمران وقصور ومساجد، فضلاً عن المتحف والمخطوطات النادرة والكتب التراثية القيمة التي يجوز نقلها وتحويلها بل حتى إعادة إنتاجها بشكل يحافظ عليها أو نسخها وترقيمها كما سنرى ذلك لاحقاً.

(١) ينظر نص المادة الأولى من قانون التراث لإمارة أبوظبي رقم (٤) لسنة ٢٠١٦، بالمقارنة مع المادة (٢) من اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، والتي نصت على أن: (التراث الثقافي غير المادي: الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلاً عن جيل، تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية. ولا يؤخذ في الحسبان لأغراض هذه الاتفاقية سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة)، التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة المنعقد في باريس من ٢٩ أيلول - ١٧ تشرين الأول عام ٢٠٠٣ في باريس بتاريخ، والمصادق عليها من جمهورية العراق بالقانون رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٩ منشور بالوقائع العراقية، العدد ٣١٣٤ بتاريخ ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٩.

اللغات والموسيقى والأدب الشفهي والفنون الشعبية والتعبيرية وحركات الرقص والأساطير والقصص والمهرجانات والمناسبات الاجتماعية والدينية^(١)، فضلاً عن الأمثال والأحاجي والنوادر والأناشيد والسير الشخصية والابتهالات والموشحات الدينية والمقامات، وهو ما تعتمد عليه تلك المجتمعات في التعبير عن ذاتها وتجذرها التاريخي وانتمائها الحضاري للهوية^(٢).

وهذا المعنى يجعل من التراث غير المادي ثروة من التقاليد الثقافية والاجتماعية والسلوك المجتمعي، وهو ما يجعل منه شاهداً أصيلاً على تفاعل الأفراد والمجتمعات مع معتقداتهم وقيمهم وتطلعاتهم وإنجازاتهم وخبراتهم، وهو بهذا الوصف يشكل لِكَمِّ هائلٍ من الناس أو المجتمعات وخصوصاً الأقليات والشعوب الأصلية المصدر الأصيل والرئيسي لهوية ترتبط جذورها في عمق التاريخ، فضلاً عن الفلسفة والقيم والأخلاق وطريقة التعبير المنقولة من خلال التقاليد الشفوية من جيل إلى آخر عبر اللغات والفعاليات الثقافية المختلفة التي تشكل أساس الحياة المجتمعية^(٣).

لم يحظ الموروث غير المادي بالبحث العميق من الناحية القانونية، إلا أننا وجدنا من الفقه القانوني من أدلى بدلوه لتوصيف الفولكلور من الناحية القانونية، فعرفه رأي في الفقه بأنه: «المصنفات التي تناقلها الأجيال المتعاقبة وتساهم في تشكيل

(١) ينظر ياسر هاشم عماد، دور المنضات الإقليمية في حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه، بحث منشور في مجلة ادوماتو، العدد ٣٤ يوليو ٢٠١٦، ص ٩٠.

(٢) د. أماني نور الدائم محمد، حماية الممتلكات الثقافية المادية في السودان، أطروحة دكتوراه، جامعة الخرطوم كلية الآداب، قسم الآثار، الخرطوم ٢٠٠٢، ص ٨.

(٣) د. حسام عبد الأمير خلف، المرجع السابق، ص ٣٢.

الذاتية الثقافية الوطنية بصورة جماعية ودون أن تكون أسماء مؤلفيها معروفة^(١)، وفي أبسط معانيه هو الموروث الذي يجمع مختلف أشكال الإبداع الفني والشعبي^(٢)، وعند الرجوع لنصوص التشريعات المقارنة في ميدان حماية الملكية الفكرية نجد أنها تجعل من الأعمال الفولكلورية مصنفات أدبية تعكس الهوية الثقافية والشعبية لفئات ومجتمعات معينة وتعد أحد العناصر الأساسية في تراثها^(٣).

Claude Colombet, grands principes du droit d'auteur et des droits voisins dans (١) le monde, unesco, 1992.p. no 30

(٢) E. P. Gavrilov, le droit d'auteur, Fev, 1984. P 76

(٣) ينظر المادة (١٠) والتي جاء نصها: «تعبير الفولكلور»: هي إنتاجات لعناصر مميزة من التراث الفني التقليدي تواتر تطويره والحفاظ عليه داخل تراب المملكة المغربية، من قبل مجموعة أو أفراد شهد لهم بأنهم يستجيبون للتطلعات الفنية التقليدية لهذه المجموعة. وتتضمن هذه الإنتاجات: أ- الحكايات الشعبية والشعر الشعبي والأغاز؛ ب- الأغاني والموسيقى الشعبية المصحوبة بآلات العزف؛ ج- الرقصات والعروض الشعبية؛ د- إنتاجات الفنون الشعبية مثل الرسوم والرسوم الزيتية والمنحوتات والفخار، والخزف، والزليج، والنقش على الخشب والأدوات المعدنية والحلي، والنسيج والأزياء. بينما جاءت المادة (١١) يراد بعبارة «المصنف المستمد من الفولكلور»، كل مصنف مؤلف من عناصر مقتبسة من التراث الثقافي التقليدي المغربي. ينظر القانون المغربي رقم (٢-٠٠) العام ٢٠٠٠ المعدل، منشور في الجريدة الرسمية عدد ٤٧٩٦ بتاريخ ١٤ صفر ١٤٢١ (١٨ ماي ٢٠٠٠)، ص ١١١٢. والمادة (١٣٨) من قانون حماية الملكية الفكرية المصري رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢ والتي نصت على أن: «الفلكلور الوطني: كل تعبير يتمثل في عناصر متميزة تعكس التراث الشعب التقليدي الذي نشأ أو استمر في جمهورية مصر العربية، وبوجه خاص التعبيرات الآتية: (أ) التعبيرات الشفوية: مثل الحكايات والأحاجي والأغاز والأشعار الشعبية وغيرها من المأثورات. (ب) التعبيرات الموسيقية: مثل الأغاني الشعبية المصحوبة بموسيقى. (ج) التعبيرات الحركية: مثل الرقصات الشعبية والمسرحيات والأشكال الفنية والطقوس. (د) التعبيرات الملموسة: مثل منتجات الفن الشعبي التشكيلي وبوجه خاص الرسومات بالخطوط والألوان، والحفر، والنحت، والخزف، والطين والمنتجات المصنوعة من الخشب أو ما يرد عليه من تطعيمات تشكيلية مختلفة أو الموزاييك أو المعدن أو الجواهر، والحقائب المنسوجة يدويا وأشغال الإبرة والمنسوجات والسجاد والملبوسات. الآلات الموسيقية. الأشكال المعمارية. منشور بالوقائع المصرية، العدد ٢٢ مكرر في ٢ يونية ٢٠٠٢. بينما لم يضع المشرع العراقي في قانون حماية المؤلف رقم (٣) لسنة ١٩٧١ المعدل بموجب أمر سلطة الائتلاف المرقم (٨٣) لسنة ٢٠٠٤، وينظر =

وقد عرفت منظمة اليونسكو الفولكلور بأنه: «إبداع نابع من مجتمع ثقافي قائم على التقاليد التي تعبر عنه جماعة أو أفراد معترف بأنهم يصورون تطلعات المجتمع وذلك بوصفه تعبيراً ملائماً عن الذاتية الثقافية والاجتماعية لذلك المجتمع، وتناقل معايير وقيمه شفهيّاً أو عن طريق المحاكاة أو بطرق أخرى»^(١).

وهناك من يستخدم في الوسط الدولي مصطلح المعارف التقليدية ليشير على وجه الاختصار إلى مجال المعارف التقليدية وأشكال التعبير الثقافي التقليدي، وهو ما يثير في بعض الأحيان خلطاً بين الفولكلور وبين المعارف التقليدية وأشكال التعبير، فالمعارف التقليدية^(٢) تشكل بمفهومها تكويناً حياً من المعارف التي تطورت ودامت وانتقلت من جيل إلى جيل ضمن جماعة ما، وتشكل في كثير من الأحيان جزءاً من هويتها الثقافية أو الروحية، ويمكن فهم المعارف التقليدية من خلال جملة من الممارسات، وتأتي في مقدمتها المهارات والابتكارات والممارسات العلمية، تنتقل في سياق تقليدي بين الأجيال، حيث تشكل بمضمونها نمط الحياة التقليدية لجماعات

= المادة (١) من قانون حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الإماراتي رقم (٧) لسنة ٢٠٠٢، والتي تنص بأن «الفولكلور الوطني: كل تعبير من المأثورات الشعبية الشفوية أو الموسيقية أو الحركية أو الملموسة في عناصر متميزة تعكس التراث التقليدي الفني الذي نشأ أو استمر في الدولة والذي لا يمكن نسبته إلى مؤلف معلوم». منشور بالجريدة الرسمية بالعدد (٣٨٣) بتاريخ ٢٠٠٢، ص ١١.

(١) ينظر توصية بشأن صون الفولكلور، اليونسكو الدورة الخامسة والعشرون، باريس ١٩٨٩.
(٢) فالمعارف التقليدية كما عرفتها منظمة الويبو هي «كل القواعد والأسس التقليدية في الآداب والأعمال الفنية والعلمية وأعمال فاني الأداء والاختراعات والاكتشافات العلمية والتصميمات والعلامات والأسماء والنماذج والمعلومات غير المفصح عنها وكل القواعد التقليدية التي تتصل بالاختراعات والإبداعات التي تنشأ من إبداع فكري سواء كان هذا الإبداع صناعياً أو علمياً أو أدبياً أو فنياً» ينظر اتفاقية برن لحماية المصنفات الأدبية والفنية لعام ١٨٨٦ المعدلة بوثيقة باريس لعام ١٩٧١، منشورات المنظمة العالمية للملكية الفكرية، نص رسمي باللغة العربية، جنيف ١٩٩٨.

أصلية ومحلية تؤدّي دور القيم عليها أو الراعي والحامي لها والملتزم بتطبيقها في مناسباته وتفصيل حياته اليومية^(١).

فالمعارف بمفهومها الواسع تنطوي على الفولكلور باعتباره جزءاً منها، فالعلاقة بينهما هي علاقة الكل بالجزء، فكل أشكال التعبير الفولكلوري تعد بذاتها معارف تقليدية.

وبالعودة إلى موروثنا الثقافي الإسلامي نجد أنه يزخر بهذا النوع من الموروث، فهناك العديد من التعبيرات والقصص والحكايات والعادات المتبعة في المناسبات الدينية والاجتماعية والممارسات والمعارف التقليدية والفولكلورية من طرق الزراعة والصناعة والفن والأناشيد والأهازيج التراثية، وطرق العلاج التقليدي والابتكارات والإبداعات التي ارتبطت بالحضارة الإسلامية وطقوسها الاجتماعية والدينية وشعائر العبادة في ديننا الحنيف ومجتمعاتنا الإسلامية^(٢).

وكان لظهور التقنيات الحديثة والدمج بين وسائل الاتصال وتكنولوجيا الحواسيب، الفضل في ظهور ما يعرف بالتراث الثقافي الرقمي أو رقمنة التراث

(١) ينظر الملكية الفكرية والموارد الوراثية والمعارف التقليدية وأشكال التعبير الثقافي التقليدي، منشورات المنظمة العالمية للملكية الفكرية، جنيف ٢٠١٥، ص ١٣.

(٢) من الأمثلة على هذا النمط من الموروث الثقافي هي العادات المستخدمة في استقبال المولد النبوي الشريف وشهر رمضان المبارك، وكذلك التهليل والموشحات المستخدمة في توديع الحجيج واستقبالهم في العديد من الدول الإسلامية، والعلاج التقليدي المتبع في الدول الإسلامية من خلال استعمال بعض الأعشاب والبذور كاستخدام الحبة السوداء العسل، فضلاً عن الابتكارات الإسلامية التي ساهمت في اختراع البوصلة والرياضيات والطب الحديث، على يد العلماء المسلمين، وما تناقلته الأجيال من تراجم لأهم الكتب الأجنبية في عصر الرشيد والمأمون، فضلاً عن القصص والحكايات الإسلامية المرتبطة بالأسفار والحروب والتي لا تزال الأجيال الإسلامية تتناقلها وترويها جيلاً بعد جيل.

الثقافي، ومفهوم الرقمنة أو الترميز الإلكتروني، والذي يعد صورة من صور عمليات تحويل مصادر المعلومات على اختلاف أشكالها المكتوبة والمقروءة والمسموعة إلى شكل تناظري ثنائي يمكن التواصل معه عبر وسائط المعلومات والاتصالات، وهذه الوسيلة لم تعد قاصرة على مصادر المعلومات وتطويرها ومشاركتها أو إنتاج الوثائق الرقمية التي تعد ميراثاً للأجيال القادمة يستوجب حمايته وحفظه ليصل إليها، ومثل هذا الأمر لم يعد قاصراً على كل ما هو نتاج جديد أو معبر عنه في زمنه، بل أخذت الرقمنة تمتد إلى إعادة إنتاج وتحويل الوثائق والمخطوطات والتراث القديم إلى نظام ثنائي باستخدام تقنيات الحواسيب^(١).

لذا فإن عملية التقييم ما هي إلا تكنولوجيا، تسمح بإعادة توطين التراث الثقافي للمجتمعات المحلية والدولية بشكل افتراضي دون الاستغناء عن الموارد الأصلية والثابتة للتراث، وتشكل عملية تقييم التراث الثقافي والحضاري قضية معقدة للمنظمات التي تسعى لحماية التراث والموروث الثقافي، وترتكز أهم التحديات على حاجة المؤسسات لتكييف شروط الحصول على المواد التراثية والمعلومات الحساسة بشأن المعارف التراثية، فضلاً عن الحاجة إلى تأطير وسائل التعامل مع النزاعات حول المفاهيم المختلفة للملكية الفكرية المرتبطة بالتراث الثقافي عموماً، ونتيجة لهذه المعوقات أخذت المؤسسات المهتمة بعملية تقييم التراث، بنظر الاعتبار جملة من الإجراءات منها:

(١) ينظر تقرير الرقمنة وحماية التراث الرقمي، منشورات مركز هرودو لدعم التعبير الرقمي، القاهرة ٢٠١٦، ص ٦.

١ - ضمان الاختيار المستمر للنماذج، والطرق الوصفية واستراتيجيات الحصول على المعارف التقليدية وحفظها وابتكارها، من خلال المضي في عملية التقييم والحصول الرقمي وسيلة؛ لتسهيل إعادة التوطين للمجتمعات الأصلية والمحلية، وحفظ المواد للأجيال القادمة.

٢ - فتح باب الحوار والتبادل المعرفي مع المجتمعات الأصلية والمحلية حول المحتوى التراثي الرقمي المتاح من خلال مواقعها الشبكية، وتجنب ترقيم المواد التي تعتبر سرية أو مقدسة أو حساسة، والابتعاد عن إتاحتها عبر مواقعها الشبكية والكتالوجات الإلكترونية.

٣ - ضمان التقييم للمواد وخزنها إلكترونياً، بطريقة تتفق مع واقع المواد التراثية وتحترم البروتوكولات الثقافية للمجتمعات الأصلية والمحلية، والعمل بصورة تعاونية للنهوض بإنشاء المواد الرقمية وتجميعها وإدارتها.

٤ - تعليم المستخدمين لمجموعاتها عن المنافع والمخاطر المحتملة لتقاسم المحتوى الرقمي في بيئة إلكترونية^(١).

وعلى الرغم من التحديات التي تواجه التقييم، فإن لهذه المهام أهدافاً سامية ينشدها القائمون على تحويل التراث من واقع مادي ومعنوي تقليدي إلى واقع افتراضي إلكتروني تتجسد بالآتي:

(١) المبادئ التوجيهية لأفضل الممارسات لإعادة توطين المعارف التقليدية ذات الصلة بحفظ التنوع البيولوجي واستخدامه المستدام، منظمة الأمم المتحدة، الاجتماع الثامن، بخصوص اتفاقية التنوع البيولوجي، رقم الوثيقة (5/UNEP/CBD/WG8J/8)، مونتريال ٧-١١ / تشرين الأول / ٢٠١٣، ص ٢٨.

أ- يعمل التقييم على حماية المصادر الأصلية والنادرة للمجموعات التراثية القيمة، وذلك من خلال إتاحة نسخ إلكترونية مدمجة بديلة عن النماذج الأصلية تكون في متناول المستفيدين.

ب- المساهمة في مشاركة المعارف التراثية والتقليدية والثقافية للمجتمعات الأصلية والمحلية، وإتاحتها بشكل يسمح للمستفيد من استخدام تقنيات النسخ عالي الوضوح، أو تقريب النصوص وتكبيرها، والانتقال السريع بين محتويات الأعمال الرقمية، عبر منظومة من الروابط التفاعلية عالية الدقة وفائقة السرعة تسمح له بالقراءة الدقيقة والواضحة.

ت- زيادة قيمة النصوص التراثية والثقافية وذلك من خلال الاستفادة القصوى من المجموعات النادرة والقيمة التي قد تكون غير منشورة على نطاق واسع في أحيان كثيرة، ويتحقق ذلك من خلال التفاعل الحر والمباشر، بين وسائط شبكة المعلومات من روابط تفاعلية وأقراص مدمجة، فيساعد بذلك المستفيد من الاطلاع والمقاربة في وقت واحد على كم من المعلومات حول موضوع معين في مجتمعات وثقافات مختلفة^(١).

إن مجرد تحويل المواد التراثية من مخطوطات وصور وأناشيد وحكايات وقصص وأمثال، بل حتى العادات والتقاليد المتعارف عليها والتي توارثها الأبناء عن الأجداد جيلاً بعد جيل، إلى أعمال رقمية يتم محاكاتها افتراضياً عبر تمثيلها ثنائياً

(١) ينظر تقرير الرقمنة وحماية التراث الرقمي، المرجع السابق، ص ٧-٨.

بلغت الأرقام والبرمجيات والوسائط الفائقة السرعة والدقة، قد يسبب انتهاكاً لتلك العادات وخرقاً لنظام المجتمع التي تطبق فيه تلك القيم والعادات، وهنا لا بد من تدخل النصوص التشريعية لحماية هذه المواد من أي خرق أو انتهاك قد يمس بها أو بمضمونها.



المطلب الثاني

فاعلية قواعد الملكية الفكرية في حماية الموروث الثقافي الإسلامي

ترتبط قواعد الملكية الفكرية بشقيها الملكية الأدبية والفنية والملكية التجارية والصناعية، بحماية الإبداع والابتكارات الناتجة عن مجهود شخصي في طرح مضمون الفكرة وأسلوب معالجتها وتنظيمها بشكل لم يسبق إليه أحد، بحيث يتميز فيه الإبداع من جهد لآخر في الطرح والمعالجة والمضمون، وهنا يمكن التصريح بأن قواعد الملكية الفكرية تحمي الإبداع الشخصي متى اتسم بطابع الأصالة^(١).

إن القول بحماية الموروث الثقافي الإسلامي بموجب قواعد الملكية الفكرية قد لا ينسجم مع مضمون الموروث تارة، ومع الوسائل المتبعة في إنتاج وتحويل هذا الموروث لنوع جيد من أنواع الابتكار الفكري بالدمج أو بالتعديل أو نسخ وإعادة العرض تارة أخرى، فهل يمكن حماية هذا الموروث بموجب نظام الملكية الأدبية والفنية أو بموجب نظام الملكية التجارية والصناعية، هذا ما سنبينه على النحو الآتي:

الفرع الأول: حماية الموروث الثقافي بموجب قواعد الملكية الأدبية والفنية:

تندرج حماية الموروث الثقافي في هذه الحالة على التتجات والإبداعات الشفوية والتعبيرية والعادات والتقاليد والأناشيد وغيرها من النشاطات الإنسانية اليومية التي تنم عن جهد شخصي، إذ نجد أن رغبة المؤيدين لهذا النمط من الحماية ينطلق

(١) إذ تتجسد الأصالة بأبسط معانيها بالطابع الشخصي أو البصمة الشخصية التي يضيفها المؤلف على نتاجه الفكري، ينظر نص المادة (٧/١٣٨) من قانون حماية الملكية الفكرية المصري رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢.

من اعتبار النتاج التراثي نتاجاً شخصياً يتمحور حول وجود نوع من الأصالة والإبداع في إنتاج هذه الأعمال، لذا فهي مصنفات تخضع لحقوق المؤلف ابتداءً، إذ إن حماية حقوق المؤلف تنطلق من تطبيق هذه القواعد على المصنفات الأصلية متى ما توافر فيها عنصر الأصالة، كما تمتد الحماية لتشمل كل نتاج فكري يستمد في مضمونه ومحتواه من مصنفات سابقة الوجود، ومن هنا فإن تجسيد الحماية لا يشمل المصنف الثقافي المرتكز على شكل من أشكال المعارف التراثية لمجتمع معين بل يمتد ليشمل كل مصنف تم إنتاجه باللجوء إلى جزء أو كل من مضامين وأعمال ثقافية تراثية^(١).

وإذا تأملنا النتاج الفكري نجد أن صفة المصنف الفكري تلازم كل نتاج فكري تجسد في شكل فني تبعاً لشخصية مؤلفه، وهذا ما يدل على أن المؤلف في المصنف الفكري يبادر شخصياً للعمل بمجهوده الشخصي لإنتاج المصنف^(٢)، فالممثل والمؤدي على سبيل المثال يعبر عن إحساسه الشخصي عند تجسيده لمصنف أنتجه من مجهوده الشخصي الحر، بينما يلتزم المؤدي أو الممثل في المصنف التراثي أو الموروث الثقافي أن يؤدي العمل بإحساس الجماعة التي درجت على التعايش والتطبيق اليومي لهذا الموروث، من ثم ينتشر في أوساط اجتماعية متكاملة ومنسجمة فيما بينها إلى حد كبير، تناقلته الأجيال عبر الزمن حتى أصبح جزءاً من كيانه ومعبراً عن حقيقتها الاجتماعية في أحيان كثيرة، فمن يتولى إنتاج الموروث الثقافي أو تحويله لنوع آخر

(١) طواح وهيبية، حماية الفولكلور - دراسة مقارنة - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران، الجزائر ٢٠١٣، ص ٤٥.

(٢) عبد الفتاح أحمد حسان، مدى الحماية القانونية لحق المؤلف - دراسة مقارنة -، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر ٢٠٠٨، ص ١٤٥.

من المصنفات الفكرية ينبغي عليه أن يضع في الحسبان سلوكيات الجماعة وانعكاس هذا السلوك على مضمون المصنف وإخراجه للوجود^(١)، فمن غير المتصور في مثل هذه الأعمال الفصل بين الفكرة وبين مضمون التعبير عنها، لذا نجد أن الفنانين الأصليين الذين ينتمون للمجتمعات الأصلية التي تملك الموروث المنتج أو المعبر عنه فكرياً يسعون لحماية العناصر الثقافية التي يتم التعبير عنها ضمن مصنفاتهم الفكرية بالقدر الذي لا يخل بمضمونها الاجتماعي أو الثقافي الدراج في المجتمع^(٢).

ومن متطلبات الحماية بموجب حقوق المؤلف لابد من توافر عنصر الابتكار أو على أقل تقدير الأصالة في الإنتاج الفكري، ليتسم بكونه من الحقوق الفكرية، وعلى الرغم من الاختلاف بين الموقف اللاتيني والموقف الأنكلوسكسوني من معيار الابتكار فإن الأرضية المشتركة بخصوص الأصالة هي تلك الجهود الشخصية التي يبذلها المؤلف في سبيل إنتاج المصنف، وهو ما يعني البصمة الشخصية التي يحملها المصنف وتدل على شخصية من أنتجه دون أدنى شك^(٣).

ومما لا شك فيه أن الموروثات الثقافية والتراثية تنتقل عبر الأجيال المتتابعة، ومع مرور الزمن وتطور الحياة يمكن لتلك العادات بفعل المجموع أو الفرد أن تتطور أو تعاد صياغة جزء أو كل عناصرها المادية أو المعنوية لتلامس واقع الحياة

(١) طواح وهيبة، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) M. Tossen et J. Anderson. Propriete intellectuelle et preservation des cultures (٢) traditionnelles, OMPI. Pub. 1023. 2010 revise 2012, p. 32

(٣) د. أسامة أحمد بدر، الوسائط المتعددة بين الواقع والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٧١ و٢٣١.

الاجتماعية والثقافية والسياسية المتطور، ويمكن أن تشكل إبداعاً فكرياً وعملاً مشتقاً^(١) يمتزج فيه عنصر تراثي مع المجهود الشخصي والبصمة المميزة التي تميزه من غيره من الأعمال الأخرى، فمجرد إعادة إنتاج وتحويل هذه الموروثات لا يعني بالضرورة انقطاعها عن امتدادها التاريخي والاجتماعي، بل تظل مرتبطة بهذا التجذر التاريخي والحضاري ومعبرة عن الهوية والثقافة الوطنية لتلك المجتمعات، فأبي ابتكار أو إبداع لا يأخذ بنظر الاعتبار مشاعر وسلوكيات المجتمع تجاه نشاط من الأنشطة الاجتماعية التقليدية والموروثية عبر الأجيال، قد لا يلقي قبولاً شعبياً أو تفاعلاً إنسانياً.

الفرع الثاني: حماية الموروث الثقافي بموجب قواعد الملكية التجارية والصناعية:

تندرج الحماية في هذه الحالة على الموروثات الثقافية ذات الطابع التقني تُتجلى في براءات الاختراع والصناعات الحرفية والمعارف التقليدية، إذ يمكن أن يعاد اختراعها

(١) أوردت تعريفاً للمصنف المشتق، فجاءت المادة (L-١١٣-٢) من تقنين الملكية الفرنسي بأن المصنف المشتق هو: « ذلك المصنف الجديد الذي أدمج فيه مصنف سابق دون مشاركة من جانب مؤلف المصنف الأخير»، ويضيف هذا التقنين في المادة ذاتها بفقرتها (٤) بأن: « المصنف المشتق هو ملك المؤلف الذي أعده، دون إخلال بحقوق مؤلف المصنف السابق » ينظر قانون الملكية الفكرية الفرنسي وتعديلاته: 92-Loi 597-07-01-Code de la propriété intellectuelle - Dernière modification le 17 mars 2017 منشور على الرابط الإلكتروني: http://www.wipo.int/wipolex/ar/text.jsp?file_id=435178 سحب بتاريخ ١٥ / ٤ / ٢٠١٧ الساعة ١٨:٢٥ م بتوقيت مكة المكرمة، وعرفت المادة (١٣٨/٦) من قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢، بأن المصنف المشتق هو: « المصنف الذي يستمد أصله من مصنف سابق الوجود كالترجمات والتوزيعات الموسيقية وتجميعات المصنفات بما في ذلك قواعد البيانات المقروءة من الحاسب أو من غيره ومجموعات التعبير الفلكلوري ما دامت مبتكرة من حيث ترتيب اختيار محتواها».

أو تصنيع ما هو موجود منها بشكل يجعل منها اختراعاً أو نموذجاً صناعياً أو حتى علامة تجارية مميزة، وفي هذه الحالة لا بد من البحث عن حمايتها باعتبارها عملاً فكرياً ينطوي على إبداع وابتكار يتسم بالحدثة والجددة التي توجب تطبيق قواعد الملكية التجارية والصناعية بشأنها، فإن حماية براءة الاختراع تنهض في الأصل على وجود عنصر الحدثة والجددة فضلاً عن التطبيق العملي أو الصناعي بمفهوم قواعد الحماية الواجبة لهذا النمط من التناجات الفكرية^(١)، ولأجل اعتبار الموروث الثقافي عنصراً من عناصر الملكية التجارية والصناعية لا بد من توافر عنصرين يتجسد الأول منهما في التقنيات التقليدية المستعملة في الابتكار التقني أو براءة الاختراع، ويتجسد الآخر في تلك الرسوم والنماذج الصناعية التي يمكن الحصول عليها من المعارف التراثية^(٢)، ولحصول الفرد في مجال براءة الاختراع أو النماذج والرسوم الصناعية على حقوق الملكية الفكرية لا بد أن ينفذ وبجدارة وصباً علمياً ودقيقاً لتقنية تقليدية، وتنطوي على حداثة وجددية في التصميم والإنتاج والأداء التقني، فضلاً عن التطبيق الصناعي، مع بيان أن هناك العديد من المعارف التراثية تعد بحد ذاتها رموزاً وأشكالاً ذات طابع تزييني مما يجعلها تقترب من النماذج والرسوم الصناعية، وهو ما قد يحدث تداخلاً بين الطابع الغالب عليها وبين طبيعة التقنيات الحديثة المعتمدة عليها، لذا يمكن القول أن بعض التعبيرات والموروثات الثقافية تشكل بحد ذاتها طابعاً إبداعياً فكرياً يتجسد في شكل أو رسم أو نموذج صناعي، إذ إن مثل هذه

(١) Lucas Schloetter (A), protection juridique du folklore, juriscal, propr. Litt. (١)

.Artis, 2009. No. 52. P. 25

(٢) طواح وهيبة، المرجع السابق، ص ٤٧.

التعابير تمثل مظاهر ملموسة للتقاليد المتعارف عليها في مجتمع معين مثل المنسوجات من أعمال السجاد والنسيج والأزياء وكذلك النقوش والفخار والحلي^(١).

وعلى الرغم من الصعوبات عند تطبيق نظام الحماية بخصوص براءة الاختراع والنماذج والرسوم الصناعية على المعارف التراثية، إلا أن هذا لا يمنع إطلاقاً من وجود شكل أو تصميم أو تعبير تراثي أو معرفة تقليدية يعتد به كرسماً أو نموذجاً أو تطبيقاً تقني يحد له مكانة في مجال الصناعات الحرفية يتم تطويره ليأخذ دوره في مجال الإبداع والابتكار التقني المتداول في هذه الأيام، وعندئذ يمكن أن يعتد به كنموذج أو رسم صناعي، قابل للحماية بموجب قواعد الملكية الفكرية.

وإلى جانب ذلك هناك رأي في الفقه يرى إمكانية حماية الموروث الثقافي ليس باعتباره ملكية صناعية أو رسوماً ورموزاً صناعية، وإنما من قبيل العلامات المميزة والمؤشرات أو البيانات الجغرافية، فمن المعروف أن التجار عموماً عند تسويق منتجاتهم التجارية يعملون على تمييزها عن غيرها من المنتجات المنشرة في الأسواق، ومثل هذه العلامة قد تأخذ شكل رسم أو كلمة أو رمز أو أي تعبير آخر، إذ إن شروط الحماية هنا لا تقتضي الابتكار أو الحداثة والجددة إنما يكفي أن تكون العلامة ذات طابع مميز، وبعيداً عن الأصالة والإبداع فإن المجتمعات يمكن أن تعول على هذه العلامات كتعبير عن انتماء تلك الشعوب لثقافة وتراثٍ وماضٍ حضاري يمتد عبر العصور، وما يدل على ذلك العلامات المميزة التي توضع على منتجاتها الصناعية، فتعد تبعاً لذلك خير وسيلة للترويج عن تلك العادات والتقاليد. فضلاً عن ذلك يمكن استعمال الأشكال والتعابير الثقافية التقليدية في مجتمع معين كعلامات مطابقة

(١) A. Lucas Schloetter, op, cit. no 53. P. 26

بشأن منتج معين للدلالة على مطابقة المنتج لمعايير صناعية أو تجارية معينة، وهذا ما يسمح باستخدام هذه العلامات على المنتجات ذات الطابع التراثي من قبل الشعوب الأصلية، للدلالة على أن هذه المنتجات، مصنعة وفقاً للممارسات والمعتقدات التقليدية المتداولة في هذه المجتمعات، وقد تستخدم هذه العلامة للفت الانتباه إلى كم من المنتجات التراثية المتداولة في الأسواق، مثل الملابس التقليدية والمنتجات الحرفية والزخارف وبعض الأشكال المتعلقة بالصناعات التقليدية^(١).

من هذا المنطلق يمكن للمعارف التراثية أن تكون جزءاً من الملكية الفكرية بشقيها الأدبي والفني أو التجاري والصناعي، وهنا يتطلب الأمر توافر شرط الأصالة في النوع الأول، وشرط الجودة والتطبيق الصناعي في النوع الثاني، على الرغم من أن العلامة المميزة والمؤشر الجغرافي لا يتطلب مثل هذه الشروط ويكتفي بضرورة أن تكون العلامة أو البيان التجاري مميزاً بطابع يختلف عن غيره، إلا أن هذا التحديد على إطلاقه يصطدم بأن التراث أو الموروثات الثقافية والتعبير والحرف التقليدية تأبى طبيعتها أن تكون محلاً لمثل هذه الحماية لارتباطها بكيان المجتمع وهويته فهي تعكس ماضيه وترتبط بحضارته وحاضره وتعبر عن مشاعر مجتمع متكامل بأطيافه وعاداته وتقاليده، فمن غير المتصور أن تتسم نتيجة لذلك بسمة الابتكار والأصالة، وإذا كان لازماً حماية تلك الموروثات، فأول ما يقال بهذا الشأن: حمايتها بعدّها منتجات لأفراد في مجتمع معين بعد إعادة إنتاجها وصياغتها بشكل يطبعها بطابع الأصالة والابتكار والحداثة، وعندئذ تعد من قبيل الموروثات المشتقة من الأصل - إن صح منا هذا الوصف - تماشياً مع المصنفات المشتقة، وعندئذ لا خلاف على حمايتها فكرياً.

(١) طواح وهيبة، المرجع السابق، ص ٤٨-٥٤.

الفرع الثالث: تطبيق قواعد الملكية الفكرية على عمليات ترقيم الموروث الثقافي:

مما لا شك فيه أن صناعة الترقيم أو تقنيات الترقيم التكنولوجي لم تقف عند ترقيم للأعمال الفكرية بل تجاوزت ذلك إلى إعادة إنتاج وترقيم الأعمال والمعارف والأنشطة والفعاليات التراثية التقليدية، وللترقيم نمطين أحدهما بسيط والآخر متفاعل.

يعني الترقيم أو الدمج البسيط، تحويل التسجيل أو التثبيت التقليدي للمصنف إلى التسجيل أو التثبيت الإلكتروني، فبعد أن كان العمل الفكري مثبتاً على دعامة مادية تقليدية هي شريط أو كتاب أو لوحة، تحول تثبيته على دعامة رقمية هي سيدي روم أو فلاش رام أو رابط إلكتروني^(١).

فالترقيم بهذا الفرض مجرد نقل الأعمال والمعارف من محيط تقليدي إلى دعامة إلكترونية باستخدام التقنيات الحديثة، دون أن يكون هناك تغيير أو تعديل في مضمون المادة التراثية، بل ينحصر الأمر في الوسط الذي يثبت عليه النشاط، فيتحول استغلال المصنف والتفاعل معه من وسط تقليدي إلى وسط افتراضي، فتثبيت المخطوط القديم على دعامة إلكترونية بشكل كتاب إلكتروني يساعد في عملية تداول هذا المخطوط على مجال واسع يتسع بسعة الشبكة وانفتاحها، كما يساعد في الحفاظ على النسخة الأصلية من العبث والتلف والفقدان، والفعاليات والأهازيج والأناشيد التي كانت تلقى شفهاً ويتم التعبير عنها بالحركات والتعبير عبر مر العصور والأجيال أصبحت اليوم عبارة عن مضامين تقنية يمكن إدراكها والتفاعل معها تقنياً.

(١) د. أسامة أحمد بدر، تداول المصنفات عبر الأنترنت، دار الكتب القانونية، القاهرة ٢٠٠٦، ص

والترقيم البسيط للموروث الثقافي والمعارف التقليدية ما هو إلا تعبير جديد باستخدام الأصفار والآحاد، وهذا لا يعد تعديلاً أو تحويراً للمصنف فثمة تثبيت على دعامة مادية جديدة لا أكثر^(١)، وليس ثمة تمييز إلا نسبة إلى الآلة أو الوسيط الإلكتروني، الذي سيتعامل معه مستخدم الموروث الثقافي، أما في ما يخص أثر هذا الترقيم كمنتج أو خدمة فهو في حكم القانون يعد مصنفاً في شكل رقمي بالنسبة للمشاهد أو المستمع أو القارئ، وهو ما يعني تطبيق القواعد الخاصة بالملكية الفكرية في حالة الاستغلال أو الاستخدام أو إعادة الإنتاج^(٢).

وعلى الرغم من أن المحتوى التقني لعمليات الترقيم سيؤدي إلى صورة أوضح وصوت أنقى، ومن الثابت قانوناً أن فعل الترقيم لا يعد ابتكاراً بحد ذاته، ما دام أنه اقتصر على مجرد إظهار لمصنف سابق الوجود في شكل رقمي يؤلف من (٠-١)، يساهم وبشكل فاعل في تداوله واستقباله وبنه والتفاعل معه بيسر وسهولة^(٣).

فالثابت من خلال هذا العرض هو أن ترقيم الموروث الثقافي وأشكال التعبير أو المعارف التقليدية يعد مجرد نسخ لها وبالنتيجة لا بد من وجود ترخيص صريح ممن يملك الحق عليها كشرط للقيام بترقيم العمل من دعامة التقليدية إلى دعامة الرقمية، إذ إن مجرد ترقيم الموروث الثقافي باستخدام تقنيات الدمج الإلكتروني للمعلومات مع وسائل الاتصال يضع المصنف المنتج مباشرة بين يدي ملايين

(١) A. LUCAS. Mélanges Andre Francon, 1995, p. 329.

(٢) د. أسامة أحمد بدر، تداول المصنفات، المرجع السابق، ص ٨٢.

(٣) وهذه الرموز تعرف بالكتابة الإلكترونية والتي يعرف كل صفر وواحد منها بالبت (BIT) د. زياد طارق جاسم، البث عبر شبكة الاتصال الدولي، دار الكتب القانونية، القاهرة ٢٠١٥، ص

المستخدمين عبر الكون، وهو ما يفتح أمامهم إمكانية نسخ وتخزين وإعادة إنتاج هذه المصنفات، ومن ثم إعادة إرسالها وتداولها دون أدنى اكتراث لما قد يصيب صاحب الحق الأصلي من جراء ذلك النسخ أو إعادة الإنتاج.

أما التقييم التفاعلي لا يقتصر على التعبير عن الموروث محل المعالجة فحسب، بل يتجلى في إظهار تعبير أو معرفة تقليدية سابقة الوجود في شكل رقمي مكتوب إلكترونياً^(١) وفق صورة معدلة، بحيث لم يعد كما كان، ويتم من خلال مصاحبة التقييم بالأصفار والآحاد تعديلات وإضافات للمصنف من شأنها أن تخفي حقيقة المصنف السابق، كما لو تدخلت التقنيات الرقمية بالمؤثرات الصوتية والصورية،

(١) عرف قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية العراقي رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢ الكتابة الإلكترونية في المادة (٥ خامساً) بأنها: (كل حرف أو رقم أو رمز أو أية علامة أخرى تثبت على وسيلة إلكترونية أو رقمية أو ضوئية أو أية وسيلة أخرى مشابهة وتعطي دلالة قابلة للإدراك والفهم)، وبذات السياق عرفها المشرع المصري بالقانون الخاص بتنظيم التوقيع الإلكتروني رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٤ في المادة (١ / ١) إذ عرفها بأنها: (كل حروف أو أرقام أو رموز أو أي علامات أخرى تثبت على دعامة إلكترونية أو رقمية أو ضوئية أو أية وسيلة أخرى مشابهة وتعطي دلالة قابلة للإدراك)، أما فيما يخص التشريعات الغربية فنجد أن القانون الأمريكي الخاص بتنظيم التوقيع الإلكتروني رقم (٣٠) لسنة يوليو ٢٠٠٠ فقد عرفها من خلال بيان معنى المحرر الإلكتروني بالقول بأنه: (كل أصوات أو إشارات أو إجراءات تدون وترسل أو تستقبل أو تحفظ على وسائط إلكترونية مع شرط التعبير الدقيق وإمكانية الوصول إليها واستعادتها والنسخ منها)، وهنا جاء القانون الأمريكي بالتوسيع من مفهوم الكتابة المتضمنة بالسند ولم يقتصر على ما هو في خطوط وحروف وأرقام وهو ما يتلاءم مع واقع النظام الأمريكي الذي يقوم على نظام الإثبات الحر كأصل لتلك الإمكانيات التكنولوجية الهائلة التي يملكها هذا البلد. أما المشرع الفرنسي فقد عدل القانون المدني بموجب التعديل رقم (٢٣٠) لسنة ٢٠٠٠ حيث أصبحت المادة ١٣١٦ بالشكل الآتي: (الإثبات بالكتابة كل تدوين للحروف أو العلاقات أو الأرقام أو أي رمز أو إشارة أخرى ذات دلالة تعبيرية واضحة ومفهومة أي كانت الدعامة التي تستخدم في إنشائها أو الوسيط الذي تنقل إليه)، وقد ساوت المادة ذاتها في الفقرة الأولى بين الكتابة الإلكترونية والكتابة التقليدية، مع مراعاة قدرتها على تعريف الشخص الذي أصدرها أولاً، وأن يكون تدوينها وحفظها قد تم في شروط تدعو إلى الثقة ثانياً.

عبر تعديل أبعاد وعمق الصور وإضافة صور ومقاطع جديدة تجعل من العمل الجديد أكثر تألفاً وانسجاماً مع الواقع التقني، ويختلف جذرياً في محتواه ومضمونه عن العناصر والتعبير والمعارف التقليدية السابقة التي تدخل في إنتاجه^(١).

فالترقيم التفاعلي ليس مجرد نصوص يتم ضغطها وشفها جنباً إلى جنب بشكل رقمي، بل يتجاوز الأمر هذا الوصف من خلال إضافة مواد وصور وأصوات وفنون تخطيطية ومؤثرات تقنية، تدمج فيما بينها وتتفاعل بشكل تسلسلي ومنطقي يعبر عن وحدة المصنف المرقم ودعامته التفاعلية، مما يعني إيجاد نوع جديد من الابتكار^(٢)، يختلف عن الابتكار الموجود في الموروث الأصلي الذي أخذ عنه كلاً أو جزءاً، ومن الأمثلة البارزة: تحويل المعارف التقليدية والقصص والحكايات المشهورة إلى أعمال كارتون رقمية أو ألعاب فيديو تفاعلية يتم التواصل معها عبر الأنترنت أو الأقراص المدججة^(٣).

ولإتمام عملية التقييم التفاعلي لا بد من وحدة الدعامات المادية التي يصب فيها الابتكار، وتتيح التفاعلية الرقمية للمستخدم الولوج إلى محتوى المصنف والاتصال مع محتواه الرقمي المشتق بشكله الجديد، فالدمج الإلكتروني على دعامات مادية -قرص CD-ROM أو ألياف ضوئية CD-PHOTO أو رابط إلكتروني، وهو ما يمنح

(١) A. LUCAS, Droit d'auteur et numérique , LITEC, 1998, P. 6. n. 10

(٢) د. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال-المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية-، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٢١٥.

(٣) من الأمثلة البارزة على تحويل القصص التاريخية الإسلامية قصة بئر زمزم والتي تم تحويلها إلى قصة كارتون نشرت على الأنترنت على الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=P00UiXB_baM تم زيارة الموقع بتاريخ ٤/٨/٢٠١٥ س ١٧:٢٨ م مكة المكرمة.

الترقيم التفاعلي خاصية هامة تحدد ذاتية هذا النمط من المصنفات، بحيث لا يختلط
بغيره من المصنفات الأخرى»^(١).

فالدمج بهذا الوصف بين وسائط وصور وأصوات متعددة يتيح استخدام
الموروث الثقافي الذي تم ترقيمه تفاعلياً وفق نظام واحد للاتصال يسمح للمستخدم
التعرف على مضمون المصنف ككل من دون تجزئة مضمون المصنف من صور
وأصوات ورسوم.

فلا يتصور في ظل التطورات التقنية الحديثة قيام هذا النوع من الترقيم التفاعلي،
من دون مراعاة للحوار التفاعلي الشيق الذي يتم في نطاق المعرفة المعلوماتية بين تلك
العادات والتقاليد والمعارف التقنية وبين وسائط الدمج والتفاعل التكنولوجي^(٢)،
إذ تعد التفاعلية بهذا الوصف منفذ الدخول إلى مضمون الموروث الثقافي الفكري
والتغلب على المحتوى غير المرن وغير المحدد بوصفه منتجاً يقدم خدمة تفاعلية
لا حدود لها للمهتمين بدراسة التراث وحمايته^(٣)، ويسمح لهم بالإبحار والتفاعل
الحر مع كم هائل من المعلومات التراثية المختلفة (كالحكايات والقصص والأشعار
والمعارف والحرف التقليدية فضلاً عن الصور والرسوم والأشكال التعبيرية
المختلفة) المدججة والمضغوطة في وسط واحد فقط^(٤).

(١) بيل جيتس، المعلوماتية بعد الأنترنت (طريق المستقبل)، سلسلة عالم المعرفة (٢٣١)، ترجمة عبد
السلام رضوان، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٨، ص ١٩٤.

(٢) نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة (١٨٤)، الكويت ١٩٩٤، ص ٢٨٩.

(٣) د. أسامة أحمد بدر، الوسائط المتعددة، المرجع السابق، ص ٩٥.

(٤) وعلى سبيل المثال ومن باب المقارنة، ترقيم موسوعة (إنكارتا) «ENCARTA» وهي مصنف مرقم
من إنتاج مايكروسوفت مدمج على قرص CD-ROM بذاكرة قراءة تحتوي على ٢٦ ألف مادة،
يبلغ مجموع كلمات نصوصها ٩ ملايين كلمة، وبها ٨ ساعات من المواد الصوتية، و٩ آلاف =

نخلص مما سبق بأن التقييم التفاعلي هو عبارة عن بناء إلكتروني متكامل من حيث وحدة الدعامة المادية وقابلية التفاعل الحر مع مضمونه الثقافي المتنوع، بالشكل الذي يتيح للمستخدم العديد من الخيارات عند استخدامه وله التفاعل مع أي جزء من أجزائه دون غيرها، ويعمل على تغيير وتحويل النشاط الثقافي بشكل يختلف عما هو موجود في المجتمع سابقاً من حيث الشكل والمضمون، فتجعل منه ابتكاراً فيه الشيء الكثير من الأصالة والجهد الشخصي الفذ لمن قام في تربيته، ف يتميز بهذا المفهوم عما موجود في الأصل قبل التقييم.

ومما تقدم يمكن أن نوضح جانباً من خصوصية الموروث أو التراث الثقافي بالمقارنة بينه وبين الابتكار الفكري، في قواعد الملكية الفكرية، وأول ما يقال: إن التراث لا يرتبط بشخص معين بمضمونه وسماته، إنما يرتبط بالمجتمع بكامله، ولا يرتبط كما في حق المؤلف وحقوق الملكية الفكرية بشخص معين، إذ إن الملكية الفكرية تتطلب قدراً من الابتكار حيناً والحداثة حيناً آخر، وهذا الأمر ينافي فكرة

= صورة فوتوغرافية توضيحية، ٨٠٠ خريطة، و ٢٥٠ من الرسوم التوضيحية والجداول التفاعلية، و ١٠٠ من أفلام الرسوم المتحركة والفيديو كليب. ينظر بيل جيتس، المعلوماتية بعد الأنترنت، المرجع السابق، ص ١٩٢، وكذلك ترقيم العديد من الموسوعات الإسلامية والكتب الفقهية والمخطوطات والأمثال والحكم، ومنها على سبيل المثال موسوعة التراث العربي الإسلامي وكتب الفقه الإسلامي ومعاجم اللغة العربية التي يتم تداولها عبر صفحات الأنترنت وبمجرد إدراج اسم المعجم أو الموسوعة الفقهية على مواقع البحث الإلكتروني يتم عرض موسوعات المعاجم والكتب الفقهية والمخطوطات الإسلامية القديمة بشكل روابط إلكترونية أو صفحات رقمية يتولى الباحث الإبحار فيها والتنقل بين صفحاتها ومعلوماتها بحرية ويسر، وينظر على سبيل المثال موقع موسوعة التراث العربي الإسلامي منشور على الرابط الإلكتروني: https://archive.org/details/khatabaya2007_yahoo_1_201712، تاريخ زيارة الموقع في ١٣/٢/٢٠١٨ الساعة ٣٠:٣٠م بتوقيت مكة المكرمة.

حيوية الموروث الثقافي، إذ إنه يتسم بطابع حي يتنقل ويتعاقب على نقله الأجيال جيلاً بعد جيل، فالتراث بطبيعته هو عملية إبداعية مستمرة وبطيئة وغير شخصية تباشر عن طريق المحاكاة المتتابة داخل المجتمع الذي وجدت وتطورت وانتشرت فيه، بينما الأصالة التي ترتبط بالمصنفات الفكرية يتطلب القانون للقول بها أن ترتبط بشخص المؤلف دون سواه من أفراد المجتمع وهو من يتولى نقلها وتطويرها لوحده دون أفراد المجتمع، وبالمقاربة بين الابتكار وبين المعارف التقليدية والموروثات الثقافية تجعل من الصعوبة أن تلي هذا الحد من الأصالة، وهو ما دفع رأياً في الفقه إلى منح هذه الأعمال الحماية القانونية من لحظة استيفائها لهذا القدر من الأصالة^(١)، إذ إن الموروث الثقافي يتسم بطابع الجماعية والملكية المشتركة، وهذا الأمر أقره القضاء الإندونيسي عندما قضى بملكية الشعب الإندونيسي لتصميم قناع خشبي تراثي كان يرتديه الراقصون في الاحتفالات التراثية، على إثر نزاع بين شركتين قامت بصنع القناع وطرحه بالأسواق العالمية ولشدة المنافسة بين الشركتين قامت إحدهما بالمطالبة بحقوق المؤلف عليه ورفض القضاء ذلك معللاً أن القناع إنتاج فولكلوري خاص بالشعب الإندونيسي^(٢).

والأمر الآخر، إن الموروث الثقافي وخصوصاً غير المادي منه يتناقض ومطلب تثبيت العمل الفكري كشرط في بعض التشريعات لمنح الحماية القانونية، وذلك إن عنصر التثبيت ليس متطلباً بذاته لحماية الابتكار في نطاق الملكية الأدبية والفنية، وإنما

(١) A. Lucas Schloetter, op. cit. no 16. P. 8

(٢) 1o C. civ. Fr, Dalloz, ed. 103, 2004-V. art. 714

لتداول المصنف ونشره بين الجمهور، فالتثبيت المعمول به في النظام الأنكلوسكسوني يقلص من إمكانية حماية المعارف التراثية التقليدية بموجب قواعد الملكية الفكرية^(١)، فالإبداع الفولكلوري المتجسد على سبيل المثال في الرقصات والأغاني والموشحات والتهاليل يتم أداؤها دون أن تكون محلاً للتثبيت، فهي في الغالب تتناقل شفاهاً أو بالمحاكاة المتتابة أو بالتقليد الحرفي للحركة والصوت، دون المطالبة بتثبيتها كشرط للحماية، إذ إن غالبية التشريعات تنص صراحة على حماية أشكال الابتكار دون النظر لطريقة التعبير أو العرض أو التجسيد المادي.

أما الأمر الثالث يتجسد في عدم تقييد الموروث الثقافي بمدة معينة لغرض الحماية، إذ إن المدة المقررة لحماية المصنفات الفكرية هي بين (٥٠-٧٠) سنة، ومن غير المتصور أن يخضع الموروث الثقافي لمثل هذا التحديد، إذ إنه يمتد إلى أمد بعيد، وتتناقله الأجيال عبر زمن ليس بالمحدود، فمن المتصور أن تكون مدة حماية الموروث الثقافي قد انتهت قبل مئات السنين، ومثل هذه المدة محل احتجاج في مجال حماية التراث الثقافي؛ لأنها من حيث المبدأ لا تتناسب مع طبيعة المعارف التراثية التي يتم تداولها عبر مدة من الزمن، على أقل تقدير المدة التي يكون فيها المجتمع المحلي الذي ظهرت فيه قائماً، لذا نجد أن المجتمعات الأصلية والتقليدية تسعى إلى فرض حماية أبدية وغير محددة بخصوص المعارف التراثية المتداولة في مجتمعاتها، إذ إن

(١) مثل القانون الأمريكي الذي يشترط تثبيت المصنف ونشره كشرط لتحقيق الحماية القانونية للمصنف، إشار إلى ذلك: Julien LACKER, Les oeuvres en ligne en droit comparé: droits, américain et français, Thèse de doctorat, paris 1, mai 2003, p, 32

هذه التعابير والمعارف تعد جزءاً لا يتجزأ من الحفاظ على ثقافة وهوية المجتمعات وتعكس تجذرها بتاريخها وحضارتها^(١).

وخلاصة الأمر أن وجود التمايز بين مضامين ونطاق الملكية الفكرية وبين الموروث الثقافي المادي، يدفع نحو البحث عن نظام قانوني خاص يحمي الموروث الثقافي بكافة أشكاله ومضامينه، وعلى الرغم من ذلك تبقى قواعد الملكية الفكرية توفر قدراً من الحماية لمضمون الموروث الثقافي، وأول ما يقال بشأن ظهور العادات والتقاليد والمعارف إنه إبداع من قبل شخص أو مجموعة من الأشخاص، لكن مع مرور الوقت أقرته الجماعة وقبلته كميراث حي حتى أصبح له شعور ملكية جماعية غير متنازع عليه، وهذه الفردية تختفي بمرور الوقت وتخرج بتلك التعابير ومضامينها التراثية من الطابع الفردي إلى الطابع الجماعي، فإذا لم يكن جماعياً عند ظهوره ونشوئه، فإنه يكون جماعياً عند توجيهه وتطبيقه من قبل أفراد المجتمع، إذ إنه يمثل الثقافة الشعبية التي تختلف لعموم المجتمع وحينئذ يختفي الطابع الفردي ويتبدد بمرور الوقت وتتجذر الجماعية، وهو ما يجعل من الموروث الثقافي معبراً عن الجماعة وليس عن فرد معين، وهذا المعنى هو مكنم الأصالة فكل مجتمع يتميز بعادات وتقاليد وتراث ثقافي يتمايز ويختلف عن الإبداعات والموروثات الموجودة في مجتمع آخر، وهنا يمكن التصريح أن الموروث الثقافي لمجتمع معين يتضمن جانباً

(١) ينظر تعزيز وحماية حقوق الشعوب الأصلية فيما يتصل بتراثها الثقافي، دراسة أجرتها آلية الخبراء المعنية بالشعوب الأصلية، الجمعية العامة للأمم المتحدة، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثلاثون، رقم الوثيقة A/HRC/30/53، ١٩ أغسطس / ٢٠١٥، بند ٥٨، ص ١٨.

من الأصالة النسبية تخص مجموعة من المعارف والتقاليد والتراث الثقافي المطبق في مجتمع معين دون غيره، فلسنا وهذا الوصف بحاجة لمعرفة مؤلف الإبداع التراثي للقول بأصالته، إنما نحن بحاجة إلى الشعور بأنه نابع من شعب معين يتميز بمضمونه ونطاقه الزمني والجغرافي عن إبداع آخر موجود في محيطه الدولي^(١).

ومما تقدم فإن المصنفات عموماً تفترض وجود مؤلف منفرد أو مؤلفين عدة أسهموا في إنتاج المصنف معروفين أم غير معروفين، فالتراث الثقافي والمعارف التراثية يمكن أن تكون كذلك من إبداع شخص أو عدة أشخاص غير معروفين، إذ إن المؤلف كان موجوداً فعلياً وكذا إبداعه، ولكن عند تناقله تناسى المجتمع والأفراد ذكر اسم من قام بإبداعه المصنف بمرور الزمن.

وإذا لم تكن قواعد الملكية الفكرية تسعفنا لحماية الموروث الثقافي باعتباره جزءاً من الملك العام^(٢) خصوصاً في تلك الدول التي يحظى التطور الصناعي فيها على قيمة مادية على حساب الموروث الثقافي، على خلاف الدول النامية التي جعلت من تراثها الثقافي وماضيها عنواناً لهويتها الثقافية الاجتماعية، إذ اعتبرت التراث الفولكلوري جزءاً من الملك العام المملوك للدولة وهي صاحبة الحق في حمايته، وبذلك يمكن لأي شخص أن يقوم باستخدام عناصر الفولكلور

(١) Willems Edouard, Droit D'auteur et protection de musique, Harti, p2. (2007/5/(Unesco.org. 30

(٢) والملك العام كما بينه قانون حماية الملكية الفكرية المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢ في المادة (٨/١٣٨) بالقول: «الملك الذي تؤول إليه جميع المصنفات المستبعدة من الحماية بداية، أو التي تنقضي مدة حماية الحقوق المالية عليها طبقاً لأحكام هذا الكتاب».

بشرط عدم المساس بسلامة التراث أو الإضرار بالمصالح الاقتصادية المترتبة عن ذلك الاستخدام^(١).

ودعماً لهذا الرأي فهناك حقيقة مفادها أن الملك العام أقدم ظهوراً ووجوداً من مفهوم حق المؤلف والملكية الفكرية عموماً، إذ إن الشاعر أو الفنان أو الراقص أو صاحب المعرفة التقليدية لم يكن يفكر بأن العمل الذي يؤديه يشكل عملاً فكرياً ومصدراً للربح، إذ يمثل الربح كامتياز لصاحب العمل الفكري بمثابة الاستثناء على الحق المشترك في استغلال الإبداع وجني الأرباح المادية عنه^(٢). وهناك تطبيقات قضائية بخصوص استغلال الأغاني الفولكلورية من قبيل الملك العام الذي لا يجوز استغلاله أو استخدامه بما يحقق الربح المادي أو المساس بمضمونه^(٣).

من خلال هذا العرض فإن حماية حقوق المؤلف والملكية الفكرية وإن لم توفر الحماية مباشرة للموروث الثقافي، فإنها من وجهة نظر ثانية يمكن أن توفر الحماية الضرورية لتلك المصنفات التي يتم إعادة إنتاجها أو اعتبار الموروث الثقافي أو أحد عناصره أساس إنتاج مصنف فكري، متى ما تضمن هذا المصنف جانباً من

(١) خليل يوسف أبو بكر، حق المؤلف في القانون - دراسة مقارنة، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٥١. ومن بين الدول العربية ينظر المادة (٦٩) من قانون حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة البحريني رقم (٢٢) لسنة ٢٠٠٦.

(٢) طواح وهيب، المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) فالقضاء الألماني قضى بعدم جواز المطالبة بأجور تسجيل الأغاني الشعبية لأنها تعد من قبيل الملك العام، ينظر M Dretz, letter de la RFA, Droit d'auteur, avr 1974, no 4, p 94. كما أن القضاء الفرنسي اعتبر أن الفولكلور الأنتيبي يقع في عداد الملك العام الأنتيبي، ينظر Tribunal de Grande instance de Paris, 3 eme ch, 08 mars 1963, RIDA, no 41, 1963, P 152.

الأصالة والإبداع الشخصي، ثم إن فاعلية نظام مقابل الملك العام يمكن أن يكون الحل الرديف لحماية الموروث الثقافي إلى جانب قواعد الملكية الفكرية، إذ يسمح هذا النظام للدولة بحماية نتاجها الثقافي والحضاري من خلال السماح باستغلال عنصر من عناصر تراثها وموروثها الثقافي مقابل عوض يدفعه المستفيد للدولة وبذلك يساهم في إعادة نشر التراث من ناحية، والحفاظ عليه من خلال مساهمته في توفير إجراءات الحماية والصون والحفاظ على هذه التراث، مع ملاحظة أن أي استخدام أو إعادة إنتاج للموروث الثقافي يجب أن لا يمس مضمون الموروث الثقافي أو استغلاله بما يضر به مادياً أو معنوياً.



الخاتمة

ختاماً لهذا العرض الموجز والمختصر لحماية الموروث الثقافي الإسلامي بقواعد الملكية الفكرية، والذي بحثنا فيه مدى فاعلية تلك القواعد في حماية عناصر التراث الثقافي عموماً مع التركيز على الموروث الإسلامي، بعد هذا العرض خرجنا بجملته من النتائج والتوصيات.

النتائج:

١- تبين لنا أن تنوع الموروث الثقافي الإسلامي يشكل السمة البارزة لعراقه هذا الموروث وانتشاره، وانتائه لعادات وتقاليد وقيم مرتبطة بكيان المجتمع، وسلوكيات أفرادهم، وعقائدهم وأخلاقهم.

٢- على الرغم من وجود نصوص تشريعية وقواعد قانونية تحمي التراث الحضاري بنوعيه المادي وغير المادي الطبيعي والإنساني، فإن الحماية لم تزل غير فاعلة في العديد من نواحيها ويكتنفها القصور، ومن هنا يمكن أن تشكل قواعد الملكية الفكرية حماية داعمة وتكميلية لتلك النصوص والتشريعات، وتشكل مجتمعة حماية مثلى للتراث الثقافي.

٣- يواجه التراث الثقافي عموماً رغم إجراءات حمايته إشكالات في عملية تحويله ودخجه بالتقنيات الرقمية مثل مشكلة التداول غير المصون أو إعادة الإنتاج غير المصرح به، مما قد يسبب التشويه لمضمونه وعناصره.

٤- على الرغم من أن التراث الثقافي يرتبط بالمجتمع وأفراده، وهو ما يعني أن الأصالة الواجب توافرها من أجل حماية الإنتاج الفكري يمكن أن تنعكس على تلك السمات التي يطبعها المجتمع على الموروث الثقافي عند إنتاجه وتطبيقه، وأن ملكية النتاج الفكري ليس شرطاً لحماية المصنف فقد يكون مؤلف المصنف مجهولاً وغير معروف ومع ذلك يحميه القانون، مع العلم أن الأصالة تتسم عموماً بطابع النسبية مضموناً ونطاقاً.

٥- يعد الدمج الإلكتروني من الوسائل التقنية التي تسمح بالحفاظ على التراث الثقافي وتداوله ونقله والتفاعل معه بشكل يسمح للمستفيد من الإبحار في تقنيات التقييم والتفاعل معها مما يسهم في اتساع نطاق الموروث الثقافي وانتشاره بين أرجاء المعمورة، مما يسهم في تبادل المعارف والثقافات الإنسانية، ويحافظ على أصول التراث من التلف والهلاك نتيجة الاستعمال المتكرر وغير الحذر، ويعمل على توطين التراث الثقافي بأنواعه المختلفة.

التوصيات:

١- نوصي المجتمعات الإسلامية بضرورة العمل على إيجاد إجراءات قانونية فاعلة، من أجل الحد من انتهاك التراث الإسلامي وتشويه مضامينه، وتشكيل لجان قانونية وتراثية لوضع الأطر القانونية، لحماية الموروث الإسلامي، بموجب تشريعات إقليمية ودولية، تضمن أكبر قدر من الحماية لمضامين التراث الإسلامي.

٢- نوصي الدول العربية والإسلامية بالانضمام إلى الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية أشكال التعبير وصون التراث الثقافي المادي، ودعم الجهود الدولية، لحماية

الموروثات الثقافية للشعوب الأصلية، وجعل تلك الشعوب صاحبة حق أصيل في استغلال تراثها والحفاظ عليه وصيانتها.

٣- تشكيل جهاز قضائي خاص بحماية الموروثات الثقافية في الدول العربية والإسلامية، يتألف من مجموعة من قضاة ومستشارين في القانون وعلوم التراث والآثار.

٤- نوصي الدول الإسلامية والعربية بضرورة اعتماد مناهج حماية التراث الإسلامي في الكليات المهمة بعناصر التراث وعلى رأسها كليات الحقوق، وكليات الآداب والتراث.



قائمة المصنّاور

القرآن الكريم.

المعاجم اللغوية.

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان

العرب، المجلد الرابع، دار صار، بيروت ١٩٩٠.

الكتب القانونية:

- د. أسامة أحمد بدر، الوسائط المتعددة بين الواقع والقانون، دار النهضة العربية،

القاهرة ٢٠٠٢.

- تداول المصنفات عبر الأنترنت، دار الكتب القانونية، القاهرة ٢٠٠٦.

- د. حسام عبد الأمير خلف، نحو قانون دولي للتراث، مكتب الهاشمي للكتب

الجامعية، بغداد ٢٠١٥.

- د. خليل يوسف أبو بكر، حق المؤلف في القانون - دراسة مقارنة، ط ١، المؤسسة

الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٨.

- د. زياد طارق جاسم، البث عبر شبكة الاتصال الدولي، دار الكتب القانونية،

القاهرة ٢٠١٥.

- محمد الجوهري، دراسات في علم الفولكلور، ط ١ عين للدراسات الإنسانية

الاجتماعية، الجزائر ١٩٩٨.

الكتب العلمية:

- بيل جيتس، المعلوماتية بعد الأنترنت (طريق المستقبل)، سلسلة عالم المعرفة (٢٣١)، ترجمة عبد السلام رضوان، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٨.

- شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال-المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية-، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠.

- نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة (١٨٤)، الكويت ١٩٩٤.

البحوث المنشورة:

- د. إبراهيم الدسوقي أبو الليل، النشر الإلكتروني وحقوق الملكية الفكرية، بحث منشور في مؤتمر المعاملات الإلكترونية (التجارة الإلكترونية والحكومة الإلكترونية)، مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية - أبوظبي، وهو من تنظيم كلية القانون في جامعة الإمارات.

- د. علي حمزة عسل، الحماية الجنائية للأثار والتراث، مجلة المحقق الخلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الثاني، السنة السادسة، ٢٠١٦، ص ٢٠.

- د. محمد شامة، التراث الإسلامي بين القبول والرفض، مجلة الأزهر، موضوعات قضايا التجديد، ديسمبر ٢٠١٧.

- د. نافع بحر سلطان، فكرة المال الثقافي في القانون الدولي الخاص، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق جامعة النهدين، المجلد ١٩، العدد ٣، الجزء الأول، كانون الأول ٢٠١٧.

- ياسر هاشم عماد الهياجي، دور المنظمات الدولية والإقليمية في حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه، مجلة ادوماتو، العدد الرابع والثلاثون، يوليو ٢٠١٦.

الرسائل / الأطاريح:

- د. أماني نور الدائم محمد، حماية الممتلكات الثقافية المادية في السودان، أطروحة دكتوراه، جامعة الخرطوم كلية الآداب، قسم الآثار، الخرطوم ٢٠٠٢.

- سعد رحال، حماية الأموال والممتلكات أثناء النزاعات المسلحة في ظل أحكام القانون الدولي الإنساني، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة سعد دحلب، البلدة الجزائر ٢٠٠٦.

- طواح وهيب، حماية الفولكلور - دراسة مقارنة - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران، الجزائر ٢٠١٣، ص ٤٥.

- عبد الفتاح أحمد حسان، مدى الحماية القانونية لحق المؤلف - دراسة مقارنة -، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر ٢٠٠٨.

- مصطفى كامل الإمام شحاتة، الاحتلال الحربي وقواعد القانون الدولي المعاصرة، مع دراسة تطبيقية عن الاحتلال الإسرائيلي للأقاليم العربية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٧٧.

الاتفاقيات الدولية:

- اتفاقية برن لحماية المصنفات الأدبية والفنية لعام ١٨٨٦ المعدلة بوثيقة باريس لعام ١٩٧١.

- اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة المنعقد في باريس من ٢٩ أيلول - ١٧ تشرين الأول عام ٢٠٠٣ في باريس بتاريخ، والمصادق عليها من جمهورية العراق بالقانون رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٩ منشور بالوقائع العراقية، العدد ٣١٣٤ بتاريخ ٢٤/٨/٢٠٠٩.

متون القوانين:

- قانون الآثار القديمة العراقي الملغي رقم (٥٩) لسنة ١٩٣٦.
- القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨.
- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.
- قانون حماية المؤلف رقم (٣) لسنة ١٩٧١ المعدل بموجب أمر سلطة الائتلاف المرقم (٨٣) لسنة ٢٠٠٤.
- القانون المغربي رقم (٢-٠٠) العام ٢٠٠٠ المعدل.
- قانون الآثار والتراث العراقي رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٢.
- قانون حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الإماراتي رقم (٧) لسنة ٢٠٠٢.
- قانون حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة البحريني رقم (٢٢) لسنة ٢٠٠٦.
- قانون التوقيع الإلكتروني والمعاملات الإلكترونية العراقي رقم (٧٨) لسنة ٢٠١٢.
- قانون التراث لإمارة أبوظبي رقم (٤) لسنة ٢٠١٦.
- قانون الملكية الفكرية الفرنسي وتعديلاته: Loi 92-597 1992-07-01 annexe
- JORF 3 juillet 1992/Code de la propriété intellectuelle - Dernière

http://www. modification le 17 mars 2017 منشور على الرابط الإلكتروني.:

.wipo.int/wipolex/ar/text.jsp?file_id=435178

المنشورات الدولية:

- تعزيز وحماية حقوق الشعوب الأصلية فيما يتصل بتراثها الثقافي، دراسة أجرتها

آلية الخبراء المعنية بالشعوب الأصلية، الجمعية العامة للأمم المتحدة، مجلس حقوق

الإنسان، الدورة الثلاثون، رقم الوثيقة A/HRC/30/53، 19 / أغسطس / 2015.

- تقرير الرقمنة وحماية التراث الرقمي، منشورات مركز هردو لدعم التعبير

الرقمي، القاهرة 2016، ص 6.

- تقرير الملكية الفكرية والموارد الوراثية والمعارف التقليدية وأشكال التعبير الثقافي

التقليدي، منشورات المنظمة العالمية للملكية الفكرية، جنيف 2015.

- تقرير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بشأن حقوق الشعوب

الأصلية، الأمم المتحدة، مجلس حقوق الإنسان بدورته الحادية والعشرون، المعقودة

بتاريخ 25 / 1 / 2012 رقم الوثيقة A/HRC/21/23 البند (2/5).

- توصية بشأن صون الفولكلور، اليونسكو الدورة الخامسة والعشرون،

باريس 1989.

- مبادئ توجيهية لأفضل الممارسات لإعادة توطين المعارف التقليدية ذات الصلة

بحفظ التنوع البيولوجي واستخدامه المستدام، منظمة الأمم المتحدة، الاجتماع الثامن،

بخصوص اتفاقية التنوع البيولوجي، رقم الوثيقة (UNEP/CBD/WG8J/8/5)،

مونتريال 7-11 / تشرين الأول / 2013.

المصادر الأجنبية:

- LUCAS, Droit d'auteur et numérique , LITEC, 1998.
- LUCAS. Mélanges Andre Francon, 1995, p. 329.
- Claude Colombet, grands principes du droit d auteure et des droits voisins dans le monde, unesco, 1992.
- E. P. Gavrilov, le droit d'auteur, Fev, 1984.
- Julien LACKER, Les oeuvres en ligne en droit comparé: droits, américain et français, Thèse de doctorat, paris I, mai 2003.
- Lucas Schloetter (A), protection juridique du folklore, juriscal, propr. Litt. Artis , 2009.
- M Dretz, letter de la RFA, Droit d'auteur, avrl 1974.
- M. Tossen et J. Anderson. Propriete intellectuell et preservation des cultures traditionnelles, OMPI. Pub. 1023. 2010 revise 2012.
- Tribunal de Grande instance de Paris, 3 eme ch, 08 mars 1963, RIDA, no 41, 1963.
- Willems Edouard, Droit D'auteur et protection de musique, Harti, p2. (Unesco,org. 30/5/2007).
- V. art. 714-1o C. civ. Fr, Dalloz, ed. 103, 2004.

المواقع الإلكترونية:

- https://www.youtube.com/watch?v=P00UiXB_baM.

- https://archive.org/details/khatabaya2007_yahoo_1_201712.

- معجم المعاني الجامع،

- <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D9%8/>





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

سياحة الآثار الإسلامية في الهند
وأثرها في نفوس الأطفال
وتكوين شخصياتهم الإسلامية

إعداد

د. محمد علي الوافي كرواتل

الباحث في جامعة جوهر لال نهرو، نيودلهي - الهند

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله الذي أرشدنا إلى طريق الاستقامة والهدى، وألهم أسلافنا وأجدادنا في الهند باعتراف دين الفطرة والهدى، وجعل بلاد الهند مهد الأمن والأمان والعلم والهدى، والصلاة والسلام على من أرسل إلى كافة الخلق فأدى أمانته وهدى، وعلى آله وصحبه الذين جابوا أنحاء المعمورة لنشر كلمة الحق والهدى.

أما بعد:

نعم، تربية الأولاد وتنشئتهم وفقّ التعاليم الإسلامية، أمر هام ومسؤولية كبيرة حملناها على عواتقنا. فإن التعامل مع الطفل والجيل الجديد مسألة في غاية الصعوبة، وأمر يتطلب منا شدة العناية. والمعاملة مع الطفل تحتاج إلى تخطيط من قبل الوالدين. لأن هذا المجال من مجالات دينية ومادية معا، لم يفز في هذه المهمة إلا هؤلاء الآباء الذين يمتلكون قدرات فنية وعزيمة كافية في تحقيق النجاح فيما هم مسؤولون عنه. فالوالد المثالي هو من يعي تماما طبيعة الطفل ويدرك مداخل تُفتح إلى نفسية الطفل وعالمه الخاص. وهذا العالم يتميز كثيرا عن عالم غيره ممن تجاوز مرحلة الطفولة. لأن مرحلة الطفولة أهم مرحلة في حياة الكائن البشري، فهي مرحلة نمو مستمر للفرد في جميع نواحيه، وتبعاً لذلك نجد أنها مرحلة مرونة وقابلية للتربية والتعليم، وهي الوقت الذي يكسب فيه الطفل العادات والمهارات، والاتجاهات العقلية والاجتماعية والجسمية^(١). وأصبحت هذه المرحلة من المراحل العمرية

(١) عبد العزيز القوسي، أسس الصحة النفسية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٩٧٥ م. ص ١٤٥.

التي يوليها علماء النفس عنايتهم الفائقة واهتمامهم البالغ، وذلك لأنها باكورة المراحل ويكون فيها بناء الشخصية وبناء القيم الإنسانية. وتلقيح القيم والمبادئ في نفوس الأطفال أمر جوهري بجميع أشكاله، لما له من فوائد وعوائد على تكوين الشخصية المتكاملة.

والسياحة هي تلك الرحلات التي نقوم بها لمشاهدة الطبيعة ومناظرها العجيبة كي نمتع أنفسنا بروعتها ولكي تتجدد مشاعرنا بروبقها. فالكيس هو ذلك الرجل الذي يخطط لسياحته وسياحة عائلته ثم يقيم النتائج والفوائد التي تعود عليهم. وأما بالنسبة إلى الأطفال، فالسياحة هي علاقتهم الأولى وتجاربهم الابتدائية بما حولهم من الحياة. فينبغي أن تكون السياحة عند الأطفال سياحة متعة وإفادة وتوجيه أخلاقي وتسلية معا. ونستطيع بها أن نسلحه بالمواهب الفطرية والاستعداد الشخصي والعزيمة الكبرى.

ولما كانت تنشئة الطفل اجتماعيا وثقافيا من أهم ما يسعى إليه المجتمع بمختلف مؤسساته. ذلك أن التنشئة تعبر عن عملية تعلم الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي التكوين والتصميم للشخصية المثالية لدى الأطفال. لأنه يزداد معرفة الطفل بهذه التجارب الجديدة المكتسبة من خلال رؤيته للمشاهد التاريخية والآثار التراثية التي خلفتها الحضارة الإنسانية السامية. وهذه التجارب من مشاهدة ما تركوا وخلفوا من آثار معمارية وفنية سوف تقود السائحين إلى عالم حقيقي عاصرتة الإنسانية في تاريخها، وإلى مشكلات ومازق واجهتها البشرية في ماضيها، فيستطيع أن يتعرف

على الحلول التي اهتدى إليها الآباء والأجداد، وكل هذه التجربة تجعل الطفل السائح قادرا على فهم سليم للأزمة التي جاوزتها الإنسانية.

وقبل الولوج في عمق الإشكالية يحسن بنا أن نوجه بعض الأسئلة الهامة التي تتعلق بالسياحة العائلية لاسيما سياحة الأطفال. ومن أهمها: هل تخطط الأسرة في السياحة العائلية أو في سياحة الأطفال ما يلبي حاجاتهم الطفولية ويشبع جوانب النمو النفسية والذوقية والطبيعية لديهم؟ أم تخطط الأسرة ما يوافق أفرادها الكبار فقط، وتجرحه الأطفال من غير أن يُنظر إلى مراحلهم العمرية؟ وإن كانت السياحة بعد تخطيط كامل مسبق من قبل أعضاء الأسرة، فهل هذا التخطيط يرمي إلى أهداف تعود بالفائدة إلى الأطفال؟ وليس جديدا القول بأن الأسرة في تخطيط السياحة العائلية لا تعترف بالخصائص النفسية للطفل ولا بحاجاته السيكولوجية. وعلماء النفس والتربويون يجمعون على أن هذه المرحلة العمرية أهم وأخطر مرحلة في حياة الإنسان، وذلك لما لهذه المرحلة من دور كبير في بناء شخصيات الأطفال وتنميتها تنمية متكاملة الجوانب، لكونها بداية التعليم المنظم لهم، حيث تعلمهم أنماطا متنوعة من السلوك الجديد، وتكسيبهم مجموعة من المهارات والقيم والعادات، وتوسع حصيلتهم الثقافية وتمكنهم من ممارسة العلاقات الاجتماعية التي تجعل منهم مواطنين متأقلين مع مجتمعهم قريين من واقع حياتهم.

ونشد بسياحة الأطفال إلى توطيد قيم سامية في نفوس الأطفال، ومن أهمها تنمية معلومات الأطفال عن الطبيعة والعالم الخارجي والبلدان والأجناس والثقافات الأخرى. وفي هذا المضمار وسياحة الأطفال إلى الهند سياحة ممتعة وتعليمية وتثقيفية معا. لأن الهند بلد شهير لاحتضانه للثقافات المتعددة والحضارات المتميزة. فمجرد

زيارة إلى الهند من أقصاه إلى أقصاه هي تجربة رائعة يزداد بها الفهم والعقل لدى الأطفال. لأن هذه التجربة سوف تعطي للأطفال الفرص للاطلاع والتعرف على البيئات الجغرافية والسكانية المختلفة، والتعرف على تصرفات الشعوب المختلفة في مناسباتهم واحتفالاتهم. وهذه التصرفات والإحاطة بها سوف تساعد الطفل العربي على فهم البشر وفهم خبراتهم وتجاربهم.

لماذا السياحة إلى الهند؟

إن سياحة الأطفال إلى الآثار الإسلامية في الهند، هي سياحة إسلامية نتوقع خلالها تجسيد القيم الثقافية والدينية والفنية وكذا الخلقية والتربوية. وكذلك تشحذ هذه السياحة مشاعر الأطفال عن طرق التوجيه إلى ما يفيدهم من خلال المتعة برؤية المناظر الجميلة والآثار التاريخية. وهذه الأساسيات الدينية والإنسانية لا تكاد توجد في السياحة إلى البلدان الغربية. لأن السياحة فيها لا تناسب ثقافتنا. وذلك لأن التعري وكشف العورات ورواج المحرمات في البلدان الأوروبية سوف تؤثر في نفوس الأطفال ومشاعرهم سلبيا. وأما السياحة إلى الهند، فنلقح خلالها في نفوس الأطفال مفاخر آبائهم ومناقب أجدادهم، هؤلاء الذين خلدوا ذكرياتهم الجميلة في صفحات تاريخ الهند. لأن المسلمين قد شيّدوا فيها منارات شاهقة ومساجد كبيرة وآثارا إسلامية فاخرة، مثل ضريح تاج مهل، والقلعة الحمراء والجامع الكبير وضريح همايون وغيرها من الآثار والتراث العربي والإسلامي. ومن ناحية أخرى لعل الأطفال يجدون في أزقة الهند قيمة الإنسانية ومعناها الحقيقي حيث يشاهد فيها الحياة كما هي ببؤسها وقساوتها.

أهم الآثار الإسلامية في الهند:

ازدهرت الحياة الثقافية في بلاد الهند قبل قيام الدول الإسلامية فيها، حتى إن المسلمين يعتبرون الهند إحدى الأمم الأربع التي لها اهتمامات علمية، وقد برع الهنود في الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب، وذكر المسعودي^(١) أن جماعة من أهل العلم والنظر اعتبروا الهند الغرة التي فيها الصلاح والحكمة، وكان الهند، كما يقول القفطي^(٢)، معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة.^(٣) ولما بزغت شمس الإسلام في أفق الحضارة الهندية ترعرعت في الهند حضارة فريدة ذات سمة إسلامية وهندية معا. وهذه الحضارة الإسلامية الهندية قدمت إلى العالم ما لم يكن يتجرب أحد في الحضارة الإغريقية واليونانية والفارسية والمصرية.

وقبل أن نستقصي الآثار التراثية الإسلامية في الهند، يحسن بنا أن نسلط الضوء إلى تاريخ هذه الديار وعلاقتها بالإسلام وبالعرب. وقد نعجز عن الضبط في بدايتها وأوليتها، إلا أن المؤرخين الذين بحثوا في الحضارة الهندية يؤكدون بأن هذه العلاقة بين الهند والبلدان الخليجية قد بدأت منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. والوثائق التاريخية تميل إلى القول بأن العلاقة التجارية والثقافية بين الهند والبلدان العربية كانت تستمر لعدة قرون متتالية. والاكتشافات الأثرية في الهند تشير إلى وجود ميناء كبير لتجارة العرب في سواحل موهنجدارو (Mohenjo-Daro)^(٤). وأن تصدير

(١) المسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٨٩٦-٩٥٦) كان مؤرخا كبيرا وجغرافيا شهيرا يلقب بهيرودوت العرب.

(٢) هو جمال الدين علي بن يوسف القفطي صاحب الكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء.

(٣) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي. عالم الكتب، القاهرة، مصر. ١٩٨٠م. ص ٢٣٦.

(٤) موهنجدارو (Mohenjo-Daro) اسم لمدينة هندية تراثية كانت تقع على شاطئ بحر العرب.

السَّلَعُ الهندية كانت تشحن مُنذُ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، إذ إنَّ الأَشوريين والبابليين^(١) كانوا يجلبون الفُلفل^(٢) والفُوفل^(٣) والقَرْنفل^(٤) من الهند كي يتجروا بها في آسيا الوسطى وفي البلدان المجاورة ببحر المحيط^(٥).

أما الموقع الجغرافي للهند فله أيضا دوره التأثيري في الاحتكاك الحضاري والتبادل الثقافي بين هاتين الثقافتين العريقتين. ومن هاتين الحضارتين نشأت الحضارة الإسلامية الهندية، الفريدة في نوعها والتميزة بأشكالها. وهذه الحضارة المتطورة من الاحتكاك الحضاري والتبادل الثقافي بين الحضارتين العربية والهندية، خلدت بعض المعالم الهندوستانية^(٦) (Hindustan) والآثار العربية في الهند. ومن أهم الآثار الإسلامية والعربية في الهند هو ضريح تاج محل وقلعة آجرا (Agra Fort) في مدينة آجرا، ولاية يوبي (Utter Pradesh). والقلعة

(١) الأَشوريون والبابليون قبيلتان كانتا تسكنان في العراق.

(٢) الفلفل الأسود (الاسم العلمي: Piper nigrum) هي نبتة متسلقة من مغطة البذور، تزرع من أجل ثمارها، والتي تجفف عادة وتستخدم في المأكولات والمشروبات، وتعتبر مناطق جنوب الهند المصدر الطبيعي للفلفل الأسود.

(٣) الفوفل أو الكوثل (الاسم العلمي: Areca) هو جنس نباتي يتبع فصيلة الفوفلية من رتبة الفوفليات.

(٤) القرنفل: نوع من النباتات من الفصيلة الآسيية. لها شكل مخروطي، مزهرة ذات زهر رباعي الأجزاء، ولها رائحة عطرية قوية، يبلغ متوسط ارتفاع شجرة القرنفل من ١٠ إلى ١٢ مترا ويصل أحيانا إلى ٢٠ مترا. ويوصف القرنفل بأنه طارد للحمى، مطهر، ومعقم للمعدة، يشفي من القروح وآلام الرأس ويحمي من الأوبئة ويساعد على الهضم ويسكن آلام الأسنان ويخفف التهابات الحساسية وينبه القلب والمعدة.

(٥) Rowlinson, H.G, Intercourse between India and the Western World – from the earliest time of the fall of Rome, Cambridge University Press - 1916

(٦) هندوستان هي كلمة فارسية للإشارة إلى بلاد الهند.

الحمراء (Red Fort)، والجامع الكبير وضريح هومايون (Humayun Tomb) ومجمع قطب منار (Qutub Complex) في مدينة دلهي الجديد (New Delhi).

ضريح تاج محل:

السياحة إلى الهند، أيا كان نوعها، لا تكتمل إلا برؤية ضريح تاج محل، والذي يعتبره السائح من الأماكن التي يجب زيارتها حتى ولو مرة واحدة في العمر. ويعد تاج محل أجمل الآثار المعمارية التي خلفها الحكم الإسلامي في الهند على الإطلاق، وهو من إحدى عجائب الدنيا السبع في العهد الحديث. وهذا الصرح الرائع الذي تم بناؤه سنة ١٦٣١م تخليداً لذكرى الملكة ممتاز محل (Mumtaz Mahal). ولما توفيت الملكة ممتاز محل زوجة السلطان شاه جهان، قرر الملك أن يشيد في ذكراها صرحاً يتلو آيات الحب والوفاء عبر الزمان. وقد أمر السلطان من في بلاطه الملكي من المهندسين والفنانين على أن يصمموا صرحاً لا يدانيه صرح في التاريخ البشري. وقد ساهم في بناء هذا الصرح حوالي ٢١٠٠٠ عامل من الفنانين والخطاطين والنقاشين والمعماريين فضلاً عن المهندسين والمشرفين، خلال ١٧ سنة من العمل والمثابرة لإتمام هذه العلامة الفارقة في سماء الوفاء والعشق العذري. وقد أصبح هذا الصرح العشقي من معجزات الدنيا السبع في العالم الحديث. لقد شبه رابيندراناد طاغور (Rabindranath Tagore) الشاعر والفيلسوف الهندي، تاج محل بدمعة على خد الخلود (The teardrop on the cheek of eternity).

قلعة أجرا، ومدينة فتح بور سيكري:

تتميز هذه القلعة كغيرها من الآثار المعمارية في الهند بجمال مظهرها وعجيب صنعها. تقع هذه الآية الهندسية المغولية في مدينة أجرا في ولاية يوبي (Utter Pradesh). وكان السلطان أكبر شاه يجب هذه المدينة ويسكنها في أيامه، ثم حول عاصمة سلطنته إلى مدينة فتح بور سيكري^(١) (Fatehpur sikri). وهي مدينة تبعد عن أجرا بمسافة ٤٠ كيلومترا، والقلعات في داخل مدينة فتح بور سكري تدل على تطور الهندسة والفن المعماري الإسلامي في سلطنة مغول. والآثار الإسلامية الهندية داخل هذه المدينة كلها تقود المشاهد إلى عالم خيالي يجعله معتزا بآبائه وأجداه.

قطب منار:

قطب منار هو أكبر منارة في الهند، وثاني أكبر منارة في العالم الإسلامي بعد منارة الخير الدة^(٢) بالإسبانية. قطب منار: كلمة فارسية تعني منارة قطب، واختلف علماء الآثار في تسميته بذلك إلا أن الرأي المشهور هو أنه نسبة إلى المتصوف الشهير قطب الدين بختيار الكعكي رحمه الله المدفون في مقبرة غير بعيدة عن مجمع القطب. وقد بدأ قطب الدين الأيبك (Qutubudheen Aibak) مملوك محمد الغوري (١١٩٢-١٢١٠م) بناء المستوى الأول للمنارة عام ١١٩٣م كمنارة لمسجد قوة الإسلام، ولكنه لم تسعفه الظروف لإتمام ذلك العمل، فقام الملك شمس الدين

(١) فتح بور سيكري (fatehpur sikri)، بمعنى مدينة الفتح. وهي مدينة في شمال ولاية يوبي، أسسها الملك الثالث من العهد المغولي السلطان أكبر سنة ١٥٦٩م.

(٢) الخير الدة (بالإسبانية: La Giralda) هو برج قائم في إشبيلية، إسبانيا، ومن أهم معالمها. كان في السابق مئذنة في المسجد الكبير من عهد الموحدين، إلا أنه اليوم أصبح برجاً للأجراس كاتدرائية إشبيلية التي أسسها الأسبان بعد نهاية حكم البربر الموحدين لأشبيلية.

إلتمش (Shamsudheen Iltutmish)^(١) بأعمال الترميم وبنى عليه ثلاثة طوابق أخرى، ثم بعد ذلك تعرضت المنارة لصاعقة برقية عام ١٣٦٨ م، فأضاف إليها الملك فيروز شاه (Firuz Shah)^(٢) طابقين آخرين مع قيامه بترميم وإصلاح المنارة على ما هو عليه حالياً^(٣). ويوجد حالياً على واجهة أحد أبواب المسجد في مجمع قطب منار منقوش باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر: «بسم الله الرحمن الرحيم، والله يدعو إلى دار السلام».

وعهد السلاطين المسلمين في عاصمة دلهي يعرف بحضور الثقافة الإسلامية والعربية في الهند. لأن الفنون الإسلامية والحضارة العربية التي تنتمي إلى كل من الدول الأموية والعباسية والعثمانية بصمت معالمها في الآثار المعمارية في الهند. وكذا توجد في هذه الحضارة الهندية معالم الحضارة اليونانية والفارسية والمصرية. وهذه الحضارة الإسلامية والعربية في الهند قد حيرت عالم الهندسة التي كانت سائدة في أيامها.

القلعة الحمراء (Red Fort):

هي قلعة تاريخية في مدينة دلهي في الهند. وكانت هي المقر الرئيسي لسلاطين المسلمين في العهد المغولي قرابة ٢٠٠ سنة. وتقف هذه القلعة التاريخية حجة على

(١) شمس الدين الدين إلتيمش (١٢١٢-١٢٣٦ م) هو الحاكم الثالث لسلطنة دلهي، وهو من سلالة المماليك الحاكمة، وهو الذي وسع نطاق السلطنة في شبه القارة الهندية.

(٢) هو السلطان فيروز شاه توغلاق (Sultan Firuz Shah Tughlaq) (١٣٠٩ هـ - ١٣٨٨ م) وحاكم مسلم من سلالة توغلاق، وكان عهده في سلطنة دلهي من ١٣٥١ إلى ١٣٨٨ م.

(٣) الفن المعماري الإسلامي. محمد عبد الكريم الهدوي. مقالة في جريدة الفنون، رقم العدد ١٥٦. سبتمبر ٢٠١٤ م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت. ص: ٣٥.

ازدهار الأيام الإسلامية في بلاد الهند، وهي تقع في وسط المدينة دلهي، وتضم عددا من المتاحف التاريخية والتراثية وكذا بيوتا للسلاطين والأمراء في العهد الإسلامي. وكانت هي مركز تقام فيه الاحتفالات الحكومية والسياسية في عهد المغول. ولم تقصر أهميتها السياسية في هذه الأيام، حيث إن رؤساء الوزراء ورجال الوطن لا يزالون يعتلون عليها لكي يخاطبوا دولتهم وشعبهم في أيام الاحتفالات الرسمية في الهند، لأنهم اختاروها منصة لاثقة لكي يلقوا كلماتهم إلى دولة الهند الديموقراطية.

المسجد الجامع في مدينة دلهي:

هو أكبر المساجد الهندية من حيث المساحة وعدد المصلين، أسسه الملك المغولي الشهير السلطان شاه جهان سنة ١٦٥٦م على غرار القلعة الحمراء في مدينة شاه جهان آباد^(١) (Shajahanabad). يتسع هذا المسجد الكبير لخمسة وعشرين ألف مصلٍ. وهذا الصرح الإسلامي يحتوي على فنون معمارية رائعة من القباب والمنارات والبوابات بالطراز المغولي والإسلامي، كما أن فناء المسجد يحتوي على بركة واسعة للوضوء. وتوجد على بوابات المسجد آيات قرآنية نقشت بخط عربي بطراز مغولي إسلامي.

ضريح هومايون (Humayun Tomb):

هو ضريح الإمبراطور هومايون، الملك الثاني من الدولة المغولية في شبه القارة الهندية. تم بناء هذا الصرح العظيم، والذي يمثل روعة الفن المعماري الإسلامي

(١) شاه جهان آباد: هي مدينة أسسها الإمبراطور المغولي شاه جهان في شمال الهند، والتي يعرف حاليا بدلهي القديمة.

في ربوع شبه القارة الهندية، بأمر ملكي من قبل زوجته الأولى الإمبراطورية بيغا بيغام (Beega Beegum) والتي تعرف في التاريخ الهندي بلقب الحاجي بيغام (Haji Beegum). وقام بتصميم هذا المعلم الهندسي المهندس الفارسي الأستاذ ميراك ميرزا غياث (Mirak Mirza Ghiyas). وقد بُنيَ هذا الصرح الرائع من الحجر الرملي الأحمر في وسط مدينة دلهي. وقد أدرج ضريح هومايون في قائمة المواقع التراثية كموقع للتراث العالمي ليونسكو في عام ١٩٩٣ م. وأنه لا يوجد في الهند الإسلامي آثار إسلامية أحسن وأروع من ضريح هومايون إلا ضريح تاج محل.

الآثار العلمية والمعرفية:

كما أسلفنا من قبل، فإن الحضارة الإسلامية والثقافة العربية كانت تتبلور في شبه القارة الهندية بجهود بذلها الحكام لإرساء الثقافة الإسلامية ومعالمها البارزة في أتربتها الطيبة. ونتيجة لجهودهم ومحاولاتهم العلمية في هذه البقعة الطيبة تكونت مكتبات إسلامية تزخر بالكتب القيمة والمخطوطات النادرة. والباحثون في التاريخ الهندي الإسلامي يرون بأن هجوم التتار على عاصمة الخلافة العباسية قد سبّب إلى هجرة العلماء العباقره بدينهم وحياتهم إلى المناطق البعيدة التي لا تصل إليها أيادي التتار المدمرة. وكانت الهند محفوظة من صولة التتار لشوكة جنود المسلمين في الحدود الهندية^(١). والسلطان الشهير غياث الدين بلبن^(٢)

(١) تاريخ الأمة الإسلامية المختصرة (في اللغة المحلية)، المؤلف: سرور سولت، المترجم: عبد الرحمن منور. كاليكوت، كيرالا/ الهند. طبعة خامسة. ٢٠١٦ م. ج: ٢، ص: ١٣٦.

(٢) غياث الدين بلبن، اسمه الحقيقي بهاء الدين. هو أعظم السلاطين في الدولة المملوكية الشهير بتقواه وحسن إدارته السياسية.

(Giyasudheen Balban) كان حاكماً في سلطنة الهند أيام سقوط الخلافة العباسية في بغداد. وجعل الملك غياث الدين بلبن، هؤلاء العلماء البارزين في مختلف الميادين العلمية، في حمايته وجواره.

وقد نجح سلاطين الهند في استغلال طاقاتهم البشرية وخبراتهم الفنية في المجال التي برعوا فيها. ووجودهم في البلاط الملكي قد أدى إلى الحركات العلمية والفنية والثقافية في أرجاء الهند. وقد نشطت الحركات العلمية بسماة إسلامية وعربية بسبب انتماء هؤلاء العلماء إلى المناطق العربية والإسلامية. وقد قاموا بجهود جبارة في مختلف الميادين العلمية. وقد ترجموا بعض العلوم السائدة في الهند إلى اللغة العربية كما ترجموا بعض الكتب القيمة من اللغة العربية إلى اللغات الهندية. وقد أثروا المكتبات الهندية بالمعارف الدينية الإسلامية والأدبية العالمية.

وتوجد في طول الهند وعرضها مكتبات واسعة تحتوي على كتب قيمة ومخطوطات نادرة قدمها هؤلاء العلماء إلى التراث العلمي في الهند. وها هو ذا أمامنا صرح علمي يحتوي على المخطوطات النادرة التي ألفها المسلمون في العهد الإسلامي في الهند، وهو مكتبة خدا بخش (Khuda Bakhish) الواقعة في مدينة باتنا (Patna) في ولاية بيهار (Bihar) الهندية. وهذه المكتبة الشهيرة قد أسسها العالم المؤرخ خدا بخش خان (Khuda Bakhish Khan) سنة ١٨٩١م، في منطقة باتنا في ولاية بيهار. وقبل تأسيس هذه المكتبة أسست مكتبة أخرى بمدينة كولكاتا (Kolkata) في ولاية البنغال الغربية (West Bengal) وهي مكتبة الجمعية الآسيوية. وأسسها القاضي البريطاني ويلسن (Wilson) سنة ١٨٨٤م. ويصل عدد المخطوطات في

هذه الخزينة العلمية إلى ٤٥٠٠٠ مخطوط منها نحو ٩٠٠٠ مخطوط باللغة العربية. وهناك مكتبات كبريات تحتوي على مؤلفات جمعها العلماء المسلمون في أيام ازدهار المسلمين. وأما المخطوطات في هذه المكتبات القديمة فهي كنز علمي لا يوجد مثلها في غير الهند.

ويعتبر علم الحديث من أهم المجالات العلمية التي برع فيها علماء الهند. فإن الأكاديميين في التراث الإسلامي يتفوقون على أن العلماء في شبه القارة الهندية هم الذين أحيوا الحديث النبوي من الضياع. ولولاهم لما وجدنا الجانب الكبير من هذا التراث الإسلامي. ولهم نصيب وافر في علم الحديث شرحا وتفصيلا، والمؤلفات الضخمة التي صدرت عنهم هي خير شاهد للمساهمات التي قاموا بها في خدمة السنة النبوية.

أما المدارس الإسلامية في الهند، فيرجع تاريخها إلى الملك شهاب الدين الغوري (Shihabudhin Gori) الذي فتح أجمير (Ajmer)، وأنشأ فيها مدارس عديدة، ثم وسّع نطاقها الملك قطب الدين أيبك (Qutbudheen Aibak) عام ٥٨٩هـ، فأسس مدرسة عظيمة بمدينة دلهي. وتتبع المدارس الدينية والتي يتعلم فيها الطلاب كلا الطرفين من العلوم، الدينية والمادية. وفي آخر العهد الإسلامي في الهند كانت هناك مدرستان: مدرسة الشيخ ولي الله الدهلوي، ومدرسة الملا نظام الدين، هاتان المدرستان لعبتا دورا مهما في صياغة الذهن، وإعداد النشء الجديد، لكن الفارق الأساسي بينهما أن الأولى اهتمت بصيانة الصبغة الدينية والدعوية،

وخدمة العلوم الإسلامية وتغلب على الثانية تأثير العلوم العقلية والشغف الزائد بها^(١).

الطفل السائح الذي يقوم بزيارة إلى الديار الهندية يمكن له أن يرى حالياً أكثر من مئات الألوف مؤسسة علمية ومدرسة دينية تعنى بالعلوم الإسلامية والمادية معا. وبعضها وصلت إلى المستوى الجامعي تجرى فيها بحوث جادة تتعلق بالتراث الإسلامي من أصول الدين والشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي وحضارته واللغة العربية وآدابها.

الأهداف الرئيسية من سياحة الأطفال إلى الهند:

والسياحة لا يكتمل جدواها إلا إذا رجعت بالفوائد على من يقوم بها. وسياحة الأطفال إلى الهند تقدم إلى الطفل كثيراً من المعلومات التي لم يكن يعيها. ونخطط بهذه السياحة النافعة إلى الأهداف التي تساعد في تكوين شخصياتهم في المستقبل. وذلك حسب المعلومات الإيجابية التي يكتسبها الطفل من هذه السياحة. ومن أهم الأهداف التي نتوخى للطفل المسلم أن يتعلمها، ونكون شخصيته على النمط الإسلامي، مستنبطين من مشاهدة هذه الآثار الإسلامية فهي ما يلي:

(١) مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ومدارسها. مقالة لدكتور سعيد الأعظمي الندوي. في كتاب اللغة العربية في الهند (الأوراق العلمية المقدمة لندوة المركز ضمن مشاركته في فعاليات - سوق عكاظ- في دورته الثامنة). مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض ٢٠١٦م. الطبعة الثانية. صفحة: ٢١.

أولاً: الهدف الديني:

والهدف الديني من أهم الأهداف التي نسعى إلى ترسيخها في نفوس الأطفال خلال هذه السياحة إلى الآثار الإسلامية في الهند. فمن رؤية هذه المنارة الإسلامية الشامخة في عاصمة الهند نيودلهي، يدرك الأطفال بحسنة الإسلام، إذ إنه جعل العبيد سادة والماليك ملوكا، فقد خلف الغوريّ (Ghori) مملوكه قطب الدين وخلفه مملوكه شمس الدين^(١). والملك شمس الدين إلتمش كان تقيا يضرب به المثل في حسن سيرته وفي تمسكه بالتعاليم الإسلامية. وكان بلاطه الملكي يعجّ بالعلماء الذين برعوا في مختلف الفنون الإسلامية. وأيضاً هذا الملك العادل يعنى العناية الفائقة بالتعاليم الإسلامية لكي تقوم دولته على العدل والمساواة التي تعلمه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وهناك قصة تتناقلها الأجيال الهندية المسلمة، وذلك لما مات الصوفي الشهير السيد قطب الدين بختيار الكعكي رحمه الله^(٢)، وكان من وصاياه بعض الشروط الغربية فيمن يكون إماما على جنازته، ومن الشروط أن يكون الإمام رجلا صالحا لم يرتكب حراما في عمره ولم يترك راتبة العصر في حياته. وهذه الوصية أدهشت الجميع حيث لم يتجرأ أن يتقدم إلى تنفيذ وصيته أحد من الحشد الكبير والجم الغفير، حتى تقدم السلطان شمس الدين إلتمش (Shamsudheen Iltutmish) بعينه

(١) أبو الحسن علي الندوي، القراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، الأكاديمية الإسلامية ليستر - بريطانيا. ٢٠٠٣م. ص ٢٢١.

(٢) الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي، كان عالما وداعية كبيرا في الهند، أسلم على يديه العدد الكبير من الهندوسيين. وهو خليفة الشيخ الصوفي معين الدين الجشتي الأحميري، المؤسس للطريقة الجشتية في الهند.

الباكيتين قائلاً: ما أردت أن أعلن سريرتي وعلاقتي مع خالقي سبحانه وتعالى، إلا أن وصية الشيخ رحمه الله قد أوجبت عليّ تنفيذ هذه الوصية، ثم تقدم إلى الصلاة حيث إنه هو الوحيد الذي تنطبق عليه تلك الوصية.

ثانياً: الهدف الأخلاقي:

والسياحة المؤثرة لا يكتمل مفادها إلا إذا غرست القيم الأخلاقية في نفوس الأطفال، لأن غرس القيم من أهم الأهداف الموجهة إلى الأطفال. ولأجل هذا، يتوجب على المخطط في السياحة العائلية أن يتأكد بأن خططهم لسياحة الأطفال لا تخلو من القيم والمثل والأخلاق التي تهدف إليها السياحة العائلية. وهناك أمور تدفع الطفل لمعرفة الكثير من القضايا الخلقية والتي تتمثل في سير السلاطين ومن في بلاطهم الملكي من العلماء الأجلاء. وقد يعجز الطفل عن إدراك ماهية الأمور إما لصغر سنه وإما لشيوع بعض الشائعات السلبية المنتشرة في محيطه ومجتمع.

وخير مثال لهذا، واقعة يسردها تاريخ الهند بلغة حزينة، وذلك لما أسرف السلطان شاه جهان الملك المغولي الشهير، وجاوز الحدود في إضاعة الأموال العامة. لأن الملك كان يريد أن يبني ضريحاً آخر في ضفة النهر يامونا (Yamuna River)، الذي في ضفته الأخرى بنى السلطان ضريح تاج محل الشهير. وأصابه بعض الأمراض المزمنة. فتولى الإمارة ولي العهد السلطان أورنغزيب عالمكير (Aurangzeb Alamgeer) رحمه الله. وكان السلطان عالمكير ملكاً صالحاً وتقياً عادلاً جعل الشريعة الإسلامية دستوراً في سلطنته. ولإحيائه روح الإسلام ولتجديد السنة النبوية في مملكته، قام المؤرخون الهنود وكيون بتشويه سيرته وتصويره متطرفاً دينياً، ويزعمون بأن السلطان أورنغزيب اعتقل أباه وقتل أشقائه للحصول على الزعامة الهندية. وهنا يتضاعف

دور الآباء الذين في إمكانهم أن يقودوا الأطفال إلى الحقيقة التاريخية المشوهة، المدونة لأجل إدانة هذا الدين الحنيف ورجاله وحضارته، وإلى الأخلاق الفاضلة التي تحلّى بها هؤلاء الربانيون في حياتهم.

ثالثاً: الهدف الاجتماعي:

الوضع الاجتماعي الذي كان يسود المجتمع الهندي في العهود التي قدم الإسلام فيها إلى الهند، هو وضع أليم تقشعر منه الجلود. لأن الطبقات الدينية الهندوكية التي سيطرت على المجتمع الهندي قد أختنقت العيش والبقاء عند المنبوذين (Untouchables) من الهندوس، لأنهم يحتلمون الأذى والمشقة من الطبقات الهندوكية العليا، ويتضررون في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكان من سوء حظ هؤلاء المنبوذين أنهم لا يُؤذَنون للدخول إلى الهياكل والمعابد الهندوكية. وفي مثل هذا الوضع الاجتماعي جاء الإسلام برسالة: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»، ورفع الإسلام شعار المساواة بين الناس، ومدد الإسلام يد المعونة والمساعدة إلى المنبوذين والطبقات السفلى. والطفل السائح سوف يشاهد في الهند هذه التفرقة بين الناس حسب النسب واللون والعرق، فيتعزز في أفكاره سمو الدين الإسلامي علوه في المجتمع العالمي.

ومن أهم الدراسات التي تقدم هذه السياحة إلى الطفل المسلم، فهي أن ديننا لا يفرق بين الأفراد حسب الولادة واللون والجنس. لأن تاريخ المسلمين في الهند يشهد على أن الدين لم يفرق بين من يدينون به حسب هذه المعايير. وتاريخ السلطنة رضية (Raziya Sultana) خير شاهد على مساواة الإسلام، لأن هذه الملكة

اعتلت على عرش السلطنة الإسلامية في دلهي بعد وفاة والدها السلطان المملوكي شمس الدين إلتمش (Shamsudheen Iltutmish). وكذا تشهد صفحات التاريخ بمهارتها السياسية وحذاقتها الإدارية. وإليها تعود الأسبقية فيمن سيطرت على الدولة الإسلامية من السيدات.

رابعاً: الهدف المعرفي والتثقيفي:

والهدف الرئيسي من سياحة الأطفال إلى الآثار الإسلامية في الهند، هو تعليم الأطفال وتثقيفهم بالمعارف الإسلامية والعلوم الإنسانية. وبلاد الهند تفتخر بانتمائها إلى اللغة العربية وإلى العلوم التي نشأت في كنف هذه اللغة العالمية. ومنذ أن دخل الإسلام إلى تربتها تكونت معها بيئة اللغة العربية، والتي بينها وبين الإسلام تناسب تام وانسجام لا ينحل. وحركات اللغة العربية والدراسات الإسلامية لا تزال تزدهر في الديار الهندية بفضل هؤلاء العلماء الذين كانوا كواكب تتلألأ في البلاط الملكي للسلطين المسلمين في الهند. أما الجهود العلمية التي قام بها هؤلاء العلماء ومن سلك مسلكهم ممن تبعوهم فهي مساهمات ملحوظة ليس في إمكاننا أن نجعلها في حدود السطور.

خامساً: الهدف القومي:

الاعتزاز بالوطن مما يدفع الأطفال إلى القيام بخدمتهم تجاه الوطن، لأن مستقبل أي وطن أو قوم لا يتحقق إلا بتنشئة أجيال جديدة تحمل في أفكارهم علو الوطن ومجده في الأيام القادمة. والدول المتقدمة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بخطط تعني بتنشئة أجيالهم إلى ما تحتاج إليه دولهم. ومن رؤية هذه الآثار الإسلامية في الهند،

تزداد معرفة الطفل بمفاخر آبائهم فيعتز بانتمائه إلى هذا الوطن الذي سيطر عليه الإسلام في يوم من أيامها. لأن القوة العربية الإسلامية كانت تسيطر على هذا البلد الإسلامي في أيامها المزدهرة. وحينما يعرف الطفل المسلم هذا التاريخ سوف يكون معترًا بهذا الوطن وساعيا إلى خدمته ورفعته.

سادسا: الهدف التاريخي:

لا حاضر لأمة تجهل ماضيها، ولا مستقبل لأمة تنسى فضائلها. والأمة الإسلامية أمة تفتخر دائما بتاريخها المشرق وماضيها الجميل. فنهذف خلال سياحة الأطفال إلى الآثار الإسلامية في الهند إلى أهداف تاريخية من أهمها أن نربط بين الطفل وبين تاريخه الناصع في الديار الهندية. لأن هذا بلد كان يحكمه المسلمون طوال ثمانية قرون متتالية. وقد يدهش الطفل السائح ويتعجب مما يشاهده من آثار إسلامية خلفتها الدولة الإسلامية في الهند. وهذه الآثار الإسلامية تدل على عناية الملوك والسلاطين المسلمين في الهند بالمعالم الإسلامية والدينية في ممالكهم وسلطنتهم. وقد فتحوا هذا البلد من جور الحكام وأقاموا فيه العدل والتسامح الديني والتعددية الثقافية.

ومن الهدف التاريخي أيضا التعرف على سير السلاطين ومعرفة أحوالهم. وذلك لتوجيه سلوك الأطفال بقيم إسلامية من الشخصيات التاريخية في الهند. كشخصية السلطان أورنغزيب عالمكير رحمه الله^(١) الذي يصفه التاريخ سادس الخلفاء الراشدين

(١) اسمه محيي الدين محمد (٣ نوفمبر ١٦١٨ - ٣ مارس ١٧٠٧) المعروف بلقبه الملكي عالمكير (لقب فارسي بمعنى فاتح العالم)، كان الملك السادس من الملوك المغوليين، والذي يعتبر على نطاق واسع آخر إمبراطور المغول الفعال. استمر حكمه ٤٩ عاما من ١٦٥٨ حتى وفاته في ١٧٠٧ م.

بعد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. وكان رحمه الله يحصل على مؤنته ومؤنة عائلته الملكية من كسب يده. وكان السلطان رحمه الله ينسج القلنسوة ويكتب القرآن ثم يبيعه كي يعول نفسه. وهذه عبر لها آثار إيجابية في نفوس الكبار قبل الصغار. وهناك شخصيات بارزة أخرى في صفحات التاريخ الهندي. وسرد تاريخهم للطفل السائح وهو واقف أمام هذه الآثار الإسلامية، سوف يساعده لتعزيز قيمة هذا التاريخ في نفسه ومشاعره.

سابعاً: الهدف الجمالي أو الذوقي:

وظيفة السياحة أولاً تعتمد على الهدف الجمالي أو الذوقي، لأن الإمتاع وتسليّة النفس هما من أساسيات السياحة، أي كان نوعها. فإذا فُقدَ هذا الهدف الأساسي فلن نستطيع أن نسميها سياحة، ولكن هي مجرد مشاهدة لا تسمن ولا تغني من جوع. وحتماً، سوف يحصل الطفل السائح إلى الآثار الإسلامية في الهند على هذا الهدف الجمالي أو الذوقي، لأن رؤية الفنون المعمارية المتمثلة في الأضرحة والقلاع والحصون التي شيدها المسلمون في أيامهم على الطراز الإسلامي الهندي تقوده إلى عالم خيالي كان يحكمه آباؤه وأجداده. وهذه المشاهدة سوف تثري خيال الطفل بما ينمي قدرته على الإبداع والابتكار، وربما حاول أن يسير على خطاهم.



الختام

تأتي أهمية سياحة الأطفال إلى الآثار الإسلامية في الهند حينما نحقق هذه الأهداف التي أشرنا إليها في الفقرات السابقة. وهذه السياحة سوف تنمي شخصيته الإسلامية والإنسانية معا. ومن الناحية النفسية يتمتع الطفل بهذه السياحة إمتاع النفس وتسليتها. وبمشاهدة الآثار الإسلامية سوف تكبر ثقته وتزداد عزته بالدين الإسلامي وكذا تعزز بالعروبة إذ الهند كانت تزدهر بآثارها حينما كان العرب يحكمها. ومن الناحية الثقافية تلعب هذه السياحة دورا هاما في إثراء معلومات الطفل عن الطبيعة وعن العالم الخارجي والأجناس والثقافات الأخرى. ومن مشاهدة هذه الآثار التراثية يتعرف الطفل على التراث الإسلامي في الفن المعماري عن طريق الرؤية. وكذا هذه المشاهدة سوف تشحن خيال الطفل ويدفعه إلى الإبداع والابتكار. وأما اللغات الكثيرة الموجودة في الهند فهي أيضا تفتح بابا جديدا في مشاعر الطفل الصغير. وكل هذه القلاع والأضرحة والباحات آيات في الهندسة، وبتدقيق النظر إلى جمال هذه الآثار الإسلامية يتطور ذوق الطفل الفني وحسه الجمالي.

ومن الناحية الاجتماعية والأخلاقية، تساعد سير السلاطين والملوك الذين حكموا الهند في نمو القيم الخلقية والاجتماعية عند الطفل. وكذا يتبته الطفل إلى القيم الإنسانية التي توجد في قصصهم ومغازيهم. ويتضاعف دور الآباء في ترسيخ القيم الإسلامية والإنسانية، ذلك لأن الطفل قد يكون متحيرا عند مشاهدة بعض الآثار والاستماع إلى القصة وراءها، وذلك أن حياة السلاطين والملوك قد تكون فيها

الاتجاهات الإيجابية كما تكون فيها الاتجاهات السلبية والسلوك المرغوبة عنها. فعلى الوالد أن يشير إلى السلوك الإيجابي وينصح الأطفال على أن يسيروا عليه.

على أي حال، فإن المخطط (الوالد أو الوالدة أو الولي) لهذه السياحة، يعني سياحة الأطفال، لا بد أن يكون شخصا يمتلك قدرات فنية عالية، وواعية بطبيعة الطفل وبالمداخل إلى عالمه ونفسيته.



قَائِمَةُ الْمَصَانِيرِ

- ١- عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥ م.
- ٢- الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٩٨٠ م.
- ٣- أبو الحسن علي الندوي، القراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، الأكاديمية الإسلامية ليستر- بريطانيا، ٢٠٠٣ م.
- ٤- الدكتور عبد الرزاق حسين، الأطفال في التراث العربي، إدارة الثقافة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩١ م.
- ٥- صهيب عالم، تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٦ م.
- ٦- نظام الدين أحمد بن محمد مقيم، المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ م.
- ٧- الدكتور محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب مصر، ١٩٧٠ م.
- ٨- موسى زينل، ندوة أدب الطفل، في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مارس ١٩٨٩ م.
- ٩- تاج الدين المناني، كتاب المؤتمر: نشأة وتطور أدب الأطفال في اللغة العربية، ٢٧-٢٩ يناير ٢٠١٦ م، قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا، ٢٠١٦ م.

١٠- الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ومدارسها، مقالة في كتاب اللغة العربية في الهند (الأوراق العلمية المقدمة في ندوة المركز ضمن مشاركته في فعاليات «سوق عكاظ» في دورته الثامنة)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م.

١١- محمد عبد الكريم الهدوي، الفن المعماري الإسلامي، مقالة في جريدة الفنون، رقم العدد ١٥٦، سبتمبر ٢٠١٤م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت.

١٢- سروت سولت، تاريخ الأمة الإسلامية المختصرة (في اللغة المحلية)، المترجم: عبد الرحمن منور، كاليكوت، كيرالا/ الهند، طبعة خامسة، ٢٠١٦م.

13- Rowlinson, H.G, Intercourse between India and the Western World – from the earliest time of the fall of Rome, Cambridge University Press – 1916





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

المتاحف الإسلامية وأثرها المستقبلي على الاقتصاد

إعداد

د. عبد الكريم بن محمد بناني

رئيس جمعية البحث في الفكر المقاصدي بالمغرب

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه، وسلم وتسليماً كثيراً، وبعد:

لا يخفى على كل عارف بالشأن الثقافي الأهمية التي يكتسيها المتحف في الحياة الثقافية والعلمية والفنية والسياحية، إذ يشكل بنية أساسية تُسهم في التعريف بالمجتمع وبأنماط الحياة المختلفة وعاداتها المتنوعة، وجذورها التاريخية والحضارية، وربط الأجيال الحديثة بماضيها، من خلال ما تمتلكه من تحف فنية وحضارية وبرامج توعوية، مستخدمة وسائل العصر الحديثة لتصل لمختلف شرائح المجتمع.

هذا الدور يتوسع ويتطور ويأخذ أبعاداً أكثر رمزية وروحانية حين نخرج ناحية المتحف الإسلامي، فقد أضحت هذه المتاحف - مع الاهتمام الذي باتت تعرفه في الآونة الأخيرة - ركيزة اقتصادية مهمة، لا يخفى أثرها ولا يغفل دورها ولا ينسأ أثرها، فإلى جانب حماية التراث والموروث الثقافي والديني، يبرز الدور الاقتصادي المرتبط بفضاءات المتحف وما يقدمه من خدمات ومنافع تسهم في تطوير هذا البناء، وكذا الأورش التي تفتحها والمعارض التي تقيمها في المدارس والجامعات والأماكن العامة للتعريف بالماثر الإسلامية، فلا يقتصر دور هذه المتاحف على الجوانب التقليدية المرتبطة بالتعريف بالمقتنيات أو المآثر أو التاريخ، بل تجاوز ذلك إلى خلق التفاعل المباشر وإقامة المعارض في المراكز التجارية والأماكن السياحية، وتعزيز بنية المدن وتطويرها، وخلق فرص للعمل متنوعة ومتخصصة،

وخلق الرواج الاقتصادي الذي تتأسس لبناته من خلال الزيارات والتواصل والتفاعل والأنشطة.

كما أن العديد من هذه المتاحف الإسلامية بدأت تستعمل التقنيات الحديثة داخل المتحف كالمشهد الإلكتروني المتعدد اللغات، والمطويات التعريفية والمقتنيات المرتبطة بالثقافة الإسلامية وهو ما يساهم في خلق رواج اقتصادي كبير، يشكل إلى جانب الركائز الاقتصادية الأخرى بنية أساسية تمكن من البناء والتطوير الاقتصادي.

ولهذه الأهمية التي أصبح المتحف الإسلامي يقدمها، سارعت العديد من الدول الإسلامية إلى إنشاء هذه المتاحف والعمل على تطويرها، فنجد من هذه المتاحف، مثلاً: متحف الشارقة للحضارة الإسلامية الذي يضم أزيد من خمسة آلاف قطعة فنية، متحف الآثار الإسلامية والتركية في إسطنبول، متحف بيت القرآن في المنامة، متحف الفن الإسلامي في القاهرة، متحف الفن الإسلامي في برلين، متحف الفن الإسلامي في كوالالمبور، متحف عمان، إلى غيرها من المتاحف الإسلامية المتميزة.

وانطلاقاً من هذه الأسس ارتأيت أن أقدم هذه المداخله ضمن هذا المؤتمر المبارك، محاولاً إبراز الدور الاقتصادي الحالي الذي تقدمه هذه المتاحف، والرؤية المستقبلية لأثرها على الاقتصاد، والمسعى التي ينبغي أن تبذل في سبيل تحقيق هذه الغايات.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة، في أنها تتغيا التعريف بالمتاحف الإسلامية وأهم ما يميزها عن باقي المتاحف الأخرى، وتوضيح الصورة الحالية لهذه المتاحف،

ومستقبلها في ظل التطورات التقنية والتقدم التكنولوجي، والأسس الاقتصادية التي تُسهم هذه المتاحف في بنائها وتطويرها، والآليات التي يمكن من خلالها دعم هذه المتاحف للمساهمة في بناء اقتصاد حقيقي.

أهداف الدراسة وفرضياتها:

تأسيساً على ما سبق، يمكن القول أن الهدف الرئيسي من الكتابة في هذا الموضوع، يقوم على أساس الارتباط بهدفين، والإجابة على تساؤلات وفرضيات مهمة.

الهدف الأول، يُعنى ببيان الوجه الاقتصادي الحقيقي الذي تؤسسهُ المتاحف الإسلامية، وتأثيرها الحالي في الاقتصاد.

والثاني، يُعنى باقتراح الأفكار التي من شأنها تطوير الاقتصاد من خلال العناية بالمتاحف الإسلامية وتطوير الآليات التي تمكّن من تحقيق هذا الهدف.

أما التساؤلات التي ستجيب عنها المداخلة، فهي:

ما هي أهم التدخلات أو المخططات التي يمكن من خلالها خلق ديناميكية لهذه

المتاحف، وإشعاعها على مستوى التنمية البشرية وتعزيز الهوية الإسلامية؟

وهل يمكن تحويل هذه الثروة اللامادية إلى ثروة مادية فاعلة قادرة على

الجذب السياحي، ومساهمة كذلك في تعزيز البيئة الثقافية من خلال رؤية مستقبلية

لهذه المتاحف؟

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لما تطلّبتَه الدراسة من جمع وتوصيف للمعطيات وتحليلها انطلاقاً من العناصر الاسترشادية التي تتأسس عليها محاور المؤتمر، وبما يحقق الغاية من البحث.

وقد جاءت عناصر الدراسة ومحاورها الأساسية الكبرى، كالآتي:

تمهيد، في تعريف المتحف الإسلامي.

المبحث الأول: مساهمة متاحف الإسلام في تعزيز البنية التحتية واثمين الموارد البشرية.

المبحث الثاني: مساهمة متاحف الإسلام في محاربة الاكتناز وتشجيع الاستثمار.

المبحث الثالث: رؤية مستقبلية لتوسيع الاستفادة اقتصادياً من متاحف الإسلام.

خاتمة، تضمنت خلاصة الدراسة ونتائجها.

فأقول وبالله التوفيق



تمهيد، في تعريف المتحف الإسلامي

لا شك في أن من أهمّ الطرق الموصلة إلى العلم «معرفة اصطلاحات أهله»^(١)، وأن المصطلح هو «اللبنة الأولى من كل علم، بما هو مدار كل علم، به يبدأ وإليه ينتهي»^(٢)، بل إذا شئنا الحقيقة فإن «المصطلح هو العلم، ذلك قول يجري مجرى القاعدة في جميع العلوم»^(٣).

لذلك، أرى أنه من الضروري بيان المراد والمقصود بمصطلح «المتحف الإسلامي»، خاصة أن أغلب الدراسات لم تقف عند هذا التعريف المركّب.

أولاً: المتحف في اللغة:

المتحف اسم لقب، يعود لمادة (تحف)، وهي في اللغة، من التحفة أي الطرفة، جاء في لسان العرب: «التُّحْفَةُ: الطُّرْفَةُ من الفاكهة وغيرها من الرِّياحين.

والتُّحْفَةُ: ما أُتِحِفَتْ به الرجل من البرِّ واللُّطْفِ والنَّغْصِ...»^(٤).

وهو «موضع عرض التُّحَفِ الفنيّة أو الأثريّة أو العلميّة أو غيرها»^(٥)، فهو مكان

(١) الموافقات في أصول الشريعة. أبي إسحاق الشاطبي. تحقيق: عبد الله دراز. ١/ ٩٧. ط. ١. دار الكتب العلمية. لبنان. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) المصطلح الأصولي عند الشاطبي. د. فريد الأنصاري. ص. ١١. معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العلمي للفكر الإسلامي. ط. ١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) المصطلح الأصولي عند الشاطبي. د. فريد الأنصاري. ص. ١١. بتصرف. مرجع سابق.

(٤) لسان العرب. ابن منظور الإفريقي. مادة تحف. ط. ١. دار صادر. بيروت. لبنان. ٢٠٠٠م.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصر. أحمد مختار عبد الرحيم عمر. مادة (تحف). عالم الكتب. ط ١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨.

تجمع فيه عموماً التحف، «والتحف هي الشيء النادر الثمين الذي تتزايد قيمته كلما بعد الزمن الذي تعود إليه، والمعنى أو الموضوع الذي تدلّ عليه»^(١).

أما أصل الكلمة «متحف»، فهو يوناني، ولها ارتباط وثيق بكلمة MUSA، التي تدل على سيد الجبل، أو امرأة جبلية، وهي بالانجليزية Museum، وبالفرنسية^(٢) Musée، وكلمة Mouseion عند الاغريق تعني المكان المرتبط بأرباب الحكمة Muses^(٣).

فالمتحف إذن، منشأة علمية وثقافية نشأت نتيجة لتجميع مقتنيات عديدة بغية المحافظة عليها، وتشمل التراث الإنساني ومجموعات التاريخ الطبيعي أو الصور^(٤)، وقد طغت عليه النظرة الكلاسيكية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فكان مجرد قاعة داخل كنيسة أو قصر يجمع الأشياء النفيسة، والهدايا وطرائف الحياة، ليصبح بعد ذلك مبنى مستقلاً صمّم خصيصاً ليحتوي على الأشياء والتي كانت تعرض بصفة عشوائية تلبية لرغبات ممتلكيها من النبلاء والحكام^(٥)، ثم شهد تطورات

-
- (١) مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. مادة (تحف). تحقيق: يوسف الشيخ. المكتبة العصرية، صيدا بيروت. ط ٤/١٩٩٨. وانظر القاموس الجديد. علي بن هادية بلحسن. ص ٩٩٧. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. ١٩٧٩.
- (٢) فن المتاحف. علي رضوان. ص ١. كلية الآثار القاهرة. ١٩٨٢.
- (٣) فن المتاحف. سمية حسن محمد. ص ٩. دار المعارف. القاهرة. (د. ت.).
- (٤) متاحف مكة وأساليب تطويرها «دراسة تحليلية». عوض عمر عوض قندوس. ص ٢٨. ماجستير بجامعة أم القرى كلية التربية. غير منشور.
- (٥) مكاتب المتاحف الوطنية الجزائرية. شروط وإمكانيات الربط على شبكة الإنترنت. مالكي زوهير. ص ٢٩. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية. جامعة وهران. ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩. غير منشور.

متسارعة جعلت منه مركزا خاصا يضم تحفا ونوادير ومقتنيات تبرز حضارة الإنسانية في مجالات مختلفة.

وقد أعطى المجلس الدولي للمتاحف International Council of Museums (ICOM) أول تعريف للمتحف سنة ١٩٤٨، بعدما وضعت عدّة تعديلات على هذا التعريف، لتتناسب وتطور المتاحف وإدراج وإنشاء منشآت متحفية جديدة، فجاءت الصيغة الجديدة كما يلي: «المتحف هو معهد دائم، دون هدف ربحي، في خدمة المجتمع وتطوره، مفتوح أمام الجمهور، وتجري فيه البحوث المخصصة للشواهد المادية للإنسان وبيئته، يجمعها ويحفظها ويقدمها للجمهور، بهدف الدراسة والتعليم والترفيه»^(١).

وأهم ملاحظة يمكن تسجيلها على هذا التعريف، الذي حدّد شروط المتحف، هو تنصيبه على عدم الاستفادة المادية من المتحف، وهي الصيغة التي ينبغي إعادة النظر فيها، باعتبار أن المتحف له أهداف حضارية وتاريخية ومعنوية أكثر منها مادية، لكن الواقع المعاصر يفرض أن يكون للمتحف دور اقتصادي أيضا، من خلال مساهمته في تنمية المجتمع والدفع بعجلة تطوير المنظومة الاقتصادية بما يحقق الاستفادة من المادية والمعنوية، دون إغفال القصد الأصلي من إنشائه.

أما الموسوعة العربية العالمية فقد عرفت المتحف، بأنه: «دار لحفظ الآثار القديمة، والمتحف النادرة، وروائع المنحوتات، واللوحات الفنية، وكل ما يتصل

(١) Lamuséologie histoire developpements enjeux actuels. Gobandré et drouget .noémie. p31. 2eme edition. armand colin. paris. 2006

بالتراث الحضاري، وعرضه للجمهور، وقد يضم المتحف أعمالاً علمية، وأعمالاً فنية، ومعلومات عن التاريخ والتقنية، وكذلك تقدم المتاحف معلومات للباحثين والطلاب وغيرهم^(١).

وفي هذا التعريف الجامع، يتضح أن تطوّر عمل المتحف، مؤسسٌ لمفاهيم جديدة في تدقيق المعاني، فلا تقتصر مهام المتحف على الحفظ والتجميع والعرض، بل تتعداه إلى تقديم خدمات علمية للباحثين والمختصين، مما يؤكّد الأهمية التي بات المتحف يجسدها داخل المجتمع.

ثانياً: أقسام المتاحف:

المتبع لأنشطة المتاحف، ولتاريخها، يلحظ تنوعاً في هذه الأنشطة، وفي الحضارة المادية التي تقدمها، ولذلك تم تقسيمها وفق هذه الرؤية، فمثلاً هناك تقسيم وضعه «جورج هنري ريفي»^(٢) الذي «قسم المتاحف إلى أربع مجموعات رئيسية كالاتي:

١ - متاحف الفنون وتشمل:

متاحف الفنون التطبيقية.

متاحف المشاهد المسرحية.

متاحف الموسيقى والرقص.

المتاحف الأدبية.

(١) الموسوعة العربية العالمية. مجموعة من الباحثين. ١٤ / ١٧٣. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر

والتوزيع. ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩.

(٢) هنري جورج هو اقتصادي ومؤلف وسياسي أمريكي.

متاحف التصوير والسينما.

متاحف العمارة.

٢- متاحف علوم الإنسان، وتشمل:

متاحف التاريخ والآثار وعصور ما قبل التاريخ.

متاحف الأنتولوجيا والأنثروبولوجيا والفلكلور.

المتاحف التعليمية.

المتاحف الطبية.

٣- متاحف العلوم الطبيعية.

٤- متاحف العلوم والتقنيات»^(١).

كما توجد عدّة تصنيفات أخرى متبعة في الدول العالمية، وأغلبها يدور حول ثلاثة مجالات رئيسية هي الفنون والتاريخ والعلوم مثل التصنيف المتبع في المتاحف البريطانية^(٢).

ثالثاً: تعريف المتحف الإسلامي:

انطلاقاً من تعريف المتحف، وبناء أيضاً على تقسيمات المتاحف، يمكن القول: أن المتحف الإسلامي هو «مؤسسة أو مركز أو معهد لحفظ وعرض المقتنيات من

(١) Leçon georgehenrivièrè. in la muséologie selon georgehenri. gerogehenri .rivière. p90. texte et temoignagesdunod. paris 1989

(٢) انظر: متاحف الآثار هويتها تطورها وواقعها المعاصر. سعيد الحججي. ص ٥٥٧. مجلة جامعة دمشق. المجلد ٣٠، العدد ٣ و٤ / ٢٠١٤.

المتحف والفنون الإسلامية التي تغطي فترات زمنية معينة، تعمل على خدمة المجتمع وتطويره، وتسعى إلى التعريف بالثقافة والحضارة الإسلامية».

فالمتحف الإسلامي إذن هو المكان الأمين الذي يحفظ فيه التراث الإسلامي: الحضاري والفني والصناعي والطبيعي والتاريخي على مرّ العصور التاريخية المختلفة. فربط المتحف بالإسلامي، يحدّد ماهية هذا المتحف، حيث يمكن اعتبار هذا التخصيص بمثابة التصنيف العام الذي يمكن أن يقسم بعد ذلك بحسب اختصاصه، فلا يمكن إدخال المتحف الإسلامي ضمن أيّ قسم معين، كقسم الآثار أو الفن، أو العلوم الطبيعية أو الطبية، بل هو قسم مستقل يضم مجموعة من التصنيفات:

- قسم المخطوطات

- قسم الآثار

- قسم الفنون

- قسم العلوم الطبية والطبيعية. . . . وهكذا.

فالمتحف الإسلامي، يرتبط بالحضارة التاريخية لهذه الأمة، والتي تعكس الثقافة والفن والتربية والتاريخ المرتبطة جميعها بالإسلام.

رابعاً: نماذج متميزة من المتحف الإسلامي:

يعرف العالم الإسلامي نماذج مشرفة ومتطورة من متاحف الإسلامية، أهمها وأبرزها متاحف دولة الإمارات العربية المتحدة التي عملت على تطوير هذا

النموذج الحضاري، بناء على رؤية استشرافية للمستقبل، من هذه المتاحف المتميزة عموماً، نذكر:

- متحف الشارقة للحضارة الإسلامية: يعد متحف الشارقة للآثار أحد أهم متاحف في الشارقة، وهو يهدف إلى حفظ الآثار، وعرضها وتعريف الجمهور بها، باعتبارها الكنز الذي لا يقدر بثمن، ليحكي هذا المتحف قصصاً تعود إلى العصر الحجري، وقد افتتح صاحب السمو حاكم الشارقة المتحف في مبناه الجديد بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٩٧ م، وهو يحتضن في قاعاته قطعاً أثرية تعود للعصور التاريخية التي سبقت انبلاج فجر الإسلام، خاصة العصر الحجري القديم (٥٠٠٠-٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد، ومنها الأواني والقطع الفخارية والمصنوعات الحجرية والمعدنية، وكذلك الحلي والمجوهرات والقطع النقدية وتمائيل الحيوانات والبشر الصغيرة، إضافةً إلى نماذج لهياكل عظمية ومدافن ومنازل اكتشفت في مواقع عدة تتناثر في أراضي الإمارة وتعود للفترة الزمنية المذكورة، ويقع المتحف في ضاحية حلوان على مقربة من ميدان الثقافة الشهير بالشارقة، ويعد أول متحف متخصص في الآثار على مستوى دولة الإمارات، ويعرض المكتشفات الأثرية التي وجدت في الإمارة، وتعود للعصور السابقة للإسلام، وهذه المكتشفات جاءت نتيجة الجهود الحثيثة لعلماء الآثار الذين توافدت بعثاتهم على الشارقة منذ مطلع عام ١٩٧٣ م وحتى وقتنا الحاضر، كما أنها نتيجة جهود بعثة التنقيب المحلية التي بدأت عملها برئاسة الدكتور صباح جاسم منذ عام ١٩٩٣ م وهي تتبع إدارة الآثار، إحدى إدارات دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة^(١).

(١) انظر مقال: متاحف الدولة منارة ثقافية رائدة تحتضن أمجاد الماضي وإشراقه الحاضر. هناء حمادي. تاريخ النشر ١٩ مايو ٢٠١٣. موقع الاتحاد alittihad. ae

- متحف الشارقة للتراث: افتتح عام ٢٠١٢ بحلته الجديدة في منطقة الشارقة التراثية «قلب الشارقة»، بعد أن خضع لخطة توسع وتطوير، وكان قد تم افتتاحه أوائل عام ٢٠٠٣، ويعرض هذا المتحف، عادات وتقاليده وثقافة إمارة الشارقة الثرية والمحافظة عليها كمصدر فخر وإيجاء لأهالي الإمارات للإطلاع على تراث الأجداد لزواره من خلال القاعات الحديثة والمتجددة.

ويسعى المتحف إلى إثراء الحياة الثقافية والفنية لمجتمع الشارقة وزوارها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي من خلال مقتنياته الفنية وبرامجه وخدماته، ومنذ افتتاح هذا الصرح الفني في أبريل ١٩٩٧م، أصبح أكبر قاعة عرض في منطقة الخليج تحتوي معروضات دائمة ومؤقتة لفنانين مشهورين^(١).

- متحف دبي: يقع متحف دبي في قلعة الفهيد، التي يرجع تاريخ إنشائها إلى العام ١٧٨٧ وهي أقدم مبنى قائم في المدينة، يضم عروضاً مبهجة تصوّر الحياة اليومية في عصور ما قبل اكتشاف النفط في دبي في الستينات من القرن العشرين، ويتميز هذا المتحف الذي تمّ افتتاحه في العام ١٩٧١ بالمعارض الفنية التي تصوّر البيوت العربية القديمة والمساجد والأسواق التراثية ومزارع البلح والحياة الصحراوية والبحرية، كما يشمل المتحف أيضاً عرضاً حول الغوص لاستخراج اللؤلؤ مع عرض مجموعات من أوزان وموازين ومناخل تجار اللؤلؤ. يمكنك أيضاً التعرف على المصنوعات اليدوية القادمة من أفريقيا وآسيا ورؤية ما عُثر عليه محلياً من خلال عمليات الحفر المتعددة التي تعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد^(٢).

(١) انظر المرجع السابق. وموقع: قلب الشارقة www.heartofsharjah.ae

(٢) انظر موقع اكتشف دبي: www.visitdubai.com

- متحف الآثار الإسلامية بإسطنبول بتركيا: يقع متحف الآثار الإسلامية (Türk ve İslam Eserleri Müzesi)، والذي يضم عددًا كبيرًا من الآثار الإسلامية التركية والمخطوطات القديمة، في ميدان السلطان أحمد بإسطنبول التركية. هذا المتحف كان في البداية قصرًا خاصًا لإبراهيم باشا، وهو وزير وزوج ابنة السلطان سليمان القانوني، وفي عام ١٩٨٣ تم تحويل المتحف من كُليّة السليمانية إلى هذا القصر ليكون متحف الآثار الإسلامية التركية قائمًا بذاته.

حيث يُعد من أندر المتاحف في العالم من ناحية المخطوطات المعروضة، والتي يعود تاريخها إلى الفترة ما بين القرن الثامن والتاسع عشر، وتصل أعدادها إلى ١٥ ألف مخطوطة. وإلى جانب ذلك تُعرض فيه قبعات فخمة، وسجاجدات، تمثل حضارات وثقافات مختلفة للشعب التركي^(١).

- متحف الآثار الإسلامية في المسجد الأقصى: يعدّ متحف الآثار الإسلامية من المعالم الرئيسية المهمة في المسجد الأقصى المبارك، ومن رموز الحضارة الإسلامية وفنونها الرائعة، وقد أنشئ بقرار من المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٣، بهدف حفظ وإبراز الآثار الإسلامية في القدس الشريف، ويضمّ المتحف العديد من القطع الأثرية والفنية التي تعبر عن كنوز الحضارة الإسلامية، وهو يقع في الزاوية الجنوبية الغربية من ساحة المسجد الأقصى.

كما يضمّ مجموعة نادرة من المصاحف والوثائق المملوكية، يبلغ عدد المصاحف الشريفة فيه ٢٦٦ مصحفًا. أقدم هذه المصاحف مصحف مكتوب بالخط الكوفي

(١) انظر الموقع الإلكتروني «ترك بريس».

يعود إلى القرن الرابع للهجرة، وأضخمها مصحف مملوكي للسلطان برسباي، أوقفه على قبة الصخرة، أما الوثائق المملوكية فيبلغ عددها حوالي ١٠٠٠ وثيقة تتعلق بشؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية^(١).

- متحف الفن الإسلامي بالقاهرة: يعد «متحف الفن الإسلامي» بالقاهرة أكبر متحف إسلامي فني في العالم، حيث يضم بين جنباته مجموعات متنوعة من الفنون الإسلامية من الهند والصين وإيران مروراً بفنون الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس.

افتتح المتحف لأول مرة في (٩ شوال ١٣٢٠هـ/ الموافق ٢٨ دجنبر ١٩٠٣م) في ميدان «باب الخلق» أحد أشهر ميادين القاهرة الإسلامية، وبجوار أهم نماذج العمارة الإسلامية في عصورها المختلفة الدالة على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من ازدهار كجامع ابن طولون، ومسجد محمد علي بالقلعة، وقلعة صلاح الدين.

وقد سُمي بهذا الاسم منذ عام ١٩٥٢م، وذلك لأنه يحتوي على تحف وقطع فنية صنعت في عدد من البلاد الإسلامية، مثل إيران وتركيا والأندلس والجزيرة العربية. . . إلخ، وكان قبل ذلك يسمى بـ «دار الآثار العربية»^(٢).

- متحف دار المدينة للتراث العمراني والحضاري: متحف متخصص للتاريخ والتراث الحضاري والعمراني للمدينة المنورة. ويكشف معالم إرثها وحضارتها الإسلامية وعبق تاريخها المجيد، منذ أن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وحتى

(١) انظر جولة مصورة لـ «هبة أصلان» عن مجلة «آفاق للبيئة والتنمية». موقع: www.arab48.com
(٢) انظر الهيئة العامة للاستعلامات بمصر: www.sis.gov.eg، تاريخ النشر: ١٥ دجنبر ٢٠١٥.

عهدنا الحالي ليأخذ مرتاديه عبر قصصه ومجسماته ومقتنياته الفريدة إلى رحلة النور للتعرف عن قرب على قصة المدينة المنورة عبر التاريخ^(١).

فهذه نماذج لبعض المتاحف الإسلامية بالعالم الإسلامي، التي تتميز بما تضمه من تحف فنية، ومن تصورات حضارية لأنماط العيش السائد في هذه البلدان، وهو تعبير صادق عن التنوع الثقافي والحضاري والفكري لبلدان العالم الإسلامي، كما تتواجد هذه المتاحف أيضا ببعض الدول الغربية حيث تعرض الفن الإسلامي الأصيل والثقافة الإسلامية المتجذرة، كمتحف الحضارة الإسلامية في برلين/ ألمانيا^(٢)، وبعض متاحف جنوب اسبانيا كمتحف مدينة مرسية^(٣)، و متحف مركز ابن عربي بنفس المدينة.



(١) موقع المتحف على الشبكة: www.dar-almadinah.com

(٢) يعتبر متحف الفن الإسلامي في متحف برغامون في برلين، أكبر مؤسسة فريدة من نوعها في ألمانيا، حيث يمتلك المتحف واحدة من أكبر مقتنيات الفن الإسلامي في العالم، ويضم نحو ٥٠ ألف قطعة فنية من تراث الحضارة الإسلامية. www.albayan.ae

(٣) يوجد بالمدينة متحف يعرض بعض القطع الفنية التي تم العثور عليها في منطقة مرسية، ومن بين معروضات هذا المتحف إناء من الخزف المرسوم تحت الطلاء الزجاجي يرجح أنه أنتج في الفترة التي أعقبت سقوط خلافة الموحدين بالأندلس في منتصف القرن السابع الهجري «١٣ م».

www.alittihad.ae

المبحث الأول

دور متاحف الإسلام في تطوير البنية التحتية وتأمين الموارد البشرية

تشكل متاحف الإسلام مركزاً مهماً لحفظ التراث الإسلامي والأعمال الفنية الإسلامية ذات القيمة التراثية والتي تعدّ بمثابة تراثٍ شاهدٍ على تاريخ حافل بالرقى والازدهار تم تخليده داخل متاحف لتستفيد منه الأمة في حاضرها ومستقبلها، لذلك كان من أهمّ فوائد هذه المتاحف - بعد الاهتمام بالتراث الحضاري والتاريخي وحفظه - التعريف به في إطار ثقافي يتأقلم مع حاجيات و متطلبات المجتمع، ذلك أن مهمة المتحف الإسلامي لم تعدّ منحصره كما في السابق في حفظ التراث وصيانته من الضياع والتلف، فقد تبين مساهمته في تحقيق التنمية الاقتصادية داخل المجتمعات وفي البناء الاقتصادي المتكامل.

ومن هذا المنطلق كان لانفتاح المتحف الإسلامي على العموم أثر كبير في إثراء التنمية الثقافية والارتقاء المعرفي وإحياء الذوق الفني والتعريف بالثقافة الأدبية والترفيهية وربط المعرفة الحاضرة بالثقافة التراثية والإبداعات المتنوعة، وتزايد هذا الأثر ليؤكد دور متاحف الإسلام في الحاضر المعاش على جميع المستويات والأصعدة كمساهمته في الهندسة المعمارية والفنون التشكيلية والخطوط وتزايد هذه المساهمة ليشمل التنمية الاقتصادية من خلال تطوير وتعزيز البنية التحتية، وخلق فرص الشغل الدائمة والمؤقتة، والاستقطاب السياحي الذي يعزز البنية الفندقية وليالي البيت... مما ينعكس إيجاباً على تسريع وتيرة التنمية.

أولاً: أثر المتاحف الإسلامية في تعزيز وتطوير البنية التحتية:

بالرغم من أن المتاحف هي مؤسسات لا تسعى إلى الربح بشكل مباشر على حساب التراث الذي تعمل من خلاله على خدمة المجتمع والتعريف بتاريخه وهويته، إلا أنّ لها مساهمة واضحة في تنمية اقتصاد المجتمعات، من خلال العمل على تطوير البنى التحتية الخاصة بها أو التي ترتبط بها بشكل غير مباشر، في إطار منظومة سياحية متكاملة، تخدم الاقتصاد وتوسعى لتطوير آلياته.

فقد لوحظ في الآونة الأخيرة نموّ العلاقة التي تربط المتاحف الإسلامية بالاقتصاد وظهر دورها فيه ظهوراً يبيّننا على مختلف الأصعدة المحلية، حيث أسهمت هذه المتاحف في تطوير البنية المادية، حيث تعززت هذه البنيات بالمنشآت المتطورة التي تعمل على حفظ التراث وإبراز هوية الأمة وتاريخها الحضاري في قالب عصري متطور، كما تعززت الشبكة الطرقية المرتبطة بها والفضاءات المختلفة المتصلة بها، فتم إنشاء العديد من المنشآت الفنية المتعلقة بها.

فالناظر في التطور المعماري الذي خضعت له هذه المتاحف، يتأكد من حقيقة أثر هذه المتاحف في تطوير هذه البنية وتعزيزها بما يوائم التطورات الحضارية، فتطوير بناية متحف الشارقة للحضارة الإسلامية وتجديدها مع الحفاظ على روح الهندسة المعمارية الرائعة والتصاميم الخلابية، يؤكّد هذا المعنى، ويعزز البنية التحتية لإمارة الشارقة، فقد أصبح المتحف بعد افتتاحه سنة ٢٠٠٨ معلمة حضارية فريدة، تتميز بجمال التصميم، تجسدها القبة الذهبية التي تتوسطه والمزخرفة من الداخل

بالفسيفساء المركب، مصورة للسماء ليلاً وما بها من بروج^(١)، حيث أصبحت البناية بعد هذا التجديد معلمة فريدة في المنطقة، تشد إليها الرحال من بقاع العالم، كذلك متحف دبين للفن الحديث، الذي يعد بدوره معلمة عريقة وفريدة من نوعها، عززت بنية مدينة دبي العالمية، حيث يعتبر المتحف «وجهة الترفيه في دبي التي تتميز بالإبداع وتشجيع الحراك الفني، وتوفير خيارات متعددة للزوار فيما يتعلق بخدمات الاستضافة والترفيه، ويهدف إلى دعم وتطوير البنية الثقافية والفنية للمدينة من خلال توفير البنية التحتية التي تفي بمتطلبات الحراك الفني والثقافي»^(٢). كما تعزز بنية المتحف بالتخطيط لإنشاء فنادق فنيين جديدين في الأماكن العامة، ووحدات إقامة سكنية متعددة، واستوديوهات تصميم، ومجموعة متنوعة من مرافق الترفيه، تمثل الجوانب الرئيسية لهذا الحي في إنشاء منطقة صناعية على مساحة رائعة تضم بين ثناياها ساحات عامة، وأشجار ظلّية، ومرافق للخدمات اللوجيستية (ممرات، وساحات ومنتزهات ساحلية، وحدائق، ومواقف تكميلية للطرق التجارية الرئيسية)^(٣). فالمتحف يسهم في تطوير البنية المادية لمدينة دبي العالمية، لتصبح وجهة ثقافية وفنية متميزة، ورافداً من روافد تطوير الاقتصاد المرتبط بالسياحة الفنية.

كما خضع متحف الفن الإسلامي بالقاهرة للتطوير والترميم الشامل بمساعدة خبراء من فرنسا متخصصين بترميم قطع الفسيفساء والنافورات الرخامية، وهي

(١) انظر مقال: متاحف الدولة منارة ثقافية رائدة تحتضن أمجاد الماضي وإشراق الحاضر. هناء حمادي.

تاريخ النشر ١٩ مايو ٢٠١٣. موقع الاتحاد alittihad. ae

(٢) انظر موقع: www.visitdubai.com

(٣) نفس المرجع السابق.

أكبر عملية تطوير يشهدها المتحف خلال مئة عام، وأعيد فتحه في ١٤ أغسطس ٢٠١٠م.

وتضمنت عملية التطوير تهيئة قاعاته وفقاً للتسلسل التاريخي، وتزويده بأحدث وسائل الإضاءة والتأمين والإنذار إضافة إلى تغيير سيناريو العرض المتحفي وتزويده بفتارين عرض حديثة على أعلى مستوى من سيناريوهات العرض المتحفية لتناسب والكنوز الأثرية والفنية التي يحويها، وإعداد حديقة المتحف بالشكل الذي يتناسب مع تاريخه، فضلاً عن تهيئة المنطقة المحيطة بحرم المتحف بما يترافق مع تنشيط حملة علمية للتوعية بالآثار الإسلامية، وشملت أعمال التطوير أيضاً إنشاء مدرسة متحفية للأطفال، وأخرى للكبار، وإنشاء مبنى إداري بجوار المتحف على قطعة أرض بمساحة ٢٧٠ متراً^(١)، فأضحى المتحف بناية متميزة، قادرة على استيعاب الزوار من مختلف أنحاء العالم، بما توفر من خدمات وأنشطة متنوعة، تؤكد تطور المدينة الحضاري.

ويظهر أيضاً أثر التميز المعماري للمتاحف الإسلامية، وهندسة تواجدها بالمدن، بالحديث عن متحف الآثار الإسلامية باسطنبول، حيث تعدّ بناية المتحف معلمة في ذاتها، ففي عام ١٩٨٣ تم تحويل المتحف من كُليّة السليمانية إلى قصر إبراهيم باشا زوج أخت السلطان سليمان القانوني ليكون متحف الآثار الإسلامية التركية^(٢)، فتعززت بنية مدينة اسطنبول، وأصبح المتحف مقصداً للسياح الأجانب، حيث تشد البناية التي تتوسط المنطقة الأوربية الزوار من أنحاء العالم، الذين يقصدون

(١) انظر موقع www.sis.gov.eg

(٢) انظر موقع www.turkpress.co

المتحف للتعرف على ما يضمه من تحف وأثار إسلامية، ولما ترمز إليه البناية من معالم حضارية متميزة.

إن عرض هذه النماذج - وهي دالة على غيرها - لكبريات متاحف الإسلاميه يبين بجلاء أن للمتاحف الإسلامية قيمة عمرانية وحضارية كبيرة، تساهم بشكل كبير في تعزيز البنية التحتية للمدن ومحطة للإشعاع الثقافي والحضاري، وتبقى الاستفادة من هذه البنيات رهين بتوفر رؤية تنموية مندمجة قادرة على توظيف هذه المقدرات، وجعلها مرتكزا لتطوير البنى التحتية للمدن ومنافستها لكبريات الحواضر العالمية.

ومن شأن هذه الخطط الطموحة أن تساهم في التنمية البشرية وتخلق رواجاً اقتصادياً، وذلك عبر توسعة الطرق وتهيئتها، وبناء فنادق ومطاعم وفضاءات حيوية بالإضافة إلى بناء مراكز تسوق، وتنظيم معارض للتعريف بالمنتجات التقليدية، ويتعرف من خلالها الزائرون على تاريخ وهوية البلد، وهو ما يشجع الاستثمار والشراكات الاقتصادية فتنتعش المدينة ويتحسن دخل المواطن.

ثانياً: أثر متاحف الإسلاميه في تامين الموارد البشرية وخلق فرص الشغل:

تتوفر متاحف الإسلاميه على عدد كبير من العينات والنماذج المحفوظة والقطع الأثرية التي جرى جمعها وتصنيفها، والتي تحتاج إلى صيانة دقيقة ومتواصلة لإبراز قيمتها الفنية والجمالية والتاريخية والحضارية، فالهدف الرئيسي من الترميم الدقيق والمتواصل لهذه الآثار هو محاولة الكشف عن قيمتها التاريخية وإبراز محاسنها الفنية وإظهار مفاتها الجمالية فضلاً عن حمايتها بما يتطابق والقانون الذي أوصت به

المواثيق الدولية لحماية الآثار مثل ميثاق فينيسيا^(١) سنة ١٩٦٦، الذي يعتبر عملية الترميم من العمليات عالية التخصص.

ومن المعلوم أن حفظ هذه الآثار وصيانتها وترميمها يحتاج يدا عاملة ذات خبرة عالية في هذا المجال مما يساعد في توظيف مجموعة كبيرة من الخبراء في مجال صيانة التراث وترميم الآثار خصوصا خريجي كليات العلوم التكنولوجية وكليات الهندسة وغيرها من التخصصات الدقيقة المرتبطة بعملية الترميم والتأهيل، وذلك لأن صيانة التراث وترميم الآثار لا يعتمد فقط على المهارة اليدوية العالية والخبرة الفنية المتخصصة فقط بل يعتمد أيضاً على العلوم التكنولوجية والدراسات الهندسية والمعمارية والتطبيقية والفنية وغيرها، وهذا واضح من خلال الاطلاع على فرص الشغل التي تعلن عنها المتاحف الإسلامية.

فقد كشف متخصصون في المتاحف الخاصة في المملكة العربية السعودية، أن واردات القطاع التراثي تشكل ما يقارب ٢٠٪ من إجمالي الواردات السياحية، وسيحقق هذا القطاع ما يقارب الـ ٤٠٠٠ فرصة عمل في المملكة خلال المرحلة المقبلة^(٢)، كما أعلنت هيئة دبي للثقافة والفنون عن وظائف شاغرة في المتاحف الوطنية،

(١) صدر هذا الميثاق عن المؤتمر الثاني ١٩٦٤، حين رأى المؤتمر أن العديد من المشكلات التي تصادف المرمم، لم يتناولها ميثاق أثينا، فلذلك كان من الضروري إعادة النظر في مبادئ ميثاق أثينا بهدف تعميقها وتوسيع صلاحياتها في وثيقة جديدة تحل تلك المشكلات، وبناء عليه فقد خرج المؤتمر بوثيقة تعد الميثاق الدولي الأول المستند عليه في معظم المواثيق الدولية، إذ يعتبر من أهم الوثائق المتعلقة بالحفاظ على المناطق والأبنية الأثرية والتاريخية، وأصبح المرجع الرئيسي لعمليات الترميم والصيانة. انظر موقع المجلس الدولي للمتاحف: www.icomos.org

(٢) انظر صحيفة برق عبر موقعها الإلكتروني: www.brgnews.com

في مجالات متعددة، تشمل: إدارة المتاحف، المقتنيات الفنية والأثرية، إدارة المشاريع، الإدارة العامة، البرامج التعليمية، الإرشاد السياحي والثقافي، الإعلام والتسويق، الفنون^(١)، وأعلنت وزارة الآثار المصرية عن مجموعة من الوظائف التخصصية وذلك بموازنة المجلس الأعلى للآثار وطبقا لقانون الخدمة المدنية ولائحته التنفيذية^(٢)، وتتميز هذه الوظائف بتنوع الاختصاصات، بين الصيانة والحركة، والتفتيش المالي والإداري، والأمن وشؤون العاملين، ومتابعة إيراد الصندوق، والشؤون الهندسية لمشروعات المتاحف، وصيانة وترميم آثار، وشؤون القطاعات والدراسات والأبحاث، مما يمكن من تشغيل يد عاملة مهمة في قطاع المتاحف.

فكل هذه الوظائف ترتبط بالجوانب التدبيرية الأساسية التي يقوم عليها المتحف عموما، والإسلامي خصوصا، يضاف إليها حاجة المتحف الإسلامي إلى متخصصين في ترميم المخطوطات، فهذه المتاحف تتوفر على عدد مهم من المخطوطات والتي تحتوي على علم هذه الأمة وتاريخها، ومدون في طياتها الوحي وتفسيره، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه وشروحه، وتاريخ الخلفاء وأحوال الملوك وعلم الأمة وفقهها وأدبها وشعرها ولغتها وغير ذلك، فإذا ضاع كل ذلك ضاعت الأمة على أثره، ولا شك أننا في العصر الحاضر بحاجة ماسة إلى تلك المخطوطات، بل كلما تقدمت بالأمة السنوات ازدادت حاجتها إلى ما في تلك المخطوطات من علوم ومعارف، فهذه المخطوطات بدورها تتطلب عملية

(١) الإعلان منشور في صحف الإمارات بتاريخ ٨ فبراير ٢٠١٦.

(٢) انظر موقع www.egynews.net. تاريخ النشر ٢٠١٧/٠٧/٢٢

صيانة دقيقة وترميم مركز لتضمن سلامتها المادية وتكاملها الوظيفي، لذا كانت الحاجة ماسة إلى إحداث مناصب خاصة، ومهام خاصة بترميم مثل هذه النواذر التي يقوم على أساسها المتحف الإسلامي، مما يستدعي تشغيل حاملي الشهادات الهندسية والفنية لتحقيق هذه الغايات والوصول إلى هذه الأهداف، ضمانا لسلامة المخطوطات والوثائق من الضياع والتلف.

إن دور المتاحف في تثمين الموارد البشرية، لا يظهر أثره في التوظيفات المباشرة لأصحاب الشهادات العلمية المختلفة، وغيرهم من العمال والعاملات، والمياومين والمياومات، والذين يستفيدون ماديا ومعنويا من فرص الشغل بهذه المتاحف، إضافة إلى تخصصات دقيقة أخرى، بل يظهر هذا الأثر أيضا على المجتمع من خلال إيجاد فرص الشغل للشباب، مما يقلل من البطالة ويرفع وتيرة الإنتاج، ويحقق نسب نمو هامة، تعمل على تحقيق إقلاع اقتصادي حقيقي لأنه يقوم على أساس العناية بالموارد البشرية بتوفير وظائف ومناصب مدرّة للدخل.

ثالثا: دور المتاحف الإسلامية في الاستقطاب السياحي:

تُعتبر السياحة في هذا العصر أحد أهم القطاعات الاقتصادية في العالم، وتساهم بشكل واضح وملمووس في تنمية وتطوير اقتصادات البلدان التي تعرف استقطابا سياحيا مهما، فالسياحة أصبحت من الموارد المتاحة التي تشكل الهندسة الشاملة للاقتصاد في أي بلد، بل أضحت هذا القطاع من أهم القطاعات التي تعول عليها الحكومات من أجل المساهمة في رفع مستوى النمو الاجتماعي والاقتصادي للوصول إلى التنمية الاقتصادية المطلوبة، ولذلك يتم تخصيص وزارة أو إدارة خاصة بهذا

القطاع، تعمل على تدبير موارده، وتضاعف الجهود لتحقيق البناء الاقتصادي، نظراً لما تدره السياحة من عملة صعبة مهمة.

لقد أصبح القطاع السياحي اليوم، من القطاعات الحيوية التي تؤدي دوراً ريادياً في عملية التنمية الاقتصادية في مختلف بلدان العالم، نظراً لما توفر من مناصب شغل مهمة، ولما تدره من مداخيل لصندوق الدولة، «وكمثال على أهمية السياحة في قطاع العمل، ووفقاً لتقارير المجلس العالمي للسياحة والسفر (WTTC) ^(١) فإن صناعة السياحة والسفر ساهمت في إيجاد أكثر من مليون فرصة عمل شهرياً بشكل مباشر أو غير مباشر في جميع أنحاء العالم خلال عام ١٩٧٧ م، وتضاعفت فرص العمل في السنوات الأخيرة والتي توفرها صناعة السياحة والسفر في جميع أنحاء العالم» ^(٢).

وقد ازدادت أهمية السياحة من خلال التشهير الإعلامي للمعالم السياحية والمواقع التراثية والمتاحف الأثرية في مختلف وسائل الإعلام المقروءة منها والمسموعة والمشاهدة، كما ازداد الاهتمام بالسياحة من خلال استحداث وزارات للسياحة في معظم دول العالم إن لم تكن كلها وافتتاح جامعات وكليات ومعاهد تقنية متخصصة في المجال السياحي والفندقة والمطاعم وتحسين ظروف الاستقبال،

(١) المجلس العالمي للسفر والسياحة هو الهيئة العالمية الوحيدة التي تجمع جميع الفاعلين الرئيسيين في قطاع السياحة والسفر، وتمكينهم من التحدث بصوت واحد إلى الحكومات والهيئات الدولية. وتعمل على زيادة الوعي بالسفر والسياحة باعتبارها واحدة من أكبر القطاعات الاقتصادية في العالم، حيث تدعم ٢٩٢ مليون وظيفة وتولد ١٠.٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي. (ترجمة خاصة). انظر موقع المجلس: www.wttc.org

(٢) السياحة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. د. رؤوف محمد علي الأنصاري. موقع مجلة سطور www.sutuur.com

أضف إلى ذلك الانتشار الواسع للكتب والدراسات والبحوث العلمية والخرائط التي تتعلق بالشؤون السياحية، فأغلب التقارير تؤكد هذا المعطى، منها تقرير المنظمة العالمية للسياحة التي أشارت إلى أن الحركة السياحية الدولية تتزايد بمعدلات تفوق المعدلات الخاصة ببعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى، وهكذا «أصبحت السياحة في سلم الاهتمامات الرسمية والمهنية والشعبية وأصبحت تحوز اهتمام جميع المسؤولين في دول العالم وفي الوطن العربي بالخصوص، لما تشكله من أهمية في تنمية مواردها إلى جانب مختلف الصناعات الأخرى، إذ إن استمراريتها تشكل موردا لا ينضب خلافا للنفط وبقية المعادن والثروات الأخرى الباطنية إضافة إلى آثارها الإيجابية في إبراز الجوانب الحضارية والأثرية والتاريخية وتعريف سكان العالم بها وبتقافتها وبتاريخها وبنهضتها»^(١).

فالباحثون في الاقتصاد متفقون على أهمية العلاقة بين السياحة والمتاحف الإسلامية، مؤكدين أتمها علاقة تبادلية تخدم الاقتصاد وتحقق مقاصده، باعتبار أن «السياحة تلعب دورا هاما في تنشيط المتاحف وزيادة عدد زوارها، وبالتالي زيادة دخلها من العملة الصعبة، أما المتاحف فتساهم في جذب المزيد من السياح خاصة في المناطق التي تركز على السياحة الثقافية»^(٢)، فالمتاحف من الخيارات الشائعة أمام السياح عندما يقصدون وجهة سياحية ما، لكونها تقدم لهم الفرصة لكسب الخبرة

(١) السياحة و أثرها في التنمية الاقتصادية العالمية حالة الاقتصاد الجزائري هواري معراج. د محمد

سليمان. ص ١٢٨ - جامعة الأغواط. جردات - الجامعة الإسلامية بالهند.

(٢) متاحف التراث الشعبي والجذب السياحي. دراسة في أنثروبولوجيا المتاحف. محمد يسري دعبس. الملتقى المصري للإبداع والتنمية. ط ١، ١٩٩٠.

والثقافة حول تلك الوجهة^(١)، لذلك وجدنا عددا من هذه المتاحف تفرض رسوم الدخول على السياح والزائرين، بعدما اتضح دور هذه المداخل في حفظ وصيانة المقتنيات الأثرية، وحمايتها «خاصة في ظل تراجع التمويل الحكومي الرسمي لتحقيق تلك الأهداف»^(٢)، ولكثرة زوارها والراغبين في القيام بجولات تعرفية داخلها، كما بدأت هذه المتاحف تعمل على ابتكار وسائل وتقنيات متطورة، وأساليب مبتكرة في العرض والترويج، بهدف الوصول إلى أكبر جذب سياحي ممكن.

لقد بينت العديد من الدراسات والأبحاث الأكاديمية، أن للمتاحف الإسلامية دورا رئيسيا في الجذب السياحي، وبالتالي المساهمة الفعالة في تطوير الاقتصاد وتنمية مداخله، حيث أجمعت هذه البحوث على أن المواقع الأثرية والتراثية الإسلامية تجذب زوارا أكثر من تلك الكائنة في مواقع أخرى داخل البلدان العربية، وتجذب زوارا أكثر منها^(٣).

والسبب في ذلك يكمن في كون السياحة العالمية بدأت في الآونة الأخيرة تشهد نمطا جديدا من أنواع السياحة يعتمد على الرقي الذوقي والتأمل الفني والتمتع في التراث والشعور بالراحة أمام الأصالة ومحاوله فهم المجتمعات وتقاليدها وتاريخها وهويتها، وبذلك أصبحت الأصالة مفتاح السياحة الجديدة.

(١) انظر دور المتاحف الأثرية الأردنية في جذب السياحة. أكرم عاطف رواشدة. ص ٥٧٦. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد ٤١. العدد ٢. السنة ٢٠١٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: البعد الثقافي للمتحف ودوره في التنمية السياحية: دراسة في أنثروبولوجيا السياحة. عامر رانيا. جامعة الاسكندرية. كلية الآداب قسم الأنثروبولوجيا. سنة ٢٠٠٥. رسالة ماجستير غير منشورة. والمتاحف الأثرية في الأردن. دراسة تحليلية. عبد اللطيف مازن. الجامعة الأردنية. عمان. سنة ١٩٩٣. رسالة ماجستير غير منشورة.

ونظرا لما تحتوي عليه المناحف الإسلامية من تراث عريق وحضارة متميزة، فقد أصبحت عنصرا مهما من عناصر الجذب السياحي، حيث أصبحت قبلة للسائحين في محاولة للتعرف على عادات وتقاليد أهل المشرق، وعلى الحضارة الإسلامية والثقافة التي ميزت تاريخ أمتنا العريق، مما يسهم في خلق رواج اقتصادي مهم.



المبحث الثاني

دور متاحف الإسلام في محاربة الاكتناز وتشجيع الاستثمار

لا يخفى الأهمية التي أصبحت متاحف الإسلام تؤدّيها في الجانب الاقتصادي، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، وسأعرض هنا بعض الأوجه التي تحقّقها متاحف الإسلام على مستوى البنية الاقتصادية، متمثلة في محاربة الاكتناز وتشجيع الاستثمار.

أولاً: دور متاحف الإسلام في محاربة الاكتناز وأثره على الاقتصاد:

الاكتناز مصدر مأخوذ من مادة (ك ن ز) التي تدل على تجمع في شيء، من ذلك ناقة كناز اللحم أي مجتمعة، وكنزت التمر في وعائه أكثره، وكنزت الكثر أكثره^(١)، ويطلق على «المال المدفون»^(٢)، فهذا هو الأصل ثم تُجَوِّز فيه، فقيل: «إذا أُخْرِجَ منه الواجبُ عليه لم يَبْقَ كَنْزاً ولو كان مَكْنُوزاً»^(٣).

وفي المفهوم الاقتصادي، يمثل الاكتناز منع المال من الجريان بين الناس لإجراء المعاملات التجارية بينهم وتحقيق النماء الحسن، ويؤدّي إلى حبس الأموال المعدّة للتداول في أوجه مختلفة، ف«النماء والتنمية تتحقق بالاستثمار لا بكنز المال وحبسه، لذلك كان الاستثمار وكانت التنمية إعداداً لسبيل الله وقوة المسلمين، وكان الاكتناز صيداً عن سبيل الله»^(٤).

(١) انظر مختار الصحاح، مادة كنز. ١٣/١١٨، دار صادر ٢٠٠٣.

(٢) انظر لسان العرب. ابن منظور الافريقي. مادة كنز، مرجع سابق.

(٣) تاج العروس. مرتضى الزبيدي. مادة كنز. المطبعة الخيرية القاهرة. (د. ت).

(٤) مفاهيم إسلامية في النقود والفرق بين الاكتناز والادخار. د. شوقي إسماعيل شحاتة. ص ٢٨. مجلة المسلم المعاصر. العدد ١٤ السنة ١٩٧٨.

فالاحتناز هي ترجمة للمصطلح الاقتصادي (Hoarding) باللغة الإنجليزية، ويراد بها: «إمساك النقود وحبسها عن التداول»، وهو يخالف الاستثمار الذي يتطلب إخراج المال ومساهمته في الرواج بالمجتمع الذي يخلق حركية لرأس المال تنتج عملية تداول في السوق.

فالإنسان حسب فطرته يقوم بمبادلة المال والعمل وبموجب هذه المبادلة يستقيم المجتمع الإنساني ويحصل بموجبه الإنماء والتطور في الإنتاج.

فالاحتناز يحدث بسبب تقديم المكتنز حاجاته الاحتمالية على حاجة المجتمع الحالية، وهو منهي عنه شرعا، باعتبار أن الشرع ينهى عن كل ما فيه مفسدة للمجتمع ويأمر بما فيه مصالح الخلق جميعا، يقول تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(١)، قال صاحب التحرير والتنوير: «وَمَعْنَى وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، انْتِفَاءُ الْإِنْفَاقِ الْوَاجِبِ، وَهُوَ الصَّدَقَاتُ الْوَاجِبَةُ وَالنَّفَقَاتُ الْوَاجِبَةُ: إِمَّا وَجُوبًا مُسْتَمِرًّا كَالزَّكَاةِ، وَإِمَّا وَجُوبًا عَارِضًا كَالنَّفَقَةِ فِي الْحَجِّ الْوَاجِبِ، وَالنَّفَقَةِ فِي نَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَدْعُو النَّاسُ إِلَيْهِ وَوَلَاةُ الْعَدْلِ»^(٢).

والمتاحف الإسلامية لها مقاصد بالإنشاء في محاربة الاحتناز، وتتجلى ملامحه في عملية الرواج الاقتصادي التي يساهم فيها، فقد يقول قائل، كيف يشارك المتحف في

(١) التوبة ٣٤.

(٢) التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. ١٧٧/١٠. الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤.

عملية الرواج الاقتصادي؟ أو كيف تساهم الأموال المستثمرة في متاحف الإسلام في الدور الإنمائي؟

الجواب، أن زيارة هذه المتاحف، والسفر من أجل الدخول إليها، وأداء رسوم الدخول، مع ما يتطلبه ذلك من إنفاق في أوجه مختلفة، تتعلق بالمبيت والاقتناء والمعاش، وحركية في القطاع السياحي، وهو لا يخلو من تداول للأموال فيرتفع بذلك الإنتاج بفعل هذا التداول، فيكثر الطلب على السلع الذي تخلقها عملية الرواج، وبصحبها بالتالي خلق فرص العمل ومحاربة البطالة، فمثلا متحف الحضارة الإسلامية بالشارقة، زاره في أبريل ٢٠١٦ أزيد من ١٥ ألف صيني، إضافة إلى سياح من عمان ودول الخليج وسياح دوليين من فرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا، فضلا عن الإماراتيين والمقيمين بالإمارات^(١)، مع ما يرتبط بهذه الزيارات من ترويج للسلع، وحركية في الإنفاق والرواج الاقتصادي الذي يصاحب هذه العملية.

فاكتناز الأموال وحبسها، يؤدي إلى كساد الأعمال، وانتشار البطالة، وركود الأسواق، وانكماش الحركة الاقتصادية بصفة عامة، وقد أكد غير واحد من الباحثين أهمية الرواج الاقتصادي للأموال، وما يحدثه الاكتناز من مضار على الاقتصاد «وكيف أنه يؤدي إلى الركود الاقتصادي، حيث يحول دون نشاط التداول النقدي،

(١) متحف الشارقة للحضارة الإسلامية. بامبلا كسرواني. موقع رصيف ٢٢. تاريخ النشر ٢٠١٦/٠٨/٠٤.

وهو ضروري لإنعاش الحياة الاقتصادية في المجتمع وحبس المال تعطيل لوظائفه في توسيع ميادين الإنتاج وتهيئة وسائل العمل للعاملين»^(١).

فالإنفاق لزيارة المتأخف الإسلامفة التي تضم مقتنيات وقطع فنية معروضة، هي مقصد يحقق التنمية الاقتصادية، ومن شأن تطوير الوسائل والتقنيات المرتبطة بهذه المتأخف، وتوسيع دائرة المعروضات، أن يزيد من نسب الزيارات، وبالتالي، تتوسع دائرة الإنفاق ويتحقق الرواج الاقتصادي المنشود، الذي يسهم في تنمية اقتصادية مستدامة، فمن شأن الاشتغال على وسائل جديدة أن يرهف الإحساس وينعش الذوق، فتخلص النفوس من الشح والبخل والحرص على الأموال واكتنازها وعدم ترويجها، فتروج الأموال ينتج فرص عمل عديدة في كثير من المجالات، ويحول الأفراد من كونهم عبئاً على المجتمع إلى طاقة عاملة في سبيل الرقي والنهوض الاقتصادي، ويساهم في حصول ارتفاع في الدخل، وفي استمرار فعالية الدورة الاقتصادية وتحقيق الانسيابية السليمة في حركة رؤوس الأموال.

وعلى هذا فالأكتناز والبخل والشح ثلاثي مدمر لاقتصاديات الأفراد والشعوب لأنه تعطيل متعمد لنعمة المال في دفع عجلة التنمية وحبس له عن أداء دوره، والمستهلك هو أكبر المتضررين من هذه السلوكيات الاقتصادية الخاطئة^(٢)، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لرؤية مستقبلية لتوسيع الاستفادة اقتصادياً من المتأخف الإسلامفة وجعلها رافداً من روافد التنمية الاقتصادية.

(١) دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي. مجدي عبد الفتاح سليمان. بحث منشور بموقع

eamaar.org

(٢) الإسلام يرفض الأكتناز ويحاربه بالزكاة والصدقات. ملحق الدين والحياة. جريدة الخليج. تاريخ

النشر ٢٠١٤/٠٥/٠٢.

ثانياً: دور متاحف الإسلاميه في تشجيع الاستثمار وأثره على الاقتصاد:

إذا كان المقصود من مفهوم الاستثمار في الاقتصاد هو «توظيف المال في أي نشاط أو مشروع اقتصادي يعود بالمنفعة المشروعة على البلد»^(١)، فإن ربطه بالمتاحف الإسلاميه، يعني توظيف الأموال في مشاريع ترتبط بالمتاحف، -إما إنشاء وإحداثاً أم تنظيمياً وإشرافاً- من شأنها أن تدر الدخل وتحقق النفع للمجتمع.

فمقصد تشجيع الاستثمار، مقصد شرعي هام، لا يمكن إغفاله في حلّ العديد من الإشكالات الاقتصادية التي تواجهها المجتمعات حالياً، فتحريك رأس المال في مشاريع تمكن من فتح آفاق جديدة وواعدة للشباب العاطل وتمنحهم فرصة الاندماج العملي في المجتمع هو مقصد وغاية شرعية، لذلك وجدنا بعض متاحف التي تأسست حديثاً، تسعى لتحقيق هذا المقصد، وجعل المتحف في قلب عملية الاستثمار، فالمتحف الإسلامي يمثل مشروعاً ثقافياً ضخماً لا مجرد متاحف وقاعات للعرض المتحفي، لذلك يتم توسيع دائرة المقتنيات بالمتاحف، كما هو حال متحف الشارقة للحضارة الإسلاميه، الذي تجاوزت مقتنياته من الفنون والثقافة الإسلاميه أكثر من خمسة آلاف قطعة فريدة تم جمعها من مختلف أرجاء العالم الإسلامي كافة^(٢)، وبنفس القصد تم إنشاء المتحف الوطني لعُمان^(٣)، واعتمد ثلاثين خبيراً وأكاديمياً وعالم آثار من داخل وخارج السلطنة لاختيار مقتنيات المتحف، فتحقق بذلك تحريك لعجلة الاستثمار ووجدت فرص واعدة للشباب للانخراط في هذا المشروع الوطني.

(١) مقال منشور بموقع: www.miciq.com

(٢) انظر موقع هيئة الشارقة للمتاحف: sharjahmuseums.ae

(٣) بمرسوم سلطاني صدر في ٢٠ نوفمبر عام ٢٠١٣.

إن إسهام متاحف الإسلام في تشجيع الاستثمار يظهر من خلال العمل المتلاحق على تدوير الأموال واستثمارها في اقتناء المعروضات، وإقامة المعارض الدائمة والمؤقتة، فمعرض روائع آثار المملكة عبر العصور^(١)، عرض في أكثر من دولة، وفي أكثر من متحف، كمتحف اللوفر بباريس، ومؤسسة كاشيا - برشلونة، ومتحف الإرميتاج - روسيا، ومتحف البرجامون ببرلين، ومتحف ساكسر بواشنطن، ومتحف كارنيجبييتسبرغ، ومتحف فيتوربانو بروما، ومتحف نيلسون-أتكينز - كانساس، ومتحف الفنون الجميلة بهيوستن، ومتحف الفن الآسيوي بسان فرانسيسكو، والمتحف الوطني ببيكين، والمتحف الوطني بالعاصمة الكورية الجنوبية سيول، والمتحف الوطني بالرياض، والمتحف الوطني بطوكيو^(٢).

كما تسعى عدد من هيئات السياحة والآثار بالعالم الإسلامي، إلى تطوير الجانب الاقتصادي للمتاحف، من خلال تشجيع الاستثمار في القطاع السياحي، الذي يعد رافداً من روافد متاحف الإسلام، بما يسهم في تكثيف الزيارات، حيث عملت وزارة الآثار المصرية على توقيع اتفاق بين مع وزارة الاستثمار والتعاون الدولي، من أجل وضع وزارة الآثار على الخريطة الاستثمارية، وذلك من خلال إتاحة كافة المعلومات الخاصة بما يمكن استثماره بوزارة الآثار داخل جمهورية مصر العربية^(٣).

(١) واحد من أهم المعارض السعودية العالمية التي مثلت التراث الحضاري للمملكة في العديد من الدول الأوروبية وأمريكا.

(٢) انظر موقع الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني. www.scta.gov.sa

(٣) الآثار: نوفر مناخ استثماري متاحف لزيادة موارد الوزارة. أحمد منصور. موقع www.youm7.com تاريخ النشر: ١٠ أغسطس ٢٠١٧.

كما أن فتح باب إشراف القطاع الخاص على إنشاء متاحف إسلامية خاصة، يعد وسيلة من وسائل تشجيع الاستثمار في القطاع المتحفّي وبالتالي تحقيق البناء الاقتصادي المتميز، ففي المملكة السعودية، تم الترخيص لأزيد من ١٣١ متحفاً خاصاً، منها في الرياض ١٣ متحفاً، يتم تنظيم ملتقيات خاصة بهم، لتبادل الخبرات والتجارب، وإبراز أهمية المتاحف الخاصة ودورها في بث الوعي بأهمية التراث^(١)، تماشياً مع رؤية اقتصادية تروم جعل المتاحف الإسلامية في قلب البنية الاقتصادية للمجتمع.

وهذا التوجه يبرز في سياق دولي، حيث نجد المديرية العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) «يرينا بوكوفا»، في كلمتها بمناسبة اليوم العالمي للمتاحف، تحثّ «الحكومات والشركاء إلى بذل كل المساعي اللازمة لدعم المراكز والمتاحف العلمية وتعزيزها، وتسخير إمكانياتها على أكمل وجه لبناء مستقبل أكثر شمولاً واستدامة من أجل الجميع»^(٢)، ونفس الأمر ينطبق على المتاحف الإسلامية، التي تعدّ ركيزة أساسية في بناء تنمية حضارية مستدامة ومتكاملة.



(١) مطوية المتاحف الخاصة في المملكة العربية السعودية وأوجه الدعم الذي تقدمه الهيئة. صدر عن الهيئة العامة للسياحة والآثار. موقع www.secta.gov.sa

(٢) المتاحف العلمية عوامل فعالة لتحقيق التنمية المستدامة. جريدة إيلاف تصدر من لندن. www.elaph.com. تاريخ النشر ٤ نونبر ٢٠١٦.

المبحث الثالث

رؤية مستقبلية لتوسيع الاستفادة اقتصاديا من متاحف الإسلاميه

للمتاحف الإسلاميه - كما سبقت الإشارة - أهمية كبيرة في نقل قيم المجتمعات ونشر تراثها وعاداتها وثقافتها وحضارتها، وربط الأجيال الحديثه بماضيها، من خلال ما تمتلكه من مقتنيات وبرامج توعويه، وتزداد هذه الأهمية إذا علمنا أن القطاع السياحي يقوم على أساس الاستفادة مما تقدمه هذه المتاحف من فضاءات ثقافيه وعلميه متنوعه.

ورغم الجهد الكبير الذي يبذل من طرف الحكومات والمؤسسات والقطاع الخاص، للتعريف بهذه المتاحف، وإبراز مكانتها وأهميتها، فإن التحديات التي تواجهها كمؤسسات ومراكز ثقافيه وتعليميه، تفرض خلق رؤى مستقبلية تجعل المتاحف الإسلاميه في صلب التنمية الاقتصاديه، خاصه مع توفرها على المؤهلات الضرورية اللازمه لهذه التنمية.

وأعرض في هذا المبحث، التصورات التي قد تمكن من تطوير رؤيه مستقبلية للاقتصاد، تسعف المتاحف الإسلاميه في تأسيسها.

أولا: خلق بيئه ثقافيه داخل المجتمع:

في غياب ثقافه مجتمعيه واسعه، ومتجدده، يتعدّر علينا الحديث عن توسيع الاستفادة اقتصاديا من هذه المتاحف ذات الطابع الإسلاميه، فحينما يتوفر المجتمع على بيئه ثقافيه رصينه يسهل عليه الاستثمار في هذه المجالات وتحويلها من رأسمال

لامادّي إلى رافد من روافد الاقتصاد، فالبيئة الثقافية هي المجال الذي يوفر الاتصال والتواصل مع هذه المؤسسات ويهيئ التربة المناسبة للاستثمار وخلق جيل قادر على التفاعل مع عصره ومقدّرات أمته بكيفية إيجابية وبالفاعلية اللازمة، فلا يمكن تصور إقامة معارض ثقافية ناجحة ودائمة في غياب وعيٍ بهذه المعارض، وبالمقتنيات والنوادر التراثية التي تتوفر عليها، كما أن الاستثمار الناجح في هذه المتاحف يتوقف على الوعي العام بأهمية هذه المتاحف، وبدورها التثقيفي والحضاري والإنساني، وكذا أثرها في البناء الاقتصادي المبني على تعزيز البنية التحتية للمدن، والتنوع المعماري للفضاء الذي يجمع بين أصالتها وعراقتها وتطورها الحضاري.

فإذا كانت المتاحف عموماً والإسلامية منها على وجه الخصوص، «تساهم في التربية والتعليم من خلال: التعريف بالمووروث الثقافي والدور التربوي، التعريف بالبرامج التربوية للمتاحف، الدور التكميلي للمتاحف (التربية والتثقيف والتعليم)، وتحقيق التنشئة المتحفية لدى أطفال المدارس الابتدائية»^(١)، فينبغي أن يكون المجتمع مؤهلاً لهذه الأدوار، بأن تتغير صورة المتاحف في النمط التفكري للأفراد، فلا يظل مفهوم المتحف حبيس رؤية ضيقة لمبانٍ تضم مقتنيات مستهلكة وقديمة، فالمتاحف الإسلامية هي مراكز تعليمية، وثقافية ومجتمعية، ومؤسسية، وأيضاً فضاءات فكرية، ومتنفساً يمكن من التعرف على الحضارة الإسلامية بتنوعاتها ومدخلها المتجددة، فهي «معلم حضاري وسجل متحدث بالعلوم والفنون والإبداعات

(١) السياق السوسولوجي للتنشئة المتحفية. د. حميد حملاوي. ص ٢. بحث مقدم لجامعة ٨ ماي ١٩٤٥. قالة. الجزائر.

المتنوعة وهف أفقونة متطورة بأسالفب العرض المشوقة وأفضا بابتكاراتها الهادفة لتوصفل أسمف وأرقف وسائل التعلفم والتثقفف المصحوبة بالإبهار»^(١).

فإذا استطعنا خلق هذه البفئة الثقاففة، وتغفر تلك النظرة الضففة، فإن الدور الاقتصادف للمتأخف الإسلامفة سفتوسّع، وسفصبع العمل جادا ومثمرا، وستفتح أبواب الاستثمار فف هذا المجال على مصراعفها، وستتشكل لدى أفراد المجتمع حصانة فكرفة تسمح بتأسفس رؤفة مستقبلفة متطورة ومتمفزة، تسهم فف البناء الاقتصادف.

ثانفا: الاستفافة من الإعلام المتنوع:

لا ففخف على أحد، ما تشهده المنطقة العربفة فف الآونة الأخيرة من تزايف ملحوظ فف عدد القنوات التلفزيونفة الفضائفة، والمجلات الإعلامفة والجرائد الإخبارفة، سواء المكتوبة أم الإللكترونفة، ففكد ذلك التقرير السنوف حول البث الفضائف، الذي فصدرة اتحاد إذاعات الدول العربفة (ASBU)، ففث أفادت نسخة ٢٠١٦ من هذا التقرير أن القنوات التلفزيونفة الفضائفة فف الدول العربفة قد تجاوز ١١٢٢ قناة^(٢)، إضافة إلى الإذاعات المحلية والدولفة والجرائد الوطنفة، والمجلات والمواقع.

فهذا التطور الهام فف البنة الإعلامفة، فنبغف الاستفافة منه، فف تطوير أف مشروع، وخاصة منها، المشارفف التي تحقق نهضة المجتمع على مستويات متعددة، كما هو حال

(١) المرجع السابق. ص ٧.

(٢) التقرير السنوف حول البث الفضائف العربف لسنة ٢٠١٦. تصدره اللجنة العلفا للتنسفق بفن القنوات الفضائفة العربفة. منشور بموقع اتحاد إذاعات الدول العربفة. جامعة الدول العربفة.

www.asbu.net

المتاحف الإسلامية، والتي ينبغي الحرص بكل دقة، على ولوجها المجال الإعلامي عموماً، من خلال التركيز على العناصر الآتية:

- تكثيف البرامج التوعوية من خلال النشرات الإرشادية حول القيمة الفنية والجمالية للمتاحف الإسلامية.

- إعداد برامج إعلامية خاصة بهذه المتاحف وجعلها من المراكز السياحية المهمة التي يتوجب زيارتها.

- تحفيز التدابير المحافظة على السّمات المادية للسياحة الثقافية، والمتمثلة في المتاحف الإسلامية.

- تخصيص مساحات صحفية وإذاعية خاصة بالتربية السياحية، ونشر الوعي السياحي لدى فئات المجتمع المختلفة.

- أغلب المتاحف العالمية لها مواقع إلكترونية، تتناول التعريف بهذه المتاحف، وما تضمّه من مقتنيات، إلى غير ذلك من البيانات المرتبطة بمواعيد الزيارة، وطريقة الوصول للمتحف، وقد سعت عدد من المتاحف الإسلامية إلى اعتماد منهجية مماثلة، مع تغيير في بعض المعايير المرتبطة بخصوصية هذه المتاحف ومزاياها المتعددة، منها متاحف دولة الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، ومصر وتركيا، غير أن هذه المواقع تحتاج إلى التعريف بها بإنشاء فضاءات إعلانية إما بالصحافة المكتوبة، أم المسموعة، أم المشاهدة، لأنها تشكل الحافز والدافع إلى استكشاف ما يضمّه الفضاء المتحفّي من خبايا ونوادير وأنشطة ومعارض يستفيد منها القاصد لها.

- مشاركة المتاحف الإسلامية في الأنشطة الثقافية والعلمية والدورات التي تعقد دولياً، ويكون لها الصدى الإعلامي الذي يفتح باب التعرف عليها من جديد،

حيث تمكّن هذه الأنشطة الإعلامية من إعطاء دفعة قوية تساهم في تنويع وتوسيع دائرة الزيارات للمتاحف.

إن ما تمّت الإشارة إليه، من عناصر قد تساهم في جعل المتاحف الإسلامية، مقصداً أساسياً وهدفاً مباشراً للسياح الأجانب، وهو ما يعطي دفعة قوية للاقتصاد الوطني، الذي يتتعش بمثل هذه الزيارات السياحية المهمة.

ثالثاً: الانخراط الفعلي في اليوم العالمي للمتاحف:

يحتفل باليوم العالمي للمتاحف يوم ١٨ مايو كل سنة منذ عام ١٩٧٧، وذلك في جميع أنحاء العالم، ويعتبر هذا اليوم فرصة لزيادة الوعي العام بقضايا المتاحف في تنمية المجتمع.

وتحدّد اللجنة الاستشارية للمؤتمر كل سنة موضوع هذا اليوم، الذي سينظم في يوم أو عطلة نهاية أسبوع أو أسبوع أو حتى شهر، مع مراعاة تنوع البلدان.

ويتمتع هذا الحدث الدولي بشعبية كبيرة، ففي السنوات الأخيرة، شهد اليوم العالمي مشاركة قياسية لما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ متحف، في أكثر من ١٢٠ بلد^(١).

فهذا اليوم له أهميته الخاصة في التعريف بالمتاحف وإبراز دورها المجتمعي والإنساني، لذلك توليه بعض المتاحف أهمية كبيرة، كمتاحف إمارة الشارقة، التي تحتفل بهذا اليوم كل سنة من خلال تنظيم فعاليات متنوعة، حيث استمرت فعاليات الاحتفال بهذا اليوم سنة ٢٠١٧ مدّة يومين، وبهذه المناسبة تقول السيدة: منال عطايا،

(١) انظر موقع المجلس الدولي للمتاحف. icom. museum. com (ترجمة خاصة).

مدير عام إدارة متاحف الشارقة: «يعد اليوم العالمي للمتاحف من أكثر المناسبات أهمية ضمن رزمة الفعاليات والأنشطة السنوية الخاصة بنا، وفي هذا العام وسّعنا نطاق أنشطتنا لتصل إلى الإمارات الأخرى، لاستقطاب أكبر عدد من الزائرين لتعريفهم بما تقدمه إدارة متاحف الشارقة»^(١)، وكذلك متاحف دبي، حيث أقيمت العديد من المعارض المختلفة للتعريف بمتاحف دبي، كمتحف الصقور ومتحف الخيل ومتحف الإبل ومتحف البلدية ومتحف المسكوكات ومتحف العمارة التقليدية ومتاحف أخرى^(٢)، وعملت هيئة الثقافة والفنون في دبي على تأسيس «شركة متاحف دبي» انطلاقةً من دورها في تعزيز مكانة إمارة دبي وجعلها وجهة بارزة للتبادل الثقافي المتنوع إقليمياً وعالمياً، وإدارة قطاع المتاحف والإشراف عليه إلى جانب الحفاظ على التراث الإماراتي^(٣). وتتولى الشركة الجديدة مهام إدارة المتاحف في الإمارة، وتحمل مسؤولية إبرام الاتفاقيات مع الجهات الحكومية والخاصة المحلية والدولية في مجال تطوير وإدارة المتاحف، كما احتفلت هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة باليوم العالمي للمتاحف، إذ نظمت الهيئة في الفترة من ١٦-١٨ مايو ٢٠١٧ مجموعة من المناشط والأسيات المفتوحة للجمهور^(٤).

- (١) العائلات تشارك في احتفال إدارة متاحف الشارقة بمناسبة اليوم العالمي للمتاحف. موقع فسيلة. تاريخ النشر ١٩/٥/٢٠١٧. www.faselah.net
- (٢) الإمارات تحتفل باليوم العالمي للمتاحف. أحمد مصطفى. www.alkhaleej.ae تاريخ النشر: ١٨/٥/٢٠١٢.
- (٣) اليوم العالمي للمتاحف، ورش تفاعلية تتواصل مع المجتمع وتربط الماضي بالمستقبل www.alroeya.ae. تاريخ النشر ١٨ مايو ٢٠١٧.
- (٤) اليوم العالمي للمتاحف، ورش تفاعلية تتواصل مع المجتمع وتربط الماضي بالمستقبل. مرجع سابق.

كما تعتني به وزارة الآثار المصرية، وتعتبره فرصة لتنظيم العديد من الفعاليات والأنشطة الخاصة للجمهور، للتعريف بكنوزها وتشجيع المصريين والأجانب على ارتياد المتاحف، كما يعدّ فرصة لوصول الجيل من الشباب إلى عالم المتاحف، وذلك لرفع وعيهم حول أهمية المتاحف ودورها في المجتمع من خلال إعداد مجموعة البرامج التعليمية (ورش عمل، مسابقات، معارض، وعرض أفلام تعليمية)، منوها بحرص وزارة الآثار كل عام على المشاركة في تلك الاحتفالية وتنظيم العديد من الفعاليات في عدد من المتاحف بمختلف محافظات الجمهورية^(١).

فيتبين من عرض هذه التجارب في الاحتفال باليوم العلمي للمتاحف، الأهمية الكبيرة لهذا اليوم في التعريف بالمتاحف، ف«تحديد يوم عالمي لتلك المنشآت الثقافية والتراثية إتاحة الفرصة للمختصين بالمتاحف للتواصل مع العامة وتنبههم للتحديات التي تواجه المتاحف التي أصبحت مؤسسات في خدمة المجتمع وتطوره»^(٢)، لذلك يتوجب على المتاحف الإسلامية، أن تنخرط فعليا في الاحتفال بهذا اليوم، من خلال تفعيل أنشطة متنوعة، وتوسيع دائرة الزيارات، وإقامة معارض تعرّف بالمتحف، وتحفز على زيارته.



(١) انظر دور المتاحف في التنمية المستدامة موضوع اليوم العالمي للمتاحف. جريدة المصري اليوم على الشبكة. www.almasryalyoum.com. تاريخ النشر ١٨ / ٥ / ٢٠١٥.

(٢) اليوم العالمي للاتحاد، ورش تفاعلية تتواصل مع المجتمع وتربط الماضي بالمستقبل. مرجع سابق.

الخاتمة

وهكذا بينت الدراسة في التمهيد، أصل كلمة «متحف»، ومعناها اللغوي والاصطلاحي، وتعريف المجلس الدولي للمتاحف والموسوعة العربية العالمية، والمراد من المركب الإضافي «المتحف الإسلامي»، وأقسام المتاحف، وعرض نماذج متميزة من هذه المتاحف، كمتحف الشارقة للحضارة الإسلامية، ومتحف الشارقة للتراث، ومتحف دبي، ومتحف الآثار الإسلامية باسطنبول، ومتحف الآثار الإسلامية في المسجد الأقصى، ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ومتحف دار المدينة للتراث العمراني والحضاري.

وفي المبحث الأول، تحدثت عن دور المتاحف الإسلامية في تطوير وتعزيز البنية التحتية وتهيئة الموارد البشرية، في عناصر ثلاثة، الأول منها، خصصته لبيان أثر المتاحف الإسلامية في تعزيز وتطوير البنية التحتية، باعتبار أن هذه المتاحف قيمة عمرانية وحضارية كبيرة، تساهم بشكل كبير في تعزيز البنية التحتية للمدن ومحطة للإشعاع الثقافي والحضاري، أما العنصر الثاني، فتناولت فيه أثر المتاحف الإسلامية في تهيئة الموارد البشرية وخلق فرص الشغل، لأن حفظ الآثار وصيانتها وترميمها يحتاج يدا عاملة ذات خبرة عالية مما يساعد في توظيف مجموعة كبيرة من الخبراء في مجال صيانة التراث وترميم الآثار، مما يقلل من البطالة ويرفع وتيرة الإنتاج، ويحقق نسب نمو هامة، تعمل على تحقيق إقلاع اقتصادي حقيقي.

أما العنصر الثالث، فبينت فيه دور المتاحف الإسلامية في الاستقطاب السياحي، ذلك أن السياحة تلعب دورا هاما في تنشيط المتاحف وزيادة عدد زوارها، وبالتالي

زيادة دخلها من العملة الصعبة، في حين أن متاحف تساهم في جذب المزيد من السياح خاصة في المناطق التي تركز على السياحة الثقافية، فينتعش الاقتصاد الوطني. وفي المبحث الثاني، الموسوم بدور متاحف الإسلام في محاربة الاكتناز وتشجيع الاستثمار وأثره المستقبلي على الاقتصاد، تحدثت في العنصر الأول عن دور هذه متاحف في محاربة الاكتناز، من خلال توسيع دائرة الانفاق الذي يسهم في تنمية اقتصادية مستدامة، بينما جاء العنصر الثاني، ليرز دور متاحف الإسلام في تشجيع الاستثمار الذي يظهر من خلال العمل المتلاحق على تدوير الأموال واستثمارها في اقتناء المعروضات، وإقامة المعارض الدائمة والمؤقتة، وفتح باب إشراف القطاع الخاص على إنشاء متاحف إسلامية خاصة.

فيما ارتبط المبحث الثالث، بتوضيح الرؤية المستقبلية لتوسيع الاستفادة اقتصاديا من متاحف الإسلام، بخلق بيئة ثقافية داخل المجتمع أولا، من خلال زيادة الوعي العام بأهمية متاحف ودورها الاجتماعي والتربوي والاقتصادي، وإبراز ما تتوفر عليه من نواذر تراثية تمثل حضارة الأمة وتاريخها المجيد، مما سيوسع مجال تدخل هذه متاحف في الاقتصاد، والاستفادة من الإعلام المتنوع ثانيا، فهذا التطور الهام في البنية الإعلامية، ينبغي الاستفادة منه من أجل مستقبل اقتصادي فاعل للمتاحف الإسلامية، والانخراط الفعلي في اليوم العالمي للمتاحف ثالثا، لأهميته في التعريف بالمتاحف وإبراز دورها المجتمعي والإنساني، وتفعيل أنشطة متنوعة تمكن من توسيع دائرة الزيارات، وبالتالي الدفع بعجلة الاقتصاد.

وبذلك يمكن القول إن:

- المتاحف الإسلامية مؤسسة تربوية وثقافية وتعليمية، تسهم في رفع الوعي الثقافي للأمة، وتقدم معلومات مهمة للباحثين والعلماء في التعرف على تاريخ الأمة ومجدها وحضارتها وإنسانيتها.

- لا يقتصر دور المتاحف الإسلامية على المجال الثقيفي والتعليمي والتربوي، بل يتعداه إلى تقديم خدمات ومنافع اقتصادية جليلة للمجتمع، من خلال تطوير وتعزيز البنية التحتية، خلق فرص للعمل، تطوير السياحة، تشجيع الاستثمار.

- الدور الاقتصادي الفعال للمتاحف الإسلامية، رهين بتطوير آليات الاشتغال، ووسائل العمل، وفتح باب الاستثمار، والاستفادة من التطور التكنولوجي والتقدم العلمي، والانخراط الفعلي في المنظومة العالمية، والاستفادة أيضا من التجارب الدولية في هذا المجال.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



قائمة المصنّاور

- الآثار: نوفر مناخ استثماري في المتاحف لزيادة موارد الوزارة. أحمد منصور. موقع www.youm7.com
- الإسلام يرفض الاكتناز ويحاربه بالزكاة والصدقات. ملحق الدين والحياة. جريدة الخليج.
- الإمارات تحتفل باليوم العالمي للمتاحف. أحمد مصطفى www.alkhaleej.ae
- البعد الثقافي للمتحف ودوره في التنمية السياحية: دراسة في أنثروبولوجيا السياحة. عامر رانيا. جامعة الإسكندرية. كلية الآداب قسم الأنثروبولوجيا. سنة ٢٠٠٥. رسالة ماجستير غير منشورة.
- تاج العروس. مرتضى الزبيدي. المطبعة الخيرية القاهرة. (د. ت).
- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤.
- التقرير السنوي حول البث الفضائي العربي لسنة ٢٠١٦. تصدره اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية. منشور بموقع اتحاد إذاعات الدول العربية. جامعة الدول العربية www.asbu.net
- دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي. مجدي عبد الفتاح سليمان. بحث منشور بموقع eamaar.org
- دور المتاحف الأثرية الأردنية في جذب السياحة. أكرم عاطف رواشدة. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد ٤١. العدد ٢. السنة ٢٠١٤.
- دور المتاحف في التنمية المستدامة موضوع اليوم العالمي للمتاحف. جريدة المصري اليوم على الشبكة www.almasryalyoum.com.
- السياحة وأثرها في التنمية الاقتصادية العالمية حالة الاقتصاد الجزائري هواري معراج. د. محمد سليمان. جامعة الأغواط. جردات - الجامعة الإسلامية بالهند.
- السياحة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. د. رؤوف محمد علي الأنصاري. موقع مجلة سطور www.sutuur.com

- السياق السوسيوولوجي للتنشئة المتحفية. د. حميد حملاوي. بحث مقدم لجامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة. الجزائر.
- صحيفة برق عبر موقعها الإلكتروني: www.brgnews.com
- العائلات تشارك في احتفال إدارة متاحف الشارقة بمناسبة اليوم العالمي للمتاحف. موقع فسيلا www.faselah.net
- فن المتاحف. سمية حسن محمد. دار المعارف. القاهرة. (د. ت.).
- فن المتاحف. علي رضوان. كلية الآثار القاهرة ١٩٨٢.
- لسان العرب. ابن منظور الإفريقي. ط ١. دار صادر. بيروت. لبنان. ٢٠٠٠م.
- متاحف الآثار هويتها تطورها وواقعها المعاصر. سعيد الحجري. مجلة جامعة دمشق. المجلد ٣٠، العدد ٣ و٤ / ٢٠١٤.
- المتاحف الأثرية في الأردن. دراسة تحليلية. عبد اللطيف مازن. الجامعة الأردنية. عمان. سنة ١٩٩٣. رسالة ماجستير غير منشورة.
- متاحف التراث الشعبي والجذب السياحي. دراسة في أنثروبولوجيا المتاحف. محمد يسري دعبس. الملتقى المصري للإبداع والتنمية. ط ١ / ١٩٩٠.
- متاحف الدولة منارة ثقافية رائدة تحتضن أمجاد الماضي وإشراق الحاضر. هناء حمادي. موقع الاتحاد alittihad.ae
- المتاحف العلمية عوامل فعالة لتحقيق التنمية المستدامة. جريدة إيلاف تصدر من لندن www.elaph.com.
- متاحف مكة وأساليب تطويرها «دراسة تحليلية». عوض عمر عوض قندوس. ماجستير بجامعة أم القرى كلية التربية. غير منشور.
- متحف الشارقة للحضارة الإسلامية. بامبلا كسرواني. موقع رصيف ٢٢.
- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. تحقيق: يوسف الشيخ. المكتبة العصرية صيدا بيروت. ط ٤ / ١٩٩٨.

- القاموس الجديد. علي بن هادية بلحسن. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٩.
- المصطلح الأصولي عند الشاطبي. د. فريد الأنصاري. معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العلمي للفكر الإسلامي. ط ١. ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- مطوية متاحف الخاصة في المملكة العربية السعودية وأوجه الدعم الذي تقدمه الهيئة. صدر عن الهيئة العامة للسياحة والآثار. موقع [www. scta. gov. sa](http://www.scta.gov.sa)
- معجم اللغة العربية المعاصر. أحمد مختار عبد الرحيم عمر. عالم الكتب. ط ١ / ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨.
- مفاهيم إسلامية في النقود والفرق بين الاكتناز والادخار. د. شوقي إسماعيل شحاتة. مجلة المسلم المعاصر. العدد ١٤ السنة ١٩٧٨.
- مكاتب متاحف الوطنية الجزائرية. شروط وإمكانيات الربط على شبكة الإنترنت. مالكي زوهير. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية. جامعة وهران. ٢٠٠٨-٢٠٠٩. غير منشور.
- الموافقات في أصول الشريعة. أبي إسحاق الشاطبي. تحقيق: عبد الله دراز. ط ١. دار الكتب العلمية. لبنان. ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- الموسوعة العربية العالمية. مجموعة من الباحثين. ١٤ / ١٧٣. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. ط ٢ / ١٤١٩هـ - ١٩٩٩.
- اليوم العالمي للمتاحف، ورش تفاعلية تتواصل مع المجتمع وترتبط الماضي بالمستقبل [www. alroeya. ae](http://www.alroeya.ae)
- مراجع أجنبية:

- Lamuséologie histoire developpements enjeux actuels. Gobandré et drougetnoémie. armand colin. paris. 2006.

- Leçon georgehenririvière. in la muséologie selon georgehenri. gerogehenririvière. texte et temoignagesdunod. paris 1989.

مواقع إلكترونية:

- موقع: [www. alittihad. ae](http://www.alittihad.ae)
- موقع ترك بريس: www. turkpress. com
- موقع: www. miciq. com
- موقع: www. egynews. net
- موقع: www. scta. gov. sa
- موقع: www. sis. gov. eg
- موقع اكتشف دبي: www. visitdubai. com
- موقع المتحف على الشبكة: www. dar-almadinah. com
- موقع المجلس الدولي للمتاحف: icom. museum. com (ترجمة خاصة).
- موقع المجلس الدولي للمتاحف: www. icomos. org
- موقع المجلس: www. wttc. org
- موقع الهيئة العامة للاستعلامات بمصر: www. sis. gov. eg
- موقع هيئة الشارقة للمتاحف: sharjahmuseums. ae
- موقع: www. arab48. com
- موقع: www. visitdubai. com
- موقع: قلب الشارقة: www. heartofsharjah. ae





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

مفاهيم العمارة المستدامة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية

إعداد

أ. د. آدم نوح علي معاينة القضاة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك

د. شعيب نوح علي معاينة القضاة

كلية العمارة والتصميم

جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

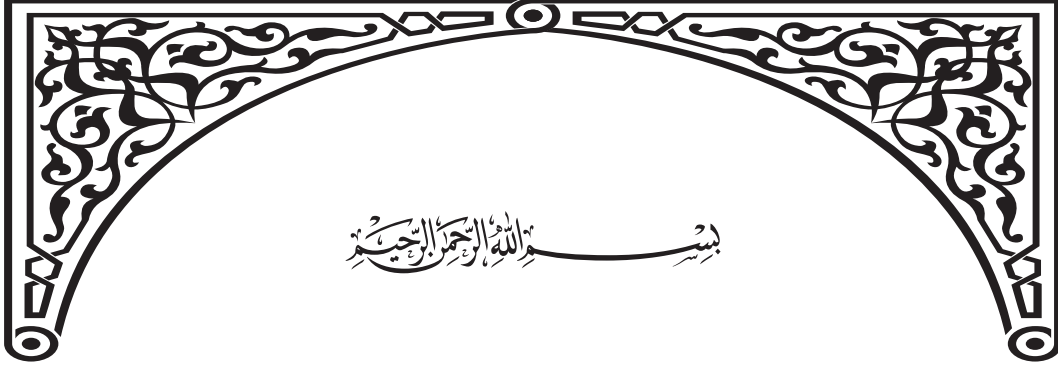
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تأصيل مفاهيم العمارة المستدامة وفق مقاصد الشريعة الإسلامية لتعزيز جهود نقل مفهوم العمارة الإسلامية من مرحلة الحقبة التاريخية إلى واقع قابل للتطبيق ومجارة متطلبات العصر كجزء من عقيدة المسلم وسلوكياته اليومية المرتبطة ببيئته المحلية.

وقد اعتمد الباحثان على المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنتاجي في تحليل واستقراء مفاهيم العمارة المستدامة لاستنتاج وتأصيل مفاهيمها ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية.

وخلص الباحثان إلى أن جميع مفاهيم ومحاور العمارة المستدامة هي جزء من مقاصد الشريعة الإسلامية، وضع الشارع قواعدها العامة وترك إيقاعها على الواقع وفقاً لمتطلبات الزمان والمكان.

حيث أوصى الباحثان بضرورة التعاون بين علماء الشريعة الإسلامية والمختصين في مجال العمارة المستدامة لوضع القواعد والأسس لمفاهيم العمارة الإسلامية،

وصياغة محاور العمارة الإسلامية وفق مقاصد الشريعة الإسلامية لتحديد الثابت والمتغير لمجارة ومواكبة تطور العلم وال عمران وفقا لمتطلبات الزمان والمكان.

كلمات مفتاحية:

مقاصد الشريعة الإسلامية، العمارة المستدامة، العمارة الإسلامية، البيئة، المجتمعات الإسلامية المعاصرة.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تعتبر العمارة الإسلامية أحد أوجه إبداع الحضارة الإسلامية وتميزها، ودليلاً على التطور والإسهام الإيجابي في إغناء الحضارة الإنسانية وإثرائها. وتعرف العمارة الإسلامية بالأغلب على أنها: جميع الأعمال المعمارية التي أنجزت بتدبير عقلي محكم خلال فترة الحكم الإسلامي، وتشمل العمارة الدينية والعسكرية والمدنية.

إن تناول مفهوم العمارة الإسلامية بالتعريف السابق جعل الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع ينظر إلى العمارة الإسلامية على أنها مرحلة تاريخية انقضت بانتهاء أسباب مقوماتها، وبذلك أصبح الشائع - عند كثير من المهتمين - أن العمارة الإسلامية منحصرة بأشكال وفنون معينة ذات مغزى تاريخي منقضي. وهذا الأمر هو خلاف حقيقة جوهر العمارة الإسلامية، التي هي ترجمة واقعية لمعاني ومعتقدات إسلامية تستمر باستمرار هذه المعاني، بعيداً عن قيود الزمان والمكان.

وحيث إن التوجه الحالي للعمارة العالمية هو الاهتمام بالجوانب البيئية وإنتاج عمارة مستدامة تسعى إلى إلغاء أو تقليل الآثار السلبية للمباني على البيئة المحيطة، وإنتاج فراغات معمارية ذات تأثير إيجابي على المستخدم خلال دورة حياة المبنى المختلفة، وجب توضيح هذه المعاني والمبادئ من خلال أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها، لكي يتسنى لنا نقل مفهوم العمارة الإسلامية من حالة الحقبة التاريخية المنقضية إلى واقع قابل للاستمرار والدوام ومجارة متطلبات العصر.

ورغم أن كلمة بيئة أو مستدام لم ترد صراحة في الشريعة الإسلامية، إلا أن المعاني المرتبطة بها مثل: (الأرض، الهواء، الماء، رفع الضرر، الحق الخاص والعام، كف الأذى، رعاية المصلحة) ورد ذكرها في العديد من قواعد الشريعة الإسلامية كجزء أساسي من عقيدة المسلم وسلوكياته اليومية المرتبطة ببيئته المحيطة، مما يتيح للباحثين استجلاء المفاهيم الشرعية الداعمة لهذا النمط من العمارة، وزيادة الحرص على تطبيقه كجزء من ثقافة الأمة وسلوكها العام.

مشكلة الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى توضيح مفاهيم العمارة المستدامة (البيئية) في الشريعة الإسلامية كمقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية في إعمار الأرض وتنميتها واستغلال ما سخره الله لنا في هذه الحياة. كما يوضح هذا البحث أمثلة من تطبيق هذه المبادئ من التاريخ الإسلامي، وبعض المقترحات لنقل هذه الأمثلة إلى العمارة المعاصرة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



المبحث الأول مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: مفهوم العمارة في المنظور الإسلامي.

يتفق الباحثون في مجال العمارة - وإن اختلفت تعريفاتهم الدقيقة - على أن العمارة هي منتج يمزج بين الفن والعلم الذي يشترط به تضمن البهجة والسعادة وأسس الراحة للإنسان المستخدم لهذا المنتج.

وتعتبر العمارة بشكل عام محصلة مركبة للثقافة المادية والروحية^(١) للمجتمع كون الفن جزءاً أساسياً من تركيبها. وتتأثر العمارة، كونها علماً، بالبيئة المحيطة والظروف المناخية لمكان وجود المنتج المعماري، حيث إن متطلبات الإنسان وحاجاته ترتبط ارتباطاً وثيقاً وتتغير بالظروف المناخية المحيطة والبيئة السائدة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تأثير العمارة بالبيئة المحيطة بقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَجْحُونَ الْجِبَالَ يُوْتًا﴾^(٢) حيث إن الشكل الأنسب لعمارة السهول هو القصور لتيسر المواد وإمكانية إنشاء الحدائق والرياض، والجبال يناسبها النحت لوعورتها وقساوة صخرها، والفرق واضح بين الفعلين اتخذ ونحت^(٣).

(١) المفهوم الرمزي للأشكال في العمارة العربية الإسلامية، إيثار أسعد، مجلة التراث الحضارة، ص ٤٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

(٣) العمارة والبيئة في القرآن الكريم، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٩٤.

كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾^(٢) إلى نوعين من البناء: بناء بيوت الحضر المستقرة، وبيوت البدو القابلة للنقل والمصنوعة من البيئة المحيطة والمواد المتوفرة.

وعند الحديث عن العمارة الإسلامية تختلف التعريفات بين الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع، فيرى بعضهم أنها: جميع الأعمال المعمارية التي أنجزت بتدبير عقلي محكم خلال فترة الحكم الإسلامي (اصطلاحاً)، والتي تشمل العمارة الدينية والعسكرية والمدنية، وهذا الفهم أدى إلى تناول العمارة الإسلامية كمجموعة أشكال وعناصر فنية نشأت وتطورت وانتهت تحت تأثيرات معينة كباقي أنواع الفنون.

ويرى الفريق الآخر أنه لا يمكن فهم العمارة الإسلامية وخصائصها الجوهرية إلا من خلال فهم المعتقدات الإسلامية التي هي سبب رئيسي في تشكيلها وتكوينها^(٣)، وهو امتداد لمفهوم شمولية الإسلام بعيداً عن قيود الزمان والمكان. وهذا يتفق مع تعريف البيئة الحضرية اللاحق ذكرها.

من هنا يمكن القول إن العمارة الإسلامية: هي العمارة التي نشأت وتطورت واستمرت بتأثيرات مادية (مناخية وبيئية) ولا مادية (اجتماعية وثقافية وفنية) مستمدة من تعاليم الشريعة الإسلامية.

(١) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٢.

(٣) العمارة الإسلامية والبيئة، يحيى وزيري، دار عالم المعرفة، ٢٠٠٤، ص ٢٤.

وتعد العمارة بمعناها الاصطلاحي وبجميع أشكالها وأنواعها أحد أوجه الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى في الخلافة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾^(١) وهو ما يفيد العبادة أولاً ثم تعمير الأرض. وذكر بعض علماء الشافعية أن الاستعمار هو طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى على وجه الوجوب^(٢).

وبالتزامن مع هذا الطلب بالإعمار، وضعت الشريعة الإسلامية ضوابط عامة بجعله إعماراً إيجابياً ومساهماً في تحقيق وتسهيل عيش الإنسان كما جاء في الحديث الشريف: «من بنى بناً من غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء، كان له أجرٌ جارٍ ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى»^(٣)، كما رفض الإسلام البناء العبيث لقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۗ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ﴾^(٥) والتي فيها نهي صريح عن الفساد في الأرض بشقيه المادي والمعنوي^(٦).

المطلب الثاني: مفهوم البيئة في الإسلام.

البيئة كلمة عامة لا وصف محدد لها، فالبيئة الطبيعية تشير إلى: المادة، والبيئة الاجتماعية تشير إلى: اللامادة، من العلاقات الإنسانية والروحية والاقتصادية والسياسية.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم - ج ٤ - ص ٣٢٨٤.

(٣) مسند الإمام أحمد - ج ٣ - ص ٤٣٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٦) العمارة الإسلامية والبيئة في اليمن، عبد الرحمن المختار، مجلة جامعة الناصر، ٢٠١٣، ص ٢٠٨.

ومع اختلاف أوجه التعريف تبقى العمارة مرتبطة بالبيئة ومتأثرة بعواملها المختلفة^(١)، والتفاعل بين النوعين السابقين من البيئة وبين العمارة ينتج البيئة الحضرية التي تشمل ما أقامة الإنسان من مادة متأثرا بالطبيعة المحيطة ومتماشيا مع البيئة الاجتماعية^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٣) إشارة إلى أن الظروف البيئية المحيطة والظروف الاقتصادية هي جاذب أساسي للسكن والسعادة، وعناصر رئيسة للبيئة الحضرية^(٤).

ومع أن كلمة بيئة أو مستدام لم ترد صراحة في الشريعة الإسلامية، إلا أن المفهوم الشامل لعناصر البيئة نجده في الآية الكريمة: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾^(٥)، فالآية شملت وحصرت مكونات أي بيئة بعناصرها: الطبيعية (سطح الأرض وما عليه وما تحته من مكونات)، وجميع الكائنات الحية بما فيها الإنسان، ومجموعهما وهي البيئة الحضرية^(٦).

كما أن المعاني المرتبطة بالبيئة مثل: الأرض، الهواء، الماء، الإعمار، رعاية المصلحة، الحق العام، رفع الضرر، وكف الأذى ورد ذكرها في العديد من قواعد الشريعة الإسلامية كجزء أساسي من عقيدة المسلم وسلوكياته اليومية المرتبطة ببيئته المحيطة.

(١) التوافق العلمي والجمالي بين اللغة والعمارة، عماد يونس، مؤسسة نور، المانيا، ٢٠١٧.

(٢) العمارة الإسلامية والبيئة، يحيى وزيري، دار عالم المعرفة، ٢٠٠٤، ص.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٤) العمارة والبيئة في القرآن الكريم، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٩٤.

(٥) سورة طه، الآية: ٦.

(٦) العمارة الإسلامية والبيئة، يحيى وزيري، دار عالم المعرفة، ٢٠٠٤، ص.

المطلب الثالث: مفهوم العمارة البيئية.

تطور مفهوم وتعريف «البيئة» و«البيئة المستدامة الشاملة»، الذي يمس كل أوجه النشاطات الإنسانية، في العقود الأخيرة بجهود أطراف عديدة ومشاركات مختلفة. ويعتبر من أشهرها تعريف بروننتلاد الذي نشر من قبل الأمم المتحدة والذي يعرفها بأنها: التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها^(١).

وعند إسقاط التعريف السابق على العمارة يمكن تعريف العمارة البيئية بأنها: الممارسات المعمارية المختلفة التي تعتبر الإنسان وما يُنتج جزءاً من المنظومة البيئية، وعليه يجب أن يكون الناتج المعماري أقل ضرراً للبيئة، مع تلبية احتياجات الإنسان بتحقيق السعادة والراحة^(٢).

ترتكز العمارة المستدامة على ثلاثة أبعاد رئيسية لا بد من مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار عند تصميم أي عمل معماري مستدام وهي البيئة والمجتمع والاقتصاد^(٣):

- البعد البيئي: ويُعنى بقدرة الموارد الطبيعية على تلبية الاحتياجات الحالية بما لا يهدد الأجيال القادمة، والذي يتحقق بترشيد استهلاك الموارد (المواد والطاقة والمياه) وزيادة كفاءتها طيلة دورة حياة المبنى.

(١) تقرير اللجنة العالمية المعني بالبيئة والتنمية، الأمم المتحدة، ١٩٧٨.

(٢) Sustainable Design Principles, Bruce Forward, Faculty of Architecture, The University of Sydney, 2010

(٣) Design of A Sustainable Building: A Conceptual Framework for Implementing Sustainability in the Building Sector, Peter Akadiri, Buildings, 2012

- البعد الاجتماعي: ويُعنى بمشاركة الأفراد والجماعات وأخذ الأبعاد والعلاقات الاجتماعية عند وضع الحلول المعمارية.

- البعد الاقتصادي: ويعنى بوضع الخطط والتصورات لضمان استمرارية الحلول المعمارية اقتصاديا وماليا.

هذا وقد تطور مفهوم العمارة المستدامة خلال العقود الثلاثة الماضية من العناية والحفاظ على المصادر الطبيعية، إلى الارتقاء بجودة الحياة مع الحفاظ على المصادر البيئية، إلى إضافة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لما سبق^(١).

ونظرا لتنامي الوعي العالمي للحد من الآثار السلبية للأنشطة البشرية على البيئة وفي ظل التطور العمراني الذي يشهده العالم، لا يمكن اعتبار تطبيق العمارة المستدامة عملا اختياريا وإنما هو تطبيق علمي وممارسة مهنية واعية تدرج تحت حديث الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

حيث تشير إحصائيات الأمم المتحدة إلى أن قطاع البناء مسؤول عن: ما يزيد عن ٤٠٪ من استهلاك الطاقة العالمي، ٤٠٪ من انبعاث الغازات الدفيئة، ٢٥٪ من استهلاك المياه الصالحة للشرب، وإنتاج أكثر من ٢٥٪ من النفايات الصلبة على مستوى العالم^(٣).



(١) Energy for Sustainability: Technology, Planning, Policy, John Randolph, Island Press, 2008

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد، حديث رقم ١٩٥٥.

(٣) Creating the next Industrial Revolution, Little Brown and Co., 2015, p.369

المبحث الثاني

العمارة المستدامة ومقاصد الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: أهداف العمارة المستدامة وأدوات قياسها.

تطورت طرق قياس العمارة المستدامة في العقدين الأخيرين تطورا كبيرا وملحوظا، وتبذل الدول والجهات المعنية المختلفة جهودا واسعة وطيبة في سبيل استمرار تطويرها وتعديلها بما يتناسب مع التطور التكنولوجي والإنشائي المتزايد، وبما يتناسب أيضا مع بيئات التطبيق المختلفة، وقامت بعض الدول بتشريع التطبيق الإلزامي لهذه الطرق وجعلها متطلبا إجباريا لبعض الأنواع من الأعمال المعمارية.

وتعتبر طرق القياس أدوات لتقييم المنتجات المعمارية المختلفة وتحليلها لمعرفة وقياس مدى تحقيق أهداف العمارة المستدامة، وبالرغم من الاختلاف الواسع أحيانا بين هذه الطرق، إلا أن المعايير والمحاوير المرجعية تقريبا متشابهة، ويأتي الاختلاف نتيجة للتركيز على محور أكثر من الآخر ضمن السياسات العامة للدولة وصناع القرار، ويمكن إجمال هذه المحاور بالنقاط التالية^(١):

١- المحور الاقتصادي: حيث يعد الجانب الاقتصادي أحد أبرز العوامل المؤثرة على قطاع البناء والمنتج المعماري. إلا أنه بنفس الوقت يعتبر أكثر العوامل غموضا، إذ إنه لا يمكن التنبؤ بالنمو العام في الاقتصاد العالمي لأي فترة مقبلة.

(١) الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، مصطفى طلبه، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٦.

وللتوجه الاقتصادي العام على مستوى الدولة أثر كبير على القرارات المعمارية، وبخاصة فيما يتعلق باستغلال الثروات الطبيعية، وتقليل الهدر، وإعادة التدوير، والبنية التحتية، ووسائل المواصلات والنقل المختلفة. كما أن للظروف الاقتصادية الخاصة بالمبنى دوراً آخر في مدى تحقيق الاستدامة، فالعمر الافتراضي، وطبيعة الأرض، والغاية من البناء عوامل مؤثرة في قرارات المصمم المعماري.

٢- المحور البيئي والحفاظ على الموارد الطبيعية: ويهدف هذا المحور إلى أن يكون المنتج المعماري متوافقاً ومتلائماً مع البيئة الطبيعية والاجتماعية؛ لإنتاج بيئة حضرية مناسبة للمستخدمين وحاجاتهم وظروفهم الاقتصادية. كما يهدف هذا المحور إلى تقليل الاستنزاف واستهلاك الموارد والاكتفاء بما يلزم لإيجاد وصنع المنتج المعماري الذي يحقق الراحة والفعالية للإنسان المستخدم.

ويمكن تقسيم الموارد الطبيعية إلى نوعين تحت هذا المحور: المتجدد وغير المتجدد. حيث يعزز هذا المحور الاستثمار بالمتجدد مع العناية به، وترشيد استهلاك غير المتجدد والحفاظ عليه من الاستخدام الجائر أو الإيذاء؛ لإبقاء المجال أمام الأجيال القادمة وحقهم في الانتفاع به، وللحفاظ على التوازن البيئي من أي خلل يؤثر سلباً على حياة الإنسان وارتفاعه وعماره للأرض.

٣- محور تحفيز الإبداع والابتكار^(١): إن تطور الإنسان وتطور احتياجاته عملية مستمرة لا تتوقف، وهي ميزة خاصة للإنسان على كافة الكائنات الحية، ولذا وجب

(١) التنمية المستدامة في العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية، نائل أبو علي، جامعة أم القرى، ٢٠١٢.

تحفيز التفكير في تحقيق أفضل الحلول المعمارية المتوافقة مع البيئة وحمايتها بما يحقق الاحتياجات الإنسانية المختلفة المتطورة باستمرار، ويحقق أسباب وجوده وحياته. ووفق ما سبق ذكره نجد أن وضع طرق لقياس العمارة المستدامة أمر معقد ومتداخل لتشعب المدخلات والمخرجات واختلاف وجهات النظر، وهو خارج نطاق أهداف هذا البحث، إلا أنه يمكن القول بأن الأهداف العامة يمكن تلخيصها بالنقاط التالية^(١):

- ١ - كفاءة استخدام الطاقة.
- ٢ - كفاءة استخدام المياه.
- ٣ - كفاءة استخدام الموارد والمواد.
- ٤ - حماية صحة المستخدمين.
- ٥ - تحسين إنتاجية الفرد والمجتمع وتحفيزها.
- ٦ - تقليل النفايات والتلوث.
- ٧ - إعادة بناء ما استهلك من الطبيعة.
- ٨ - خفض الكلف المالية والاقتصادية.
- ٩ - تحفيز التفكير والإبداع المعماري.
- ١٠ - المواءمة مع البيئة الطبيعية المحلية.

(١) تمثل هذه النقاط أهداف أكثر طرق قياس العمارة المستدامة شيوعاً واستخداماً في العالم وهي (LEED) من الولايات المتحدة الأمريكية، (BREEM) من بريطانيا، (CASBEE) من اليابان، (HQE) من فرنسا.

١١ - تشجيع وتقوية الروابط المجتمعية المحلية.

المطلب الثاني: أهداف العمارة المستدامة في ضوء مقاصد الشريعة.

إن الدارس لأهداف العمارة المستدامة يجد أنها تتوافق مع المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ولا تخرج عنها، توافقاً إجمالياً وتفصيلاً، ذلك أن مقاصد الشريعة الإسلامية هي ما عبر عنه الإمام الغزالي بقوله: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، وما لهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»^(١).

هذه العبارة تبين بصورة واضحة الإطار العام الذي يتحرك فيه المسلم عند قيامه بواجب الخلافة في الأرض، متمثلاً الأمر الإلهي العام في هذا الشأن، والذي لخصته الآية الكريمة ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

والمعماري المسلم -الذي هو من جملة المخاطبين بذلك الأمر- لا بد له أن يستلهم أفكاره وتصوراته من هذا الإطار، لا من غيره، لأن المعماري يؤلف بطريقته عمارةً حاملةً لفلسفة حياته، وما يسطره قلمه يحمل تصوّره لكونه، يبدع العمارة ويصوغها حسب رؤيته، انطلاقاً من معرفته وقدرته^(٣).

(١) المستصفي، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج ١، ص ٤١٧.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) التصميم المعماري للمباني الأكاديمية من منظور التعاليم الإسلامية، إسلام حميدي الغنيمي، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٣، ص ٢.

وعليه فإن كل أمر يتبين له في عصر من العصور، أو زمن من الأزمنة أنه يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية في محافظتها على هذه الأصول، فإن الأخذ به يصبح فريضة شرعية لا يسعه تركها أو تجاهلها، أو العمل بما يضادها ويخالفها، وكل ما يتبين له أنه يتعارض مع هذه الأصول فإن تركه واجب، فكل «من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل... فإن المشروعات إنما وضعت لتحصيل المصالح ودرء المفاسد، فإذا خولفت لم يكن في تلك الأفعال التي خولف بها جلب مصلحة ولا درء مفسدة»^(١).

إن المحافظة على مقاصد العامة للشريعة الإسلامية - من جانب المعماري المسلم وغيره - لا يقتصر على اللحظة الراهنة من حياته، بل يمتد إلى ما بعد ذلك، مراعاةً لحق الأجيال القادمة في استمرار ما به قوام معيشتها، وحقها في حمل هدي دينها وما يتضمنه من عدل ورحمة وصلاح للناس مع تعاقب أزمانهم وأجيالهم، وهذا هو معنى الاستدامة التي ننشد، يقول الأستاذ علال الفاسي رحمه الله: «المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن إصلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض واستنباط خيراتها وتدبير لمنافع الجميع»^(٢).

(١) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٢) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط ٥، ١٩٩٣، ص ٤٥.

أما من الناحية التفصيلية فإن المحور الأول من محاور العمارة المستدامة - والذي يتعلق بالجانب الاقتصادي، وبخاصة ما يتصل باستغلال الثروات الطبيعية، وتقليل الهدر - ينسجم مع الأمر الإلهي بتجنب التقتير والسرف، ووجوب التوسط في أمر المعاش كله، ليكون هذا صفة لازمة لأهل الإسلام أينما تحركوا في مجال من مجالات الحياة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(١)، فهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات ويتجه إليها في التربية والتشريع، يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال، والمسلم - مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة - ليس حراً في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء... إنما هو مقيد بالتوسط في الأمرين: الإسراف والتقتير؛ فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله، فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية، والإسراف والتقتير يحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي، وحبس الأموال يحدث أزمات، ومثله إطلاقها بغير حساب، وذلك فوق فساد القلوب والأخلاق.

يقول ابن القيم رحمه الله: « لم يكن من هديه ﷺ وهدى أصحابه - رضوان الله عليهم -، ومن تبعه الاعتناء بالمساكن وتشيدها، وتعليقها وزخرفتها وتوسيعها، بل كانت من أحسن منازل المسافر تقي الحر والبرد، وتستتر عن العيون، وتمنع من ولوج

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

الدواب، ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولا تعتور عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها، وليست تحت الأرض فتؤذي ساكنها، ولا في غاية الارتفاع عليها، بل وسط، وتلك أعدل المساكن وأنفعها، وأقلها حراً وبرداً، ولا تضيق عن ساكنها فينحصر، ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة... ولم يكن في الدار كنيف تظهر رائحته، ولا ريب أن هذه من أعدل المساكن وأنفعها وأوفقها للبدن، وحفظ صحته»^(١).

والمحور الثاني من محاور العمارة المستدامة - وهو المحور البيئي - ينسجم مع ارتباط مقاصد الشريعة ارتباطاً وثيقاً بحماية البيئة والحفاظ عليها من الاستنزاف أو التلف أو الفساد^(٢).

فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٣): هذا نهى عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه.. من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، ومعنى بعد إصلاحها بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين... ومن أمثلته تغيير الماء المعين، وقطع الشجر والثمر ضراراً^(٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ج ٤، ص ٢١٩.
 (٢) انظر: البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، محمد جبر الألفي، ص ١١، منشور على موقع الألوكة. <http://www.alukah.net/web/al-alfi/11773/74174>
 (٣) سورة الأعراف: الآية ٥٦.
 (٤) انظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، بيروت: دار الفكر، ج ٥، ص ٧٠. بتصرف.

وجاء في إعلان جدة للبيئة من منظور إسلامي (٢٠٠٠م):

«إن التنمية من المنظور الإسلامي تتمثل في عمارة الأرض وإصلاحها بما لا يخل بالتوازن الذي وضعه الله في كل شيء في الكون، وفي عدم استنفاد العناصر الضرورية للحفاظ على سلامة البيئة، وفي الحد من تعريض الأرض وما عليها إلى مختلف أنواع التلوث.

إن حماية البيئة جزء لا يتجزأ من عملية التنمية، ولا يمكن النظر فيها بمعزل عنها، وعلى الدول أن تسعى إلى تحقيق النمو الاقتصادي مع المحافظة على البيئة بشكل يمنح الأجيال القادمة فرصة الحياة السليمة، وعلى المرء أن يحرص على جلب الخير للبشر، ودفع الشر عنهم»^(١).

أما المحور الثالث، وهو محور تحفيز الإبداع والابتكار في ابتكار الحلول البيئية، فإن فهمه هنا ينبغي أن ينطلق مما قرره الفقهاء المسلمون، في معرض بيانهم للأحكام الشرعية، واجتهادهم في تجليتها وتنظيمها للنشاط الإنساني بمختلف مجالاته، من أنه: «ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾»^(٢) «^(٣).

(١) انظر: نحو رؤية إسلامية للبيئة والإنسان، أحمد رمضان علي، مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٣، ص ٢٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) الرسالة، الإمام الشافعي، مكتبة الحلبي، ص ١٩.

فإذا استقر في وجدان المعماري المسلم، ما سبق بيانه من واجب المحافظة على البيئة واستدامتها في عمارته، صار واجباً عليه أن يجتهد في تطبيق ذلك في الواقع العملي، من غير أن ينحصر تفكيره وأفق إبداعه بتقليد من سبقه، فالعمارة تعتبر من جملة العادات، التي لم يطلب الشارع من المكلفين إيقاعها على صورة واحدة لا تتغير كما هو الحال في العبادات، بل اكتفى بتقرير القواعد العامة وترك تنزيل ذلك على الواقع إلى ما تمليه ظروف الزمان والمكان.



المبحث الثالث

تطبيقات العمارة المستدامة عند المسلمين

المطلب الأول: تطبيقات مبادئ العمارة المستدامة في التاريخ الإسلامي.

يمكن ملاحظة العديد من الأمثلة على تطبيق مبادئ العمارة المستدامة في العديد من الأعمال والمنتجات المعمارية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي أو في المجتمعات الإسلامية. ويلاحظ أن هذا التطبيق كان جزءاً طبيعياً من تطور العمران والمدن ولم يكن متكلفاً أو مصطنعاً. ونورد هنا بعضاً من هذه الملاحظات والشواهد المستخلصة من دراسات المهتمين بهذا الشأن: (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧):

١- تتشابه المدن الإسلامية في تخطيطها وتوزيع فراغاتها بالرغم من اختلاف مواقعها الجغرافية، ويلاحظ توسط المسجد وغياب الساحات الكبيرة انعكاساً لمبدأ الأمة الواحدة، وحرصاً على عدم وجود فواصل عازلة بين أفراد المجتمع الواحد.

- (١) العمارة الإسلامية والبيئة، يحيى وزيري، دار عالم المعرفة، ٢٠٠٤.
- (٢) الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، حسن فتحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.
- (٣) Traditional Islamic Principles of Built Environment, Hisham Mortada, Routledge, 2011
- (٤) The Environmental Dimensions of Islam, Mawil Izzi Dien, The Lutterworth Press, 2000
- (٥) العمارة وحل مشاكل البيئة في الإسلام، عبد الوهاب ضاهر، لبنان، ٢٠١٤.
- (٦) مراعاة البيئي في بناء المدينة في الحضارة الإسلامية، محمد الهامي، رابطة علماء أهل السنة، ٢٠١٦.
- (٧) المنحنى البيئي في العمارة الإسلامية، علي ثويني، مؤسسة النور للثقافة والإعلام، ٢٠٠٨.

٢- الشوارع الضيقة التي تتناسب مع الظروف المناخية المحيطة والتي تشجع على التواصل بين أفراد المجتمع والشعور بالأمان، كما أنها تقلل من فرص الانعزال وعدم تأدية الفرد لواجباته تجاه المجتمع الذي يعيش فيه.

٣- غياب المناطق المقسمة والمخصصة على أساس عرقي أو طبقي، ترسيخا لمبادئ التعايش بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن خلفياتهم العرقية أو المادية.

٤- تشابه وتمائل أشكال ومساحات الوحدات السكنية ترسيخا لمبادئ العدالة وانسجام الكل ضمن المنظومة الواحدة، إضافة إلى الأبعاد البيئية من السماح بوصول الشمس والهواء للجميع.

٥- اتصال أسطح أغلب المساكن مع بعضها مع الحفاظ على خصوصية المنزل واستعماله، تجسيدياً لمبدأ الثقة ووحدة الأمة واستغلالاً للفراغات والأرض.

٦- احتواء أغلب المساكن على الفناء الداخلي والفراغات المتعددة الاستخدام (الإيوان)؛ تشجيعاً للتواصل بين أفراد الأسرة، إضافة لما لذلك من أثر على محاولات التأقلم والتعايش مع الظروف المناخية المحيطة بتغير استعمال الفراغات حسب الحاجة، وتعد الفراغات المتعددة الاستخدام وجهاً من أوجه الاستعمال الأكفأ للموارد والمواد والطاقة.

٧- تشابه واجهات المنازل وبساطتها من الخارج، والاعتناء بالبيئة الداخلية تحسیناً وتحفيزاً لإنتاجية الفرد ومحافظة على صحته.

٨- استخدام المواد والموارد الطبيعية المحلية، وعدم فرض مواد أو أشكال معينة لا تتناسب مع البيئة المحلية. وهذا تطبيق مباشر لمبادئ خفض الكلف المالية والاقتصادية ونبذ الإسراف والترف.

٩- إعادة استخدام المباني والمواد من الحضارات والمدن السابقة في بناء وعمران الاحتياجات الجديدة للسكان، وهذا تشجيع لكفاءة استخدام الموارد والمواد ومساهمة فعالة في تقليل التلوث والإضرار في البيئة واستنزاف الموارد الطبيعية.

١٠- الابتعاد بالعمران عن مصادر المياه، حرصاً على عدم تلويثها وضمناً لاستمرارية الوصول إليها من جميع أفراد المجتمع.

١١- اختيار الأماكن الأنسب لإنشاء المدن والعمران الجديد، بناء على صحة وجودة المناخ والهواء حماية لصحة السكان، وتحفيزاً للإنتاجية الفرد والمجتمع.

١٢- جعل الصناعات الملوثة والمزعجة خارج حدود التجمعات السكانية، حماية لصحة الإنسان وحرصاً على راحتهم.

ويظهر تميز المنتج المعماري الإسلامي التاريخي في الأخذ بمبادئ العمارة المستدامة إذا ما درسنا العمارة عند الحضارات الأخرى. إذ نجد في الكثير من الأمثلة المأخوذة من العمارة الرومانية فرض مواد وأشكال وتصاميم معينة عند إنشاء المدن الجديدة، كما يظهر عدم التناغم مع البيئة المحلية وهذا يتنافى مع مبادئ العمارة المستدامة^(١).

Traditional Islamic Principles of Built Environment, Hisham Mortada, (١)
Routledge, 2011

ومما لا شك فيه أن العمارة الإسلامية استفادت وامتزجت بالعمارة المحلية في كثير من المناطق والبلدان التي دخلها الإسلام وعمرها، إلا أن الإسلام وحد مضمونها وجوهرها بما يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية^(١).

كما أن الكثير من المنتجات المعمارية في العصر الحديث أهملت العديد من هذه المبادئ، حيث كان تغليب المحور الاقتصادي والتكنولوجي على محاور البيئة والعلاقات الاجتماعية السمة الظاهرة والغالبة، وما كانت الدعوات إلى العمارة المستدامة في زمننا الحاضر والاهتمام بها عالمياً إلا محاولات خروج من النتائج السلبية للعمارة المعاصرة على البيئة والمجتمعات المختلفة.

المطلب الثاني: إشكالية العمارة المستدامة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

يمكن تناول هذا الموضوع من زوايا وأبعاد مختلفة، فهو موضوع متشعب لا يمكن الإمام به تفصيلاً ضمن نطاق هذا البحث وأهدافه، إلا أنه من الضروري بيان بعض الإشكاليات التي تثيرها التساؤلات حول تواضع الأمثلة في تطبيق مبادئ العمارة المستدامة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، رغم ارتباط هذه المبادئ بمقاصد الشريعة الإسلامية، ويرد تحت هذا السياق النقاط الرئيسية التالية:

١ - ضعف البحث والنشر في التأصيل الشرعي لمبادئ العمارة المستدامة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث تتناول معظم الأبحاث في هذا المجال العمارة الإسلامية كنوع من أنواع العمارة المحلية أو التاريخية، ولا تبحث في المعاني والقيم

(١) العمارة الإسلامية والبيئة، يحيى وزيري، دار عالم المعرفة، ٢٠٠٤.

المكونة لها، كما أن البحوث في هذا المجال لا تواكب الأبحاث العالمية الحديثة التي أعادت صياغة محاور ومعايير وأهداف العمارة المستدامة، وأنتجت أدوات قياس حديثة تواكب التقدم التكنولوجي المتسارع في مجال الإنشاء والبناء.

٢- ارتبطت العمارة الإسلامية في العصر الحديث بعمارة المدن والتجمعات السكنية النامية والفقيرة، مما أدى بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الاعتقاد بأن العمارة الإسلامية يمكن تطبيقها فقط على المناطق النامية والفقيرة، وأنها لا تتناسب مع العمران والتكنولوجيا الحديثة، مع أن أسباب انتشار الفقر والتأخر المدني في أغلب المجتمعات الإسلامية الحديثة كثيرة، ولا يصح ربطها بتعاليم الشريعة الإسلامية^(١).

٣- أغلب المحاولات المعمارية الحديثة لإعادة إحياء العمارة الإسلامية كانت تركز على الشكل والتشكيل، وكان المصممون يرون أن الاستخدام المباشر للأشكال المعمارية يعطي الناس ثقة في حضارتهم، لأن هذه الأشكال تعتبر لغة خاصة لهم شأنها شأن الفنون الشعبية الأخرى^(٢)، وبالتالي كانت محاولات مفرغة من المضمون تحاول حل مشكلة بدلا من تأسيس وإحياء فكرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استيعاب المنتجات المعمارية الإسلامية بحاجة إلى فهم آلية تعامل الفرد المسلم معها لا بالمقياس المادي وحسب، بل بالمحتوى الفكري والوجداني أيضاً في إدراك الفرد المسلم^(٣).

(١) Traditional Islamic Principles of Built Environment, Hisham Mortada, (١)

Routledge, 2011

(٢) الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، حسن فتحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.

(٣) The Sense of Unity, Nader Ardalan, Kazi Publication, 2000

كما نرى أن بعض المحاولات الناجحة لا تتعدى حدودها المشروع الواحد، بينما الكثير من مبادئ الاستدامة في العمارة الإسلامية تتعلق بمفاهيم أكبر وأوسع من حدود المشروع الواحد كمقوم الأمة، والمنفعة العامة، ودفع الضرر، وجلب المصالح.

٤- إن التطور المتسارع في مفاهيم العمارة المستدامة الحديثة القادمة من الغرب أدى إلى الاعتقاد بأن مبادئ العمارة المستدامة يمكن تطبيقها بشكل أفضل على العمارة المعاصرة المستوردة، دون غيرها، وهذا أدى بدوره إلى وجود حالة من التناقض الدائم بين الشكليين المحلي التقليدي والمعاصر ضمن المجتمع الواحد، «حيث لم تراعى المنتجات المعمارية الدخيلة إدراك الفرد والمجتمع للمفردات الجديدة، وخصوصيتهما في المنتجات المعمارية»^(١).

ويرجع هذا التناقض أيضاً إلى عدم التوازن والاضطرابات في الأشكال المعمارية المعاصرة في دول العالم الإسلامي، بسبب التباين الحضاري بين المجتمعات المؤثرة والمتأثرة^(٢).



(١) الأخيضر والقصر البلوري، رفعت الجادرجي، رياض الريس للنشر، ١٩٩١.

(٢) الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، حسن فتحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.

الخاتمة

التوصيات:

بعد هذه الجولة السريعة مع العمارة المستدامة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، يرى الباحثان أنه ينبغي أن يكون هدف البحث في هذا المجال: وضع القواعد والأسس وليس حل المشاكل، ويتم ذلك بالتعاون الوثيق بين المختصين من علماء الشريعة الإسلامية، والباحثين في مجال العمارة والبناء المستدامة، وذلك للخروج بما يلي:

- ١- إعادة طرح مفهوم العمارة الإسلامية والعمارة التقليدية بفهم عناصرهما المادية والمعنوية ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية وتحديد الثابت والمتغير.
- ٢- العمل على صياغة محاور العمارة المستدامة وفق مقاصد الشريعة الإسلامية بطريقة علمية واضحة، تجاري ما تم إنجازه عالمياً، لوضع الأهداف العامة الثابتة والمتغيرة المتفرعة من هذه المحاور، وما تستلزمه من طرق قياس، يمكن تطويرها لتلائم البيئات المحلية في المجتمعات الإسلامية المختلفة.

تم بحمد الله.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

موجهات السعادة في قطاع السياحة الإسلامية وفق مبادرة دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي

إعداد

د. حمو محمد

رئيس قسم الاقتصاد

كلية الاقتصاد، جامعة الشلف - الجزائر

د. مسان كرومية

أستاذة محاضرة

كلية الاقتصاد، جامعة سعيدة - الجزائر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

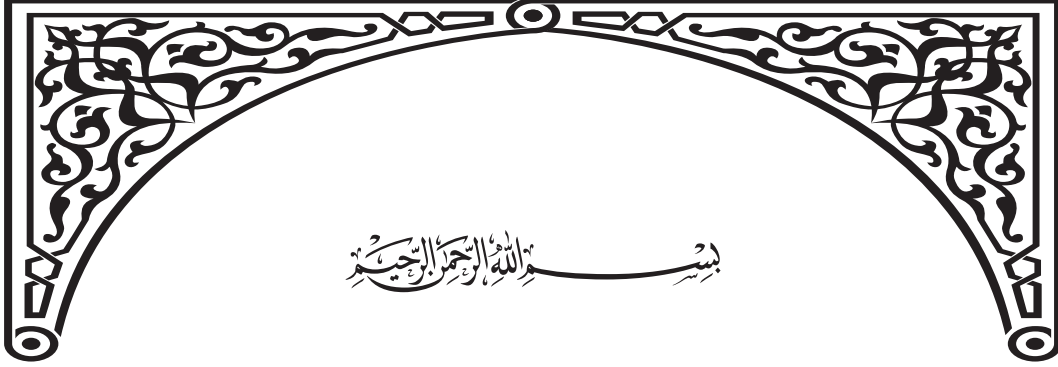
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



ملخص البحث

أطلقت الإمارات العربية المتحدة العديد من المبادرات الإيجابية التي جعلتها تتبوأ مكانة متقدمة على المستوى العالمي والإقليمي، ومنها مبادرة دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، التي جاءت لتعزيز نمط الحياة الإسلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتحمل السعادة والإيجابية أهم إستراتيجيات هذه المبادرة، حيث حرصت دولة الإمارات على ترسيخ السعادة والإيجابية كأسلوب حياة، والعمل على توفير كل مستوجباتها وموجهاتها؛ حتى أصبحت هذه الدولة جاذبة للاستقرار وفق نمط الحياة الإسلامي.

وقصد تدعيم مبادرة دبي كعاصمة للاقتصاد الإسلامي تبنت الإمارات العربية المتحدة السياحة الإسلامية ضمن اهتماماتها لتعزيز نمط الحياة الإسلامي في هذا القطاع التنموي، ومن ثم تصبح أحسن وجهة مفضلة للعائلات على مستوى العالم، حيث تعد السياحة الإسلامية باعثاً حقيقياً لإسعاد كل من يعيش ويطمح إلى العيش على أرض الإمارات.

الكلمات المفتاحية: السياحة الإسلامية، السعادة والإيجابية، نمط الحياة الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، دبي.



المُقَدِّمَة

تعد الإمارات العربية المتحدة بلد الإنجازات والمبادرات الإيجابية بحق، كان لها الأثر في تبوء الدولة مراتب متقدمة على المستوى العالمي والإقليمي، ومن خلال هذه المبادرات أولت الدولة العناية الكافية لأفراد المجتمع، وأدرجت ضمن خططها التنموية البحث عن الآليات الكفيلة بإسعاد الفرد والمجتمع، كما كانت هذه المبادرات فريدة من نوعها، من حيث السبق في إطلاقها، حيث تعد مبادرة دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي وما حملته من جوانب مضيئة في الاقتصاد الإسلامي، المبادرة الرائدة التي جاءت لتعزيز نمط الحياة الإسلامي في المجتمع الإماراتي، على النحو الذي يحقق السعادة والإيجابية والتلاحم المجتمعي في الدولة؛

ويعد قطاع السياحة الإسلامية (العائلية) إحدى مرتكزات هذه المبادرة، عن طريق تضمين منظومة الأخلاق والقيم في مجال السياحة، وإدراجها ضمن جوانب إستراتيجية دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، وتوفير كل مسببات النجاح لهذا القطاع الذي يعد باعثاً حقيقياً لاستدامة سعادة الفرد والمجتمع، في ظل سيادة نمط الحياة الإسلامي؛ وهو الأمر الذي جعل الإمارات العربية المتحدة تولي اهتماماً بقطاع السياحة الإسلامي، والعمل على إيجاد صناعة سياحية إسلامية ترسخ من خلالها القيم والإيجابية ومن ثم سعادة المجتمع واستمراريتها، وتعزز توجهات الدولة نحو قطاعات الاقتصاد الإسلامي، الذي يؤسس لقاعدة اقتصادية متنوعة في الاقتصاد الإماراتي.

إشكالية البحث:

نسعى من خلال هذا البحث إلى الإجابة على إشكالية دور السياحة الإسلامية في تحقيق وبعث السعادة المستدامة في الإمارات العربية المتحدة، والحد الذي وصلت إليه من خلال مبادرة دبي كعاصمة للاقتصاد الإسلامي من جهة وإطلاق البرنامج الوطني للسعادة من جهة أخرى، وهل السياحة الإسلامية كفيلة بتحقيق مؤشرات إيجابية ومتقدمة في مجال السعادة المستدامة التي تتوافق ونمط الحياة الإسلامية؟

أهداف البحث:

نهدف من خلال هذا البحث إلى إبراز مكانة قطاع السياحة الإسلامية في إسعاد المجتمع الإماراتي؛ والجهود التي بذلتها القيادة الرشيدة لدولة الإمارات العربية المتحدة في سبيل تعزيز نمط الحياة الإسلامي في مجال السياحة بما يحقق السعادة المستدامة لكل من يعيش على أرض الإمارات العربية المتحدة؛ ويدعم مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي.

مجاور البحث:

تمت معالجة هذا البحث وفق ثلاثة محاور أساسية وهي كالآتي:

مضامين السياحة الإسلامية (الجانب القيمي والاقتصادي)؛

مرتكزات السعادة والإيجابية في نمط الحياة الإسلامي؛

السياحة الإسلامية وبواعث السعادة المستدامة ضمن إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي.

المحور الأول

مضامين السياحة الإسلامية (الجانب القيمي والاقتصادي)

أولى الدين الإسلامي عناية بالسياحة وصناعتها، حيث كان له السبق في الحث على السفر والسياحة والترحال؛ فالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية حددت مجالات السياحة والسفر، كالتأمل في الطبيعة وفي آثار الأولين والاعتبار منها، والدعوة إلى التعارف بين الشعوب، وأثر السفر في أداء الفرائض؛ حيث ورد في القرآن الكريم ما يزيد عن خمسين آية تدعو للسفر في الأرض، منها قوله عز وجل: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾^(١)، ففي هذه الآية حث على السير والسفر، وأخذ العبر ممن سبقوا، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢)، وهي آية تحث على السفر ومعرفة قدرة الخالق في إبداع الكون.

فالسياحة الإسلامية تعني التأمل والتدبر في الطبيعة التي أنعم الله بها على الإنسان، وتعني الانتقال والتعايش مع الشعوب، خاصة وأن الدين الإسلامي دين تعايش وحضارة عكس ما يروج له.

١ - المقصود بالسياحة الإسلامية:

ظهر مفهوم السياحة الإسلامية مع وجود وعي متزايد وانتشار أكبر للسياح المسلمين، حيث تعد البلدان الإسلامية ومنها العربية الوجيهات الأكثر شعبية في

(١) الآية ١٣٧، سورة آل عمران.

(٢) الآية ٢٠، سورة العنكبوت.

مجال السياحة الإسلامية، لكون أن هذا النوع من السياحة يتلاءم مع طبيعة هذه البلدان التي تتوفر على المتطلبات اللازمة والاحتياجات المحددة للسياح المسلمين، وفيما سيتم توضيح المفاهيم المتعلقة بمصطلح السياحة الإسلامية ودلالاته؛

هذا ولقد تعددت المصطلحات التي تدل على مفهوم السياحة الإسلامية، حيث نجد مصطلحات مثل: السياحة الحلال، السياحة الملتزمة بمبادئ الشريعة الإسلامية، السياحة الملائمة للمسلمين^(١)، وهي كلها دلالات سوق الخدمات الإسلامية، وسيادة نمط الحياة الإسلامي، الذي يتوافق ومبادئ الاقتصاد الإسلامي.

أ- المفهوم الاقتصادي للسياحة الإسلامية: يركز هذا المفهوم على إدراج أسواق ووجهات سياحية جديدة، وهذا المفهوم من بين المفاهيم الأكثر طرحا للنقاش في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وأكثر إدراكا من أفراد هذه المجتمعات، حيث تعد الدول الإسلامية ومنها العربية من الأسواق الناشئة في مجال السياحة الإسلامية؛ بالنظر إلى ما تتوفر عليه إمكانيات اقتصادية وديموغرافية ووجهات مهمة، حتى أصبحت بعض البلدان قبلة للسياح والوجهة المفضلة لديهم مثل الإمارات العربية المتحدة، بالنظر إلى ما توفره من خدمات ذات جودة، والمستوى الذي وصلت إليه الدولة من استقرار وعدالة مجتمعية.

ب- المفهوم الثقافي للسياحة الإسلامية: يتضمن هذا المفهوم الرؤى والأفكار التي تحدد إدراج المواقع الثقافية الدينية والإسلامية في البرامج السياحية، وبناء الثقة

(١) منظمة التعاون الإسلامي، السياحة الدولية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، الآفاق والتحديات ٢٠١٧، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، ص ٣٠.

بالنفس، وتتجلى غاية هذا المفهوم في إعادة توجيه الوجهات السياحية من المواقع الأقل استهلاكاً المشحونة بالثقافة الغربية نحو المواقع الإسلامية التاريخية والدينية والثقافية، التي تستأنس النفس البشرية عند زيارتها.

ت- المفهوم الديني المحافظ للسياحة الإسلامية: يستند هذا المفهوم على التفسير والفهم المحافظ للإسلام، حيث يتم دمج عناصر نمط الحياة الإسلامي المحافظة بصناعة السياحة الحديثة، والعمل على تقديم خيارات وفضاءات ومجالات سياحية جديدة، من أجل سوق سياحية محافظة، بما يحقق الأثر الاقتصادي والاجتماعي الإيجابي لهذا النوع من السياحة في الاقتصاديات الإسلامية ومنها العربية.

والسياحة الحلال تشمل الإقامة والخدمات والأنشطة والوجهات السياحية التي تتلاءم مع قيم المسلمين عموماً وتمكنهم من الاستمتاع برحلتهم أو إقامتهم من دون عوائق تتعارض مع قناعاتهم^(١).

لقد بلغ صيت السياحة الإسلامية على الصعيد العالمي، ولم تبق حكرًا على المسلمين فقط، وهذا مرده إلى جملة من الخصوصيات التي يتضمنها هذا النوع من السياحة^(٢): الأسعار العادلة، السلام والأمن، البيئة الودية للأسر، والنظافة إلى غيرها من مقومات الجذب السياحي.

(١) نسرين درزي، السياحة الحلال.. مفهوم قيمى لا علاقة له بالإباحة والتحرير، من على الموقع الإلكتروني: <http://www.alittihad.ae/details.php?id=104209&y=2015&article=full>، اطلع عليه بتاريخ: ١١/٠١/٢٠١٨.

(٢) منظمة التعاون الإسلامي، السياحة الدولية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، الآفاق والتحديات ٢٠١٧، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، ص ٣٠.

٢- القيم الموجودة في السياحة الإسلامية:

السياحة الإسلامية تحظى بتأييد أخلاقي وديني أكثر من باقي أنواع السياحة^(١)، وتتلاءم مع قيم المسلمين فحسن الخلق هبة من الله سبحانه وتعالى، واستعداد نفسي تركزه تعاليم الدين، وتؤصله بعض المصالح التي ترجوها النفس البشرية.

بعض البشر لا يُصلِحُهُ إلا الترحال والسفر، ولا يكشف عن جواهره إلا التنقل بين البلدان، فيعم نفعه ويكثر عطاؤه^(٢).

هذا وقد أصبح مفهوم السياحة الإسلامية راسخاً في مجال السياحة، لتقديم خدمات السفر والسياحة وفقاً للتعاليم والأطر الإسلامية، ولا بد أن نصوغ السياحة في قالب الأخلاق والمبادئ ولا نذيب الأخلاق في قوالب سياحية، وبروز السياحة الإسلامية دليل على تكييف القطاع السياحي وتطويره وفق الهوية الإسلامية.

فالسياحة الإسلامية تتطلب سياسة سياحية تشمل كل تفاصيل القطاع السياحي، فلا نستبيح محرمات حرمتها النصوص القرآنية القاطعة الثبوت والدلالة من أجل عيون السائح، أو نرضيه على حساب رضا الخالق، في سبيل الجذب السياحي.

لقد جاء الإسلام ليرتقي بمفهوم السياحة ويربطه بالمقاصد العظيمة، حيث ربط السياحة بالعبادة، فأوجب السفر والسياحة والتنقل لأداء ركن من أركان الدين

(١) تمام الصباغ، السياحة الإسلامية أين موقعها من خارطة السياحة العالمية؟ مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد ٥٢٧، الصادر في رجب ١٤٣٠، الموافق لـ جويلية ٢٠٠٩، ص ٢٠.

(٢) عبد المحسن بن علي المطلق، الحياة الطيبة أو قاموس السعادة في الإسلام، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩، ص ٢١٧.

وهو الحج، كما اقترنت السياحة في المفهوم الإسلامي بالعلم والمعرفة، وقد سيرت أعظم وأقوى الرحلات السياحية في صدر الإسلام لغرض طلب العلم ونشره، وأعظم مقاصد السياحة الإسلامية هو الدعوة إلى الله، وإلى كلمة الحق، كما ينصرف مضمون السياحة الإسلامية إلى التأمل في إبداع الخالق وجمال الكون، والذي يعد باعثاً حقيقياً للنفس على قوة الإيمان^(١).

ومما لا شك فيه أن يستوجب توافر منظومة القيم والأخلاق في الثقافة السياحية، فالبنیان القيمي والأخلاقي لمفهوم السياحة يقدم كل ما هو واقعي وسلوكي عن ما هو فكري وتنظيري، حيث إنه كلما زادت الأخلاق والقيم في المجتمع، كان هذا الأخير مهياً لأقصى درجات التحضر والانطلاق، مما يجعله سوية مطمئناً والأصل في السياحة والترحال هو الترويح عن النفس بما لا يتنافى مع الضوابط الإسلامية، ويحقق الطمأنينة في نفوس السياح.

٣- الجانب الاقتصادي للسياحة الإسلامية:

المتبع لحركة السياحة في العالم ودورها المتنامي في الاقتصاد العالمي، يجد الاهتمام والرعاية التي أوليت لقطاع السياحة بصفة عامة والسياحة الإسلامية بصفة خاصة، هذا النوع من السياحة فتح آفاقاً جديدة في عالم السياحة، الأمر الذي استدعى إيجاد صناعة سياحية وفق الضوابط والأسس الشرعية بما يعمل على إبراز منتجات السياحة الإسلامية.

(١) عبد القادر علي، السياحة: الإسلام وضع لها ضوابط وصحح مفاهيمها المشوهة، من على الموقع الإلكتروني: <http://ar.islamway.net/article/43918>، اطلع عليه بتاريخ: ٠٥ / ٠١ / ٢٠١٨.

هذا ويشير تقرير وكالة (تومسون رويترز - دينار ستاندراد) عن الاقتصاد الإسلامي أن حجم الإنفاق العالمي للمسلمين على السفر إلى الخارج قدر بـ ١٥١ مليار دولار في عام ٢٠١٥، باستثناء الحج والعمرة، ما يجعل هذا السوق يشكل ١١٪ من الإنفاق العالمي على أسواق السفر، وتعتبر دول منظمة التعاون الإسلامي السوق الرئيسي لصناعة السياحة الإسلامية، حيث بلغت حصة هذه الدول ٧٢٪ من الإنفاق العام على منتجات السياحة وخدمات السياحة الإسلامية في عام ٢٠١٥، وكان نصيب المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ٢، ١٩، و ١٥ مليار دولار على التوالي^(١)، مما يدل على أن هذين البلدين من أحسن الوجهات في مجال السياحة الإسلامية.

كما تشير المنظمة العربية للسياحة بأن قطاع السياحة يمثل ١٠٪ من إجمالي دخل قطاع السياحة والسفر العالمي، كما بلغت مداخيل قطاع السياحة الإسلامية في نهاية عام ٢٠١٧ نحو ١٥٦ مليار دولار، بما مجموعه ١٢١ مليون مسافر من الدول الإسلامية^(٢).

(١) ينظر في ذلك:

-Thomson Reuters and Dinar Standard, State of the Global Islamic Economy, 2015-2016 Report, 2015, p59.

-Thomson Reuters and Dinar Standard, State of the Global Islamic Economy, 2016-2017 Report, 2016, p81.

(٢) بندر بن آل فهيد، خارطة طريق من ١٠ محطات لتطوير السياحة الإسلامية، من على الموقع الإلكتروني: www.boarding-magazine.com/news/6015، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠١٨/٠١/١٠.

هذا ومن المتوقع بأن يرتفع حجم الإنفاق العالمي للمسلمين على السفر إلى الخارج إلى ٢٣٣ مليار دولار و ١٥٠ مليون مسافر بحلول عام ٢٠٢٠؛ كل هذه المؤشرات تدل على المكانة التي يحظى بها قطاع السياحة الإسلامية، وما زاد من أهمية هذا القطاع الحيوي هو إطلاق مبادرات تعززه، مثل مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي، والتي ركزت في إحدى جوانبها على قطاع السياحة الإسلامية وقطاع الغذاء الحلال الذي يعد داعماً للسياحة الإسلامية.

٤ - أهداف ومقاصد السياحة الإسلامية:

تنبع أهمية السياحة الإسلامية من مقاصدها النبيلة، كما تهدف السياحة الإسلامية إلى تحقيق أهداف تخدم المجتمع وتزيد من رفاهيته وطمأنينته؛ حيث إن الهدف الرئيسي للسياحة الإسلامية هو إرضاء السياح الذين يبحثون عن الوجهة السياحية التي تلبى احتياجاتهم دون التعرض لأي موقف يتعارض مع قناعاتهم^(١)؛ كما توجد أهداف وغايات أخرى للسياحة الإسلامية منها^(٢):

التعرف على الآخرين ومعرفة تفاصيل الشعوب والأمم واكتساب النافع والمفيد منها وترك الضار وغير المتوافق مع قيم الأمة ومبادئ الدين الإسلامي؛

(١) منظمة التعاون الإسلامي، السياحة الدولية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي مرجع سبق ذكره، ص ٣١-٣٢.

(٢) هايل طشطوش، اقتصاديات السياحة الحلال، مجلة المحاسب العربي، العدد الثلاثون، مجلة شهرية إلكترونية، من على الموقع: www.aam-web.com/ar/magazine_versions، ص ٠٦.

- تحقيق المنافع العلمية من خلال الاستزادة من العلوم والمعارف الموجودة لدى الشعوب والأمم الأخرى؛ ونقل علومنا ومعارفنا إلى الآخرين، والتعريف بالحضارة الإسلامية وإعطاء الصورة الطيبة عن الدين الإسلامي ولغتنا وثقافتنا.
- تحقيق المنافع الاقتصادية والمادية بما يعود بالنفع على الاقتصاديات العربية.
- تحقيق المنافع الطيبة.



المحور الثاني

مرتكزات السعادة والإيجابية في نمط الحياة الإسلامي

إن نمط الحياة الإسلامي يتوافق مع الحياة الطيبة، والحياة الطيبة والسعادة والعيشة الهنية الرضية مطلب مهم ومقصد أسمى يسعى إلى تحقيقه الفرد، وتطمح إلى تحقيقه وبلوغه الأفتدة، فالسعادة هدف سام ينشده كل إنسان، ويسعى إلى البحث عنه، وإدراك معناه.

هذا ولقد طلب السعادة أقوامٌ على مر العصور بطرق متعددة بالنظر إلى تنوع أساليبهم وفهمهم لمضمون السعادة الحققة، فطلبوها في غير طرقها الصحيحة، فما لبثت أن انقلبت عليهم حسرة وشقاء وتعاسة، فلقد شقى أقوام بأموالهم وأولادهم وأزواجهم، وشقى آخرون بعواقب مناصبهم وجاههم، وشقى آخرون بلعبهم ولهوهم، إنما السعادة الحققة والحياة الهنيئة المطمئنة إنما تكون في الإيمان والعمل الصالح، فالحياة بغير إيمان تحفها المنغصات وتؤدي إلى الاضطرابات الاجتماعية والنفسية^(١)، والفراغ الروحي والانحلال الخلقي.

فالمؤمن يصل إلى السعادة من خلال التزامه بمنهج ربه^(٢)، في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

(١) سعد بن تركي الخثلان، السعادة والحياة الطيبة، من على الموقع الإلكتروني:

<http://mnrat-d.com/khotba/5765>، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/٠٢.

(٢) عبد المحسن بن علي المطلق، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

(٣) الآية ٩٧ من سورة النحل.

١ - تعريف السعادة ومضامينها:

يرى (الراغب الأصفهاني) بأن السعادة هي: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويزادها الشقاوة، يقال سَعِدَ وأسَعَدَهُ اللهُ، ورجل سعيد وقوم سُعداء، وأعظم السعادات الجنة^(١)، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾^(٢).

هل السعادة تعني الرفاه، وهل السلم الاجتماعي يجلب السعادة؟ من المتعارف عليه بأن الإغراق في التمتع والتوسع في أسباب الرفاهية يؤدي إلى الترف، والفئات البشرية المترفة تهدد الحياة الإنسانية، وعليه فتأمين المجتمعات على سعاداتها يتطلب الحيلولة دون ظهور الترف والمترفين، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٣)، ومن ثم الترف يؤدي إلى زوال النعم وهلاك المجتمعات وزوالها، كما أن السعادة تقتضي نوعاً من الاعتدال في الإنفاق بشتى أنواعه، بالشكل الذي يحصل معه الطمأنينة والسكينة للفرد، والمتأمل في الحضارات السابقة يجد أنها اندثرت وتلاشت بسبب إسرافها الزائد المؤدي إلى الترف بما ينجر عنه من ملذات الحياة ومنغصاتها معاً.

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، باب سعد، الجزء الأول، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون سنة نشر، ص ٣٠٦.

(٢) الآية ١٠٨، سورة هود.

(٣) الآية ١٦، سورة الإسراء.

إن نمط الحياة الذي يركز أكثر على السعادة وبدرجة أقل على النمو الاقتصادي، يترك وقتاً للأسرة والمجتمع ويعمل على تنمية أبعاد عديدة في حياتنا بما يعمل على جلب السعادة الحقيقية.

السعادة في الإسلام تكمن في تحقيق التوازن في حياة الإنسان، بين النزوع المادي والشوق الروحي، وبين حقوقه كفرد وواجباته تجاه الجماعة، وفيما وصل بين الإنسان وبين الكون والحياة من وشائج وأسباب^(١)، لذا نظمت الشريعة الإسلامية جميع مظاهر الحياة، وأصبح يغلب عليها النمط الإسلامي.

- تعريف السعادة حسب الميثاق الوطني للسعادة والإيجابية الإماراتي:

تم تأصيل مفهوم السعادة في المجتمع الإماراتي من خلال ميثاق السعادة والإيجابية الذي أطلقته دولة الإمارات العربية المتحدة، وحسب هذا الميثاق تعرف السعادة على أنها الغاية الأسمى لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة والتي تلتزم على الدوام من خلال سياستها العليا وخططها ومشاريعها وخدمات جميع الجهات الحكومية على تهيئة البيئة المناسبة لسعادة الفرد والأسرة والمجتمع، وترسيخ الإيجابية كقيمة أساسية، مما يمكنهم من تحقيق ذاتهم وأحلامهم وطموحاتهم^(٢).

في هذا الصدد أطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من المبادرات، جعلتها رائدة في مجال إسعاد المجتمع الإماراتي ضمن الحياة الطيبة والكريمة وبما

(١) عبد الوهاب بوحديبة، مختلف جوانب الثقافة الإسلامية، الفرد والمجتمع في الإسلام، المجلد الثاني، مطبوعات اليونسكو- بدون بلد نشر، بدون سنة نشر، ص ٩٩.

(٢) وطني الإمارات تصدر تقرير «معيارية السعادة» في دولة الإمارات، من على الموقع الإلكتروني: <http://watani-alemarat.ae/read.php?type=1&id=125>، اطلع عليه بتاريخ: ٠٧/٠٢/٢٠١٨.

يتوافق ونمط الحياة الإسلامي، كما لم يقتصر الأمر على الأفراد الإماراتيين، بل امتد هذا النهج ليشمل كل من يقيم على أرض الإمارات الطيبة، الأمر الذي جعلها أولى الأماكن في العالم التي تتميز بالاستقرار والعدالة المجتمعية.

٢- الممارسات الداعمة لإسعاد المجتمع:

أ - طبيعة وثقافة الاستهلاك: لقد شاع في المجتمعات المعاصرة أنماط أخلت بالسلوك الاستهلاكي القويم، تمثلت في استهلاك الأشياء الضارة بالصحة أو الأخلاق أو البيئة الطبيعية،

كما أن الاستهلاك غير المحدود يفقد الحياة بريقها، فالواقع الاستهلاكي المنحرف قد يقوض مضامين السعادة في المجتمع الإسلامي، لذا لا بد من إعادة تقويم السلوك الإنساني في الاستهلاك وتعديله، قصد الحد من الانحراف الاستهلاكي والتصدي للاختلالات الاستهلاكية في المجتمع مع الرضا والقناعة والشكر والاعتراف بالنعمة التي أسبغ الله على عباده، قلت أو كثرت، ومن ثم تتحقق السعادة المنشودة للمجتمع.

ب- الابتعاد عن الترف: الترف يعني الإنفاق اللامحدود، ومن ثم يتوجب على الفرد الاعتدال في الإنفاق، كما أن الحصول على السعادة يتم عن طريق الابتعاد عن الاستهلاك الزائد والإسراف، وممارسة الامتنان والتطلع لأوقات طيبة مع الأسر وحماية البيئة الطبيعية، لأن الإضرار بالطبيعة يهدر طاقات مادية ومالية، وفي الأصل الإنسان في غنى عنها لو التزم بالضوابط الشرعية الداعمة لسعادته وطمأنينته.

ج- تحريم المنتجات الحلال: لا بد من المعرفة الشرعية والعلمية بجوانب الحلال والحرام في المنتجات الغذائية والدوائية ومستحضرات التجميل ومنتجات

الصحة، الذي كثرت فيها النوازل^(١)، فمنهج الاقتصاد الإسلامي يلزمنا بتحري الحلال والاكْتفاء بما هو طيب، يقول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٢)، وحتى تكتمل سعادة الفرد ومن ثم المجتمع يجب أن لا يبقى وسم «حلال» بمثابة موضحة، بل على الفرد التحري عن مدى توافق المنتجات والخدمات مع الشريعة الإسلامية. بل وضرورة أن تكون سلسلة الإنتاج بمجملها ملتزمة بمعايير عادلة خالية من المواد المحرمة.

د- العدالة في توزيع الثروة وتكافؤ الفرص: إذا أردنا حياة أكثر صحة وسعادة، فإننا بحاجة إلى مجتمع أكثر إنصافاً، مجتمع أكثر عدالة في كل من الناحية الاقتصادية ومن ناحية التمكين، إذ علينا جميعاً أن نحدد حياتنا الخاصة، فغياب المساواة يقوض السعادة.

هـ- حماية البيئة وسلامة الموارد: المحافظة على النعم وحماية الطبيعة وسلامتها تساهم في تحقيق السعادة المستدامة، فواجب الفرد إذا أراد أن يحيا سعيداً أن يحافظ على نعمة الماء، الذي يعد أساس حياة كل مخلوق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

(١) هاني منصور الزبيدي، ثقافة الحلال، معهد الكويت للأبحاث العلمية- الكويت، ٢٠١٢، ص ٥٥.

(٢) الآية ١٧٢، سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٠، سورة الأنبياء.

كما تقع على عاتق الفرد المحافظة على الأرض وما فيها من رواسي، فكم يشعر الفرد بعظم السرور في مرأى البحار وفي مشاهد الجبال الراسيات والوديان والمرتفعات، والسهول، والأشجار المورقة والروائح العطرة التي تنعشه وطيبة ما يستنشقه من هواء^(١).

كما أن ثقافة الاستهلاك المتزن المعتدل تتوافق مع شروط الاستدامة البيئية وسلامة الموارد، وهذا في حد ذاته جوهر نمط الحياة الإسلامي، وهو باعث لسعادة الفرد والمجتمع.

٣- منطلقات السعادة المستدامة:

تبنى السعادة المستدامة على عالم طبيعي صحي، ومجتمع نابض بالحياة ونزيه، وهي شكل من أشكال السعادة التي تدوم خلال الأوقات الطيبة والرديئة، دونها تنطلق من المتطلبات والتطلعات الأساسية للإنسان، ولا يمكن الحصول عليها من خلال حل سريع، ولا يمكن للسعادة المستدامة أن تتحقق على حساب الآخرين^(٢).

تُبنى السعادة المستدامة على المجتمع المتآزر، وعلى الاعتراف بأن رفاهنا يرتبط برفاه جيراننا، عندما نعرف أننا يمكننا الاعتماد على الآخرين في الأوقات الصعبة، وأن هناك مكانا للجميع، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الصُّبْحَةَ﴾

(١) عبد الله محمد غانم العامري، السعادة في المنظور الإسلامي، الطبعة الأولى، دار بن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ٤٠.

(٢) مجدي سعيد، في البحث عن السعادة المستدامة، من على الموقع الإلكتروني: <http://feker.net/ar.25863/17/03/2015>، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠/٠١/٢٠١٨.

النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وأننا يمكننا أن تكون لنا مساهمة مجدية يتم الاعتراف بها، حينئذ يكون لدينا أسسا للسعادة الدائمة، عن طريق التلاحم الأسري والمجتمعي خاصة في وقت المحن والأزمات، وهذا يكرس سعادة الفرد والمجتمع معا.

تنمو السعادة المستدامة من أرض صحية، لأنها تأتي من الاعتراف بأن كل شربة ماء، وكل نسمة هواء، وأن الغذاء الذي ينمو من التربة أو يأتي من الماء، كل ذلك ممكن بفضل النظم البيئية الحية التي تعيش على ظهر هذا الكوكب، بل إن السعادة المستدامة تتعمق لتصل إلى الاحتفاء بالعالم الطبيعي حتى إذا لم يكن يعطينا فائدة مباشرة، فالسعادة المستدامة متوافقة مع بيئة صحية، وعالم عادل.

- التقارب والتعايش والسلام الذي يعد من أسس نمط الحياة الإسلامي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَظُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢﴾، كما أن الحياة ضمن المجتمعات تهيب الإنسان لنيل السعادة التي تعد غاية كل فرد، فالاجتماع وسيلة لبلوغ الكمال، والتقارب والتعايش السلمي الآمن يقلل من الأزمات والمحن، وتسود معه سعادة الفرد ومن ثم سعادة المجتمع.



(١) الآية ٢٥١، سورة البقرة.

(٢) الآية ١٣، سورة الحجرات.

المحور الثالث

السياحة الإسلامية وبواعت السعادة المستدامة

ضمن إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي

لقد أطلقت الإمارات العربية المتحدة مجموعة من المبادرات، تتوافق في مجموعها مع الأهداف الإنمائية الجديدة للتنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، جاءت هذه المبادرات لتعزيز الرضا، وتوطين السعادة فيما بين أفراد المجتمع، حيث كان لدولة الإمارات العربية المتحدة من خلال هذه المبادرات مساهمة في تطوير المنظومة الدولية في مجال إسعاد الناس بما يتوافق ونمط الحياة الإسلامي، ويرسخ مكانة وجوانب الاقتصاد الإسلامي في المنطقة.

١ - إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي:

أطلقت دولة الإمارات العربية المتحدة مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي في عام ٢٠١٣، وتم تأسيس مركز دبي للاقتصاد الإسلامي في ذات العام، وذلك قصد تدعيم وترسيخ مكانة دبي كعاصمة للاقتصاد الإسلامي، والارتقاء بمعايير جودة قطاع الاقتصاد الإسلامي، ووضع مؤشرات لنموه^(١)، حيث تم وضع خطة إستراتيجية لتطوير هذا القطاع بما يعزز نمط الحياة الإسلامي؛

(١) أحمد ماجد السيد أحمد، دراسة قطاع الاقتصاد الإسلامي بدولة الإمارات العربية المتحدة، مديرية التخطيط ودعم القرار، مبادرات الربع الثاني ٢٠١٦، الإمارات العربية المتحدة، جوان ٢٠١٦، ص ٩.

وتتمثل التوجهات الرئيسية للخطة الإستراتيجية لتطوير قطاع الاقتصاد الإسلامي بدبي في النقاط الآتية^(١):

- مرجع عالمي ومركز رئيسي للتمويل الإسلامي بأدواته، وذلك بتوفير بيئة تنظيمية عالمية لمزاولة الأعمال من خلال إصدار اللوائح والقوانين ذات العلاقة بهذا النمط من التمويل، وبما يسهل مزاولة الأعمال ويستقطب المستثمرين؛

- مركز رئيسي لصناعة الأغذية الحلال والمنتجات الحلال، والاسم الموثوق في اعتمادها، من أجل تطوير شبكة محلية من التسهيلات والخدمات اللوجستية لإنتاج وتطوير هذه المنتجات وتطوير سلسلة من أفضل المعايير في مجال صناعة الأغذية الحلال؛

- وجهة مفضلة للسياحة العائلية التي تتوافق مع نمط الحياة الإسلامي، عن طريق تعزيز مكانة إمارة دبي كمركز لخدمات السياحة والإقامة المثالية للعائلات والتي تتوافق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، والعمل على توفير سلسلة من التسهيلات والنشاطات السياحية التي تناسب جميع أفراد الأسر؛

(١) ينظر في ذلك:

- عبد العزيز خلفية القصار، دعم إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي، مجلة الدراسات المالية والمصرفية، المعهد العربي للدراسات المالية والمصرفية، الأردن، المجلد الثالث والعشرين، العدد الثاني، ٢٠١٥، ص ١٦.

- عبد الله العور، مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي، مجلة الدراسات المالية والمصرفية، المعهد العربي للدراسات المالية والمصرفية، الأردن، المجلد الثالث والعشرين، العدد الثاني، ٢٠١٥، ص ٠٨.

- منصة للتجارة الإلكترونية الإسلامية وصناعة المحتوى الرقمي الإسلامي، هذا التوجه يعزز موقع دبي كواحة وحاضنة لتطوير البرامج والتطبيقات الإلكترونية، وبوابة للتجارة الإلكترونية الإسلامية ومركز عالمي للمحتوى الإعلامي الإسلامي وبيئة حاضنة ورائدة للاقتصاد الإسلامي؛

- عاصمة عالمية للتصميم والإبداعات الإسلامية، وذلك بهدف تعزيز موقع دبي كمركز للتصميم والعمارة الإسلامية، ووجهة عالمية لعرض وتداول الفنون الإسلامية بمختلف أنواعها، ومركز تصميم الأزياء المحافظة؛

- مركز ومرجع معرفي وتعليمي وبحثي في كافة مجالات الاقتصاد الإسلامي، هذا التوجه يهدف إلى جعل دبي مدينة رائدة فكرياً، ومركزاً ومصدراً عالمياً للمعلومات في مجال المعرفة والتعليم في قطاع الاقتصاد الإسلامي، وفي هذا الصدد أعلنت دبي عن إطلاق «مركز دبي للصيرفة والتمويل الإسلامي»، قصد تلبية احتياجات قطاع الصيرفة والتمويل الإسلامي، من خلال توفير برامج التعليم الأكاديمي، والتأهيل والتدريب المهني، والبحث وفق أفضل الممارسات العالمية؛

- مركز معتمد لمعايير الاقتصاد الإسلامي وإصدار الشهادات، ويهدف إلى جعل مدينة دبي مرجعاً عالمياً لإصدار معايير الإدارة الإسلامية، ومركزاً معتمداً لإصدار شهادات الحلال لمختلف المنتجات والخدمات التي تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

المتبع لبنود وتوجهات هذه الخطة يجد أنها تعزز نمط الحياة الإسلامي، خاصة منها ما تعلق بالسياحة العائلية التي تعد مظهراً من مظاهر السياحة الإسلامية،

وصناعة الأغذية الحلال وإصدار شهادات المنتجات الحلال، فضلا عن التصميم والإبداع الإسلامي (كالعمارة وطبيعة الإسكان، الأزياء المحافظة)، خاصة وأن المجتمع الإماراتي يلتزم بأنماط حياة شرعية، تحدد له نوعا معيناً من الأكل والملبس والترفيه والخدمات الصحية والتعليمية والمصرفية، الأمر الذي يتطلب الإبقاء على الأسس الشرعية للمنتجات التي يطلبها الفرد الإماراتي.

٢ - مكانة السياحة الإسلامية ضمن إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي:

تسعى الإمارات العربية المتحدة إلى إدراج السياحة الإسلامية ضمن قائمة اهتماماتها، وتحرص على احتضان هذا المفهوم وتنميته من خلال توفير الأجواء الملائمة للسياح الملتزمين وتخصيص أيام محددة للسيدات داخل المرافق الترفيهية وتنظيم الرحلات العائلية التي تضمن كل ما تطمح إليه هذه الفئة من الضيوف، وكانت أبوظبي السبّاقة إلى دعم المبادرات الإيجابية في هذا المجال ولا سيما مع رعايتها للقمّة العالمية الأولى للسياحة الحلال في عام ٢٠١٥.

هذا وتتضمن مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامية إحدى الجوانب الهامة في اقتصاد الخدمات وهو السياحة الإسلامية، تلك السياحة المتوافقة مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي، فالإمارات العربية المتحدة كانت لها السبق في التأصيل لهذا الصناعة، من خلال البنية التحتية التي أوجدتها، وتتضمن: المعالم السياحية التي تتوافر على ضوابط ومعايير خاصة في البناء والعمارة الإسلامية، والتصاميم التي تتوافق مع ثقافة المجتمع الإماراتي، وتحافظ على هويته، الفنادق والمزارات والقصور والمساجد التي أعدها الإمارات العربية المتحدة لتجسيد السياحة الإسلامية على

أرضها، فضلاً عن إطلاق منظومة تشريعية وقانونية لخدمة المنشآت السياحية ذات الطابع الإسلامي.

كما أن إمارة دبي أثبتت وجودها العالمي في مجالات الاقتصاد الإسلامي، ومنها السياحة الإسلامية أو العائلية، وبعث قطاع المنتجات والخدمات الحلال والعمل انشاء مركز لإصدار شهادات الحلال للمنتجات والخدمات، فقطاع منتجات الحلال يعد داعماً لقطاع السياحة الإسلامية ودافعاً لها، بما يجسد نمط الحياة الإسلامي الذي يعد مركزاً لدولة الإمارات العربية المتحدة لتنفيذ خططها التنموية المستدامة.

فضلاً عن ذلك تعتبر دبي واحدة من الوجهات العالمية الأكثر شهرة السياحة الإسلامية (العائلية)، بالنظر إلى ما تتمتع به من مرافق سياحية راقية ومتنوعة وتراث إسلامي والارتقاء بمستوى الخدمات لتسهيل حياة الأفراد والوافدين وتحقيق سعادتهم، كما تتطلع إستراتيجية دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي إلى تطوير قطاع السياحة في دبي، لكي تبقى دبي هي الوجهة المفضلة للسياحة الإسلامية (العائلية).

٣- ميثاق السعادة ومستوجبات استدامة السعادة في الإمارات العربية المتحدة:

تسعى دولة الإمارات العربية المتحدة ضمن أولوياتها إلى وضع خطط تضمن استمرارية واستدامة سعادة المجتمع، ولتحقيق هذا المسعى تم إطلاق الميثاق الوطني للسعادة والإيجابية، والذي يعد خارطة طريق لتوحيد مفهوم السعادة والإيجابية وفق منظور الدولة، وذلك من خلال ثلاثة محاور أساسية^(١): ثقافة السعادة المؤسسية، صفات الموظف السعيد والإيجابي، ومؤشرات السعادة والإيجابية المؤسسية.

(١) عماد سعد، سعادة المجتمع مسؤولية مجتمعية، مجلة بيئة المدن الإلكترونية، مركز البيئة للمدن العربية، العدد السادس عشر، يناير ٢٠١٧، ص ٣٠.

إن إطلاق هذا الميثاق لدليل على أن دولة الإمارات العربية المتحدة ماضية في السعادة لمواطنيها ولكل من يقيم على أرض الإمارات، وجعل السعادة هدفاً إنسانياً أساسياً ومطمحاً لكل الشعوب، ونهجاً شاملاً تجاه تحقيق التنمية والرفاهية للأجيال الحالية والقادمة، كما أن هذا الميثاق جاء لترسيخ ثقافة السعادة والإيجابية كأسلوب حياة، بما يحقق طموحات المجتمع الإماراتي ويتوافق مع عاداته وثقافته.

أ- البرنامج الوطني للسعادة وجهود ترسيخ السعادة في الإمارات العربية المتحدة:

ينقسم البرنامج الوطني للسعادة إلى ثلاثة محاور رئيسية^(١):

أولها السعادة والإيجابية في العمل الحكومي، ويتضمن العديد من المبادرات التي ستقوم بها الحكومة لتعزيز بيئة السعادة والإيجابية والارتقاء بمستوى الخدمات لإسعاد الناس، وتحويل مراكز خدمة المتعاملين إلى مراكز سعادة المتعاملين، وتحويل مسميات موظفي خدمة المتعاملين إلى موظفي إسعاد المتعاملين، وإطلاق ميدالية «أبطال السعادة والإيجابية» لتكريم موظفي الصف الأمامي، وإصدار دليل سعادة المتعاملين، وقياس سعادة المتعاملين.

فيما يشتمل المحور الثاني: السعادة والإيجابية كأسلوب حياة، على تعزيز السعادة والإيجابية في المجتمع عبر إطلاق العديد من المبادرات المجتمعية، وتحفيز السعادة

(١) وأئل نعيم، السعادة أولوية سياسات وخطط الإمارات الإستراتيجية لتحقيق استقرار ورفاهية المجتمع، من على الموقع الإلكتروني: <http://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2017-03-20-1.2892095>، اطلع عليه بتاريخ: ٠٨ / ٠١ / ٢٠١٨.

المؤسسية في القطاع الخاص، وإطلاق جائزة أسعد بيئة عمل لمؤسسات القطاع الخاص في الدولة، وتصنيف مؤسسات القطاع الخاص في الدولة بحسب مستوى السعادة، أما المحور الثالث يتضمن قياس السعادة والإيجابية.

وتتمحور رؤية البرنامج الوطني للسعادة حول أن تكون الإمارات أكثر الدول سعادة في العالم، ورسالته: أن تكون السعادة أسلوب حياة والهدف الأسمى للعمل الحكومي في الدولة، ويتضمن سبعة أهداف هي: مواءمة خطط الدولة وبرامجها وسياساتها وتشريعاتها لتحقيق الإيجابية وسعادة المجتمع، وتحفيز الجهات الحكومية والخاصة لإطلاق وتبني المبادرات والمشاريع والسياسات لتحقيق السعادة والإيجابية والتنسيق مع الجهات المعنية لتنفيذها.

هذا وقد أطلق البرنامج الوطني للسعادة والإيجابية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ومجلس أبوظبي للتعليم وهيئة المعرفة والتنمية البشرية في دبي مبادرة «١٠٠ يوم من العطاء»، هذه المبادرة تهدف إلى غرس قيمة العطاء بأشكاله المادية والمعنوية في نفوس الطلاب والطالبات في مدارس الدولة، وهذا تماشياً مع برنامج «العطاء سعادة» وكذا رؤية القيادة الحكيمة لدولة الإمارات العربية المتحدة وتطلعاتها المستقبلية^(١)، واهتمامها بضرورة تعزيز قيم الإيجابية والسلوكيات الحميدة، التي تسهم في إعداد أجيال مبادرة ومعطاءة، ضمن بيئة تعليمية سعيدة وإيجابية ومحفزة، وسعادتها من سعادة المجتمع ككل.

(١) جهد متواصل لترسيخ ثقافة السعادة، صحيفة الاتحاد، العدد الصادر يوم ١٤ ماي ٢٠١٧، من على الموقع الإلكتروني: www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=94231، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/٠٥.

ب- مستوجبات استدامة السعادة في الإمارات العربية المتحدة: كان لدولة الإمارات العربية المتحدة السبق في جعل السعادة عنواناً لمواطنيها وللمقيمين والزائرين، ومطلبا في الحياة لكل من يرغب في العيش على أرض الإمارات الطيبة الآمنة، وذلك تماشياً مع المكانة التي احتلتها والمراتب التي تبوأها عالمياً في مجال السعادة والإيجابية.

هذا وتعتبر دولة الإمارات العربية المتحدة دولة معيارية في السعادة، حيث تجاوزت مرحلة التعريف بالسعادة والترويج لها إلى مرحلة صناعة السعادة، وذلك انطلاقاً من مبدأ أن السعادة ضرورة اجتماعية، وسلوك وممارسة يومية على مستوى القيادة والشعب^(١)، كما تخطت الدولة مفهوم السعادة إلى فكرة استمراريتها، وصارت السعادة المستدامة المصطلح الأبرز في الدولة.

وتماشياً مع رؤية الإمارات العربية المتحدة لعام ٢٠٢١ التي تركز على جودة الحياة وعلى أن الفرد يكون سعيداً في مجتمعه، قامت الدولة بجهود فريدة من نوعها في العالم، تهدف من خلالها تحقيق إستراتيجية استدامة السعادة، وغرس القيم الإيجابية في نفسية المجتمع الإماراتي على النحو الذي يجعله راضياً على العيش وسعيداً، كما قامت الدولة بترسيخ ثقافة السعادة بين الأجيال الناشئة حتى تصبح نهجاً ثابتاً وأسلوب حياة يؤسس لأجيال المستقبل.

(١) وطني الإمارات تصدر تقرير «معيارية السعادة» في دولة الإمارات، مرجع سبق ذكره.

٤- السياحة الإسلامية لاستدامة السعادة وتعزيز نمط الحياة الإسلامي في ضوء

إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي:

وفرت دولة الإمارات العربية المتحدة جميع السبل والموارد من أجل حياة سعيدة للمواطنين والمقيمين والزائرين والسياح، حيث اتجهت الدولة لتبني برامج غايتها رفع سعادة الجميع؛ ومبادرة «دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي» حددت السياحة العائلية بكونها ركناً مهماً وأحد مجالات النمو الرئيسية، حيث تهدف المبادرة إلى تعزيز مكانة دبي الدولية كمركز جاذب للسياحة العائلية، من خلال ما توفره من خدمات البنية التحتية ومرافق الضيافة الموجهة للأسر والمتوافقة مع المعايير الإسلامية^(١).

السياحة الإسلامية تقتضي توافر الأمن والطمأنينة، وهذا ما يولد في نفسية السائح قدراً من السعادة قد لا تعوضه الأموال، ولقد منَّ الله على دولة الإمارات العربية المتحدة نعمة الأمن والأمان والتعايش والتسامح والسلام بين الناس في كل الأماكن، وحبهم لبعضهم والابتسامة في وجه الآخر، فمن أسباب سعادة السائح عند الإقامة في الإمارات الشعور بالأمان والأمن الذي تفتقده الكثير من الدول الأجنبية، وذلك يرجع لحرص الدولة وجهود قيادتها الرشيدة في توفير العيش الآمن لمواطنيها ولمواطني الدول الأخرى على حد سواء؛

(١) غرفة دبي، قطاع السياحة العائلية يعزز مكانته كأحد ركائز نمو الاقتصاد الإسلامي، من على الموقع الإلكتروني: http://www.dubaichamber.com/ar/whats-happening/chamber_news، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/٠٢.

إن السياحة ومنها السياحة الإسلامية ترمز على وجود علاقات إنسانية ما بين الأفراد، حيث إن العلاقات الجيدة تشكل مصدراً مهماً من مصادر السعادة، وهذه الأخيرة تركز على عناصر الاتصال الفعال في المجتمع، والإمارات العربية المتحدة يسودها الحديث عن الإيجابية والتفاؤل والمبادرة إلى إسعاد الناس، مما يعني توافر منصة تواصل ما بين الشعب الإماراتي والسياح الوافدين إلى هذا البلد؛

إن نمط الحياة الإسلامي الذي استلهمت منه مبادرة اقتصاد الخدمات الإسلامي يركز على كل ما هو نافع وطيب وحلال، وذي صلة بالمجتمع الإسلامي؛ وقصد تعزيز مكانة قطاع السياحة الإسلامية ضمن إستراتيجية دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، تم دعم هذا القطاع الهام ودفعه عن طريق قطاع المنتجات والخدمات الحلال، فقطاع صناعة الأغذية الحلال نال من الرواج بالنظر على الصيت الذي عرفته الأغذية الحلال حتى في المجتمعات غير الإسلامية، التي أصبحت تركز على القيمة الغذائية لهذه المنتجات ومدى مراعاتها لمعايير السلامة الصحية.

وتأتي دولة الإمارات العربية المتحدة في المرتبة الثالثة عالمياً من حيث استفادتها من اقتصاد الغذاء الحلال، بفضل خبرتها في صناعة واعتماد الأغذية الحلال، وامتلاكها لمنظومة لوجستية عالمية متقدمة، فضلاً عن التشريعات المرنة في هذا المجال، كلها مؤشرات تدل على نمو قطاع الاقتصاد الإسلامي.

خلاصة الورقة البحثية:

لقد حفزت الإمارات العربية المتحدة من خلال إستراتيجية دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي العديد من القطاعات، كقطاع السياحة الإسلامية (العائلية) وقطاع الصناعة الحلال، وزادت من تنافسيتها العالمية، وهو الأمر الذي يدل على نجاح هذه الإستراتيجية التي تعتمدها حكومة الإمارات العربية المتحدة، والتي تصب في خدمة المجتمع الإماراتي، وتساهم في زيادة مستويات سعادته وفق نمط الحياة الإسلامي الذي تنشده الدولة لصالح أفراد المجتمع ولصالح الوفود من السياح الذين يبحثون عن أماكن الراحة والاستقرار الذي يتلاءم مع مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء.

أهم النتائج المتوصل إليها:

- نمط الحياة الإسلامي يعد ضمن المرتكزات الأساسية لإطلاق اقتصاد مستدام من جميع النواحي، وهو الأمر الذي يعزز السعادة والإيجابية في حياة المجتمعات المسلمة؛

- سعت الإمارات العربية المتحدة من خلال مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي إلى تفعيل دور السعادة في التنمية الشاملة، والبحث عن الإستراتيجيات الكفيلة لترسيخ وتعزيز السعادة والإيجابية في نفوس أفراد المجتمع الإماراتي.

- جهود ومبادرات دولة الإمارات العربية المتحدة في سبيل تحقيق السعادة والإيجابية أدى بها إلى عدم الاكتفاء بتحقيق سعادة للجيل الحالي، بل العمل على ضمان استمرارية هذا النهج للأجيال المستقبلية، وهذا ما يدل على أن دول الإمارات العربية المتحدة تسعى إلى تحقيق السعادة المستدامة أو حق كل جيل في السعادة والإيجابية.

- المكانة الهامة لإمارة دبي في إبراز عالمية الاقتصاد الإسلامي، وتحفيز الاهتمام العالمي لتبني مبادئه وتوجيهاته، من خلال بعث قطاع السياحة الإسلامي وقطاع منتجات وخدمات الحلال؛

- مبادرة دبي عاصمة للاقتصاد الإسلامي تضمنت أهدافاً وأولويات تمحورت حول سعادة المجتمع وإيجابيته والتحامه لتحقيق طموحات الشعب الإماراتي، وتعد هذه المبادرة خطوة نحو رفع مستوى الوعي العالمي بأهمية تعزيز نمط الحياة الإسلامي في الاقتصاديات، والافتداء والتمين بهذه المبادرة الرائدة التي أطلقتها القيادة الحكيمة لدولة الإمارات العربية المتحدة.

- تشكل السياحة الإسلامية مكانة هامة في أجندة إستراتيجية دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، وهو القطاع الذي تعول من خلاله الإمارات العربية المتحدة تحقيق استدامة لسعادة الأفراد والمجتمع، لكون أن السياحة تعد مدخلا هاما لتحقيق التنمية المستدامة، لتتوافق مع مرئيات الإستراتيجية من جهة، وتعكس نمط الحياة الإسلامي من جهة أخرى.

مقترحات الورقة البحثية:

- دعم جهود إمارة دبي في مجال صناعة الأغذية الحلال باعتباره مدخلا هاما للسياحة الإسلامية وبعثا حقيقيا لسعادة الأفراد والأسر في دولة الإمارات العربية المتحدة.

- تكثيف الجهود بما يعزز نمط الحياة الإسلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة، ويحقق رؤية دبي كأسعد مدينة في العالم.

- نقل التجربة الرائدة لدولة الإمارات العربية المتحدة في مجال السعادة والإيجابية التي حققتها للمجتمع.

- العمل على تعزيز قيم الولاء والانتماء والوفاء للقيادة الحكيمة لدولة الإمارات العربية المتحدة، بما يحقق التماسك الداخلي والتلاحم بين أفراد المجتمع الإماراتي، راضين على حاضرهم ومطمئنين على مستقبلهم، محافظين على الإنجازات التي حققتها الدولة والمكتسبات التنموية.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

مفهوم السياحة العائلية وتأصيلها الشرعي

إعداد

إدريس الفاسي الفهري

نائب رئيس جامعة القرويين - المملكة المغربية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

أولاً: سوابق البحث:

سبق أن شاركت في ندوة تطور العلوم الفقهية بسلطنة عمان بموضوع عن «قواعد فقه السياحة في الإسلام»، وأصدرت البحث بعد مراجعته في كتاب صغير بنفس العنوان تحت إلهام بعض القائمين على العمل السياحي بالمملكة العربية السعودية، وصدرت بذلك طبعة محدودة جداً ونشراً.

ومشاركتي الحالية بموضوع مقارب وتحت عنوان «مفهوم السياحة العائلية وضوابطها الشرعية» في الدورة الرابعة لمنتدى فقه الاقتصاد الإسلامي التي تنظمها مشكورة دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري التابعة لحكومة دبي، جاءت بناء على طلب ممن اطلعوا على مشاركتي المتواضعة التي سبق نشرها.

وقد ارتأيت، بل اغتبطت بالمشاركة في المنتدى الحالي:

نظراً لرغبتني الصادقة في إذاعة العمل التأصيلي الشرعي لفقه السياحة كما اقتضاه نظري المتواضع،

ونظراً لطموحي إلى تطوير العمل في الموضوع، ونظراً لتطلعي إلى مناقشة جادة وهادفة من السادة المشاركين في المنتدى الحالي، عسى أن يفيد ذلك بما لا يخطر لي ببال في هذا الشأن.

وباعتبار جميع ما تقدم:

فإنني قد أعيد هنا ما ذكرته سابقاً، وقد لا أذكر الإحالة على ما كتبت من قبل وإن أعدته، وقد أبنني هنا على النتائج التي ناقشت بالتفصيل اللازم معطياتها آنفاً.

وقد كنت قسمت الموضوع أنفا تقسيمات عامة، وقلبت النظر فيه من جهات متعددة؛ ولكن سياق الندوة الحالية في نطاق منتدى الاقتصاد الإسلامي، يميل علينا أن نتصدى في البحث الحالي إلى ما يتعلق بالجانب الاستشاري، ومتعلقه في فقه السياحة خاص بما يدخل في باب سياحة القادمين؛ ولذلك اقتصرنا على هذا الجانب، كما سيأتي تفصيلا هنا.

وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثانيا: مقتضيات البحث:

تطور إطلاق معنى لفظ السياحة في العصر الحديث بالنظر إلى مجموعة من المعطيات المتضاربة.

وتطور النشاط السياحي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإلى الآن تطورا لم يكن للإنسانية عهد به من قبل.

وعقدت في الشأن السياحي ومتعلقاته مؤتمرات ومعاهدات دولية.

وصارت له مصالح حكومية خاصة به وصدرت بشأنه قوانين وضوابط على المستوى في عموم دول المعمور.

وخصصت له معاهد تسهر على تكوين المشتغلين في نطاقه، وبحوث علمية ترمي إلى تطوير أنشطته وخدماته.

ولذلك فإن بؤرة الاهتمام في البحث الحالي هي تأصيل معطيات وأحكام ذلك التطور:

ابتداء بالتطور الذي عرفه مفهوم السياحة وما يرتبط به في التفكير والتصوير داخل منظومة مفاهيم الحضارة الإسلامية والإنسانية عموماً، والدلالة الخاصة لمصطلح السياحة، والسياحة العائلية على الأخص، في الاستعمال المعاصر.

ومروراً بالتطور الذي عرفه النشاط السياحي، وما يتصل به من المعطيات الاقتصادية، في الاستثمار، والتشغيل، والتجهيز، والتسيير، والتسويق، والاستهلاك، والاختيارات الإستراتيجية المرتبطة بكل شيء من ذلك، حتى لقد صار من المتداول الكلام عن «الصناعة السياحية».

وانتهاءً بالتطور الذي عرفته التقنيات والتشريعات والتنظيمات الوطنية والدولية في مختلف المرافق والأنشطة التي لها علاقة بالسياحة.

للووصول من خلال رصد التطور الحاصل على هذه المستويات الثلاثة إلى ما ينطبق على التشريع والممارسة للسياحة عموماً، والسياحة العائلية خصوصاً في السياق المعاصر من الأصول والضوابط الشرعية الإسلامية.

ثالثاً: عقبات البحث:

العقبة الأولى التي يواجهها الباحث في موضوع «فقه السياحة في الإسلام» هي الصعوبات التي تحول دون التصور البسيط «لمعنى السياحة في الإسلام»، حيث واجهتني في ابتدائه حواجز نصية وتأويلات خاصة. وهو ما استدعى تحليل ذلك المعنى وما يلتبس به بحسب الخطوات المتأنية التي يقتضيها النظر المعجمي والمصطلحي.

وقد أهملت ذكر البحث التفصيلي الذي قمت به في هذا الشأن ضمن هذه الورقات؛ لأن ذكر جميع تفصيلات الدراسة المنهجية التي سلكتها من أجل تحديد

المعنى سيخرج هذا البحث عن غايته المقصودة؛ ولكنني لم أدخل البحث من ذكر أهم معطيات تلك الدراسة ونتائجها.

والعقبة الثانية التي واجهتها في هذا البحث هي أنه لا وجود لباب فقهي بعنوان «فقه السياحة» ولا بعنوان مقارب لفظاً أو معنى ضمن التبويب الفقهي المعتاد، فأحرى وجود تععيد متطور لهذا الباب.

والعقبة الثالثة هي ما يمليه الانتقال من الفقه التاريخي إلى الفقه الواقعي والنظر المألّي في جميع شؤون الحياة المعاصرة وهو ورش عمل لا ينبغي أن يفتر عن متابعتها الفقيه ويبدل غاية وسعه في استيعاب ما يحدث منها استيعاباً واضحاً، وفي النظر إلى ما ينسب عليه من الأصول نظراً صحيحاً، ثم التفريع عليه ضمن الهيئات المنتصبة لذلك في كل بلد على حدته.

ويعد النشاط السياحي مثالا واضحاً جداً على التطور الكبير الحاصل في الواقع، كما سيظهر من مجريات ومعطيات الأوراق التالية، مما يحثنا على متابعته بالتأصيل الشرعي، والتفريع الفقهي، وإلا فإن اللائمة في كل ما يخالف الشريعة إذا وقع ستتوجه إلى كل مسؤول عن الفراغ التشريعي، كما تتوجه إلى كل مسؤول عن الانحراف التشريعي. وهي لائمة يشترك في تحملها كل من الفقيه الذي تخلف عن الاجتهاد، والفقيه الذي قفز إلى الاجتهاد من غير بنائه على أصوله الصحيحة.



١ - مفهوم السياحة، والسياحة العائلية

١-١ - لفظ السياحة: أصلا، وفرعا، واستعمالا:

١-١-١ - المعنى الأصلي للسياحة: من سيح الماء:

أصل السياحة في اللغة من «سَيَحُ الماء» يقال: سَاحَ الماء إذا «جرى على وجه الأرض»^(١)، كما يقال في «الماء الجاري»^(٢) عموما: «سَيَحُّ».

ويقابل السَيْحُ السَيْلُ، قال الجوهري في معنى «الأرض البعل» إنها التي «لا يصيبها سَيْحٌ ولا سَيْلٌ»^(٣). ومن أجل بيان الفرق الذي تقتضيه المقابلة بين اللفظتين لزم التدقيق. وقد بين ذلك أبو حيان في التفسير فقال: «... ومنه سيح الماء وهو الجاري المنبسط»^(٤). فتبين أن ثمة تفصيلا في صفة الأرض، و صفة الماء معا ليقال فيه «سيح»:

فصفة الماء أنه ذاهب في الأرض جار عليها،

وصفة الأرض أنها منبسطة لا حاجز يمنع ذهاب الماء فيها.

ودقق الثعالبي في فقه اللغة هذا المعنى بأكثر مما تقدم فقال عند بيان أسماء المياه

وصفاتها: «فإذا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَسْقِي بِغَيْرِ آلَةٍ مِنْ دَالِيَةٍ أَوْ دُولَابٍ أَوْ نَاعُورَةٍ أَوْ مَنْجُونٍ فَهُوَ سَيْحٌ»^(٥).

(١) مادة (سيح) في العين: ٢ / ٢٧٢، لسان العرب: ٢ / ٤٩٢، تاج العروس: ١ / ١٦٣٩، الصحاح

في اللغة: ١ / ٣٤٢، مختار الصحاح: ١ / ٣٢٦،

(٢) مادة (سيح) في مقاييس اللغة: ٣ / ١٢٠، الصحاح في اللغة: ١ / ٣٤٢، لسان العرب: ٢ / ٤٩٢،

تاج العروس: ١ / ١٦٣٩،

(٣) لسان العرب: ١١ / ٥٧، مادة: (بعل).

(٤) البحر المحيط: ٦ / ١٢٣.

(٥) فقه اللغة للثعالبي.

ويوافق هذا التعريف^(١) ما في بعض ألفاظ حديث الزكاة: «ما سُقِيَ بالسَّيْحِ ففيه العُشْر... (الحديث)»^(٢)، وذلك أنه لا مجهود يبذل في سقيه، فهو والمسقى بالمطر واحد بهذا الاعتبار.

١-١-٢- الاستعمالات المجازية للسيح:

ومن أقرب المجاز فيه استعمال طرفه في قوله:

لو خفتُ هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلاً أمامي تسيح^(٣)

فصوّر حركة هجوم الجيش كأنها سيحُ الماء كثرةً وقوةً وانتشاراً.

ومن المجاز فيه^(٤) استعمال ذي الرمة في قوله:

أمني ضمير النفس إياك بعدما يُراجِعني بشي فينساخُ بالها^(٥)

فمثل هناء الخاطر واتساع البال بانسياح الماء في الأرض الرحبة المنبسطة.

١-١-٣- المعنى الفرعي العام للسياحة: الذهاب في الأرض:

وأما «السِّيَاحَةُ - بالكسر - والسُّيُوحُ - بالضم - والسَّيْحَانُ - محرّكةً - والسَّيْحُ - بفتح فسكون -»^(٦) فقد عرفها الزبيدي بقوله: «مُفَارَقَةُ الْأَمْصَارِ

(١) لسان العرب: ٢ / ٤٩٢، مادة (سيح).

(٢) رواية ابن أبي شيبه في المصنف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده برقم ١٠١٧٣ ج ٣ ص ١٤٤، باب ما قالوا فيها يسقى سيحا وبالذوالي.

(٣) البحر المحيط: ٦ / ١٢٣.

(٤) الصحاح في اللغة: ١ / ٣٤٢، مادة (سيح).

(٥) ديوان ذي الرمة: ١ / ١١٦.

(٦) تاج العروس: ١ / ١٦٤٠، مادة (سيح).

والذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ». وزاد مبينا مثل ما ذكرناه: «وَأَصْلُهُ مِنْ سَيْحِ الْمَاءِ الْجَارِي فَهُوَ مَجَازٌ»^(١).

ولا ينبغي أن يقتصر في مثل هذا على نوع الرابط بالمعنى الأصلي الذي هو هنا المجاز فعلا على أساس المشابهة بين ذهاب الماء في الأرض في الأرض المنبسطة، وذهاب الناس في الأرض بدون مانع ولا حاجز. ولكن ينبغي أن يضاف إلى ذلك أن هذا المعنى لم يعد في حاجة إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي؛ لأنه صار معنى عرفيا.

ومن هذا المعنى السياحة في قول الله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۗ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكٰفِرِينَ ۗ﴾ [التوبة: ١ - ٢]. فليس قول الله تعال «فسيحوا» من باب الأمر في حقيقة المعنى، وإن كان بصيغة فعل الأمر. بل معناه الإنذار. كقوله تعالى ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]، وذلك لاعتبارين: أحدهما أن الخطاب فيه للمشركين، والثاني أنه لمجرد بيان المدة التي تنتهي عند انقضائها معاهدة المسالمة.

ومن هذا المعنى السياحة في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام»^(٢) وحديث أبي هريرة رضي الله

(١) نفسه، ص. س.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢١٥، رقم ٣١١٦)، وأحمد (١/ ٤٤١، رقم ٤٢١٠)، والنسائي (٣/ ٤٣، رقم ١٢٨٢)، وابن حبان (٣/ ١٩٥، رقم ٩١٤)، والطبراني (١٠/ ٢١٩، رقم ١٠٥٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٩٠، رقم ٥١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٠)، والحاكم (٢/ ٤٥٦، رقم ٣٥٧٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيثار (٢/ ٢١٧ رقم ١٥٨٢).

عنه عن رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر... الحديث»^(١) وفي لفظ رواية البخاري: «ملائكة يطوفون في الطرق»، وفي لفظ رواية مسلم: «ملائكة سيارة فضلا».

١-١-٤- المعنى الفرعي الخاص: الذهاب في الأرض للعبادة:

ولا تقتصر المعاجم العربية في تعريف السياحة على ما ذكر وإن كان هو العبارة الأعم التي عرفت بها، بل إنها تأتي بتعريف أخص للسياحة وارد في أغلب المعاجم ابتداء بكتاب العين وهلم جرأً، وعبارتها أن: «السَّيَاحَةُ الذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ لِلْعِبَادَةِ»^(٢)، وأغلبها زاد: «والترهب»^(٣). ولاحظ الزبيدي أن هذا التخصيص يتعلق بلفظ «السياحة» نفسه، قال: «وَأَمَّا السُّيُوحُ وَالسَّيْحَانُ وَالسَّيْحُ فَقَالُوا: إِنَّهُ مُطَلَّقُ الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ سِوَاءَ كَانَ لِلْعِبَادَةِ أَوْ غَيْرَهَا»^(٤).

وقد جاءت السياحة بهذا المعنى الأخص في القرآن العظيم مرتين: الأولى لوصف الذكور وهي قول الله عز وجل: ﴿التَّيِّبُونَ الْعَبِيدُونَ الْأَحْمَدُونَ السَّكِينُونَ الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٨٢، رقم ٨٩٦٠)، والبخاري (٥/٢٣٥٣، رقم ٦٠٤٥)، ومسلم (٤/٢٠٦٩، رقم ٢٦٨٩)، وابن حبان (٣/١٣٧، رقم ٨٥٦)، وأبو نعيم (٨/١١٧). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص ٣١٩، رقم ٢٤٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٩٩، رقم ٥٣١).

(٢) العين: ٣/٢٧٣، مادة (سيح).

(٣) مادة (سيح) في تهذيب اللغة: ٢/١٦٢، لسان العرب: ١١/٥٧، تاج العروس: ١/١٦٤٠.

(٤) تاج العروس: ١/١٦٤٠، مادة (سيح).

والثانية لوصف الإناث، وهي قول الله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُؤْمِنَاتٍ مَّسَلَمَاتٍ فَمِنْتَ تَبَيَّنَتْ عِدَاتِ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥].

وقد صرفت السياحة في التأويل عن معنى الذهاب في الأرض جملة وتفصيلا وذلك باعتبار ما ورد فيها من الأحاديث، ويمكننا أن نجملها في ثلاثة:

الحديث الأول: أخرجه عبد الرزاق في المصنف مرسلا عن طاوس (٣٣) - ١٠٦هـ^(١) في موضعين:

في الأول: قال رسول الله ﷺ: «لا خزام^(٢) ولا زمام^(٣) ولا سياحة، وزاد ابن جريج: ولا تبتل ولا ترهب في الإسلام»^(٤). وفي الثاني من غير الزيادة التي عن ابن جريج^(٥).

(١) من كبار التابعين، والعلماء، والفضلاء الصالحين. سمع ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وجابراً، وأبا هريرة، وزيد بن ثابت، وابن أرقم، وعائشة، رضى الله عنهم. روى عنه ابنه عبد الله الصالح بن الصالح، ومجاهد، وعمرو بن دينار، وخلاتق من التابعين. واتفقوا على جلالة وفضيلته، ووفور علمه، وصلاحه، وحفظه، وثبته. (تهذيب الأسماء: ١ / ٣٥٣، وترجمته مشتهرة ومنها تهذيب التهذيب: ٩ / ٥، شذرات الذهب: ١ / ١٢٧، غاية النهاية في طبقات القراء: ١ / ١٥٠).

(٢) «الخزام: جمع خزيمة وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي البعير كانت بنو إسرائيل تخزم أنوفها وتخرق تراقيها ونحو ذلك من أنواع التعذيب فوضع الله تعالى عن هذه الأمة أي لا يفعل الخزام في الإسلام» النهاية في غريب الأثر ٢ / ٧٨، مادة خزم.

(٣) «أراد ما كان عبداً بني إسرائيل يفعلونه من زم الأنوف وهو أن يخرق الأنف ويعمل فيه زمام كزمام الناقة ليقاد به» النهاية في غريب الأثر: ٢ / ٧٨٢، مادة: زم.

(٤) مصنف عبد الرزاق: برقم: ١٥٨٦٠، ٨ / ٤٨٨، باب الخزيمة.

(٥) المصدر السابق: برقم: ٢٠٥٧٢، ١١ / ٢٩٢، باب الرخص في الأعمال والقصد.

والحديث الثاني: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله». أخرجه الحاكم^(١) وأبو داود^(٢) والبيهقي^(٣) والطبراني^(٤). وله ألفاظ متعددة، منها المفصل لقصة الحديث، ومنها المقتصر على لفظ رسول الله ﷺ كما ذكرناه هنا.

وأما الحديث الثالث فلا أعلمه يوجد في شيء من كتب الحديث، وإنما روي في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وموقوفاً^(٥). ونص المرفوع: قال لي رسول الله ﷺ: «السائحون هم الصائمون». قال ابن كثير: «وهذا الموقوف أصح»^(٦). ورواه ابن جرير كذلك مرسلًا عن عبيد بن عمير (ت ٦٨ هـ) - وهو

(١) المستدرک برقم: ٢٣٩٨، ٢/٨٣.

(٢) السنن برقم: ٢١٢٧، ٦/٤٩١، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة. قال الحافظ العراقي: «ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد» (إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي: ٤/٤٧).

(٣) السنن الكبرى برقم: ١٨٩٧٧، ٩/١٦١، ونصه: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال ائذن لي في الزنا! قال: فهمم من كان قرب النبي ﷺ أن يتناولوه. فقال النبي ﷺ: دعوه. ثم قال له النبي ﷺ: ادنه! أتحب أن يفعل ذلك بأختك؟! قال: لا. قال: فبابنتك؟! قال: فلم يزل يقول بكذا وكذا، كل ذلك يقول: لا، فقال له النبي ﷺ: فأكره ما كره الله، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك. قال: يا رسول الله فادع الله أن يبغض إلى النساء. قال النبي ﷺ: اللهم بغض إليه النساء. قال: فانصرف الرجل. ثم رجع إليه بعد ليل، فقال: يا رسول الله ما من شيء أبغض إلى من النساء، فائذن لي بالسياحة. فقال النبي ﷺ: إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله.

(٤) المعجم الكبير برقم: ٧٧٠٨، ٨/١٦٨، ونصه: إن لكل أمة سياحة وإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وإن لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٥٠٦): «وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف».

(٥) تفسير الطبري المرفوع برقم: ١٧٢٨٧، والموقوف برقم: ١٧٢٨٨، ١٤/٥٠٣. وأخرج السيوطي في الدر المنثور (٥/١٧٢) المرفوع - زيادة على الطبري - عن أبي الشيخ، وابن مردويه، وابن النجار.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤/٢٢٠.

من كبار التابعين - ونص حديثه: «سئل النبي ﷺ عن السائحين فقال: هم الصائمون»^(١).

وتشترك هذه الأحاديث في الدلالة: على أن للسياحة مفهوما متداولاً في عصر النبوة. وعلى أن ذلك المفهوم المتداول غير المعنى اللغوي العام للسياحة. وعلى أن في السياحة بذلك المفهوم المتداول بعدا تعبديا ملازما للرهبانية والانعزال. وقد جاء تبين ذلك المعنى في بعض الروايات ضمن قصة تبتل عثمان بن مظعون رضي الله عنه. ونص ما ورد من ذلك: «كان عثمان بن مظعون يريد أن ينظر هل يستطيع السياحة، وكانوا يعدون السياحة صيام النهار وقيام الليل»^(٢).

وورد في لفظ آخر: «أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد ابن الأسود، وسالماً مولى أبي حذيفة في أصحاب، تبتلوا، فجلسوا في

(١) تفسير الطبري برقم: ١٧٢٨٥ و١٧٢٨٦، ١٤/٥٠٣. وذكره عنه ابن كثير في التفسير: ٤/٢٢٠، والسيوطي في الدر المنثور: ٥/١٧١.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢١/٢٢٥. ونص الحديث بتمامه: «عن أبي فاختة مولى جعدة بن هيرة قال كان عثمان بن مظعون يريد أن ينظر هل يستطيع السياحة، وكانوا يعدون السياحة صيام النهار وقيام الليل. ففعل ذلك، حتى تركت المرأة الطيب والمعصفر والخضاب والكحل. فدخلت على بعض أمهات المؤمنين، ورأتها عائشة، فقالت: مالي أراك كأنك مغيبة؟! فقالت: إني مشهدة كالمغيبة! فعرفت ما عنت. فجاء النبي ﷺ، فقالت: يا نبي الله! إن امرأة عثمان دخلت علي فلم أر بها كحلا ولا طيبا ولا صفرة ولا خضابا، فقلت: مالي أراك كأنك مغيبة؟! فقالت: إني مشهدة كالمغيبة، فعرفت ما عنت. فأرسل إلى عثمان فقال: يا عثمان أتؤمن بما تؤمن؟! قال: نعم بأبي أنت وأمي. قال: إن كنت تؤمن بما تؤمن، فأسوة لك بنا، وأسوة ما لدينا». وبهذه الرواية في تفسير ابن أبي حاتم برقم: ١٠٠٣١، ٦/١٨٩٠. وهي قريبة من قصة المتبتلين من الصحابة رضوان الله عليهم الآتية هنا بحول الله، أو لعلها هي، وللحديث روايات أخرى كما في التمهيد نفسه في الصفحة التي تلي هذه المنقول عنها، ومصنف عبد الرزاق عن عائشة رضي الله عنها، برقم: ١٠٣٧٥، ٦/١٦٧، وفي الزهد لابن المبارك: ص. ٢٩٠. وفي غيرها.

البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرّموا طيبات الطعام واللباس إلا ما أكل ولبس أهل السّياحة من بني إسرائيل..»^(١). وذكر القرطبي عن سفيان بن عيينة: «إنما قيل للصائم سائح لأنه يترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والمنكح»^(٢). ومعناه أن السياحة نوع من الرهبانية، ومقتضاه على الإجمال أن يجري عليها ما يجري على الرهبانية.

وأما على التفصيل:

فالحديث الأول الذي ينفي السياحة في الإسلام، والذي اقترن بالرهبانية لفظاً، مقترن بها معنى. قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]. ونفي مشروعية الرهبانية داخل في عموم النهي عن مخالفة الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ومن هذا الباب الحديث المشهور المتفق عليه عن «أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ. فلما أخبروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم،

(١) تفسير الطبري: برقم: ١٢٣٤٨، ١٠/٥١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٨/٢٦٩.

فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

ومن صيغ الحديث الثاني هنا - أي حديث إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله - ما يقترن بهذا الحديث المتفق عليه وقصته وهي الرواية التي أوردنا أنفا عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

وقد يكون عثمان بن مظعون أحد أولئك النفر المبهمين في هذا الحديث^(٢)، وقد لا يكون منهم، وتكون قصته مستقلة عن قصتهم؛ وفي الحالين معا فالحديثان سواء معنى وحكما.

وقد أردف الإمام مسلم في صحيحه عموم هذه القصة بخصوص قصة ابن مظعون رضي الله عنه، ولفظه: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا»^(٣).

(١) متفق عليه: البخاري برقم: ٤٦٧٥، ١٥ / ٤٩٣، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية. ومسلم برقم: ٢٤٨٧، ٧ / ١٧٥، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم. واللفظ هنا للبخاري.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «ووقع في مرسل سعيد بن المسيب عند عبد الرزاق أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون» (فتح الباري: ٩ / ١٠٤)، وقد لاحظ الحافظ ابن حجر ملاحظة تاريخية هامة تسمية هؤلاء الثلاثة، فقال: «... لكن في عد عبد الله بن عمرو معهم نظر لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب» (فتح الباري: ٩ / ١٠٥)، والصواب بحسب ما وقفت عليه من المطبوع أنه لم يسم في رواية عبد الرزاق من مرسل سعيد بن المسيب (برقم: ١٠٣٧٤، ٦ / ١٦٧) إلا علي وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ووردت فيه قصة عثمان بن مظعون رضي الله عنه مستقلة في الحديث الموالي.

(٣) صحيح مسلم برقم: ٢٤٨٨، ٧ / ١٧٦، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

وأما الحديث الثالث فمجمل ما فيه أن للسياحة - باعتبارها نوعاً من الرهبانية - قدراً محدوداً في الشريعة المحمدية وهو ما أمر الله به من عبادة الصيام بحدودها، وشروطها، وأحكامها.

وأخيراً فلعلني أطلت واستطردت في هذا الموضوع بما لا يتناسب مع حجم هذا البحث، وسبب ذلك هو الرغبة في إزالة أي لبس اعتقادي قد يتعلق بمعنى السياحة في استعمالنا الحالي. وحاصله أن الذهاب في الأرض ليس عبادة في حد ذاته، وإنما بحسب ما يحفز عليه من النية والقصد، وبحسب ما يقترن به من الفعل والقول، وبحسب ما يؤدي إليه من العاقبة والمآل.

١-٢-١ - مفهوم السياحة في الواقع الحالي، والاصطلاح الدولي:

١-٢-١-١ - المعنى المعجمي الحديث للسياحة:

إذا توقفنا عند المعنى الذي تقدمه المعاجم العربية للسياحة بمعناها العام وهو - كما تقدم معنا - «مُفَارَقَةُ الْأَمْصَارِ وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ»^(١)؛ فإن الملفت للنظر تنصيبه في معنى السياحة على «مفارقة الأمصار»، ومعلوم أن الأمصار هي المدن، والأمر في السياحة أعم من ذلك فقد يكون مفارقة للأمصار أو للبوادي.

وإنما توقفت لبيان هذا المعنى في استعمالهم لفظ «السياحة» لأن لذلك دلالة عندما نتحدث عن السياحة بمعناها الحديث، مما يعني تطوراً هاماً في الدلالة المعجمية لهذا اللفظ إذا قارنا ذلك بما ورد في معجم حديث نسبياً مثل المعجم

(١) نفسه، ص. س.

الوسيط الذي ينص مؤلفوه على أن السياحة تعني: «التنقل من بلد إلى بلد طلباً للتنزه أو الاستطلاع والكشف»^(١).

والملاحظ من خلال هذا التعريف:

أولاً: أنه تم استبعاد معنى «مفارقة الأمصار»، وجيء بدله بعبارة أخرى هي «التنقل من بلد إلى بلد»: وذلك يعني بالاعتبار الأول استبعاد الحضر والمدن، إذ الأمر أعم من ذلك. كما يعني بالاعتبار الثاني استحضار كل من السياحة الوطنية والدولية؛ لأن البلد قد تعنى به الدولة، كما تعنى به المنطقة الواسعة. وتم الاحتفاظ في نطاق معنى السياحة بما يدل على مفارقة الموطن، ففي المعجم الوسيط نفسه جاء تعريف البلد بأنه: «المكان المحدود يستوطنه جماعات ويسمى المكان الواسع من الأرض بلداً»^(٢).

وثانياً: أنه تم استبعاد السفر بغرض العمل والكسب، وتم استحضار السفر بغايات التنزه أي الاستجمام والاستطلاع والكشف.

وقد يكون من هذا المعنى ما جاء في القرآن العظيم من منة الله تعالى على الخلق بما يسره لهم من السير في الأرض، لمختلف أغراضهم وإن كان لم يتقيد في القرآن بغرض الاستجمام تحديداً، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. ونحو قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

(١) المعجم الوسيط: ١ / ٤٦٧، مادة: سيح.

(٢) المعجم الوسيط: ١ / ٦٨، مادة: بلد.

وأما غرض الاستطلاع والكشف فشواهدة في القرآن كثيرة جدا، بل إن له في القرآن عبارة تخصه وهي «السير في الأرض»، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

١-٢-٢- المعنى الاصطلاحي الحديث للسياحة:

تداول عبر العالم في نطاق الجهات المختصة بالأنشطة السياحية تعريفات كثيرة للسياحة. وقد اخترت من بينها مجموعة من التعاريف المتنوعة بحسب تنوع الفئات السياحية، وتنوع مشاركتها في النشاط السياحي.

وأول أساس لتنوع هذه التعاريف هو اختلاف التعريف بحسب اعتبار منتج الخدمة السياحة أو اعتبار مستهلكها:

أما السياحة باعتبار مستهلك الخدمة السياحية؛ فإنه يأتي تعريفها بأنها «مجموع أنشطة المتنقلين إلى خارج بيئتهم الاعتيادية لأقل من عام واحد متصل بهدف الترفيه أو الأعمال «business» أو لغرض آخر لا يجعل من بيئة الهدف مكانا معتادا»^(١).

وأما السياحة باعتبار منتج الخدمة السياحية، فإنه يأتي تعريفها بأنها: «التفاعلات الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة الناتجة عن وصول زوار إلى إقليم أو دولة بعيدا عن موطنهم الأصلي والتي توفر الخدمات التي يحتاجون إليها وتشبع حاجياتهم المختلفة طوال فترة إقامتهم»^(٢).

TECHNICAL MANUAL COLECTION OF TOURISM EXPENDITURE (١)

STATICS 1995 P10

(٢) صناعة السياحة، د. محمد الزوكة: ١٩٩٥، ص. ٣٩.

ومع حضور الاعتبار الذي ذكرنا في الفرق بين هذين التعريفين فإنه لا يمكن القول بأنهما وجهان لعملة واحدة في أحد وجهيها مستهلك وفي الوجه الآخر منتج، ولكنها تعريفان متباعدان نسبيا بالنظر إلى اعتبارين على الأقل:

أحدهما: أن التعريف الأول يجعل غرض الزيارة التي يقوم بها السائح واحدا من محددات السياحة، وأساسا للتمييز بين الوافدين برسم السياحة وبين غيرهم. والتعريف الثاني لا يهتم ببيان شيء من ذلك؛ لأن عرض الخدمات السياحية لا يتدخل في أغراض السائحين.

وهذا المحدد معتبر عند جميع أصحاب التعاريف التي تعرف السياحة بغرض التمييز بين السائح وغيره من مجموع المسافرين. بحيث لا يحمل صفة سائح كل من يمارس أعمالا مصدر أجرتها من البلد المقصود. ومن هنا نفهم أن غرض ممارسة «الأعمال» الذي ينص عليه التعريف الأول يعتبر الأعمال أو الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها غير المأجورين.

والاعتبار الثاني أن التعريف الأول اعتنى ببيان المدة القصوى التي لا يعتبر بعدها الشخص سائحا، وإنما يعتبر مقيما. وهو أيضا بغرض التمييز بين السائح وغيره من مجموع المسافرين. وقد حددها هذا التعريف بعام واحد متصل من تاريخ دخوله إلى البلد المقصود، بحيث لو تكرر دخوله وخروجه واجتمع من ذلك أكثر من عام واحد فإنه يبقى له هذا الوصف. وغني عن البيان أن تحديد المدة القصوى التي يعتبر الشخص بعدها مقيما ببلد الاستقبال أمر مختلف بحسب الدول وإجراءاتها التنظيمية.

والأساس الثاني لتنوع هذه التعاريف هو التمييز بين نوعين من السياحة: السياحة الداخلية أو الوطنية، والسياحة الخارجية أو الدولية:

فـ «السائح الداخلي هو الذي يسافر من موطنه لمسافة لا تقل عن خمسين ميلا في اتجاه واحد، للأعمال أو المتعة أو شؤون شخصية أو أي غرض آخر باستثناء الرحلة بين العمل والمنزل، وسواء قضى ليلته خارجا أو عاد إلى بيته في نفس اليوم»^(١).

وأما السائح الخارجي، فهو «الشخص الذي يزور دولة غير دولته التي يقيم فيها إقامة دائمة لأي سبب غير الكسب»^(٢).

وهنا أيضا يحضر التمييز بين السياحة وبين العمالة، وقد بينا الأساس الذي يفرق على أساسه بينهما. وهذا الأساس مرتبط بالمنظومة القانونية التي تحكم العمالة الأجنبية في مختلف البلدان، والأهداف التي يقع على أساسها هذا التمييز منها ما يتعلق بشؤون اقتصادية وتوازنات فرص العمل، ومنها ما يتعلق باحتساب العائدات السياحية من العملات الأجنبية، ومنها ما يتعلق بقوانين الشغل التي يحتكم إليها في المحافظة على حقوق العمال وواجباتهم وحقوق المشغلين وواجباتهم. وأما ورود هذا التمييز بالنسبة للسياحة الداخلية فإنه يبدو بغرض تعيين مقر الاقتطاعات الضريبية.

وأما تحديد المسافة التي لا يعتبر من انتقال دونها سائحا فإنه مختلف بحسب الدول فإن التحديد الوارد في تعريف السائح الداخلي المذكور هنا يستند إلى التحديد

(١) السياحة: الأسس والتطبيقات والفلسفات، عن كتاب أحكام السياحة وآثارها: ص. ١٨.

(٢) مقررات مؤتمر روما للسفر والسياحة الذي نظّمته الأمم المتحدة، عن صناعة السياحة، د. محمد الزوكة: ١٩٩٥، ص. ٤١.

الأمريكي، بينما في كندا مثلا تحدد المسافة الدنيا التي يعتبر المنتقل بعد قطعها سائحا في خمسة وعشرين ميلا فقط.

ومن الواضح في عالم اليوم أن هذه التحديدات المتعلقة بتمييز معنى السياحة من غيره راجعة إلى الحركة الدائبة للإنسان على وجه هذه الأرض والتي لا تكون دائما بغرض الاستجمام والاستكشاف والاستطلاع بل تتعدد أغراض الأسفار بتعدد المصالح وتعدد القيود والإجراءات بحسب تضارب المصالح.

١-٢-٣- أنواع السياحة في الواقع:

تشكل السياحة في العصر الحاضر نوعا من الاستثمار ووجها من وجوه التجارة، وهي لذلك مجال للمنافسة تتبع ما يقتضيه السوق من توفير أكبر قدر من التنافسية، اتباعا لقوانين العرض والطلب، وانتهاجا لمختلف أساليب التسويق، ومن أهم ذلك تنوع المنتجات السياحية بحسب الطلب.

ولذلك فقد تنوعت المنتجات السياحية في عالم اليوم وصارت كل وجهة مختصة بنوع أو أنواع من السياحة وذلك بحسب ما تسمح به إمكاناتها الجغرافية والتاريخية والطبيعية والبشرية والاستثمارية.

وكلما تعددت تلك الإمكانيات، وتنوعت المنتجات السياحية، وتحسنت جودة الخدمات؛ تقدمت الجهات السياحية على القائمة الدولية. ولذلك فإن قسما كبيرا من الاستثمار في المجال السياحي يصرف في خانة الدعاية والإشهار من أجل بناء سمعة دولية تكون هي أساس الاستقطاب السياحي لوجهة ما.

ولا يهتم المختصون في الحقل السياحي بمعنى السياحة بقدر ما يهتمون برغبات السائحين، وبأعداد الراغبين في كل نوع من أنواع السياحة، بل إنهم يذهبون أبعد من ذلك حين يولدون الرغبة ويهيئون ما يليها.

ومن أجل ذلك فإن أنواع السياحة أمر لا يمكن حصره، وكل ما في الإمكان هو التعريف بمجموعة من أنواع السياحة رائجة في العام اليوم فمن ذلك:

السياحة العلمية والثقافية ووسائل الجذب فيها الجامعات والمتاحف والمعارض والمكتبات والآثار. ويلحق بهذا النوع من السياحة نوع جديد هو سياحة المؤتمرات. السياحة الدينية ووسائل الجذب فيها أماكن العبادة للديانات الأكثر انتشاراً في العالم ومنها على سبيل المثال البقاع المقدسة في الإسلام ومهوى أفئدة المسلمين للحج والعمرة والزيارة.

السياحة العلاجية وتستقطبها البلاد الأكثر تقدماً في المجال الطبي، أو التي توفر منتجعات خاصة بمميزات طبيعية معينة كالمياه المعدنية والبيئات السليمة.

السياحة الترفيهية وهي متنوعة ومتعددة بحسب تنوع الرغبات والمشتريات فمنها السياحة الشاطئية والجبلية والغابوية والحيوانية ومنها سياحة الفرجة والطرب والرقص وحتى القمار وهلم جرا...

وهناك تخصصات سياحية أخرى موسمية كالسياحة القائمة على توفير إمكانات هائلة ومتنوعة للتسوق، والسياحة القائمة على احتضان المناسبات الرياضية الدولية أو القارية أو الإقليمية وهلم جرا...

وما ذكرناه من الأنواع هو أمثلة على أكثر أنواع السياحة انتشاراً مع ضرورة التذكير بأن وجهة سياحية ما قد توفر أنواعاً متعددة من السياحة وهو الشأن في أكبر الوجهات السياحية في العالم كفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

١-٢-٤ - مفهوم السياحة العائلية:

بالنظر إلى جميع ما تقدم، وبالرجوع إلى الاستعمالات المتواردة على عبارة «السياحة العائلية» يمكننا أن نحدد مفهومها بأنها لا تبعد عن معنى «السياحة الترفيهية» المشار إليها أعلاه فقد تكون دينية أو ثقافية، أو جبلية أو شاطئية، أو سياحة تسوق أو تفرج إلى غير ذلك. فإن مفهوم السياحة العائلية لا يبعد عن عموم معنى الترفيه إلا في ملحظ واحد، وهو أن من مميزات السياحة العائلية أنها توحى بالحشمة والأخلاق التي تكتنف الحياة العائلية في العرف العام المستقيم.

ويمكننا لذلك أن نجعل من السياحة العائلية مقاربا لمصطلح آخر رائج بكثرة في أيامنا هاته وهو مصطلح «السياحة الحلال». ومصطلح السياحة الحلال مأخوذ من الاستعمال اليهودي الرائج في المطاعم الحلال «Cacher». وإنما أشرت إلى المصطلح اليهودي بخصوصه نظراً لما يكتنف الحلال والحرام عندهم من التعقيدات بحيث تجعل من تحديد الحلال أمراله شأن، ولا يتولاه إلا الربيون المعتمدون. وذلك بعكس شريعة الإسلام التي من بدهياتها أن الحلال بين والحرام بين. ولهذا فإنه إذا كثرت الشروط والتفصيلات في تمييز الحلال عن الحرام فإن الإحالة تكون عادة على المصطلح اليهودي. وإذا أطلق المصطلح عند الغربيين بالنسبة للمسلمين

فإنه لا يعني في المتاجر أكثر من كون الذبائح مذكاة ذكاة شرعية، وفي المطاعم أن الوجبات التي تقدمها خالية من الخمر ولحم الخنزير.

وقد وصفنا ما بين عبارتي «السياحة العائلية» و«السياحة الحلال» بالمقاربة، لا بالمرادفة؛ نظراً لما يميز السياحة الحلال من الإلحاح على الالتزام بالضوابط الشرعية الإسلامية. ولا يكاد يكون مفيداً في الحقيقة من ضوابط السياحة الحلال إلا مسألة الفصل بين الجنسين في المسابح والشواطئ.

ويجمع السياحة العائلية والسياحة الحلال أنهما يطلقان معا ويراد بهما أن المنتج السياحي «نظيف»، وذلك يعني استبعاد «سياحة القمار»، و«السياحة الجنسية»، و«سياحة التعاطي» يعني للخمر والمخدرات، ونحو ذلك من القبائح والموبقات العظمية.



٢- التأصيل الشرعي للسياحة العائلية

٢-١- تطور السياحة بين الأمس واليوم:

٢-١-١- أحوال السياحة في عالم الأمس:

لعل من يعيش في عالم اليوم لا يعرف شيئاً عن الظروف التي كانت تحيط بالسفر في عالم الأمس. ويكفي في الخبر عن تلك الظروف حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه. فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه، فليعجل إلى أهله»^(١).

وقد اختلفت آراء الناس قديماً في السفر من غير أن تختلف في المشاق الناجمة عنه. وأورد هنا نصين يعبران عن رأيين قد يحسبهما الناظر أول مرة مختلفين؛ ولكنها يعبران عن حقيقة واحدة:

أحدهما للإمام الغزالي، حيث يقول: «وأما السياحة في الأرض على الدوام فمن المشوشات للقلب، إلا في حق الأقوياء. فإن المسافر وماله لعل قلق إلا ما وقى الله. فلا يزال المسافر مشغول القلب: تارة بالخوف على نفسه وماله، وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده في إقامته. وإن لم يكن معه مال يخاف عليه، فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق: فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع. ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال. فلا ينبغي أن يسافر المرید إلا في طلب علم، أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته، وتستفاد الرغبة في الخير من

(١) أخرجه مالك (٢/٩٨٠، رقم ١٧٦٨)، وأحمد (٢/٢٣٦، رقم ٧٢٢٤)، والبخاري (٢/٦٣٩، رقم ١٧١٠)، ومسلم (٣/١٥٢٦، رقم ١٩٢٧).

مشاهدته؛ فإن اشتغل بنفسه، واستبصر، وانفتح له طريق الفكر أو العمل؛ فالسكون أولى به»^(١).

فالكلام هنا ليس عن مطلق السفر بل يتعلق بمداومة السفر. وهو موافق لما في الحديث الشريف «فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه، فليعجل إلى أهله».

ولا ينكر أحد ما في السفر عموماً من الفائدة وفي حديث ابن عمر^(٢) وابن عباس^(٣) رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: «سافروا تصحوا وتغنموا».

قال ابن بطال: «فإن قيل: فقد روى ابن عمر وابن عباس، عن النبي عليه السلام أنه قال: «سافروا تصحوا وتغنموا»، وهو مخالف لحديث أبي هريرة. قيل: لا خلاف بين شيء من ذلك، وليس كون السفر قطعة من العذاب يمنع أن يكون فيه منفعة ومصحة لكثير من الناس؛ لأن في الحركة والرياضة منفعة، ولا سيما لأهل الدعة والرفاهية، كالدواء المرّ المُعقّب للصحة وإن كان في تناوله كراهية، فلا خلاف بين الحديثين»^(٤).

مع أنه لا ينبغي أن نفهم من الحديث أن فيه أمراً بالسفر بمعنى الوجوب؛ ولا أن ترتب الصحة والغنى عن السفر قاعدة حتمية. قال الإمام الشافعي: «فإنما هذا دلالة لا حتم أن يسافر لطلب صحة ورزق»^(٥).

(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٠٤.

(٢) إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٠٤.

(٣) إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٠٤.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤ / ٤٥٥.

(٥) الأم: ٥ / ١٤٣. والسنن الكبرى للبيهقي: ٧ / ١٠٢.

والنص الثاني للإمام الرازي، يعبر عن نفس المعنى الذي أفاده الشافعي وابن بطال عن حديث «سافروا تصحوا وتغنموا» حيث يقول: «للسياحة أثر عظيم في تكميل النفس؛ لأنه يلقاه أنواع من الضر والبؤس، فلا بد له من الصبر عليها؛ وقد ينقطع زاده، فيحتاج إلى التوكل على الله؛ وقد يلقى أفاضل مختلفين، فيستفيد من كل أحد فائدة مخصوصة؛ وقد يلقى الأكابر من الناس، فيستحقر نفسه في مقابلتهم؛ وقد يصل إلى المرادات الكثيرة، فينتفع بها؛ وقد يشاهد اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من الأحوال الخاصة بهم، فتقوى معرفته. وبالجملة فالسياحة لها آثار قوية في الدين»^(١).

ويعبر كل من كلام الغزالي والرازي عما كان يلقاه المسافر في ذلك الزمان من الضر والبؤس. وهو ما أردنا أن نبينه هنا من ظروف السياحة في عالم الأمس.

٢-١-٢- تطور السياحة في عالم اليوم:

تطور النشاط السياحي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإلى الآن تطوراً لم يكن للإنسانية عهد به من قبل. وذلك تماشياً مع تطور وسائل النقل، ومع الاستثمارات الهائلة في نطاق الخدمات السياحية فقد بلغت حداً صار يطلق عليها معه اليوم «صناعة السياحة».

وصاحب تطور وسائل النقل وتعددتها وتنوعها، تنافس مطرد في توفير وسائل الراحة، وانخفاض ملموس في كلفة التنقل، والإقامة المحدودة.

(١) تفسير الرازي: ٨ / ١٥٩.

ولما صارت عائدات الخدمات السياحية من بين أهم وسائل الدخل بالنسبة لعدد كبير من الدول، فقد اجتهدت في توفير ما لا توجد سياحة بدونها من الشروط الأمنية الكفيلة بمداومة تطلع السياح للقدوم عليها.

وللاطلاع عن كثب على حقيقة تطور النشاط السياحي الذي نتحدث عنه بحكم عيشنا ووجوب تعايشنا في عالمنا المعاصر يكفي أن نذكر^(١) بأنه خلال سنة ٢٠١١ وحدها انتقل بين مختلف دول العالم ثلاثة وثمانون وتسعمائة مليون سائح!

ولمعرفة التطور المتسارع في أعداد السائحين عبر العالم يكفي أن نذكر أن عدد السائحين في السنة التي قبلها (٢٠١٠) كان هو أربعون وتسعمائة مليون سائح، وذلك يعني حسابيا أن عدد السائحين الدوليين تطور خلال سنة واحدة بنسبة أربعة وستة أعشار في المائة (٦, ٤ ٪)، وبالنظر إلى ضخامة العدد الأصلي، فإن نسبة التطور التي نتحدث عنها هي نسبة بغاية الضخامة!

ولمعرفة حجم المعاملات الرائجة في المجال السياحي يكفي أن نذكر بأن مداخيل السياحة الدولية بلغت في سنة ٢٠١١ أزيد من تريليون دولار أمريكي (١,٠٣ تريليون \$)!

ولتقريب الصورة أكثر فإن الدول العشر الأكثر استقبالا للسائحين في العالم بلغت مداخيلها في سنة ٢٠١١ أزيد من اثنين وثمانين وأربعة بليون وستة أعشار بليون دولار أمريكي (٦, ٤٨٢ بليون \$).

(١) الإحصاءات الواردة هنا عن موقع الإحصاءات السياحية.

وفي المقابل فإن الدول العشر التي يأتي مواطنوها في طليعة المستفيدين من الخدمات السياحية بلغت مصاريفها خلال سنة ٢٠١١ أكثر من ستة وتسعين وأربعمائة بليون وستة أعشار بليون دولار أمريكي (٤٩٦,٦ بليون \$).

٢-٢- لزوم تطوير فقه السياحة ولوازمه:

٢-٢-١- لزوم تطوير فقه السياحة:

تشكل السياحة اليوم بالنسبة لمجموعة كبيرة من الدول الإسلامية نشاطا اقتصاديا من أهم أنشطتها، ومصدرا للدخل لا يستهان به بالنسبة إلى مجموع مداخلها، ومكونا واقعا في حياة كثير من مجتمعاتها. كما أن عددا لا يستهان به كذلك من مواطني الدول الإسلامية من بين المستهلكين المداومين للمنتوجات السياحية على اختلاف أصنافها.

ومع ذلك فإنه لا وجود لباب فقهي بعنوان «فقه السياحة» ولا بعنوان مقارب لفظا أو معنى ضمن التبويب الفقهي المعتاد. ولا تكاد تعثر بعد التقصي على مؤلف فقهي في موضوع السياحة يشفي الفؤاد.

والعهد بالتنظير الفقهي أن يزوج بين النظر في الواقع والمتوقع، وأن انشغالاته العملية تستبق الأحداث والنوازل ولا تتخلف عنها، عملا بأنه لا يعرى عمل من أعمال المكلفين عن حكم فقهي من الشرع يوجه حياتهم ويسدد سلوكهم.

قال الإمام الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»^(١). وقال في موضع آخر: «قال الله عز وجل ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] فلم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السدى الذي لا يؤمر ولا ينهي ومن أفتى أو حكم بما لم يؤمر به فقد أجاز لنفسه أن يكون في معاني السدى وقد أعلمه الله أنه لم يتركه سدى»^(٢).

وذلك أن كل حيز من الفراغ التشريعي يتغيب عنه علماء الشريعة الإسلامية فإنه يملأ بما يتيسر في الوقت من الضوابط مما قد لا تقره الشريعة.

وهو ما استدعي من علماء الشرع أن ينخرطوا في الأوراش الاجتماعية، والأنشطة الاقتصادية، والتفاعلات السياسية، والعلاقات الدولية، والدراسات الإستراتيجية، التي ذهبت كلها في عصرنا هذا شأوا بعيدا من التطور والتحول.

وما يخط في هذه الورقات هو محاولة متواضعة للإسهام في سد هذا الفجر في المادة الفقهية المتعلقة بالسياحة في الإسلام مما ينبغي أن لا يتخلف عن النشاط السياحي المتسارع في هذا العصر وأن يزن ما يلابسه بميزان الشرع.

٢-٢-٢- لوازم تطوير فقه السياحة:

ولمتابعة المستجدات على نور من شرع الله الحكيم عموما والمستجدات فيما نتناوله هنا من شؤون السياحة خصوصا لابد من استحضار مجموعة من الاعتبارات في عناصر البحث الموالية جميعا:

(١) الرسالة: ص. ٢٠.

(٢) إبطال الاستحسان: ضمن الأم: ٢٩٨ / ٧.

الاعتبار الأول: هو تحقيق مناط ذلك الخطاب الشرعي الإسلامي، فإن الحكم الفقهي النظري لا يتقرر ولا يحرر في أمر حتى يفصل، وإن الحكم الفقهي العملي لا يتقرر ولا يحرر حتى يقع وتبين مناطاته وتعلقاته. ومن أول ما يتوقف على ذلك هو تعيين المخاطب المسؤول عنه في الاعتبار الأول.

الاعتبار الثاني: التمييز بين الفقه التاريخي والفقه الواقعي وذلك على أساس تجاوز المفاهيم التاريخية لدى أئمتنا المؤسسين من فقهاء الإسلام الماضين. وكمثال على ذلك:

تستعمل على المستوى الدولي حالياً عبارة «المواطنون» وتقابلها عبارة «الأجانب»، مع اعتبار التنوع الديني للمواطنين والأجانب، ومع تنوع مدلول الأجانب بحسب اعتبارات شتى راجعة في عمومها إلى أنماط العلاقات والمعاهدات الدولية بين الدولة الهدف والدولة المصدر للزائر الأجنبي.

وتستعمل في مصادر التراث الفقهي مقابل ذلك عبارة «المسلم»، وأساسها الانتماء الديني، ويدخل معه في المواطنة باعتبار العقد السياسي الداخلي الذمي. ويقابل المواطنين بحسب اعتبار العلاقة الدولية على أساس السلم والحرب الحربي والمعاهد... الخ

وليس الاختلاف الذي نتحدث عنه باختلاف في العبارات فقط؛ ولكنه اختلاف في البنية التشريعية بعناصرها وعلاقاتها جميعاً.

وعلى العموم فإننا ما لم نتجاوز البنية المفهومية التي تأسس عليها الفقه التاريخي، وما لم نفتح على القواعد التي تحكم العلاقات الدولية اليوم؛ فإننا لن نتج تععيداً فقهيها مفيداً لأحد، بل إننا سنتسبب في كثير من الإرباكات واضطراب في التصرفات.

الاعتبار الثالث: هو اعتبار الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية. فإن الثوابت الشرعية من النصوص الثابتة البينة، والأصول الشرعية القطعية، والأوامر والنواهي العامة هي مجموع ثوابت الشريعة الإسلامية التي لا يمكن لأحد أن يغير منها شيئاً. وأما الأحكام الصادرة باعتبار الأحوال والأعراف والعادات والمصالح فإنها متغيرة بتغيرها.

وقد لا حظنا أنفاً التطور الكبير والسريع الذي شهده النشاط السياحي في العقود الأخيرة ويمكننا أن نلاحظ ما يأتي به من المصالح وما يصاحبه من المفسد، وكل ذلك مما ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار بحسب ما يمس الثوابت منه وما يمس المتغيرات.

٢-٣- الخطاب التشريعي بالنسبة لسياحة القادمين:

٢-٣-١- تعيين المخاطب بالنسبة لكل من سياحة القادمين و سياحة المغادرين:
إن منطلق النظر الفقهي للسياحة في الإسلام يبتدئ بالتمييز بين نظرين مختلفين:
الأول: هو التنظير لسياحة «المواطنين» من «دولة إسلامية» في نفس الدولة أو في دولة أخرى إسلامية أو «غير إسلامية». وهو ما يدخل فيما يصطلح عليه بين المختصين في الدراسات السياحية «سياحة المغادرين» (Tourism departure).
والثاني: هو التنظير لسياحة «الأجانب» في «دولة إسلامية». وهو ما يدخل فيما يصطلح عليه بين المختصين في الدراسات السياحية «سياحة القادمين» (Tourism arrivals).

وذلك أنهما نظران مختلفان من حيث المخاطب في كل واحد منهما:
فالمخاطب في النظر الأول هم الأفراد الذين يدينون بدين الإسلام.
والمخاطب في النظر الثاني هي مؤسسات الدولة التي تعتمد في دستورها الشريعة
الإسلامية أساساً لتشريعاتها.

ولابد لنا بشأن نظر الشريعة الإسلامية في سياحة الأجانب في دولة إسلامية،
أي فيما يتعلق بسياحة القادمين، من اعتبار زائد على الاعتبارات العامة المذكورة
آنفاً. وهو تعيين مؤسسات الدولة المعنية بالخطاب: هل هي المصالح الحكومية
الموكولة إليها مهام الشأن السياحي؟ أم المصالح الموكولة بالشأن الأمني؟ أم السلطة
التشريعية؟ أم الدستورية؟... الخ

وسوف نقتصر في البحث الحالي على النظر الأول وهو سياحة القادمين، وذلك
من منطلق تركيز منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي في دورته الحالية على الاستثمار في
هذا القطاع وما يتعلق به.

٢-٣-٢ - (القانون الدولي الإسلامي) وسياحة القادمين:

ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته الثالثة عشرة على أمرين: «١.
لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة. ٢. يحق لكل فرد
أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه».

وينص الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان في مادته السابعة عشرة على أن:
«لكل إنسان الحق في إطار الشريعة بحرية التنقل واختيار محل إقامته داخل بلده
أو خارجها».

والإعلان الإسلامي مبني على النصوص الشرعية الثابتة التي لا منازعة في ثبوتها ولا في معناها نحو قوله تعالى في الخطاب العام: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المك: ١٥]. وقوله تعالى بشأن المشركين: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله سبحانه بشأن قوم آخرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

وتحكم تنقلات الأفراد على المستوى الدولي فضلا عن القواعد العامة لحقوق الإنسان مجموعة من الضوابط والقوانين مبنية على معاهدات دولية، ويتحدث مجموعة من الدارسين عما يصطلح عليه بـ«القانون الدولي الإسلامي» و«هو ذلك الفرع من القانون والأعراف والالتزامات التعاقدية الواقعية أو القانونية التي تراعيها الدولة الإسلامية في معاملاتها مع الدول الأخرى»^(١).

وإن كان يتوجه على ما يسمى بـ«القانون الدولي الإسلامي» مجموعة من الملاحظات أبرزها اثنتان:

الأولى: أنه لا توجد دولة إسلامية واحدة وموحدة أصلا لتصدر عنها التزامات تعاقدية.

(١) كتاب الإعلام بقواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية في شريعة الإسلام، الدكتور أحمد أبو الوفا، ط. ١، ٢٠٠١م، دار النهضة العربية، القاهرة: الجزء الأول الخاص بالمقدمة والمصادر والمعاهدات الدولية: ص. ٦، وما بعدها.

والثانية: أنه لا يمكننا إطلاق صفة «الدولية» على قانون ما، ثم نخصه على غير أساس قانوني أو تعاقدية أو عرفي.

ولذلك فإنه ما لم يكن هنالك تعاقد قانوني دولي ملزم لمجموع الدول الإسلامية باعتبارها طرفاً، مع دولة غير إسلامية ما، أو مجموع الدول غير الإسلامية باعتبارها طرفاً ثانياً؛ فإنه لا يمكننا الحديث عن قانون دولي إسلامي. ويستثنى من ذلك حالة صدور التزام دولي عن مجموع الدول الإسلامية بقانون أو مجموعة قوانين من طرف واحد.

وحيث لا يوجد في الواقع قانون دولي إسلامي ملزم؛ فإن كل دولة إسلامية ملزمة بما تلتزم به من الأعراف والقوانين الدولية على التفصيل. والخطاب التشريعي الإسلامي موجه إلى كل دولة إسلامية على حدتها بهذا الاعتبار.

وعلى الرغم من وجود تشريع إسلامي رائد اختطه فقهاء الإسلام في الشأن الدولي منذ قرون عديدة، وصدر به التزام المسلمين من طرف واحد؛ التزاماً بما أمر الله به نصاً في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، وما استنبطه أولئك الفقهاء الكبار من مجموع ذلك؛ يبقى الالتزام متعددًا ومتنوعًا بحسب انخراط هذه الدولة أو تلك في هذه المعاهدة أو تلك.

٢-٣-٣- نماذج من التأصيل الفقهي الإسلامي بالنسبة لسياحة القادمين:

يمكننا أن نميز أربعة أصول واضحة للتشريع الإسلامي لفقهاء سياحة القادمين، مع أن ذلك لا يعني عدم البناء على غيرها، وإنما أورد هنا ما أستحضر أمثلة من بابه يلزم التنبيه عليها:

الأصل الأول: النص الشرعي:

تستند المحافظة على الثوابت الإسلامية إلى النصوص الثابتة البيّنة وما هو في معناها، وهي مما لا يقبل الاجتهاد أو الانتقال عنه لعامل من عوامل التطور.

فمن ذلك مما يتعلق بسياحة القادمين على دولة إسلامية من غير المسلمين:

أولاً: التزام أهل البلد المستقبل ممن يتصل بالسائحين القادمين على بلاد المسلمين وإن كانوا من غيرهم بالثوابت الشرعية في جانب الأوامر العامة المتعلقة بإكرام الضيف والمعاملة بالحسنى ومبادئ حسن الجوار والدلالة على الخير والإنقاذ من المهالك والأعطاب ونحو ذلك. وعلى وزان ذلك النواهي العامة من عدم التعدي وعدم أكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك مما تفوق في الجانبين أدلته الحصر من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي المصطفى الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ومن الناس المنتمين للإسلام من يعتبر أنه في حل مما أمر الله به ونهى عنه من هذه الأوامر والنواهي مع غير المسلمين فيتعدى على أموالهم وأعراضهم وقد يتعدى على أنفسهم وأبشارهم وقد يؤذيهم بأنواع من الإذاية معتقداً بأن ذلك جائز مع المخالفين في الدين.

والواقع أن من يدخل بلاد المسلمين للسياحة أو غيرها من الأغراض السلمية هو في ذمة المسلمين وعهدهم وله أمان من مجموعهم. فإن الذين يخالفوننا في الملة ممن يدخلون بلادنا معاهدين أو ندخل بلادهم معاهدين قد عصم الله دماءهم

بالعهد الذي تتعارف عليه الأمم في رخص الدخول إليها. وهم إذا دخلوا بلادنا فإنما يدخلونها بعهد من الله ورسوله وعهد من المؤمنين أجمعين. قال الله عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وبين ذلك رسول الله ﷺ: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة؛ وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»^(١)، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى رسول الله ﷺ: «ألا من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد خفر ذمة الله ولا يريح ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً»^(٢)، وعن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»^(٣).

ثانياً: أن يضاف إلى ما هو موجود فعلياً من تجريم التجسس، وما من شأنه المس بأمن الدولة الهدف، ومصالحها الحيوية للسائحين من غير المسلمين: تجريم المس بالثوابت الإسلامية المنصوصة الثابتة البينة، وكل ما من شأنه إلحاق الأذى بالمسلمين: كالمس بالمقدسات الإسلامية، ويلحق به ما من شأنه صرف عامة الناس وضعاف العقول عن دينهم مما قد يتخذ في أحيان كثيرة تمويها بالأعمال الخيرية.

(١) أخرجه أحمد (١٨٦/٢، رقم ٦٧٤٥)، والبخاري (٣/١١٥٥، رقم ٢٩٩٥)، والنسائي (٨/٢٥، رقم ٤٧٥٠)، وابن ماجه (٢/٨٩٦، رقم ٢٦٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/١٣٩، رقم ٢٥٨١)، وابن ماجه (٢/٨٩٦، رقم ٢٦٨٧)..

(٣) أخرجه أبو داود (٣/١٧٠، رقم ٣٠٥٢)، والبيهقي (٩/٢٠٥، رقم ١٨٥١١).

والمجاهرة بالمعاصي: كالمجاهرة بشرب الخمر، والأكل والشرب في نهار رمضان أمام جمهور من المسلمين، وممارسة الزنا واللواط مما يكون طرفا فيه مواطن أو مواطنة من المسلمين.

وما يمس المظهر العام للمجتمع الإسلامي ويخدش الحياء من التعري أو إبراز المفاتن.

واشترط ذلك ممكن يسير في الواقع فإن من السهل جدا أن يعمم ويقع الالتزام به قبل التمكين من تأشيرة دخول البلاد الإسلامية.

وواقع الحال أن كثيرا مما ذكر من المساس بجملة من هذه الثوابت لا يؤخذ به ولا يلزم به مواطنو الدول الإسلامية أنفسهم والقادمون عليهم من المسلمين في أكثر البلاد الإسلامية، فأحرى أن يلزم به القادمون عليهم من غير المسلمين.

والمخاطب بهذا في الحالين هو المؤسسات التشريعية في البلاد الإسلامية التي يقع على كاهلها إصدار نصوص تشريعية محددة في موضوعه مع تحديد الجهة المكلفة بتنفيذه.

الأصل الثاني: القياس:

قد مر بنا عند تعريف السياحة في معناها المعاصر أن من محدداتها في عموم التعاريف أن لا تتجاوز الإقامة سنة، ولم أتبين لذلك تعليلا واضحا. ولكنني أجد أن تحديد هذه المدة مطابق لما حكم به عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وذلك مبني على قياس صحيح. وهو أن المقيم إقامة دائمة من أمثالهم بديار المسلمين تجب عليه

الجزية في رأس السنة. فقيس على ذلك الأصل من يقيم هذه المدة من المستأمنين. وقد نقل ذلك وحلله بنحو مما ذكرنا الإمام الشيباني في السير الكبير، ونصه: «..سبى ناس من أشرف الروم فخرج معهم ناس من قراباتهم بأمان، فلما وقعوا بالشام تفرقوا مع قراباتهم، فمكثوا على ذلك لا يؤدون الخراج، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز، رحمة الله عليهما، فيهم. فكتب أن: أخبروهم فإن أحبوا أن يقيموا مع أهل ذمتنا بمثل ما يعطي مثلهم من الخراج فذلك لهم، وإن أبوا فسيروهم إلى بلادهم بأمان.

اعلم أن الأمر كما قال عمر بن عبد العزيز، رحمة الله عليهما، وهو أن الحربي إذا طال مقامه في دارنا فإن الإمام يقول له، إن أقمت سنة بعد يومك هذا أخذت منك الخراج، فإن أقام من حين تقوم إليه جعل ذمة ومنع من الخروج، ويؤخذ منه الخراج، فإن خرج قبل ذلك لا يحول بينه وبين ذلك وإنما قدر ذلك بسنة؛ لأن فيها دون السنة لا يجب جميع أحكام المسلمين من الصوم والزكاة، وإذا تمت السنة يلزمه كل خطاب فصار ما دون السنة قليلا، والسنة كثير، فإذا مكث سنة فقد طال مقامه في دارنا، فصار من أهلها ذميا، فيؤخذ منه الخراج»^(١).

الأصل الثالث: العرف:

هنالك على المستوى الدولي مجموعة من الأعراف المقننة فيما يتعلق بالخدمات السياحية: في النقل، والفندقة، والمطاعم، وغيرها من المرافق السياحية، ومن إجراءات الاستقبال عموما؛ وهذه كلها مما يؤخذ به في صلب الفقه الإسلامي إجراء على أصل العرف.

(١) شرح السير الكبير: ٥ / ٣٨١.

الأصل الرابع: المصالح المرسلّة:

قد مر بنا الكلام في تعريفات المفهوم الحديث للسياحة أن المدة القصوى، والمسافة الدنيا، مما يدخل في اعتبار القادم على البلد من خارجه سائحا، أو اعتباره مقيما، متعلقة بالتنظيمات الجاري بها العمل في كل دولة.

ومر بنا أيضا أنه هنالك تحديدا تقريبا للعمل الذي يمارسه القادم على دولة ما ولا يعتبر بسببه سائحا؛ ولكن يعتبر عاملا بتلك الدولة وهو أن يتلقى أجره عمله من الدولة الهدف.

وذلك راجع: إما إلى غرض اقتصادي له علاقة بالدولة المصدر والدولة الهدف معا أو إحداهما مثل المعاهدات المتعلقة بعدم الازدواج الضريبي، وإما لغرض أمني يهم استقرار الدولة الهدف أو شأننا من شؤونها الداخلية.

وكل ذلك وما هو من بابه راجع إلى أصل المصالح المرسلّة، إذ ليس له أصل شرعي يشهد له بالاعتبار أو بالإلغاء إلا ما يعتبره واضعه من جلب مصلحة أو دفع مفسدة.

وهذا هو الأصل المكين في كل ما يدخل في هذا النطاق.



الخاتمة

يحق لأهل الإسلام أن يعتزوا ويفتخروا بما قدمه الفقه الإسلامي في تاريخ الإنسانية، وبخطواته الاستباقية لكثير من الوقائع والأحوال، وبإمكانات التطور والتطوير التي يزرعها؛ ولكن كثيرا من التصورات التي بنيت على أساسها مجموعة من الاجتهادات في نطاقه لم يعد لها وجود فعلي.

ومن ذلك هذا الذي خضنا فيه خلال هذا البحث عن مفهوم السياحة وتأصيلها الفقهي، وهي محاولة لم أقصد فيها إلى تفصيل ما يمكن أن يقدمه الفقه الإسلامي في هذا الموضوع بقدر ما حاولت أن أبين المعالم الأساسية لخطة النظر إلى هذا الموضوع وأمثاله مما تطور في عصرنا إلى حد تلاشت معه معالم صورته القديمة الراسخة في الأذهان.

وحتى يتم الانتقال بسلاسة من الفقه التاريخي إلى الفقه الواقعي فإنه لا غنى عن أربعة أنظار متكاملة:

أولها: التمييز بين ثوابت الشريعة الإسلامية ومتغيراتها.

وثانيها: الجمع بين النظر الدلالي والنظر المقاصدي للنصوص الشرعية.

وثالثها: تجديد النظر في تحقيق مناسبات الأحكام الشرعية.

ورابعها: توضيح انبناء السياسة الشرعية في بعديها الداخلي والخارجي على أصل الاستصلاح والمناسبة، وتوضيح ذلك للخاص والعام حتى يكف يده من يجارب الأحكام الجارية على أصول الشريعة بدعوى مخالفتها للشريعة.

ومن هذا النظر الأخير كثير مما يتعلق بفقهاء السياحة، فإن تنقلات الأفراد عبر العالم تحكمها اليوم مجموعة من الضوابط في القوانين الوطنية والدولية على حد سواء. ولا يمكننا في نطاق التقعيد الفقهي للسياحة في الإسلام أن نتجاوز هذه الضوابط والقوانين:

أولاً: لأنها مبنية على معاهدات دولية. ومن المعطيات الفقهية الإسلامية الثابتة الوفاء بالعهد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وثانياً: لأن هذه الضوابط والقوانين والمعاهدات لا تصادم أصلاً شرعياً ثابتاً، وهي جارية لذلك على أصل المصلحة المرسلّة، وقد يسميه الأصوليون المناسبة، وقد يسمونه استحساناً، ولكنه بمختلف صيغته وتكييفاته الأصولية مبني على ملاحظة الأوامر والنواهي الشرعية العامة التي هي بمثابة ميزان يعرف به الصواب فيما يستجد مما لا نص فيه ولا عهد بمثله.

وأما ما بقي في النفس مما لم أستطع تقديمه لئلا أبتعد عن بؤرة الموضوع؛ فهو أننا إذا اقتصرنا في تحليل موضوع مثل السياحة في الإسلام على النظر الفقهي الخالص من غير الوقوف على ما حرره علماء الإسلام في آدابه؛ فإننا سنكون بذلك مضيعين لأهم ما حرره علماءنا في باب السياحة، ومعرضين عن وجه وضاء من فضائل الشريعة ومكارمها التي ينبغي نشرها وإذاعتها والحث عليها. لأن نور الإسلام لا يتم إلا بترسخ معطياتها في الممارسة والسلوك، وتضلع الصدور بما يبعث عليها ويصاحبها من الشعور.



قائمة المصنّاور

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ) تح: شعيب الأرنؤوط، ط. ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أحكام السياحة وآثارها: دراسة شرعية مقارنة، هاشم بن محمد بن حسين ناقور، ط ١، ١٤٢٤ هـ، دار ابن الجوزي.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- الإعلام بقواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية في شريعة الإسلام، الدكتور أحمد أبو الوفا، ط ١، ٢٠٠١ م، دار النهضة العربية، القاهرة.
- الأم، محمد بن إدريس الشافعي الإمام (ت ٢٠٤ هـ)، تح. د. رفعت فوزي عبد المطلب. ط ٢. ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م. دار الوفاء. المنصورة جمهورية مصر العربية. واعتمدت في هذا الكتاب أيضا الطبعة التي أشرف عليها محمد زهري النجار، ونشرتها مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٣٨١ هـ، ١٩٦١ م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تح. صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط ٣، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تح. أسعد محمد الطيب، ط ٣، ١٤١٩هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)، أشرف على طبعه حسين بن إبراهيم زهران، ط ١، ١٩٩٧م، دار المعرفة الدار البيضاء المغرب.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تح. جماعة من العلماء، ط ١، ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تح. إدارة الطباعة المنيرية، مصورة بالأوفست بدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ط ١، ١٣٢٦هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تح. محمد عوض مرعب، ط ١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، ط ٤، ١٩٨٠، دار المعرفة بيروت، بالأوفست عن طبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣٢٣هـ.
- الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد بن فرج أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ط ٢، ١٣٧٢م، دار الشعب القاهرة
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، مطبعة السعادة، القاهرة.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي جلال الدين (ت ٩١١هـ)، ١٩٩٣م، دار الفكر، بيروت.

- ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٢٣١ هـ)، تح. عبد القدوس أبو صالح، ط ١، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ، مؤسسة الإيمان جدة.
- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، الإمام (ت ٢٠٤ هـ)، تح. أحمد شاكر، ط ٢، ١٩٧٩ م، دار التراث، القاهرة.
- الزهد والرقائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (ت ١٨١ هـ)، تح. حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو داود (٢٠٢-٢٧٥ هـ): تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ)، تح. محمود الأرناؤوط، تخ. عبد القادر الأرناؤوط ط ١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.
- شرح السير الكبير، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، ١٩٧١ م، الشركة الشرقية للإعلانات.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩ هـ)، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.

- شعب الإيوان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جردِي
الخراساني، البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تح: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط ١، ١٤٢٣هـ
- ٢٠٠٣ م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية
ببومباي بالهند.

- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، دار
العلم للملايين، بيروت.

- صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، د. محمد خميس الزوكة، ط ٢، ١٤١٥هـ/
١٩٩٥ م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

- العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي
الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تح: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ط ١،
١٤٠٨هـ، دار العاصمة، الرياض.

- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري
(ت ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن
محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، مصورة مكتبة ابن تيمية بالأوفست عن طبعة عام
١٣٥١هـ، ج. برجستراسر.

- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
(ت ٨٥٢هـ)، تح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، بدون تاريخ.

- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تح. عبد الرزاق المهدي، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، إحياء التراث العربي.

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسطي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، كمال يوسف الحوت، ط ١، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، ط ١، دار صادر، بيروت.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تح: حسام الدين القدسي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، مكتبة القدسي، القاهرة.

- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله (٣٢١ - ٤٠٥هـ)، تح. مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ)، تح: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار هجر، مصر.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الحديث، القاهرة.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط ٢، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون (جماعة من المؤلفين)، دار الفكر، بيروت، من دون تاريخ.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦هـ)، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي الإمام أبو عبد الله (٩٣ - ١٧٩هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد أبو السعادات الجزري: تح.
طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ١٩٧٩ م، المكتبة العلمية، بيروت.
- TECHNICAL MANUAL COLECTION OF TOURISM
EXPENDITURE STATICS 1995.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

السَّيَّاحَةُ العَائِلِيَّةُ من مَنظور الثقافة الإسلامية رؤية مقاصدية

إعداد

د. عماد حمدي إبراهيم

مدرس الدراسات الإسلامية .. كلية الآداب

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على خير خلقه أجمعين.

وبعد:

فقد كان نمط حياة المصطفى ﷺ أنموذجاً رائعاً لنمط الحياة الإسلامي المعتدل المتكامل المتوازن؛ فهو يصلي ويطلب الخشوع والبكاء في صلواته حتى تتورم قدماه، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله، لكنه مع الحياة وبين الناس بشر سوي يحب الطيبات، ويبش ويتسمم، ويداعب ويمزح، وكان ﷺ يحب السرور والسعادة ويكره الهم والحزن، ويقول داعياً ربه عز وجل: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ»^(١).

فكرة البحث:

وإذا كانت القلوب تمل كما تمل الأبدان؛ فلا بأس من المزاح والتفكه بما يشرح الصدر، ولا حرج من السياحة والسير في الأرض بُغية ترويح النفس، وتجديد طاقتها ونشاطها، وكسر ما قد يعتريها من السامة والكآبة والملل، ومما لاشك فيه أن؛ الفائدة تكتمل، والسعادة تزداد، والمقاصد والأهداف تتعدد وتنوع بمشاركة أفراد الأسرة وحضور الزوجة والأولاد.

أهداف البحث:

- بيان مفهوم السياحة العائلية، ودورها في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة (٢/ ٩٠) حديث (١٥٤١) وقال الشيخ الألباني «صحيح»

- إبراز أهم المقاصد الشرعية للسياحة العائلية، وأثر التعرف على تلك المقاصد في نشر ثقافة السياحة العائلية، والتشجيع عليها.

منهجية البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع استخدام المنهج الاستقرائي وذلك من خلال جمع واستقراء النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع السياحة والسير في الأرض، ثم المنهج التحليلي والاستنباطي لتحليل تلك النصوص واستنباط المقاصد الشرعية للسياحة العائلية.

عناصر البحث :

يتكون هذا البحثُ إجمالاً من مقدمة ومبحثين وخاتمة، بيانا كالتالى :

- المقدمة.

- المبحث الأول: السياحة العائلية : مفهومها.. أصولها.. وأهميتها.

- المبحث الثانى: مقاصد السياحة العائلية في ضوء الثقافة الإسلامية.

- الخاتمة.



المبحث الأول

السياحة العائلية: مفهومها.. أصولها.. وأهميتها

المطلب الأول: مفهوم السياحة العائلية، وأصولها

الفرع الأول: مفهوم السياحة العائلية:

السياحة العائلية مصطلح مركب من كلمتين (السياحة - العائلية) وحتى تتمكن من بيان مفهومها لابد أن نعرف كل مصطلح منهما على حدة:

١ - مفهوم السياحة:

(أ) السّياحة لغة:

هي: «مفارقة الأمصار، والتنقل من بلد إلى بلد طلباً للتنزه أو الاستطلاع والكشف»^(١). قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾^(٢). جاء في تفسيرها: «السياحة حقيقتها السير في الأرض»^(٣).

(ب) السياحة اصطلاحاً:

تعددت تعريفات الباحثين لمصطلح السياحة، فقد عرفها بعضهم بأنها: «ظاهرة من ظواهر العصر الحديث، والغاية منها الحصول على الاستجمام وتغيير الجو المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، واكتساب الوعي الثقافي وتذوق جمال المشاهد الطبيعية

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/٤٩٣)، المعجم الوسيط، (١/٤٦٧).

(٢) سورة التوبة: من الآية [٢].

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، ط (١٩٨٤هـ) (١٠/١٠٦).

ونشوة الاستمتاع بها»^(١). وعرفها باحث آخر بأنها: «انتقال الشخص من مكان إقامته المألوفة والمعتادة إلى أماكن أخرى من أجل إشباع رغباته، في التنزه والترفيه، وقد تندرج ضمن هذه الرغبات ممارسة العلاج والشعائر الدينية، وغيرها»^(٢).

٢- العائلة:

(أ) العائلة لغة:

تطلق على: «أولئك الذين يضمهم بيت واحد من الآباء والأبناء والأقارب»^(٣). ومن الألفاظ ذات الصلة بمصطلح العائلة: الأسرة: وهم: عشيرة الرجل وأهل بيته...»^(٤).

(ب) العائلة اصطلاحاً:

هي: «الجماعة المعتبرة نواة للمجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، يتفرع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من الأجداد والجندات، والحواشي من الإخوة والأخوات، وبالقرابة القريبة من الأحفاد (أولاد الأولاد) والأسباط (أولاد البنات) والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وأولادهم...»^(٥). وانطلاقاً من تلك التعريفات يمكن تحديد مفهوم السياحة العائلية بأنها:

(١) الاستثمارات السياحية في الأردن، ريان درويش، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بمعهد العلوم الاقتصادية، بالجزائر، (١٩٩٧) ص ١١.

(٢) الآثار التنموية للسياحة.. دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس والمغرب، للباحثة: عشي صليحة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد وعلوم التسيير، جامعة باتنة، الجزائر (٢٠٠٤) - ٢٠٠٥ م) ص ٢٠.

(٣) المعجم الوسيط، (٢/ ٦٣٧).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٠).

(٥) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١ (٢٠٠٠ م) ص ٢٠.

انتقال أفراد العائلة أو بعضهم من مكان الإقامة المألوف والمعتاد إلى أماكن أخرى؛ بقصد إشباع رغباتهم، في التنزه والترفيه واللهو البريء، وقد تندرج ضمن هذه الرغبات ممارسة العلاج والطقوس الدينية.

الفرع الثاني: أصول السياحة العائلية:

أولاً: أصولها من القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدعونا وتحثنا على السياحة والسير في الأرض، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾^(١). وقال عز وجل: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾^(٢). قال القاسمي: «هم السائرون الذاهبون في الديار لأجل الوقوف على الآثار، توصلاً للعظة بها والاعتبار، وغيرها من الفوائد»^(٣).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٤). «والمقصود منه؛ ذكر ما يتكامل به ذلك من العظة والاعتبار؛ فالرؤية لها حظ عظيم في التدبر والاعتبار، وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل أيضاً، ولكن لا يكمل هذان

(١) سورة: الأنعام [١١].

(٢) سورة: النمل [٦٩].

(٣) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)

تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٨هـ) (٥/٥١٢).

(٤) سورة: الحج [٤٦].

الأمران إلا بتدبر القلب؛ من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر، لم ينتفع البتة ولو تفكر فيما سمع لانتفع به...»^(١).

ثانياً: أصولها من السنة المباركة:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ...»^(٢).

وقد ذكر ابن القيم «أنه ﷺ كان يسرب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها، وكان إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه.. وكان من لطفه وحُسن خُلُقِه مع أهله أنه يمكنها من اللعب ويربها الحبشة وهم يلعبون في مسجده وهي متكئة على منكبيه تنظر، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين...»^(٣).

وفي هذه الآثار دليل على أن الرسول ﷺ كان يصطحب آل بيته في أسفاره، وأن هذه الأسفار لم تكن تخلو من اللهو البريء، والترفيه المباح، كما أنها دليل على عظمة هذا الدين.

وأنه دين واقعي لا يخلق في أجواء الخيال المثالية الواهمة، بل يقف مع الإنسان على أرض من الحقيقة والواقع، ولا يعامل الناس على أنهم ملائكة أولي أجنحة مشى

(١) مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣ (١٤٢٠هـ) (٢٣٣/٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: القرعة في المشكلات (٣/١٨٢) حديث (٢٦٨٨).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) (١/١٤٦).

وثلاث ورباع، بل يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق؛ فلم يفرض على الناس أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل صمتهم فكراً، وكل سماعهم قرآناً، وكل فراغهم في المساجد؛ وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون كما خلقهم يأكلون ويشربون.

المطلب الثاني: أهمية السياحة العائلية، وأثرها في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

يقول الدكتور إبراهيم الفقي: «إن السعادة في بيتك فلا تبحث عنها في حديقة الآخرين..»^(١). ثم يبين: «أن للسعادة عشرة أسباب ويذكر من بينها ما يُعرف بـ (الاتزان في الأركان السبعة) وهي الروحي، الصحي، الشخصي، العائلي، المهني، الاجتماعي، المادي..»^(٢).

ثم يؤكد على أهمية الاتزان في الركن العائلي من بينها قائلاً: «إن النجاح في هذا الجانب يعد مطلباً ضرورياً جداً؛ ذلك أن الجانب العائلي هو الأرضية التي يُبنى عليها المجتمع ككل؛ انطلاقاً من علاقتي مع أسرتي الصغيرة (زوجتي وأولادي) مروراً بعلاقتي مع أسرتي وعائلي الكبيرة (الوالدين وإخوتي وأعمامي وأخوالي..). فالركن العائلي في حياة كل شخص هو الأرضية التي سيبني عليها ذلك الشخص حياته وسعادته.. فالأسرة أو العائلة تمثل في أغلب الأحيان وقود النجاح..»^(٣).

(١) حياة بلا توتر، د: إبراهيم الفقي، إبداع للإعلام والنشر، مصر، ط١ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) ص ١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٩.

«ولهذا كان انتظام أمور العائلات في كل أمة؛ هو أساس حضارتها وانتظام جامعتها، وكان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقاصد الشرائع البشرية كلها، وكان ذلك من أول ما عني به الإنسان المدني في إقامة أصول مدنيته بإلهام إلهي...»^(١).

«فالأسرة أو العائلة ما هي إلا لبنة من لبنات الأمة، التي تتكون من مجموعة أسر وعائلات، يرتبط بعضها ببعض، ومن الطبيعي أن البناء المكون من لبنات، يأخذ ما لهذه اللبنة من قوة أو ضعف، وسعادة أو شقاء؛ فكلمة كانت اللبنة قوية، ذات تماسك ومناعة؛ كانت الأمة المكونة منها كذلك قوية ذات تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنة ذات ضعف وانحلال، كانت الأمة في مجموعها ذات ضعف وانحلال، وكلما كانت الأسرة والعائلات سعيدة مسرورة، هادئة مستقرة؛ كلما كان المجتمع في مجموعه كذلك...»^(٢).

ومن هنا تبرز أهمية السياحة والسير في الأرض، والانتقال إلى الأماكن الجميلة، ورؤية المناظر الطيبة، في رحاب أفراد العائلة، وإتاحة الفرصة لهم لتلبية نداء الفطرة من الترفيه والترويح والتنزه، وتمكينهم من اللهو البريء، والمرح المباح، والتفكه معهم بالنوادير والطرف، مما يشرح الصدر، ويخفف حدة التوتر، ويريح القلوب، ويبعث فيها السعادة والسرور، لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الحياة بجد واجتهاد.

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) دار السلام، القاهرة، ط ٥ (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م) ص ١٧٣.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ: محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط ١٨ (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، ص ١٤١.

«ولا شك أن في الضحك والمرح، ما يسكن النفس، ويخفف حدة القلق والتوتر العصبي، لدى الإنسان، ويفرج بعض الهموم والكروب، كما أن المرح يُوجد لدى صاحبه نوعاً من التفتح والصفاء الذهني، والقدرة على مواجهة صعوبات الحياة...»^(١).



(١) تأسيس عقلية الطفل، د: عبد الكريم بكار، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢ (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)، ص ٨٦.

المبحث الثاني

مقاصد السياحة العائلية في ضوء الثقافة الإسلامية

تتعدد الأهداف والمقاصد، وتتنوع الحكم والمنافع والفوائد المرجوة من السياحة والسير في الأرض، لاسيما في رحاب الأسرة، وبين أفراد العائلة؛ فمنها الاجتماعي، والنفسي، والتنموي، والتشريعي.. وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: مقاصد اجتماعية:

أ) تقوية روابط المودة، وأواصر الأخوة بين أفراد العائلة:

فلا شك أن في سفر العائلة، وانتقال أفرادها، من مكان إقامتهم المعتاد والمألوف إلى مكان جديد، والاستمتاع بالمناظر الطيبة، وما يترتب على ذلك من صفاء الذهن، وهدوء النفس، وسعة الصدر، وتجديد الحيوية والنشاط.. ما يتيح الفرصة أمام الزوجين من ناحية وأمام الأبناء من ناحية أخرى، للحوار الهادئ، والنقاش الهادف، حول مشكلات العائلة، وإزالة ما قد ينشأ بين أفرادها من توتر وخلاف بسبب ضغوطات الحياة اليومية.

ومن الجدير بالذكر: «أن الحوار المتبادل بين أفراد العائلة؛ يعد بمثابة الحبل السري الذي تتغذى منه السعادة الأسرية، وهو مهم - ليس فقط لحل المشكلات - بل لمنع وقوعها، فالمرأة مثلاً تكرر الركود في الحياة الزوجية، وتريدها مواراةً بالحركة والتواصل، والعطاء والتحاور؛ فإذا أحسست بأن شيئاً من ذلك دون المستوى

المطلوب، فإنها على استعداد لافتعال مشكلة من نوع ما؛ حتى تعيد الحيوية للحياة المشتركة»^(١).

ب) بناء وتوسيع شبكة العلاقات الاجتماعية:

تظهر أهمية العلاقات الاجتماعية، وضرورة تنميتها لدى أفراد العائلة - لاسيما الأطفال منهم - بالنظر والتأمل في طبيعة النفس البشرية: «فمن طبيعة النفس البشرية أن تخالط الناس، وتتعرف عليهم، وتتخذ من بينهم ثلة تقترب منهم، وتعيش معهم حياة الأخوة والمحبة»^(٢).

بل إن من طبيعة النفس البشرية الشعور بالحاجة إلى الآخرين؛ الأمر الذي يؤكد ضرورة وجود علاقات قوية بين الفرد وأعضاء المجتمع الآخرين، ولا شك أن في السياحة العائلية فرصة كبيرة لفتح المجال أمام الأبناء للاختلاط والتعرف على غيرهم، وتكوين الصداقات، وبناء العلاقات الاجتماعية، لاسيما وأن ذلك تحت رعاية الأسرة وأمام أعين بقية أفراد العائلة.

ج) تقوية النسيج الاجتماعي للمجتمع المسلم:

وهذا المقصد ينبني على المقصد السابق، بل ويُعدُّ نتيجةً حتميةً له، وقد سبقت الإشارة إلى: «أن الأسرة أو العائلة ما هي إلا لبنة من لبنات المجتمع؛ الذي يتكون من مجموعة من الأسر والعائلات، التي يرتبط بعضها ببعض، ومن الطبيعي أن البناء

(١) التواصل الأسري، د: عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص ٧٧.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، دار الوفاء، المنصورة، ط ١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ص ١٤٩.

المكون من لبنات، يأخذ ما لهذه اللبنة من قوة أو ضعف؛ فكلما كانت اللبنة قوية، ذات تماسك ومناعة؛ كانت الأمة المكونة منها كذلك قوية ذات تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنة ذات ضعف وانحلال، كانت الأمة كذلك ذات ضعف وانحلال، ومن هنا كانت العناية بتقوية الروابط الأسرية من أهم ما يجب على المصلحين رعايته وأخذ الطريق إليه..»^(١).

ثانياً: مقاصد نفسية:

- إدخال السعادة والسرور على أفراد العائلة:

حيث تتاح في السياحة العائلية الفرصة أمام أفراد الأسرة للبهو والمرح، والمزاح والتفكُّه، وهي كلها أمور محمودة طالما أنها تخلو من المخالفات والمحاذير الشرعية. «وقد أثبتت الدراسات والأبحاث المختلفة أن الإنسان الضاحك المسرور أفضل صحة وشباباً وحيوية من الذي يعيش حياته عابساً مُتَجِّهاً، فالمزاح والفكاهة لهما تأثير فسيولوجي مهم ومؤثر في رفع معنويات الفرد والمجتمع وزيادة القدرة على امتصاص الصدمات العصبية، ومواجهة الأزمات النفسية..»^(٢).

«.. كما أوضحت إحدى الدراسات أن هرمون (الدوبامين) الذي يفرزه الجسم عند الضحك أو الشعور بالسعادة والسرور هو نفسه الذي يحفظ أجزاء وخلايا المخ من التلف، ويجعله نشطاً وكلما زاد أفراد الجسم من هذا الهرمون كان النشاط الذهني للإنسان أفضل..»^(٣).

(١) الإسلام عقيدة وشرعة، للشيخ: محمود، شلتوت، ص ١٤١.

(٢) الحياة الأسرية، د: عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م) ص ١٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣.

- إيناس أفراد العائلة، وتسليتهم باللهو البريء:

ففي السياحة العائلية وسيلة لإيناس الزوجة والأولاد، وتسليتهم، وإتاحة الفرصة لهم للتمتع باللهو البريء؛ وإدخال السعادة والسرور على قلوبهم ونفوسهم، وانسراح صدورهم، بمشاهدة الطبيعة والتمتع بالهواء الطلق والمناظر الجميلة؛ ولا شك أن في السياحة والتنزه من المتعة ما يبعث النشاط في كل فرد من أفراد الأسرة للقيام بمهامه، وفي السياحة والتنزه وسيلة للتخلص من الشعور بالسآمة والملل، وهذا أمر يقره كل عقل؛ لأنه من اللوازم للبشر، والإسلام لا يعارضه بل يقره وينظمه..»^(١).

ثالثاً: مقاصد تعليمية وتربوية:

فأثناء السياحة العائلية تكون الفرصة سانحة أمام الوالدين لتعليم وتربية الأطفال وإكسابهم العديد من المهارات العملية، والسلوكيات التربوية؛ ولعل من بين أهم تلك المهارات التي يكتسبها الأبناء أثناء السياحة العائلية:

- الاستغلال الأمثل لأوقات الفراغ:

ذلك أن وقت الفراغ نعمة من نعم الله على عباده، لكنها من النعم التي لا يحسن الكثير منا استخدامها؛ في العمل النافع أو توظيفها فيما يعود بالخير على النفس والأهل والمجتمع بأثره؛ وقد أخبر المصطفى ﷺ عن غفلة كثير من الناس عن هذه النعمة، وسوء استخدامها؛ فيظلم بذلك نفسه وأهله، ومن حوله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، للشيخ: عطية صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (٣/١٢٧، ١٢٠).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١). وفي السياحة العائلية وسيلة لحسن استغلال أوقات الفراغ بما يدخل السعادة والسرور على أفراد العائلة، ويذهب عنهم الهم والحزن، والكآبة والملل.

- اكتساب الاطفال للعديد من الخبرات الحياتية:

«ففي السياحة العائلية تتاح الفرصة أمام الأطفال لممارسة اللعب الذي يكسب الطفل الكثير من الخبرات الحياتية؛ التي تُحسِّن عملية (المحاكمة العقلية) لدى الطفل؛ فالطفل الذي يشارك في لعبة جماعية؛ يتعلم احترام القواعد المشتركة للعبة، كما يتعلم كيف يمتص أخطاء الآخرين بروح رياضية، ويتعلم فن التكييف، إلى جانب محاولة التعبير عن السلوك الشخصي وفق منطق مقبول، ومن هنا ندرك الحكمة فيما أُثر عنه ﷺ من مازحة الأطفال وملاعبتهم...»^(٢).

- تعريف الطفل ببعض جوانب الثقافة العلمية والتاريخية:

ونقصد بالثقافة العلمية للطفل: «تعريفه بهذا التطور العلمي المذهل في مجال العلوم، ولا يخفى ما يتسم به هذا النوع من الثقافة من جفاف في المعلومات قد تكون صعبة الفهم على الأطفال؛ لا سيما في هذه المرحلة المبكرة من حياتهم، وهنا يأتي دور العائلة في ضرورة اصطحاب الأطفال في رحلات وجولات إلى المتاحف العلمية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة (٨٨ / ٨) حديث (٦٤١٢).

(٢) تأسيس عقلية الطفل، د: عبد الكريم بكار، ص ٨٦.

والتاريخية، ومراكز الاستكشاف العلمي؛ تلك التي يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في غرس بذور الثقافة العلمية في نفس وعقل الطفل، وذلك بما تمتلك من تقنيات حديثة، ومُجسّمات، وأساليب جذب حسية وبصرية..»^(١).

رابعاً: مقاصد تشريعية:

- التطبيق العملي لبعض الأحكام الفقهية:

«ذلك أن كثيراً من الموضوعات والأحكام الفقهية التي يتعلمها أبناؤنا في العبادات والمعاملات؛ تحتاج إلى الممارسة والتطبيق العملي؛ حتى تستقر في العقول، وترسخ في الأذهان.. ومن الجدير بالذكر أن التطبيق العملي للأحكام الفقهية يساعد الأبناء على التفكير والإبداع، كما أنه يدفعهم إلى فهم وإدراك المعلومة بشكل تام، دون الاكتفاء بالناحية النظرية فقط، ثم نسيانها..»^(٢).

ولا شك أن في السياحة العائلية فرصة كبيرة أمام الأطفال لممارسة بشكل عملي أحكام قصر الصلاة - مثلاً - ويطبّقوا بشكل فعلي بعض عمليات البيع والشراء، وذلك من خلال ما يتعرضون له من مواقف عملية أثناء تلك الرحلات السياحية، حيث يربط الطفل ما يتعلمه في المدرسة من أحكام فقهية بما يدور في مجتمعه من معاملات.

(١) الطفل والثقافة العلمية، خلف أحمد أبو زيد، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد (٦٢٤) (شعبان ١٤٣٨هـ - مايو ٢٠١٧م) ص ٦٨.

(٢) مهارات التربية الإسلامية، د: عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، سلسلة كتاب: الأمة، عدد (١٠٦) (ربيع أول ١٤٢٦هـ - مايو ٢٠٠٥م) ص ١٦١.

- تدريب الأطفال على بعض الأذكار، وتعويدهم على الأدعية النبوية:

ففي الأسفار والرحلات تُتاح الفرصة أمام الآباء والأمهات لتدريب الأطفال على بعض الأدعية والأذكار المأثورة عن الحبيب ﷺ كدعاء ركوب الدابة سواء كانت سيارة أو قطار أو طائرة.. في بداية الرحلة وعند العودة، ودعاء دخول السوق عند الذهاب إلى المتاجر، وأماكن التسوق.. ولا يخفى ما في هذه الأدعية والأذكار من حفظ ووقاية لصاحبها، فضلاً عما فيها من عظيم الثواب، وجزيل الأجر، فقد قال الحق عز وجل ﴿ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

- التعرف على بعض مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية:

كرخص السفر من الإفطار، وقصر الصلاة الرباعية، وجمع التقديم وجمع التأخير، وغيرها من الرخص الشرعية التي تبرز بوضوح سماحة ويسر الشريعة الإسلامية.

خامساً: مقاصد عقائدية:

- العظة والاعتبار برؤية آثار الأمم السابقة:

إن من يتتبع آيات السياحة، والسير في الأرض، الواردة في القرآن الكريم؛ يري بوضوح لا لبس فيه أن من أهم مقاصد السياحة وفوائدها؛ هو أخذ العظة والعبرة، من رؤية آثار الأمم السابقة، ومعرفة أخبارهم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ

(١) سورة: الأحزاب [٣٥].

وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُظِلِّمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿٣﴾.

- التدبر والتفكر في عجائب صنع الله:

ذلك أن السير في الأرض والتأمل في عجائب مخلوقات الله؛ حيث تتعدد
الألوان، وتختلف الأشكال؛ فتكون الروعة والبهاء والجمال يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ
وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٤﴾.

«هذه الخشية للحق عز وجل إنما تتبع من استشعار قدرته عز وجل وإرادته
الواضحة والبادية في هذا الصنع البديع، والخلق العجيب، ذلك الخلق الذي يعد
اختلافه وتنوعه: هو سر بهائه وجماله، حيث يبدو للعين أكثر من لون، وأكثر من
طعم، وأكثر من رائحة، وذلك أمر ضروري حتى لا تُصاب بعمي الألوان فلا نبصر

(١) سورة: الروم [٩].

(٢) سورة: غافر [٨٢].

(٣) سورة: محمد [١٠].

(٤) سورة: فاطر [٢٧-٢٨].

إلا لونا واحداً...»^(١). قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

- إبراز ساحة الإسلام وتجاوبه مع الفطرة الإنسانية في وسطية واعتدال:

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: وَكَانَ يَوْمَ عِيدِ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ^(٣). وَالْحِرَابِ، فِيمَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَشْتَهَيْنَ تَنْظُرِينَ»، فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَيَقُولُ: «دُونَكُمْ بَنِي أَرْفَدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكَ»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي»^(٤).

وفي الحديث دليل على جوار إمتاع الزوجة، وغيرها من أفراد الأسرة بمشاهدة المسرحيات والألعاب البريئة، وإذا كان ﷺ قد أجاز هذا الأمر في مسجده النبوي الشريف، فهذا دليل على جوازه في أماكن السياحة والترفيه والترويح، المعدة أصلاً لهذا الغرض.

وقد قال الحافظ ابن حجر: «وروى السراج من طريق أبي الزناد عن عروة عن عائشة أنه ﷺ قال يومئذ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني بعثت بحنيفة

(١) من أجل حوار لا يفسد للود قضية، د: محمود محمد عمارة، بحث منشور ضمن أعداد سلسلة (البحوث الإسلامية) والتي يصدرها الأزهر الشريف، السنة (٣٨) الكتاب (٩) ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ص ٣.

(٢) سورة: الحج [٤٦].

(٣) الدَّرَقُ: «ضَرْبٌ مِنَ التَّرْسَةِ، الْوَاحِدَةُ دَرَقَةٌ تُتَّخَذُ مِنَ الْجُلُودِ. غَيْرُهُ: الدَّرَقَةُ الحَجْفَةُ وَهِيَ تُرْسٌ مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ، وَالْجَمْعُ دَرَقٌ وَأَدْرَاقٌ وَدِرَاقٌ». [لسان العرب، لابن منظور (٩٥/١٠)].

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب الدَّرَقِ، (٣٩/٤) حديث (٢٩٠٦).

سمحة»^(١). وفي ذلك ما فيه من تقرير لسماحة الإسلام وتجاوبه مع الفطرة السليمة في وسطية واعتدال.

- حسن الاقتداء والتأسي بصفاته وخصاله ﷺ:

وفي ذلك استجابة لنداء الحق عزَّ وجلَّ بضرورة الاقتداء به ﷺ والتأسي بصفاته وخصاله، قال تعالى ﴿... لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾^(٢). أسوة في العبادات، أسوة في المعاملات، أسوة في الأخلاق، أسوة في معاملة الأبناء والبنات، أسوة في حسن معاشره الزوجات.. وفي ذلك ما فيه من تحقيق صفة الخيرية والأفضلية؛ فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٣).

والخيرية إنما تكون بحسن عشرة الرجل لزوجته وشريكة حياته: ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٤). وحسن صحبته أفراد عائلته، وأهل بيته.

سادساً: مقاصد ومنافع اقتصادية:

- امتصاص البطالة وتوفير فرص عمل جديدة للشباب:

«حيث تُعد السياحة بأنماطها المختلفة؛ الثقافي، والترفيهي، والعلاجي، والعائلي.. أحد أكثر القطاعات أهمية وديناميكية عبر العالم؛ حتى أن الكثير من تلك الدول

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ) اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. د. ت (٢/٤٤٤).

(٢) سورة: الأحزاب [٢١].

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: النكاح، باب: حسن معاشره النساء (١/٦٣٦) حديث (١٩٧٧) وقال الألباني: «صحيح».

(٤) سورة: النساء [١٩].

جعلت من القطاع السياحي؛ حجر أساس لاقتصادها الوطني، وأصبح ناتجها الداخلي العام يرتكز بشكل كبير على واردات ودخول شبكات السياحة..»^(١).

ولا غرابة في ذلك: «فقد أصبحت السياحة أحد متطلبات الحضارة الحديثة؛ وذلك لما تفرزه من آثار إيجابية، ودور متميز في جلب مداخيل كبيرة من العملة الصعبة، وتوفير فرص العمل، وامتصاص البطالة؛ من خلال توظيف العمالة الوطنية؛ بل إنها تساهم بشكل كبير في ترقية وتطوير مناطق ومدن بأكملها؛ وفي ذلك ما فيه من تحقيق حالة من الانتعاش الاقتصادي لتلك الدول، وتنشيط الحركة التجارية بين البلدان؛ إذ ليس من المعقول أن تكون هناك صناعة سياحة دون وجود خدمات سياحية متقدمة ترضي وتشبع حاجات ورغبات وأذواق السياح..»^(٢).

ولعل نظرة في الأرقام والإحصاءات كفيلة ببيان ذلك:

- فقد وصل عدد السياح حول العالم عام ٢٠١٤م إلى ١,١٣٨ مليار سائح.
- ويتوقع أن يصل عدد السياح في عام ٢٠٢٠ حول العالم إلى ١,٦ مليار سائح.
- كما وصلت نسبة قطاع السياحة والسفر عام (٢٠١٤) إلى (٨,٩٪) من قيمة الاقتصاد العالمي، أي ما قيمته (٦,٧) تريليون دولار من إجمالي الناتج العالمي.
- كما ارتفع عدد العاملين في القطاع السياحي حول العالم عام (٢٠١٤م) ليصل إلى ١,٢ مليون عامل.

(١) واقع السياحة في الجزائر وآفاق تطورها، هدير عبد القادر، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر (٢٠٠٦م) ص ١٩.

(٢) سلوكيات السياحة الأسرية، لميعة عبد العزيز الجاسر، بحث منشور ضمن مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية عدد (٢٠١٧/١) مجلد (٤٤)، ص ١٢٧. (بتصرف).

- في حين ارتفع عدد الوظائف ذات العلاقة غير مباشرة بالقطاع السياحي ليلغ ٦,١ مليون وظيفة^(١).

- التسوق وشراء مستلزمات أفراد العائلة:

ولا تقتصر السياحة العائلية على مجرد الترفيه والتسلية، بل إنها تمثل فرصة جيدة للتسوق وشراء مستلزمات العائلة؛ حيث تنتشر في المناطق السياحية؛ الأسواق العالمية، ومهرجانات السياحة والتسوق، التي تمتلئ بالسلع والمنتجات اللازمة لكل أفراد العائلة، ولعل من بين أشهر تلك المهرجانات: (مهرجان دبي للتسوق) والذي ينظم في كل عام، ويستمر لمدة شهر تقريباً فيجذب آلاف الأسر والعائلات، وملايين المتسوقين مقيمين كانوا أم زوّاراً فيستفيدون من العروض والتخفيضات على السلع والمنتجات، ويحصلون على المقتنيات ويستفيدون بالفعاليات والخدمات التي يقدمها هذا المهرجان الهائل...»^(٢).



(١) السياحة حول العالم بالأرقام، كمال قدورة، تقرير إخباري منشور على الموقع الرسمي لجريدة

(الشرق الأوسط) بتاريخ (٢٥/١١/٢٠١٥م) <https://aawsat.com>

(٢) الموقع الإلكتروني: <https://www.visitdubai.com>

الخاتمة

وتتضمن حوصلة لأهم نتائج البحث، والتوصيات المقترحة:

أولاً: نتائج البحث:

- تتنوع حكم ومقاصد، ومنافع وفوائد السياحة العائلية؛ حيث إنها لا تقف عند مجرد التنزه والترفيه، واللهو البريء؛ بل تمتد وتتسع لتشمل المقاصد: النفسية، والتربوية، والاجتماعية، والتشريعية، والاقتصادية.

- في السياحة العائلية تقرير لسماحة الإسلام، وتأكيد على تجاوبه مع الفطرة السليمة في وسطية واعتدال.

- السياحة بوجه عام، والعائلية منها بوجه خاص يمكنها أن تشكل فرصة استثمارية كبيرة.

ثانياً: التوصيات المقترحة:

- العمل على نشر ثقافة السياحة العائلية، من خلال عقد الندوات والمؤتمرات العلمية الخاصة بهذا الشأن، لبيان سماتها وخصائصها، وأهدافها، وضوابطها، وأثرها في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

- العمل على تشجيع وتنشيط قطاع السياحة العائلية، من خلال تقديم التسهيلات المصرفية، والتخفيضات المناسبة لسياحة ورحلات العائلات.

- التشجيع على الاستثمار في قطاع السياحة العائلية، وذلك لما تحتوي عليه من فوائد كبيرة، ومنافع متنوعة للفرد والمجتمع.



قائمة المصنّاور

- ١- الآثار التنموية للسياحة.. دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس والمغرب، للباحثة: عشي صليحة، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الاقتصاد وعلوم التسيير، جامعة باتنة، الجزائر (٢٠٠٤-٢٠٠٥م).
- ٢- الاستشارات السياحية في الأردن، ريان درويش، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بمعهد العلوم الاقتصادية، بالجزائر، (١٩٩٧م).
- ٣- الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١ (٢٠٠٠م).
- ٤- الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ: محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط ١٨ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ٥- تأسيس عقلية الطفل، د: عبد الكريم بكار، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).
- ٦- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، ط (١٩٨٤هـ).
- ٧- التواصل الأسري، د: عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ٨- الحياة الأسرية، د: عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط ١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٩- حياة بلا توتر، دإبراهيم الفقي، إبداع للإعلام والنشر، مصر، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

- ١٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧ (١٤١٥هـ).
- ١١- سلوكيات السياحة الأسرية، لميعة عبد العزيز الجاسر، بحث منشور ضمن مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية عدد (١/٢٠١٧) مجلد (٤٤).
- ١٢- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ط. د. ت.
- ١٣- السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ١٤- السياحة حول العالم بالأرقام، كمال قدورة، الموقع الرسمي لجريدة (الشرق الأوسط) بتاريخ (٢٥/١١/٢٠١٥م) <https://aawsat.com>
- ١٥- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١ (١٤٢٢هـ).
- ١٦- الطفل والثقافة العلمية، خلف أحمد أبو زيد، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد (٦٢٤) (شعبان ١٤٣٨هـ - مايو ٢٠١٧م).
- ١٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ) اعتنى به: محمد فؤاد

عبد الباقي، ط.د.ت.

١٨- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط ٣ (١٤١٤هـ).

١٩- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٨هـ)

٢٠- المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

٢١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة، القاهرة، ط.د.ت.

٢٢- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣ (١٤٢٠هـ).

٢٣- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) دار السلام، القاهرة، ط ٥ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

٢٤- من أجل حوار لا يفسد للود قضية، د: محمود محمد عمارة، بحث منشور ضمن أعداد سلسلة (البحوث الإسلامية) والتي يصدرها الأزهر الشريف، السنة (٣٨) الكتاب (٩) ط ١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

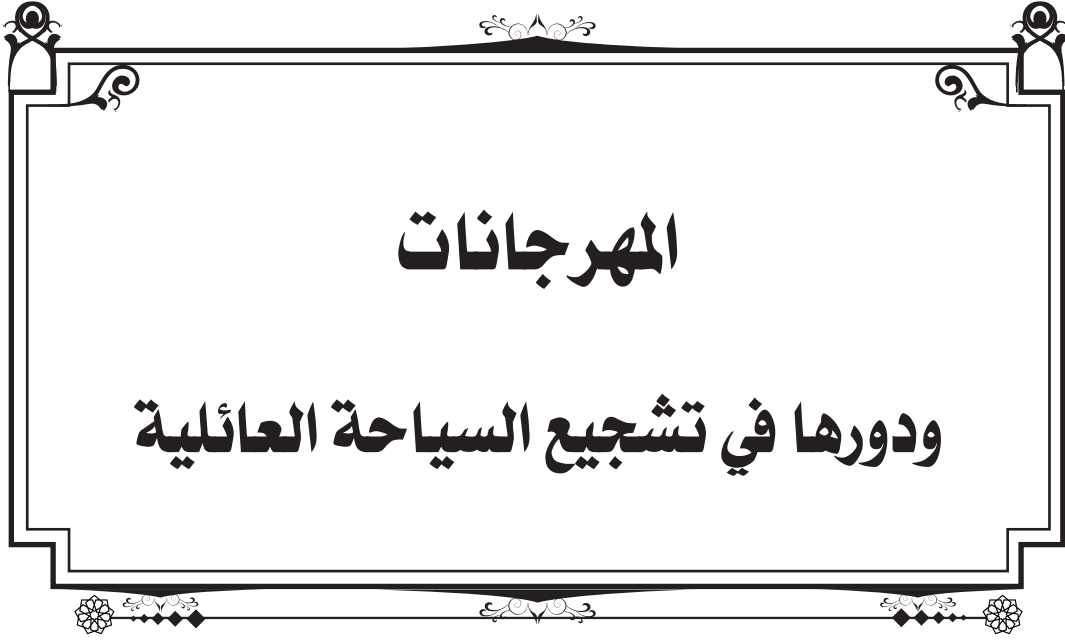
٢٥- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، دار الوفاء، المنصورة، ط ١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- ٢٦- مهارات التربية الإسلامية، د: عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، سلسلة كتاب: الأمة، عدد (١٠٦) (ربيع أول ١٤٢٦هـ - مايو ٢٠٠٥م).
- ٢٧- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، للشيخ: عطية صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ٢٨- الموقع الإلكتروني: <https://www.visitdubai.com>
- ٢٩- واقع السياحة في الجزائر وآفاق تطورها، هدير عبد القادر، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر (٢٠٠٦م).





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



إعداد

الأستاذ الدكتور / وليد هويل عوجان

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



تعد صناعة السياحة من أهم النشاطات الاقتصادية في العالم المعاصر، كما تعد أحد مصادر الدخل ومحركا قويا للأبعاد الاقتصادية المرتبطة بالسياحة، وتمثل أحد روافد زيادة النمو الاقتصادي وتوفير فرص العمل وحل مشكلة البطالة التي تعاني منها غالبية بلدان العالم. وانطلاق من ذلك تأتي ضرورة قيام البلدان السياحية بتوفير ودعم مقومات صناعة السياحة والأنشطة المرتبطة بها، حتى يتم الاستفادة من العوائد المالية الناتجة عن هذه الصناعة.

تسعى الدراسة إلى معرفة تأثير المهرجانات على السياحة والسياحة العائلية بالخصوص، والتعرف على دور المهرجانات في تحسين كفاءة التسيق السياحي ومدى الإدراك بأن السياحة أصبحت صناعة وتسويق وترويج وإقامة استثمارات كبيرة تستقطب رؤوس الأموال لتوظيفها في القطاع السياحي، ولم تعد مجرد مظاهر احتفالية وعروض ترفيهية وتفعيل البرامج السياحية والمهرجانات التسويقية، لاستقطاب المزيد من العائلات السياحية.

وتحقيقاً لأهداف الدراسة تم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث رئيسية، حيث يتناول المبحث الأول مفاهيم أولية حول السياحة والمبحث الثاني المهرجانات

السياحية والتسويق السياحي والمبحث الثالث دور سياحة المهرجانات
في تشجيع السياحة العائلية والمبحث الرابع السياحة العائلية وأثرها في
صناعة السياحة.



المُقَدِّمَة

تُعتبر صناعة السياحة إحدى الظواهر الهامة في القرن العشرين، فهي صناعة تصديرية، وبالتالي قطاعاً اقتصادياً هاماً في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا سمي القرن العشرين بما أحدثه من ابتكارات بـ «قرن السياحة»، أما القرن الحادي والعشرين فهو «قرن صناعة السياحة»، لأن صناعة السياحة ستكون أكبر وأوسع صناعة.

وتحتل سياحة المهرجانات والمناسبات والمعارض مكانة خاصة في الأجندة الاجتماعية للكثير من السواح الأفراد والعائلات، للحضور والمشاركة في مختلف الفعاليات والأنشطة الرياضية والثقافية والتسويقية خلال فترة زمنية محددة. وتُعدُّ السياحة العائلية من أفضل النشاطات الترفيهية والتسويقية، بحيث يحاول فيها رب الأسرة تغيير روتين أفراد العائلة، ولكن تحتاج مثل هذه الرحلات إلى الدّراسة والبحث للتوصل إلى مناطق سياحية جميلة ومناسبة لأفراد العائلة.

ونتيجة للمنافسة الشديدة بين الدول في المجال السياحي أصبحت الفعاليات السياحية أحد الأنشطة السياحية الكبرى الحديثة لجذب السياح، وبالأخص السياحة العائلية لما تحتويه من برامج ترفيهية وثقافية وتسويقية جاذبة تقام خلال فترة محددة من الزمن.

وأصبحت السياحة في العصر الحديث ذات طابع دولي، ومن دعائم الاقتصاد القومي ومصدراً رئيسياً من مصادر الدخل وعنصراً هاماً من عناصر دعم موازنة

الدولة، ومأموناً من المخاطر، مما أدى إلى زيادة تنقل السياحة العائلية المتواصل بين أنحاء المعمورة، حيث تدفع هذه السياحة إلى التأمل، والتفكير في مكونات الكون، واستشعار عظمة الخالق، نتيجة زيارة الأماكن الغريبة، والمنتزهات، والحدائق، ومن أكثر الأمور المحببة في هذه الرحلات العائلية هي الأمور الترفيهية، والثقافية والإفادة من قطاع المعارض والمهرجانات.

إن سياحة المهرجانات وسياحة المعارض الثقافية والسياحة الرياضية تحقق قفزة نوعية في القطاع السياحي، وتلعب دوراً حيوياً في إعادة الحياة للحركة التجارية والاقتصادية، حيث تعدّ من أبرز الأنماط السياحية وأنجحها في جذب السياح والعائلات السياحية، وتساهم في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والمساهمة في حركة الازدهار العمراني بالدولة.

وتعمل هذه المهرجانات على إحداث تغيير جذري في واقع السياحة حيث الرواج الكبير والزيادة في أعداد السائحين والزوار الذين قدموا ليجدوا كل ما يلهمون به، وبالتالي انتعاش الحركة الاقتصادية والتجارية. وأصبحت سياحة المهرجانات في الوقت الراهن نافذة البلد الذي يقيم المهرجان التي يطل عبرها على الدول الأخرى، وعاملاً مهماً من عوامل التنشيط السياحي في ذلك البلد.

إن سياحة المهرجانات تؤدي دوراً مهماً في تكوين الواجهات السياحية، من خلال قدرتها على زيادة حجم الحركة السياحية على العديد من المواقع السياحية، وعلى المنشآت السياحية فيها، وذلك من خلال تجربة السياح القادمين للمهرجان أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة، كما أنها تساهم في توعية المجتمعات وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن السياحة.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التالية:

- ١- معرفة تأثير المهرجانات والفعاليات على السياحة والسياحة العائلية بالخصوص.
- ٢- التعرف على دور المهرجانات في تحسين كفاءة التسيق السياحي.
- ٣- مدى الإدراك بأن السياحة أصبحت صناعة وتسويق وترويج وإقامة استثمارات كبيرة تستقطب رؤوس الأموال لتوظيفها في القطاع السياحي، ولم تعد مجرد مظاهر احتفالية وعروض ترفيهية.
- ٤- تفعيل البرامج السياحية والمهرجانات التسويقية، لاستقطاب المزيد من العائلات السياحية.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي يعالجه حيث الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به المهرجانات والمعارض في تنشيط السياحة وبالأخص السياحة العائلية. حيث تعد هذه المهرجانات إحدى القنوات المهمة لزيادة الوعي السياحي وجذب السياحة العائلية.

مشكلة الدراسة:

تحقيقاً لأهداف الدراسة، تم تحديد مشكلة الدراسة من خلال الاسئلة التالية:

- أ- ما أهمية السياحة على العموم والسياحة العائلية على وجه الخصوص؟

- ب- ما مفهوم المهرجان والمعرض من وجهة نظر السياحة العائلية؟
- ج- ما أهمية المهرجانات والمعارض كبرامج تسويقية وفعاليات وأنشطة في الترويج للسياحة العائلية؟
- د- ما مدى مساهمة المهرجانات في التنمية السياحية العائلية
- هـ- ما العلاقة بين المهرجانات والسياحة على العموم والسياحة العائلية على الخصوص؟

و: ما دور المهرجانات والمعرض في تحسين كفاءة السياحة والسياحة العائلية؟

المنهج المتبع في الدراسة:

في سبيل اختبار مشكلة البحث وتحقيق أهدافه اتبع الباحث في دراسته هذه المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة المدروسة وصفاً كمياً وكيفياً ويعرض المفاهيم والأسس العامة لموضوع البحث من خلال جمع المعلومات وتصنيفها، ومن ثم تحليلها وكشف العلاقة بين أبعادها المختلفة من أجل تفسيرها تفسيراً كافياً والوصول إلى استنتاجات عامة تسهم في إبراز جوانب التأثير الاقتصادي للسياحة العائلية، وأهمية المهرجانات السياحية ودورها في تشجيع وجذب السياحة العائلية.

محتويات الدراسة:

المقدمة وتتضمن: أهداف الدراسة وأهمية الدراسة ومشكلة الدراسة والمنهج المتبع في الدراسة ومحتويات الدراسة.

المبحث الأول: مفاهيم أولية حول السياحة، ويشمل المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف السياحة.

المطلب الثاني: مميزات السياحة في العصر الحديث.

المطلب الثالث: مقومات صناعة السياحة كالمقومات الطبيعية والتاريخية

والحضارية والمقومات الاجتماعية والدينية.

المبحث الثاني: المهرجانات السياحية والتسويق السياحي، ويشمل المطالب التالية:

المطلب الأول: الترويج والتسويق السياحي.

المطلب الثاني: المزيج التسويقي السياحي.

المطلب الثالث: دور المهرجانات في التسويق السياحي.

المبحث الثالث: دور سياحة المهرجانات في تشجيع السياحة العائلية، ويشمل

المطالب التالية:

المطلب الأول: أهمية صناعة المهرجانات السياحية.

المطلب الثاني: سياحة المهرجانات والنشاط الاقتصادي.

المبحث الرابع: السياحة العائلية وأثرها في صناعة السياحة، ويشمل

المطالب التالية:

المطلب الأول: السياحة العائلية والارتقاء بالمستوى الأسري والاجتماعي.

المطلب الثاني: عوامل نمو ونجاح قطاع السياحة العائلية.

المطلب الثالث: دور السياحة العائلية في تحقيق التنمية الاقتصادية.

المطلب الرابع: آثار وأهمية السياحة العائلية في التنمية الاقتصادية.

المطلب الخامس: المبادرات التطويرية: لقطاع السياحة العائلية.

وتنتهي الدراسة بالنتائج والتوصيات، حيث يتناول الباحث في ذلك عرضاً توضيحياً لنتائج الدراسة، وتحليلها وتفسيرها؛ من أجل الإجابة عن تساؤلات الدراسة ووضع مجموعة من التوصيات والمقترحات التي من شأنها تفعيل موضوع الدراسة، وهو المهرجانات السياحية ودورها في تشجيع وجذب السياحة العائلية.



المبحث الأول

مفاهيم أولية حول السياحة

أصبحت السياحة Tourism بمعظم المقاييس أكبر الصناعات في العالم^(١). ولم تعد السياحة قطاعا بالغ الأهمية لتأثيرها البارز اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا فحسب، بل لكونها أيضا صناعة متسارعة النمو، حيث أنه من المتوقع تضاعف حجمها خلال العقد القادم، فضلا عن آثارها على الحياة الاجتماعية والثقافية والبيئية، فإن آثارها الاقتصادية هائلة.

وقد كانت السياحة في القديم مقصورة على مواسم معينة من السنة وعلى السياحة لأغراض ترفيهية. غير أن الوضع سرعان ما تغير بعد ذلك نتيجة لعدة عوامل مثل: تفعيل دور وسائل الإعلام وتطور وسائل الاتصال والمواصلات واستغلال المقومات السياحية بالإضافة إلى تنوع أغراض السياحة^(٢).

وينظر للسياحة كقطاع اقتصادي له دور هام في التنمية الاقتصادية، وهو أكثر القطاعات تسارعا في النمو إقليميا ودوليا، مما يستدعي التعرف على مفهوم السياحة أسسها^(٣).

فـ «لم تعد السياحة في العصر الحالي هذا مجرد نشاط ترفيهي وتسليي للإنسان،

(١) وفقا لتصنيفات منظمة السياحة العالمية (World Tourism Organization WTO)

(٢) السجيني، إسماعيل إبراهيم، الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية، بحث الهيئة العليا للسياحة، البرنامج الاقتصادي، مقدم لندوة: الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة، ١٩-٢١/٦/٢٠٠١م، ص: ٢.

(٣) مندبل، عبد الجبار، أسس التسويق الحديث، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٢)، ص: ١٥.

بل تعتبر صناعة لها أبعادها وأهدافها ودورها في زيادة الدخل القومي وتبادل النقد الاجنبي في مجالات العمل والاستثمار، وفي تحسين الظروف الاجتماعية والبيئية والحضارية^(١). كما تساعد بدورها على دفع التقارب الاقتصادي بين الدول والأمم، وهي وسيلة الاتصال الفكري والاجتماعي^(٢). بالإضافة إلى أن السياحة اليوم أصبحت مورداً أساسياً لكثير من دول العالم، ومعلماً من معالم الحضارة الحديثة، وعنواناً على تقدم الدولة، ومعياراً من معايير رفاهية الإنسان المعاصر وجزءاً من ثقافته، بل أصبحت السياحة من أهم المؤثرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إذ بلغت عائداتها مئات المليارات من الدولارات، وعدد السائحين مئات الملايين من البشر^(٣).

المطلب الأول: تعريف السياحة:

السياحة أو صناعة السياحة لا تقف على تعريف واحد بذاته، لأن لها أنواع مختلفة، وتعريف كل نوع يعتمد على الغرض الذي تقوم من أجله. ولذلك فإنه - كما يقول ريسنجر - «من الصعب للغاية تعيين تعريف دقيق يعطي تفسيراً وافياً وذا معنى للسياحة، وذلك لأن هذا المفهوم متشعب ومتسع ومتعدد الاتجاهات»^(٤).

(١) كافي، مصطفى يوسف، صناعة السياحة والأمن السياحي، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١ (٢٠٠٩)، ص: ٢٨. صبري، عبد السمیع، أصول التسويق السياحي، المتحدة للطباعة والنشر، القاهرة (٢٠١١). ص: ٦٥.

(٢) توفيق، ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٨)، ص: ٤٥.

(٣) القمیزی، حمد بن عبد الله، السياحة التربوية، معهد التنمية الأسرية، متاح على موقع:

<http://www.osarya.com/index.php/articles/2011-09-23>

(٤) بخاری، عبلة، اقتصاديات السياحة، الفصل الأول، مقدمة في اقتصاديات السياحة، متاح على:

[http://www.kau.edu.sa/Files/0002132/Subjects/TE%20\(1](http://www.kau.edu.sa/Files/0002132/Subjects/TE%20(1)

ومن أوائل المحاولات كانت من «جوير فرولر» حيث يقول: «السياحة بالمفهوم الحديث هي ظاهرة طبيعية من ظواهر العصر الحديث، والأساس فيها الحاجة المتزايدة للحصول على عمليات الاستجمام وتغيير الجو والوعي الثقافي لتذوق جمال المشاهد الطبيعية ونشوة الاستمتاع بجمال الطبيعة»^(١).

وعرفها غيره بأنها «نشاط حيوي يحتوي على عمليتي إنتاج واستهلاك تحتم تنقلات خاصة بها خارج مقر الإقامة الأصلي ليلة على الأقل، حيث يكون السبب هو التسلية، التدلوي، اجتماعات، زيارة المقدسات الدينية، تجمعات رياضية.. الخ»^(٢). أما المجلس الاقتصادي والاجتماعي الفرنسي فقد عرفها بأنها: «فن تلبية الرغبات الشديدة التنوع التي تدفع إلى التنقل خارج المجال اليومي»^(٣).

وقد عرفت منظمة السياحة العالمية السياحة بأنها: «مجموعة النشاطات التي يقوم بها الأفراد خلال السفر والانتقال إلى الأماكن خارج محيطهم المعتاد بغرض الراحة أو لأغراض أخرى»^(٤).

- (١) ملوخية، أحمد فوزي، مدخل إلى علم السياحة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية (٢٠٠٧)، ص: ٣٣. الحريري، محمدي موسى، جغرافية السياحة، الإسكندرية (١٩٩١)، ص: ١٨. الحمدان، سهيل، الإدارة الحديثة للمؤسسات السياحية والفندقية، دار الرضا، دمشق (٢٠٠١)، ص: ٥٧.
- (٢) نسيبة، سماعيل، دور السياحة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، جامعة وهران، الجزائر (٢٠١٤)، ص: ٧. الروبي، نبيل، نظرية السياحة مجموعة الدراسات السياحية، مؤسسة الثقافة الجامعية مصر (١٩٨٦)، ص: ٦. يسرى، دعبس، السلوك الاستهلاكي في ضوء واقع الدول المتقدمة والنامية، البيطاس للنشر والتوزيع، مصر (٢٠٠٢)، ص: ١.
- (٣) لشهب، أحمد، السياسة السياحية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر (١٩٨٧)، ص: ١٤. الحوري، منى طه، الدباغ، إسماعيل محمد علي، مبادئ السفر والسياحة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠١)، ص: ٩.
- (٤) عبد العزيز، توفيق ماهر، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٨)، ص: ٢١-٢٢. عبد العظيم، حمدي، السياحة، مكتبة زهران الشرق، القاهرة (١٩٩٦)، =

المطلب الثاني: مميزات السياحة في العصر الحديث:

تعكس السياحة صورة التطور الحضاري لشعوب العالم، وهي تعتبر صناعة من أهم الصناعات في العصر الراهن لما لها من تأثير على اقتصاديات الدول، لأنها تمثل مصدراً للدخل القومي، ونشاطاً مركباً ومتداخلاً مع العديد من القطاعات، وليست كما يرى البعض بأنها ترف اجتماعي، فهي تساعد على إنجاح مخططات التنمية، وتهيئ الفرص لتعمل على خلق صناعات تخدمها، كالصناعات التقليدية والأغذية، وبناء المرافق، والتي بدورها تتيح فرص العمل، فهي إذن صناعة خدمات، لذلك فقد تأثرت بالتقدم العلمي والتكنولوجي، اللذين أصبحا سمة بارزة للعصر الحالي، مما أدى إلى اتساع نطاقها وتعدد جوانبها وازدياد أهميتها حتى أطلق عليها الصناعة الواعدة مستقبلاً^(١).

ويشكل الجانب الاقتصادي للسياحة أحد الجوانب الأكثر أهمية في الاستثمار في قطاعات الدولة، حتى أضحت السياحة أحد المكونات الأساسية لهيكل الإنتاج بالدولة، وبسبب العوائد والجدوى الاقتصادية اندفعت العديد من الدول نحو

= ص: ١٥. وانظر: دبور، نبيل، مشاكل وآفاق التنمية السياحية المسندامة في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي مع إشارة خاصة إلى السياحة البيئية، مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ٢٠٠٤، ص: ٢.

(١) انظر: الموسوي، محمد عرب، التنمية السياحية في العراق، دنيا الوطن، تاريخ ٢١/١/٢٠١١، متاح على الموقع: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/218672>. قصودة، محمد عبدا لله عياد، مقومات البيئة السياحية وأفضلية المكان لمدينة صبراتة، يفرن، غدامس بالطرف الشمالي الغربي من الجماهيرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة السابع من ابريل، الزاوية (٢٠٠٤)، ص: ١٩.

الاهتمام بهذا القطاع، حتى إن بعضها أصبح ينظر للسياحة بأنها العمود الفقري لاقتصاد الدولة^(١).

ولعل أهم دوافع السياحة في هذا العصر، هو تطور دوافع السفر ذاتها وتنوعها، حيث أصبحت دوافع السياحة تشكل أنواع السياحة، مثل السياحة الترفيهية والاستجمامية والاصطياف، وكذلك السياحة الاقتصادية والثقافية والسياسية والعلاجية والرياضية^(٢).

هذا التنوع هو نتاج تطور صناعة السياحة ونتاج زحفها إلى مقدمة القطاعات الاقتصادية في العالم، فقد تمكنت السياحة من تجاوز كل الأزمات وأثبتت التجارب أنها صناعة لا تنضب ولا تندثر، بل تنمو عاما بعد عام رغم كل الأحداث المؤسفة التي قد تمر بها^(٣).

المطلب الثالث: مقومات صناعة السياحة:

تعد صناعة السياحة من أهم النشاطات الاقتصادية في العالم المعاصر، كما تعد أحد مصادر الدخل ومحركا قويا للأبعاد الاقتصادية المرتبطة بالسياحة، وتمثل أحد روافد زيادة النمو الاقتصادي وتوفير فرص العمل وحل مشكلة البطالة التي تعاني منها غالبية بلدان العالم. وانطلاقاً من ذلك تأتي ضرورة قيام البلدان السياحية بتوفير

(١) روبنسون، جغرافية السياحة، ترجمة محبات إمام، دار المعارف، القاهرة (١٩٥٨)، ص: ٢٠١.
 (٢) انظر: البكري، فؤادة، الإعلام السياحي، دار النشر للجامعات، مصر، ط ١ (٢٠٠١)، ص: ١٣. انظر: الأنصاري، رؤوف محمد علي، السياحة والنقل، متاح على الموقع: <http://www.sutuur.com/Inverstigations-ports>
 (٣) مطر، أدهم وهيب، التسويق الفندقية ومبيع وترويج الخدمات السياحية والفندقية الحديثة، دار مؤسسة رسلان، دمشق (٢٠١٤)، ص: ٢٦.

ودعم مقومات صناعة السياحة والأنشطة المرتبطة بها، حتى يتم الاستفادة من العوائد المالية الناتجة عن هذه الصناعة^(١).

وتعطي مقومات الجذب السياحي أهمية للسياحة في أي دولة، وتمنحها التفرد والامتياز عن بقية البلدان، ويمكن تقسيمها إلى^(٢):

١ - المقومات الطبيعية:

وهي العوامل الطبيعية المناسبة التي تجذب السياح لزيارة المنطقة، وتمثل كل الظروف المناخية وتمايز الفصول، وتتمثل في الموقع الجغرافي الذي يؤثر في المناخ السائد، وهذا يؤدي إلى التأثير بتنوع البيئة من بحار ومحيطات وغابات وتنوع الكائنات الحية التي تعيش فيها، وتتأثر هذه العناصر الطبيعية بعامل الوقت والمسافة ورغبات السائحين^(٣).

(١) كافي، مصطفى يوسف، صناعة السياحة والأمن السياحي، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١ (٢٠٠٩)، ص: ٧.

(٢) الموسوي، محمد عرب، السياحة ومقوماتها، متاح على: <http://www.alnoor.se/article.asp?id=82409>. وانظر: تقرير الخوصصة والاستثمار في السياحة بالجزائر، وزارة السياحة والصناعات التقليدية، الجزائر (١٩٩٩)، ص: ٦. معراج، هواري، جردات، محمد سليمان، السياحة وأثرها في التنمية الاقتصادية العالمية، مجلة الباحث، عدد، ٠١، سنة ٢٠١٤، ص: ٢٢-٢٣. الجلاد، أحمد، التنمية والاعلام السياحي المستدام، عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٣)، ص ٦١. الزوكه، محمد الخميس، صناعة السياحة من منظور جغرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (٢٠٠٦)، ص: ١٢١. حسين، كريم سالم، خلف، قاسم جبار، تنمية القطاع السياحي في العراق المقومات .. التحديات .. المتطلبات، مجلة جامعة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، مجلد ١٨، العدد ١، لسنة ٢٠١٦. ص: ١٤٩-١٥١.

(٣) عبد الحكيم، محمد صبحي، الديب، حمدي أحمد، جغرافية السياحة، مكتبة الأجلوا مصرية، القاهرة (٢٠٠١)، ص: ٤٨-٤٩.

أ- الموقع: للموقع الجغرافي بمختلف أنماطه تأثيرات متباينة على صناعة السياحة، فالموقع من دوائر العرض يحدد نوع المناخ الذي بدوره يحدد نوع النباتات والحيوانات البرية، ويتحكم أيضاً بقصر النهار وطوله الذي يؤثر على نوع الحركة السياحية، ويكمن تأثيره في حركة السياحة كالتقرب والبعد عن مناطق الطلب السياحي، فكلما كان الموقع قريباً من الأسواق أسهم ذلك في زيادة الجذب السياحي بسبب تأثيره على أسعار النقل الجوي^(١).

ب- المناخ: يعد المناخ من الموارد الطبيعية التي تقوم عليها صناعة السياحة، فالكثير من السياح يتجهون إلى بعض المناطق ذات المناخ الذي يلائمهم ويستمتعون بفصله، وبالتالي فهو مؤثر حقيقي على حركة السياح وحجمها.

ج- أشكال سطح الأرض: تتمثل في الجبال والسهول والأخاديد والمنخفضات والمسطحات المائية بأنواعها، وهذا بدوره يؤدي إلى تنوع المشاهد الطبيعية واختلاف البيئات المناخية بحسب نوعية شكل السطح.

د- النبات الطبيعي: يمثل أحد الأسس السياحية في العديد من أقاليم العالم لما يتمتع به من ملامح طبيعية ذات قيمة جمالية تجعل من بيئتها عامل جذب.

٢- المقومات التاريخية والحضارية:

أ- مناطق الآثار: هناك العديد من المناطق الأثرية في العالم تشكل جانباً سياحياً مهماً يرتاده الكثيرون ويتمتعون بمظهره الحضاري، علاوة على التعرف على أبرز

(١) الطيب، سعيد صفي الدين، دراسات في جغرافية ليبيا السياحية، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي (٢٠٠٥)، ص: ٢٩.

الجوانب التاريخية التي يجسدها المعلم الأثري.

ب- المتاحف: توجد العديد من المتاحف ذات الشهرة العالمية يرتادها السائحون من جميع أنحاء العالم.

ج- طرق النقل: إن تطور المواصلات بأنواعها تساهم في نمو حركة السياحة الداخلية والدولية، حيث قصرت المسافات وخفضت التكاليف المادية

د- الجوانب الخدمية الأخرى: المتمثلة بمحطات المواصلات وشبكة الاتصالات والمياه وخدمات الصرف الصحي والشوارع ونظام الأمن والمبيت بأنواعه، كل هذه تعتبر قاعدة تؤمن وصول السياح إلى وجهاتهم، وتوفر الراحة والأمان للسائحين.

٣- المقومات الاجتماعية والدينية:

وهي التي تعكس مدى ترابط أبناء المجتمع معاً وتتضمن أنماط وأساليب الحياة التي تغلب على الأفراد في المجتمع، وتعدّ مصدر جذبٍ لبعض السياح الذين يحبون التعرف على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى، وكذلك المقومات الدينية المتمثلة بعبادة المجتمع والمظاهر الدالة عليها من المزارات المهمة كالمساجد والأضرحة والمقابر والأماكن المقدسة وأماكن الاحتفالات الدينية.



المبحث الثاني

المهرجانات السياحية والتسويق السياحي

لقد تطورت السياحة تطوراً كبيراً وخاصةً منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث لم تعد السياحة ترفاً، بل تنامت ونشطت، حتى أصبحت الآن صناعة العصر والمستقبل وهي الصناعة التي لا حدود لتطورها وهي الأكثر حضارة والأقل تلوثاً^(١).

وتلعب المهرجانات وغيرها من الفعاليات دوراً هاماً في عملية التسويق السياحي، فهي تعد من الأنشطة الترويجية الهامة في تفعيل الحركة السياحية في المناطق التي تنفذ فيها تلك الأنشطة، سواء على صعيد استقطاب السياح من الخارج أو في تنمية السياحة المحلية والداخلية. كما تسهم المهرجانات بما فيها من التنوع والفعاليات، وما تشمله من مختلف النشاطات الاقتصادية والفلكلورية والثقافية والفنية والحفلات الهادفة، ومهرجانات الطفولة في خلق الأجواء التي تناسب العائلة بكل ما تطلبه وتحتاجه، وهي بحد ذاتها ظاهرة مهمة تسهم في تحقيق غايات ترويجية مهمة للسياحة^(٢).

(١) العائدي، عثمان، آفاق السياحة في سورية، ندوة الثلاثاء الاقتصادية، جمعية العلوم الاقتصادية، سورية (٢٠٠٠)، ص: ٥٢. مباركة، مساوي، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر (٢٠١١-٢٠١٢)، ص: ١١٧.

(٢) انظر: برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة التسويق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، العدد ٢٠١٣، ص: ١١١.

المطلب الأول: الترويج والتسويق السياحي:

إن نشاط التسويق هو من أكثر الأنشطة التي شهدت تغييراً في ممارستها التطبيقية ومفاهيمها الفلسفية على حد سواء، وذلك بسبب حالة التسارع والتجدد والتطور والتي هي السمة الأساسية للأنشطة، حيث تعتبر وظيفة التسويق من أهم الوظائف الإدارية لأي شركة ومحددة لنجاحها. فقدرة أي شركة على إنتاج السلع وتقديم الخدمات تكون محددة ما لم يصاحبها جهد تسويقي فعال يساعد على تحديد احتياجات المستهلك، وزيادة المبيعات وزيادة الربحية التي تسعى الشركة لتحقيقها^(١).

إن بعض الاقتصاديين عندما يتكلمون عن التسويق يربطونه دائماً بالإنتاج السلعي، فهم يفرقونه عادة عن قطاع الخدمات بصفة عامة وقطاع السياحة بصفة خاصة. فرغم أن القطاع السياحي يصنف ضمن قطاع الخدمات إلا أنه يمارس الإنتاج، حيث ينتج ما يسمى في القطاع السياحي المنتج السياحي لهذا ظهر التسويق السياحي خصيصاً لتسويق المنتج السياحي والخدمات السياحية^(٢).

ويقوم الترويج للسياحة في العالم المعاصر على المعرفة والإبداع، وإدارة المعرفة السياحية التي نفتقدها تعني القدرة على توفير نقل وتدعيم المعلومات وتوظيفها بكفاءة وسرعة، حيث إن التنافسية بين المقاصد السياحية تقوم على أساس توفير نظم معرفية تسير الإدارة من أجل تحقيق الاستدامة والتوازن بين الجوانب الاقتصادية

(١) الزهبي، علي فلاح، التسويق السياحي والفندقي، مدخل صناعة السياحة والضيافة، دار المسيرة، عمان (٢٠١٣)، ص: ٣٣.

(٢) موفق، علي، أهمية القطاع السياحي في الاقتصاد الوطني، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر (٢٠٠٢)، المقدمة.

والاجتماعية والثقافية والبيئية بشكل منتظم بما يضمن نمو إنتاج إبداعات وخبرات مستمرة والوصول في عملية بناء المعرفة إلى تطبيقات احترافية للخدمات المقدمة للسائحين^(١).

من هنا، فالتسويق والترويج السياحي عملية مستمرة ومنتظمة لتسويق المنتج السياحي بمناطقه الجاذبه وسلعه وخدماته المتميزة بالجوده، بهدف بناء الصورة الإيجابية للبلد كمقصد سياحي في الأسواق السياحية الداخلية والخارجية^(٢)، بما يعزز مناخ الثقة لدى الزوار ويزيد من الطلب السياحي على بلد المقصد السياحي^(٣).

فالتسويق السياحي يعد «عاملاً أساسياً لتحقيق التنمية السياحية نظراً لما يقوم به من دور هام في الترويج السياحي والخدمات السياحية بصفة عامة»^(٤). وبالتأكيد لا يمكن تحقيق صناعة سياحية هامة إلا إذا رافقها جهد هام بالتنشيط والترويج السياحي^(٥).

- (١) الطويسي، باسم، التسويق السياحي على طريقة الهواة، جريدة الغد الأردنية، تاريخ: الأربعاء ٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٧. وانظر: عبد الحفيظ، مسكين، دور التسويق في تطوير النشاط السياحي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر (٢٠٠٩-٢٠١٠)، ص: ٣٥ وما بعدها
- (٢) الطائي، حميد، العلاق، بشير، تسويق الخدمات، مدخل إستراتيجي، وظيفي، تطبيقي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٩)، ص: ٥٧.
- (٣) الأكاديمية البريطانية للتطوير والتدريب، متاح على موقع: <https://batdacademy.com/>. وانظر: التسويق والترويج السياحي عبر الانترنت، جريدة عالم السياحة والاقتصاد، عمان، تاريخ ٢٦ آذار/ مارس، ٢٠١٤.
- (٤) الزعني، علي فلاح، التسويق السياحي والفندقي، دار المسيرة، عمان (٢٠١٣)، ص: ٣٢٣. وانظر: عبد السميع، صبري، نظرية السياحة، مطبعة كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان، مصر (١٩٩٤)، ص: ٧٠.
- (٥) انظر: الشاهد، إلياس، التسويق السياحي كسبيل لتنشيط القطاع السياحي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد ٢٥، ص: ١٢٥. وانظر: عبد القادر، بودي، أهمية التسويق السياحي =

إن الترويج السياحي هو أحد أهم عناصر المزيج التسويقي السياحي، إن لم يكن أكثرها أهمية على وجه الإطلاق، بل إن نجاح أي برنامج سياحي يتوقف على قدرة الشركة السياحية على ترويج هذا البرنامج وبالتالي تحقيق الهدف المسطر لجذب أكبر قدر ممكن من السواح لزيارة المكان المروج له^(١).

ويعرّف الترويج السياحي بأنه «عملية إحداث المعرفة لدى السائح عن الشركة وبرامجها وإحداث تفاعل إيجابي بين السائح وبين المعلومات التي حصل عليها عن طريق الجهود الترويجية وتشجيعه وتحفيزه على القيام بسلوك إيجابي محوره التعاقد على أحد البرامج السياحية التي تقدمها الشركة أو خلق طلب كامن لديه يظل يشعره بالتوتر والقلق حتى يقوم بإشباعه^(٢).

أو هو: كافة الجهود الإعلامية والدعائية والعلاقات العامة الرامية إلى إعداد ونقل رسالة أو رسائل معيّنة عن الصورة السياحية لدولة ما أو منظمة ما إلى أسواق محددة بالوسائل الفعلية بغرض جذب الجماهير ودفعهم إلى ممارسة نشاط سياحي في تلك المناطق المستهدفة، أي أن الهدف هو الطلب السياحي^(٣).

= في تنمية القطاع السياحي بالجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر (٢٠٠٥-٢٠٠٦)، ص: ٦٤.

(١) الرحبي، سمر رفقي، الإدارة السياحية الحديثة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ٦٢. سعد، خليل محمد، الإدارة السياحية، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٧)، ص: ٧٥.

(٢) حجاب، محمد منير، المداخل الأساسية للعلاقات العامة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٩٥)، ص: ٧٥. وانظر: أبو نبعة، عبد العزيز، دراسات في تسويق الخدمات المتخصصة «منهج تطبيق»، مؤسسة الوراق. للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٥)، ص: ١٨٦.

(٣) إمام، إبراهيم، فن العلاقات العامة والإعلام، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط ٢ (١٩٨٠)، ص: ٩٥. البكري، فؤادة عبد المنعم، التسويق السياحي وتخطيط الحملات الترويجية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٧)، ص: ١٤.

ويعتمد الترويج السياحي على مخاطبة العواطف وإيقاظ الخيال وكسب المشاعر والاتجاهات من منطلقات سيكولوجية موجّهة نحو الجوانب الغريزية والدوافع الأساسية والمكتسبة، مع عدم إغفال النواحي الموضوعية والفكرية^(١). فدور الترويج السياحي هو بناء صورة مضيئة وخلفية إيجابية لدى القدر الأكبر من مستقبلي رسائله المتعددة ثم الحفاظ على استمرارية هذه الصورة ودوام بريقها بمداومة تسليط الأضواء عليها^(٢).

ويتمركز عمل القطاع السياحي في يومنا هذا حول المستهلك وتجربته، إذ تتم دراسة سلوك واتجاهات الزوار ليتم بعد ذلك توجيه خدمات السفر وتطويرها بناء على أفضليات الزبائن، يقوم وكلاء السياحة والسفر في الأسواق المصدرة للسياحة بتطوير تقنيات تسويقية جديدة ومتقدمة لشرائح وأنماط سياحية مختلفة^(٣).

المطلب الثاني: المزيج التسويقي السياحي:

يعد المزيج التسويقي السياحي العنصر الأساسي في أي إستراتيجية تسويقية، وهو مجموعة من العناصر التي يمكن السيطرة عليها من المنظمة السياحية، ويمكن تنسيقها وتعديلها لإشباع السوق المستهدف وتلبية احتياجاته بشكل مريح^(٤).

(١) ابن صبر، محمد سعيد، التسويق السياحي، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٠١٤٧، الاثنين ٨، ربيع الثاني ١٤٢١، الموافق: ١٠/٧/٢٠٠٠.

(٢) إمام، إبراهيم، فن العلاقات العامة والإعلام (مرجع سابق)، ص: ٩٥. وانظر: أديب برهوم، تقويم كفاءة التسويق السياحي في سورية، مجلة جامعة تشرين، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٢٩، عدد ٢، سنة ٢٠٠٧، ص: ١٠٤.

(٣) صارم، مازن أحمد، أثر الإعلان في رفع كفاءة التسويق السياحي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، دمشق (٢٠٠٧)، ص: ٦-٨.

(٤) العلاق، بشير عباس، الطائي، حميد عبد النبي، تسويق الخدمات - مدخل إستراتيجي وظيفي تطبيقي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان (١٩٩٩)، ص: ٩٠.

والمزيج التسويقي (Marketing Mix) مجموعة من نشاطات التسويق المترابطة والمتكاملة، والمعتمدة على بعضها بهدف تنفيذ وظيفة التسويق وفقاً للأسلوب المخطط له^(١)، ويُعرّف بأنه الأدوات التسويقية المستخدمة من خلال الشركة بهدف استمرارية الوصول إلى أهداف التسويق في السوق المستهدف، ويطلق على هذه الأدوات مسمى عناصر المزيج التسويقي^(٢). أو هو: «مجموعة المتغيرات القابلة للسيطرة عليها والتي يمكن للمنظمة السياحية الموجودة في المنطقة التي تستخدمها لبلوغ الأهداف السياحية في الأسواق المستهدفة والمحددة مسبقاً»^(٣).

عناصر المزيج التسويقي السياحي^(٤):

أولاً: المنتج السياحي: يعرف على أنه «مزيج من الخدمات الملموسة وغير الملموسة المطروحة في السوق السياحي لغرض إشباع حاجات السياح في لحظة

(١) بشير عباس العلاق، حميد عبد النبي الطائي، تسويق الخدمات-مدخل إستراتيجي وظيفي تطبيقي، دار زه ران للنشر والتوزيع، عمان (١٩٩٩)، ص: ٩٠.

(٢) ابن عائشة، نسبية رايس، مساهمة المزيج التسويقي في تحقيق رضا الزبون السياحي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر (٢٠١٤ - ٢٠١٥)، ص: ١٢، ١٣. وسيلة، سعود، دور التسويق السياحي في دعم السياحة التونسية، مجلة الابتكار والتسويق، العدد الرابع، ص: ٢٢٤.

(٣) المساعد، زكي خليل، تسويق الخدمات وتطبيقاته، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٦)، ص: ٢١٧. البكري، فؤادة عبد المنعم، التسويق السياحي وتخطيط الحملات الترويجية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٧)، ص: ١٤.

(٤) جمال، أحمد جلال، التسويق السياحي وترويج الخدمات السياحية، دار خالد اللحاني للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٦)، ص: ٦٧ وما بعدها. الطائي، حميد عبد النبي، المفهوم المجتمعي للتسويق في صناعة السياحة، الملتقى الأول للتسويق في الوطن العربي، الواقع وآفاق التطوير، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٥-١٦ أكتوبر، ٢٠٠٢، ص: ٤٥.

جاهزيتها، وتشتمل الأشخاص الذين يقدمون الخدمات والأماكن والمنظمات والنشاطات والتسهيلات، أو مزيجاً مما سبق»^(١).

فالمنتج السياحي مزيج من عناصر متعددة تتكامل مع بعضها لتقدم منتجاً سياحياً، فهو عبارة عن مجموعة من عوامل الجذب الطبيعية (مناخ، عوامل طبوغرافية، بيئة) وعوامل جذب تاريخية (دينية، حضارية، ثقافية)، فضلاً عن أماكن إقامة كالفنادق والقرى السياحية، ومن خدمات المطاعم وأماكن الترفيه والخدمات الأخرى مثل (المكاتب والوكالات السياحية، البنوك)، كذلك البنى الأساسية عامة مثل المطارات والموانئ والطرق وغيرها من البنى التحتية.^(٢)

ولقد صنف بعض الباحثين المنتج السياحي إلى ثلاثة عناصر أساسية هي^(٣):

مجموعة التراث المتكون من الموارد الطبيعية الثقافية والصناعية والتاريخية التي تجذب السائح للاستمتاع بها.

(١) الطائي، حميد عبد النبي، مدخل للسياحة والسفر والطيران، مؤسسة الوراق، عمان (٢٠٠٣)، ص: ١٣٠. جمال، أحمد جلال، التسويق السياحي وترويج الخدمات السياحية (مرجع سابق)، ص: ٨٩. وانظر: حليلة، شابي، السعيد، بريش، الصناعة السياحية في الجزائر ودورها في تفعيل النشاط الاقتصادي والاجتماعي: دراسة تحليلية تقييمية، ص: ٧. متاح على: 71542/platform.almanhal.com/Files/2

(٢) هيئة تحرير، الخصائص الاقتصادية للمنتج السياحي، صحيفة الوحدة، اللاذقية، العدد ٨٧٨٧، تاريخ ٣ كانون ثاني، ٢٠١٧.

(٣) نسبية، سماعيل، دور السياحة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر (٢٠١٤)، ص: ٣٣. بوعقلين، بديعة، السياسات السياحية في الجزائر وانعكاساتها على العرض والطلب السياحي، دراسة ولاية تيبازة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر (١٩٩٦)، ص: ١١١. مساوي مباركة، مليكي سمير بهاء الدين، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر (٢٠١١) - ٢٠١٢، ص: ١٤٣.

٢- مجموعة التجهيزات التي لا تعتبر العامل الأساسي في جذب السائح غير أن عدم توفرها يمنع السائح من السفر، كوسائل النقل المختلفة ووسائل الإيواء والإطعام والتجهيزات الثقافية والرياضية والترفيهية.

٣- مجموعة الإجراءات الإدارية المتعلقة بتسهيلات الدخول والروج ذات العلاقة بوسائل النقل التي يستخدمها السائح للوصول إلى المنطقة المرغوب فيها^(١).

ثانيا: التنشيط السياحي^(٢): «ويقصد به تلك الجهود التي تبذل بمختلف وسائل الإعلام والاتصالات السمعية والبصرية والشخصية لتوضح الصورة السياحية للدولة، وإبرازها أمام المستهلكين السياحيين المرتقبين وجذب انتباههم لزيارة الدولة وشراء المنتج السياحي وذلك باستخدام مختلف وسائل الدعاية المختلفة كالمصقات والنشرات الدعائية المتعددة، بالإضافة إلى وسائل الإعلان المسموعة في الإذاعات المختلفة والمقروءة في الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والمرئية في التلفزيون والسينما وغير ذلك. هذا بالإضافة إلى الاعتماد على العلاقات العامة باعتبارها وسيلة فعالة للاتصال الشخصي بين رجال التسويق السياحي والعملاء السياحيين»^(٣).

ويقصد بالترويج السياحي ذلك النشاط الإداري والفني الذي تقوم به هيئات ومؤسسات داخل الدولة وخارجها للتعرف على الأسواق السياحية الحالية والمحتملة

(١) البرواري، نزار عبد المجيد، البرزنجي، أحمد محمد فهمي، إستراتيجيات التسويق (المفاهيم - الأسس - الوظائف)، دار وائل، عمان (٢٠٠٨)، ص: ٣٥.

(٢) الأمين، مرتضى البشير، وسائل الاتصال والترويج السياحي، أمواج للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٦)، ص: ٨٠.

(٣) الأمين، مرتضى البشير، وسائل الاتصال والترويج السياحي (مرجع سابق)، ص: ٨٠ وما بعدها. مجاهدي، فاتح، زديوي، عبد الرحيم، تبني التخطيط التسويقي الإستراتيجي كأداة لتفعيل قطاع السياحة في الجزائر، مجلة اقتصاديات المال والأعمال، JFBE، ص: ٢٤٥-٢٤٦.

والتأثير فيها لتنمية الحركة السياحية الدولية القادمة منها^(١). فهو يمثل «مجموعة من أدوات الاتصال التي يمكن استخدامها على مستوى الطلب على السلع والخدمات السياحية، ويكمن دوره في إخبار وإقناع السائح بخصائص الخدمات السياحية المقدمة ومزاياها بالنسبة له»^(٢).

ثالثاً: العنصر البشري: يعتبر العنصر البشري هو المحور الأساسي الذي يدور حوله النشاط السياحي في كل مراحلها المختلفة التخطيطية والتسويقية والبيعية والإدارية... الخ. فالعمالة السياحية لا تقل أهمية عن أي عنصر من عناصر العملية التسويقية الأخرى، فهي في حد ذاتها هدف من أهداف التنمية السياحية. فالعنصر البشري يقوم بكافة الخدمات السياحية كالفنادق وشركات السياحة والسفر والمجالات العامة السياحية وشركات النقل السياحي ومحال العاديات (التحف) والسلع السياحية... الخ^(٣).

هذا بالإضافة إلى البيئة المادية كالمظهر الخارجي للمؤسسة والتصميم الداخلي ونظافة القاعات ومظهر العاملين والمستوى التكنولوجي وغيرها من الظروف والتسهيلات الأخرى وكذلك عملية تقديم الخدمة^(٤).

(١) عبد السميع، صبري، نظرية السياحة، مطبعة كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان، مصر (١٩٩٤)، ص: ٧٠.

(٢) عبد القادر، فؤاد حاج، أهمية المزيج التسويقي في ترقية الخدمات السياحية، رسالة ماجستير في العلوم التجارية فرع التسويق، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر (٢٠١٠/٢٠٠٩)، ص: ١٠١.

(٣) انظر: صبري عبد السميع حسين، أصول التسويق السياحي، جامعة حلوان، كلية السياحة والفنادق، القاهرة ١٩٩٢، ص: ١.

(٤) الطائي، حميد عبد النبي، مدخل للسياحة والسفر والطيران، مؤسسة الوراق، عمان (٢٠٠٣)، ص: ٢٠٥. وسيلة، سعود، دور التسويق السياحي في دعم السياحة التونسية، مجلة الابتكار والتسويق، العدد الرابع، ص: ٢٢٨-٢٢٩.

رابعاً: السوق السياحي: يعتبر السوق السياحي (الدول المصدرة للسائحين) أحد منافذ التوزيع التي تعتمد عليها الدولة السياحية في بيع برامجها وخدماتها السياحية فيها.

خامساً: بحوث التسويق: تدخل بحوث التسويق كعنصر مشترك مع باقي العناصر الأخرى المكونة للمزيج التسويقي السياحي^(١).

سادساً: التسعير السياحي: يعتبر التسعير السياحي (وضع الأسعار) أحد الأنشطة الهامة في العمل السياحي وعنصر هام من عناصر المزيج التسويقي السياحي لما له من تأثير على الحركة السياحية^(٢).

فالتسعير هو «المقابل المادي المقبول من طرف المستخدم أو المستهلك للمكان أو الموقع أو المشتري للسلعة المادية نفسها وأي خدمات أخرى مرافقة»^(٣). ويتم وضع أسعار تنافسية تسمح بالحفاظ على استمرار المؤسسة السياحية، وتحقيق هوامش ربح معقولة^(٤).

(١) إدريس، ثابت عبد الرحمن، بحوث التسويق، أساليب القياس والتحليل واختبار الفروض، الدار الجامعية، القاهرة (٢٠٠٥)، ص: ٣٥.

(٢) جمال، أحمد جلال، التسويق السياحي وترويج الخدمات السياحية، دLR خالد اللحياني للتوزيع والنشر، عمان (٢٠١٦)، ص: ٩٦.

(٣) وسيلة، سعود، دور التسويق السياحي في دعم السياحة التونسية، مجلة الابتكار والتسويق، العدد الرابع، ص: ٢٢٥. رشيد، فراح، يوسف، بودلة، دور التسويق السياحي في دعم التنمية السياحية والحد من أزمات القطاع السياحي، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٢، ص: ١١٠.

(٤) عبد الرحيم، شنيني، دور التسويق السياحي في إنعاش الصناعة التقليدية والحرفية، رسالة ماجستير في علوم التسيير، تخصص تسويق الخدمات، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر =

والموضوع المهم هنا هو: أن لا يقتصر التسويق السياحي على مجرد تقديم الخدمات أو البرامج السياحية وعرضها في الداخل والخارج، بل يجب أن يبدأ بدراسة الأسواق السياحية المصدرة وتحديد احتياجاتها من المنتج السياحي ويمكن القول بأن السائح أو المستهلك هو الذي يقوم باستخدام المنتج السياحي أو الخدمات السياحية ويسعى للحصول عليها بغض النظر عن طبيعة هذه الخدمات ومكان تواجدها^(١).

المطلب الثالث: دور المهرجانات في التسويق السياحي:

يعد المهرجان تعبيراً عن رغبة في التواصل وفرصة سانحة في الوجود للابتعاد عن مشاكل الحياة اليومية، وإبداء الرأي بحرية أكثر داخل الفضاء الثقافي أو الترفيهي. وهو أيضاً رابطة اجتماعية وفرحة مشتركة مع الآخر^(٢).

والمهرجان هو احتفال عام يكون عادة في إطار ثقافي أو ديني. ويرجع أصل الكلمة إلى الكلمة ذاتها في اللغة الفارسية، وهو من الأعياد القديمة في إيران^(٣). وهو: احتفال عظيم حاشد، يُقامُ ابتهاجاً بحادثٍ سعيدٍ أو إحياءً لذكرى عزيزة^(٤).

= (٢٠١٠/٢٠٠٩)، ص: ٦٧-٦٨. وسيلة، سعود، دور التسويق السياحي في دعم السياحة

التونسية، مجلة الابتكار والتسويق، العدد الرابع، ص: ٢٢٦.

(١) عبد السمیع، صبري، التسويق السياحي والفندقي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة

(٢٠٠٦)، ص: ٣٢. صحراوي، مروان، التسويق السياحي وأثره على الطلب السياحي، جامعة

أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر (٢٠١١-٢٠١٢)، ص: ٧٤.

(٢) برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة

التسويق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين

للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، العدد ٢٠١٣، ص: ١١٦.

(٣) الحميدان، عبدالله، الزهراني، خالد، الدحام، عبدالعزيز، شعمول، فايز، المهرجانات، متاح على

الموقع: fac.ksu.edu.sa/sites/default/files/lmhrjnt_0.pptx

(٤) المرجع السابق.

وهناك من يعرف المهرجان بأنه: «حدث يقدم مجموعة من الأنشطة الثقافية والموسيقية والألعاب الرياضية، بالإضافة إلى أنه يعد أسلوباً لعرض نشاطات الآخرين مما يزيد في التبادل الثقافي مع البلدان الأخرى»^(١).

وتشكل المهرجانات عنصراً هاماً في التسويق السياحي، فهي توفر أسباباً إضافية للسياحة وزيارة المكان المضيف لها، فتكون عاملاً رئيسياً في قرار السياحة وفي اختيار وجهة معينة أكثر من الأخرى. ومن المزايا التي تقدمها المهرجانات هي الأدوات الفعالة في جذب الزوار لأول مرة وكذلك تكرار المتعة للزوار بالإضافة إلى الاتصال غير الرسمي بين السكان المحليين والسياح وكذلك السماح للسياح باكتشاف تجارب ثقافية جديدة^(٢).

وهناك دراسة ميدانية تهدف إلى التعرف على دور المهرجانات في تحسن كفاءة التسويق السياحي واعتمدت الدراسة على استبانة تكونت من ٤٠ فقرة وخمسة محاور أساسية وشملت عينة البحث ١٠١ منشأة سياحية من المنشآت العاملة. توصلت هذه الدراسة الميدانية إلى نتائج منها وجود وعي كبير لدى العاملين في

(١) Tommy D. Anderson، Donald Getz، Tourism as amixed industry: Differences Between Private، Public، and Not-for- Profit Festivals، Tourism Management، Ume37، Issue2، March، 2009، P. 854

(٢) Getz D.، Event tourism، Definition، Evolution، and Research، Tourism Management، June،2008، p، 420. Razaq R، Developing cultural tourism، 6-Nottingham، LSI 3HE، UK، 2003، P. 2. وانظر: برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة التسويق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، العدد ٢٠١٣، ص: ١١٨.

المنشآت السياحية حول أهمية سياحة المهرجانات والدور الذي تلعبه في تنمية السياحة والمزيج التسويقي، بالإضافة إلى دورها في تحسين كفاءة الأنشطة التسويقية. وأن المهرجانات تؤثر في كفاءة الأنشطة التسويقية من خلال قياس مدى تحقق الأهداف التسويقية وإسهاماتها في تحقيق ربحية الأنشطة التسويقية، من خلال زيادة الحركة السياحية الداخلية وتمكنها من زيادة الإنتاج ويكون ذلك من خلال تنمية المرافق وتطويرها^(١).

كما تعتبر سياحة المهرجانات من أهم وأحدث وسائل الجذب السياحي، سواء كان مهرجانات رياضية أو ترفيهية أو فنية، وإن هذا النمط السياحي لهذه المهرجانات السياحية هو أحد عوامل التنشيط السياحي الهام الذي يهدف إلى الترويج والتسويق للمواقع الأثرية والسياحية والتعريف بها وإشراك أبناء المجتمع المحلي بها، حيث تعود عليهم بالنفع والفائدة من خلال عرض منتوجهم والتعريف بتراثهم وتقاليدهم وعاداتهم^(٢).



(١) برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة التسويق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، العدد ٢٠١٣، ص: ١٠٩-١٢٧.

(٢) انظر: الحسيني، حسن، سياحة المهرجانات أبرز الأنماط في جذب السياح، صحيفة الرأي الأردنية، تاريخ النشر: ٢٩، ٦، ٢٠٠٥. سيف، رجاء، سياحة المهرجانات تسهم بتحريك عجلة التنمية الاقتصادية، صحيفة الغد الأردنية، نشر بتاريخ: ١٤ أيار/ مايو ٢٠١٤.

المبحث الثالث

دور سياحة المهرجانات في تشجيع السياحة العائلية

تلقي سياحة المهرجانات رواجاً واهتماماً على مستوى العالم، خاصة لما تسهم به في تنمية اقتصادات الدول بشكل متناسق وفعال خلال السنوات الأخيرة. ولذلك، أولت الجهات المعنية والمتخصصة بسياحة المهرجانات عناية خاصة خلال الفترة الماضية بهذا النوع من السياحة، لما لها من عوائد اقتصادية وتجارية وسياحية^(١). وتحظى المهرجانات على تنوع أشكالها وأفكارها دائماً اهتماماً إعلامياً، وتحتل مساحات واسعة في الصحف العالمية وعلى شاشات الفضائيات في العالم. وبذلك تساهم المهرجانات في الترويج للوجهات السياحية، وتثير الرغبة لدى السائح لزيارة البلد الذي يقام فيه، حتى إذا لم يحضر هذه المهرجانات، ولهذا الأسباب تعد المهرجانات والفعاليات وسيلة مهمة للترويج وللجذب في آن واحد^(٢).

المطلب الأول: أهمية صناعة المهرجانات السياحية:

يتفق الباحثون على أن لصناعة المهرجانات كثيراً من الفوائد^(٣)، فهي تعمل

(١) الحسيني، حسن، انطلاق فعاليات «المؤتمر والمعرض الدولي للسياحة والتراث»، وكالة الأنباء الأردنية (بترا)، متاح على موقع: http://petra.gov.jo/public_news/Nws. وانظر: حسن، علا محمود، المهرجانات والمعارض الثقافية وأثرها في تحسين كفاءة التسوق السياحي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، سورية (٢٠١١)، ص: ٢.

(٢) الذهلي، إبراهيم، سياحة المهرجانات، صحيفة الاتحاد الإماراتية، تاريخ ١٩ سبتمبر، ٢٠١٣.
(٣) شاهين، إلياس، النجار، حلا، سياحة الأعمال، وزارة السياحة، مديرية التسويق السياحي، سورية (٢٠٠٩)، ص: ٩. وانظر: برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة التسوق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، =

على تنشيط السياحة بالنسبة للدول التي تملك مقاصد سياحية معروفة حيث تستهدف تطوير القدرات السياحية للبلد المضيف وذلك عبر تطوير البنية التحتية الخاصة بالمنطقة المضيفة، فهي من الأسباب المهمة وراء تطوير المجتمع وتنميته الاقتصادية، فتضع الدول التي لا يعرف الكثير عن مقاصدها السياحية على الخريطة السياحية العالمية.

بالإضافة إلى أن المهرجانات تؤدي دورا مهما في تكوين الوجهات السياحية، من خلال قدرتها على زيادة حجم الحركة السياحية على العديد من المواقع السياحية، وعلى المنشآت السياحية فيها، وذلك من خلال تجربة السياح القادمين للمهرجان أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة. فسياحة المهرجانات هي نوع رئيسي من أنواع صناعة السياحة، تساهم إلى حد كبير في زيادة النشاط السياحي بالوجهات السياحية، وتجعلها على خريطة السياحة العالمية بشكل موسمي^(١).

كما أن هذه الفعاليات والمهرجانات تساهم في توعية المجتمع وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن السياحة، وأن السياحة نشاط اقتصادي واجتماعي ضروري لتنمية المجتمعات المحلية، بالإضافة إلى دورها في تعزيز الوطنية والتنمية الاجتماعية

= العدد ٢٠١٣، ص: ١١٧-١١٨. رضا، أماني، الإعلام والسياحة، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط ١ (٢٠١٧)، ص: ٢٤. سالم، شياء السيد، الاتصالات التسويقية المتكاملة، مجموعة النيل العربية، القاهرة (٢٠٠٦)، ص: ١٢٣-١٢٤. الذهلي، إبراهيم، سياحة المهرجانات، صحيفة الاتحاد الإماراتية، تاريخ ١٩ سبتمبر، ٢٠١٣. مدياني، أحمد، المهرجانات المغربية قلة سياحية عالمية، العربي الجديد، تاريخ النشر ٤ فبراير ٢٠١٥.

(١) بظاظو، إبراهيم، سياسة المهرجانات في الأردن، متاع على موقع:

<https://www.ammonnews.net/article/125618>

والاقتصادية وتكوين الفرص الوظيفية، بالإضافة إلى مساهمتها في الأمن الداخلي. كما أنها تساهم في اقناع رجال الأعمال في الاستثمار في المنشآت الاقتصادية والسياحية في المنطقة، وتطوير البنية التحتية فيها. ويسهم تطوير صناعة تنظيم المهرجانات والفعاليات السياحية في النمو والتنويع الاقتصادي وتحقيق التوازن الداخلي والخارجي وزيادة معدلات توظيف الشباب من خلال توفير فرص العمل وتحقيق التنمية الإقليمية المتوازنة في الأقاليم^(١).

وتعد سياحة المهرجانات كذلك، من أهم وسائل الجذب السياحي وأحدثها، وتحرك الاقتصاد وتخلق أنماطاً مبتكرة في مجال المال والأعمال، وتعزز المبادرات للتواصل الحضاري بين مختلف الشعوب، كما تعزز التنمية السياحية الوطنية من خلال الترويج للمناطق السياحية وترفع مستوى الوعي الثقافي من خلال تعزيز الحوار بين الحضارات المختلفة، وتعزز الحياة الاقتصادية من خلال الفعاليات التسويق المختلفة، وتحفز رجال الأعمال للاستثمار في المنشآت الاقتصادية والثقافية^(٢).

وتحتل سياحة المهرجانات والمناسبات مكانة خاصة في الأجندة الاجتماعية لكثير من الأسر والعائلات والمواطنين، وأصبحت المهرجانات تحدد مدنا ومواقع

(١) جريدة الأيام البحرينية، العدد ٧٧٧٣ الخميس ٢٢ يوليو ٢٠١٠ الموافق ١٠ شعبان ١٤٣١ هـ جلاء سيف، جريدة الغد الأردنية <http://alghad.com/prints/522654> وانظر: طنطاوي، سعاد، المهرجانات تزيد الحراك الثقافي والسياحي والاقتصادي، وتعكس هوية الأمم وتاريخها وحاضرها ومستقبلها، جريدة الأهرام، لسنة ١٣٤٤، العدد ٤٤٩٣٢، تاريخ ١٣ ديسمبر، ٢٠٠٩.

(٢) برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة التسويق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، العدد ٢٠١٣، ص: ١١٩.

يقصدها السائح للحضور والمشاركة في هذه المهرجانات والتمتع ببرامجها وفعاليتها الجاذبة^(١). وجذبت هذه المهرجانات العديد من السائحين سواء بغرض المشاركة في فعاليات تلك المهرجانات وأنشطتها أو لمجرد الحضور والمشاهدة والاستماع بما يقدم فيها^(٢).

ونتيجة للمنافسة الشديدة بين الدول في المجال السياحي، أصبحت المهرجانات أحد الأنشطة السياحية الكبرى الحديثة لجذب السياح، لما تحتويه من برامج ترفيهية وثقافية وتسويقية وفعاليات جاذبة تقام خلال فترة محددة من الزمن، ولم تغفل العديد من المؤسسات والمنظمات والجهات التي تنظم هذه المهرجانات السياحية الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل الاتصال المختلفة في الوصول إلى الجمهور باستخدام كافة أشكال الاتصال المعروفة (الشخصي والجمعي والجهيري)^(٣).

المطلب الثاني: سياحة المهرجانات والنشاط الاقتصادي:

إن سياحة المهرجانات هي من أنواع السياحة الحديثة، التي أصبحت في الوقت الراهن النافذة التي تطل على الدول الأخرى، وعاملاً مهماً من عوامل التنشيط السياحي وأصبحت تنمو بسرعة في السنوات الأخيرة، نتيجة لتطور العلاقات الدولية والاقتصادية والتجارية والصناعية والفنية، وحاجة الدول إلى عرض ما

(١) الطيار، ناصر عقيل، التسويق السياحي للمملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٤هـ)، ص: ٢٣٠

(٢) رضا، أماني، الإعلام والسياحة، أطلس للنشر، القاهرة، ط ١ (٢٠١٧)، ص: ٢٤.

(٣) الطيار، ناصر عقيل، التسويق السياحي للمملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٣٤هـ)، ص: ٢٣٠.

توصلت إليه في مختلف المجالات الحضارية على الدول الأخرى، بالإضافة إلى انها منتديات ذات نشاطات متنوعة تتفاعل فيها كل عناصر العملية الإنتاجية الجاذبة للسياح، والتي تعكس الصورة الحضارية للدولة^(١).

وتعتبر سياحة المهرجانات نشاطا اقتصاديا واجتماعيا ضروريا لتنمية مجتمعاتنا المحلية، ناهيك عن دورها في تعزيز الوطنية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وتكوين الفرص الوظيفية، بالإضافة إلى مساهمتها في الأمن الداخلي، ورفع الاستثمار في المنشآت الاقتصادية والسياحية في المنطقة، بالإضافة إلى تطوير البنية التحتية فيها^(٢).

وأصبح العالم يدرك الفوائد الاقتصادية للمهرجانات، الأمر الذي أشعل حدة المنافسة بين الدول، ما جعلها تلجأ إلى التحديث والتطوير المستمر والمتواصل لفعاليات وبرامج مهرجاناتها بهدف جذب واستقطاب أكبر عدد من الزائرين والمستثمرين من مختلف الدول^(٣).



(١) بظاظو، إبراهيم، المهرجانات ودورها في تنشيط السياحة في الأردن، جريدة الرأي الأردنية، ٢٠١٢/٧/١٥.

(٢) سيف، رجاء، سياحة المهرجانات تسهم بتحريك عجلة التنمية الاقتصادية، جريدة الغد الأردنية، متاح على موقع: <http://alghad.com/articles/522654>

(٣) الشهبان، نوفل قاسم علي، تقدير دور السياحة العربية في التنمية الاقتصادية والبشرية، دراسة مقارنة على الصعيد العالمي، مركز الدراسات الإقليمية، (Sold Converter PDF)، دراسات إقليمية ٩ (٢٨)، ص: ١٤.

المبحث الرابع

السياحة العائلية وأثرها في صناعة السياحة

شهد قطاع الخدمات السياحية العالمي تطورا هائلا واهتماما كبيرا، حتى عدّ من القطاعات الاقتصادية الحيوية، ذات المساهمة الواضحة في زيادة الدخل القومي^(١). «فالسّياحة ليست مجرد مظاهر احتفالية وعروض ترفيهية، بل تتعدى ذلك إلى المجال التجاري والاقتصادي والثقافي والديني وغيرها من المجالات، بعد أن تحولت السّياحة إلى صناعة وتسويق وترويج وإقامة استثمارات كبيرة تستقطب رؤوس الأموال لتوظيفها في القطاع السّياحي»^(٢). فالسّياحة أحد أهم الصناعات السريعة والمتنامية في العالم، كما أنها تعدّ أحد أهم القطاعات التنافسية.

وتعدّ السّياحة بمفهومها الحديث واحداً من الركائز الأساسية للمجتمع المعاصر؛ وما ذلك إلا لما للسّياحة من آثار اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وتاريخية، وتنموية بالغة الأهمية. وقد حظيت السّياحة العائلية بأهمية بارزة ضمن منظومة الاهتمامات التنموية والحضارية في مختلف بلدان العالم.

(١) انظر: العريشي، حياة بنت محمد صديق، السّياحة في منطقة جيزان: مقوماتها وسبل تنميتها، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية (٢٠٠٧)، ص: ٢.
(٢) أبو حمد، مصطفى محمود حسين، دور الدراما في رسم الصورة الذهنية للمقصد السّياحي: دراسة مقارنة (مصر وتركيا)، مجلة كلية السّياحة والفنادق، جامعة الفيوم، المجلد، ٧، العدد، ٢، سبتمبر ٢٠١٣، ص: ١٥٠.

وانظر: محمود، ماجد عباس، وسائل الإعلام وتكنولوجيا الإتصال الحديثة وأثرها في صناعة السّياحة، مقال بتاريخ: ٢٢ / ٣ / ٢٠١٢ متاح على موقع:

http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=25644

المطلب الأول: السياحة العائلية والارتقاء بالمستوى الأسري والاجتماعي:

تعد السياحة العائلية واحدةً من الظواهر الاجتماعية التي حظيت باهتمام العديد من العلماء في شتى المجالات العلمية والمعرفية؛ الأمر الذي ترتب عليه تعدد مفاهيمها عند كثير منهم؛ فمنهم من نظر إليها من منظور اجتماعي، ومنهم من نظر إليها من منظور اقتصادي، ومنهم من نظر إليها من منظور ثقافي، ومنهم من نظر إليها من منظور بيئي، في حين اهتم فريق آخر بدراسة السياحة من منظور تربوي، وما ذلك إلا لما تحظى به السياحة من عناية واهتمام عند مختلف الفئات الاجتماعية، إضافةً إلى كونها أحد الأنشطة الحيوية المعاصرة التي لها أهمية كبيرة وتأثيرات متنوعة في مختلف مجالات الحياة.^(١)

وفي ظل النمو السياحي المتزايد والتطور الاجتماعي، بدأت الهيئات والمنظمات السياحية تهتم بهذا النوع الجديد من أنواع السياحة وهي السياحة العائلية، يكون الباعث الأساسي عليها الارتقاء بالمستوى الأسري والاجتماعي للسائح، من خلال الإلتقاء بالعائلات والأسر، وزيارة المواقع والأماكن والمعالم التاريخية والدينية والتربوية والتعليمية والأثرية والحديثة، والتعرف على المظاهر والسلوكيات المتميزة لدى شعوب الدول الأخرى، وحضور بعض الفعاليات الترفيهية الهادفة

(١) أبو عرّاد، صالح بن علي، السياحة الداخلية في المملكة العربية السعودية، (واقعها، أبعادها التربوية الرئيسة، ودور بعض المؤسسات التربوية في تنمية الوعي السياحي)، بحث علمي مقدم لندوة (السياحة في المملكة العربية السعودية: المقومات والإمكانات)، المنعقدة بكلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض، في الفترة من (١٤-١٧ ربيع الأول، ١٤٢٥هـ، الموافق ٣-٦/٥/٢٠٠٤م)، ص: ١٣.

والثقافية، مثل: المعارض العلمية، والمهرجانات، ويسمى هذا النوع من السياحة بالسياحة العائلية^(١).

وأصبح قطاع السياحة العائلية خياراً مثالياً ومطلباً مهماً لشريحة لا بأس بها من العائلات المحافظة التي تفضل زيارة الأماكن التي تعتبر مناسبة لهم ولعائلاتهم، نظراً للإلتزامهم الديني والأخلاقي، حيث يبحث أولئك عن الوجهات التي لها طابع إسلامي وسياحي في الوقت نفسه، مثل المساجد القديمة والمباني التراثية الإسلامية والقلاع التي لها طابع تاريخي إسلامي وغيرها، إضافة إلى المرافق السياحية ذات التوجهات الإسلامية والثقافية والتراثية، وغالباً ما يتم تقديم برامج خاصة لهم يلبي كل مطالبهم، وتفادي أي مظاهر أو سلوكيات قد تتعارض مع هذه الثقافة^(٢).

ويشهد مفهوم التجربة السياحية الملائمة للعائلة تطوراً ملحوظاً على عدة مستويات ضمن قطاع السياحة، فبالنسبة للبعض يتمثل ذلك في التركيز على الأنشطة المناسبة للأطفال ضمن تجربة العائلة الأشمل. وينظر إليها آخرون على أنها التجربة التي تراعي الجانب الديني والعرقى والاجتماعي لدى السائح. وفي سياق السياحة الإسلامية يجب أن تتواءم السياحة العائلية مع مفهوم الانضباط والذي لا يقتصر على المأكولات والمشروبات بل يمتد ليشمل الأزياء المحافظة والاختلاط بين الجنسين وغيرها من الأصول والقواعد^(٣).

(١) انظر: القميري، حمد بن عبد الله، أفياء تربوية، السياحة التربوية، تاريخ ٢٣/٩/٢٠١١، متاح

على موقع: <http://www.osarya.com/index.php/articles>

(٢) صحيفة الوطن، متاح على موقع: <http://www.al-watan.com/news-details/id/3728>

(٣) العور، عبد الله، في مقال لـ CNN، متاح على موقع:

<https://arabic.cnn.com/business/201503/05//opinion-islamic-tourism>

والرحلات السياحية العائلية، من أكثر الرحلات متعةً وقرباً من النفس؛ لأنها مع تعدد الأنماط، لكن مفهومها واحد. فالعائلة هي الأفراد الذين ينتمون إلى نفس الكيان في إطار من الاهتمام والولاء والحب، والذين على الأغلب يشتركون بالميول، والذكريات، ويتفاهمون فيما بينهم بشكلٍ كبير. فالرحلات العائلية تقوي الصلة بين أفراد العائلة، وتزيد الترابط والمحبة والتآلف بينهم، وتدفع الأبناء للتعليم الذاتي، واكتشاف الكثير من الأمور، التي يشاهدونها ويستتجونها في الرحلة، من خلال الأماكن التي يزورونها، فتوسع مداركهم، وتقوي ثقتهم بنفسم، وتبث روح المسؤولية والفرح، وإدخال السرور والغبطة في نفوس الأبناء، وتكسر الروتين، والملل، وتنمي الثقة بالنفس عند الأبناء، وتقوي روح المسؤولية لديهم واكتساب الكثير من المهارات^(١).

إن هذه الرحلات تساعد العائلة بأفراده رؤية أماكن جديدة، والإحتكاك بأشخاص كثيرين وتنمية روح التعاون، وحبّ العمل، والإيثار بين أفراد العائلة الواحدة، وتحفيزهم على مساندة بعضهم البعض. وتساعد على اكتشاف صفات جديدة في أبناء العائلة الواحدة، وتقويم الصفات غير المحببة منها، وتنمية وتعزيز الصفات الحميدة، والتشجيع عليها^(٢).

(١) البدوي، سيف اليزل برعي، مقالات متنوعة عن الأسرة والمجتمع، متاح على الموقع: <http://sudaneseonline.com> البوريني، عاتكة، الرحلات العائلية لها فوائد كثيرة ماهي، متاح على الموقع: <http://mawdoo3.com>

(٢) حسام عطية، جريدة الدستور الأردنية، الخميس ١٣ تموز / يوليو ٢٠١٧. البوريني، عاتكة، المنتدى الإسلامي العالمي للتربية <http://mawdoo3.com>. متاح على: <http://montdatarbawy.com/show/122639>

وتهدف السياحة العائلية إلى مجموعة من الأهداف السامية، تتمثل في اكتساب أو إكساب الفرد معرفة علمية أصيلة واسعة، وتنمية مهارات تربوية فاعلة، وبناء اتجاهات نحو القيم المثلى من قنوات مختلفة، مثل: زيارة المكتبات العامة، وحضور المحاضرات والندوات الثقافية العامة، والأمسيات الشعرية، والمسابقات الثقافية المفيدة والمتنوعة، والمشاركة في الدورات التدريبية العلمية والثقافية في شتى مجالات المعرفة، وزيارة معارض الكتب وحضور ما يتخللها من ملتقيات ثقافية.

إن الكثير من المواطنين يمضون أغلب شهور العام في العمل، ولذلك فإنهم يبحثون عن رحلة سياحية ممتعة في عطلاتهم السنوية لكي يقضون بها أوقاتاً رائعة تخلصهم من الاجهاد والتعب والضغط الناتج عن أعباء العمل والحياة، وعند اختيار وجهات السفر خلال العطلات فإن المسافر يبحث عن أماكن مريحة وبها أنشطة ممتعة لأطفاله حتى يستمتع أفراد أسرته بنزهات عائلية رائعة.

ولذلك «فإن السياحة العائلية تعد من أكثر القطاعات حيوية في صناعة السياحة على الصعيد العالمي، وهي عنصر رئيسي في حركة نمو الاقتصاد الإسلامي. فإن المسافرين المسلمين يمثلون جزءاً كبيراً من حركة السياحة العالمية، حيث أصبح تلبية متطلبات العائلات وإعادة تعريف المجالات الأساسية للأنشطة السياحية من أهم عوامل نمو صناعة السياحة»^(١).

(١) حمد بوعميم، مدير عام غرفة دبي، متاح على الموقع:

http://www.dubaichamber.com/ar/whats-happening/chamber_news

وانظر: صحيفة القدس العربي، تاريخ: ٠١/٠٧/٢٠١٠، متاح على الموقع:

<http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=online\data\2010-06-11-29>

وينقسم السياح الباحثون عن قضاء إجازة والترفيه، إلى شرائح متعددة. فحتى أولئك الذين لا يهتمون بالجانب المحافظ للسياحة ليسوا بالضرورة يمارسون نقيضها. فهؤلاء أيضاً ينقسمون إلى شرائح. بعضهم يبحث عن التاريخ والآثار والثقافة، والبعض الآخر عن مناطق هادئة بعيدة عن الضوضاء، كالريف والمناطق الجبلية، وغيرهم يبحثون عن الطبيعة المجردة، وهناك من يبحث عن المغامرات في الأدغال، ومتابعة حياة الحيوانات المفترسة، والصيد وغير ذلك^(١).

وتسعى العائلات خلال أوقات العطل والراحة إلى البحث عن وجهة سياحية جذابة، تساعد أفرادها على استعادة نشاطهم من خلال ممارسة الأنشطة المحببة على قلوبهم، والتمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة والمدن السياحية للاستجمام، والحصول على الراحة وتجديد النشاط، والاستمتاع بمنتجات الأسر المحلية، التي تقدم من خلالها أبرز منتجاتها كحرفة الخرازة، والنسيج، وصناعة الحلوى، والأكلات الشعبية المتنوعة، والمتاحف والمعارض، بالإضافة إلى تنوع البرامج المقدمة به، التي تضم مشاركات دينية واجتماعية وثقافية وصحية ونسائية ورياضية ومهرجانا للتسوق.

المطلب الثاني: عوامل نمو ونجاح قطاع السياحة العائلية:

إن الاهتمام بالسياحة العائلية يتطلب تطوير البنية التحتية والسياحية المتطورة، تتمثل في تطوير المرافق السياحية المختلفة التي تلبي متطلبات أفراد العائلة إلى جانب

(١) جريدة الاقتصادية، متاح على الموقع:

http://www.aleqt.com/article_841851.html/172014/2014/

الارتقاء بمستوى الخدمات في القطاع الفندقى والنقل المريح، فضلاً عن إقامة الفعاليات والمهرجانات والمعارض التي تستقطب اهتمام السائح^(١).

ومن المعلوم أن الدول تتفاوت من حيث قدرتها على اجتذاب السياح، فبعض الدول تفتقر إلى أدنى عوامل النهضة السياحية، في حين تفتقر دول أخرى إلى عامل الأمن على الرغم من احتوائها على العديد من المقومات السياحية الهامة، أما القسم الثالث فقد استطاع توظيف السياحة من أجل النهضة العمران، مما جعلها تعتبر وجهات سياحية مفضلة لدى العديد من العائلات^(٢).

وباختصار، هناك العديد من العوامل التي قد تساهم في استدامة واستمرارية النمو ونجاح القطاع السياحي العائلي منها^(٣):

١- تطوير بنية تحتية متطورة ومرافق تلبية متطلبات القطاع السياحي، إلى جانب الارتقاء بمستوى الخدمات في القطاع الفندقى والنقل المريح، فضلاً عن إقامة الفعاليات والمهرجانات التي كان لها دور واضح في استقطاب السياح من شتى أنحاء العالم.

(١) انظر: السيفو، فريد إسماعيل أمين، شاكر، صالح مؤيد، الأهمية الإستراتيجية لقطاع النقل وآثاره في رفع وتطوير مناطق الجذب السياحي في سوريا: دراسة اقتصادية إحصائية، دراسات إقليمية، المجلد ٦، العدد ١٥، تموز ٢٠٠٩، ص: ١٣٥-١٣٧.

(٢) توفيق، ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع (٢٠٠٨)، ص: ٩٣.

(٣) انظر: سياسة التنوع تحصن سياحة دبي أمام الهزات الاقتصادية، تاريخ النشر: ٠٥ فبراير ٢٠١٧، صحيفة البيان الإماراتية، القسم الاقتصادي: متاح على: <http://www.albayan.ae/1.2847814-05-02-economy/tourism/2017>. وانظر: السيفو، فريد إسماعيل أمين، شاكر، صالح مؤيد، الأهمية الإستراتيجية لقطاع النقل وآثاره في رفع وتطوير مناطق الجذب السياحي في سوريا (مرجع سابق)، ص: ١٣٥-١٣٧.

٢- الاعتماد على التنوع في الاعتماد على الأسواق السياحية حول العالم في تغذية المرافق السياحية والفنادق وعدم الإرتهان إلى سوق محددة، فلا بد من اختراق أسواق سياحية جديدة. الأمر الذي يتطلب إستراتيجية تسويقية جديدة تقوم على زيادة التركيز على أسواق بديلة سعيها الدائم لإضافة المزيد من المشروعات ونقاط الجذب السياحي، الأمر الذي يزيد من تنوع المنتج السياحي على مدار العام.

٣- مواصلة نمو وتوسع الناقلات الوطنية من حيث عدد الوجهات ووصولها إلى أسواق جديدة والذي يساعد على اكتشاف أسواق سياحية لم تكن معروفة من قبل.

٤- ابتكار تنوع المنتج السياحي الذي يتناسب مع متطلبات السياحة العائلية و سياحة الترفيه و سياحة الأعمال و سياحة الحوافز و المؤتمرات و المعارض و سياحة المهرجانات. بالإضافة إلى توفير المنتج الخاص كالسياحة العلاجية والرياضية و السياحة البحرية والذي يساهم في استقطاب شرائح سياحية جديدة و يتناسب مع مختلف الشرائح السياحية بما فيها الأطفال و العائلات و رجال الأعمال، كوجود أنماط سياحية لم تكن معروفة من قبل والتي باتت تساهم في تعزيز النمو السياحي، والعمل على تحقيق نسب نمو جيدة من خلال تنوع المنتج السياحي الذي تقدمه^(١).

٥- اعتماد سياسة المرونة سواء فيما يتعلق بالخيارات الفندقية أو على صعيد شركات الطيران أو حتى توزيع الجهود التسويقية في مختلف الأسواق، حتى يكون

(١) انظر: توفيق، ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٨)، ص: ٢٢. عبد القادر، مصطفى، دور الإعلان في التسويق السياحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (٢٠٠٣)، ص: ٥٧.

بإمكان السائح الاختيار بين أكثر من شركة طيران في ظل تعدد الخيارات الموجودة بين شركات الطيران التجاري والاقتصادي، كما وبات بإمكان السائح الاختيار بين الفئة الفندقية التي يريدتها في ظل تعدد الخيارات بين الفاخر والمتوسط بالإضافة إلى أنه أصبح بالإمكان الاختيار بين الوجهات الترفيهية أو الأعمال أو العائلية وغيرها^(١).

٦- اعتماد إستراتيجية تسويقية جديدة تقوم على زيادة التركيز على أسواق بديلة وابتكار برامج سياحية بأسعار تنافسية من أجل المحافظة على استمرارية التدفق السياحي وخاصة قطاع العائلات.

الثالث: دور السياحة العائلية في تحقيق التنمية الاقتصادية:

تمثل السياحة على العموم، أهم ظاهرة اقتصادية واجتماعية في عالم اليوم، وتحتل صناعة السياحة كقطاع إنتاجي موقعا مهما في اقتصاديات العديد من الدول المتقدمة والنامية. كما يعتبر قطاع السياحة أسرع القطاعات الاقتصادية من حيث النمو المطرد^(٢). ومن جهة أخرى، فإن للسياحة تأثير كبير في الاقتصاد، فالسياحة نشاط متعدد الجوانب وأهم هذه الجوانب الجانب الاقتصادي، فالسياحة تعمل على إشباع رغبات الإنسان من خلال استغلال الموارد الطبيعية المتاحة، وتعمل

(١) نشر صحيفة البيان الإماراتية، سياسة التنوع تحضن سياحة دبي أمام الهزات الاقتصادية، تاريخ ٠٥ فبراير ٢٠١٧.

(٢) السجيني، إسماعيل إبراهيم، الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية، بحث الهيئة العليا للسياحة، البرنامج الاقتصادي، مقدم لندوة: الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة، ١٩-٢١/٦/٢٠١١م، ص: ١.

على مزج عناصر الإنتاج لكي تحولها إلى خدمات سياحية (المنتج السياحي) المفيد للاستهلاك البشري^(١).

ويستحوذ المسلمون على أهمية متزايدة في القطاع السياحي العالمي الذي يشهد تحولات كبيرة وملموسة منذ سنوات، في الوقت الذي يتكرس فيه مفهوم «السياحة العائلية» على المستوى العالمي حتى بات يستحوذ على نسبة مهمة من الحركة السياحية في العالم^(٢).

ويمثل التزايد القوي والمستدام للنشاط السياحي خلال العقود القليلة الماضية أحد أهم الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وقتنا الحاضر. وقد بدأت السياحة مؤخرًا تحتل مكانًا بارزًا في العديد من إستراتيجيات التنمية المستدامة للبلدان النامية وتندرج ضمن بنود جدول اعمال الكثير من المؤتمرات الدولية بشأن التنمية المستدامة^(٣).

وتعد السياحة المناسبة لعائلات المسلمين المعروفة أيضًا بالسياحة الحلال، مفهوم راسخ في مجال السياحة، وهو قطاع سريع النمو، ذلك لأن المزيد من المسلمين في

(١) مباركة، مساوي، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر (٢٠١١-٢٠١٢)، ص: ١١٧.

(٢) جريدة الوطن البحرينية، تاريخ: الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٢٠١٧، متاح على: <http://alwatannews.net/article/741640/Business>. جريدة الأنباء الكويتية، تاريخ: ١١/١١/٢٠١٧. متاح على

الموقع: <http://www.alanba.com.kw/ar/economy-news>

(٣) دبور، نبيل، مشاكل وآفاق التنمية السياحية المسندة في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي مع إشارة خاصة إلى السياحة البيئية، مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ٢٠٠٤، ص: ١. وانظر: الأنصاري، رؤوف محمد علي، أثر السياحة على الاقتصاد الوطني والجانب الإنساني، شبكة النبا المعلوماتية، متاح على الموقع: <https://annabaa.org/arabic/development/2760>

جميع أنحاء العالم الآن يعلمون جيداً المميزات والتسهيلات التي يوفرها هذا القطاع، وتتنافس الدول بإنشاء وتطوير المزيد من العقارات والخدمات في هذا القطاع.

وتطمح العائلات في منتجعات وفنادق تُقدّم الأطفمة الحلال وتبوع سياسة منع المشروبات الكحولية إما في المنتجع أو الفندق بأكمله أو على الأقل في بعض المناطق به، وكذلك مسابح خاصة منفصلة للسيدات، وكذلك النوادي الصحية ومرافق الاستجمام والصحة المنفصلة للسيدات. كما تطمح كذلك أن يتضمن مناطق شاطئية خاصة للسيدات فقط، والبعض به مناطق شاطئية مختلطة للعائلات. كما أن يوجد هناك أيضاً مرافق للصلاة. وتحتوي هذه المنتجعات على مرافق وبرامج ترفيه مناسبة للعائلات^(١).

ومن هنا، تسعى العائلات العربية والمسلمة إلى اختيار الأماكن المناسبة لقضاء إجازاتها الصيفيّة، في أماكن تُحقّق لها المتعة والراحة والتسلية، من دون الخروج عن التقاليد والعادات التي تلتزم بها.

ومن أجل شركات مبتكرة بخصوص قطاع السياحة العائلية جاء انعقاد منتدى الاقتصاد الإسلامي العالمي في دورته العاشرة بدبي بحضور ٢٥٠٠ مشارك من ١٤٠ دولة واعتماده شعار: «شركات مبتكرة لمستقبل اقتصادي واعد» لبناء شركات مبتكرة تحاكي الركائز السبعة لإستراتيجية دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي التي أطلقت في عام ٢٠١٣ ومنها السياحة العائلية^(٢).

(١) <https://www.sara-trk.net/ar/22421>. وانظر: <https://plus.google.com>

(٢) عبدربه، رائد محمد، سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ونهضة إمارة دبي، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ (٢٠١٧)، ص: ١٠٩-١١٠.

ولذلك فـ «ليس بمستغرب إذاً أن تكون السياحة العائلية إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها إستراتيجية مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي الهادفة لتحقيق رؤية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي بأن تكون دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي. ومن المنطقي لدبي ولدولة الإمارات بشكل عام العمل على توفير خيارات الإقامة والترفيه المناسبة للعائلات والتي ترضي ذائقة الزوار المسلمين وغير المسلمين الذين يرغبون في الحصول على تجربة عائلية مميزة»^(١).

المطلب الرابع: آثار وأهمية السياحة العائلية في التنمية الاقتصادية:

مما يلاحظ أن عمل قطاع السياحة يرتبط بعدد من القطاعات الإنتاجية الأخرى، كالزراعة والصناعة والبنوك والمصارف، ومن ثم فمن المتوقع أنه كلما ازدادت عمليات النشاط السياحي وتنوعت زاد تبعاً له الحركة الإنتاجية في القطاعات الاقتصادية ذات العلاقة، وكل ما سبق يؤدي إلى ارتفاع مستويات الدخل الفردية ومستويات المعيشة، ومن ثم ارتفاع القيمة المضافة للنشاط السياحي، وازدياد قيمة إجمالي الناتج المحلي للدولة تبعاً لهذه الزيادة^(٢).

والسياحة العائلية يقصد بها السياحة التي تستهدف الأسر المحافظة، وهي تسمى أيضاً السياحة المحافظة أو السياحة الحلال، وهي جزء من منظومة

(١) العور، عبد الله محمد، مقال متاح في:

<https://arabic.cnn.com/business/201503/05//opinion-islamic-tourism>

(٢) بلال، عبدة بنت خميس، التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٤-٢٠١٠م، مجلة جامعة طيبة، للأداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة، العدد ٨، ١٤٣٧، ص: ٨٠٠.

الاقتصاد الإسلامي التطبيقية التي بدأت تحظى باهتمام كبير على مستوى الدول الإسلامية^(١).

إن الآثار المحتملة من السياحة على العموم ومن ضمنها السياحة العائلية تتطلب أن تتوجه نحو تنوع قاعدة الاقتصاد الوطني وزيادة مساهمة القطاع الأهلي في النشاط الاقتصادي، إضافة إلى تنمية مختلف القطاعات الاقتصادية وزيادة فرص التوظيف وتخفيض العجز في حساب الخدمات^(٢).

أ- آثار السياحة العائلية في التنمية الاقتصادية: إن لقطاع السياحة تأثيراً كبيراً على كافة قطاعات الاقتصاد الوطني الأخرى، حيث تتم الاستفادة منه مباشرة وينعكس هذا التأثير على الهيكل الاقتصادي والتكوين الاجتماعي والبيئي.

ومما لا شك فيه أن للسياحة دور مهم وفعال في اقتصاد الدول، بل هناك العديد من الدول يعتمد اقتصادها كاملاً على السياحة، لذلك تكون عملية تفعيل هذا الدور مهمة جداً لما له من آثار مباشرة على موارد الدول النامية^(٣).

يعد قطاع السياحة على العموم والسياحة العائلية على الخصوص عاملاً مهماً للنمو الاقتصادي بالنسبة للدول التي تتصف بحركة سياحية فعالة، ذلك لأن عملية انتقال أموال السائح (العملة الصعبة) إلى اقتصاد الدولة التي تستقبل السواح يعتبر

(١) الشلهوب، صلاح بن فهد، مشروع القدية .. والسياحة العائلية، صحيفة الاقتصادية، تاريخ ١٥ أبريل، ٢٠١٧. متاح على موقع:

article_1169986.html/15/04/http://www.aleqt.com/2017

(٢) انظر: عبد القادر، جودي، أهمية التسويق في تنمية القطاع السياحي بالجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر (٢٠٠٦)، ص: ٥٢.

(٣) إدريس، ثابت عبد الرحمن، بحوث التسويق (مرجع سابق)، ص: ١٢١.

دخلاً غير منظوراً. ولهذا ارتبطت السياحة بالتجارة الدولية واعتبرت صناعة مركبة من خلال علاقتها بالقطاعات الإنتاجية الأخرى. فإذا ازدادت مبالغ الدخل من السياحة ازدادت إمكانيات الدولة على استيراد السلع والخدمات وتساهم السياحة في عمليات التبادل التجاري وتحتاج الدول النامية إلى زيادة الاهتمام بالسياحة نظراً لكونها مصدراً مهماً لجلب العملات الصعبة وعاملاً من عوامل التنمية في البلد^(١).

ونستعرض فيما يلي الآثار الحقيقية الحالية والآثار المتوقعة لتنمية قطاع السياحة العائلية على المستويين الكلي والجزئي، بغرض تحقيق أهداف اقتصادية معينة^(٢).

١- الآثار الاقتصادية الكلية: تنوع مصادر الدخل، خفض العجز في ميزان الخدمات، التوظيف، زيادة موارد الدولة وتحسين وضع ميزانية الدولة وغيرها.

٢- الآثار الاقتصادية الجزئية: إنعاش الطلب من الخدمات التي يقدمها قطاع الفنادق والشقق المفروشة، وارتفاع الطلب على وسائل النقل والمواصلات وزيادة الطلب على المطاعم المختلفة وغيرها^(٣).

(١) توفيق، ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع (٢٠٠٨)، ص: ٩٣.
 (٢) انظر: الحمدان، سهيل، الإدارة الحديثة للمؤسسات السياحية والفندقية، دار الرضا للنشر، عمان (٢٠٠١)، ص: ٦١. وانظر: خربوطي، صلاح الدين، السياحة صناعة العصر، دار حازم للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق (٢٠٠٢)، ص: ٢٠٦.
 (٣) السجيني، إسما عيل إبراهيم، الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية، بحث الهيئة العليا للسياحة، البرنامج الاقتصادي، مقدم لندوة: الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة، ١٩-٢١/٦/٢٠٠١م، ص: ٢٢-٢٦. سعيدي، يحيى، العمراوي، سليم، مساهمة قطاع السياحة في تحقيق التنمية الاقتصادية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد ٣٦، سنة ٢٠١٣، ص: ٩٩ وما بعدها.

ب- أهمية السياحة العائلية في التنمية الاقتصادية:

لقد فرضت السياحة الحلال نفسها كنوع أصيل بالقطاع يستحق التفاعل معه من ناحية الدول السياحية بشكل عام. فهذه الصناعة تطورت مؤخرا وأصبحت غير قاصرة على المسلمين فقط، بل إن بعض غير المسلمين باتوا يفضلون هذا النوع^(١).

والمتمثل في الإحصاءات والأرقام الصادرة عن الهيئات والمؤسسات والدوائر السياحية العالمية والعربية والإسلامية، يدرك مدى الأهمية التي باتت تتمتع بها صناعة السياحة العائلية حيث تشير الإحصائيات والتقارير إلى التزايد الكبير الذي تلعبه السياحة العائلية في التنمية الاقتصادية بمفهومها الشامل، وهذا نظرا لمجموعة من المعطيات التي سنوضحها في النقاط التالية:

أ- تقرير شركة سلام ستاندرد أظهر أن إنفاق السياح من الدول الإسلامية أضاف نحو ١٣٨ مليار دولار للاقتصاد العالمي عام ٢٠١٥، أما مؤسسة تومسون رويترز، فاعتبرت أن قطاع السياحة الإسلامية، دون تلك المتعلقة بالحج والعمرة، مرشحة للنمو إلى ٢٣٣ مليار دولار عام ٢٠٢٠^(٢).

ب- كشفت شركة «يو غوف» للأبحاث ومقرها دبي نتائج أحدث دراسة أجرتها حول توجهات السياحة العائلية ومتطلباتها حيث أظهرت، حيث أعلن مدير البحوث وشؤون السفر والسياحة لمنطقة الشرق الأوسط في «يو غوف» نتائج

(١) طلب، أحمد، السياحة الحلال .. هكذا تتسع صناعة المليارات، متاح على موقع: <https://www.sasapost.com/halaltourism>

(٢) سعيدي، يحيى، العمراوي، سليم، مساهمة قطاع السياحة في تحقيق التنمية الاقتصادية، مرجع السابق، ص: ٩٩.

الدراسة، التي أجريت برعاية المكسيك، كجزء من ندوة حوارية ضمن فعاليات اليوم الأول لمعرض سوق السفر العربي ٢٠١٥ والتي عقدت تحت عنوان «اتجاهات السياحة العائلية على مستوى العالم وكيفية الاستفادة منها اقتصاديا في منطقة الشرق الأوسط».

وذكر في النتائج أنه: «ركزت الدراسة على العديد من النواحي الخاصة بالسياحة العائلية بما في ذلك السلوكيات والأمور التي تفضلها العائلات وكيف تتغير عندما يكون السفر بصحبة الأطفال ومن مختلف الأعمار، حيث جاء كمحور انطلاق جيد للمناقشة». وبينت تلك الدراسة أن السفر لزيارة الأهل والأصدقاء تصدرت أسباب السفر العائلي بنسبة ٢٩ في المائة، في حين جاء السفر لتمضية إجازة العيد في المرتبة الثانية بنسبة ١٧ في المائة ثم التسوق بنسبة ١٥ في المائة والاستمتاع بالطبيعة بنسبة ١٤ في المائة وزيارة المدن بنسبة ١١ في المائة والجولات السياحية بنسبة ٩ في المائة والسياحة الدينية بنسبة ٩ في المائة^(١).

ج- حسب تحليل أعدته غرفة تجارة وصناعة دبي عن نمو متزايد يشهده قطاع السياحة العائلية مما عزز من مكانتها كعامل محوري في نمو الاقتصاد الإسلامي، حيث أظهر التحليل، المعتمد على بيانات شركة طومسون رويترز أن:

١- السياحة العائلية تمثل ١٢,٥٪ من سوق السياحة العالمي بقيمة إجمالية وصلت إلى ١,٠٧ تريليون دولار أمريكي في عام ٢٠١٢. ووصف التحليل حجم

(١) صحيفة البيان، دبي، ٠٥ مايو ٢٠١٥، وانظر: البلاد البحرينية، الثلاثاء ٠٥ مايو ٢٠١٥. ٧١٨٤ العدد ٢٠١٥/٠٥/٠٥.

وإمكانات سوق السياحة العائلية بأنها أكبر من سوق الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يعتبر أهم سوق في السياحة التقليدية، بنسبة استحواذ ٤, ١١٪ فقط من حجم السوق العالمية^(١)

٢- يبين التقرير نقلاً عن الدراسات الحديثة المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي إن السياحة العائلية حققت نمواً في قيمتها من ١٣٧ مليار دولار أمريكي خلال ٢٠١٢ إلى ١٤٠ مليار دولار أمريكي في ٢٠١٣. ومن المتوقع أن ترتفع القيمة إلى ١٨١ مليار دولار بحلول ٢٠١٨. مدفوعة بالنمو السكاني في العالم الإسلامي والأداء الاقتصادي القوي. ويتوقع خبراء صناعة القطاع أن تحقق السياحة العائلية نمواً سنوياً قويا يقدر بـ ٧٩, ٤٪ حتى عام ٢٠٢٠، وبمعدل أعلى من نسبة النمو العالمية التي تقدر بـ ٨, ٣٪، مما يعكس الأهمية المتنامية للاقتصاد الإسلامي.

د- كشفت دراسة حديثة أن عدد السياح المسلمين بلغ ١١٧ مليون سائح عام ٢٠١٥، أي ما يمثل ١٠٪ من اقتصاد السياحة بالكامل. ومن المتوقع نمو عدد السياح المسلمين ليصل إلى ١٦٨ مليوناً بحلول عام ٢٠٢٠، مما يشكل ١١٪ من هذه السوق، بقيمة سوقية من المتوقع أن تتجاوز ٢٠٠ مليار دولار^(٢).

(١) موقع غرفة دبي، http://www.dubaichamber.com/ar/whats-happening/chamber_news. جريدة البيان الإماراتية، البيان الإماراتية، تاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠١٤، متاح على: <http://www.albayan.ae/economy/islami/news/2014-08-20-1.2185855>. وانظر: مقلد، أسامة، السياحة العائلية تعزز مكانتها كإحدى ركائز نمو الاقتصاد الإسلامي، جريدة النهار، العدد ٢٢٤٢، تاريخ ٢٨ أغسطس ٢٠١٤.

(٢) صحيفة «أرقام»، تاريخ ١٧/١٢/٢٠١٦، متاح على: <https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/45962>

هـ- توقع تقرير صادر عن شركة «ماستر كارد» العالمية بالتعاون مع موقع «حلال تريب» المتخصص بالسياحة والسفر، أن يصل الإنفاق السنوي على السياحة العائلية الحلال نحو ١٠٠ مليار دولار سنوياً بحلول العام ٢٠٢٥، وهو ضعف إنفاقهم تقريباً خلال العام الماضي، أي أن إنفاق الشبان المسلمون على السياحة سيتضاعف خلال أقل من ١٠ سنوات فقط^(١).

المطلب الخامس: المبادرات التطويرية لقطاع السياحة العائلية:

المبادرة الأولى: العمل على مبادرة تصنيف عالمي خاص للفنادق العائلية:

تشكل هذه المبادرة التي تتولى إدارتها دائرة دبي للسياحة والتسويق التجاري فرصة لتحسين القدرة التنافسية لفنادق دبي في مجال السياحة العائلية من خلال إطلاق تصنيف عالمي للفنادق التي تقدم خدمات تشجع السياحة العائلية وفقاً لقانون تصنيف الفنادق (القانون رقم ١٧ لعام ٢٠١٣) بحيث يكون مشابهاً للنظام العالمي لتصنيف الفنادق. وتهدف هذه المبادرة إلى تحقيق رؤية دبي في جذب ٢٠ مليون زائر بحلول عام ٢٠٢٠ إضافة إلى تكريسها وجهة مفضلة للعائلات على مستوى العالم^(٢).

(١) صحيفة الوطن البحرينية، تاريخ: الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٢٠١٧. متاح على الموقع: <http://alwatannews.net/article/741640/Business>

وانظر: صحيفة الأنباء الكويتية، تاريخ الأربعاء ٢٠١٧ / ١١ / ١، متاح على موقع: <http://www.alanba.com.kw/ar/economy-news/787071>

(٢) مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، متاح على موقع: http://www.iedcdubai.ae/initiatives/other_initiatives/28

المبادرة الثانية: قسم للسياحة العائلية في معرض السفر العربي:

تشكل هذه المبادرة جزءاً مكماً لجهود دائرة دبي للسياحة والتسويق التجاري في تطوير قطاع السياحة العائلية وتكريس دبي كوجهة للسياحة العائلية، وذلك من خلال تخصيص قسم للسياحة العائلية داخل معرض سوق السفر العربي الذي يتم تنظيمه سنوياً وقد جذب المعرض في عامه الثالث، أكثر من ٦٣,٠٠٠ زائر وأكثر من ٢,٨٠٠ عارض خلال فترة إقامته الممتدة لأربعة أيام، وهو يُعدّ الفعالية الأولى لصناعة السفر في المنطقة^(١).

المبادرة الثالثة: جذب الاستثمار الأجنبي والمحلي إلى السياحة العائلية:

في إطار جهودها لدعم مبادرة عاصمة الاقتصاد الإسلامي، تعمل دائرة دبي للسياحة والتسويق التجاري بالتعاون مع مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي على بحث وتطوير خطة جذب الاستثمار الأجنبي والمحلي المباشر إلى قطاع السياحة العائلية التي تستهدف القطاع الخاص، وتحديد أهداف الإقامة الحلال في دبي وفقاً لذلك^(٢).



(١) مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، متاح على موقع: http://www.iedcdubai.ae/initiatives/other_initiatives/27. صحيفة الاتحاد الإماراتية تاريخ النشر: الأربعاء ٠١ فبراير ٢٠١٧، متاح على موقع: <http://www.alittihad.ae/details.php?id=6455&y=2017&article=full>

(٢) مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، متاح على موقع: http://www.iedcdubai.ae/initiatives/other_initiatives/27. صحيفة الاتحاد الإماراتية تاريخ النشر: الأربعاء ٠١ فبراير ٢٠١٧، متاح على موقع: <http://www.alittihad.ae/details.php?id=6455&y=2017&article=full>

الخاتمة

أصبحت السياحة Tourism بمعظم المقاييس أكبر الصناعات في العالم. ولم تعد السياحة قطاعا بالغ الأهمية لتأثيرها البارز اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا فحسب، بل لكونها أيضا صناعة متسارعة النمو، حيث إنه من المتوقع تضاعف حجمها خلال العقد القادم، فضلا عن آثارها على الحياة الاجتماعية والثقافية والبيئية، فإن آثارها الاقتصادية هائلة.

وصناعة السياحة تشمل كافة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي تتعلق بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بتقديم الخدمات للسياح، وهي تتضمن أكثر من ١٨٥ فرعا من النشاطات الاقتصادية التي ترتبط بشكل وثيق بالسياحة، وتندرج ضمن التصنيف الموحد للنشاطات السياحية لمنظمة السياحة العالمية. ومن بين تلك النشاطات الخدمات التي تقدمها القطاعات التالية: النقل، الفنادق، دور الإيواء، مؤسسات تقديم الأطعمة والمشروبات، المؤسسات الثقافية والترفيهية، المصارف والمؤسسات المالية، مؤسسات الدعاية والتشجيع.

ويشكل الجانب الاقتصادي للسياحة أحد الجوانب الأكثر أهمية في الاستثمار في قطاعات الدولة، حتى أضحت السياحة أحد المكونات الأساسية لهياكل الإنتاج بالدولة، وبسبب العوائد والجدوى الاقتصادية اندفعت العديد من الدول نحو الاهتمام بهذا القطاع حتى إن بعضها أصبح ينظر للسياحة بأنها العمود الفقري لاقتصاد الدولة.

وتلعب المهرجانات دوراً هاماً في عملية التسويق السياحي، فهي تعد من الأنشطة الترويجية الهامة في تفعيل الحركة السياحية في المناطق التي تنفذ فيها تلك الأنشطة، سواء على صعيد استقطاب السياح من الخارج أو في تنمية السياحة المحلية والداخلية. كما تسهم المهرجانات بما فيها من التنوع والفعاليات، وما تشمله من مختلف النشاطات الاقتصادية والفلكلورية والثقافية والفنية والحفلات الهادفة، ومهرجانات الطفولة في خلق الأجواء التي تناسب العائلة بكل ما تطلبه وتحتاجه، وهي بحد ذاتها ظاهرة مهمة تسهم في تحقيق غايات ترويجية مهمة للسياحة.

تعتبر سياحة المهرجانات من أهم وأحدث وسائل الجذب السياحي العائلي، سواء كان مهرجانات رياضية أو ترفيهية أو فنية، وإن هذا النمط السياحي لهذه المهرجانات السياحية هو أحد عوامل التنشيط السياحي الهام الذي يهدف إلى الترويج والتسويق للمواقع الأثرية والسياحية والتعريف بها وإشراك أبناء المجتمع المحلي بها حيث تعود عليهم بالنفع والفائدة من خلال عرض منتوجهم والتعريف بتراثهم وتقاليدهم وعاداتهم.

وتحتل سياحة المهرجانات مكانة خاصة في الأجندة الاجتماعية لكثير من الأسر والعائلات والمواطنين، وأصبحت المهرجانات تحدد مدنا ومواقع يقصدها السائح للحضور والمشاركة في هذه المهرجانات والتمتع ببرامجها وفعاليتها الجاذبة. وجذبت هذه المهرجانات العديد من السائحين سواء بغرض المشاركة في فعاليات تلك المهرجانات وأنشطتها أو لمجرد الحضور والمشاهدة والاستماع بما يقدم فيها.

إن سياحة المهرجانات تعتبر نشاطا اقتصاديا واجتماعيا ضروريا لتنمية مجتمعاتنا المحلية، ناهيك عن دورها في تعزيز الوطنية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وتكوين الفرص الوظيفية، بالإضافة إلى مساهمتها في الأمن الداخلي، ورفع الاستثمار في المنشآت الاقتصادية والسياحية في المنطقة، بالإضافة إلى تطوير البنية التحتية فيها. والمتأمل في الإحصاءات والأرقام الصادرة عن الهيئات والمؤسسات والدوائر السياحية العالمية والعربية والإسلامية، يدرك مدى الأهمية التي باتت تتمتع بها صناعة السياحة العائلية حيث تشير الإحصائيات والتقارير إلى التزايد الكبير الذي تلعبه السياحة العائلية في التنمية الاقتصادية بمفهومها الشامل.

التوصيات:

- ١- العمل على وضع خطة استثمارية واضحة في مجال السياحة العائلية يمكن من خلالها تطوير العرض السياحي كما وكيفا.
- ٢- إقامة الفعاليات والمهرجانات التي كان لها دور واضح في استقطاب السياحة العائلية من شتى أنحاء العالم.
- ٣- عرض المزيد من التجارب المحلية والدولية الناجحة في مجال الفعاليات لإثراء قطاع السياحة العائلية، وتطوير فعاليات ومنتجات سياحية، وتنوع هذه الفعاليات.
- ٤- تنظيم دورات تدريبية لجميع العاملين في تنظيم المهرجانات والفعاليات السياحية ومسئولي اللجان السياحية.

٥- أهمية التنسيق في مواعيد المهرجانات السياحية بين المناطق، وداخل كل منطقة بحيث لا يتزامن إطلاق أكثر من مهرجان في وقت واحد داخل المنطقة ذاتها لضمان أكبر استفادة ممكنة من الجذب السياحي والفوائد الاقتصادية للسياحة.

٦- أهمية التعاون بين الشركاء في القطاعات الحكومية والخاصة، وانعكاسها على تطوير هذا القطاع وعلى التنمية الاقتصادية.

٧- لكي تزداد القيمة المضافة لهذه الفعاليات وتتطور لا بد لها من رؤية ورسالة وأهداف وقيم تختلف باختلاف نوعية المهرجان والبرامج والمنتجات المقدمة فيه، كي يتم الابتعاد عن تكرار الأنشطة والبرامج. مع التأكيد على أن لكل مهرجان هوية تميزه عن غيره من المهرجانات الأخرى والمشابهة له .

٨- تكثيف العمل لاستقطاب السائح العربي والتوجه نحو السوق العربية وتفعيل السياحة العائلية العربية البينية.

٩- تطوير بنية تحتية متطورة ومرافق تلبي متطلبات السياحة العائلية، إلى جانب الارتقاء بمستوى الخدمات في القطاع الفندقية والنقل المريح.

١٠- ضرورة تكثيف الحملات التسويقية الهادفة لفتح أسواق جديدة حول العالم.

١١- تعزيز التنسيق بين مختلف الجهات المتخصصة، خصوصاً في قطاعي الطيران والسياحة، والعمل على توفير خطط إستراتيجية من شأنها زيادة دخل السياحة.

١٢- تقديم تسهيلات مثل الحجز الإلكتروني، وتصميم الباقات حسب الطلب، وتقديم العروض السياحية المخصصة لكل فصل وبأسعار تناسب كل وقت.



قائمة المصنّور

- إدريس، ثابت عبد الرحمن، بحوث التسويق، أساليب القياس والتحليل واختبار الفروض، الدار الجامعية، القاهرة (٢٠٠٥).
- إمام، إبراهيم، فن العلاقات العامة والإعلام، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٢ (١٩٨٠).
- الأمين، مرتضى البشير، وسائل الاتصال والترويج السياحي، أمواج للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٦).
- الأنصاري، رؤوف محمد علي، أثر السياحة على الاقتصاد الوطني والجانب الإنساني، شبكة النبا المعلوماتية، متاح على الموقع:
<https://annabaa.org/arabic/development/2760>
- الأنصاري، رؤوف محمد علي، السياحة والنقل، متاح على الموقع:
<http://www.sutuur.com/Inverstigations-ports>
- بخارى، عبلة، اقتصاديات السياحة، الفصل الأول، مقدمة في اقتصاديات السياحة، متاح على:
<http://www.kau.edu.sa/Files/0002132/Subjects/TE>
- البدوي، سيف اليزل برعي، مقالات متنوعة عن الأسرة والمجتمع، متاح على الموقع: <http://sudaneseonline.com>
- برهوم، أديب، تقويم كفاءة التسويق السياحي في سورية، مجلة جامعة تشرين، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٢٩، عدد ٢، سنة ٢٠٠٧.

- برهوم، أديب، سليمان، نبيلة، حسن، علا محمود، دور المهرجانات الثقافية في تحسين كفاءة التسويق السياحي، دراسة ميدانية على المنشآت السياحية في محافظة طرطوس، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات، العلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٣٥، العدد ٢٠١٣.

- البرواري، نزار عبد المجيد، البرزنجي، أحمد محمد فهمي، إستراتيجيات التسويق (المفاهيم - الأسس - الوظائف)، دار وائل، عمان (٢٠٠٨).

- بظاظو، إبراهيم، سياسة المهرجانات في الأردن، متاح على موقع:

<https://www.ammonnews.net/article/125618>

- البكري، فؤادة، الإعلام السياحي، دار النشر للجامعات، مصر، ط ١ (٢٠٠١).

- البكري، فؤادة عبد المنعم، التسويق السياحي وتخطيط الحملات الترويجية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٧).

- بلال، عنبرة بنت خميس، التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية جلال الفترة ٢٠٠٤-٢٠١٠م، مجلة جامعة طيبة، للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة، العدد ٨، ١٤٣٧.

- البوريني، عاتكة، الرحلات العائلية لها فوائد كثيرة ماهي، متاح على الموقع:

<http://mawdoo3.com>

- بو عقليين، بديعة، السياسات السياحية في الجزائر وانعكاساتها على العرض والطلب السياحي، دراسة ولاية تيبازة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر (١٩٩٦).

- التسويق والترويج السياحي عبر الانترنت، جريدة عالم السياحة والاقتصاد، عمان، تاريخ ٢٦ آذار/ مارس، ٢٠١٤.

- تقرير الخوصصة والاستثمار في السياحة بالجزائر، وزارة السياحة والصناعات التقليدية، الجزائر (١٩٩٩).
- توفيق، ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع (٢٠٠٨).
- الجلاد، أحمد، التنمية والإعلام السياحي المستدام، عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٣).
- جمال، أحمد جلال، التسويق السياحي وترويج الخدمات السياحية، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٦).
- حجاب، محمد منير، المداخل الأساسية للعلاقات العامة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٩٥).
- الحديد، إبراهيم إسماعيل، إدارة التسويق السياحي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٠).
- الحريري، محمدي موسى، جغرافية السياحة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٩٩١).
- حسين، صبري عبد السميع، أصول التسويق السياحي، المتحدة للطباعة والنشر، القاهرة (٢٠١١).
- حسام عطية، جريدة الدستور الأردنية، الخميس ١٣ تموز/ يوليو ٢٠١٧.
- حسن، علا محمود، المهرجانات والمعارض الثقافية وأثرها في تحسين كفاءة التسوق السياحي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، سورية (٢٠١١).
- حسين، كريم سالم، خلف، قاسم جبار، تنمية القطاع السياحي في العراق المقومات.. التحديات.. المتطلبات، مجلة جامعة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، مجلد ١٨، العدد ١، لسنة ٢٠١٦.

- الحسيني، حسن، سياحة المهرجانات أبرز الأنماط في جذب السياح، صحيفة الرأي الأردنية، تاريخ النشر: ٢٩، ٦، ٢٠٠٥.

- الحسيني، حسن، انطلاق فعاليات - المؤتمر والمعرض الدولي للسياحة والتراث، وكالة الأنباء الأردنية (بترا)، متاح على موقع:

http://petra.gov.jo/public_news/Nws

- حليلة، شابي، السعيد، بريش، الصناعة السياحية في الجزائر ودورها في تفعيل النشاط الاقتصادي والاجتماعي: دراسة تحليلية تقييمية. متاح على:

platform.almanhal.com/Files/2/71542

- أبو حمد، مصطفى محمود حسين، دور الدراما في رسم الصورة الذهنية للمقصد السياحي: دراسة مقارنة (مصر وتركيا)، مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، المجلد، ٧، العدد، ٢، سبتمبر ٢٠١٣.

- حمد بوعميم، مدير عام غرفة دبي، متاح على الموقع:

http://www.dubaichamber.com/ar/whats-happening/chamber_news

- الحمدان، سهيل، الإدارة الحديثة للمؤسسات السياحية والفندقية، دار الرضا للنشر، عمان (٢٠٠١).

- الحوري، مثنى طه، الدباغ، إسماعيل محمد علي، مبادئ السفر والسياحة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠١).

- الحميدان، عبدالله، الزهراني، خالد، الدحام، عبدالعزيز، شعمول، فايز، المهرجانات، متاح على الموقع:

fac.ksu.edu.sa/sites/default/files/lmhrjnt_0.pptx

- خربوطي، صلاح الدين، السياحة صناعة العصر، دار حازم للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق (٢٠٠٢).
- دبور، نبيل، مشاكل وآفاق التنمية السياحية المسندامة في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي مع إشارة خاصة إلى السياحة البيئية، مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ٢٠٠٤.
- الذهلي، إبراهيم، سياحة المهرجانات، صحيفة الاتحاد الإماراتية، تاريخ ١٩ سبتمبر، ٢٠١٣.
- الرحبي، سمر رفقي، الإدارة السياحية الحديثة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٤).
- رشيد، فراح، يوسف، بودلة، دور التسويق السياحي في دعم التنمية السياحية والحد من أزمات القطاع السياحي، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٢.
- رضا، أماني، الإعلام والسياحة، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط١ (٢٠١٧).
- روبنسون، جغرافية السياحة، ترجمة محبات إمام، دار المعارف، القاهرة (١٩٥٨).
- الروبي، نبيل، نظرية السياحة مجموعة الدراسات السياحية، مؤسسة الثقافة الجامعية مصر (١٩٨٦).
- الزعني، علي فلاح، التسويق السياحي والفندقي، دار المسيرة، عمان (٢٠١٣)،
- الزهبي، علي فلاح، التسويق السياحي والفندقي، مدخل صناعة السياحة والضيافة، دار المسيرة، عمان (٢٠١٣).

- الزوكه، محمد الخميس، صناعة السياحة من منظور جغرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (٢٠٠٦).
- سالم، شياء السيد، الاتصالات التسويقية المتكاملة، مجموعة النيل العربية، القاهرة (٢٠٠٦).
- السجيني، إسماعيل إبراهيم، الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية، بحث الهيئة العليا للسياحة، البرنامج الاقتصادي، مقدم لندوة: الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة، ١٩-٢١/٦/٢٠٠١م،
- سعد، خليل محمد، الإدارة السياحية، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١٧).
- سعيدي، يحيى، العمراوي، سليم، مساهمة قطاع السياحة في تحقيق التنمية الاقتصادية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد ٣٦، سنة ٢٠١٣،
- سياسة التنوع تحصّن سياحة دبي أمام الهزات الاقتصادية، تاريخ النشر: ٠٥ فبراير ٢٠١٧، صحيفة البيان الإماراتية، القسم الاقتصادي: متاح على:
<http://www.albayan.ae/economy/tourism/2017-02-05>
- سيف، رجاء، سياحة المهرجانات تسهم بتحريك عجلة التنمية الاقتصادية، صحيفة الغد الأردنية، نشر بتاريخ: ١٤ أيار/ مايو ٢٠١٤.
- السيفو، فريد إسماعيل أمين، شاكر، صالح مؤيد، الأهمية الإستراتيجية لقطاع النقل وأثاره في رفع وتطوير مناطق الجذب السياحي في سوريا: دراسة اقتصادية إحصائية، دراسات إقليمية، المجلد ٦، العدد ١٥، تموز ٢٠٠٩.
- الشاهد، إلياس، التسويق السياحي كسبيل لتنشيط القطاع السياحي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد ٢٥.

- شاهين، الياس، النجار، حلا، سياحة الأعمال، وزارة السياحة، مديرية التسويق السياحي، سورية (٢٠٠٩).
- الشلهوب، صلاح بن فهد، مشروع القدية .. والسياحة العائلية، صحيفة الاقتصادية، تاريخ ١٥ أبريل، ٢٠١٧. متاح على موقع:
http://www.aleqt.com/2017/04/15/article_1169986.html
- الشهوان، نوفل قاسم علي، تقدير دور السياحة العربية في التنمية الاقتصادية والبشرية، دراسة مقارنة على الصعيد العالمي، مركز الدراسات الإقليمية، دراسات إقليمية ٩ (٢٨).
- صارم، مازن أحمد، أثر الإعلان في رفع كفاءة التسويق السياحي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، دمشق (٢٠٠٧).
- ابن صبر، محمد سعيد، التسويق السياحي، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٠١٤٧، الاثنين ٨، ربيع الثاني ١٤٢١، الموافق: ١٠/٧/٢٠٠٠.
- صبري عبد السميع، التسويق السياحي والفندقي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة (٢٠٠٦).
- صحراوي، مروان، التسويق السياحي وأثره على الطلب السياحي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر (٢٠١١-٢٠١٢).
- الطائي، حميد، العلاق، بشير، تسويق الخدمات، مدخل إستراتيجي، وظيفي، تطبيقي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٩).
- الطائي، حميد عبد النبي، مدخل للسياحة والسفر والطيران، مؤسسة الوراق، عمان (٢٠٠٣).
- الطائي، حميد عبد النبي، المفهوم المجتمعي للتسويق في صناعة السياحة، الملتقى

الأول للتسويق في الوطن العربي، الواقع وآفاق التطوير، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٥-١٦ أكتوبر، ٢٠٠٢.

- طلب، أحمد، السياحة الحلال .. هكذا تتسع صناعة المليارات، متاح على موقع:

[/https://www.sasapost.com/halaltourism](https://www.sasapost.com/halaltourism)

- طنطاوي، سعاد، المهرجانات تزيد الحراك الثقافي والسياحي والاقتصادي، وتعكس هوية الأمم وتاريخها وحاضرها ومستقبلها، جريدة الأهرام، لسنة ١٣٤، العدد ٤٤٩٣٢، تاريخ ١٣ ديسمبر، ٢٠٠٩.

- الطويسي، باسم، التسويق السياحي على طريقة الهواة، جريدة الغد الأردنية، تاريخ: الأربعاء ٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٧.

- الطيار، ناصر عقيل، التسويق السياحي للمملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٤هـ).

- الطيب، سعيد صفي الدين، دراسات في جغرافية ليبيا السياحية، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي (٢٠٠٥).

- العائدي، عثمان، آفاق السياحة في سورية، ندوة الثلاثاء الاقتصادية، جمعية العلوم الاقتصادية، سورية (٢٠٠٠).

- ابن عائشة، نسيبة رايس، مساهمة المزيج التسويقي في تحقيق رضا الزبون السياحي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر (٢٠١٤ - ٢٠١٥).

- عبد الحفيظ، مسكين، دور التسويق في تطوير النشاط السياحي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر (٢٠٠٩ - ٢٠١٠).

- عبد الحكيم، محمد صبحي، الديق، حمدي أحمد، جغرافية السياحة، مكتبة الأجلوا المصرية، القاهرة (٢٠٠١).

- عبد ربه، رائد محمد، سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ونهضة إمارة دبي، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ (٢٠١٧).
- عبد الرحيم، شنيني، دور التسويق السياحي في إنعاش الصناعة التقليدية والحرفية، رسالة ماجستير في علوم التسيير، تخصص تسويق الخدمات، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر (٢٠١٠/٢٠٠٩).
- عبد السميع، صبري، نظرية السياحة، مطبعة كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان، مصر (١٩٩٤).
- عبد العزيز، توفيق ماهر، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان (١٩٩٧)،
- عبد العظيم، حمدي، السياحة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (١٩٩٦).
- عبد القادر، بودي، أهمية التسويق السياحي في تنمية القطاع السياحي بالجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر (٢٠٠٥-٢٠٠٦).
- عبد القادر، جودي، أهمية التسويق في تنمية القطاع السياحي بالجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر (٢٠٠٦).
- عبد القادر، فؤاد حاج، أهمية المزيغ التسويقي في ترقية الخدمات السياحية، رسالة ماجستير في العلوم التجارية فرع التسويق، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر (٢٠١٠/٢٠٠٩).
- عبد القادر، مصطفى، دور الإعلان في التسويق السياحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (٢٠٠٣).
- أبو عرّاد، صالح بن علي، السياحة الداخلية في المملكة العربية السعودية، (واقعها، أبعادها التربوية الرئيسة، ودور بعض المؤسسات التربوية في تنمية الوعي

السياحي)، بحث علمي مقدم لندوة (السياحة في المملكة العربية السعودية: المقومات والإمكانات)، المنعقدة بكلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض، في الفترة من (١٤-١٧ ربيع الأول، ١٤٢٥ هـ، الموافق ٣-٦ / ٥ / ٢٠٠٤ م).

- العريشي، حياة بنت محمد صديق، السياحة في منطقة جيزان: مقوماتها وسبل تنميتها، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية (٢٠٠٧).

- العلاق، بشير عباس، الطائي، حميد عبد النبي، تسويق الخدمات-مدخل إستراتيجي وظيفي تطبيقي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان (١٩٩٩).

- العور، عبد الله، في مقال لـ CNN، متاح على موقع:

<https://arabic.cnn.com/business/2015/05/03/opinion-islamic-tourism>

- قصودة، محمد عبد الله عياد، مقومات البيئة السياحية وأفضلية المكان لمدن صبراته، يفرن، غدامس بالطرف الشمالي الغربي من الجماهيرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل، الزاوية (٢٠٠٤).

- القميري، حمد بن عبد الله، السياحة التربوية، معهد التنمية الأسرية، متاح على

موقع: <http://www.osarya.com/index.php/articles/2011-09-23>

- لشهب، أحمد، السياسة السياحية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة

الجزائر (١٩٨٧).

- كافي، مصطفى يوسف، صناعة السياحة والأمن السياحي، مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١ (٢٠٠٩).

- مباركة، مساوي، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك،

رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر (٢٠١١-٢٠١٢).

- مجاهدي، فاتح، زديوي، عبد الرحيم، تبني التخطيط التسويقي الإستراتيجي كأداة لتفعيل قطاع السياحة في الجزائر، مجلة اقتصاديات المال والأعمال، JFBE.
- محمود، ماجد عباس، وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة وآثرها في صناعة السياحة، مقال بتاريخ: ٢٢/٣/٢٠١٢ متاح على موقع: http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=25644
- مدياني، أحمد، المهرجانات المغربية قبلة سياحية عالمية، العربي الجديد، تاريخ النشر ٤ فبراير ٢٠١٥.
- المساعد، زكي خليل، تسويق الخدمات وتطبيقاته، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٦).
- مساوي مباركة، مليكي سمير بهاء الدين، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر (٢٠١١) - (٢٠١٢).
- ملوخية، أحمد فوزي، مدخل إلى علم السياحة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية (٢٠٠٧).
- مطر، أدهم وهيب، التسويق الفندقي ومبيع وترويج الخدمات السياحية والفندقية الحديثة، دار مؤسسة رسلان، دمشق (٢٠١٤).
- معراج، هواري، جردات، محمد سليمان، السياحة وآثرها في التنمية الاقتصادية العالمية، مجلة الباحث، عدد، ٠١، سنة ٢٠١٤.
- مقابلة، خالد، والسراي، علاء، التسويق السياحي الحديث، دار وائل للطباعة والنشر، عمان (٢٠٠١).
- مقلد، أسامة، السياحة العائلية تعزز مكانتها كإحدى ركائز نمو الاقتصاد الإسلامي، جريدة النهار، العدد ٢٢٤٢، تاريخ ٢٨ أغسطس ٢٠١٤.

- منديل، عبد الجبار، أسس التسويق الحديث، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٢).
- منير، سلمان زيد، الإقتصاد السياحي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٨)،
- الموسوي، محمد عرب، التنمية السياحية في العراق، دنيا الوطن، تاريخ ٢١ / ١ / ٢٠١١، متاح على الموقع:
- <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/218672>
- الموسوي، محمد عرب، السياحة ومقوماتها، متاح على:
- <http://www.alnoor.se/article.asp?id=82409>
- موفق، علي، أهمية القطاع السياحي في الإقتصاد الوطني، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر (٢٠٠٢).
- أبو نبعة، عبد العزيز، دراسات في تسويق الخدمات المتخصصة «منهج تطبيق» مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان (٢٠٠٥).
- نسيبة، سماعيني، دور السياحة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر (٢٠١٤).
- هيئة تحرير، الخصائص الاقتصادية للمنتج السياحي، صحيفة الوحدة، اللاذقية، العدد ٨٧٨٧، تاريخ ٣ كانون ثاني، ٢٠١٧.
- وسيلة، سعود، دور التسويق السياحي في دعم السياحة التونسية، مجلة الابتكار والتسويق، العدد الرابع.
- يسرى، دعبس، السلوك الاستهلاكي في ضوء واقع الدول المتقدمة والنامية، البيطاس للنشر والتوزيع، مصر (٢٠٠٢).

المراجع باللغة الإنجليزية:

- Tommy D. Anderson، Donald Getz، Tourism as amixed industry: Differences Between Private، Public، and Not-for- Profit Festivals، Tourism Management، Ume37، Issue2، March، 2009.

- Getz D.، Event tourism، Definition، Evolution، and Research، Tourism Management، June،2008، p، 420. Razaq R، Developing cultural tourism، Nottingham، LSI 3HE، UK، 2003.

الصحف اليومية:

صحيفة أرقام، جريدة البيان الإماراتية، صحيفة الاتحاد الإماراتية، صحيفة البلاد البحرينية، صحيفة الوطن البحرينية، جريدة الأيام البحرينية، صحيفة الأنباء الكويتية، جريدة الرأي الأردنية، جريدة الكويت الاقتصادية.

المواقع الإلكترونية المهمة:

- موقع غرفة دبي:

http://www.dubaichamber.com/ar/whats-happening/chamber_news

- مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي، متاح على موقع:

http://www.iedcdubai.ae/initiatives/other_initiatives/27

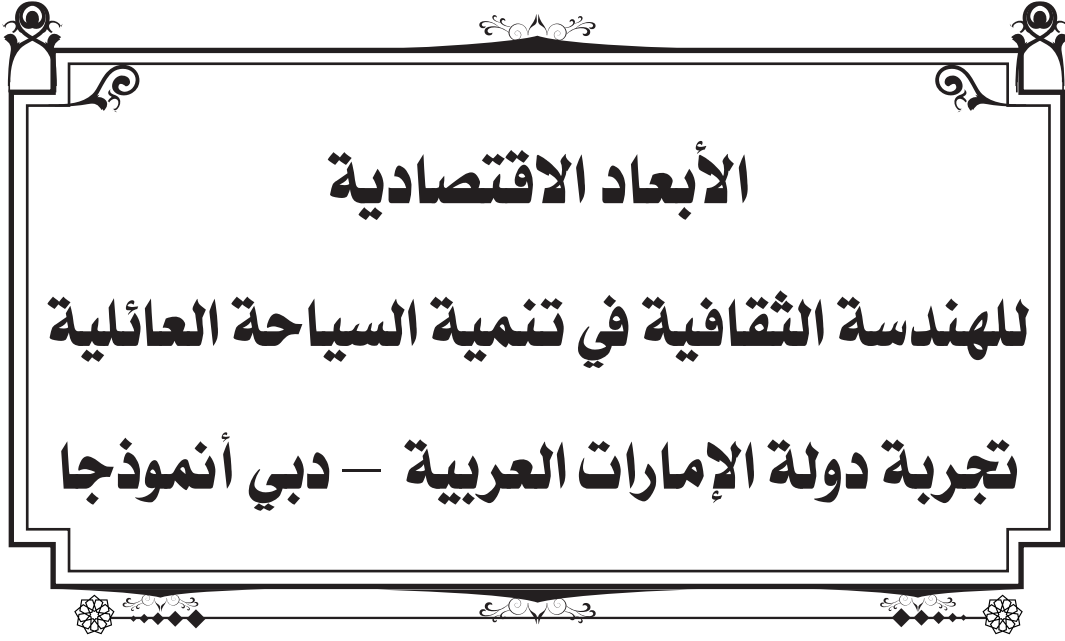
- موقع الأكاديمية البريطانية للتطوير والتدريب، متاح على موقع:

<https://batdacademy.com>





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



الأبعاد الاقتصادية

للهندسة الثقافية في تنمية السياحة العائلية

تجربة دولة الإمارات العربية – دبي أنموذجا

إعداد

د. محيي الدين عدنان القيسي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



ملخص البحث

إن الإشكالية الأبرز في البحث تتعلق بالإجابة على مجموعة من التساؤلات من أهمها: كيف يتم تحويل المواد الثقافية إلى منتج اقتصادي له مردوده على مجتمعاتنا، إلى جانب نوع المشروعات الاقتصادية التي يمكنها الاستثمار في الثقافة، فضلاً عن كيفية استفادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة من مواد الثقافة اقتصادياً، إضافة إلى استعراض التجارب الاستثمارية الاقتصادية العربية التي نجحت في استثمار الثقافة، ومن أهم تلك التجارب تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة - حكومة دبي، وتوزع البحث فيها على مستويين، الأول منهما: يكشف عن ماهية علم الهندسة الثقافية وأهميته في تنمية السياحة العائلية، والبحث عن مقوماته وتأصيلها بما يتفق مع مقاصد التشريع الإسلامي. والثاني: يتعلق بالجانب الاقتصادي واستخدام كل الوسائل العلمية الحديثة والتي تسهم في التنمية الاقتصادية في بلادنا الإسلامية وأهميتها في تحقيق السعادة والرفاهية للمواطن. ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها:

١- إن مفهوم الهندسة الثقافية للسياحة متوافقة مع مفهوم الإدارة الثقافية لها، ولكنه أشمل وأكثر فاعلية على المدى البعيد، وهو فن يخرج المشاريع الثقافية السياحية من المفهوم الاعتيادي، إلى مشاريع تحقق النجاح الثقافي والاقتصادي، برؤية اقتصادية معاصرة، مما يستلزم وجود مجموعة شاملة من المهارات والأدوات التي يتم على وفقها تصميم مشروع ثقافي اقتصادي شامل.

٢- إن علم الهندسة الثقافية من أهم الوسائل العلمية الحديثة العاملة لتغيير الواقع السياحي في بلادنا بما يمثله من نهج لتخطيط التنمية الثقافية التي تأخذ بعين الاعتبار المفاهيم المتغيرة للثقافة، وتصميم استراتيجيات عملية للتعامل مع المشاكل التي تواجهها الثقافة، ومنها السياحية الثقافية. وبعبارة أخرى، فإن الهندسة الثقافية: هي النظم والعمليات والبدائل والحلول الإبداعية لمواجهة التحديات من أجل تطوير المؤسسات الثقافية مما له كبير الأثر في تطوير السياحة الثقافية.

٣- اعتبار الهندسة الثقافية وسيلة ناجعة لخلق نوع جديد من الفكر الثقافي يركز على التصميم الهندسي والإداري والمبادئ القيمة للمجتمع لصنع الأفكار الثقافية الناجحة التي يمكن إبرازها كمنتج سياحي ذو مردود اقتصادي.

٤- أن التنمية السياحية في بلادنا تحتاج إلى إعادة إنتاج الموروث الثقافي والعمراني بتصميم عصري حديث يؤخذ فيه بعين الاعتبار صلاحيته للتسويق عالمياً، والموائمة مع المفاهيم والثقافات العربية، والضوابط الشرعية.

٥- تطبيق فكرة الحاضنات الابتكارية بشكل مؤسسي، على مستوى القطاعين الحكومي والخاص، وتقوم فكرتها على تبني أي فكرة تتعلق بالمؤسسات الثقافية، مهما صغر شأنها، شرط أن تكون مجدية ومفيدة نوعاً ما، ويمكن تحويلها إلى سلعة، وكذلك الصناديق التمويلية، التي تتبع المؤسسات الحكومية، من أجل مساعدتها في تقديم الدعم الكافي للمراكز البحثية، والعلمية، ودعم شرائح كثيرة في المجتمع، ومنها مراكز تنمية المشاريع الثقافية وتسويقها كمنتج اقتصادي يعمل لتحفيز السياحة العائلية.

التوصيات: وانتهت الدراسة بجملته من التوصيات من أبرزها:

١- بناء برامج التغيير القادرة على إحداث التأثير المطلوب على المدينين القصير والطويل، والاستعانة بتجارب الأمم المتحضرة في آلياتها ووسائلها في رسم استراتيجيات السياحة العائلية على أساس خريطة الهندسة الثقافية للسياحة.

٢- العمل على استحداث موقع عربي متخصص في السياحة العائلية، كموقع «كريسنت ريتينج» السنغافوري الإلكتروني، (crescent rating)، يعنى بهذه الصناعة وكيفية تطويرها.

٣- رسم الخطط المستقبلية للسياحة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ضرورة تفعيل الحركة الجواله للمعالم السياحية في المعارض والمهرجانات العالمية، وجعلها واقع مشهود، مما يسهم في الترويج المستمر لحركة سياحية على مدار العام.

٤- الإفادة من برامج الواقع الافتراضي وتكنولوجيا الألعاب الإلكترونية للترويج للمعالم السياحية في بلادنا، عن طريق عقد اتفاقيات مع شركات الألعاب الإلكترونية لجعل معالم مدينة دبي جزء من الواقع الافتراضي للألعاب الإلكترونية.



المقدمة

الحمد لله عظيم الشأن، خالق السماوات والأرض في أبداع بنيان، ومكرم الإنسان بالجواهر والروح صنوان، حمداً يدومُ دوامَ القمران، وأصلي وأسلم على النبي العدنان محمد ﷺ الداعي إلى الله بالخير والإحسان، وعلى الآلِ والصحبِ خيرِ سندان، ما سمع تغريد الطير على الأفنان.

لقد استهدفت الدراسة التركيز على بيان الهندسة الثقافية من حيث: الماهية والأهمية والأسباب والإيجابيات، والكشف عن العلاقة بين الهندسة الثقافية والسياحة العائلية، وكيفية تحويل الثقافة إلى أهم ركائز الاقتصاد وتنميته، كما عالجت الدراسة بعض المفاهيم الخاطئة عن السياحة، وقصدت الدراسة الكشف عن البعد الاقتصادي لاستخدام الهندسة الثقافية في تنمية السياحة العائلية، وتوصلت الدراسة إلى أن الهندسة الثقافية تعني فن إخراج المشاريع الثقافية من المفهوم الاعتيادي، إلى مشاريع تحقق النجاح الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، برؤية إبداعية متجددة، واستعمال الهندسة الثقافية من الأهمية بمكان في وضع إستراتيجيات للمستقبل لتطوير واقع السياحة العائلية الهادفة إلى تغذية الفكر بثقافة وحضارة جديدة لم يسبق الاطلاع على معالمها، إضافة لمقاصدها العامة، وأوصت الدراسة باعتماد إستراتيجية الهندسة الثقافية كوسيلة فاعلة في التخطيط الإستراتيجي لتطوير واقع السياحة العائلية في دبي، واعتماد جملة من الحلول لتطبيق الهندسة الثقافية في تطوير واقع السياحة العائلية، وتطوير المناهج التعليمية بما يرسخ ثقافة السياحة العائلية في مجتمعاتنا.

ومن جميل فضل الله تعالى على نبينا محمد ﷺ وعلى أمتنا أن جعل من السفر وسيلة لتحصيل رؤية ما خفي من نعمه سبحانه على خليله المصطفى فقال عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الاسراء: ١]، ففرض أهم أركان ديننا بعد الشهادتين، ألا وهي الصلاة، وتكلفت سيرته ﷺ العطرة بسلسلة من الرحلات المتنوعة، تشارك فيه الصُحبة مع الأهل والأصحاب في مناسباتٍ عدةٍ حملت في ثناياها تأسيساً لقيم أصيلة نفتدي بها في رؤيتنا لمعالم ديننا الحنيف. ولا يخفى على كل مطلع مهتم بشؤون أمتنا الإسلامية ما تقوم به دولة الإمارات العربية من عمل حثيث يسير على تلك القيم السمحاء التي علّمنا إياها نبينا الكريم، فما زالت أعوام العطاء تتوالى في هذا البلد المعطاء، وتتسلسل مواسمه بالمكرمات، فمن عام الخير إلى عام السعادة والابتكار وأخيراً عام زايد المزيد بالخير. وقد أسعدتنا دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي بدعوتها الكريمة إلى هذا المنتدى العالمي (منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع) لما يمثله من رسالة عالمية سامية، تقوم بها هذه المؤسسة والصرح الخيري، لتقديم الحضارة الإسلامية في أبهى صورها، ولتحقيق سعادة الإنسان المسلم في العاجل والآجل، ولقد شُرفت بدعوة الأمانة العامة الموقرة بإسهامي في تقديم بحث ضمن الأعمال العلمية لهذا المنتدى، ضمن صفوة خيرٍ من العلماء المتخصصين، والمفكرين، وثُلّة من أهل العلم، وتمثلت مشاركتي ببحثي الموسوم (الأبعاد الاقتصادية للهندسة الثقافية في تنمية السياحة العائلية تجربة دولة الإمارات العربية - دبي أنموذجاً). وقد اقتضت طبيعته العلمية تقسيمه على وفق الترتيب المنهجي العلمي الآتي:

أولاً: أهمية البحث: تستمد الدراسة أهميتها كونها تتعلق بقضية معاصرة تمس الحاجة إليها ألا وهي كيفية العمل على إنتاج سياحة عائلية ترفد التنمية الاقتصادية في مجتمعاتنا، كما تبيّن وظيفة المسلمين في صياغة الحضارة الإسلاميّة المعاصرة. حيث تعدّ الثقافة والحضارة الإسلاميّة من جملة الثقافات الحضاريّة العالميّة والكبيرة، وحتى تتمكّن الثقافة الإسلاميّة من أن تلعب دورها في العالم المعاصر، وتعيد صياغة نفسها بشكل صحيح، ينبغي لها استعادة ثقافتها الديناميكيّة والحيويّة، لتستطيع المنافسة على القيام بدور الريادة الإنسانيّة بمختلف صورها الاجتماعيّة والثقافية والاقتصادية.

ويكشف البحث عن دور التنمية الحقيقيّة في البناء الثقافي للإنسان، وهو موضوع يحتاج لرؤية إستراتيجية شاملة، ومعرفة واسعة بواقع المتغيرات العالميّة الثقافيّة منها والاقتصادية والتي يسعى فن الهندسة الثقافيّة لتغييرها، لتحقيق أهدافه وخطته الاقتصادية وفق رؤية منهجية شمولية، يتم تفعيل تطبيقها على مراحل بدءاً بالمؤسسات المحليّة، وصولاً إلى تطبيقها مع المجتمعات الدوليّة. كما تبرز أهمية البحث في كونه يثري منظومة العمل في قطاع السياحة العائلية، على صعيد الدراسة والبحث والتوجيه، وتأصيل منطلقاتها وأهدافها على وفق مقاصد الشريعة الإسلاميّة وضوابطها في مجتمعاتنا المعاصرة.

ثانياً: إشكالية البحث: إن الإشكالية الأبرز في البحث تتعلق بالإجابة على مجموعة من التساؤلات من أهمها: كيف يتم تحويل المواد الثقافيّة إلى منتج اقتصادي له مردوده على مجتمعاتنا، إلى جانب نوع المشروعات الاقتصادية التي يمكنها الاستثمار في الثقافة، فضلاً عن كيفية استفادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة من مواد الثقافة

اقتصادياً، ومحاولة استعراض بعض التجارب الاستثمارية الاقتصادية العربية التي نجحت في استثمار الثقافة، ومن أهم تلك التجارب تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة - حكومة دبي، وتوزع البحث فيها على مستويين، الأول منها: يكشف عن ماهية علم الهندسة الثقافية وأهميته في تنمية السياحة العائلية، والبحث عن مقوماته وتأصيلها بما يتفق مع مقاصد التشريع الإسلامي . والثاني: يتعلق بالجانب الاقتصادي واستخدام كل الوسائل العلمية الحديثة التي تسهم التنمية الاقتصادية في بلادنا العربية والإسلامية وأهميتها في تحقيق السعادة والرفاهية للمواطنين، وبناء على ما سبق يمكن تلخيص إشكالية الدراسة بالتساؤلات الآتية:

١- ما مفهوم الهندسة الثقافية؟

٢- ما البعد الاقتصادي لاستخدام علم الهندسة الثقافية في تنمية

السياحة العائلية؟

٣- ما أهمية تطبيق الهندسة الثقافية في إعداد الخطط الإستراتيجية لتطوير

السياحة العائلية؟

٤- ماهي الوسائل الفاعلة في تحريك سوق السياحة العائلية في بلادنا؟

ثالثاً: أهداف البحث: بناءً على مشكلة البحث يسعى البحث إلى تحقيق

الأهداف الآتية:

١- التعريف بماهية الهندسة الثقافية وأهمية استخداماته الاقتصادية المعاصرة في

قطاع السياحة.

٢- أن يُعَلِّم أن الهدف من هندسة الثقافة، هو تغيير الإنسان العربي، ومن ثم يتبعه تغيير المجتمع الحاوي له ليأخذ مظهر الحضارة، حيث يتم التأكيد على المصادر الإنسانيّة والثقافية في الحضارة الإسلاميّة باعتبارها أمراً مهماً ينبغي الاهتمام به، وعليه فالسياحة العائلية من أدواتها الفاعلة لتحقيق أهدافها.

٣- بيان مدى حاجة العاملين في القطاع السياحي لتوظيف الهندسة الثقافية لتطوير قدراتهم من العمل الآني إلى العمل المدروس، ومن الفردية إلى المؤسساتية، لتنمية السياحة العائلية.

رابعاً: الدراسات السابقة له وإضافات الباحث عليها:

١- سلوك السائح ودوره في تحديد النمط السياحي، م. م. سالم حمد سالم، جامعة بغداد - مركز بحوث السوق وحماية المستهلك، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، م١٣، ع٤٨، م٢٠٠٧.

٢- مساهمة في صياغة مفهوم الصناعات الثقافية، د. علاوة فوزي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية - جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي، العدد ١٧، سبتمبر ٢٠١٦م، الجزائر.

٣- سلطة الهندسة الثقافية وأهميتها في عالم الاقتصاد المعرفي، د. مناهل ثابت، مقال في صفحة كتابات، م٢٠١٧. <https://kitabab.com>

خامساً: خطة البحث: يتضمن البحث مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة؛ والمقدمة تحتوي على أهمية البحث، وإشكاليته وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له ونقدها، وخطته، وجوانب الجدة والإضافة فيه.

أما المبحث الأول: مصطلحات البحث ومفاهيمه العلمية:

ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: ماهية الهندسة الثقافية وأهميتها

المطلب الثاني: التعريف بمفهوم السياحة العائلية:

المطلب ثالث: الأبعاد الاقتصادية للثقافة:

المطلب الرابع: العلاقة بين الثقافة العربية والإسلامية والهندسة الثقافية:

والمبحث الثاني: أهمية تطبيق الهندسة الثقافية في الخطط الإستراتيجية لتطوير

السياحة العائلية:

المطلب الأول: مفهوم التنمية الشاملة وارتباطها بالسياحة العائلية:

المطلب الثاني: أهمية تطبيق الهندسة الثقافية في إعداد الخطط الإستراتيجية:

والمبحث الثالث: الأبعاد الاقتصادية لاستخدام علم الهندسة الثقافية في تنمية

السياحة العائلية:

المطلب الأول: دور الهندسة الثقافية في تنمية السياحة العائلية:

المطلب الثاني: البعد الاقتصادي لتنمية السياحة العائلية على الاقتصاد الإسلامي:

المطلب ثالث: السياحة العائلية في تجربة دولة الإمارات العربية - دبي أنموذجا:

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

سادساً: الجودة والإضافة في البحث: إن أهم إضافة في بحثي الموسوم بـ (الأيعاد الاقتصادية للهندسة الثقافية في تنمية السياحة العائلية تجربة دولة الإمارات العربية - دبي أنموذجا) تتمثل بالتعريف الشامل بالهندسة الثقافية وتطبيقاتها كأداة اقتصادية حيوية وفعالة، تمس الحاجة إليها في بناء صناعة سياحة عائلية مبتكرة، وتطوير الخزين الثقافي وتسويقها لتكون رافد حيوي في تنمية الاقتصاد الإسلامي.

كما تسهم هذه الدراسة في ترسيخ التأصيل المعرفي لعلوم الإدارة الابتكارية والثقافية الحديثة، وتعلقهما بالاقتصاد المعرفي، مما يعد إضافة علمية في علم الاقتصاد الإسلامي، ولاسيما في قطاع السياحة العائلية على وفق الضوابط الشرعية ومستجدات العصر وحاجات المجتمع المسلم. وكلا الجانبين يسهم في تطوير وإثراء العمل في مجالات عمل السياحة العائلية والثقافة، وتنمية قدرات العاملين فيهما والقائمين عليهما، من حيث استنادهم في عملهم للعلوم الحديثة والمتطورة، وبما ينسجم مع المقاصد الشرعية الثابتة في ديننا.

إن سبر تجارب الأمم والشعوب يُظهر بوضوح أن البعد الاقتصادي للهندسة الثقافية لا يتحقق في المجتمعات إلا من خلال توافر عدة عناصر من أهمها: ثقافة مجتمعية راسخة تنمي روح التسامح والتعاون بين مكوناته، ونظام شامل يضبط حركة المجتمع ويوحده في سيره لتحقيق أهدافه ومصالحه المشتركة، وبناء قوة

اقتصادية تسعى لتحقيق المصالح العليا للمجتمع، وما أحسن قول الشاعر (معروف
الرصافي) وهو يعبر عن رؤيته لأسباب سعادة وعمران الأوطان:

هَمُّ الرِّجَالِ مَقْيِسَةٌ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عَمْرَانِهَا
وَأَسَاسُ عَمْرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ مَتَوَاصِلُ الْأَسْبَابِ مِنْ سُكَّانِهَا
وَتَعَاوُنُ الْأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلٍ إِلَّا بِنَشْرِ الْعِلْمِ فِي أَوْطَانِهَا
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا أَجْرَتْ بِهِ الْأَعْمَالُ خَيْلَ رَهَانِهَا



المبحث الأول

مصطلحات البحث ومفاهيمه العلمية

المطلب الأول: ماهية الهندسة الثقافية:

أولاً: الثقافة: للثقافة مفهوم عام يتمثل بكونها: خاصية متعلقة بالإنسان أساساً، وعلى المستوى الأنثروبولوجي كذلك فإن معنى الثقافة لا يبتعد كثيراً عن المفهوم الفلسفي، فهي حسب الأنثروبولوجيا الثقافية هي كل ما لا يولد به البشر، ومن ثم فهي تشمل مخترعات الإنسان وإنتاجه المادي، أو غير المادي^(١) وربما هذا ما أشار إليه «إدوارد تايلور» في كتابه «الحياة البدائية» والذي يعرف فيه الثقافة بأنها « ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع»^(٢).

فهي مجموعة من الأنشطة الإنسانية ذات الصبغة الفنية والفكرية، التي تمثل مجموع سلوكيات ومعتقدات ما يؤمن به مجموعة الناس ويمارسونه، وجميع أشكال التعبير عن تلك المكونات في حياتهم اليومية وعبر نتائجهم الإبداعي وردود أفعالهم نحو الأحداث. ولكي يتم اعتبار أي نشاط بمثابة نشاط ثقافي لا بد من أن توافر فيه، ثلاثة خصائص هي: يجب أن يجسد بطريقة ما شكلاً للإبداع في إنتاجه، وكذلك

(١) بدر، يحيى مرسي عيد، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ط ١، ج ١، ص ٢٧، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر - الإسكندرية، د.ت.

(٢) تايلور، إدوارد، الحياة البدائية. Tylar .E. BmPrimitive Culture, New Brentano's, London, 1924.p.1

يجب أن ينتج ويعبر عن مواد رمزية، ويجب أن يجسد على الأقل شكلاً من أشكال الملكية الفكرية^(١).

إن أوضح تعريف للثقافة، لاسيما في مضمار الاستثمار، وله اتصال بحياتنا كأفراد؛ هي تلك: «العلوم والمعارف التي يُطلب الحذق فيها»، أو هي «مُجْمَلُ العُلُومِ وَالْفُنُونِ وَالْآدَابِ فِي إِطَارِهَا الْعَامِّ». إنَّهَا الثَّقَافَةُ التي تُكْتَسَبُ عِبْرَ الوسائِلِ المتعارفة في بيئة الفرد الاجتماعية والثقافية^(٢). والمفهوم الأوسع للثقافة الذي توصلت إليه الدراسات الاجتماعية والإنسانية نجده يعني: «أسلوب الحياة في مجتمع ما بشكل عام، إلى أساليب العمل في ها المجتمع والحياة الاقتصادية، والنظم السياسية السائدة في هذا المجتمع والتي يعتبرها أساسية لوجوده لأنها تشكل الذي يجمع بين أفراده وتوحدهم. وهذا بالذات هو معنى مصطلح (ثقافة) فهو القيم المشتركة والنماذج السلوكية، التي تتميز بها مجتمعات معينة^(٣).

ثانياً: **الصناعات الثقافية:** تُعتبر الصناعات الثقافية والإبداعية من أسرع الصناعات نمواً في العالم وقد ثبت أنها خيار إنمائي مستدام يعتمد على مورد فريد ومتجدد هو الإبداع البشري. ويُقصد بمصطلح الإبداع قدرة الإنسان على وضع حلول وأفكار جديدة ومبتكرة نابعة من الخيال أو من مهارة الابتكار.

(١) Marc MENARD, Elements pour une économie des industries culturelles, (١) SODEC Montréal (Canada), 2004, p58. مارك مينارد، عناصر لاقتصاد الصناعات

الثقافية، ص ٥٨، سوديك مونتريال - كندا، ٢٠٠٤م.

(٢) الخزاولة، د. ياسر طالب، الخزاولة، أ. وفاء سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ٣٢، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ٢٠١٧م.

(٣) روبنسون، كين، صناعة العقل (دور الثقافة والتعليم في تشكيل عقلك المبدع)، ترجمة. رامة موصلي، ص ١٧٨، مطبعة السفير، الأردن - عمان، ٢٠٠٩م.

إن أهمية موضوع الصناعات الثقافية تظهر من أهمية الدور الذي أضحت تلعبه، فعلى المستوى الاقتصادي يعد هذا النوع من الصناعات من أكثر القطاعات الإنتاجية نمواً وتطوراً في عالم اليوم، وعلى المستوى الاجتماعي فهي عامل مهم للحفاظ على الهوية والثقافة العربية والإسلامية المحلية للشعوب، وفي ظل الأوضاع التي يعيشها العالم اليوم فمن لوازم تطوير هذه الصناعة تطوير سُبل إدارتها وتنظيمها في خدمة حركة السياحة في البلاد.

وهنا يأتي دور ووظيفة الهندسة الثقافية فهي تستطيع أن تقدم مخططاً واضحاً محسوب النتائج المتوقعة وغير المتوقعة، وهي قادرة على التصدي لكل المخاطر المتوقعة وغير المتوقعة.

ثالثاً: الهندسة الثقافية وأهميتها: هي نهج لتخطيط التنمية الثقافية التي تأخذ بعين الاعتبار المفاهيم المتغيرة للثقافة، وتصميم إستراتيجيات عملية للتعامل مع المشاكل التي تواجهها الثقافة. وبعبارة أخرى، فإن الهندسة الثقافية: هي النظم والعمليات والبدائل والحلول الإبداعية لمواجهة التحديات من أجل تطوير المؤسسات الثقافية.

والهندسة الثقافية متوافقة مع مفهوم الإدارة الثقافية، ولكنها أشمل، فهي علم وفن يخرج المشاريع الثقافية من المفهوم الاعتيادي، إلى مشاريع تحقق النجاح الثقافي والاقتصادي والسياسي، برؤية إبداعية متألفة. ولكن لا بد من وجود مجموعة شاملة من المهارات والأدوات التي على ضوءها يتم تصميم مشروع ثقافي شامل، باعتبار أن الهندسة الثقافية وسيلة ناجعة لخلق نوع جديد من الفكر الثقافي يركز على التصميم الهندسي والإداري والمبادئ الصلبة لصنع الأفكار الثقافية الناجحة.

وجملة القول في بيان حقيقة الهندسة الثقافية وأهميتها فيمكن بيان نطاق عملها في النقاط الآتية:

١- إنها علم بناء وإعادة صياغة المفاهيم الثقافية، وهي على صلة وثيقة بالاقتصاد المعرفي.

٢- وضع نهج لتخطيط التنمية الثقافية التي تأخذ بعين الاعتبار المفاهيم المتغيرة للثقافة.

٣- تصميم إستراتيجيات عملية للتعامل مع المشاكل التي تواجهها الثقافة.

٤- النظم والعمليات والبدائل والحلول الإبداعية لمواجهة التحديات ولتطوير المؤسسات الثقافية.

٥- التخطيط لكيفية تغيير المكون الثقافي الذي يعيق التنمية الاقتصادية، وتنفيذها عبر برامج يتم تقييمها بعد تنفيذها، وتطويرها بناءً على هذا التقييم حتى تحقق الأهداف المتبغاة من ذلك.

المطلب الثاني: التعريف بمفهوم السياحة العائلية:

تعد السياحة ظاهرة من الظواهر الإنسانية القديمة والعريقة عراققة التاريخ والإنسان، في حالة ديناميكية بين السفر والتنقل طلباً للأمن والاستقرار، وسعياً لضمان رزقه ومعاشه، لتتحول ظاهرة انتقال الإنسان لتحقيق رغباته واحتياجاته ومختلف شؤون حياته اليومية إلى ظاهرة اجتماعية وثقافية هدفها المتعة والراحة والتثقيف والاستجمام. فالسياحة: هي الانتقال من بيئة الإنسان ومحيطه الدائم إلى

بيئة أخرى من أجل العظة والعبرة والتعليم والترفيه، وصرف المدخرات^(١). وبمعنى

اشمل: هي ظاهرة اجتماعية وثقافية، وهي صناعة ووسيلة إعلامية^(٢).

ومن ثمَّ فإنَّ التعريف الإجرائي للسياحة العائلية بأنها: نوع من السفر الجماعي حيث يقوم السائح بالسفر بصحبة أفراد عائلته، للتعرف على بيئات مختلفة، لغايات متعددة، كالتعلم والترفيه والتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى وعاداتهم.

وترتبط السياحة مع قطاعات عديدة اقتصادية واجتماعية وثقافية، مما يجعل أمر تحديد مفهومها يختلف حسب اختلاف التخصصات العلمية للجهات الدارسة لهذه الظاهرة، فمن وجهة نظر الاقتصاديين تعتبر السياحة نشاطا اقتصاديا، فهي حاجة وسلعة في آن واحد، والسياحة هي مجموعة الأنشطة المتعلقة بالسفر، كالتنقل والإقامة خارج مقر السكن لأغراض متعددة، كما أصبحت تعرف باسم صناعة القرن العشرين، لما حققته من نتائج وتطورات سريعة، فهي تعتبر صادرات غير منظورة، وبالتالي تحقيق إيرادات بالعملة الصعبة التي تؤثر على ميزان المدفوعات، فتسهم في خلق فرص عمل جديدة، على اعتبار أن السياحة تعتمد على العامل البشري بدرجة كبيرة، وبصفة عامة تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

- (١) الجحني، علي بن فايز، وآخرون، الأمن السياحي، ص ٤٢-٤٣، مركز الدراسات والبحوث- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٥١٤٢٥.
- (٢) صباح محمود محمد، الجغرافيا السياحية، مجلة الجغرافية العراقية، م١٠، ص ٢٠٥، بغداد، ١٩٨٧ م.

المطلب الثالث: الأبعاد الاقتصادية للثقافة:

مما لا يخفى على أهل الاقتصاد أن «الاستثمار لا يعني إهدار المكوّن الثقافي الذي تُبنى عليه المجتمعات بقدر ما يعني قدرة تلك المجتمعات على المضي قدماً في الحفاظ على هويتها وإنتاج أشكال جديدة من الثقافة تتماشى مع جوهرها من ناحية، والتطور العلمي والتكنولوجي من ناحية أخرى». وإن الدول المتقدمة، أولت الثقافة عناية فائقة من حيث تعزيز قدراتها الاقتصادية والتخطيط الإستراتيجي القائم على تدعيم المنتجات الثقافية، وتحسين مناخات الاستثمار فيها، وزيادة الإنتاجية والقدرات التنافسية للأنشطة والمشروعات التي يؤسسها المثقفون بكل شرائحهم المجتمعية، وقد انطلقت تلك العناية من الكوادر البشرية المنتجة للمكوّن الثقافي، حتى أصبح الابتكار والإبداع الثقافي مجالين واسعين للاستثمار الاقتصادي.

وقد تناول كثير من علماء الاجتماع البعد الثقافي باعتباره بعداً من أبعاد التنمية، من حيث طبيعة العلاقة بين الثقافة والتنمية بعداً مميزاً وموازياً للبعدين الاجتماعي والاقتصادي. فشبّه محمد سيّد محمد في كتابه «الإعلام والتنمية» التنمية بمثلث متساوي الأضلاع، يتكون من البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد الثقافي^(١). كذلك فقد رأى بعض من تناولوا البعد الثقافي في منظومة التنمية أن الإنسان المثقف هو الأساس وصمّام الأمان لنجاح عملية التنمية والانتقال من حالة التخلف واللاوعي إلى مرحلة الانتماء ومسايرة روح العصر مع كل ما تحمله تلك الروح من قيم روحية وأخلاقية.

(١) محمد، د. محمد سيد، الإعلام والتنمية، دار الفكر العربي، ط ١، ص ٢٢ - ٢٥، ١٩٨٨ م. ريان، محمد سيد، التسويق الثقافي في العصر الرقمي، ط ١، ص ٤٠، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٧ م.

وفي ذات السياق تغير مفهوم الثقافة فلم يعد يعنى مجرد التراث ومجموعة العادات والتقاليد والأعمال الفنية لدى جماعة معيّنة أو يقاس بكم المعلومات، إذ اتسع ليشمل مجموع المواقف الحيّة التي يواجهها الإنسان في كل جوانب حياته. وقد تبلور هذا المفهوم في إعلان مكسيكو أثناء انعقاد مؤتمر اليونسكو للثقافة عام ١٩٨٢ الذي جاء نصه أن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وهي التي تجعل منه كائناً يميّز بالإنسانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي. فعن طريق الثقافة نهتدى إلى القيم ونمارس الاختيار، فهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرّف على ذاته والبحث من دون ملل عن مدلولات جديدة وحالات إبداع^(١). وقد ظهرت عدّة تعريفات للتنمية لعلّ أهمها ذلك الذي خرج به المؤتمر العالمي للتربية في جنيف (١٩٩٢) والذي نص على أن «التنمية تعنى التطور، التغيير في الحالة القائمة، التقدم، الاغتناء والتفتح. ولا تُقاس التنمية فقط بازدياد الإنتاج كماً ونوعاً بل أيضاً بتحسّن حال الإنسان وطريقة حياته». كذلك أعطى المؤتمر تحديداً للتنمية الثقافية إذ قال عنها أنها اغتناء بالثقافة عن طريق تقوية لأشكال التغيير الثقافي وتوفير الظروف المناسبة للإنتاج وللإبداع ونشر الثقافة عن طريق توفير الظروف المناسبة للإنتاج وللإبداع وتوفير الظروف لا متلاكها^(٢). فأصبحت الثقافة إحدى المعطيات الرئيسية - إن لم تكن الأساس - لكل سياسة تنموية اجتماعية اقتصادية،

(١) مؤتمر اليونسكو الشهير المنعقد في مكسيكو عام ١٩٨٢ هو الذي أطلق مقولة التنمية الثقافية. التنمية الثقافية: تجارب إقليمية، تأليف ليف من خبراء الاونيسكو. منشورات الأمم المتحدة. ١٩٨٢. ص ٥.

(٢) اليونسكو، سنة ١٩٩٢م، المؤتمر العالمي للتربية في جنيف في أيلول، توصيات بشأن التنمية الثقافية.

وأضحت التنمية القائمة على أسس ثقافية ضرورة لبناء حركة اقتصادية متسارعة الخطى، للوصول لتكامل مجتمعاتنا ماديا ومعنويا^(١).

المطلب الرابع: العلاقة بين الثقافة العربية والإسلامية والهندسة الثقافية:

إن هدف الهندسة الثقافية يكمن في وضع إستراتيجيات البلاد على أساس محور الثقافة العربية والإسلامية، ولتحقيق هذا الأمر المهم ينبغي الإجابة عن أسئلة في غاية الأهمية: ما هي أسس الهندسة الثقافية وكيف يمكن إثباتها؟ وما هو الأسلوب النموذجي في الهندسة الثقافية؟ وما هي خارطة الهندسة الثقافية التي يجري فيها القيام بالنشاطات الثقافية اللازمة لرسمها، وما هي المراحل التي يجري تطبيقها في هذا الشأن؟

ومن بين الأهداف الأساسية ذات التوجه والتأثير في الهندسة الثقافية هي إدراك ومعرفة دور الثقافة العربية والإسلامية ومكانتها في صياغة الثقافة العامة. أما الفارق الأساسي بين البلاد الإسلامية في عالمنا العربي وبلدان العالم الأخرى، هو حضور الثقافة الإسلامية في الأبعاد الفردية والمجتمعية العملية وهذا ما ينعكس على الهندسة الثقافية فيها. ولهذا السبب فإن التغافل عن عمق التأثيرات الدينية والقيم العربية في الثقافة أو عدم إدراك سعتها يجعل من الحركة الخاصة بالهندسة الثقافية معرضة للفشل والانحراف.

وعليه فإنه يجب إيلاء الثقافة العربية والإسلامية المحورية في الهندسة الثقافية للبلاد وأن يجعل منها المعيار الموجه لجميع النشاطات والقرارات الثقافية والذي

(١) machahid24.com بتصرف.

يضيف على محتواها الفاعلية اللازمة لها. ولهذا السبب يجب ملاحظ حركة المفاهيم العربية والإسلامية في جميع مستويات الثقافة - مع اختلاف درجاتها وأساليبها - ضمن الهندسة الثقافية للبلاد. ومن هنا تتبين العلاقة بين الثقافة العربية والإسلامية والتي تمثل المحتوى الذي تعمل عليه الهندسة الثقافية، وتضع الخطط والبرامج لتطويره وتسويقه كمنتج اقتصادي في قطاع السياحة العائلية.



المبحث الثاني

أهمية تطبيق الهندسة الثقافية

في إعداد الخطط الإستراتيجية لتطوير السياحة العالمية

المطلب الأول: مفهوم التنمية الشاملة وارتباطها بالسياحة العالمية:

لم تعد التنمية تقتصر على البعد الاقتصادي فقط بل أضحت أوسع وأشمل من ذلك بكثير. حيث تعد التنمية عملية ديناميكية، شاملة، ومعقدة، وعميقة، وواعية، ومقصودة، ومدروسة، تتم بالإنسان ومن أجل الإنسان، وتهدف إلى إحداث تحولات واسعة وشاملة وعميقة في المجتمع، وفي مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية. وهذا ما يؤكد أنها عملية مرتبطة بالظروف الخاصة، والإمكانات والموارد المادية والبشرية، ومن ثم لا يمكن استيرادها أو استعارتها جاهزة، بل هي مشروع يجب العمل عليه لإيجاده^(١).

ويؤكد د. وجيه الشيخ أن التنمية ليست عملية اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو تربوية منفردة بل هي مزيج من هذا كله، وربما تعدتها إلى جوانب أخرى غيرها. وهي عملية إنسانية هادفة، وواعية، ودائمة التغيير^(٢). وفي معرض حديثه عن التنمية يقول صاحب كتاب (الإعلام والتنمية في الوطن العربي: إذا كانت التنمية تعني فيما مضى التنمية البشرية (السياسة التعليمية) من أجل طرد المستعمر. فقد تغير مفهومها، فأصبحت تعني التنمية الشاملة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

(١) خضور، د. أديب، الإعلام المتخصص، الاقتصادي، الرياضي، الثقافي، السكاني، العلمي - خصائص الكتابة للإذاعة والتلفزيون، ط، ص، دمشق، ٢٠٠٣ م.
(٢) الشيخ، د. وجيه، الإعلام والدعاية، ص ٤٩، دمشق، ١٩٨٩ م.

والبشرية والعمرانية والصحية...^(١) وهو ما أكده د. محمد حجاب بقوله: أن التنمية الشاملة تتعدد وتتسع لتشمل النظام المجتمعي بأسره بكل ما تتضمنه من نظم فرعية كالنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والإعلامي... الخ والذي في ضوءها تتسع وتتعدد أبعاد التنمية الشاملة لتشمل التنمية الروحية والذاتية، والاقتصادية، والسياسية، والبشرية، والنفسية، والإدارية والتشريعية^(٢).

والحاصل أن التنمية هي عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع، فهي عملية مجتمعية متشابكة ومتكاملة في إطار نسيج بالغ التعقيد تتفاعل فيه عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية. تكون الغاية منها إحداث تغييرات تراكمية منتظمة في الأبنية والهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع^(٣). ولا شك أن التنمية الشاملة وخططها الإستراتيجية تشمل على تنمية السياحة العائلية، لارتباطها بتنمية الاقتصاد والمجتمع، ممثلاً بأصغر وحداته ألا وهي العائلة، والعمل على تحقيق احتياجاتها النفسية والترفيهية، إضافة لما تقدم، حيث تعتبر السياحة العائلية وسيلة ناجعة وحديثة لتحقيق تلك الغاية.

(١) طلعت، شاهيناز محمد، وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية - دراسات نظرية مقارنة ميدانية في المجتمع الريفي، القاهرة، ١٩٩٥ م. المحمود، جمال الجاسم، دور الإعلام في تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادي العربي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - مجلد ٢٠ - العدد الثاني - ٢٠٠٤ م.

(٢) حجاب، د. محمد منير، الإعلام والتنمية الشاملة، ص ٤٠، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

(٣) توفيق، د. حسنين، الدولة والتنمية في مصر - دراسة مقارنة، ص ٢٥، مركز بحوث ودراسات الدول النامية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ م.

المطلب الثاني: أهمية تطبيق الهندسة الثقافية في إعداد الخطط الإستراتيجية:

إن المشكلة العصبية التي تواجه أي استثمار ثقافي، في الوطن العربي هي عدم وجود رؤية واعية، وبيئة مثقفة ليؤسس، ويشيد عليها تصورات، وهذا ما لا يتحصل بسهولة، في أي مكان في العالم، ونتيجة لهذا ينفر المستثمر من سوق المعرفة والاستثمار في الثقافة، لأن المشكلة التي يواجهها ليس لها علاقة برأس المال، وإنما بخلق الوعي لدى الجمهور المستهدف، من أجل أن يتقبل سلعة المستثمر ويتفاعل مع مشروعه وهذا لا يمكن شراؤه بالمال أو تحصيله بالقوة، وهنا يبرز دور ووظيفة الهندسة الثقافية في كونها تستطيع أن تقدم مخططاً واضحاً محسوب النتائج المتوقعة وغير المتوقعة، وهي قادرة على التصدي لكل المخاطر المتوقعة وغير المتوقعة،

ويرى بعض الباحثين أن الوعي هو ما يصنع البيئة المثقفة، والواقع المثالي، وهو شرط تحصيل الوعي لدى الأفراد، والتنمية بطبيعتها تشترط دائماً ضرورة الإنسان المثقف فهو المستهدف، وهو أيضاً من ينظم لفعالية التنمية ولذلك فحضور الوعي لديه مشروط في أي هندسة مالية أو ثقافية حتى يتم إنجاز ما تضعه الهندسة المالية والثقافية من خطط تتقدم بها عجلة التنمية.

إن ما يربط الهندسة المالية باقتصاديات المعرفة، هو أن الهندسة المالية هي الضامن الوحيد، الذي تستقر به السوق المعرفية، إذ يضع كل الاحتمالات الخاصة بالمشاريع الثقافية، ويعمل على الاحتياط لأي فشل، بل ويصنع الحلول اللازمة التي تقي أي مشروع ثقافي من الفشل، بل إنها تعمل على زيادة مناعته بالطرق التي تنتهجها خططها لطريقة سيره، ودراسة الجدوى التي تقدمها الهندسة ليتبلور بها وجود أي

مشروع تنموي. وعليه فلا يجب تجاهل المخاطر التي قد يتعرض لها أي مستثمر في قطاع الثقافة، خصوصاً في البلاد العربية والإسلامية، وصناعة الوعي واقتصاديات المعرفة، وهذا لا يتحقق إلا بالاستعانة بخبراء الهندسة المالية، والهندسة الثقافية والنظر بمنظورهم لنجاح المشاريع المزمع إقامتها^(١).

أولاً: خطط الاستثمار الثقافي في قطاع السياحة العائلية:

لا شك أن تأسيس مثل هذا الاستثمار وتطويره يحتاج لخطة متكاملة تُسهم فيها الدولة في مجال تعزيزه، وترفده بالعديد من الرؤى والإسهامات الدافعة لنجاحه، والتوعية بأهمية هذا الاستثمار ونجاحه، وهذا يتطلب -في البداية- شراكة حقيقية وجادة بين القطاعين العام والخاص للانطلاق في هذا الجانب

وهذا يستلزم من الدولة أن تَضَع النُظْم المحفزة للاستثمار في المجال الثقافي، وأن تُسهّل لهذا التوجّه كلّ السُّبُل، بعيداً عن البيروقراطية والروتين، وأن تَمَنَح شركات السياحة العائلية والمؤسسات الثقافية، الكثير من الأسس التي تُساهم في تحقيق ذلك؛ ومنها على سبيل المثال: الإعفاءات من رسوم فيز الدخول وغيرها...، فالاستثمار الثقافي يحتاج إلى توافر عناصرٍ أساسية، وتكامل هذه العناصر مع بعضها البعض، والتخطيط الهندسي لاستثمار الثقافة بالشكل الأمثل يستوجب الخطوات الآتية:

١ - تفعيل الشراكة بين القطاعين العام والخاص؛ لأهمية تشجيع القطاع الأهلي

عند التأسيس.

(١) ثابت، د. مناهل، سلطة الهندسة الثقافية وأهميتها في عالم الاقتصاد المعرفي، مقال في صحيفة البيان الإماراتية <http://www.albayan.ae/opinions/articles> /٢٠١٧-٠٨-٠٧-١.

٢- الحاجة لتغيير الوعي العام؛ ليصَبِحَ القطاعُ الخاصُّ هو الفاعلُ الأساسيُّ لهذه المشاريع، كما في الكثير من دُولِ العام، وفي كلِّ مجالاته: الاقتصادية، والسياحية، والثقافية.

٣- توافر بيئة ثقافية مُساعِدة وفاعِلة على الأرض، تُمكنُ المستثمرَ من مَشروعِه، وتعزِّزُ رغبته وطموحه.

٤- وضع البرامج الثقافية التي يمكن تسويقها اقتصادياً في قطاع السياحة العائلية.

ثانياً: برامج الاستثمار الثقافي في قطاع السياحة العائلية:

إن الاستثمار الثقافي يحتاج إلى توافر عناصرٍ أساسية، وتكامل هذه العناصر مع بعضها البعض، ومن هذه العناصر -على سبيل المثال- توافر بيئة ثقافية مُساعِدة وفاعِلة على الأرض، تُمكنُ المستثمرَ من مَشروعِه، وتعزِّزُ رغبته وطموحه؛ سواءً من الناحية المؤسسية، أو من ناحية الأفراد المستهدفين؛ فالمشاريع الثقافية كأبي عملٍ إنسانيٍّ إذا لم تجد لها حَواضنَ مؤسسية -من مراكز علمية، وبحثية، ووسائل إعلام متخصصة، ومنافذ- ولم تجد لها قبولاً لدى الناس، فإنَّها حتماً ستواجه صعوبات، ولن تتمكن من بلوغ الأهداف والغايات. ومن هذه العناصر: وجود برامج الاستثمار الثقافي في قطاع السياحة العائلية

إن صناعة المنتج الثقافي من خلال محاولة تطير مفهوم الإنتاج الثقافي ضمن السياق الاستثماري الاقتصادي هي مهمة الهندسة الثقافية حيث تعمل بناءً على ضرورة المواءمة الفاعلة بين التوجه الثقافي الأصيل والنمط الاستهلاكي لبعض

المفردات الثقافية كالأعمال السينمائية والمسرحية والمعارض والبرامج التثقيفية وغيرها، على إعداد برامج الاستثمار الثقافي في قطاع السياحة العائلية، ووضع المسارات الثقافية للبلد ضمن السياق الاستثماري الاقتصادي.

ثالثاً: تقييم برامج الاستثمار الثقافي في قطاع السياحة العائلية:

حيث تتضمن هذه الخطوة تقييم برامج التوسع في المفاهيم الأساسية للنماذج السياحية العائلية، وتتناول أسس تخطيط المواقع السياحية المختلفة، ومقومات وعناصر الجذب السياحي المتوافرة بالموقع، وكيفية إدارتها وتطويرها، وتطوير تدريب الكوادر، وتحديث الخطط باستخدام مفهوم الإدارة الإستراتيجية في الصناعة السياحية، ومراجعة مراحل عملية الإدارة الإستراتيجية، وعلاقتها بمجموعة المنظمات السياحية المحلية والدولية.

رابعاً: تطوير برامج الاستثمار الثقافي في قطاع السياحة العائلية:

والخطوة التالية هي معرفة الأطر الفكرية والاتجاهات التي يتم تطويرها من أجل شرح كيفية تطوير الموارد السياحية، مثل نموذج دورة المنتجات، كما تتناول الربط بين مواد أخرى وتأثير ذلك في عملية التنمية المستدامة والتطوير الشامل للمواقع السياحية العائلية.

المطلب الثالث: دور الهندسة الثقافية في تحفيز الاقتصاد الإبداعي:

إن من أهم المهام التي تقوم بها الهندسة الثقافية هو تحفيز الاقتصاد الإبداعي حيث تعمل على استكشاف آفاق التنمية الثقافية المستدامة في هذا القطاع، وتؤكد التقارير والإحصاءات على أنه أحد أكثر القطاعات نمواً في العالم على الصعيد المحلي، وأهمية

دوره كمحرك للتنمية الاقتصادية والاجتماعية مدفوعاً بعدد من العوامل التي تسهم في نجاح هذا القطاع الاقتصادي الهام.

إن المنهجية السليمة في تخطيط التنمية الثقافية وتشجيع الاستثمارات ذات الأهداف المحددة في التدريب وتأسيس البنية التحتية، والتي تتناغم مع ابتكارات وإبداعات رواد الأعمال الشباب في العالم العربي، ولاسيما ما يتعلق بالسياحة العائلية، يعدُّ الغاية المنشودة من عمل الهندسة الثقافية في هذا المجال، مما يسمح بتوسيع الاقتصاد الإبداعي، ويدعم تنمية القطاع السياحي في المجتمع. ومما لا شك فيه أن الهندسة الثقافية تعمل على تعزيز الإبداع وبيان أهميته في المجتمع، فالإبداع يحفظ روح الأمة، ويمثل أساس ثقافتها واقتصادها، وتطورها الاجتماعي.

وتلعب الصناعات الثقافية مثل النشر والموسيقى والسينما وفن التصميم وغيرها، وبما يدخل تحت ظل الضوابط الشرعية، دوراً مهماً في تنمية السياحة العائلية، فهي تمثل بفروعها روافد تصب في تنمية منظومة الاقتصاد الإبداعي فهو المحرك لهذا النشاط، وبما يسهم في توفير الفرص الوظيفية، وتعزيز التجارة وحركة السوق، وتنمية السياحة العائلية، وهو في ذات الوقت يقوم بدور محوري وضروري للمجتمع عبر توفيره منصة تعزز الهوية والحوار، وتنمية الابتكار والتكامل الاجتماعي، والارتقاء بمستوى جودة الحياة. إن طبيعة الاقتصاد الإبداعي المتداخلة بقوة مع المجتمع تعتبر قوة دافعة، وقاعدة يمكن على أساسها تجديد الإستراتيجيات التنموية للسياحة العائلية. وتتعزيز قدرات الصناعات الثقافية والإبداعية عبر النهوض بالقدرات المحلية، وجمع أصحاب المصلحة على اختلاف قطاعاتهم، من

مخططي المدن إلى المبدعين والحرفيين والتجار على المستويين المحلي والعالمي للعمل. وقد ثبت باستقراء المعطيات الاقتصادية العالمية أن المدن التي تتمتع بثقافة محلية قوية كانت قادرة على استقطاب المستثمرين والشركات وكذلك الصناعات الإبداعية، كمعارض الفنون في لبنان، والاستثمار الإماراتي في الثقافة والفنون وغيرها التي تعد جزءاً أصيلاً من إستراتيجيات التنمية الحضرية.

المطلب الرابع: الوسائل الفاعلة في تحريك سوق السياحة العائلية:

إن الحاجة لتحريك سوق السياحة العائلية وتنشيطه في مجتمعاتنا، تستلزم وجود تصور بما سيكون عليه واقع عملها، وكذلك معرفة الوسائل الفاعلة في إيجاد وتطويره، ومن ذلك تقديم افتراضات اقتصادية وثقافية لما يجب انتهاجه لتحقيق حالة من الوعي تؤهل البيئة المجتمعية لأن تكون أرضية مناسبة لتزدهر فيها أسواق الثقافة والاقتصاد المعرفي، ومن تلك الوسائل الفاعلة لتحريك الأبداع في سوق السياحة العائلية وتنشيطه ما يأتي:

١- الحاضنات الابتكارية: هي أن تُعطى الأفكار البسيطة، مهما تناهت في البساطة، حقها من الرعاية والاهتمام، شرط أن توجد فيها الجدوى الاقتصادية وقابلة للاستثمار والتسويق، عن طريق ما اصطلح على تسميته بـ «حاضنات الابتكار»؛ وتقوم فكرة الحاضنات على تكييف الأفكار اقتصادياً، ورعاية الأبحاث، واستثمارها، بشكل يدعم الاقتصاد، ويظهر تأثيره على الدخل القومي.

فتقوم الحاضنات الابتكارية على تبني الأفكار المتعلقة بالمؤسسات الثقافية، مهما صغر شأنها، بشرط أن تكون مجدية ومفيدة نوعاً ما، يمكن تحويلها إلى سلعة، أو

برنامج سياحي، وبيعها في الأسواق، وتبدأ الحاضنة بعمل نسخ تجريبية على نطاق صغير، بعد تكييف الفكرة اقتصادياً، وبيع نسخ تجريبية، محدودة، لمن يهمهم الأمر؛ مثلاً تهتم العوائل وأصحاب الشركات في كثير من دول العالم بشراء عروض تجريبية للسياحة العائلية، تعرضها شركات السياحة، بعدد محدود، عبر الإنترنت، أو غيرها من وسائل الترويج ويستخدمونها من قبيل الحوافز والمكافآت التشجيعية، والترويج عن العائلة في الإجازات السنوية، أو الموسمية. إن الحاضنات الابتكارية وفرت للدول المستخدمة لها القدرة على الاستثمار، في أكثر ما تفتقر إليه من عناصر الإنتاج، وعملت على إيجاد البدائل المناسبة لجعلها في مقدمة الدول العالمية، في شأن تصنيعها.

وخلاصة المقصود من فكرة الحاضنات الابتكارية، التي لها صلة بالثقافة والسياحة فهي من جميع الزوايا تؤدي المهمة نفسها، إذ إنها الوحيدة القادرة على فعل ذلك حين تتبنى ابتكارات المبدعين، فتحول إبداعاتهم المعرفية، إلى ما هو صالح لتداوله واستهلاكه بما ينفع البشرية، ويظهر أثره على الاقتصاد الوطني، ويعزز من الدخل القومي. ولعل أهم ما يضطلع به الاقتصاد المعرفي هو مهمة الحاضنة الابتكارية، التي تعتمد على أفكار العاملين، ومعرفتهم وخبراتهم، أكثر من اعتمادها على جهود سوا عدهم في العمل. ومن لوازم وجود الحاضنات الابتكارية أن المجتمع الذي توجد فيه أن يخرج بأفكاره عن التقليدي والمألوف، فتقوم ثقافة أبنائه على البحث وطرقه، وتنتهج سبل التفكير الإبداعي، والابتكار المتجدد، ليكون عمل تلك الحاضنات هو تحويل الفكرة التي تجود بها عقول أبنائه - فيما يتعلق بالسياحة

العائلية- إلى عمل متفرد، وتطبيقها واستثمارها بما يخدم اقتصاد الوطن، ويعزز من الدخل القومي، ويحرك عجلة تنمية السياحة العائلية، بشكل متناغم مع التطورات في الاقتصاد العالمي.

إن الحاضنات الابتكارية هي وسيلة لاحتواء الأفكار بجدية، وعدا ذلك فهي أهم عنصر في القوة الناعمة، مكنت دولاً كثيرة، من الارتقاء اقتصادياً وسياسياً، وأبدعت في تقديم نموذجها الحضاري، الذي ظهرت به أمام العالم، ومكنته من أن يمتلك تلك الحضارة الراقية، وهذا ما نحن بمسيس الحاجة إليه في واقعنا، نكتسبها من تجارب الدول الناجحة، وهو مما تحض عليه شريعتنا الغراء في مجال اكتساب العلوم الصرفة من الأمم الأخرى.

٢- الصناديق التمويلية: إن وظيفة الهندسة الثقافية أنها تستطيع أن تقدم مخططاً واضحاً محسوب النتائج المتوقعة وغير المتوقعة، وهي قادرة على التصدي لكل المخاطر المتوقعة وغير المتوقعة، فمثلاً تستطيع الهندسة الثقافية، أن تقدم تصوراً للحل عن طريق الصناديق التمويلية، التي تتبع المؤسسات الحكومية، من أجل مساعدتها في تقديم الدعم الكافي للمراكز البحثية، والعلمية، ودعم شرائح كثيرة في المجتمع، فميزانيتها مأخوذة من جميع المؤسسات في الدولة، وتكرّس نفسها من أجل خدمة شرائح تهمّ الدولة والمجتمع رعايتها، ولها الأولوية في نظرها، ومنها مراكز تنمية المشاريع الثقافية وتسويقها كمنتج اقتصادي يعمل لتحفيز السياحة العائلية.

٣- الاستثمارات المحلية والأجنبية: عن طريق تعزيز دور القطاع الخاص والأفراد في المساهمة الفاعلة في تحقيق التنمية الشاملة من خلال زيادة وتحفيز الاستثمارات المحلية والأجنبية، كما هو الحال في خطط التنمية الإماراتية المتعاقبة التي سعت إلى تحقيق هذا الهدف من خلال تكثيف الجهود المتعلقة بتنمية وتطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتطوير وتنمية القطاع الخاص وتحسين بيئة الاستثمار.



المبحث الثالث

الأبعاد الاقتصادية لاستخدام علم الهندسة الثقافية

في تنمية السياحة العائلية

المطلب الأول: دور الهندسة الثقافية في تنمية السياحة العائلية:

إن المشكلة الحقيقية في كثير من الدول العربية في قيام معظم المشاريع السياحية المرتبطة بالثقافية على أساس فكرة آنية أو موسمية، تندثر مع انتهاء الحدث أو الفعالية، وتكون مكلفة وباهظة الثمن. ولكن عندما يتم وضع الأهداف والسياسات والخطط الثقافية، ورسم خريطة الهندسة الثقافية لها، نستطيع أن نصل إلى مشروع ثقافي سياحي متكامل ومتطور.

ولا شك أن نجاح الأمم مرتبط بنجاح ثقافتها ولئن تعمقنا في النظر إلى هذا الجانب لاكتشفنا أن الثقافة تلعب دورا كبيرا في دفع الاقتصاد إلى الأمام وهي كذلك الدافع الكبير لإصلاح شؤون المجتمعات ومنحها الكثير من السعادة والبهجة، وأخذها من ظلمة الحياة الرتيبة إلى صناعة حياة مملوءة بالقيم الإنسانية الراقية والسعادة.

المطلب الثاني: البعد الاقتصادي لتنمية السياحة العائلية على الاقتصاد الإسلامي:

إن حكومات الدول تعول كثيرا على تعزيز ونشر ثقافة الاستثمار في الفعاليات الثقافية في بناء رأس المال الاقتصادي، ولا سيما قطاع السياحة العائلية حيث يعزز مكانته كأحد ركائز نمو الاقتصاد الإسلامي، فالسياحة العائلية تستحوذ على ١٢,٥٪ من سوق السياحة العالمية، حيث تجاوز حجم إنفاق السياحة العائلية

الـ (١, ٠٧) تريليون دولار أمريكي، وبمعدل نمو سنوي متوقع بمقدار ٧٩, ٤٪ حتى عام ٢٠٢٠. إن النمو المتزايد الذي يشهده قطاع السياحة العائلية عزز من مكانتها كعامل محوري في نمو الاقتصاد الإسلامي، حيث أظهرت بيانات شركة طومسون رويترز، أن السياحة العائلية تمثل ٥, ١٢٪ من سوق السياحة العالمي بقيمة إجمالية وصلت إلى ١, ٠٧ تريليون دولار أمريكي في عام ٢٠١٢م^(١).

وتوصف حجم وإمكانات سوق السياحة العائلية بأنها أكبر من سوق الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يعتبر أهم سوق في السياحة التقليدية، بنسبة استحواذ ٤, ١١٪ فقط من حجم السوق العالمية. إن السياحة العائلية تعد من أكثر القطاعات حيوية في صناعة السياحة على الصعيد العالمي، وهي عنصر رئيسي في حركة نمو الاقتصاد الإسلامي، فالمسافرون المسلمون يمثلون جزءاً كبيراً من حركة السياحة العالمية، حيث أصبحت تلبية متطلبات العائلات وإعادة تعريف المجالات الأساسية للأنشطة السياحية من أهم عوامل نمو صناعة السياحة».

تكمن أهمية السياحة العائلية بكونها ركن مهم وأحد مجالات النمو الرئيسية للاقتصاد الإسلامي المعاصر، حيث تهدف إلى تعزيز مكانة الدول العربية الإسلامية عالمياً كمركزٍ جاذبٍ للسياحة العائلية، من خلال ما توفره تلك الدول من خدمات البنية التحتية ومرافق الضيافة الموجهة للأسر والمتوافقة مع المعايير الإسلامية.

وبالنظر للمقومات والإمكانات الاستثنائية التي يمتلكها السوق الإماراتي في مجال السياحة العائلية، والتي جعلتها تحتل المرتبة الأولى في فئة السياحة ضمن

(١) <https://www.crescentrating.com>

مؤشر التنافسية لمنظمة التعاون الإسلامي في ٢٠١٣، فقد حققت الإمارات مرتبة متقدمة في أسواق السفر الجديدة الناشئة، بسبب القيم الثقافية المضافة التي تقدمها للعائلات والمتأصلة في الثقافة المحلية. كما احتلت دولة الإمارات المرتبة الثانية عالمياً بتقييم ٧,٠ حسب معايير موقع «كريسنترالينج» السنغافوري الإلكتروني الرائد المتخصص في مجال السفر والسياحة، فيما حققت كل من السعودية والمغرب مراتب متقدمة في التقييم بين الوجيهات العالمية الأهم، حيث حصلت السعودية على ٦,٥، والمغرب على ٦,٤. في الوقت الذي استحوذت ماليزيا على أعلى تقييم وصل إلى ٨,٤، والذي ساعدها على استقطاب أكثر من ١٧٠ ألف زائر من منطقة الخليج وحدها خلال سنة ٢٠١٣م^(١).

وتبين الدراسات الحديثة المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي إن السياحة العائلية حققت نمواً في قيمتها من ١٣٧ مليار دولار أمريكي خلال ٢٠١٢ إلى ١٤٠ مليار دولار أمريكي في ٢٠١٣. ومن المتوقع أن ترتفع القيمة إلى ١٨١ مليار دولار بحلول ٢٠١٨. مدفوعة بالنمو السكاني في العالم الإسلامي والأداء الاقتصادي القوي. ويتوقع خبراء صناعة القطاع أن تحقق السياحة العائلية نمواً سنوياً قوياً يقدر بـ ٤,٧٩٪ حتى عام ٢٠٢٠، وبمعدل أعلى من نسبة النمو العالمية التي تقدر بـ ٣,٨٪، مما يعكس الأهمية المتنامية للاقتصاد الإسلامي^(٢).

(١) <https://www.crescentrating.com>

(٢) <http://www.dubaichamber.com> <https://www.crescentrating.com> <https://www.flandersinvestmentandtrade.com>

المطلب الثالث: السياحة العائلية في تجربة دولة الإمارات العربية - دبي أنموذجاً:

من أبرز النماذج العربية الذي يمكن الحديث عنه هو إمارة دبي، فهذه المدينة التي يقودها صانع الحضارة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، وبدراية الخبير هو يعرف ما هي الأسس الحقيقية لنهضة أي حضارة بشرية، فدعم الاقتصاد المعرفي الذي تأسست عليه، وأقام البنية التحتية، واعتنى بالفكر والثقافة والفنون وحقوق الإنسان، في نسج راقى بين المبادئ والأخلاق التي تتشح به هذه المدينة، جعلتها في مصاف أرقى مدن العالم حضارياً واقتصادياً، وهذا التطور والرقي مازال مستمراً في النمو كل يوم أكثر فأكثر، وهو ما لا يملك العالم تجاهه سوى الاعتراف بريادته والإكبار له، ولرؤية قائد يشيد بلده وللمسلمين عصرًا ذهبياً ثانياً.

وإمارة دبي هي قطعاً الوجهة المثالية لتمضية عطلة عائلية، حيث تضم مدن الترفيه والشواطئ الملائمة للعائلات وتستضيف فعاليات الترفيه، وتحتضن الملاعب المائية والأحواض السمكية وجولات السفاري، والمزيد من الأنشطة ومعالم الجذب التي تُسعد جميع أفراد العائلة، مما جعل دبي على خارطة السياحة العالمية.

ومن النماذج المتنوعة الماثلة على خارطة دبي للسياحة العائلية: حيث تمثل الأنماط السياحية كافة الفعاليات والنشاطات التي تمارس لتقديم خدمات ذات طبيعة سياحية، وبما يحقق الإشباع الفردي والعائلي للسياح في نطاق حاجاتهم ورغبتهم، وتحقيق مكاسب اقتصادية واجتماعية وثقافية للسياح والمجتمع المضيف^(١). وتشكل خدمات الإقامة والسكن والتنقل العمود الرئيسية للنمط السياحي وتقدم خدماتها

(١) العدوان، مروان السكر، الفندقية: إدارة واقتصاد، ص، دار المجدلأوي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٤م.

في قنوات متعددة، فللسياحة أنماط مختلفة، حيث يمكن تصنيف أنواعها وفقاً لعدد من الأسس المعينة^(١). ومن أهمها ما يأتي:

١ - السياحة الترفيهية والثقافية: وهي سياحة تجمع بين الترفيه والرياضة والفعاليات الثقافية، ومن أمثلتها في إمارة دبي:

أ- شاطئ (كايت بيتش): هو أحد الأماكن المفضّلة في دبي لقضاء يوم على الشاطئ والاستمتاع بإطلالة رائعة على برج العرب. حيث يجتمع محبو ركوب الأمواج في هذا الشاطئ للتمتع بالأمواج العالية والرياح المناسبة، وهو المكان المثالي لقضاء يوم عائلي على الشاطئ، وبإمكان الاسترخاء والاستمتاع بعروض التزلج الشراعي على الماء، في حين يلعب الأطفال في مساحات الألعاب المتعدّدة أو في مضمار المغامرات في واير وورلد. أكبر مدينة ملاهٍ مغطاة في العالم وموطن للإثارة والتشويق للجميع، كشخصيات (بن تن) و(غامبول) و(لايزي تاون)، في حين يمكن للجميع الاستمتاع في عالم أبطال مارفيل الخارقين مع الرجل العنكبوت والرجل الأخضر والرجل الحديدي وذا أفنجرز، ومغامرات الوادي المفقود، التي تضمّ ديناصورات مذهلة بالحجم الحقيقي، والتزلج على الثلج في مول التزلج على الثلج، والتزلج من أعالي المنحدرات بواسطة الزلاجات أو لوح التزلج، في منتزه الجليد في مول سكي دبي.

ب- القفز الحرّ الداخلي (آي فلاي دبي): يعتبر البعض أنّ القفز الحرّ ليس نشاطاً آمناً للأطفال على الرغم من الحماس الذي يوفره. ولكن، في (آي فلاي دبي)، وتحديدًا

(١) توفيق، ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، ص ٣٥، دار زهران، ١٩٩٦ م.

في (مردف سيتي سنتر)، فيمكن للأطفال والبالغين الاستمتاع بممارسة القفز المظلي الحرّ بأمان والارتفاع عن الأرض لثلاثة أمتار فقط، وهذا من خلال نفق هوائي عمودي متطورّ تكنولوجياً. يمكن للجميع تجربته، الأمر الذي يجعل (أي فلاي دبي) عبارة عن تجربة ترفيهية عائلية بامتياز.

ت- (ميراكل جاردن دبي): حديقة كبيرة مليئة بالنباتات والأزهار في صحراء دبي وتعدّ واحدة فعليّة ضمن مدينة دبي، ومع موقعها على مسافة بضع دقائق من المدينة الرئيسية، تضم (ميراكل جاردن) بالفعل أكثر من ٤٥ مليون زهرة متفتّحة، وهي المكان المثالي لعشاق الطبيعة وكنوزها، ويهدف المشرفون عليها إلى أن تصبح أكبر حديقة أزهار في العالم.

ث- حديقة الحيوانات المائية (دبي أكواريوم): يُعدّ دبي أكواريوم وحديقة الحيوانات المائية أكبر أحواض السمك المعلّقة في العالم، وعالم تحت الماء، فهو موطن لأكثر من ١٤٠ نوعاً من الحيوانات المائية، وفيها مخلوقات بحرية عجيبة داخل دبي مول، يحتضن هذا الأكواريوم الضخم أكثر من ٣٣ ألف حيوان مائي (بما في ذلك أكثر من ٣٠٠ سمكة قرش وراي)، ويقع في دبي مول المليء بالأنشطة المشوّقة، فيمكن للأطفال مشاهدة أسماك القرش والتماسيح وأسماك الراي عن كثب، أو القيام بجولة على متن القارب ذي القاع الزجاجي أو تجوّل في النفق الممتد على طول ٤٨ مترًا في أكبر خزان مائي للأحياء البحرية في العالم. وتعلم كيفية الاهتمام بالحيوانات المائية، حيث يتم ذلك في سياق مغامرة مشوّقة بحقّ لأفراد العائلة.

٢- السياحة الثقافية: حيث يعتمد هذا النوع على إقامة الندوات الثقافية

كمسابقات الشعر والمسرح والمقالة والفنون والأزياء، وأمثلة ذلك في دبي:

أ- (كيدزانيا) هو مجمع تثقيفي وترفيهي يقع في دبي مول، وهو نسخة عن مدينة تحتوي على شوارع معبّدة واقتصاد فعّال. وهو مخصّص للأولاد ما بين ٤ و ١٦ سنة من العمر، ويهدف إلى إدخالهم إلى سوق العمل، حيث بإمكان الأطفال استكشاف أكثر من ٨٠ مهنة حقيقية ويوفّر لهم هذا المكان بيئة آمنة يمكنهم فيها استخدام خيالهم لاستكشاف «العمل» كطيّار، أو طبيب أسنان، أو طبيب، أو رجل إطفاء أو حتى صحفيّ. بإمكان الصغار تأدية «وظائف» لكسب عملة كيدزوس التي يمكنهم استخدامها للتسوّق أو الترفيه عن أنفسهم داخل اللعبة التفاعلية^(١).

ب- ومنها (موشن غيت): وهي أكبر مدينة ملاهٍ في الشرق الأوسط مستوحاة من هوليوود، في دبي (باركس آند ريزورتس) الذي يضم معالم سياحية تلبي رغبات كافة الأعمار، وينتقل الأطفال إلى عالم الأشباح والتنانين، حيث تمتلئ الأجواء بالأغاني والفعاليات الترفيهية، ومشاهدة شخصيات الأفلام تنتقل إلى الواقع، في الوقت الذي يرافقهم أحد شخصيات الحيوانات من فيلم مدغشقر، بالإضافة إلى مستوياتٍ عديدة من المغامرات، كمنطقة ألعاب قرية السنافر^(٢).

ت- متحف الطبيعة (أوربي): هو الأول من نوعه يقدم لزواره تجربة ترفيهية وتعليمية مشوّقة بواسطة أحدث التجهيزات التقنية، فهو مكان رائع للأطفال

(١) <https://www.visitdubai.com/en/pois/dubai-parks-and-resorts>

(٢) <https://www.visitdubai.com/en/pois/dubai-parks-and-resorts>

للتعرف على الطبيعة والحيوانات بطريقة تفاعلية تجعل من التعلم أمراً سهلاً وممتعاً للغاية. ويتميز متحف أوربي بتقديم تجربة رباعية الأبعاد تأخذك في رحلات رائعة أشبه بالحقيقة إلى مناطق مختلفة من كوكبنا.

ث- (كينو كيونيا): هي مكتبة عملاقة تبلغ مساحتها ٦٣١٧ متراً مربعاً، وتعرض مجموعة تضم أكثر من مليون كتاب في (مول دبي)، في كل التخصصات مقدمة بست لغات، وتقدم تنويراً ثقافياً، كما توفر المكتبة أيضاً فعاليات وورش عمل ممتعة للصغار. وقد سعت إمارة دبي في إرضاء شغف محبي القراءة والثقافة، إلى تهيئة موقع يفوق الخيال «كينوس كافي» فهو يعد المكان المثالي للقراءة والاسترخاء مستمتعا بالإطلالات الرائعة لنوافير برج خليفة، وهو جمع هندسي تنظمي بين الثقافة وبين السياحة العائلية فيه تلبية لحاجة القراءة لدى العائلة، يهتم بتسويق الثقافة بأسلوب عصري واقتصادي بديع.

ج- الأحياء الفنية الواعدة (حي القوز الفني): تحول حي القوز في دبي إلى أحد أنشط مراكز الإبداع الناشئة في الشرق الأوسط، ويتألف الحي من مزيج من الفنانين والمبدعين ويقدم واحدة من تجارب دبي الرائعة بحق. «السركال أفينيو»، هو قلب هذا الحي النابض، حيث يحتضن فعاليات فنية راقية كما يحتوي على قاعات عرض حديثة ومسرح صغير، وهو من أكثر في الشرق الأوسط نشاطاً، حيث تحول الآن إلى مركزٍ تصل مساحته إلى ٥٠٠ ألف قدم مربع تتمزج فيه الفنون والمأكولات والأزياء والموسيقى مع عددٍ من الفعاليات الثقافية والفنية، مثل «آرت دبي».

ح- قاعات عرض الأعمال الفنية وتعد أحد الأهداف الرئيسية لحي الفنون هو خلق أجواء فنية مماثلة لتلك السائدة في الأحياء الفنية الشهيرة حول العالم مثل منطقة «شورديتش» في لندن و«ميت باكينج» في مانهاتن، أول مساحة فنية فتحت أبوابها عام ٢٠٠٨ كانت «أيام جاليري» وهي إحدى أكبر دور الفن المؤثرة نظراً لنهجها الجريء في تناول القضايا التي تواجه المنطقة. تشتهر «أيام جاليري» التي افتتحت ثاني قاعة عرض لها في دبي لدعمها للفنانين السوريين الذين تعالج أعمالهم مواضيع مثل الحرب والهوية.

خ- معرض الفن الأخضر: يعتبر موطناً للفنانين المعاصرين والناشئين من الشرق الأوسط وتركيا وجنوب آسيا، حيث يعرض أعمال فنان المنطقة، ويساهم في جعل دبي القلب النابض للثقافة في الشرق الأوسط بالإضافة إلى هذه المعارض، تم افتتاح أول ستوديو لفن «الجرافيتي» المحلي مع مجموعة خاصة لأعمال أوروبية وأمريكية تعود إلى حقبة الستينيات وحتى التسعينيات من القرن الماضي، يمكن مشاهدتها في مؤسسة «جين بول نجار»^(١).

د- معارض الأزياء والتصاميم الفنية: هنالك مساحات في رحاب حي «السركال» تلتقي فيها الفنون مع الأزياء والتصاميم الفنية، حيث تقدم دار الأزياء الأسطورية الإبداعية «ذا كارتل» في دبي معارض فنية تعرض الملابس وتكشف العلاقة بين الفن والأزياء. في الجانب الآخر من الحي، تقدم «ماد غاليري» تجربة استكشافية مماثلة لإظهار فن الحركة، ومؤخراً «تشي كا» الذي يعرض عباات

(١) معرض جرين آرت <https://www.visitdubai.com/ar/pois/green-art-gallery>

مصممة على طراز «الكيمونو» وبوتيك «أيكون هاوس» الذي يقدم أسلوب الحياة والتصميم الإسكندنافي.

ذ- رحلات السفاري والمغامرات: تجد في سفاري صحراء دبي جميع المكونات التي تجعل المستكشفين الشباب متحمسين لخوض تجربة ثقافية لا مثيل لها، حيث تقدم شركات السياحة العربية باقات صيفية لاستكشاف جمال الصحراء وسحرها، مع أنشطة تشمل ركوب الهجن عند غروب الشمس، وقيادة سيارة رباعية الدفع عبر الكثبان الرملية، فضلاً عن وليمة شهية تحت السماء المرصعة بالنجوم، مع ديكور على الطراز البدوي.

٣- السياحة العائلية: وهي من الأنماط الحديثة التي تلقى روجاً متجدداً بين السياح، ومن فعاليتها في إمارة دبي:

أ- ملتقى زايد بن محمد العائلي: أسس ملتقى زايد بن محمد العائلي في منطقة الخوانيج الأولى في دبي في العام ٢٠١٣. ليشكل وجهة عائلية آمنة، توفر للعائلة خيارات متنوعة من التسوق والترفيه والثقافة في إطار إماراتي الهوية. يهدف الملتقى إلى تطوير وتأسيس أبعاد ثقافية مختلفة تتناسب مع التوجهات العامة لدولة الإمارات العربية المتحدة، وتعزز العادات والتقاليد بين أفراد المجتمع، كما تساهم في توطيد العلاقات بين أفراد العائلة الواحدة، وتعكس الهوية الوطنية وتدعم القيم الاجتماعية والعادات الموروثة. ومن الأهداف الاقتصادية التي يسعى الملتقى إلى تحقيقها، دعم الأسر المنتجة وتعزيز مفهوم الإنتاجية وتحقيق مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع بكافة أطيافه، والمساهمة في ترسيخ مكانة دبي ودورها في إرساء روح التسامح في المجتمع.

ويقدم الملتقى برامج ومبادرات بهدف إرساء التعاون بين أفراد المجتمع ومؤسساته وتفاعلهم في كل ما يتعلق بإبراز الموروث الشعبي والفكري والحضاري والعادات والتقاليد والقيم المجتمعية، وإيصال المعرفة التراثية والثقافية بأسلوب إبداعي وغير تقليدي^(١).

ب- ليجو لاند دبي: هي من أحدث وأهم المعالم السياحية في دبي، وتحتوي على جولات مشوّقة وألعاب تفاعلية مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن بناء سيارات الليجو كارز والتسابق بها، وبناء روبوتات، ستمكّن مدينة الملاهي هذه الأطفال من إطلاق العنان لخيالهم وستبقيهم مشغولين طوال اليوم^(٢).

ت- يوم عائلي في الصحراء: وهي رحلات إلى الصحراء البرية وهي أكثر التجارب رواجاً بين الزوار الذين يقصدون دبي. توفرها الشركات السياحية، عن طريق جولة وعشاء في الصحراء، ورحلات السفاري، ومشاهدة عرض الصقر، والتخييم بالطابع البدوي، وينظمون جولات قصيرة للركوب على الإبل، والتزلج على الرمال والرسم بالحناء.

ث- المغامرات في الصحراء: تزخر جولات القيادة على الطرقات الوعرة بالمغامرات والمتعة وتوصف بأنها أفغوانية الصحراء عبر الكثبان الرملية الضخمة لتجربة القيادة على الطرق الوعرة والتوقف وسط الصحراء لتأمل أجمل المعالم الطبيعية. هذا ويجرّص العديد من منظمي الجولات على مشاهدة بعض الصقور

(١) <https://www.visitdubai.com/ar/itineraries/family-friendly-thrills>

(٢) <https://www.visitdubai.com/ar/itineraries/family-friendly-thrills>

المهيبه والاقتراب منها، وهي الطيور الوطنية في الإمارات العربية المتحدة، وصولاً إلى جولة في المحمية، فتشاهد عن كثب الحياة البرية الصحراوية^(١).

ج- (جميرا بيتش ريزيدنس): وهو موقع بجوار البحر في دبي، كما أن قربه من مجموعة كبيرة من المطاعم والمقاهي والمتاجر ما يجعله مكاناً للترفيه العائلي، فضلاً عن دار للسينما وحديقة مائية صغيرة للأطفال.

ومما سبق يتبين بوضوح الأنماط السياحية المتنوعة للسياحة العائلية التي تم التخطيط لها ووضع برامجها وتنفيذها على وفق خارطة الهندسة الثقافية لإمارة دبي، بمحتوى ثقافي عربي وإسلامي يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية.



(١) خطط إجازاتك العائلية المثالية - <https://www.visitdubai.com/ar/discover/family-holiday>

الختام

النتائج: وكان من أبرز النتائج التي تم التوصل إليها:

١- إن علم الهندسة الثقافية من أهم الوسائل العلمية الحديثة العاملة لتغيير الواقع السياحي في بلادنا بما يمثله من نهج لتخطيط التنمية الثقافية التي تأخذ بعين الاعتبار المفاهيم المتغيرة للثقافة، وتصميم إستراتيجيات عملية للتعامل مع المشاكل التي تواجهها الثقافة، ومنها السياحة الثقافية. وبعبارة أخرى، فإن الهندسة الثقافية: هي النظم والعمليات والبدائل والحلول الإبداعية لمواجهة التحديات من أجل تطوير المؤسسات الثقافية مما له كبير الأثر في تطوير السياحة الثقافية.

٢- يتوافق مفهوم الهندسة الثقافية للسياحة مع مفهوم الإدارة الثقافية لها، ولكنه أشمل وأكثر فاعلية على المدى البعيد، وهو علم وفن يخرج المشاريع الثقافية السياحية من المفهوم الاعتيادي، إلى مشاريع تحقق النجاح الثقافي والاقتصادي، برؤية اقتصادية معاصرة، يتم على وفقها تصميم مشروع ثقافي اقتصادي شامل.

٣- إن وظيفة الهندسة الثقافية أنها تستطيع أن تقدم مخططاً واضحاً محسوب النتائج المتوقعة وغير المتوقعة، وهي قادرة على التصدي لكل المخاطر المتوقعة وغير المتوقعة، وتوفير البيئات المحفزة للإنتاج الثقافي، والاستفادة من قيم التنوع الثقافي التي تملكها أمتنا العربية والإسلامية.

٤- أن التنمية السياحية في بلادنا تحتاج إلى إعادة إنتاج الموروث الثقافي والعمراني بتصميم عصري حديث يؤخذ فيه بعين الاعتبار صلاحيته للتسويق عالمياً، والموائمة مع المفاهيم والثقافات العربية، والضوابط الشرعية.

٥- اعتبار الهندسة الثقافية وسيلة ناجعة لخلق نوع جديد من الفكر الثقافي يركز على التصميم الهندسي والإداري والمبادئ القيمة للمجتمع لصنع الأفكار الثقافية الناجحة التي يمكن إبرازها كمنتج سياحي ذو مردود اقتصادي.

٦- إن إنتاج المعرفة المتعلقة بالسياحة العائلية يتم من خلال ثلاثة أنشطة هي البحث العلمي، التطوير التقني، والابتكار؛ وهي أنشطة يتوجب مضاعفتها في جميع القطاعات، على أن تتوافق مخرجاتها مع متطلبات الاقتصاد الوطني، ويتطلب ذلك تكثيف الجهود الخاصة ببناء القدرات الضرورية لاستيعاب المعرفة والعمل على حضورها، وزيادة حجم موارد البحث والتطوير والابتكارات المادية والبشرية، والتوسع في البحوث التطبيقية، وفي الابتكار والاهتمام بالمعارف، وهذا ما تعمل عليه حكومة دبي في سعيها لتطوير السياحة العائلية.

٧- تتمثل الغاية الاستشرافية لهندسة الثقافة بإدارة المعرفة المتضمنة مجموعة من التحديات، ومنها رسم خارطة طريق بالتنسيق بين الجهات ذات العلاقة، بداية بالمؤسسات الثقافية وانتهاءً بالمرافق السياحية، وتبني نظم إدارة المعرفة المتعلقة بالمؤسسات الثقافية، وتوفير حزم متنوعة من

الحوافز للاستثمار في الأنشطة ذات الصلة بالسياحة العائلية، وتطبيق معايير الجودة بغرض الارتقاء بجودة العمل، واعتماد مؤشرات رقمية لقياس التقدم المنجز.

٨- تطبيق فكرة الحاضنات الابتكارية بشكل مؤسسي، على مستوى القطاعين الحكومي والخاص، وتقوم فكرتها على تبني أي فكرة تتعلق بالمؤسسات الثقافية، مهما صغر شأنها، شرط أن تكون مجدية ومفيدة نوعاً ما، ويمكن تحويلها إلى سلعة، وكذلك الصناديق التمويلية، التي تتبع المؤسسات الحكومية، لتقديم الدعم الكافي للمراكز البحثية والعلمية، ودعم شرائح كثيرة في المجتمع، ومنها مراكز تنمية المشاريع الثقافية وتسويقها كمنتج اقتصادي يعمل لتحفيز السياحة العائلية.

التوصيات: وانتهت الدراسة بجملة من التوصيات من أبرزها:

١- بناء برامج التغيير القادرة على إحداث التأثير المطلوب على المدين القصير والطويل، والاستعانة بتجارب الأمم المتحضرة في آلياتها ووسائلها في رسم إستراتيجيات السياحة العائلية على أساس خريطة الهندسة الثقافية للسياحة.

٢- العمل على استحداث موقع عربي متخصص في السياحة العائلية، كموقع «كريسنت ريتينج» السنغافوري الإلكتروني، (crescent rating)، يعنى بهذه الصناعة وكيفية تطويرها.

٣- رسم الخطط المستقبلية للسياحة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ضرورة تفعيل الحركة الجوّالة للمعالم السياحية في المعارض والمهرجانات العالمية، وجعلها واقع مشهود، مما يسهم في الترويج المستمر لحركة سياحية على مدار العام.

٤- الاستفادة من برامج الواقع الافتراضي وتكنولوجيا الألعاب الإلكترونية للترويج للمعالم السياحية في بلادنا، عن طريق عقد اتفاقيات مع شركات الألعاب الإلكترونية لجعل معالم مدينة دبي جزء من الواقع الافتراضي للألعاب الإلكترونية.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م

التمويل الإسلامي للبرامج السياحية دراسة فقهية تطبيقية

إعداد

علي بن محمد بن محمد نور

خبير في المصرفية والتمويل الإسلامي

باحث دكتوراه في الفقه وأصوله - جامعة الملك سعود

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



يهدف هذا البحث إلى دراسة تأصيلية في التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، ودراسة الصيغ الشرعية في التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، بما يلائم التصور الصحيح لهذه البرامج السياحية من الناحيتين القانونية والفقهية، ويختص البحث بدراسة الصيغ التمويلية التي تكون فيها المؤسسة المالية وسيطاً في تقديم الخدمة، بين مقدم البرامج السياحية والمستفيد بهدف تمويله، ولا يتناول التمويل الذي يقصد منه حصول المستفيد على النقد كالقرض والتورق، دون أن يكون للمؤسسة المالية دور في التوسط في الحصول على البرنامج السياحي، ولا دراسة صيغ التمويل لمقدم البرامج السياحية. ويهدف البحث إلى حصر الاجتهادات الفقهية المعاصرة لمنتجات التمويل الإسلامي للبرامج السياحية وتقويمها، والموازنة بين هذه الاجتهادات الفقهية، من حيث مستندها الشرعي، والآثار العملية المترتبة على كل منها، كما يُعنى البحث بدراسة التطبيقات لتمويل البرامج السياحية في عدد من البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

ويتناول البحث في المبحث الأول مقدمات تأصيلية في التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، يتضمن التعريف بالتمويل الإسلامي والسياحة وبيان أنواعها،

وبيان ملاءمة تمويل البرامج السياحية لمقاصد الشريعة والاقتصاد الإسلامي. ويتناول البحث في المبحث الثاني: بيان حقيقة البرامج السياحية وتكييفها الفقهي والقانوني. كما يتناول المبحث الثالث دراسة أهم صيغ التمويل الإسلامي للبرامج السياحية وتطبيقاتها، والمتمثلة في التأجير التمويلي للخدمات الواردة على أصل معين، والتأجير التمويلي للخدمات الواردة على أصل موصوف في الذمة، والقروض الحسن مع الوساطة، والتورق المصرفي مع الوساطة، والمعاوضة على التنازل على العقود. وسيتناول البحث أيضاً بيان التخريج الفقهي لكل صيغة من هذه الصيغ، والضوابط الشرعية لها، وتوصيف العلاقة بين الجهات ذات الصلة بتقديم البرنامج السياحي وتمويله، والآثار المترتبة على ذلك.



المقدمة

أحمدُك ربي على عظيم آلائك، وأشكرُك على توالي إنعامك، لك الحمد كُلُّه، ولك الشكر كُلُّه، وإليك يرجع الأمرُ كُلُّه، أبرأ إليك اللهم من حَوِي وقوتي إلى حولك وقوتك، وحدك لا شريك لك، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميدٌ مجيد.

وبعد:

فقد حظيت السياحة في هذا العصر بأهمية بالغة، إذ أضحت جزءاً حيوياً في حياة الأفراد والمجتمعات، ومكوناً رئيساً من مكونات الاقتصادين المحلي والعالمي، وقد كان من الأهمية بمكان العناية بالسياحة بعدها مجالاً من مجالات الاقتصاد الإسلامي؛ تلبيةً لاحتياج المجتمع المسلم، والعمل على إبراز قيم الإسلام ومحاسنه في الخدمات السياحية، وتقديم المبادرات لتنمية هذا القطاع الحيوي، وتعزيز دوره في الاقتصاد على المستويات كافة، من خلال العناية بتنظيم «السياحة الحلال»، والذي يتكامل مع «الغذاء الحلال» و«اللباس الحلال»؛ من أجل تأسيس نمط الحياة الإسلامية المعاصرة وتعزيزه.

ويأتي هذا البحث والموسوم بـ«التمويل الإسلامي للبرامج السياحي دراسة فقهية تطبيقية»؛ ليسهم في إبراز التكامل بين «التمويل الإسلامي» و«السياحة الحلال»، بوصفها مجالين من مجالات الاقتصاد الإسلامي، إذ يهدف البحث إلى التأصيل الفقهي في التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، وبيان مناسبته لمقاصد

الشريعة والاقتصاد الإسلامي، وإيضاح التكييف الشرعي والقانوني للبرامج السياحية، ودراسة صيغ التمويل الملائمة لهذه البرامج، وتطبيقاتها في المؤسسات المالية الإسلامية.

وينحصر البحث في تمويل المؤسسات المالية عملاءها بهدف الحصول على البرامج السياحية، التي تكون فيها المؤسسة المالية وسيطاً بين السائح ومتعهدي تلك البرامج، ولا يستهدف دراسة صيغ التمويل التي يكون المقصود بها حصول المستفيد على النقد، دون أن يكون للمؤسسة دور في التوسيط بين المستفيد والمتعهد، أو دراسة صيغ تمويل مقدمي الخدمات السياحية. كما ينحصر البحث في جانبه التطبيقي، على دراسة التطبيقات في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وينقسم هذا البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: مقدمات تأصيلية في التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، وفيه:

١-١- توطئة.

١-٢- التعريف بالتمويل الإسلامي.

١-٣- التعريف بالسياحة وأنواعها.

١-٤- ملائمة تمويل برامج السياحة لمقاصد الشريعة.

المبحث الثاني: حقيقة البرامج السياحية وتكييفها، وفيه:

١-٢- توطئة.

٢-٢- تعريف البرنامج السياحي.

٢-٣- التكييف القانوني للبرنامج السياحي.

٢-٤- التكييف الفقهي للبرنامج السياحي.

٢-٥- أنواع البرامج السياحية من حيث التعيين والوصف وأثره.

المبحث الثالث: صيغ التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، وفيه:

٣-١- توطئة.

٣-٢- التأجير التمويلي للخدمات الواردة على أصل معين.

٣-٣- التأجير التمويلي للخدمات الواردة على أصل موصوف في الذمة.

٣-٤- القرض الحسن مع الوساطة.

٣-٥- التورق المصرفي مع الوساطة.

٣-٦- التنازل عن العقد.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم،

وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول

مقدمات تأصيلية في التمويل الإسلامي للبرامج السياحية

١-١- توطئة:

يهدف هذا المبحث إلى التمهيد بمقدمات تأصيلية للتمويل الإسلامي للبرامج السياحية، من خلال التعريف بالتمويل الإسلامي، والتعريف بالسياحة وبيان أنواعها، وبيان ملاءمة تمويل البرامج السياحية مع مقاصد الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي بشكل عام، وتمويل برامج الحج والعمرة على نحو خاص.

١-٢- التعريف بالتمويل الإسلامي:

١-٢-١- التمويل في اللغة: مصدرٌ مؤلٌّ يُموَّلُ تمويلاً، إذا أمَدَّ غيره بالمال، ويقال: تَمَوَّلَ الرجلُ تموُّلاً إذا صار ذا مال، أو أمَدَّه غيره به، وتَمَوَّلَ المال: اتخذَه قنية^(١). وأما في الاصطلاح المالي، فيعرف بأنه: «الإمداد بالأموال عند الحاجة إليها»^(٢).

١-٢-٢- التمويل الإسلامي في الاصطلاح: يمكن تعريفه بأنه: «الإمداد بالمال من (النقد، والأعيان، والمنافع) لمن يحتاج إليه بمعاملة مباحة شرعاً، ينشأ عنها حقُّ أو دين لمقدم التمويل»^(٣). وهذا التعريف يشمل التمويل بعقود المدائنت كالبيع

(١) ينظر مادة (م و ل) في المصباح المنير، ٤٧٩، القاموس المحيط، ١٣٦٨.

(٢) مبادئ التمويل، طارق الحاج، ٢١.

(٣) هذا التعريف من إنشاء الباحث، وينظر: مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي، منذر قحف، ١٢.

والسلم والاستصناع والقرض الحسن، وعقود المشاركات، ولا يشمل الحصول على المال عن طريق الإرث أو التبرع أو التمويل المحرم.

١-٢-٣ - الحكمة من مشروعية التمويل الإسلامي: أن ما يملكه الإنسان من مال حاضر قد لا يكفي لتلبية احتياجاته للاستهلاك أو الاستثمار؛ فأجازت الشريعة عقود المداينات مثل: البيع الآجل والسلم والاستصناع، كما شرعت عقود المشاركات بأنواعها، التي تمكن من الحصول على المال من الآخرين؛ لغرض الاستثمار أو الاستهلاك؛ توسعةً لهذه الأمة ورفعاً للخرج عنها^(١).

١-٣-١- التعريف بالسياحة وأنواعها:

١-٣-١-١ - السياحة في اللغة: اسم مصدر، من ساح يسيح سَيْحًا وسياحة وسُيُوحًا، وأصل مادة السين والياء والحاء تدل على استمرار الشيء وذهابه، يقال: ساح الماء يسيح سَيْحًا إذا جرى على وجه الأرض، وتطلق السياحة على مطلق الذهاب في الأرض، سواء أكان ذلك على وجه التعبد أم غيره^(٢)، وغلب استعمالها في الاستخدام المعاصر على: «التنقل من بلد إلى بلد طلبًا للتنزه أو الاستطلاع والكشف»^(٣).

١-٣-٢-١ - السياحة في الاصطلاح الشرعي: يقصد بها السفر لغرض شرعي، من طلب علم ودعوة وتفكير واعتبار وهجرة إلى الله ورسوله، وقد ورد هذا عن بعض

(١) ينظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ٧٩.

(٢) ينظر مادة (س ي ح) في مقاييس اللغة، ٣/ ١٢٠، المصباح المنير، ٢٤٥، تاج العروس، ٩/ ٤٦١.

(٣) المعجم الوسيط، ٤٦٧.

السلف في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ الْحَمِيدُونَ
الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وفي سورة التحريم: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَبَيَّنَتْ
عِدَاتٍ سَخَّحَتْ﴾ [التحريم: ٥]^(١)، والوارد عن جمهور السلف أن المراد بالسياحة في
الآيتين الصوم؛ تشبيهاً للصائم بالسائح في انقطاعه عن الشهوات، وما يحصل له
من النظر والتأمل والتفكير^(٢)، ولا مانع من حمل السياحة في الآيتين على المعنيين؛
فتشمل حينئذ:

١- السفر لغرض شرعي، وهو المعنى الحقيقي للفظ السياحة، وتدل عليه الأدلة
التي تتضمن الأمر بالسير في الأرض لتحصيل المقاصد الشرعية من طلب علم
ودعوة وتفكير واعتبار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الروم: ٢٤]^(٣)، وقوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ الْأَرْضِ
الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا فَمَنْ يَنْزِعُ عَنْهُ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ فَمَا لَهُ مِنْ مَلْجَأٍ مِمَّنْ يَنْزِعُ عَنْهُ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ﴾ [المزمل: ٥٢].

٢- سياحة القلب وحركته في مرضاة الله ومحبهه، والعبادات المتضمنة لذلك،
ومنها: الصيام، وهي التي أبان عنها الإمام ابن القيم بقوله: «والتحقيق فيها أنها
سياحة القلب في ذكر الله ومحبهه والإنابة إليه والشوق إلى لقاءه، ويترتب عليها كل
ما ذكر من الأفعال»^(٤).

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٥/ ٥١٠-٥١٣، تفسير المنار ١١/ ٥٢-٥٣، تيسير الكريم
المنان للسعدي، ٣٥٣.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ١٠: ١٢-١٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢١٩-٢٢٠.

(٣) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي، ٥/ ٥١٠-٥١٣، تفسير المنار ١١/ ٥٢-٥٣، تيسير الكريم
المنان للسعدي، ٣٥٣.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ٨٥.

وأما قول الإمام أحمد رحمه الله: «ما السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين»^(١)؛ فالمقصود به فعل بعض المنتسكة من التعبد بالخروج إلى البرية، والعزلة عن الخلق، بلا قصد وجهة معينة.

قال في كشاف القناع: «والسياحةٌ لغير موضع معين مكروهةٌ، قال في الاختيارات: «السياحة في البلاد لغير قصد شرعي، كما يفعله بعض النساك أمرٌ منهي عنه، قال الإمام أحمد: ليست السياحة من الإسلام في شيء، ولا هي من فعل النبيين والصالحين»- وفي الحاشية: وفي الحديث: «لا سياحة في الإسلام»^(٢)، ومراده: إذا كانت السياحة لا لغرض شرعي، والسياحة المذكورة في القرآن غير هذه، وهي: الصوم أو السياحة لطلب العلم أو الجهاد ونحوه»^(٣).

١-٣-٣- السياحة في الاصطلاح المعاصر، وهو مقصود البحث، فتعرّف السياحة بأنها: انتقال شخص بشكل مؤقت عن محل إقامته المعتاد، إلى أماكن أخرى على غير وجه الكسب والعمل^(٤).

وتختلف التعريفات في توقيت مدة الانتقال في السياحة الداخلية أو السياحة الخارجية اختلافاً يسيراً، وهذا الاختلاف لا يؤثر في مقصود البحث، ويذهب عدد من التعريفات إلى أنه إن كان انتقال السائح إلى بلد خارج بلد محل إقامته، لمدة لا تزيد

(١) مسائل ابن هانئ، ٢ / ١٧٦.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه برقم (١٥٨٦٠) عن طاووس بن كيسان مرسلًا، ولفظه: (لَا حِزَامَ، وَلَا زِمَامَ، وَلَا سِيَاحَةَ، وَلَا تَبْتُلَ، وَلَا تَرْهَبَ فِي الْإِسْلَامِ).

(٣) كشاف القناع ٣ / ٢٦٧، وينظر: تليس إبليس، ٣٦٣، إحياء علوم الدين ٢ / ٢٥٠.

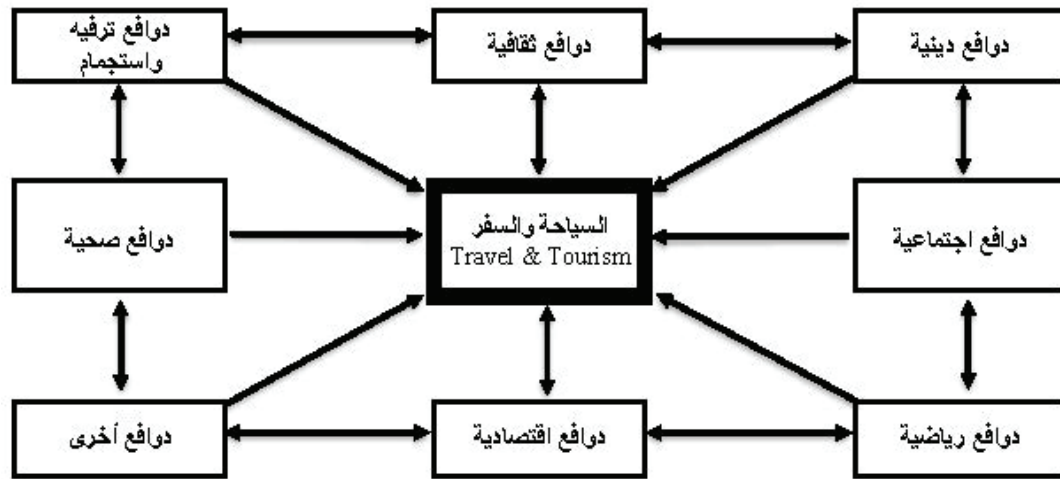
(٤) ينظر: المدخل إلى علم السياحة، مصطفى كافي، ٤٤-٤٨، مبادئ السياحة، مجموعة من المؤلفين، ١٧-٢٣.

على عام ولا تقل عن ٢٤ ساعة، فهي السياحة الخارجية، وإن كان الانتقال إلى أماكن أخرى داخل بلد إقامته، لمدة لا تقل عن ليلة واحدة فهي السياحة الداخلية، ويظهر أثر ذلك في الدراسات الإحصائية المتعلقة بالنشاط السياحي، ويعد الانتقال لمدة تقل عن هذه المدة نزهة^(١).

كما تعرف السياحة بأنها: «توفير الخدمات لهذا النشاط»^(٢)، ويقصد به توفير الخدمات للسائحين في هذا المجال، وتوفير البنية التحتية لها، وهذا المعنى غير مقصود هنا؛ لأن البحث يختص بتمويل السائح للحصول على الخدمات السياحية، ولا يختص بتمويل مقدم الخدمات السياحية.

١-٣-٤ - أنواع السياحة:

تتنوع السياحة إلى أنواع متعددة بحسب الدوافع التي يقصدها السائح من السياحة، ويوضح الشكل الآتي^(٣) أبرز هذه الدوافع وأهمها:



(١) المراجع السابقة.

(٢) المصدر: مبادئ السياحة، مجموعة من المؤلفين، ٥٨، الموسوعة العربية العالمية، ١٣ / ٣١٣.

(٣) المصدر: مبادئ السياحة، مجموعة من المؤلفين، ٥٨.

ويعد السفر للحج والعمرة داخل في المدلول الشرعي والمعاصر للسياحة، لكن يتم التفريق بينهما في بعض السياقات؛ لما تختص به خدمات الحج والعمرة عن غيرها.

١-٤- ملاءمة تمويل البرامج السياحية لمقاصد الشريعة:

استشكل بعض الباحثين تمويل المؤسسات المالية البرامج السياحية، من حيث مناسبتها مع مقاصد الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي؛ وذلك لكون السياحة نشاطاً استهلاكياً، والتمويل يترتب عليه إنشاء مديونية في ذمة المستفيدين، فيكون تمويل المؤسسات المالية تسهياً لإشغال ذمة عملائها لأمر تحسيني.

ومن المهم قبل الإجابة عن هذا الاستشكال، تحديد محل البحث على وجه الدقة، وهو في حكم تمويل المؤسسات المالية للقادر على الوفاء، والحصول على برنامج سياحي متوافق مع الضوابط الشرعية (السياحة الحلال)، ويمكن الوصول إلى جواب ذلك في النقاط الآتية:

١-٤-١ - حكم الاستدانة من القادر على الوفاء:

الذي تدل عليه الأدلة وفق ما قرره الفقهاء، أن الاستدانة ممن يرى في نفسه القدرة على الوفاء بهاله ويعزم على الوفاء، مباح في الشريعة بلا كراهة، قال ابن المنذر في الأوسط: «أجمع أهل العلم على أن من أسلف رجلاً سلفاً مما يجوز أن يسلف فرد عليه مثله أن ذلك جائز، وأن للمُسلف أخذ ذلك»^(١)، وقال ابن قدامة: «وليس بمكروه في حق المُقرض، قال أحمد: ليس القرض من المسألة. يعني ليس بمكروه؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان يستقرض، بدليل حديث أبي رافع، ولو كان مكروهاً، كان

(١) الأوسط لابن المنذر ١٠: ٤٠٧ وينظر: الإشراف لابن المنذر ٦/ ١٤٢.

أبعد الناس منه، ولأنه إنما يأخذه بعوضه، فأشبهه الشراء بدين في ذمته»^(١). ويدل على ذلك جملة من الأدلة منها:

١ - فعله ﷺ، فقد توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، ولو كان مكروهاً لما فعله.

٢ - قوله ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله)^(٢).

٣ - ما جاء عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه، ما لم يكن فيما يكره الله)، قال: فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه: اذهب فخذ لي بدين، فإني أكره أن أبيت ليلة إلا والله معي، بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ^(٣).

ونحوه من الأحاديث عن النبي ﷺ، التي تدل على إعانة الله لمن أخذ أموال الناس يريد أداءها، وفيها يقول الإمام الطحاوي: «والعون من الله - عز وجل - والحارس لا يكونان لمن عليه دين إلا وأحواله في تلك الأحوال المحمودة»^(٤).

وفي هذا يقول د. محمد أنس الزرقا: «إن الاستدانة للأغراض الإنتاجية أو الاستهلاكية ليس فيها حرج من الناحية الشرعية، أي أنها مباحة تمامًا، وليست

(١) المغني ٦ / ٤٣٠، وينظر: مشكل الآثار، ١١ / ٦٨، ٧٣، مواهب الجليل ٥ / ٣٢، أسنى المطالب ٢ / ١٤٠، كشف القناع ٣ / ٢٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، برقم (٢٣٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، برقم (٢٤٩٥)، والضياء في المختارة برقم (١٧٢)، (١٧٣)، (١٧٥)، والحاكم في المستدرک، ٢ / ٢٣، وقال: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٤) شرح مشكل الآثار ١١ / ٧٢.

خلاف الأولى، سواء كانت الاستدانة هي للأغراض الشخصية، أو المصالح العامة (الجماعة)، طالما تمت بالطرق المشروعة، وكان المستدين عازماً على الوفاء. والاستدانة تشمل الاقتراض كما تشمل الشراء لأجل»^(١).

أما ما ورد من أن النبي ﷺ كان يتعوذ من الدين، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة: (اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم)، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال ﷺ: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف^(٢). وعن أنس رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والعجز والكسل والبخل والجبن، وصَلَع الدين وغلبة الرجال^(٣). وكذلك ما ورد من أن النبي ﷺ لم يكن في أول الأمر يصلي على من مات من أصحابه وعليه دين، ولم يترك له وفاء^(٤)، ونحو ذلك من الأدلة، فهذه الأدلة لا تقتضي كراهية الاستدانة في حق القادر على الوفاء والعازم عليه، وحملها أهل العلم على غير القادر على الوفاء أو المتساهل في أداء ما عليه من حق حتى أثقله الدين، أو العازم على التفريط في حقوق الخلق^(٥).

١-٤-٢- السياحة في ضوء مقاصد الشريعة والاقتصاد الإسلامي:

الأصل في السياحة أنها من جملة المباح في الشريعة الإسلامية ما لم يقصد بها أمر محرم، وذلك لا يعني أنها لا تتضمن مصلحة معتبرة لإباحتها في الشريعة الإسلامية؛

- (١) الأزمة المالية العالمية، المديونية المفرطة سبباً، والتمويل الإسلامي بديلاً، د. محمد أنس الزرقا، ٧.
- (٢) أخرجه البخاري في الصحيح، برقم (٢٣٩٧).
- (٣) أخرجه البخاري في الصحيح، برقم (٢٨٩٣).
- (٤) أخرجه البخاري في الصحيح، برقم (٢٢٩٨)، ومسلم في الصحيح، برقم (١٦١٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٥) ينظر: التمهيد لابن عبد البر، ٢٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩.

فالسياحة ترتب عليها مصالح معتبرة من ترويح للنفس وتجديد لنشاطها، وهذا مما يثاب عليه المسلم إن قصد به التقوي على الطاعة. كما أن إدخال السرور على النفس والزوج والأولاد من العبادات الشرعية التي يثاب عليها المسلم، بالإضافة إلى المصالح الأخرى التي يدركها من جرب شيئاً من السياحة النافعة من إدراك المعارف، وتحصيل الخبرات، والعلاقات الاجتماعية، والفوائد الاقتصادية، كما أنه يحصل بها عددٌ من العبادات الشرعية، من التفكير والاعتبار في النفس وفي أحوال الخلق، وتوثيق آصرة الأخوة بين المسلمين.

وقد جاء في التنزيل الشاء على أهل الإيمان بكونهم سائحين، كما في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّكِينُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وفي سورة التحريم: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَبَّتْ عَلَيْهِنَّ سَبِيحَاتٌ﴾ [التحريم: ٥]، وتقدم أن المراد به السفر لتحصيل المقاصد الشرعية، ومن لطائف الاستنباطات أن الشريعة جاءت بالأمر بالإحسان لابن السبيل وعده من أهل الزكاة، وفي ذلك دليل على الترغيب في السياحة في الأرض^(١).

وقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً في تعداد فضائل السفر نظماً ونثراً، ومن ذلك قول الإمام الشافعي:

ما في المقام لذي عقلٍ وذي أدبٍ مِنْ رَاحَةٍ، فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
سافر تجد عوضاً عمّن تفارقه وَأَنْصِبْ، فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

(١) ينظر: تفسير المنار، ٥ / ٨٥.

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسدُهُ إن سَاحَ طَابَ، وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
والأسدُ لولا فراقُ الأرضِ ما افترست والسَّهْمُ لولا فراقُ القوسِ لم يصب
والشمسُ لو وقفت في الفلكِ دائمةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
والتُّبْرُ كالتُّرْبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِينِهِ والعودُ في أرضه نوعٌ من الحطبِ
فإن تغرَّبَ هذا عزَّ مطلبه وإن تغرَّبَ ذاكَ عزَّ كالثَّهَبِ^(١)

وقد كان من الأهمية بمكان العناية بالسياحة الحلال، وعدّها أحد مجالات الاقتصاد الإسلامي؛ لما في العناية بهذا المجال من تهيئة للبيئة المناسبة لتحصيل هذه المقاصد الشرعية، بعيداً عن البيئات التي تهدف إلى تسويق قيم قد لا تتوافق مع قيمنا الشرعية، كما أن العناية بصناعة السياحة الحلال، يواكب الاهتمام العالمي بهذه الصناعة؛ لما تساهم به في الاقتصاد الكلي، وتوفير فرص العمل، وتوزيع الثروة.

وعليه فإن تقديم المؤسسات المالية الإسلامية المنتجات التمويلية لهذه البرامج السياحية، يسهم في دعم هذه الصناعة، كما يسهم في تحسين مستوى مقدمي البرامج السياحية من حيث جودتها، وحرصها على أداء المستفيدين منها؛ لتكون محل التمويل من قبل المؤسسات المالية الإسلامية، كما ينبغي للمؤسسات المالية أن تقيّم البرامج السياحية قبل تمويلها تقييماً شمولياً من حيث خلوّها من المحظورات الشرعية، ومحافظتها على البيئة (السياحة الخضراء)، ومستوى التعامل مع العاملين في هذا القطاع، وكل هذه الجوانب هي من أسس وقيم الاقتصاد الإسلامي.

(١) ديوان الشافعي، ص ٥٤ - ٥٥.

وخلاصة القول، فإن التمويل الإسلامي للبرامج السياحية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية لمن يستطيع الوفاء بدينه؛ إعانة له على تحقيق عدد من المصالح المعتبرة في الشريعة، دون التأثير على كفاءة إدارته موارده المالية.

١-٤-٣- تمويل برامج الحج والعمرة:

من المعلوم أن الله - عز وجل - أوجب الحج بشرط الاستطاعة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، والاستطاعة في الحج هي القدرة على الزاد والتنقل إلى مكة، وتختلف الاستطاعة باختلاف الحاج قرباً وبعداً عن مكة شرفها الله، وللفقهاء في هذا تفصيلات ليس هذا محلها، والمقصود هنا مشروعية تمويل المؤسسات المالية برامج الحج والعمرة، مع ما يترتب عليه إشغال ذمتهم بمديونية التمويل.

والجواب أن يقال: إن الأصل المتفق عليه بين الفقهاء أن المكلف لا يكون مستطيعاً للحج بقدرته على الاستدانة إذا لم يملك وفاءً له، ولا يجب عليه الاستدانة لذلك، قال النووي رحمه الله: «لا يجب عليه استقراض مال يحج به بلا خلاف»^(١)؛ لأنه إذا لم يجب عليه بسبب دين عليه فعدم وجوب الاستدانة أولى^(٢).

أما الغني الذي يملك من العروض ما يزيد عن حاجته الأصلية وحاجة عياله إلى عودته، فيجب عليه الحج، وعليه حينئذ بيعها أو الاقتراض عليها، كما قال

(١) المجموع شرح المذهب ٦١ / ٧، وينظر: رد المحتار ٢ / ٤٥٧، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي

٧ / ٢، شرح المنتهى ٤٢٣ / ٢.

(٢) المجموع شرح المذهب ٧ / ٥٦.

الإمام الشافعي رحمه الله: «ومن لم يكن في ماله سعة يحج بها من غير أن يستقرض، فهو لا يجد السبيل، ولكن إن كان ذا عرض كثير، فعليه أن يبيع بعض عرضه أو الاستدانة فيه حتى يحج»^(١).

وأما جواز الاستدانة للحج والعمرة من القادر على الوفاء فظاهر، وهو غير مسألة الوجوب، فيجوز لمن وجد وفاءً أن يقترض للحج، والحج مما يرجى به الخلف من الله والسعة في الرزق، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي النار خبث الحديد)^(٢)، وقد جاء عن ابن المنكدر أنه كان يستدين ويحج، فقيل له: أتحج وعليك دين؟ فقال: الحج أفضى للدين^(٣).

ومن المعلوم أن المؤسسات المالية إنما تمول القادرين على الوفاء بعد التحقق من ملاءتهم المالية، وهم في الغالب ممن لديهم من الأموال غير النقدية ما يوجب عليهم الحج بتملكه، لكنهم يفضلون الحصول على التمويل على بيع أصولهم غير النقدية أو استنفاد مدخراتهم من النقد، فيكون في تمويلهم إعانة لهم على تحصيل هذه العبادة الجليلة بما يلائم مواردهم المالية.



(١) الأم ٢ / ١٢٧، وينظر: مواهب الجليل ٢ / ٥٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع برقم (٨١٠)، والنسائي في المجتبى، برقم (٢٦٣٠) وابن خزيمة في الصحيح، برقم (٢٥١٢)، وابن حبان في الصحيح، برقم (٣٩٦٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، ٤ / ١١٨.

المبحث الثاني

حقيقة البرامج السياحية وتكييفها

٢-١- توطئة:

يعد هذا المبحث بمنزلة المقدمة الرئيسة لتحديد صيغ التمويل الإسلامي المناسبة للبرامج السياحية؛ لأن إعداد منتجات التمويل المناسبة للبرامج السياحية وتطويرها، يتوقف على التصور الصحيح لهذه البرامج والتكييف الفقهي لها؛ ما يمكن المصارف والمؤسسات المالية من ابتكار المنتجات المالية وتطويرها.

٢-٢- تعريف البرنامج السياحي:

البرنامج في اللغة لفظ معرب عن الفارسية، وأصلها «بَرْنَم»، وتطلق على معانٍ، منها: الخطة المرسومة لعمل ما، كبرامج الدُّرس والإذاعة^(١).

ويعرف البرنامج السياحي، بأنه: «مجموعة الخدمات والمنافع التي تقدم للسائح خلال فترة معينة، بتكلفة معينة»^(٢). وتضم البرامج السياحية عددًا من الخدمات الرئيسة، مثل: خدمات التنقل، خدمات الإيواء والضيافة، وخدمات الدليل السياحي، بالإضافة إلى الخدمات الأخرى التي تتنوع بحسب طبيعة السياحة، مثل: خدمات الترفيه، أو الخدمات العلاجية، أو التعليمية، أو زيارة المعالم السياحية، وقد يشتمل البرنامج على هذه الخدمات جميعًا أو بعضها بحسب ما يتفق عليه.

(١) ينظر: مادة (ب ر ج) في القاموس المحيط، ٢٣٠، المعجم الوسيط، ٥٢.

(٢) ينظر: مبادئ السياحة، مجموعة مؤلفين، ٢٧.

ويُعدُّ هذه البرامج السياحية متعهدون يتولون ترتيب هذه الخدمات والمنافع، بالإضافة إلى التنسيق بين مختلف مقدمي الخدمات السياحية، والتعاقد عليها مع السائحين، والغالب أن المتعهد يكون متخصصًا بتقديم هذه الخدمة، مثل وكالات السفر والسياحة، أو الشركات التي تقدم خدماتها من خلال مواقع إلكترونية مختصة، كما قد يكون المتعهد أحد مقدمي الخدمات السياحية، مثل شركات الطيران، ويتولى تنظيم البرنامج السياحية بالتنسيق مع مقدمي الخدمات الأخرى، كما في (عطلات السعودية) التابع للخطوط الجوية السعودية، أو (الإمارات للعطلات) التابع لطيران الإمارات.

وقد تكون هذه البرامج معدة من قبل المتعهد، ولا يكون للسائح الحق في تعديل هذا البرنامج، ويقتصر حقه في القبول بالانضمام للبرنامج، وقد يكون إعداد البرنامج من قبل المتعهد السياحي بناءً على طلب السائح.

وينظم العلاقة بين السائح والمتعهد عقدًا، ينظم حقوق والتزامات كل طرف، وقد يطلق عليه (العقد السياحي).

٢-٣- التكييف القانوني للبرنامج السياحي:

يعد العقد على البرنامج السياحي من صور اجتماع العقود، ويسمى في القانون بالعقد المركب أو العقد المختلط (Complex Contract)، وهو العقد الذي يتكون من مزيج من عقود مختلفة اختلطت فأصبحت عقدًا واحدًا^(١)، وتعدد العقود في عقد البرنامج السياحي عائد إلى اختلاف طبيعة العقود التي يتضمنها البرنامج السياحي،

(١) ينظر: نظرية العقد للسنهوري، ١/ ١٢٥-١٢٦.

وإلى اختلاف مقدمي الخدمات السياحية، واختلاف العلاقة التعاقدية بين المتعهد ومقدمي البرامج السياحية، وقد يكون التعاقد على هذه الخدمات السياحية المشمولة بالبرنامج السياحي بعوض واحد، أو بعوض لكل خدمة^(١).

ولا يعد العقد على البرامج السياحية من العقود المسماة؛ الأمر الذي أثار التساؤل حول طبيعة هذا العقد في القانون، وهو في الجملة لا يخرج عن عقد المقاولة^(٢)، والذي يعرف بأنه: عقد يتعهد بمقتضاه أحد المتعاقدين أن يصنع شيئاً أو أن يؤدي عملاً لقاء أجر يتعهد به المتعاقد الآخر^(٣). وعقد المقاولة يتسم بالتنوع الكبير في العقود التي يتضمنها؛ ما استدعى تخصيص بعض أفراد هذا العقد بتسمية خاصة، مثل عقد الصيانة، وعقد التوريد، وعقد النشر^(٤).

٢-٤ - التكييف الفقهي للبرنامج السياحي:

تقدم أن العقد السياحي في القانون يصنف على أنه من عقود المقاولة، وقد صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم: ١٢٩ (١٤ / ١) في دورته الرابعة عشرة في الفترة من ٨ إلى ١٣ ذو القعدة ١٤٢٣هـ، بإجازة عقد المقاولة، وبيان التخريج الفقهي له، حيث جاء فيه ما نصه: «وهو عقد جائز سواء قدم المقاول العمل والمادة، وهو المسمى عند الفقهاء الاستصناع، أو قدم المقاول العمل، وهو المسمى عند الفقهاء بالإجارة على العمل»^(٥).

(١) ينظر: العقد السياحي، ٢٣-٢٨.

(٢) ينظر: العقد السياحي، ٣٦-٣٩.

(٣) ينظر: الوسيط في شرح القانون المدني للسنيهوري ٧ / ٥.

(٤) ينظر: الوسيط في شرح القانون المدني للسنيهوري ٧ / ٥.

(٥) ينظر: عقد المقاولة والتعمير، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الرابعة عشرة، بقرار رقم (١٢٩ / ٣)، عقد المقاولة، عبدالرحمن العايد، ١١٩.

وبناء عليه، فإن التكييف الفقهي للبرنامج السياحي يتوقف على محل التعاقد في العقد السياحي؛ ولكون العقد السياحي من العقود المختلطة، فإن النظر في التكييف الفقهي للبرنامج السياحي يكون أولاً باعتبار العقود التي يتضمنها، ثم في حكم اجتماعها في عقد واحد.

ويمكن إرجاع العقود التي يتضمنها البرنامج السياحي إلى ما يأتي:

أ- عقد إجازة على منفعة عين، مثل إيجار السكن في الفنادق والمنتجعات أو السيارات ووسائل التنقل الأخرى.

ب- عقد إجازة على عمل شخص، مثل: التعاقد على خدمة الرعاية الطبية، أو العلاج الطبيعي أو التعليم، أو الترجمة أو الإرشاد السياحي.

ت- عقد بيع، مثل: خدمات الطعام والشراب، أو بعض المقتنيات التي تُعطى للسائح ضمن البرنامج السياحي، مثل الحقائب والمظلات والكتب والأدلة السياحية.

وقد تجتمع هذه العقود في خدمة واحدة من الخدمات التي يتضمنها البرنامج السياحي، التي تقدم من مقدم خدمة واحد، كما في خدمة النقل الجوي، حيث تتضمن: عقد إيجار لمقعد في الطائرة، وعقد عمل بالنسبة للخدمات في الطائرة، وعقد بيع بالنسبة للوجبات، وكذلك في الفندق، يشمل: عقد إيجار بالنسبة للغرفة، وعقد عمل بالنسبة للخدمة، وعقد بيع بالنسبة للطعام، وقد يكون العقد مشتملاً على عقد واحد، مثل: خدمة الإرشاد السياحي، فهي إجازة أشخاص.

وقد جاء في المعيار الشرعي رقم ٢٥ بشأن الجمع بين العقود أنه: «يجوز اجتماع أكثر من عقد في منظومة واحدة دون اشتراط عقد في عقد، إذا كان كل واحد منهما جائزاً بمفرده، ما لم يكن هناك دليل شرعي مانع، فعندئذ يمتنع بخصوصه استثناءً»، وذلك وفق ضوابط حددها المعيار في البند (٤)، وهي:

١ / ٤ - ألا يكون ذلك محل نهي في نص شرعي، مثل النهي عن البيع والسلف.
٢ / ٤ - ألا يكون حيلة ربوية، مثل الاتفاق على بيع العينة، أو التحايل على ربا الفضل.

٣ / ٤ - ألا يكون ذريعة إلى الربا، مثل الجمع بين القرض والمعاوضة.

٤ / ٤ - ألا يكون بين عقود متناقضة أو متضادة أو متنافرة.

واجتماع العقود لا يؤثر في النظر الفقهي لكل عقد من هذه العقود، فيراعى في كل عقد أحكامه المقررة في الفقه الإسلامي، سواء أكان العقد عقد بيع أو إجارة أشخاص أو إجارة أعيان، فلا يتغير النظر الفقهي لكل عقد من هذه العقود، دون الحاجة إلى عدّ هذا العقد عقداً جديداً أو مستحدثاً، على أن ذلك لا يمنع من ورود أحوال تقتضي نظراً فقهياً خاصاً، وذلك في الأحوال التي قد تتعارض فيها أحكام هذه العقود، أو عند النظر لهذا العقد بوصفه عقداً واحداً.

٢-٥ - أنواع البرامج السياحية من حيث التعيين والوصف وأثره:

من المسائل المهمة في تحديد صيغة التمويل المناسبة، معرفة ما إذا كان محل التمويل في العقد السياحي من قبيل المعين أو من قبيل الموصوف في الذمة، ويترتب

على ذلك آثار عدة، أهمها أن عقد البيع والإجارة على المعين يشترط فيه أن يكون المتعهد مالكا لهذا المعين قبل التصرف في عقد البيع، أو مالكا لمنفعته في عقد الإجارة. أما الموصوف في الذمة، فإنه يجوز للمتعهد أن يتعاقد عليه مع السائح قبل التعاقد عليه مع مقدم الخدمة.

وقد تقدم أن من العقود التي يرجع إليها العقد السياحي: عقد البيع والإجارة، أما البيع في الخدمات السياحية؛ فهو موصوف في الذمة، وتابع لعقد الإجارة في الأعم الأغلب؛ ولهذا سيركز الحديث هنا على أنواع الإجارة من حيث التعيين والوصف، والآثار المترتبة على ذلك، وأثر اجتماع التعيين والوصف في العقد الواحد، وذلك فيما يأتي:

٢-٥-١ - أقسام الإجارة من حيث التعيين والوصف:

تنقسم الإجارة من حيث الأصل الذي تتعلق به المنفعة، حيث تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

١- إجارة واردة على أصل معين، وهي الإجارة الواردة عن منفعة أصل معين، أو عمل لشخص معين، كأن يستأجر سكناً معيناً في منتج أو فندق معين، أو سيارة محددة أو شخصاً معيناً للقيام بعمل.

٢- إجارة واردة على أصل موصوف في الذمة، وهي الواردة على منفعة عين موصوفة في الذمة، أو على عمل شخص غير معين.

ومن أمثلة ذلك: عقود برامج الحج والعمرة بين المتعهدين والحجاج والزائرين، حيث يتم التعاقد مع المتعهدين على خدمات موصوفة في الذمة، دون تعيين موقع

معين أو خطوط طيران معينة، أو وسيلة نقل محددة، بل تحدد المنافع على نحو منضبط، ببيان الفئة التي يكون فيها المخيم، أو تصنيف الفندق وقربه وبعده من المشاعر، ونحو ذلك.

ويترتب على التفريق بين الإجارة الواردة على أصل معين، والإجارة الواردة على موصوف في الذمة عدة مسائل، أهمها:

١- أن إجارة العين يشترط لصحتها أن يكون المؤجر مالكا للمنفعة المتعاقد عليها قبل تأجيرها، بخلاف إجارة الموصوف في الذمة، فيجوز إبرام العقد قبل تملك المؤجر للعين المؤجرة أو تملك منفعتها، ويشترط لصحتها أن تكون المنفعة مما ينضبط بالصفة، وأن يكون المؤجر قادراً على تملك المنفعة وتمليكها.

٢- أن العقد في إجارة العين متعلق بمنفعة الشيء أو عمل الشخص المعين دون غيرهما، وينفسخ العقد بهلاك هذا الأصل أو زوال منفعته، بخلاف الموصوف فلا ينفسخ العقد بهلاك العين المؤجرة في إجارة الموصوف، بل تستبدل بمثلها.

٣- لا يثبت خيار العيب في إجارة الموصوف، ولكن تستبدل المنفعة بمثلها، بينما في إجارة المعين يثبت للمستأجر الخيار بين الفسخ والإمضاء عند وجود العيب.

وعلى كل حال، فمتى ما شمل العقد السياحي تعاقدًا على منفعة متعلقة بمعين، فإنه لم يجز للمتعاقد التعاقد على هذه المنفعة مع السائح إلا بعد التعاقد مع مقدم الخدمة، وإذا لم يكن مالكا للمنفعة المعينة التي يرغب فيها السائح، فيصح للمتعاقد في التعاقد مع السائح أن يكون وكيلاً عن مقدم الخدمة في التأجير مع العميل، أو أن يكون وكيلاً عن السائح في الاستئجار، أو أن يؤجر البرنامج السياحي إجارة موصوفة في الذمة، دون تخصيصها بعين معينة أو جهة معينة.

٢-٥-٣- اجتماع التعيين والوصف في البرنامج السياحي:

هذه المسألة ذات صلة بالمسألة التي قبلها، وهي في أثر تحديد الجهة التي تقدم الخدمة دون تعيين من يباشر الخدمة، أو تحديد الجهة التي تملك الأصل المؤجر، دون تعيين العين المؤجرة على سبيل التحديد، بوصف هذا النوع من الإجارة الواردة على أصل معين، أو الإجارة الواردة على موصوف في الذمة؟

ويمكن إيضاح المسألة بمثالين:

المثال الأول: ويتعلق بإجارة الأعيان، كما في عقد الإيواء في الفنادق في البرامج السياحية، فالغالب أن يتم الاتفاق على غرفة في فندق معين، وتحدد صفاتها ببيان أهم الأوصاف المؤثرة في تحديد الأجرة، مثل تحديد نوع الغرفة ومساحتها وإطالتهما والخدمات الملحقة بها في فندق معين، لكنها لا تحدد الغرفة على سبيل التعيين.

وكذلك في عقود النقل في الطيران، فإن مقدم الخدمة ملزم بتقديم هذه الخدمة على الطائرات التابعة له أو الشركات المتحالف معها، والموظفين التابعين لهم، ولا يحدد شيء من ذلك على سبيل التعيين.

المثال الثاني: ويتعلق بإجارة الأشخاص، كما في الخدمات الطبية في السياحة العلاجية، فيحدد المركز الصحي أو المستشفى دون تعيين من يباشر الخدمة من المعالجين أو الأطباء، وكذلك في التعليم والتدريب، فهل تكون من قبيل الإجارة على معين، أو الإجارة على موصوف في الذمة؟

وقد اختلف الفقهاء المعاصرون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: إنه متى ما عينت الجهة مقدمة الخدمة عدت بذلك من الإجارة على معين، وعليه فلا يجوز للمتعهد التعاقد على هذه الخدمة إلا بعد التعاقد مع مقدم الخدمة.

ومستند هذا القول، حديث حكيم بن حزام عن النبي ﷺ (لا تبع ما ليس عندك)^(١)، والإجارة في معنى البيع.

وهو ظاهر ما أخذ به المجلس الشرعي لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية، في المعيار الشرعي رقم ١٧ بشأن صكوك الاستثمار في البند ٣ / ٢ / ٣ / «صكوك ملكية الخدمات من طرف معين: هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها بغرض تقديم الخدمة من طرف معين (كمنفعة تعليم من جماعة مسماة)»، وفي البند رقم ٣ / ٢ / ٤ / «صكوك ملكية الخدمات من طرف موصوف في الذمة (كمنفعة التعليم من جامعة يتم تحديد مواصفاتها دون تسميتها)».

القول الثاني: أن تعيين الجهة التي تقدم الخدمة لا يخرجها عن كونها موصوفة في الذمة، فيجوز للبنك تأجير هذه الخدمة مع تعيين الجهة بشرط غلبة الظن بالقدرة على تسليمها، وبهذا أخذت الهيئة الشرعية لمصرف أبو ظبي الإسلامي، كما جاء في القرار رقم (١ / ٨ / ٣ / ٢٠٠٦ - ١): إجارة الخدمات (المنافع كالدراسة أو العلاج أو النقل ونحوها تعد إجارة موصوفة في الذمة إن اقتصر فيها التعيين على الجهة

(١) أخرجه أبو داود في السنن، برقم (٣٥٠٣) والترمذي برقم (١٢٣٢) والنسائي برقم (٤٦١٣) وابن ماجه في السنن، برقم (٢١٨٧).

(الشخصية الاعتبارية) المقدمة للخدمة، دون من يقدم الخدمة مباشرة من مدرس أو طبيب أو وسيلة نقل»^(١).

ومستند هذا القول: أن تعيين الجهة بمثابة تعيين الأجير في الإجارة الموصوفة في الذمة، فلا يخرجها عن كونها موصوفة في الذمة.

والأظهر - والله أعلم - أن تعيين الجهة يخرجها عن كونها موصوفة في الذمة من حيث الأصل، ولو غلب على الظن القدرة على التسليم؛ لعموم حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه -، فالبيع والإجارة في هذا سواء، ويستثنى من ذلك الخدمات التي يجري العرف بتسليعها، وتتوافر أحادها لمن يطلبها دون الحاجة إلى موافقة من قبول الخدمة، وهذا ظاهر في مثل: كروت الشحن التي تستخدم للاتصال، أو استخدام المواصلات العامة، أو تقديم أميال للسفر في البرامج السياحية أو نحو ذلك، وهذا مثل: السلم في بضائع تصنع من مصنع معين، وتتوافر أحادها في السوق، مثل السيارات من نوع معين، فيصح السلم فيها.

بخلاف إجارة السفر في تاريخ محدد على خطوط معينة، أو غرفة في فندق معين في مدة معينة، فإنها بالتحديد لا يؤمن انقطاعها، كما يحصل كثيرًا في خطوط الطيران أو الفنادق الكبرى؛ فيكون في التعاقد عليها غرر، قال ابن قدامة في المغني: «ولا يجوز أن يسلم في ثمرة بستان بعينه، ولا قرية صغيرة؛ لكونه لا يؤمن تلفه وانقطاعه. قال ابن المنذر: إبطال السلم إذا أسلم في ثمرة بستان بعينه كالإجماع من أهل العلم، ومن حفظنا عنه ذلك: الثوري، ومالك، والأوزاعي، والشافعي، وأصحاب الرأي،

(١) ينظر: تمويل المنافع في أوروبا، ٢٢، التطبيقات العملية للإجارة الموصوفة في الذمة، ٩٠.

وإسحاق، قال: وروينا عن النبي - ﷺ -، أنه أسلف إليه رجل من اليهود دنانير في تمر مسمى، فقال اليهودي: من تمر حائط بني فلان. فقال النبي - ﷺ -: أما من حائط بني فلان فلا، ولكن كيل مسمى إلى أجل مسمى. رواه ابن ماجه وغيره، ورواه أبو إسحاق الجوزجاني، في «المترجم». وقال: أجمع الناس على الكراهة لهذا البيع؛ ولأنه إذا أسلم في ثمرة بستان بعينه، لم يؤمن انقطاعه وتلفه، فلم يصح^(١).

٢-٥-٢- أثر اجتماع التعيين والوصف على استيفاء الخدمات السياحية:

تقدم أن العقد السياحي من العقود المختلطة، ومن صور اختلاط العقود أن العقد بين المتعهد مبني على العقد بين المتعهد ومقدم الخدمة، ومن آثار ذلك أن يجتمع في استيفاء العقد بين صفات العقد على موصوف في الذمة والعقد على معين، وذلك وفق التفصيل الآتي:

فإذا كان العقد وارداً على منفعة عين، كما في عقود الإيواء في الفنادق، التي لا تختص غالباً بجزء معين منه، لكن يكون التعاقد محصوراً في فندق معين، فيعد العقد من إجارة المشاع المعين، فإذا وقع التعاقد على غرفة في فندق معين وحددت مواصفاتها دون تعيين الغرفة، وجب على الفندق أن يقدم لهذه الخدمة وفق الوصف المتفق عليه، وإذا طرأ ما يمنع الانتفاع بالغرفة، وجب على الفندق إبدال هذه الغرفة بغيرها في نفس الفندق، ولا يحق له تقديم الغرفة في فندق آخر، ولو كان مملوكاً للفندق أو بمثل مواصفاته إلا بموافقة المستأجر، ولا يحق للمستأجر المطالبة ببديل

(١) المغني ٦/ ٤٠٦ وينظر: البحر الرائق ٥/ ١٧٣، شرح الخرشي ٥/ ١٨٥، مغني المحتاج ٢/ ١٠٤.

من خارج الفندق إذا تعذر استيفاء المنفعة من الفندق نفسه إلا بموافقة مقدم الخدمة أو تنفسخ الإجارة عندئذ، وكذلك الأمر في شركات الطيران؛ إذ التعاقد مقصود على ما تختص به من طائرات دون غيرها.

وقد ذهب أكثر أهل العلماء إلى صحة إجارة المشاع إذا بين طريقة الانتفاع به، وهو مذهب المالكية^(١) والشافعية^(٢)، وقول أبي يوسف ومحمد بن الحسن^(٣) من الحنفية. وعللوا ذلك، بأن للمشاع منفعة معلومة يمكن تسليمها، فتجوز إيجارها كما يجوز بيعها.

وذهب الحنفية^(٤) والحنابلة^(٥) إلى المنع من إجارة المشاع لغير الشريك، إلا أن يفعله الشريك. وعللوا ذلك بأن إجارة الأعيان إنما هي للانتفاع بعينها، وهذا غير متصور في المشاع، بخلاف البيع.

وأصل بحث هذه المسألة عند الفقهاء في إجارة الشريك لحصته من المشاع، وألحق بها تأجير العين الواحدة لعدد على سبيل الشيوخ؛ ولهذا فرق الحنابلة في وجه تأجير العين الواحدة على سبيل الشيوخ، وبين تأجيرها على غير الشريك^(٦).

(١) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ٤ / ٤٤، مواهب الجليل ٥ / ٤٤٢.

(٢) أسنى المطالب ٢ / ٤٠٩، جواهر العقود للأسيوطي ١ / ٢١٤.

(٣) ينظر: البحر الرائق ٨ / ٢٨، الفتاوى الهندية ٤ / ٤٤٧-٤٤٨.

(٤) ينظر: المراجع السابقة.

(٥) ينظر: شرح المنتهى ٤ / ٢٧، مطالب أولي النهى ٣ / ٦١٠. وأصل بحث هذه المسألة عند الفقهاء في إجارة الشريك لحصته من المشاع، وألحق بها تأجير العين الواحدة لعدد على سبيل الشيوخ، ولهذا فرق الحنابلة في وجه تأجير العين الواحدة على سبيل الشيوخ وبين تأجيرها على غير الشريك.

(٦) شرح المنتهى ٤ / ٢٧.

لكن إن جرى التعاقد مع المتعهد في البرامج السياحية في الفنادق دون تحديد فندق بعينه، وحددت المنفعة بذكر الصفات المؤثرة في الأجرة، مثل: تصنيف الفندق، والمنطقة التي يكون فيها، وتقييم المستفيدين له في موقع محدد، كما يحدد في بعض العروض؛ فهذا من قبيل الإجارة الواردة على موصوف في الذمة، ويجري عليها أحكام الإجارة الواردة على موصوف في الذمة.

إذا كان العقد وارداً على عمل من جهة معينة، فهنا ينظر في مقتضى تحديد الجهة التي تقدم الخدمة، وفق التفصيل الآتي:

فإن كان المقصود بتعيين الجهة أن يختص تقديم المنفعة بالعاملين لديه بدلالة العرف أو الشرط؛ فهنا ليس للجهة أن تقدم الخدمة من غير العاملين لديها، ويعد العقد وارداً على منفعة شخص معنوي بعينه، فيقتصر تنفيذ العمل على من يمثل الجهة في تقديم الخدمات دون غيرهم.

وإن كان المقصود بتعيين الجهة التزامهم بتقديم المنفعة في ضمانهم، كما في التعاقد مع المتعهدين الذين لا يقدمون الخدمات السياحية، فيعد العقد بين المتعهد ومقدم الخدمة من الإجارة الواردة على عمل موصوف في الذمة، وهو إجارة الذمة، وعليه فيجوز له تقديم هذه الخدمة من أي شخص متى ما تحقق الوصف المطلوب.



المبحث الثالث

صيغ التمويل الإسلامي للبرامج السياحية

٣-١- توطئة:

سبق فيما تقدم التعريف بالبرامج السياحية وتكييفها في الفقه والقانون، وبناء عليه فإن هذا المبحث يهدف إلى دراسة صيغ التمويل الإسلامي للبرامج السياحية، وبيان تخريجها الفقهي وفق ما أقرته مؤسسات الاجتهاد الجماعي، وما قرره الفقهاء المتقدمون في المدونات الفقهية، ويختص هذا المبحث بالصيغ التمويلية التي تكون المؤسسة المالية وسيطة فيها بين المتعهد والمستفيد، وهي كالآتي:

٣-٢- التأجير التمويلي للخدمات الواردة على أصل معين:

وصورة هذه الصيغة أن يتقدم المستفيد إلى المؤسسة المالية لطلب التمويل للحصول على برنامج سياحي، يتضمن إجارة واردة على أصل معين، مثل: فندق معين أو منتج معين، وفق ما تقدم من التفصيل في أنواع البرامج السياحية من حيث التعيين والوصف.

ويجب في هذه الحال أن تتعاقد المؤسسة المالية مع المتعهد على البرنامج السياحي وفق المواصفات التي يطلبها العميل (الواعد بالاستئجار)، وبعد تملك المؤسسة المالية للمنفعة، فإنها تقوم بالتعاقد مع العميل على المنفعة التي استأجرتها، وفق ما يتفقان عليه من أجرة وآجال سدادها.

ويمكن هنا تحديد الأجرة التي تم التعاقد عليها بين العميل والمؤسسة المالية على أساس المربحة، فتحدد الأجرة في العقد بين المؤسسة المالية والعميل على أساس

الأجرة التي وقع عليها التعاقد بين المؤسسة المالية والمتعهد بزيادة معلومة، وفي هذه الحال يستحق العميل أي خصم يقدمه المتعهد للمؤسسة المالية عند تعاقدها على البرنامج السياحي، كما يمكن أن يكون تحديد الأجرة على أساس المساومة، وفي هذه الحال لا يلزم المؤسسة المالية أن تصرح للعميل بالأجرة التي تعاقد بها مع المتعهد، في حال حصولها على أي خصم إضافي، لكن عدم التصريح بالخصم الذي تحصلت عليه المؤسسة المالية من مقدم الخدمة، يخالف القواعد التي تلزم بها الجهات الإشرافية؛ لمنع ترباح المؤسسة المالية من أي نشاط تجاري، والتي تقصر ترباح المؤسسة المالية على الخدمات المصرفية والتمويلية.

وتعد هذه الصيغة هي السائدة لدى العديد من برامج تمويل السياحة، وتتميز بوجود إطار قانوني لتنظيم هذا النشاط التمويلي، حيث يعد تمويل الخدمات أحد مجالات التأجير التمويلي، وفقاً للمادة الثانية من نظام التأجير التمويلي في المملكة العربية السعودية، وفيها ما نصه: «يعد عقداً إيجارياً تمويلياً كل عقد يقوم المؤجر فيه بإيجار أصول ثابتة أو منقولة، أو منافع، أو خدمات، أو حقوق معنوية بصفته مالكاً لها، أو لمنفعتها، أو قادراً على تملكها، أو قادراً على إقامتها، وذلك إذا كان حصول المؤجر عليها لأجل تأجيرها على الغير على سبيل الاحتراف».

ومن البنوك التي طبقت هذا النموذج مصرف دبي الإسلامي، ضمن منتج إجارة^(١).

(١) ينظر بيانات منتج إجارة على موقع المصرف:

<http://www.dib.ae/ar/personal-banking/finance/al-islami-personal-finance/services-ijarah/overview>

وتخرج هذه الصيغة على حكم تأجير الإنسان ما استأجره من منافع الأعيان والأشخاص، وقد انتهى الاجتهاد الجماعي إلى قول الجمهور من جواز تأجير العين المستأجر بزيادة^(١)، كما جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، حيث جاء في القرار: «يجوز للمستأجر الذي له حق الإجارة من الباطن أن يصدر صكوك إجارة تمثل حصصاً في المنافع التيملكها بالاستئجار بقصد إيجارها من الباطن.. سواء تم الإيجار بمثل أجره الإجارة الأولى، أو أقل منها أو أكثر»، وجاء في المعيار الشرعي رقم (٩) بشأن الإجارة والإجارة المنتهية بالتملك في البند ٣/٣ / «يجوز لمن استأجر عيناً أن يؤجرها لغير المالك بمثل الأجرة أو بأقل أو بأكثر».

وكذلك في الإجارة على عمل، فلا خلاف بين الفقهاء في أنه يجوز للأجير أن يكلف بالعمل المستأجر عليه من يستأجره من الأشخاص، وذلك إذا لم يُشترط على المستأجر أن يباشر العمل بنفسه، ويكون تحديد الجهة التي تقدم الخدمة، بمثابة اشتراط استيفاء المنفعة من أحد العاملين لدى تلك الجهة، وهو شرطٌ صحيح معتبر كما لو اشترط أن يعمل بنفسه، قال ابن رشد الجد في البيان والتحصيل: «إذا استأجره على عمل غير معين، فينجز عمله كان من حقه أن يؤجره من غيره ويأخذ إيجارته؛ لأنه استحق منفعة بالاستئجار، فله أن يستعملها في عمل نفسه وفي عمل غيره، ولا اختلاف في شيء من هذا»^(٢).

(١) ينظر: البحر الرائق ٧ / ٣٠٤، التاج والإكليل ٧ / ٥٢٢، تحفة المحتاج ٤ / ٤٠٢، كشف القناع ٣ / ٥٦٦.

(٢) البيان والتحصيل ٨ / ٤٦٥، وينظر: المبسوط ١٥ / ١٢٧، البحر الرائق ٧ / ٣٠٤، التاج والإكليل ٧ / ٥٢٢، الشرح الممتع ١٠: ٥.

وحماية للمؤسسة المالية من مخاطر نكول العميل الواعد بالاستئجار، فإنه يمكن أن يشترط على المتعهد خيار الشرط لمدة معينة، ويسقط هذا الخيار بتوقيع العميل مع المؤسسة المالية، وفي حال عدم إمكان ذلك؛ فالذي عليه المجلس الشرعي للمعايير هو جواز أن يكون الوعد الصادر من العميل ملزمًا، ويترتب عليه عند نكوله تعويض المؤسسة المالية عن الضرر بسبب النكول.

ويتميز التمويل وفق هذه الصورة، أنه يتيح للمؤسسة المالية الربح من جهة العميل إذا لم يقبل المتعهد بالحسم من سعر البرنامج للمؤسسة المالية، وأنه يتيح للمؤسسة المالية الجمع بين أجرة الوساطة والربح في عقده مع العميل؛ الأمر الذي يتيح للعميل مدة سماح مقابل عمولة المؤسسة المالية من المتعهد، كما أنه يمكن المؤسسة المالية من إطالة مدة التمويل.

لكن قد يترتب عليها إشكالات في التطبيق؛ بسبب طول الإجراءات وكثرة النماذج، كما أن المؤسسة المالية تتحمل مخاطر عدم التوافق بين العميل ومقدمي الخدمات السياحية.

وتطبق بعض المصارف الإسلامية هذه الصيغة، وفق نماذج منتجات المراجعة، كما في مصرف عجمان في منتج تمويل الحج والعمرة^(١)، وبيت التمويل الكويتي في تمويل رحلات العمرة^(٢)، وكذلك مصرف صفوى الإسلامي في الأردن^(٣)، كما أن

(١) ينظر صفحة المنتج على موقع المصرف:

<http://www.ajmanbank.ae/site/ar/haj-and-umrah-finance.html>

(٢) ينظر الفتاوى الشرعية في المسائل الاقتصادية الصادرة عن هيئة الفتوى والرقابة الشرعية، ٢٤١-٣٤٠ / ٢.

(٣) ينظر صفحة المنتج على موقع المصرف، وتتضمن نموذج عقد المراجعة:

http://www.jdib.jo/ar/retail_banking/haj-and-omra-financing

بعض الفقهاء الذين تناولوا هذه الصيغة أطلقوا عليها (مراوحة المنافع)، ومع ما في هذا الإطلاق من تجوز، إلا أنه لا يترتب عليه محذور شرعي.

٣-٣- التآجير التمويلي للخدمات الواردة على أصل موصوف في الذمة:

وصورة هذه الصيغة: أن يوقع العميل مع المؤسسة المالية عقد إجارة على موصوف في الذمة، وهو خدمات البرنامج السياحي، وتحدد مواصفات الخدمات التي يتضمنها البرنامج وصفاً منضبطاً يثبت في الذمة، وفي المقابل توقع المؤسسة المالية مع المتعهد على برنامج سياحي، يتضمن خدمات بالمواصفات نفسها دون ربط بين العقدين، وتكون المؤسسة المالية مسؤولة أمام العميل عن أي خلل أو قصور في الخدمة.

وقد جاء في قرارات وتوصيات ندوة البركة الثلاثين: «للإجارة الموصوفة في الذمة تطبيقات في مجال الخدمات ومنافع الأشياء والأشخاص، مثل التطيب والتعليم والسفر، مثل: سفر الحج والعمرة والحفلات، وكذلك خدمة الاتصال الهاتفي، وخدمة المواصلات (تذاكر السفر بوصفها إجارة لعقد على طائرة ونحوها)»^(١).

ومن البنوك التي طبقت هذا المنتج مصرف أبوظبي الإسلامي في منتجات تمويل السفر^(٢).

(١) قرارات وتوصيات ندوات البركة للاقتصاد الإسلامي، ٢٣١.

(٢) ينظر بيانات منتج تمويل السفر على موقع المصرف:

http://www.adib.ae/ar/Pages/Personal_Financing_Travel_Finance.aspx

ويشكل على هذه الصيغة أن الخدمات السياحية مما يصعب ضبطه بالصفة في الغالب، دون تحديد الجهة التي تقدم الخدمة؛ لتفاوت الخدمة بتفاوت مقدمي الخدمات تفاوتاً بيناً، ولا سيما منفعة السكن لارتباطها بالعقار، وهو مما يصعب ضبطه؛ لهذا قد يقال: إنها لا تكاد تنضبط على وجه لا يؤدي إلى النزاع، إلا إذا كانت مرتبطة بجهة معينة؛ لهذا كان تطبيق هذا المنتج متوافقاً مع القول بأن تعيين الجهة التي تقدم الخدمات لا يخرجها عن كونها موصوفة في الذمة، وهو ما أخذت به الهيئة الشرعية لمصرف أبو ظبي الإسلامي.

٣-٤ - القرض الحسن مع الوساطة:

وفي هذه الصيغة تتولى المؤسسة المالية التعاقد مع متعهدي البرامج السياحية لتسويق هذه البرامج السياحية لعملائها، وتحصيل المبالغ المستحقة لها مقابل عمولة يتم الاتفاق عليها، وتقرض المؤسسة المالية العميل مبلغ البرنامج السياحي قرصاً حسناً دون زيادة، مع توكيل العميل للمؤسسة المالية في دفع تكلفة البرنامج للمتعهد وإيداعها في حساب المتعهد، على أن يسدد المستفيد للمؤسسة المالية لاحقاً مبلغ القرض الحسن دفعة واحدة أو دفعات، بحسب ما يتفقان عليه.

ويتميز التمويل في هذه الصيغة أن المؤسسة المالية لا تتحمل مخاطر عدم التوافق بين العميل ومقدم الخدمة ولا عوارض الخدمة، كما تتميز بسهولة إجراءاتها، فهي من هذا الوجه أقرب إلى وظيفة المؤسسة المالية، وليست المؤسسة المالية مؤهلة لتقديم الخدمات السياحية.

وفي المقابل، فإنه يتعين أن تتعاقد المؤسسة المالية أولاً مع متعهدي البرامج السياحية، قبل التوقيع مع عملائها؛ حتى تتمكن من الربح من تطبيق المنتج من عمولة الوساطة، كما لا يمكن تطبيق المنتج مع المتعهدين الذين لا يمنحون المؤسسة المالية عمولة مقابل توسطها بين مقدم الخدمة والمستفيد؛ ما يجد من مجال تطبيق هذه الصيغة على نحو واسع؛ ولهذا فإن التطبيق لهذه الصيغة محدود نسبياً.

ومن تطبيقات هذه الصيغة تمويل الحج والعمرة في مصرف أبو ظبي الإسلامي في تمويل السفر لأداء الحج والعمرة، حيث أطلق تمويل رحلات الحج والعمرة من دون ربح^(١).

والتخريج الفقهي لهذه الصورة، أن المؤسسة المالية وسيط بين المتعهد والسائح مقابل عمولة، والعلاقة بينها وبين السائح قرض حسن، كما لو حاسب العميل مكتب السياحة ببطاقته الائتمانية، فالبنك مقرض والعميل مقترض، وقد أخذ البنك عمولته من التاجر (مكتب السياحة)، إذ إن وظيفة البطاقات الائتمانية تشمل شراء السلع وكذا الخدمات.

والفرق أن القرض هنا في هذه الصورة ليس عن طريق البطاقة، وإنما عن طريق عقد تمويل الخدمة، بإجراء خاص وموافقة ائتمانية مختلفة عن طريقة البطاقات؛ لاختلاف مدة السداد، وهذا الفرق غير مؤثر في النظر الفقهي.

(١) ينظر خبر إطلاق المصرف لهذا المنتج في صحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠١١، على موقع الصحيفة:

<http://www.albayan.ae/economy/companies-businesses/2011.1495003-29-08->

ولذلك فإن هذه الصيغة تخرج بنحو تخريج البطاقة الائتمانية في حال شراء حامل البطاقة من نقاط البيع، حيث إن العميل هنا يكون بمنزلة حامل البطاقة، والمؤسسة المالية بمنزلة مصدر البطاقة، والعقد بينهما ضمان يؤول إلى قرض حسن، ومتعهد البرامج السياحية مثل التاجر في البطاقات الائتمانية، والعلاقة بينه وبين المؤسسة المالية علاقة وساطة (سمسرة)، وتستحق المؤسسة عمولة مقابل تعاقد السائح على البرنامج السياحي مع المتعهد، وفق ما يتفقان عليه.

وقد ذهب أكثر الفقهاء المعاصرين إلى أنه يجوز الخصم على التاجر، سواء أكان الخصم مبلغاً مقطوعاً أو نسبة من المبلغ المسحوب من البطاقة، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي في جدة رقم (١٠٨) (١٢ / ٢)، حيث نص القرار على: «جواز أخذ البنك المصدر من التاجر عمولة على مشتريات العميل منه، شريطة أن يكون بيع التاجر بالبطاقة بمثل السعر الذي يبيع به النقد»، كما أخذ به المجلس الشرعي هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، حيث جاء في المعايير ما نصه: «يجوز للمؤسسات المصدرة للبطاقة أن تتقاضى عمولة من قابل البطاقة بنسبة من ثمن السلع والخدمات»^(١). وعليه الفتوى في أكثر الهيئات الشرعية في المصارف الإسلامية.

ويستند هذا التخريج إلى أن هذا الخصم الذي تستحقه المؤسسة المالية، هو مقابل العمل الذي تقدمه المؤسسة المالية للجهة؛ إذ تؤمن لهم العملاء، وتحصل لهم الديون، فهو عمولة للمؤسسة المالية على الدعاية والسمسرة والتسويق، وتكثيف

(١) ينظر: المعايير الشرعية، المعيار الشرعي رقم ٢ بشأن بطاقة الحسم وبطاقة الائتمان، البند ٤ / ٢.

على أنها إجارة على عمل أو جعالة، وهذه الخدمة ليست مرتبطة بإقراض التاجر، أو ضمانه عنهم.

ويجب في تطبيق هذه الصورة مراعاة الضوابط الآتية:

١- ألا يزيد سعر البرنامج عن طريق المؤسسة المالية عن السعر الذي يقدمه المتعهد لعملائه.

٢- ألا تزيد عمولة المؤسسة المالية عن أجر المثل أو جعل المثل، سواء أكانت مبلغاً مقطوعاً أو نسبة من المبلغ المتعاقد عليه.

٣- لا يجوز للمؤسسة المالية أن تأخذ من العميل رسوماً تزيد على أجرة المثل عن الخدمات التي تقدمها للعميل، مثل: الدراسة الائتمانية أو نحو ذلك.

٤- في حال سداد المؤسسة المالية عن العميل بعملة مغايرة، فيجب أن يكون السعر المستخدم للصرف هو سعر الصرف يوم السداد، وهو وقت وقوع المصارفة فعلاً، ولا يجوز للمؤسسة المالية الزيادة في سعر الصرف عن سعر المثل، ولا أن يأخذ عمولة عن عملية الصرف.

٣-٥- التورق المصرفي مع الوساطة:

وصورة هذه الصيغة: أن تمول المؤسسة المالية المستفيد بإحدى صيغ التورق المطبقة في المؤسسات المالية، التي يشتري فيها العميل من المؤسسة المالية سلعة بثمن آجل، ويبيع العميل هذه السلعة بنفسه أو بواسطة المؤسسة المالية لطرف ثالث؛ فيتحصل بذلك على النقد الذي يمكنه من دفع مبلغ البرنامج السياحي، مع أخذ المؤسسة المالية عمولة من المتعهد على الوساطة.

وتتميز هذه الصيغة بأنها تمكن المؤسسة المالية من تقسيط مبلغ التمويل على المستفيد لمدة تزيد على الصيغة الأولى، بسبب اجتماع الربح للمؤسسة المالية من التمويل بالإضافة إلى التورق، وقد تتيح المؤسسة المالية للعميل مدة تلتزم فيها المؤسسة بإسقاط جميع الأرباح في حال السداد من قبل العميل في مدة معينة، مراعاة للعمولة التي أخذتها المؤسسة المالية من المتعهد، كما يمكن أن تعد المؤسسة المالية بإسقاط أرباح التمويل في حال عدم استخدام مبلغ التمويل، وعدم سحبه من حساب التمويل.

ومن البنوك التي طبقت هذا النموذج المصرف الأهلي التجاري في تمويل التعليم^(١).

كما قدمت بعض المصارف الإسلامية في دولة الإمارات هذه الصيغة، من خلال بطاقات ائتمانية تقدم للعميل خصومات إضافية عند وكالات معينة للسفر والسياحة، كما تمنحه مزايا متعددة في سعر الصرف، وعروض متعددة للشراء في متاجر داخل الإمارات وخارجها، ويكون التمويل عن طريق التورق عند إصدار البطاقة أو في تاريخ الاستحقاق في البطاقة الائتمانية^(٢).

(١) ينظر: صفحة المنتج على موقع البنك، بعنوان: تمويل الأهلي التعليمي حسب الاحتياج بمبلغ إضافي، ويقابله تمويل الأهلي التعليمي حسب الاحتياج بمبلغ الرسوم، وهو بصيغة القرض الحسن مع عمولة من الجهة التعليمية، ينظر صفحة المنتج على موقع البنك:

<https://www.alahli.com/ar-sa/personal-banking/islamic-Finance/Pages/Ncb-personal-finance.aspx#AIAhliEducationalNeedsPersonalFinance>

(٢) ينظر: صحيفة الإمارات اليوم،

<http://www.emaratyom.com/business/local/20111.404880-22-06->

ويعرف التورق المصرفي بأنه: الحصول على النقد عن طريق شراء سلعة مخصوصة من مكان مخصوص بثمن آجل من المؤسسة المالية، ثم بيع المشتري بنقد لغير البائع للحصول على النقد بنفسه أو بتوكيل المؤسسة المالية في بيعها لحساب العميل.

وأصل التورق المصرفي مسألة التورق المعروفة عند الفقهاء، وقد جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي: «بيع التورق هذا جائز شرعاً، وبه قال جمهور العلماء؛ لأن الأصل في البيوع الإباحة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾، ولم يظهر في هذا البيع رباً لا قصداً ولا صورة، ولأن الحاجة داعية إلى ذلك؛ لقضاء دين أو زواج أو غيرهما»^(١).

أما التورق الذي تجرّيه المصارف الإسلامية، فهو من المسائل التي حصل فيها خلافٌ بين مؤسسات الاجتهاد الجماعي، الذي عليه العمل في كثير من المصارف والمؤسسات المالية، هو الأخذ بجواز التورق على خلاف بينهم في بعض الضوابط، أو فيما يصح التورق فيه من السلع. ومن أبرز الاجتهادات الجماعية التي أجازت التورق المصرفي، المعيار الشرعي رقم (٣٠) بشأن التورق، الصادر عن المجلس الشرعي لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، وفيه جواز التورق المصرفي، والضوابط المنظمة له^(٢).

(١) ينظر: شرح فتح القدير ٧/ ٢١٣، رد المحتار ٥/ ٢٧٣، الشرح الكبير ٣/ ٨٩، شرح الخرشي ٥/ ١٠٦، مطالب أولي النهى ٣/ ٦١، كشف القناع ٣/ ١٨٦، ونقل الجواز عن الشافعية مخرج على قولهم في العينة، الأم ٣/ ٧٩، المجموع ٩/ ٣١٤، المعاملات المالية، أصالة ومعاصرة، ١١/ ٤٥٩ - ٥٠٤.

(٢) للاستزادة ينظر: المعاملات المالية، أصالة ومعاصرة، ١١/ ٤٧٧ - ٥٠٤، أعمال وبحوث الدورة السابعة عشرة للمجمع الفقهي بمكة المكرمة.

٣ - ٦ - التنازل عن العقد:

وهذه الصيغة اقترحها الباحث عبدالعزيز الدميحي لتمويل الخدمات^(١)، صورتها: أن تتعاقد المؤسسة المالية مع المتعهد على البرنامج السياحي الذي يطلبه العميل، وتدفع المؤسسة المالية جميع تكلفة البرنامج للمتعهد، ثم تتنازل المؤسسة المالية عن العقد إلى العميل، ليحل محل المؤسسة المالية في حقوقها والتزاماتها مقابل مبلغ يعادل تكلفة البرنامج، بالإضافة إلى مبلغ إضافي يمثل ربح البنك من التمويل. يظهر مزية هذا المقترح في الأثر المترتب على هذه الصيغة في الفرق بينه وبين التأجير من الباطن، حيث إن التنازل عن العقد (وهو المستأجر الأول) لا يعد مسؤولاً عن ضمان المنفعة؛ لأنه تنازل عن مركزه العقدي تماماً بخلاف التعاقد من الباطن.

ويستند هذا القول إلى أن التنازل عن العقد، هو بيع لحق الانتفاع الثابت للمستأجر بموجب عقد الإجارة إلى التنازل له، وقيمة هذا الحق يتأثر بحسب ما يتضمنه من حقوق والتزامات، ولكون المؤسسة المالية ستتنازل عن العقد بعد سدادها كامل مبلغ البرنامج السياحي، فإن لها أن تبيع هذا الحق مقسطاً على التنازل له، وهذا الحق من جملة الحقوق التي تجوز المعاوضة عليها، ويجوز في حق الانتفاع أن يكون مؤقتاً مثل حق الترخيص، وهو يختلف عن تأجير المنافع، كما جاء في قرارات وتوصيات ندوة البركة السابعة والعشرين: «يختلف ملك الانتفاع عن استئجار منفعة بأنه حق عيني، ويحق لصاحبه تملكه للغير، بحيث تنشأ علاقة مباشرة بين مالك العين، والمالك الجديد لحق الانتفاع».

(١) ينظر: تمويل الخدمات، عبدالعزيز الدميحي، ص ٣٧٠.

ويعتمد هذا المقترح على مبدأ التنازل في العقود في القانون، الذي يقصد به: اتفاق يراد به نقل حقوق والتزامات المستأجر الناشئة عن عقد الإيجار إلى المتنازل عنه. وبالرجوع إلى المصادر القانونية، نجد أن هناك اختلافاً في طبيعة التنازل عن العقود من الناحية القانونية، والقواعد التي يرجع إليها؛ ولهذا يختلف فقهاء القانون في الفرق بينه وبين التعاقد من الباطن، وكذلك خروج المتنازل عن تبعة العقد الأول بالكلية^(١)، ويمكن الخلوص إليه من ذلك الاختلاف أنه لا يمكن تعميم حكم التنازل في العقود على جميع العقود لا في الفقه ولا في القانون، وإنما ينظر إلى تكييف التنازل عن كل عقد بحسبه، ومن ذلك عقد الإيجار.

ورغبة في تحديد محل البحث بشكل دقيق دون التشعب في أحوال التنازل عن عقد الإيجار، فهو يختص بتنازل المستأجر عن عقد الإيجار، بعد سداه لكامل الأجرة، إلى مستأجر جديد يحل محله في استيفاء حقوقه (الخدمة) في عقد الإيجار أمام الأجير، بمبلغ يعادل تكلفة البرنامج، بالإضافة إلى مبلغ إضافي يمثل ربح البنك من التمويل.

والذي يظهر لي أن التنازل يحتمل أمرين:

الاحتمال الأول: أن تكون المعاوضة على حق المستأجر في البقاء في العقد، فيستحق هذا العوض مقابل خروجه من عقد الإجارة، فيكيف التنازل حينئذ على أنه فسخ للعقد بين المستأجر الأول والمؤجر، وإنشاء عقد جديد مع المستأجر الجديد بمثل

(١) ينظر: التنازل عن العقد، د. نبيل إبراهيم سعد، ٧١-٨١، وينظر في أحكام التنازل في عقد الإيجار في المرجع السابق، ٤١-٥٨، الوسيط في شرح القانون المدني للسنهوري ٦/ ٦٦١ - ٧٤٥.

العقد السابق بحقوقه والتزاماته، مع استحقاق المؤسسة المالية (المتنازل) لعرض؛ بسبب تنازله عن عقد الإيجار للعميل (للمتنازل له)، ويترتب على هذا استحقاق المستأجر الأول للأجرة التي دفعها للمؤجر عن المدة المتبقية من العقد، وللمؤجر إحالة المستأجر الأول على المستأجر الجديد (المتنازل له) بالدين في ذمته، ويجب في هذه الحال موافقة مقدم الخدمة؛ لأنه يشترط رضاه في فسخ العقد الأول، وكما يشترط رضاه في الحوالة بالدين الذي في ذمته على المستأجر الجديد، وتنتهي علاقة المستأجر الأول بعد الإجارة نهائياً، وإذا تعذر استيفاء المنفعة بسبب تلف العين المؤجرة أو غير ذلك، فإن المؤجر يلزم بإعادة الأجرة عن هذه المدة.

وجواز الاستعاضة عن التنازل عن عقد الإيجار بعد لزومه، مذهب جماعة من أهل العلم، وذكره بعض الفقهاء في جواز النزول عن الوظائف بهال^(١)، والقول بالجواز وصحة هذه الصورة متجه لو كان سداد العميل حالاً، أما أن يكون القصد منه تمويل العميل للحصول على الخدمات بثمن آجل؛ فيجمع بين المعاوضة على التنازل عن العقد، مع تقسيط الدين الذي في ذمته للمؤجر؛ ليكون صيغة تمويلية للبرامج السياحية، فإن هذا يقوي أن العوض يتضمن زيادة بسبب التأجيل، وهو ما نهى عنه النبي ﷺ من الجمع بين سلف وبيع، وعليه فلا يظهر للباحث جواز تمويل البرامج السياحية على أساس المعاوضة على التنازل عن العقد، مع تأجيل المؤسسة المالية لتكلفة البرنامج، وعلى القول بالجواز والصحة كما ذهب إليه الشيخ عبدالعزيز الدميحي، فتعد هذه الصورة صيغة تمويلية جديدة.

(١) ينظر: رد المحتار ٤ / ٥١٩، حاشية الدسوقي ٣ / ٤٣٤، تحفة المحتاج ٧ / ٤٥٣، كشاف القناع ٤ / ١٩٣-١٩٤.

نعم لو قسّطت المؤسسة المالية سداد الأجرة عن المدة المتبقية على المتعهد بعد فسخ الإجارة، مع استحقاق المؤسسة المالية العمولة من العميل مقابل تنازله، فيمكن أن يقال: إن الجواز هنا متجه، كما في البطاقات الائتمانية، ولا يمنع حينئذ أن يقسط المستفيد العميل الأجرة على المتعهد بمثل ما تقسط به على المؤسسة المالية، مع التزام المؤسسة المالية بتحصيل هذه المبالغ من العميل، لكن لا يعد الصورة المقترحة تنازلاً عن العقد، بل صيغة جديدة يكون التمويل فيها من المؤسسة المالية للمتعهد، ومن المتعهد للمستفيد.

الاحتمال الثاني: أن يكون التنازل حينئذ بيعاً للحقوق التي ثبتت له بموجب هذا العقد، وهذا في الحقيقة هو تأجير للخدمة المستأجرة بمثل ما استأجرها به وزيادة، وعلى كل حال، فإن المؤسسة المالية تحيل العملاء على المتعهد في استيفاء الحقوق والالتزامات الواجبة للمستأجر بموجب عقد الإجارة الأول، مع قبول المؤجر بهذه الحوالة وموافقة لها، أو أن يلتزم بذلك بموجب القانون، والإحالة بالحقوق والالتزامات هو المعمول به حالياً في المؤسسات المالية في عقود الاستصناع والتوريد، لكنه لا يعفي المؤسسة المالية عن التزاماتها كمؤجر للعقد من الباطن، فإذا فسخت الإجارة بسبب تلف العين أو عدم القدرة على استيفاء المنفعة، استقر الضمان على المستأجر الأول عند عدم وفاء المحال عليه بما أحيل عليه به من حق أو دين، ويكون ذلك من الصور التي لا تخرج المتنازل من تبعات العقد بالكلية.

وهذا التخريج هو ظاهر ما أخذ به قرار المجمع، في جواز بدل الخلو الذي يأخذه المستأجر من المستأجر الأول عن المدة المتبقية في العقد، وبهذا لا تكون هذه الصورة صيغة جديدة من صيغ تمويل الخدمات؛ لأنها تعود إلى صيغة التأجير التمويلي، ويبقى النظر في حكم اشتراط نفي الضمان عن المؤجر في هذه الحال، والله أعلم.



الخاتمة

يمكن تلخيص أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج فيما يأتي:

- ١- أن التمويل الإسلامي والسياحة الحلال يعدان من المجالات المهمة والحيوية في الاقتصاد الإسلامي، ويحققان العديد من المصالح المعتبرة.
- ٢- أن تقديم المؤسسات المالية الإسلامية منتجات لتمويل البرامج السياحية، يعين المستفيد على تحصيل المصالح المعتبرة للسياحة الحلال، بما يلائم موارده المالية، ويسهم في رفع مستوى الخدمات السياحية.
- ٣- لا حرج في تقديم المؤسسات المالية تمويل الحج والعمرة، ولا حرج في الاستفادة من هذه التمويلات في حق القادر على الوفاء، وفي ذلك إعانة على أداء هذه المناسك.
- ٤- يعد العقد السياحي من العقود المختلطة، وترجع العقود فيه إلى عقدي البيع والإجارة، وقد تكون المنافع المقدمة في البرامج السياحية متعلقة بأصل موصوف في الذمة أو مختصة بأعيان معينة أو بجهات معينة، ولكل من هذه الأوصاف أثر في صيغة التمويل المناسبة.
- ٥- عرض البحث لأربع صيغ لتمويل البرامج السياحية، وانتهى إلى جوازها، وهي: الإيجار التمويلي للخدمات السياحية، والذي ينقسم إلى استئجار الخدمات المتعلقة بأصل معين، ومن ثم تأجيرها على المستفيد، أو تأجير الخدمات السياحية

على العملاء إجارة موصوفة في الذمة، ثم استئجارها من مقدمي الخدمات. والقرض الحسن مع أخذ عمولة من المتعهد، والتمويل النقدي مع أخذ عمولة من المتعهد.

٦- عرض الباحث لتمويل المنافع بالمعاوضة عن التنازل عن العقد، وانتهى إلى منعه، مع التوصية بمزيد من الدراسة والبحث.

٧- لم يقف الباحث على تطبيقات لتمويل السفر في المملكة العربية السعودية، في حين أن التطبيقات لتمويل السفر منتشرة في مصارف دولة الإمارات العربية المتحدة.

التوصيات:

١- التأكيد على أهمية التكامل والتعاون بين المؤسسات المالية والمؤسسات السياحية في تمويل البرامج السياحية النافعة.

٢- العمل على وضع معايير شمولية لتقييم البرامج السياحية، من حيث موافقتها الأحكام الشرعية، ومحافظتها على البيئة، والمحافظة على حقوق العاملين في القطاع السياحي، وأن تستعين المؤسسات المالية بهذه المعايير في الموافقة على تمويل البرامج السياحية.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



قائمة المصنّاور

- ١- الأحاديث المختارة، الضياء المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت.
- ٢- الأزمة المالية العالمية: المديونية المفرطة سبباً والتمويل الإسلامي بديلاً، د. محمد أنس بن مصطفى الزرقا، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العلمي الدولي حول: «الأزمة المالية والاقتصادية العالمية المعاصرة من منظور اقتصادي إسلامي»، عمان-الأردن، ٢٠-٢٦ ذو الحجة ١٤٣١هـ - ١-٢ ديسمبر ٢٠١٠م.
- ٣- أسنى المطالب شرح روض الطالب، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الطبعة الميمية، د.ت.
- ٤- الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- ٥- الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر النيسابوري، تحقيق: د. أبو حماد صغير الأنصاري، دار المدينة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٦- أعمال وبحوث الدورة السابعة عشرة للمجمع الفقهي بمكة المكرمة.
- ٧- الأم، للإمام الشافعي، تصحيح: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- ٨- الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف، ابن المنذر النيسابوري، تحقيق: خالد إبراهيم السيد، وآخرون، دار الفلاح، ط ٢، ١٤٣١هـ.
- ٩- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، دار الكتب العربية الكبرى. د.ت.

- ١٠- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، أبو الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.
- ١١- تاج العروس، محمد بن مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩ هـ.
- ١٢- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف المواق، (مطبوع بحاشية مواهب الجليل)، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.
- ١٣- التطبيقات العملية للإجارة الموصوفة في الذمة، ضمن بحوث ندوة البركة الثلاثين للاقتصاد الإسلامي، ١٤٣٠، ٢٠٠٩ م.
- ١٤- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٦ هـ.
- ١٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر النميري، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب.
- ١٦- تمويل الخدمات، دراسة فقهية تطبيقية، عبدالعزيز بن صالح الدميحي، (رسالة علمية غير منشورة).
- ١٧- تمويل المنافع في أوروبا، بحث مقدم للدورة الثامنة عشرة للمجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء، ١٤٢٩، ٢٠٠٨ م.
- ١٨- التنازل عن العقد، د. نبيل إبراهيم سعد، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤ م.
- ١٩- التورق المصرفي، رياض آل رشود، ط ١، ١٤٣٤ هـ.

- ٢٠- جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، محمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي، ط ٢.
- ٢١- حاشية الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأحمد البركات الدردير، طبع دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- ٢٢- ديوان الشافعي، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- ٢٣- رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: محمد أمين بن عابدين، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٢٤- السنن، ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر، من دون تاريخ.
- ٢٥- الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك: أحمد الدردير، تحقيق: مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٦- شرح المنتهى (دقائق أولي النهى شرح منتهى الإرادات): منصور البهوتي، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، عالم الكتب، الرياض، ١٤٣٢هـ.
- ٢٧- شرح فتح القدير: كمال الدين بن الهمام، دار صادر، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق، ١٤١٦هـ.
- ٢٨- شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالله الخرشبي، بيروت، دار الفكر، من دون تاريخ.
- ٢٩- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق وتخرير: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

- ٣٠- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري، عناية: د. محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٣١- صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ): مسلم بن الحجاج النيسابوري، عناية: د. محمد زهير الناصر، دار المنهاج، جدة، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٣٣هـ.
- ٣٢- صحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠١١.
- ٣٣- العقد السياحي، دراسة قانونية مقارنة، الدكتورة بتول صراوة عبادي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م.
- ٣٤- عقد المقاول، عبدالرحمن العايد، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ.
- ٣٥- الفتاوى الهندية، مجموعة من علماء الهند، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٣٦- فتاوى هيئة الرقابة الشرعية لبنك دبي الإسلامي، دار البشائر، بيروت.
- ٣٧- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٣٨- قرارات مجمع الفقه الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، في الفترة من ١٣٩٨ - ١٤٢٢هـ.
- ٣٩- القرارات والفتاوى الصادرة عن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، جمع وتنسيق: د. عبدالله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، بيروت، ط ١، ١٤٣٤هـ.
- ٤٠- قرارات وتوصيات ندوات البركة للاقتصاد الإسلامي ١٤٠٣-١٤٢٦هـ، مجموعة دلة البركة، ط ١، ١٤٣١هـ.

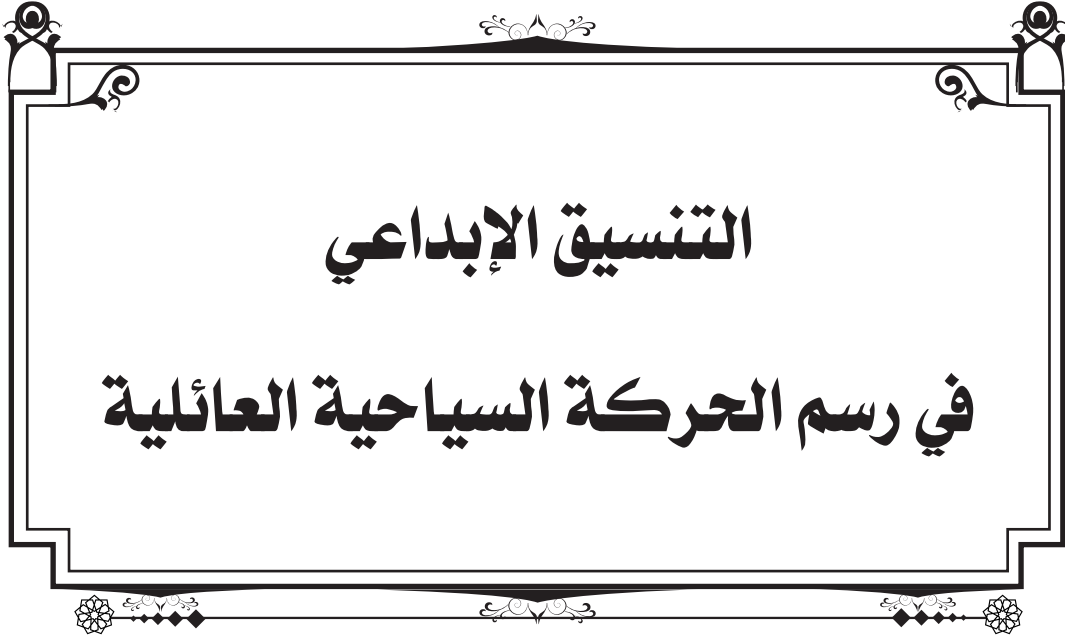
- ٤١- كشف القناع عن متن الإقناع: منصور البهوتي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٢- مبادئ التمويل، د. طارق الحاج، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٤٣- مبادئ السياحة، حمزة دراركة، مروان أبو رحمة، حمزة العلوان، مصطفى كافي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٤م.
- ٤٤- مجلة مجمع الفقه الإسلامي: منظمة المؤتمر الإسلامي، دار القلم، بيروت.
- ٤٥- المجموع شرح المهذب، النووي، دار الفكر، بيروت.
- ٤٦- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، عناية: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٤٧٣هـ.
- ٤٧- المدخل إلى علم السياحة، د. مصطفى يوسف كافي، ألفا للوثائق، الجزائر، ط ١، ٢٠١٧م.
- ٤٨- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، مطبوعات مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ط ١، ١٣٤٠هـ.
- ٤٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٥٠- مطالب أولي النهى شرح غاية المنتهى، الرحيباني، بيروت، المكتب الإسلامي.
- ٥١- المعاملات المالية أصالة ومعاصرة: ديبان الديان، الهيئة العامة للأوقاف، دار المنهاج، الرياض، ١٤٣٢هـ.
- ٥٢- المعايير الشرعية: هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، البحرين، ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م، توزيع: دار الميمان للنشر، الرياض.

- ٥٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ.
- ٥٤- المغني، ابن قدامة، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣،
- ٥٥- مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي، منذر قحف، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط ٣، ١٤٢٥هـ.
- ٥٦- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- ٥٧- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ.
- ٥٨- موقف الإسلام من الدين، د. سامي السويلم، ضمن قضايا في الاقتصاد والتمويل، دار كنوز إشيليا، الرياض.
- ٥٩- نظرية العقد، للسنهوري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت.
- ٦٠- الوسيط في شرح القانون المدني: عبدالرزاق السنهوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٤هـ.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



التنسيق الإبداعي

في رسم الحركة السياحية العائلية

إعداد

د. عزيز إسماعيل محمد العزي

تخصص اقتصاد إسلامي - كلية الإدارة والاقتصاد - الجامعة العراقية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وبعد:

يهدف البحث إلى بيان ضرورة اللجوء إلى تسخير النظم الإدارية والتنظيمية، حيث يعتبر التنسيق الإبداعي من الأنشطة الإدارية الهامة والفاعلة في إطار تنسيقي يعمل على تحقيق الأهداف العملية للسياحة العائلية، بجودة عالية وإتقان متناه، وبأقل قدر ممكن من الوقت، والجهد والنفقات، مضافاً لكل ذلك أنه يرسم صورة جمالية لانسيابية العمل والتنظيم، مما ينعكس أثره على السائح وعائلته في صورة الشعور بالسعادة والمتعة، والعزم على تكرار التجربة السياحية في بلادنا، كما عنيت الدراسة بكشف السبل والوسائل الناجحة في رسم خطط نموذجية تلائم احتياجات السياحة العائلية وتعمل على تنويعها بما يتوافق مع الذوق العام، والقيم الإسلامية الأصيلة، إن إيجاد بيئة عمل مميزة، وخدمات حديثة، غير موجودة عند المنافسين، بل ابتداء أدوات، وأساليب مستحدثة، مما له عظيم الأثر في تنمية السياحة العائلية، فالتنظيم والتخطيط والتنسيق العالي والابتكار المتجدد، كل ذلك يؤدي إلى الإبداع في الإدارة وصولاً لسياحة عائلية مستدامة على مدار العام، مما يؤسس لنيل قصب السبق في هذا الميدان، وضمن المؤشرات التنافسية لهذه الصناعة، طلباً لبيئة سياحية عالمية.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث فيما يلي:

- ١- ضعف صناعة السياحة في بعض الاقتصاديات العربية والإسلامية، مع تزايد الاهتمام العالمي بالتنمية السياحية والتخطيط لها كمورد اقتصادي لا ينضب.
- ٢- المحافظة على البنية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية وعلى الموارد الطبيعية، حتى تبقى صالحة للأجيال.

هدف البحث:

- ١- الوصول لصناعة سياحة عائلية بمواصفات فريدة ومتميزة، تتألق بها بلداننا العربية والإسلامية، وتكون منافسة للدول صاحبة السبق في هذا المجال ومتفوقة عليها عالمياً وليس هذا ببعيد.
- ٢- تقديم الاقتراحات التي تساعد في تسريع وتطوير ونمو التنمية السياحية العائلية.



المبحث الأول

معاني التنسيق والإبداع والابتكار

المطلب الأول: أهمية الإبداع:

تمهيد:

حتى تكون المؤسسة، أو المشروع، أو المنظمة، في القمة عليها بمواكبة التطور، ولا نقصد من التطور حداثة الآليات، والتقنيات، والتحول من الأعمال اليدوية إلى نظام الحواسيب، أو تحويل نظام الاتصال، من الرسائل إلى الإنترنت، والبريد الإلكتروني، بل نقصد تطور الفكر وانفتاحه، لأن العمل داخل المؤسسة مهما تطور تقنياً أو امتلك قدرات مثالية، فإنه يبقى رهين العقول التي تديره وتدبر شؤونه، فليس التطور رهين الآلات والتكنولوجيا، بل رهين تطور الإنسان وتفكيره وارتقائه، والارتقاء الإنساني أصبح ضرورة تلح على الانظمة سواء في الأبعاد السياسية أو الاجتماعية أو الإدارية أو الثقافية يجب الالتفات إليها لذا أصبحت هي المعيار الذي يحكم المشروعات والمؤسسات بالبقاء والثبات، ومن هنا تبرز أهمية الإبداع، في التنسيق والتفكير والابتكار والتخطيط، في صيرورة النجاح، لأي قطاع، من القطاعات العلمية والخدمية.

أولاً: التفكير قبل التنسيق:

قبل الحديث عن ماهية التنسيق الإبداعي وأهميته، يجب التطرق إلى التفكير الإبداعي، فالتنسيق نتاج التفكير، فالتفكير الإبداعي يتسم بحساسية فائقة، لإدراك

المشكلات، وقدرة كبيرة على تحليلها وتقييمها، وكشف نواحي النقص والقصور فيها، كما يملك صاحب هذا النوع من التفكير، قدرة على إنتاج الأفكار، التي تتسم بالتميز والتفرد والجدّة، كما يتميز بالسهولة في إنتاج عدد كبير من الأفكار في وقت قصير، وبالمرونة من التحول من فكرة إلى أخرى، وصاحب هذا النوع من التفكير له القدرة على التخيل والتصوير والتركيب والبناء وإيجاد علاقات جديدة، وتفسيرات متميزة لفهم الواقع والتعبير عنه، وتغييره إلى الأفضل، وتكون نتائجه خلاقة، وليست روتينية أو نمطية^(١).

ثانياً: تعريف التفكير الإبداعي:

يشكل التفكير الإبداعي، أحد أهم اللبنات الأساسية، في خلق الإبداع لأنه نتاج الفكر، الذي يكمن في الذوات البشرية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وتعيش مع وجودهم، على الرغم من مستويات التفاوت في التفكير، نتيجة أسباب تعود إلى القدرات العقلية والصحية، واختلاف الأعمار والحاجات التي تدفع شخص عن آخر، بالتركيز على التفكير بموضوع معين، فتفكير الكبير مثلاً يختلف عن تفكير الصغير، وتفكير القوي يختلف عن تفكير الضعيف، وتفكير الغني يختلف عن تفكير الفقير، وتفكير المثقف عن تفكير غير المثقف، من حيث أولوية الحاجة لكل منهم، والإنسان يلجأ إلى التفكير بغض النظر عن مستوياته المختلفة، من أجل تفسير الكثير من الحقائق والأحداث التي تجول في ذهنه، نتيجة ما يحيط به من المؤثرات والوقائع الحياتية المتغيرة، فالشخص المبدع، هو ذو تفكير أصيل، أي أنه

(١) التفكير الإبداعي لدى المديرين وعلاقته بحل المشكلات الإدارية، د. لطيف محمد عبدالله علي، ط ١، عمان، الأردن، ٢٠١١م، ص ١٨.

لا يكرر أفكار المحيطين به، فتكون الأفكار التي يولدها جديدة، في ضوء الأفكار التي تبرز عن الآخرين، ويمكن الحكم على الفكرة بالأصالة عند عدم خضوعها للأفكار الشائعة، وخروجها عن التقليدي. ولقد دعا القرآن الكريم الإنسان، إلى التفكير واستخدام العقل لفهم ما حوله من الأشياء، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(١)، ويعرف التفكير بأنه، تلك العمليات الذهنية التي يمارسها الإنسان، من أجل الوصول إلى قرار أو هدف معين بموضوع ما. أما الإبداع، فهو القدرة على الإتيان، بطرق وأساليب وأفكار وسلوكيات جديدة، لم يأت بها شخص آخر^(٢).

وبمزج المصطلحين يكون التعريف نتاج تلك العمليات الذهنية، التي يحققها الإنسان، بشكل متميز عن الآخر، فيأتي بأفكار وحلول وطرق وأساليب جديدة لا مثيل لها، وهو وما يسمى بالتفكير الإبداعي.

ثالثاً: مراحل التفكير الإبداعي:

ربما ليس هناك وجود لمراحل التفكير، بل هو خطوة واحدة، في لحظة إلهام أو إشراق، تتقد شرارة الإبداع، ولكن هناك من يرى بوجود مراحل، تتطور وتنمو، ما أن تنشأ منها الفكرة الإبداعية حتى تصل إلى المنتج الإبداعي، كالعالم (جراهام والاس)، الخبير في العلوم الاقتصادية والإنسانية، الذي يرى أن الفكرة الإبداعية،

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

(٢) إدارة الإبداع والابتكار في منظمات الأعمال، د. عاكف لطفي خصاونة، ط ١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١١، ص ١١٠.

تمر بمراحل محددة، وهي (الإعداد)، وهذه المرحلة يتم فيها جمع المعلومات، حول الموضوع أو المشكلة التي تمثل محور الاهتمام. ثم مرحلة (الاحتضان)، وتسمى بمرحلة الترتيب والترقب والانتظار، وتأتي بعد عدة محاولات يائسة، للتوصل إلى حل خارق للمشكلة، بعد التفكير في كل الاحتمالات الممكنة. ثم مرحلة (الإلهام)، وهي مرحلة اخراج ناتج أو حاصل العمليات الذهنية، وهي تفكير لمدة ساعات وايام وربما شهور وسنوات، فهي تمثل الإنجاز. ثم تأتي مرحلة التحقيق، التي هي مرحلة فحص وتقييم الأفكار الجديدة، الناتجة من الخطوات السابقة، وقد تحتاج إلى فترة ليست بالقليلة لتكون مفيدة للناس^(١).

رابعاً: العوامل المساعدة على التفكير الإبداعي:

إذا ما أردنا للمؤسسة العاملة أو المنظمة الخدمية، بالخروج بمنتج بديع وجديد وأصيل ملائم للهدف، نافع للمستفيدين، جذاب للجمهور، فيجب توفير بيئة ميسرة، تشجع وتساعد الفكرة الإبداعية، فالإبداع بذرة موجودة في كل إنسان، متى ما تهيأت لها بيئة ميسرة، وصالحة تمدّها بماء الحياة، نمت وأينعت، فتوفير الامن النفسي والاجتماعي والاقتصادي للعاملين، وخلق جو من الثقة المتبادلة، وتشجيع الأفكار الجديدة مع تهيئة الإمكانيات والوقت اللازم للإبداع، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ودعم المبدعين، وعدم مصادرة آرائهم ومشاورتهم في مستقبل المؤسسة، وأعمالها كل هذا يخلق بيئة ميسرة، تنتج المنتج الذي قد يكون

(١) الإبداع في السلم والحرب، سعد الدين خليل عبدالله، ط ١، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٠ - ٣٥.

مادياً محسوساً كما في عالم الصناعات والاختراعات، وقد يكون شيء غير مادي، كابتكار أساليب وطرق جديدة، أو استحداث خدمات مميزة، أو تنمية مهارات مطلوبة، أو حل لمشكلات مترسبة، وهذا كله يساعد على إيجاد بيئة مناسبة، في عالم الخدمات والأعمال^(١).

خامساً: معوقات في طريق التفكير الإبداعي:

ان معظم المعوقات التي تواجه التفكير الإبداعي، لدى الأفراد في المنظمات والمؤسسات، ودوائر العمل، وتقديم الخدمة، نستطيع إجمالها بالآتي:

- ١- فقدان الثقة بالنفس، والشعور بعدم إمكانية الإبداع وصعوبة تعلمه.
- ٢- الخوف من الوقوع في الخطأ، والتعرض للنقد، أو الاستهزاء.
- ٣- القناعة لدى الكثيرين بأن الإبداع خاص بالموهوبين والمتفوقين، وهو حكم على الذات بالسلبية واعتقاد خاطئ.
- ٤- الحكم المبكر على الأفكار، بدلاً من توليدها يؤدي إلى رفض أفكار كثيرة كونها غير مكتملة تماماً، كما هو حال الوليد المبكر فهو يحتاج إلى العناية والرعاية المستمرة والصبر.
- ٥- الافتقار إلى التحدي والحماس المتزايد.

(١) الإبداع الإداري، د. بلال خلف السكارنة، ط ١، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

٦- الكثير من الأفراد والعاملين أسيرٌ لعادات متكررة كالأكل والشرب والنوم والاستيقاظ... الخ، فهذا هو التفكير المألوف والمعتاد والمقيد والكسول.

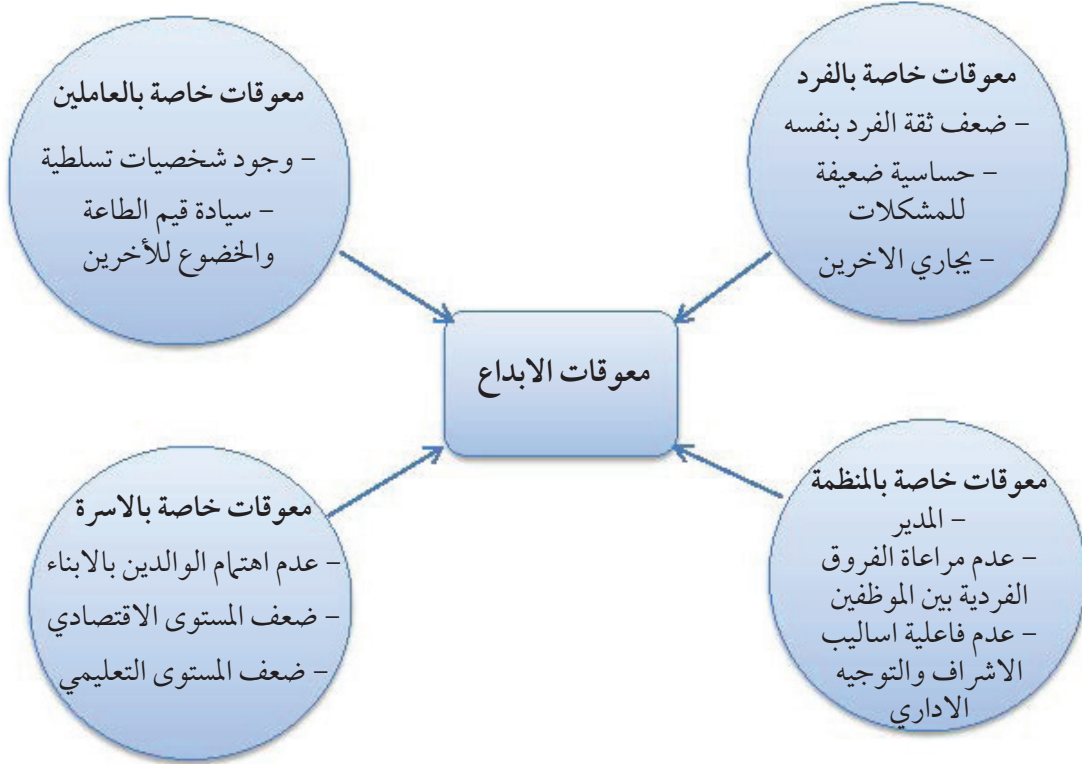
٧- يعتذر الكثيرون بضيق الوقت رغم أن المبدعين قد أسسوا إبداعهم من نفس ساعات اليوم والليلة التي يملكها الناس جميعاً^(١). فالذي يقطع الأخشاب بمنشاره اليدوي يستطيع أن يقلل من الوقت الذي يُمضيه في القطع إذا أمضى جزءاً من وقته في تطوير منشاره وتسريع نشره، وهكذا نستطيع إنجاز أهدافنا وتحقيق طموحاتنا بأقل جهد ممكن إذا سمحنا لقدراتنا الإبداعية أن تأخذ نصيبها من أوقاتنا^(٢).

٨- قتل الأفكار المولدة، فهناك طرق كثيرة، ومع الأسف لقتل الأفكار المبدعة للآخرين، وتحطيمها فيقال لهم فكرة جيدة ولكنها غير علمية / تكلف كثيراً / تخالف سياسة الشركة أو المنظمة / سابقة لوقتها / ليست متضمنة في ميزانية الشركة / فكرة مثالية وغير واقعية / خارجة عن مسؤوليتي / سأرفعها للمدير... وهكذا هو التفكير السلبي المتكرر يقتل الفكرة البديعة، في حين يمكن إضاءة الطريق أمام أفكار الأفراد إذا قيل لهم عظيم دعونا نختبرها / ماهي ميزاتها / كيف نتغلب على النواقص فيها / هل تستطيع أن ترسم لنا مخططها / أنا أحب هذه الفكرة دعنا نحولها إلى حل عملي / أحسب التكاليف وأرفعها إليّ...، وهكذا التحفيز يعزز الفكرة البديعة.

(١) كلنا مبدعون ولكن، عبد الرحمن توفيق وليل حسن القرشي، ط ١، القاهرة، مركز الخبرات المهنية، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٣.

(٢) الإبداع الإداري، د. بلال خلف السكارنة، ص ٢٤٥.

شكل رقم ١



المطلب الثاني: نظرة في معنى الإبداع:

اولاً: اتساع نطاق الإبداع:

يتسع معنى الإبداع، ليشمل الاختراع والابتكار، حيث إن الاختراع يعني، خلق شيء لم يكن موجوداً من قبل، مثل منتج أو نظام معين، أما الابتكار فهو يتمثل، في تطوير شيء قائم، أو دمج وتأليف شيئين، أو إفراز فكرة جديدة لحل مشكلة قائمة^(١)، وعلى هذا الأساس يتبين أن الإبداع عملية ممكنة في شتى المجالات، وليس فقط فيما يخترعه العلماء والباحثون، في مجال العلوم الطبيعية والهندسية والكيميائية، بل

(١) نحو قيادة إبداعية لموارد بشرية تنافسية، مؤتمر التحديات المعاصرة للإدارة العربية - القيادة الإبداعية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦م، ص ٤١٧.

حتى في ميدان العلوم الإدارية والاجتماعية والإنسانية، بمعنى آخر أن المجال مفتوح دائماً للإبداع في كل الميادين.

فالإبداع متعدد الأوجه والجوانب، فقد يكون الإبداع على أساس الفرد وذلك بما يبيده الشخص في قدرته على التخلص من النسق العادي، باتباعه نمطاً جديداً من التفكير والأداء، وقد يكون الإبداع على أساس الإنتاج وذلك عن ظهور إنتاج جديد، نابع من الخبرات التي يكتسبها الشخص، وقد يكون على أساس وضع الفرضيات واختبارها والوصول إلى نتائج صحيحة، تساعد على تطوير عمل المؤسسة، وقد يكون على أساس البناء والوصول إلى القمة.

ثانياً: المدير وأثره في الإبداع:

ان الإبداع ليس مجرد فكرة أو قرار، وإنما هو عملية تتضمن القيادة والرؤية، وإذكاء مواهب ومهارات الأفراد أو الفريق، واستثمار نتائج هذه التركيبة، وتحويلها إلى القنوات الإنتاجية^(١).

والمديرون في منظمات الأعمال المختلفة، يمثلون شريحة هامة في المجتمع، بما لديهم من خبرات ومهارات، لاقتناص الفرص، واستغلالها الاستغلال الأمثل، بالإضافة إلى مواجهة التحديات وإعادة صياغتها صياغة إبداعية مناسبة، لتتحول التحديات، إلى فرص إيجابية تعزز حل المشكلات الإدارية، وتدعم تحقيق الأهداف المرسومة،

(١) اثر التمكين الإداري والدعم التنظيمي في السلوك الإبداعي كما يراه العاملون في شركة الاتصالات الأردنية، دراسة ميدانية، محمد الحراحشة، وصلاح الدين الهيتي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد ٣٣، العلوم الإدارية، عدد ٢، ٢٠٠٦م، ص ٤٩٥.

أو على الأقل تجاوز التحديات بخسائر أقل، فإذا بقي المديرين تلك الطاقة الكامنة، والهائلة لدى منظمات الأعمال المختلفة، بما يحقق التميز للمنظمات، في حل مشكلاتها الإدارية، وبضمنها تحقيق أهدافها بفاعلية وكفاءة، بما تفرزه هذه الطاقة، من أفكار وأساليب ووسائل جديدة ونافعة^(١)، لذا أصبحت القدرة على الإبداع من سمات القائد الناجح في عصر المعرفة، ومن هنا نعتقد أن الثروة الحقيقية لأي أمة من الأمم، لا تكمن فيما تمتلكه، وإنما في كمية الأفكار البناءة، التي تخلصها من القيود، وتعلمها حل المشكلات.

ثالثاً: الإبداع واستشراف المستقبل ووضع الإستراتيجيات:

يعد الإبداع إحدى الخصائص الهامة للمنظمات المعاصرة، التي تعمل في ظل مفهوم التحول التدريجي نحو العالمية، وإذا كانت الإدارة في الدول المتقدمة، قد أظهرت اهتماماً جدياً وأصيلاً بدعم الأفكار الجديدة، وتشجيعها وإحتضان الابتكار، والتغير في منشآتها لتحقيق مستويات أفضل، في التقدم لاقتصادها وشعوبها، فإن الإدارة في الدول النامية، أحوج ما تكون إلى التركيز على أهمية الأفكار المبدعة، والقدرات الابتكارية، للعاملين والمديرين أصحاب القرارات فيها، والأخذ بأساليب وتقنيات العصر الحديث^(٢).

(١) التفكير الإبداعي لدى المديرين وعلاقته بحل المشكلات الإدارية، د. لطيف محمد عبدالله علي، ص ٣٣.

(٢) العوامل المؤثرة على السلوك الإداري الابتكاري لدى المديرين في قطاع البنوك التجارية السعودية، دورية الإدارة العامة، نادي حبيب أيوب، معهد الإدارة العامة، الرياض، ٢٠٠٠، مجلد ٤٠، عدد ١، ص ١-٢.

فمهمة التنبؤ واستشراف المستقبل ليست مهمة هينة، فبحوث المستقبل هي جهد علمي وخيال، وهو ما يمكن أن نطلق عليه القدرة التوقعية، ويمثل العصر الحديث الذي نعيش فيه قمة في التطور التكنولوجي، وهو خلاصة إنتاج العقول البشرية المبدعة، لأنه يمثل حاجة من الحاجات المهمة، لدى المجتمعات من أجل التنمية والازدهار، ولقد شهد العالم خلال السنوات الأخيرة، حركة واسعة تدعو إلى تنشيط الاهتمام بالمبدعين، وتلح على ضرورة توفير المناهج والبرامج التربوية، التي تلبي احتياجاتهم، للتعرف على العقلية الإبداعية في سن مبكرة، ولابد من وجود فئة متدربة على توقع المستقبل، ولاشك أن عملية الابتكار والإبداع تستدعي أن تنظر الإدارة العليا للمؤسسات إلى المستقبل البعيد، وأن تضع له الخطط الكافية، المبنية على التفكير المنطقي السليم، ولا ينبغي أن تُعد النظرة البعيدة أو التخطيط الطويل الأجل مضيعة للوقت كما قد يحسبه بعض الأفراد، فيلحون على المديرين بالأدوار اليومية، أكثر من النظرة المستقبلية، وفقاً لهذا فإن المنطق السليم يتطلب أن نجعل التفكير والوقت معاً في خدمة الاستراتيجية الإبداعية، إذا تم مراعاة بعض الخطوات، ومن أهمها:

١- استثمار الإدارة وقتاً كافياً في التفكير الطويل وفي التخطيط، لتحقيق الأهداف الإستراتيجية.

٢- الايمان بأن التفكير السليم والطويل يحقق الأهداف.

٣- التزام الأفراد مديرون وعاملون بالوقت المطلوب في جميع الأدوار وبشكل متكامل ومنسجم.

٤- نظرة الإدارة إلى أفراد المنظمة أو المؤسسة على اختلاف مستوياتهم على أنهم يمثلون جزءاً من الإستراتيجية وعنصراً هاماً في إنجاح الأعمال^(١).

رابعاً: تأصيل الإبداع في المنظور الإسلامي:

الإبداع في اللغة هو من بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه أنشأه وبدأه، وأبدع وابتدع وتبدع أتى ببدعة، والبديع المبدع، وأبدعت الشيء: اخترعته لأعلى مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيها وهو البديع الأول، فهو سبحانه الخالق المخرع لا عن مثال سابق^(٢)، والإبداع في الرؤية الإسلامية هو إطلاق طاقات الخلق، والابتكار دون قيد على العقل، في حدود المنهج الإسلامي، إلى الحد الذي ينال فيه المبدع المجتهد أجراً، حتى ولو أخطأ، مادام ملتزماً بالإطار الأخلاقي والإسلامي، الذي لا يحكمه الهوى، وإنما يحكمه الضمير، الذي يدرك مسؤوليته، بطريقة تؤكد توجيه طاقات الإبداع^(٣)، وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الإبداع وتدعو البشر أن يستخدموا قلوبهم وعقولهم وحواسهم ويدرسوا قوانين الطبيعة ويرتحلوا في أنحاء الأرض ليتعرفوا على الخالق سبحانه وتعالى وحقيقة خلق السموات والأرض والتعرف على العلوم المختلفة التي تنفع في الدنيا والآخرة لقوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، فالله سبحانه وتعالى من صفاته وأسمائه أنه بديع وقد

(١) التفكير الإبداعي لدى المديرين وعلاقته بحل المشكلات الإدارية، د. لطيف محمد عبدالله علي، ص ٤٧.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ط ١، دار صادر، بيروت، ج ٨، ص ٦، باب بدع.

(٣) مقال بعنوان الإبداع في الرؤية الإسلامية، بقلم الأستاذ علي القاضي، ٢٠٠٨م، مجلة الداعي الصادرة من الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند، الهند.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١٧.

استخلف الإنسان في الأرض ليعمرها فينبغي على الإنسان أن يكون مبدعاً وأن يُعمل فكره ونظره لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾^(١)، لذلك استعير لفظ الإبداع من اسم الله تعالى البديع ليسترشد الإنسان به وليتحرك ويتفاعل ويعمل بما فيه صلاحه ولقد عاب القرآن الكريم على الذين يرفضون الفكر الجديد ويظنون على أفكارهم القديمة وثقافتهم البالية دون النظر إلى الواقع والانسجام مع التطور الفكري لقوله تعالى ﴿... قَالَ مُتَّفَوْهًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾^(٢)، بل ونقل القرآن حكاية عن أحد مفكري المشركين الذين ركنوا إلى التقليد القديم وجعلوه معوقاً تجاه التفكير الإبداعي الجديد، فقال تعالى ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾، ويرشدنا الهدي النبوي إلى الأساليب التي تنمي الإبداع فحين يكشف رسول الله ﷺ عن محفزات في أشخاص الصحابة رضي الله عنهم بقوله: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»^(٤)، فالرحمة والشدة والحياء والقضاء والعلم والفرائض والقرآن والأمانة محفزات لجوانب إبداعية أمتاز أكابر الصحابة بذلك وهم الجيل المبدع المؤثر الفاعل بهذا التنوع والتكامل والانسجام،

(١) سورة يونس، الآية ١٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٢٣.

(٣) سورة المدثر، من الآية ١٨ - ٢٤.

(٤) صحيح بن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ١٦/٢٣٨، باب فضل الصحابة.

ونرى من محور آخر أن رسول الله ﷺ يستعمل مع كل شخص ما يناسبه من عوامل التحفيز ليستثمر الهمم كي يبدعوا، فعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رضى الله عنه - قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَضَلُّونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًّا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فَلَانٍ. قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ. فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَرْمَى وَأَنْتَ مَعَهُمْ قَالَ ارْمُوا»^(١).

المطلب الثالث: مفهوم التنسيق الإبداعي:

يعتبر التنسيق جزءاً من الإدارة، التي تضم التخطيط والتنظيم والقيادة والتنسيق والمراقبة، وتدخل عملية التنسيق في جميع العمليات الإدارية، حيث يستخدمها المدير الإداري، في عمليات التخطيط والتنظيم والتوجيه واتخاذ القرارات، وتنبع عملية التنسيق، والحاجة إليها من خلال اختلاف وجهات النظر، وكيفية تحقيق الأهداف، بانسجام وتوافق، ومن ثم تصبح مهمة المدير التوفيق بين الاختلافات في كيفية أداء العمل وتوقيته.

أولاً: معنى التنسيق:

يُعرف التنسيق على أنه، الترتيب المنظم لجهود العاملين في المنظمة من أجل توحيدها في التصرف والتنفيذ، لتحقيق الأهداف المرسومة^(٢)، ومن خلال التعريف يمكن بيان ما يلي:

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، وزارة الأوقاف المصرية، د.ت، رقم الحديث ٣٣٧٣، ج ١٢، ص ٤٤، باب قوله تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل.
(٢) مبادئ إدارة الأعمال، د. عبد القادر محمد، ط ١، الأردن، ص ٣٦.

- ١- يحقق التنسيق في أعمال المنظمة التوازن والانسجام بين مختلف أوجه النشاط وبين كافة المستويات الإدارية.
- ٢- تفادي التكرار في الأعمال الإدارية وتجنب الصدام والصراع ومنع المشكلات وبعبارة أخرى منع التعارض في الاختصاصات.
- ٣- يقلل في الوقت والجهد والنفقة.
- ٤- تكامل اختصاصات الوحدات الإدارية داخل المنظمة وربط بعضها البعض بعملية توافقية بمثابة بوصلة باتجاه تحقيق الأهداف.

ثانياً: من أين يبدأ التنسيق:

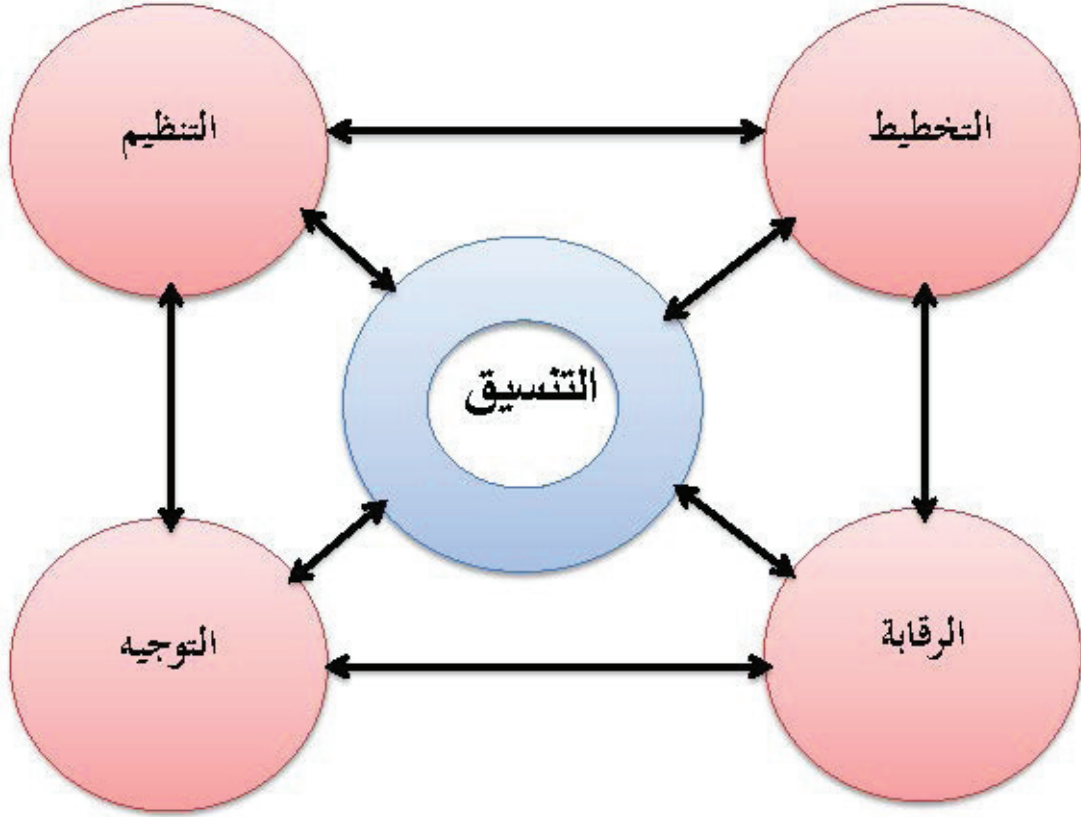
يبدأ التنسيق مع البدايات الأولى لوضع اللوائح والتعليمات والخطط والسياسات الإدارية للمنظمة، بحيث يكون واضحاً للجميع، والعمل بمبدأ الاتصال المباشر الذي يتم بين الافراد، أثناء العمل اليومي، ليضمن القضاء على الانعزالية والانفصالية بين الأقسام، لضمان تعاونها، مما يؤدي إلى الكفاية الإدارية في أداء المهام^(١).

ثالثاً: مزايا التنسيق الفعال:

إن عملية التنسيق، ليست عملية مستقلة عن العمليات والأنشطة الإدارية الأخرى في المنظمة، ولكنها تمثل ضرورة لا غنى عنها في جميع العمليات الإدارية الأخرى، من تخطيط وتوجيه وتنظيم ورقابة، ويوضح الشكل الآتي ذلك.

(١) مقال بعنوان التنسيق الإداري، للأستاذ صلاح محمد عبد الأشقر، موقع منتدى الموارد البشرية.

شكل رقم ٢



ومن مزايا التنسيق الفعال:

- السرعة في إنجاز الأعمال.
- المصدقية في أداء المهام.
- الكفاية الإدارية.

رابعاً: أنواع التنسيق^(١):

١- التنسيق الداخلي: هو سلسلة من الإجراءات، التي تتم بين الموظفين، داخل الإدارة الواحدة أو بين الإدارات المختلفة داخل الشركة، بهدف إيجاد نوع من التوافق والانسجام، بين نشاطات الموظفين في الفروع والأقسام.

(١) مقال بعنوان التنسيق في الفكر الإداري الإسلامي، د. محمد البشير عبد الهادي.

٢- التنسيق الخارجي: هو إجراءات تتم بين شركة وشركات أخرى، أو جهات خارجية ذات علاقة مع الشركة.

٣- التنسيق الرأسي: هو بين الرئيس الأعلى، والرئيس الذي يليه، لضمان نقل السياسات العامة، ورغبات الإدارة العليا.

٤- التنسيق الافقي: هو بين المستوى الواحد، منظمة وأخرى، ومدير وزميله، وموظف و موظف.

٥- التنسيق الزمني: هو التوفيق بين الخطط القصيرة المدى والمتوسطة وطويلة الأجل.

٦- التنسيق الفكري: هو توافق الآراء والأفكار.

٧- التنسيق المالي: هو انسياب اعتماد الأموال، بالقدر الملائم، وحسب الموازنة المخططة.

٨- التنسيق الفني: هو تحقيق التكامل بين النشاطات المختلفة، في النواحي الفنية والهندسية والتقنية.

وقد يأتي التنسيق عن طريق اللجان المختلفة، والاجتماعات الدورية، والخطابات المكتوبة والاتصالات غير الرسمية، وربما يأتي عن طريق القيادات الإدارية، من خلال العلاقات العامة والاجتماعية، وكذلك عن طريق المراجعة، والملاحظة من قبل الرئيس الإداري.

خامساً: معوقات التنسيق:

من خلال دراسة الموضوع من كافة جوانبه وجدنا، أن للتنسيق معوقات تترك أثراً سلبية إذا لم تتم معالجتها، ومن تلك المعوقات:

١- كبر حجم المنظمة وتنوع أهدافها وهو من أكبر المشكلات، لأنه قد لا يجعل من السهل على القائد الإداري أو الأجهزة المختصة حصر وتقييم جوانب الاداء.

٢- الزيادة في عدد الموظفين داخل الشركة.

٣- النقص في خبرات القائد الإداري فعدم معرفته بنشاط الشركة وتنفيذه لإجراءات خاطئة يعقد المشاكل.

ولعلاج تلك المعوقات نرى ضرورة بدء التنسيق مع بداية البرامج التخطيطية وتوفير الاحتياجات وإنشاء لجان متابعة والتقليل من وطأة وشدة المركزية، علماً أن عدم التنسيق وسوء الإدارة الفعالة يشكل ٤٠٪ من مشاكل المنظمات والشركات.

ومن الجدير بالذكر، أن القرآن الكريم دعا إلى العلاج وحل المشكلات من قبل القيادات، ونجد ذلك واضحاً في قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٢﴾ ^(١)، وجه الدلالة أن نبي الله داود عليه السلام خوطب كونه ملكاً وقائداً فهو يمثل القيادة، والمتخصصين هنا

(١) سورة ص، الآية ٢١ - ٢٢

يمثلون الأفراد والعاملين، ويأتي التوجيه لحل مشكلة المتخصصين، بعدم الشطط والخطأ حتى يستقيم أمر المرؤوسين، ويأتي سياق الآيات اللاحقة في نفس السورة لتؤكد ذلك المعنى.



المبحث الثاني

صناعة السياحة العائلية الناجحة والمتميزة

تمهيد:

لقد أصبحت السياحة، في عصرنا الحالي غذاء الروح والترفيه عن النفس، ويجب أن يتمتع بها أو يمارسها كل إنسان مهما كان عمله، مع وجود اختلاف بطبيعة الإنسان وبيئته ووقت الفراغ المتوفر لديه والدخل الفائض عن حاجته. إن صناعة السياحة، تُعد من أكبر الصناعات في العالم، ولا يزال تقدمها وتوسعها وتطورها ينمو، فالسياحة قديمة بقدم الإنسان ووجوده على هذه الأرض، وهو يبحث عن مصادر عيشه، أو الصيد عند ترحاله وتنقله، فهي إذاً ليست وليدة الحياة المعاصرة، بل منذ آلاف السنين، وهي تعكس مدى التقدم الحضاري والعلمي لشعوب الأرض، كونها نشاط إنساني له أبعاده الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ولأنها صناعة خدمات، تجمع في مظلتها الكثير من الصناعات، ويتعرف السائح من خلالها، على تجارب الآخرين ولغاتهم وحياتهم وتقاليدهم، فهي تجربة رائعة، لا يمكن الاستغناء عنها. واليوم أصبحت السياحة علم مستقل، له قواعده ونظرياته ومعالجه وسبل تطويره، وله علاقة بكثير من العلوم الأخرى، وارتباطاً وثيقاً بها، وهذا ما نحاول تسليط الضوء عليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: السياحة والسائح:

نتعرف أولاً على نظرة الإسلام، إلى صناعة السياحة والاستفادة منها، وبيان مشروعيته وذكرها في مصادر التشريع الإسلامي الأصلية،

كالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك قبل البدء بتعريف مفاهيم السياحة والسائح.

اولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

فمنذ أن خلق الله عز وجل الإنسان، واستخلفه في الأرض، فقد دعاه الله تعالى إلى التنقل والانتشار في الأرض، والتدبر في آيات الله وسعيًا للرزق الحلال، وعمارة الأرض وإصلاحها.

فالسياحة في نظر الإسلام هي التنقل، من مكان إلى مكان بهدف التدبر والتأمل في خلق الله عز وجل، أو التعارف بين الناس، أو طلب العلم المحمود، أو الدعوة لنشر دين الله عز وجل، أو الترويح عن النفس، أو أداء الفرائض والواجبات الدينية، ويحكم ذلك أحكام وقواعد الشريعة الإسلامية، حتى تكون صالحة ونافعة^(١)، وقد ورد لفظ السياحة في القرآن الكريم باللفظ الصريح، وأحياناً بالمعنى المرادف للسياحة، فمن ذلك قوله تعالى ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا أَنْتُمْ عِزِّي مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، وجه الدلالة: قال الرازي رحمه الله: أصل السياحة الضرب في الأرض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة، والمعنى اذهبوا فيها كيف شئتم، وليس ذلك من باب الأمر، بل المقصود الإباحة والإطلاق والإعلام بحصول الأمان وإزالة الخوف^(٣)، وجاء بلفظ السير في الأرض

(١) الضوابط الشرعية للسياحة، حسين حسين شحاته، بحث مقدم إلى ندوة السياحة من منظور إسلامي واقتصادي، جامعة الأزهر، القاهرة، عدد ٢٦، ٢٠٠٥م، ص ١-٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢

(٣) تفسير الفخر الرازي المسمى بمفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ت ٦٠٦ هـ، د.ت، ج ٧، ص ٤٥٤.

والنظر إلى عواقب الأمم وآثارهم كقوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١)، وجاء أيضاً بلفظ الرحلة كقوله تعالى في سورة قريش واصفاً نعمته على أهل مكة حيث قال الله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١ إِيَّالْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَاوَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾^(٢)، وجاء بلفظ السفر كقوله تعالى ﴿... وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...﴾^(٣)، وهكذا نجد أن السياحة لها أبعاد متعددة، وذكرت السياحة في حديث النبي ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني من أمتي السلام»^(٤).

ثانياً: تعريف السياحة والسائح:

يأتي معنى السياحة في اللغة: السَّيْحُ هو الماءُ الظاهر الجاري على وجه الأرض وجمعه سُيُوح وقد سَاحَ يَسِيحُ سَيْحاً وَسَيْحَاناً إذا جرى على وجه الأرض، والمعنى الذهاب في الأرض، أي مفارقة الأمصار والمدن^(٥).

أما تعريف السياحة بالمعنى العام والشامل، فمن خلال ما ذكرنا عن مفهوم السياحة في النظرة الإسلامية، يمكن للباحث أن يعرف السياحة بأنها: انتقال

(١) سورة الروم، الآية ٩

(٢) سورة قريش، الآية ١ - ٤

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥

(٤) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، ينظر مجمع الزوائد للهيتمي، ج ٨، ص ٥٩٤.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٤٩٢، باب سَاحَ

الشخص أو الجماعة من مكان إلى آخر، أما لتحصيل العلم، أو الدعوة لنشر دين الله عزوجل، أو التجارة، أو التعارف، أو الترويح عن النفس، أو مشاهدة آثار الأمم السابقة للعبرة والعظة والاستطلاع، أو أداء الواجبات الدينية، كالحج والعمرة، أو لأغراض العلاج في الوقت الحاضر، وكذلك يدخل في مفهوم السياحة المتعددة الأغراض، الوفود والفرق الرياضية والمؤتمرات والزيارات الرسمية للمسؤولين السياسيين، وقد يشترط البعض وجود فترة زمنية لا تقل عن ٢٤ ساعة بأي قصد، وأن يكون الانتقال بطريقة مشروعة^(١)، وفي رأبي أن التعريف المذكور شامل لوجهة النظر الإسلامية وغيرها، أما السائح فهو الشخص الذي يسافر خارج محل إقامته، لأي سبب غير الكسب المادي، أو الدراسة سواء كان في داخل بلده، أو داخل بلد غير بلده، ولفترة تزيد عن ٢٤ ساعة، أو تقل ويعتبر قاصداً للنزهة^(٢)، ومن خلال التعريف يتبين أن السواح أنواع: سائح أجنبي يأتي من بلدان بعيدة، ويشكلون زخم سياحي عالمي، وسائح من بلدان قريبة ومجاورة، وسائح قادم من مناطق قريبة من المكان السياحي أثناء العطل.

ثالثاً: السياحة عالم مستقل:

يمكن القول بأن عالم السياحة، قد شملته أساليب التكنولوجيا والتقنية الحديثة، التي جعلت منها صناعة تتجاوز الحالة الحرفية، بل هي اليوم تضم مجموعة من الاختصاصات، يتطلب منها خبرة وتقنية، لا يمكن تطبيقها عن طريق الارتجال

(١) صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ط ١، عمان، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ٢٧. من خلال اطلاعي لا يوجد تعريف محدد لصناعة السياحة في العالم فكل دولة أو منظمة تعرف صناعة السياحة بصورة تختلف عن غيرها تبعاً لتعدد أبعاد السياحة وأغراضها.
(٢) المصدر السابق ص ٢٧.

والعفوية، وإنما عن طريق الملاحظة والتجربة ودراسة الحالة، وعند تطبيقها يمكن التوصل إلى نتائج متطابقة في مختلف الحالات، وهذا يدل على أن فن السياحة وصناعتها، علم من العلوم له مقوماته ومشاكله، التي أقيمت بشأنها مؤتمرات عديدة وبحوث عاجلت معوقاتهما، وصدرت بذلك الكثير من القوانين في الدول والتوجيهات التي تهتم السياحة والسواح، ناهيك عن تدريس فنونها في الجامعات التي منحت الشهادات العليا في هذا المجال.

رابعاً: الإبداع في رسم حركة العمل السياحي وأهميته:

أن بروز السياحة كظاهرة حضارية سلوكية من ناحية، وظاهرة اقتصادية - اجتماعية من ناحية أخرى، مع كونها نشاط أنساني، لم يحظ بأهمية كبيرة كما حظي في العقود الأخيرة، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية، والذي نجم عن هذا النشاط، نتائج وآثار اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وعمرانية، كان لها الأثر الكبير في حياة المجتمعات والشعوب، الأمر الذي استدعى توجيه الاهتمام إلى ضرورة تنظيم وضبط وتوجيه وتقييم ورقابة هذه النشاطات، للوصول إلى الأهداف المنشودة والمرغوبة، بشكل سريع وناجح، مع تبني واعتماد أسلوب التخطيط والتنسيق السياحي، كعلم متخصص يتناول بالدراسة والتحليل والتفسير، جميع الأنشطة السياحية، ويعمل على تطويرها للوصول إلى حالة الإبداع، والتميز في المنافسة العالمية.

إن الإبداع في رسم^(١)، حركة السياحة يحتاج إلى مراحل وخطوات، وستتناول

(١) يأتي معنى الرسم في اللغة بعدة معاني منها الأثر أو الشيء المخطط وكذلك السير السريع المؤثر في الأرض أو من المشي في الأرض، وترسم الشيء أي نظر اليه والجمع ارسم ورسوم وكلها معاني تدل على الحركة والتأثير بسرعة بطريق النظر والتخطيط. ينظر لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٢٤١، باب رسم.

نمطاً من أنماط السياحة، نسلط الضوء عليه وهو مدار بحثنا وهي السياحة العائلية، ولما لم نجد تعريفاً محدداً لهذا النمط من أنواع السياحة، وإنما يدخل ضمناً في مفاهيم السياحة، ذهبنا إلى الاستقراء، حيث يشير مفهوم السياحة العائلية، إلى انتقال العائلة من المكان الذي تقيم فيه إلى مكانٍ آخر، من أجل قضاء أوقات الفراغ أو العطل الرسمية أو الدراسية أو الصيفية، في أنشطة وفعاليات ترفيهية أو تسوق والحصول على معارف وثقافات اجتماعية وسلوكية، تحصل عليها العائلة من خلال رحلتها السياحية، وغالباً ما تكون العائلة، هي الأسرة^(١) الواحدة، أو عدة أسر، تربطها روابط القرابة أو الصداقة. وأعتقد أن هذا التعريف بهذا الشكل، يعطينا فكرة واضحة عن هذا النمط في السياحة.

خامساً: عوامل النجاح لرسم حركة السياحة العائلية:

- ١- حصر الموارد السياحية، في البلد المضيف من أجل تحديد أهداف الخطة السياحية وتنفيذ برنامج متناسق، يتصف بشمول مناطق البلد المضيف السياحية^(٢).
- ٢- تبني برنامج عمل مشترك، بين الجهات الحكومية، والقطاع الخاص، والأفراد مقدمي الخدمات السياحية، مؤسسات ورجال أعمال ومجتمع مضيف وتحديد دور كل منهم^(٣).

(١) الأسرة تتكون من زوجين أو أحد الأبوين مع الأولاد، ويعتبر نظام الأسرة هو النواة الذي يتكون منه المجتمع، فهي إذاً جماعة إنسانية تتوحد بالزواج الشرعي الزوج والزوجة والأبناء) أو بالدم (الأخوة) ويعيشون تحت سقف واحد ويتناولون طعامهم في إناء مشترك، ينظر الاعلام وأمن الأسرة، بحث مقدم لندوة العائلة، مركز البحوث والدراسات بشرطة دبي، العدد ١١، ١٩٩٩م، ص ٢.

(٢) التخطيط السياحي، نبيل الروبي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ٦٥.

(٣) التخطيط السياحي والتنمية السياحية، د. نور الدين هرمز، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مجلد ٢٨، العدد ٣، ٢٠٠٦م، ص ٤.

٣- أن تكون خطة التنمية السياحية، جزءاً من الخطة القومية الشاملة، وتحقيق التوازن بين القطاعات الاقتصادية المختلفة.

٤- قيام الدولة المضييفة بتحديد مستوى وحجم التدفق السياحي.

٥- عدم الإضرار بالبيئة، على اعتبار أن التدفق السياحي يرتبط بعوامل الجذب السياحي، المتمثلة في المناخ والمناظر البيئية الطبيعية والشواطئ والمناطق التاريخية والأثرية وغيرها، وهذا يتطلب ضرورة المحافظة على البيئة.

٦- صيانة الموارد السياحية، وإدامتها والحيلولة دون تدهور الموارد السياحية وحماية النادر منها^(١).

سادساً: الأسباب الدافعة للسياحة العائلية:

إن السياحة العائلية تعتبر من أهم وأكثر أنواع السياحة شيوعاً في كافة الدول، وتمتاز بأن لها طابع جماهيري وكثير من المواطنين في أكثر دول العالم، يمارسون هذا النوع من السياحة، لأنه مرتبط بأوقات الإجازات، والإجازات المدفوعة المرتب، مثل إجازة نهاية الأسبوع أو الإجازات الصيفية أو إجازات الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية أو الإجازات التي يحصل عليها الموظف سنوياً ضمن قانون العمل، وهذه الإجازات هي أسباب دافعة تدفع المتمتعين بها إلى قضائها وإشغال أوقاتهم مع عوائلهم في الأماكن السياحية والترفيهية، وخصوصاً إذا كانت هناك رحلات سياحية مغرية لهؤلاء المواطنين، ولذلك تهتم الشركات السياحية

(١) واقع وفاق مستقبل السياحة في البحرين، عبد المنعم محمد، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٢م، ص ٣٧.

بتنظيم رحلات سياحية، وتكون مستمرة على مدار السنة، وتتراوح أسعارها من الرخيصة إلى المرتفعة الثمن، وتعتمد على وقت السفر أو المدة أو المكان المقصود وعلى نوعية الإقامة وعلى الطعام والشراب، وأيضاً على وسيلة النقل هل هي بالطائرة أو الباص أو الباخرة^(١)، وتعتمد هذه السفريات على ثقة السواح وعوائلهم بالشركة وسمعتها، وهذا يأتي من خلال نوعية الخدمة والكلمة الصادقة، ومدى ثقة السواح بوكيل السفر، وسمعة المكان السياحي ووجود حالة الأمان، فهذه رغبات تمتع السائح وعائلته، كون هذه الرحلات ترتبط بالعلاقات الاجتماعية والعائلية بشكل كبير، وهذا يتطلب خدمات متعددة منها ترفيه الأطفال مثل ملاعب ومساح تناسب الأطفال، لأن كل سائح يأتي مع عائلته وأطفاله فترة تتراوح من أسبوع أو أكثر، وينبغي أن تكون الأسعار متوسطة ومناسبة ومعقولة، وكثير من الدول التي يتمتع أفراد مواطنيها، بالمحافظة على العادات والتقاليد تشجع هذا النوع من السياحة العائلية، ويمكن استئجار هذا النوع من السياحة داخل البلد الواحد.

المطلب الثاني: السياحة العائلية وكيفية رسم المنافسة والتميز فيها:

لتحقيق التميز في هذا القطاع لابد من وجود مجموعة من الإجراءات المرحلية المقصودة والمنظمة والمشروعة، التي تهدف إلى تحقيق استغلال واستخدام أمثل لعناصر الجذب السياحي المتاح والكامن، وتحقيق أقصى درجات المنفعة الممكنة، مع متابعة وتوجيه وضبط لهذا الاستغلال لإبقائه ضمن دائرة المرغوب والمنشود، ومنع

(١) صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ص ٥٤.

حدوث أي نتائج أو آثار سلبية ناجمة عنه، ونشير هنا إلى الإجراءات التي نعتقد أنها هادفة في إنجاح ورسم مسيرة السياحة العائلية في عالمنا العربي والإسلامي.

أولاً: إدارة وتنسيق التسويق السياحي:

لقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى تطبيق الأساليب العلمية الحديثة في الإدارة والتسويق، لأن أي منظمة أعمال أو شركة، لم تعد قادرة على إدارة أمورها بالارتجال والعفوية، وذلك بسبب التطور الكبير في الحياة، لذا ازدادت الحاجة في عالم السياحة إلى التنظيم والإدارة والبناء العلمي الصحيح، على أسس ومفاهيم إدارية وتسويقية، كون أن صناعة السياحة معقدة ومتعددة النشاطات، وتأتي إدارة التسويق وتنسيقه، من ضمن العمليات الإدارية، التي تقوم بها المنظمات والشركات السياحية، وذلك بتحديد مجموعاتها السياحية الفعلية والمتوقع الاتصال بهم، لغرض التحفيز وإشباع رغباتهم وحاجاتهم، وتبني المنتج السياحي المطلوب من قبلهم، وتحقيق أهداف السياحة ككل، ومن ثم خلق تصور مفصل وواضح لديهم عن المنطقة أو الرحلة المطلوب تسويقها، على أن يرافق ذلك تنسيق الأنشطة المؤدية إلى إشباع الحاجات والرغبات، وتحويل التوقعات والأحلام إلى حقائق عن طريق العمل على تقديم المنتج السياحي المطلوب للسواح^(١)، لذا يُمكن تعريف التسويق السياحي بأنه التنفيذ الإداري والمنسق، لسياسة الأعمال في المنظمات والشركات السياحية، وتبني المنتج السياحي المطلوب لاشباع الحاجات والرغبات للسائح، وينبغي أن يكون هناك عرض سياحي، تعرضه وتقدمه المنطقة السياحية إلى سواحها، يتضمن عوامل

(١) صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ص ١٤١ - ١٤٤.

الجذب الطبيعية التي خلقها الله سبحانه وتعالى والتاريخية والصناعية، وكذلك الخدمات والسلع التي قد تؤثر على العوائل، لزيارة مصيف وتفضيله على غيره ومكونات العرض السياحي هي: المناخ / المناظر الطبيعية / الغابات والنباتات والحيوانات / المياه الكبريتية / آثار الحضارات القديمة / متاحف و معارض و مهرجانات وغيرها، وقد سوق القرآن الكريم الكثير من المشاهد للمناظر والطبيعية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وأبدع في صنعها كي يشاهدها الناس، تذكرة لهم ومتعة لنظرهم وزينة لكوكبهم ودعوة لإيمانهم ولا دخل للبشر في صنعها، وهي في الواقع حالياً أماكن لسياحة البشر، قال تعالى ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾^(١)، وهناك المنتجعات والفنادق السياحية والمنتزهات والبحيرات الاصطناعية، وكذلك المرافق السياحية التي أنشئت بسبب التقدم العلمي والتقني والتكنولوجي، كبعض الجسور والأنفاق التي تحت الماء، وبعض الممرات المائية والجزر والخلجان والمراكز التجارية وصالات التزلج الجليدي والمسرح والسينما والتلفريك وملاهي الأطفال وغيرها، وكذلك العرض السياحي الديني والمتمثل بالعمرة^(٢) إلى بيت الله الحرام، وزيارة مسجد الرسول ﷺ والأماكن التاريخية في مكة والمدينة، وتلبية كافة احتياجات المعتمرين، وخصوصاً

(١) سورة النمل، الآية ٦٠.

(٢) لم أذكر هنا الحج من ضمن العرض السياحي الديني، كونه فريضة لا يدخل في البرامج السياحية، ولكنه يدخل من ضمن وجوب تقديم الخدمة اللازمة للحجاج، من قبل المتعهدين الذين يقومون بنقلهم إلى الديار المقدسة، فهم ليسوا سواح وإنما هم يؤدون فريضة دينية صرفة.

أن العمرة غالباً ما تكون عائلية، ويدخل ضمن ذلك زيارة مساجد وأماكن إسلامية تاريخية في كافة بقاع العالم الإسلامي.

ويجب أن يكون التسويق السياحي، ذو برنامج متكامل من القرارات المتعلقة بالمنتج نوع الخدمات والسعر والمكان والترويج وتأثير كل منهما على الآخر، ولا يمكن عزل كل منهما عن الآخر فلا يمكن عزل الخدمة عن النقل أو المكان السياحي المطلوب، فمثلاً منطقة البتراء يجب أن نسوقها مع الفنادق المتوفرة فيها ومع المطاعم والخدمات المتوفرة، ومع النقل من وإلى البتراء ومع الأسعار، وهذا ما يعرف بالمزيج التسويقي السياحي^(١)، ويعتمد التسويق السياحي على الترويج الذي يشمل قنوات إيصال المعلومات إلى السواح، سواء عن طريق وكلاء السفر أو عن طريق الإعلانات في كافة وسائل الاتصال المعروفة اليوم، ويعتمد كذلك على السعر والمكان، فلا بد أن تسوق الخدمات السياحية بعدة أسعار مختلفة، وكذلك أسعار النقل، أما المكان السياحي فهو للتمتع بالخدمة السياحية وبالمواصفات المطلوبة والمرغوبة، وهذه هي الغاية المنشودة التي يقدمها التسويق السياحي للسواح العوائل، من أجل الوصول إلى التميز في الرحلات السياحية، التي يتم تقديمها في هذا القطاع المهم، ومن الأمثلة التي هي شاهد على العصر في عالمنا العربي، هو ما وصلت إليه دبي كونها أصبحت إحدى الوجهات السياحية، وخصوصاً في مجال السياحة العائلية المتميزة، على خارطة السياحة العالمية، فقد استقبلت نحو ستة ملايين سائح في العام ٢٠٠٦م، وازدياد العدد عام ٢٠١٠م إلى خمسة عشر مليوناً، فزيادة عدد السياح ناتج عن توفير كافة

(١) صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ص ١٥٦ - ١٥٧.

المستلزمات، بدءاً من الخطوط الجوية وزيادة مراكز التسوق والتسهيلات والمنشآت الفندقية والسياحية والترفيهية^(١)، وتوفير بنى تحتية وطبيعية رائعة، وتراث عربي، وما تتسم به من تقاليد الضيافة ومتاحف تحكي معيشة الآباء والأجداد، وكذلك توفير مناخ للاستثمار لجذب العديد من الشركات العالمية، وتنظيم المؤتمرات والمهرجانات كمهرجان دبي للتسوق عام ٢٠١٤، الذي احتفل بمرور عشرين عاماً على إقامته، وهو عامل جذب عالمي ويستقطب ما يناهز ٥, ٤ مليون زائر بإجمالي انفاق يصل إلى ١٥ مليار درهم إماراتي، ومنذ عام ١٩٩٦ م وحتى ٢٠١٤ م، جذب المهرجان نحو ٥٦ مليون زائر إلى دبي وبلغ إجمالي الانفاق ١٤٥ مليار درهم إماراتي في مجال التسوق وقطاع الضيافة والترفيه، ويعد أكبر وأطول حدث من نوعه في العالم، ويمثل مظلة لاجتماع العائلة والأصدقاء، وقضاء أمتع الأوقات الحافلة بالأحداث والفعاليات الترفيهية^(٢).

ثانياً: تطبيق معايير الجودة :

إن معايير الجودة هي بمثابة مشعل النور، الذي يتم الحكم في ضوءه على مدى تحقيق الأهداف الخاصة بالجودة، في المؤسسات والمنظمات العاملة في مختلف القطاعات، وقد دخلت معايير الجودة في مختلف المجالات التجارية والصناعية في العقود الأخيرة، ولا مانع من دخولها في القطاع السياحي لتطبيق معايير ومقاييس

(١) رؤيتي: التحديات في سباق التميز، الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، دبي، موتيفيت للنشر، ط ٤، ٢٠٠٩ م، ص ١٦١.

(٢) دبي وجهة سياحية عائلية عالمية، د. عادل عبد الجواد، بحث مقدم إلى منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي في دورته الأولى عام ٢٠١٥ م، ص ٢٠ - ٢٣.

عالمية، لضمان جودة التطبيق المتين المتميز بالجودة العالية في المدخلات والمخرجات، إن معايير الجودة عبارة عن مجموعة مقاييس محددة، تستعمل لتقييم الإنجاز في المؤسسة، وقد تكون عبارة عن مستويات تضعها مؤسسات تحكيم عالمية، وفي كل الأحوال أن تطبيق معايير الجودة، سوف يحقق بلا شك نقلة نوعية في مجال السياحة العائلية، لتطبيق أهدافها المحلية والاقليمية والعالمية.

وفي المنظور الإسلامي، فقد حثت النصوص الشرعية على التشبث بمعايير الجودة من خلال الإتقان والإخلاص في العمل، وتنمية الرقابة الذاتية في العمل، تحقيقاً للجودة في أداء الأعمال، حيث أن كثيراً من الآيات القرآنية تشير إلى الجودة والإتقان في العمل بدافع إيماني، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ... ﴾^(١)، وجاء في قوله ﷺ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه^(٢)، وهذا يصب في دعم قطاع السياحة العائلية وتقييم أدائها وتلافي المشكلات، من أجل إقامة مثالية للعائلات وتوفير جودة في النشاطات السياحية، التي تناسب جميع أفراد الأسرة، فتكتمل هذه الحلقة سلسلة الإنجازات المتكاملة، في تحقيق ورسم الحركة السياحية العائلية، ولا بأس أن تدخل الحوكمة المؤسسية في هذا القطاع وتمكن السلطات الرقابية من تدقيق المنتجات السياحية للحاجة لذلك، وخصوصاً مع النمو السريع للقطاع السياحي العائلي، وتزايد الإقبال عليه، فالحوكمة باعتبارها مجموعة من

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٢) وثقه ابن حبان، ينظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ، ج ٤، ص ١٧٥.

القوانين والنظم والقرارات، التي تهدف إلى تحقيق الجودة والتميز في الأداء، عن طريق اختيار الأساليب المناسبة والفعالة لتحقيق خطط وأهداف المؤسسة وهي تحد من المشكلات التي قد تنتج من تعارض واختلاف الأطراف المؤثرة في عمل الشركات السياحية^(١)، وكونها أي الحوكمة ضابط للرقابة، تضمن حسن وجودة إدارة المؤسسات، وتحسين الأداء فهي ميثاق أخلاقي، لانتهاج الممارسات الأخلاقية النزيهة، وتعزيز ثقافة الأمانة والابتعاد عن السلوكيات غير القويمة، ولن تستطيع الحوكمة تحقيق أهدافها بالاقتران على وضع القواعد والقوانين ومراقبة تنفيذها، وإنما تحتاج إلى توفير البيئة اللازمة، لدعم مصداقيتها وهذا لا يتحقق إلا بالتعاون مع جميع الهيئات العاملة في الدولة، بما فيهم الجمهور، ان ملامح هيكل نظام الحوكمة في السياحة العائلية المنشود، يكمن أولاً في إيمان العاملين في هذا القطاع، وخصوصاً الأدلاء والمرشدين والسياحين، ومن تكلفهم شركاتهم بإدارة أعمال السياحة، وتعاملهم مع السواح والعوائل على أساس مفهوم المراقبة لله تعالى، ثم بمراعاة الأمانة العلمية والمهنية، قال تعالى: ﴿...إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢).

ثالثاً: بناء إستراتيجيات الريادة في السياحة العائلية:

إن الإبداع والريادة وما يربط بينهما من علاقة، تساعد منظمات الأعمال على أن يكون لها الدور الريادي، سواء في تقديم المنتجات أو الخدمات وإرضاء الزبائن

(١) ورقة بحثية بعنوان دور حوكمة الشركات في الإصلاح الاقتصادي، للباحث عيد بن حامد الشمري، إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الاقتصاد، جامعة دمشق.

(٢) سورة القصص، الآية ٢٦.

والقدرة على اختراق الأسواق، والسيطرة على جانب معين من هذه الأسواق، وأن الريادة تُعدّ من أهم الإستراتيجيات، التي تدفع منظمات الأعمال، نحو التوجه لتحقيق رغبات وحاجات الزبائن، والوصول إلى التميز.

ومعنى الريادة في معجم الرائد: هي روداً ورياداً، وتعني راد الشيء طلبه، وراد الأرض تفقد ما حولها من المراعي والمياه، ليرى هل هي صالحة للنزول أم لا^(١). وجاء لفظ الرائد في أمثال العرب، فقالوا للذي لا يكذب إذا حدّث «إن الرائد لا يكذب أهله»^(٢)، وشاع مثلاً بين الناس، لأن الرائد هو الذي يمتلك روح المبادرة وهو المبدع الذي يخترع ويجسد أفكاره في أرض الواقع، هذا المعنى الذي استقر عليه المفهوم في العصر الحديث، فقد ظهرت في عالم التنمية عامة والاقتصادات الغربية أسرار كثيرة وراء نقلات نوعية في تلك البلاد، واحتلالها المكانة اللائقة في مجال الإبداع الصناعي والزراعي والخدماتي والإداري، وتعرف إستراتيجيات الريادة: بأنها التي تبنى على كل شيء جديد والقيام بالابتكار والقدرة على التكيف، وكذلك القدرة على التنافس وتحقيق الميزة التنافسية، ولهذا على المنظمات الريادية، أن تبحث عن الفرص المناسبة بالأسواق، وكذلك الموارد الملائمة لهذه الفرص، ولا بد من الأخذ بالاعتبار الاستفادة من العاملين الموهوبين وقدراتهم الريادية، التي تؤدي إلى تحقيق التمايز لمنظمات الأعمال^(٣).

(١) الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دار المعلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ م، ص ٢٧٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ١٨٧.

(٣) الإبداع الإداري، د. بلال خلف السكارنة، ص ٨٨.

● متطلبات الريادية في القطاعات والمؤسسات:

إن المشاريع الريادية تركز على الإبداع في إيجاد طريقة جديدة، في تقديم المنتج أو الخدمة، كما قد يكون الإبداع في مجال التسويق وتقديم السلع والخدمات أو إدارة الشركة، وتعتمد على التنوع وإدخال الطرق الجديدة، ولا تعتمد على النماذج المتبعة، ولكي تتوفر عوامل النجاح في بناء الإستراتيجيات الريادية للمؤسسات والقطاعات، يجب العمل بالآتي:

١- مدّ يد العون للرواد الذين نجحوا في مشاريعهم، ودعم الرواد الجدد ليظهروا طموحاً متميزاً.

٢- الدعاية للمشاريع الناجحة.

٣- تحديد نقاط القوة في البلد الذي تعيش فيه.

٤- الترحيب بالأفكار الجديدة، والانفتاح بأفق واسع، وتشجيع مشاركة الخبرات المحلية.

٥- كسر النمطية السائدة.

٦- جذب الخبرات المهاجرة من الرواد الناجحين.

٧- توسيع نموذج رأس المال المجازف.

ويتوجب على الحكومات أن تقدم كل أشكال الدعم لأصحاب المشاريع الريادية، في جميع المجالات ومنها القطاع السياحي^(١)، وقد دعا القرآن الكريم إلى مقاصد

(١) بحث بعنوان التمويل الخيري الريادي البعد الغائب في قطاع الاقتصاد الإسلامي المعاصر، د. صحراوي مقالتي، جامعة باتنة، الجزائر، ص ٩-١٠ بتصرف.

التسابق والتعاون في عمل الخير، قال الله تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿... فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ ...﴾^(٢)، وهذه النصوص تدل على الريادية في الخير، وكذلك اشار القرآن الكريم إلى المبادرة والجرأة، فرسم صورة للريادي الخير، بقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعُقَبَةَ﴾^(١١) وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعُقَبَةُ^(١٢) فَكُ رَقَبَةٌ^(١٣) أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ^(١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ^(١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ^(١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ^(٣)، وهذا يوضح تماماً دور الريادي الذي يقتحم عقبات الفقر والبطالة، وكل أنواع الحاجات التي تجعل الإنسان مقهوراً.

● الريادة في ظل المنافسة الجديدة:

تُعد ثورة التكنولوجيا من المفاتيح المهمة في ظل المنافسة الحالية، فقد عملت التكنولوجيا الحديثة على تقليل كلف الموارد وزيادة في قدراتها، وأصبحت التكنولوجيا من المؤشرات الرئيسية في إستراتيجيات الريادة واغتنام الفرص بالأسواق، وأصبح استخدامها له دلالات واضحة في كافة القطاعات الصناعية، لأنها تقوم على تزويد الزبائن بكافة المعلومات، من خلال استخدام لوحة المفاتيح بالحاسب الآلي والأجهزة الذكية المحمولة والتعامل مع كافة البنوك ومكاتب السياحة وغيرها، وتطور المعرفة هذا يشكل ضرورة مهمة ك رأس مال في ظل المنافسة الجديدة، والتكنولوجيا الحديثة مكنت المنظمات والشركات، في التنسيق

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٣) سورة البلد، الآية ١١ - ١٧.

بين كافة العمليات والموارد والأعمال، للوصول إلى أفضل خدمة ومنتج للزبائن، وتغطية شاملة لكافة الأسواق وأكثر مرونة في الوصول للزبائن وتحقيق قيمة أعلى للأعمال^(١).

رابعاً: تحقيق الأمن السياحي:

يعتبر الأمن السياحي من أهم العوامل الدافعة للعائلة السائحة، والقاصدة لبلد معين على اعتبار أن السائح، لا يذهب إلى بلد لا يتوفر فيه عنصر الأمان على حياته وعائلته وماله، وغاية السائح من سياحته هو الشعور بالهدوء والاطمئنان والراحة النفسية، وتحقيق الاستجمام والابتعاد عن كل من يشوش عليه أفكاره ومزاجه، من صخب الحياة ومشاغلها وروتين العمل أو الوظيفة، والتقيد الذي يقع أثناء نشاطه اليومي في بلده، لذا فالجانب الأمني للسواح من أهم عناصر الجذب وتعظيم العائد المالي، وكسب المزيد من أعداد السياح.

ويقصد بالأمن السياحي الأنشطة الإدارية والأمنية، التي تستهدف تأمين مسار السياحة بمختلف صورها، في مناخ يسوده الأمان، وبالصورة التي تمكن الأجهزة العاملة في هذا الميدان، من أداء مهامها المختلفة دون أية عوائق تعرقل أدائها^(٢). ويأتي الأمن السياحي من جانب الدولة المضييفة، الملزمة بتوفير الأمن لمن يدخل أراضيها سائحاً وبطريقة مشروعة، وكذلك يكون الأمن من ناحية حماية المجتمع المضيف، من جرائم بعض السائحين، كالسرقة أو القتل أو التهريب أو الإرهاب وهكذا،

(١) الإبداع الإداري، د. بلال خلف السكارطة، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) الأمن السياحي، علي بن فايز الجحني وآخرون، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف الأمنية، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٤٢ - ٤٣.

فالعلاقة بين الأمن والسياحة علاقة متشابكة، تمثل أفضل دعاية لعودة السائح مرة أخرى، ثم هو صورة مشرقة للبلاد المضيئة، والتي يختارها السائح للزيارة بأنها بلاد آمنة، يحاول السائح نقل تلك الصورة إلى معارفه وأصدقائه، مرغباً بالسياحة إليها، وبحسب المسح الذي أجراه المجلس العالمي للسياحة؛ حيث كانت نتيجة ذلك المسح أن عامل اختيار السواح وجهتهم، هي تجنب المناطق التي تكثر فيها الجرائم، وأن ٦٢٪ من هؤلاء اعتبروا أن الأمان هو الأساس في الاختيار^(١)، لذلك يأتي دور التخطيط الأمني في التعامل مع المشكلات الأمنية المرتبطة بالسياحة قبل حدوثها كإجراء وقائي، للمحافظة على الأمن وصناعة السياحة، لذلك يجب اتخاذ كافة الإجراءات، لدعم الثقافة الأمنية والوعي الأمني بين الأفراد وفي المجتمع^(٢)، وهذه من الإجراءات التي تشجع السياحة العائلية في عموم البلدان والذي يمثل فيها كيان الأمن السياحي مؤشراً لقياس انخفاض مستوى السياحة بشكل عام.

خامساً: حملات التوعية ونشر ثقافة السياحة العائلية وأثرها:

من الضروري بمكان إعداد حملات للتوعية، والتي تركز على زيادة الوعي بالسياحة العائلية، ونشر هذه الثقافة واستثمار وسائل الإعلام والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، للمشاركة في أداء دورها التوعوي، وإبراز ما تتمتع به الدولة المضيئة، من طبيعة ساحرة ومناخ معتدل وشمس وبحر وشواطئ وآثار ومتاحف، وتحاول

(١) الأمن السياحي في أبعاده الاجتماعية والثقافية / مركز الدراسات والبحوث بالأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٩٥.
(٢) دبي وجهة سياحية عائلية عالمية، د. عادل عبد الجواد، ص ١٧.

كل دولة من خلال شركات الإعلان التابعة لها، في ابتكار الإعلانات والشعارات المغربية للدعوة إلى هذا النوع من السياحة، فنجاح الإعلان معناه نجاح السياحة العائلية، ولهذا نرى كثيراً من الدول بدأت تركز على نوعية الإعلانات، التي تصدرها عن مناطقها السياحية، لأن السياحة العائلية تلبى رغبات أسر مختلفة، فإن منطقة ما تعجب بعض العوائل وقد لا تعجب البعض الآخر، ولهذا السبب فإن دور الإعلان والدعاية والترويج، مهم جداً في تدفق السواح إلى منطقة ما^(١)، وحملات ونشر ثقافة السياحة العائلية، تتم عن طريق دراسة تعتمد على:

١- الإلمام بموضوع السياحة العائلية، وتوفير المعلومات والبيانات والإحصائيات والخرائط والمخططات والتقارير المتصلة بالسياحة العائلية، والتي تؤدي إلى معرفة جوانب هذا المجال، وهو يمثل مدخلاً لوضع الخطة وإعداد البرامج التوعوية^(٢).

٢- دراسة حالة الجمهور المستهدف، لغرض التعرف على المتصلين بقطاع السياحة العائلية، وتحديد عاداتهم وما يرغبون، عن طريق وسائل الاتصال الاجتماعي، واستبيان عينة من هؤلاء.

٣- اللجوء إلى وسيلة الإقناع التي تؤدي إلى نشر السياحة العائلية، من خلال لوحات إرشادية وملصقات إعلامية، وتوجيه بعض البرامج إلى المدارس والجامعات، لنشرها بينهم من خلال التنسيق مع مؤسساتهم.

٤- تقييم نتائج نشر تلك الثقافة، لمعرفة مدى نسب النجاح من تلك الحملة.

(١) صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ص ٨٠ - ٨١ بتصرف.

(٢) التخطيط السياحي والتنمية السياحية، د. نور الدين هرمز، ص ٩ - ١٠.

سادساً: تشريعات وإجراءات تنظم أعمال السياحة العائلية:

١- إن السياحة العائلية كونها عائلية ترتبط بالأسرة، تحتاج إلى قانون ينظم موضوع حماية السواح من الغش والخداع والاستغلال، فتشريع القوانين يعطيهم الحق في مقاضاة الشركات السياحية، التي تمارس الاحتيال عليهم وتحفظ لهم حقوقهم، وفي ذات الوقت هو رادع للشركات الوهمية ووكلاء السفر وأصحاب الفنادق، الذين يمارسون النصب والاحتيال على الناس.

٢- تسهيل إجراءات الحصول على سمة الدخول فتقليل القيود والإجراءات وتسهيلها لغرض الحصول على الفيزا السياحية، وخاصة بالنسبة للسفرات السياحية العائلية المنظمة، وإمكانية إصدار الفيزا السياحية من مراكز الحدود البرية والبحرية والجوية، ولأن تعقيد الإجراءات تؤدي بالسواح في البحث عن بلد بديل آخر، لا يوجد لديه قيود أو إجراءات صعبة للحصول على الفيزا.

٣- يجب أن تتوفر الخدمات السياحية الضرورية في مراكز الحدود، سواء كانت برية أو بحرية أو جوية، لأن مراكز الحدود مهمة جداً، لأنها تعطي الانطباع الأول لدى السائح عن البلد الذي يزوره فالمقابلة اللطيفة وتسهيل إجراءات الدخول بدون مشاكل وبدون تعطيل، كذلك ديكورات المراكز ومدى توفر المطاعم والخدمات السياحية المساندة فيها يعطي شعور للسواح بالراحة ومدى اهتمام الدولة بالسائح، فالسائح الذي يقضي ساعات في مراكز الحدود في إجراءات الدخول أو التفتيش سوف لا يفكر مستقبلاً بزيارة ذلك البلد مرة أخرى، ولا ينصح بذلك أصدقائه، وكذلك عدم وجود سيارات الأجرة أو النقل إلى مركز المدينة أو الفندق، لهذا السبب يجب تزويد المراكز الحدودية بالخدمات والمعلومات السياحية المساندة.

٤- تطوير أجهزة السلامة والمراقبة البرية والجوية والبحرية، وإصدار التشريعات الخاصة التي تمنع تلوث البيئة التي قد تحدث نتيجة التوسع في الاستثمار السياحي والفندقي^(١).

٥- توفير أماكن مخصصة لأداء الصلاة، لتتمكن العوائل السائحة من أداء الصلوات وإدراك ما فاتهم من فروض أثناء سفرهم.

٦- ضمان الرعاية الصحية للعائلات أثناء السفر، له دور مهم في سلامة المسافرين من الأمراض التي قد يتعرضون لها، وخصوصاً عند تقديم الوجبات الغذائية والأشربة المتنوعة لمنع حالات التسمم والأخذ بشروط السلامة العامة والتهيؤ لحالات الطوارئ المفاجئة.

كل الذي ذكرنا من الإجراءات التي تُتخذ، تصل بالسياحة العائلية في عالمنا العربي والإسلامي إلى المنافسة العالمية والتميز، وتحقيق أهدافها في صورة بديعة مرسومة بتخطيط واعٍ يجعل بلداننا في أعلى الهرم السياحي في العالم.

المطلب الثالث: إيجابيات النهوض بالسياحة العائلية المتميزة:

لقد أدركت الكثير من دول العالم القيمة الحقيقية للسياحة العائلية، لذلك وظفت الكثير من طاقاتها وميزانياتها، لدعم هذا المشروع القومي لكل بلد، وأصبحت السياحة العائلية ليست فقط ترفيه وثقافة وترويج عن النفس، وإنما صناعة وطنية، يتم استغلالها واستثمارها لصالح البلد والمواطنين.

(١) صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

الآثار الجانبية الاقتصادية للسياحة العائلية:

١- زيادة الدخل القومي للدولة والأفراد، فدخل نقود وأموال من خارج البلد وتحويل العملة إلى عملة بلد السياحة، له أثره البارز في تحسين اقتصاد البلد، إذ تشير الاحصائيات الدولية إلى ارتفاع عدد السياح إلى أكثر من ٨ مليون شخص عام ٢٠٠٠م وبلغت عائداتهم حوالي ٩ مليار دولار أمريكي في منطقة الشرق الأوسط^(١).

٢- تخفيض نسب البطالة في مناطق الامكنة السياحية، وزيادة فرص العمل في ما يتعلق بالسياحة، كالفنادق والمكاتب السياحية والنقل والتسويق ونحوها.

٣- رواج وتطور الصناعات الوطنية للبلد المضيف، التي تستهلك من قبل السياح وتصدير سلع وخدمات من إنتاج الدولة المضييفة، بدون شحن أو تأمين وخصوصاً الصناعات الحرفية المعبرة عن فلكلور ذلك البلد.

٤- تطوير البنى التحتية للدولة المضييفة، خاصة فيما يتعلق بالسياح، كالطرق والخدمات العامة.

٥- التحرك للأنشطة الاقتصادية الأخرى، بسبب الطلب عليها من قبل السياح كالزراعة والصناعة والمواد الغذائية.

وهناك آثار سلبية على الاقتصاد بسبب السياحة، فعندما تهيمن الشركات الكبرى في ظل العولمة الاقتصادية، تبدأ في توحيد مبانيها ومطاعمها في جميع دول العالم، مما يؤثر سلباً على ثقافة البلد، ولا يجد السائح أي فرق بين الأماكن السياحية التي يزورها، فإذا ذهب إلى فندق عالمي يجده نسخة ثانية في أي بلد آخر في العالم،

(١) علي بن فايز، ص ١٠٠.

مما يطمس هوية البلد الثقافية والتراثية والتقليدية، وهذا لا شك يقلل من النكهة السياحية بين البلدان، ومن جانب آخر تعرض بعض السواح إلى خسائر مالية كبيرة نتيجة الإنفاق المبالغ به، خاصة وأن السياحة في ثقافة كثيرين أصبحت من دوافعها التباهي والتفاخر في المجتمع، مما يجعل السائح يستدين من أجل تغطية البرامج السياحية، وبالتالي يكون مثقلاً بأعباء الدين لعدة شهور بعد سفره^(١)، وهذا مؤثر سلبي يخالف النظام الذي وضعه الإسلام في الإنفاق المالي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢).

كلمة أخيرة:

إن السياحة العائلية، تُعد من أكثر القطاعات حيوية في صناعة السياحة على الصعيد العالمي، وإن المسافرين المسلمين يشكلون جزءاً كبيراً منها، وأظهر التحليل المعتمد على بيانات شركة تومسن رويترز أن السياحة العائلية تمثل ٥, ١٢٪ من سوق السياحة العالمية، بقيمة ٠٧, ١ ترليون دولار أمريكي في عام ٢٠١٢، وهذا يدعونا إلى التفاؤل أن يتجه قطاع السياحة العائلية في عالمنا العربي والإسلامي إلى المنافسة القوية المتميزة والعالمية، وأن يجذوا حذو دبي في نظرتها المستقبلية الواعدة، والتي حققت طفرات واضحة ومشاهدة في هذا المجال، ضمن استراتيجيتها وهي جعل دبي عاصمة الاقتصاد الإسلامي، بفضل الجهود المبذولة من حكومتها الرشيدة. والله الموفق. والحمد لله أولاً وآخراً.



(١) مقال للكاتب خالد بن محمد الشبانة، بعنوان مفهوم السياحة في الإسلام.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٩.

الخاتمة

وقد استخرجت جملة من النتائج والتوصيات، كان من أبرزها:

- ١- إن بناء إستراتيجية تنسيقية، تعمل على ترسيخ التواصل الإداري والتنفيذي بين مختلف مستويات الإدارة، والتنفيذ، في مجال السياحة العائلية، لبلداننا، ومنافسة الدول صاحبة السبق، وهو هدف كبير، من أهداف الاقتصاد الإسلامي.
- ٢- نشر ثقافة السياحة العائلية وتوسيع أفاقها، واختيار، وتنمية العناصر البشرية، وتوزيع الأعمال، والأنشطة، بشكل عملي، من أجل تنفيذ المهام.
- ٣- خلق برامج سياحية إبداعية، وابتكار أساليب جديدة، تتناسب مع أفكار ورغبات العائلة وتطلعاتها من خلال تنوع البرامج السياحية وفقاً لاختلاف أعمارهم، وبمعايير مُحافِظة، ومتوافقة مع القيم الإسلامية.
- ٤- العمل على تنسيق التواصل المعلوماتي بين جميع مفاصل التطواف السياحي، بدءاً من حملات الترويج الإعلامي للمناطق السياحية، مروراً بوسائل السفر، وخدمات الطيران والتنقلات الداخلية، والفنادق وأماكن الترفيه، والاستراحات والمطاعم، وإيجاد مناخ ترفيهي يتناغم، مع الذوق العام، كتخصيص شواطئ للاستجمام، تخدم خصوصية العائلات. وصولاً للمغادرة المحفوفة بالمتعة والتشويق.
- ٥- توفير مناخ آمن للسياحة العائلية، لأن السماح، لهم بالدخول إلى بلداننا، يعتبر عقد أمان لهم، فواجبنا حمايتهم، وتوفير التأمين الصحي، للحالات الطارئة حتى مغادرتهم.

- ٦- للنهوض في قطاع السياحة العائلية، نحتاج إلى تطبيق الحوكمة، وإيمان العاملين والقيادة والإدارة بها، لكي نعزز الشفافية وضبط العمل، مع تسويق صحيح للمنتج السياحي، وتوظيف الحملات التوعوية لتثقيف المجتمع بالسياحة العائلية، وإعتماد مقاييس الجودة، هذه الإجراءات تصل بنا إلى بناء إستراتيجية ريادية منافسة.
- ٧- إن السياحة العائلية تشكل الطموح من أجل الوصول إلى السياحة الحلال، بكل مدخلاتها ومخرجاتها ومنتجاتها، وهي جزء من أهداف الاقتصاد الإسلامي ونظريته الشاملة للمجتمع.

التوصيات:

- ١ - تحديث البنية التحتية المرتبطة بالنشاط السياحي، كالموانئ والمطارات والمواصلات والاتصالات، والفنادق وشبكات الطرق.
- ٢ - القيام بحملات إعلامية، للترغيب، بالسياحة العائلية، وتقديم أفضل العروض المناسبة، للعوائل، وفق معايير إسلامية.
- ٣ - تأسيس مراكز لجمع المعلومات عن المراكز السياحية، تعمل من خلال الإحصاءات البيانية، لتوفير الأرضية المعرفية التي تبنى عليها خطط السياحة العائلية، مما يعمق التنسيق الإبداعي في مختلف مراحل العمل السياحي.



قائمة المصنّاور

القران الكريم.

- ١ - التفكير الإبداعي لدى المديرين وعلاقته بحل المشكلات الإدارية، د. لطيف محمد عبدالله علي، ط ١، عمان، الأردن، ٢٠١١م.
- ٢ - إدارة الإبداع والابتكار في منظمات الأعمال، د. عاكف لطفي خصاونة، ط ١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١١.
- ٣ - الإبداع في السلم والحرب، سعد الدين خليل عبدالله، ط ١، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ٤ - الإبداع الإداري، د. بلال خلف السكارنة، ط ١، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- ٥ - كلنا مبدعون ولكن، عبد الرحمن توفيق وليلى حسن القرشي، ط ١، القاهرة، مركز الخبرات المهنية، ٢٠٠٦م.
- ٦ - نحو قيادة إبداعية لموارد بشرية تنافسية، مؤتمر التحديات المعاصرة للإدارة العربية - القيادة الإبداعية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ٢٠٠٦م.
- ٧ - أثر التمكين الإداري والدعم التنظيمي في السلوك الإبداعي كما يراه العاملون في شركة الاتصالات الأردنية، دراسة ميدانية، محمد الحراحشة، وصلاح الدين الهيتي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد ٣٣، العلوم الإدارية، عدد ٢، ٢٠٠٦م.

- ٨ - العوامل المؤثرة على السلوك الإداري الابتكاري لدى المديرين في قطاع البنوك التجارية السعودية، دورية الإدارة العامة، نادية حبيب أيوب، معهد الإدارة العامة، الرياض، ٢٠٠٠، مجلد ٤٠، عدد ١.
- ٩ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ط ١، دار صادر، بيروت.
- ١٠ - مقال بعنوان: الإبداع في الرؤية الإسلامية، بقلم الأستاذ علي القاضي، ٢٠٠٨م، مجلة الداعي الصادرة من الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند، الهند.
- ١١ - صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١٢ - مبادئ إدارة الأعمال، د. عبد القادر محمد، ط ١، الأردن.
- ١٣ - مقال بعنوان التنسيق الإداري، للأستاذ صلاح محمد عبد الأشقر، موقع منتدى الموارد البشرية.
- ١٤ - مقال بعنوان التنسيق في الفكر الإداري الإسلامي، د. محمد البشير عبد الهادي.
- ١٥ - الضوابط الشرعية للسياحة، حسين حسين شحاته، بحث مقدم إلى ندوة السياحة من منظور إسلامي واقتصادي، جامعة الأزهر، القاهرة، عدد ٢٦، ٢٠٠٥م.
- ١٦ - تفسير الفخر الرازي المسمى بمفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ت ٦٠٦ هـ، د.ت.
- ١٧ - صناعة السياحة، د. ماهر عبد العزيز، ط ١، عمان، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

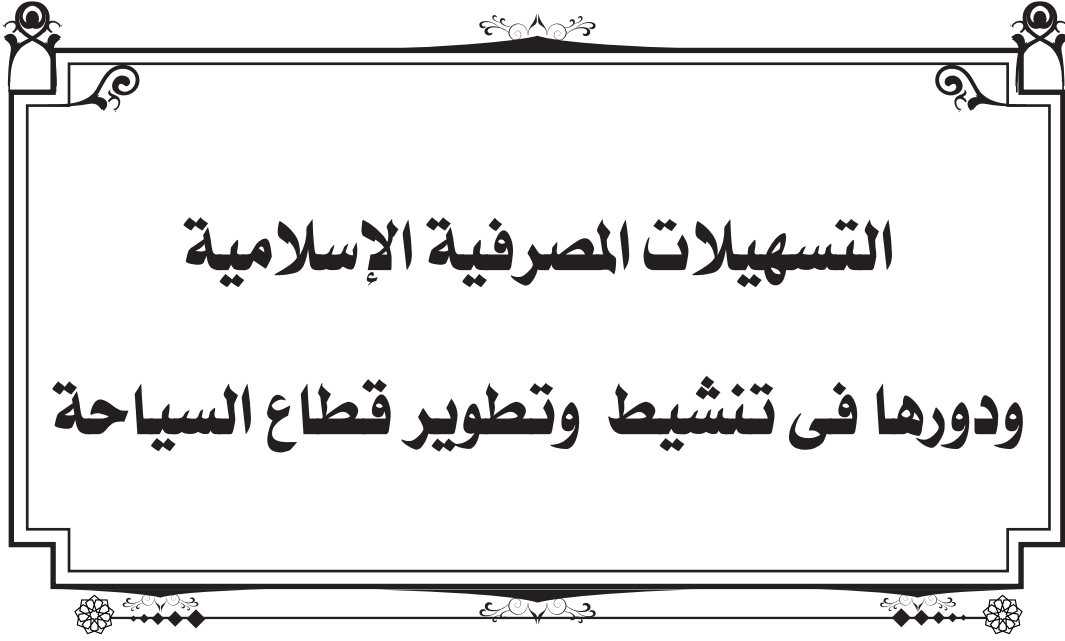
- ١٨ - الإعلام وأمن الأسرة، بحث مقدم لندوة العائلة، مركز البحوث والدراسات بشرطة دبي، العدد ١١، ١٩٩٩ م.
- ١٩ - التخطيط السياحي، نبيل الروبي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧ م.
- ٢٠ - التخطيط السياحي والتنمية السياحية، د. نور الدين هرمز، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مجلد ٢٨، العدد ٣، ٢٠٠٦ م.
- ٢١ - واقع وفاق مستقبل السياحة في البحرين، عبد المنعم محمد، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٢ م.
- ٢٢ - رؤيتي: التحديات في سباق التميز، الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، دبي، موتيفيت للنشر، ط ٤، ٢٠٠٩ م.
- ٢٣ - دبي وجهة سياحية عائلية عالمية، د. عادل عبد الجواد، بحث مقدم إلى منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي ٢٠١٥ م.
- ٢٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ٢٥ - ورقة بحثية بعنوان دور حوكمة الشركات في الإصلاح الاقتصادي، للباحث عيد بن حامد الشمري، إلى المؤتمر العلمي الأول لكلية الاقتصاد، جامعة دمشق.
- ٢٦ - الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دار المعلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ م.

- ٢٧ - بحث بعنوان التمويل الخيري الريادي البعد الغائب في قطاع الاقتصاد الإسلامي المعاصر، د. صحراوي مقلاتي، جامعة باتنة، الجزائر.
- ٢٨ - الأمن السياحي، علي بن فايز الجحني وآخرون، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف الامنية، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٢٩ - الأمن السياحي في أبعاده الاجتماعية والثقافية / مركز الدراسات والبحوث بالأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- ٣٠ - مقال للكاتب خالد بن محمد الشبانة، بعنوان مفهوم السياحة في الإسلام.





منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



التسهيلات المصرفية الإسلامية

ودورها في تنشيط وتطوير قطاع السياحة

إعداد

أ.د. محمد عبد الحلیم عمر

الأستاذ بكلية التجارة - جامعة الأزهر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

تعتبر السياحة من الأنشطة الاقتصادية الهامة في الوقت المعاصر وتسهم بقدر معقول في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولذا تهتم بها جميع الدول، ويوليها المجتمع الدولي اهتماما كبيرا من خلال إنشاء المنظمة العالمية للسياحة والسفر عام ١٩٧٤م، كإحدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة، ويعد التمويل من أهم متطلبات قيام سياحة ناجحة سواء التمويل اللازم لإنشاء المرافق والمشروعات السياحية أو المساندة لها، أو تمويل الأفراد والجماعات للقيام برحلاتهم السياحية، وتعتبر المؤسسات المالية وعلى الأخص البنوك المصدر الرئيس لهذا التمويل فضلا عن تقديم الخدمات المصرفية التي تسهم في تسيير نشاط السياحة وهو ما يطلق عليه جميعا «التسهيلات المصرفية»، ولما كانت السياحة من الأنشطة الاقتصادية الهامة وأن الإسلام يقرها، لذا تعتبر من المجالات المناسبة لقيام البنوك الإسلامية بتقديم التسهيلات المصرفية لها، وهذا ما سيحاول البحث بيانه وفق التنظيم التالي.

أولا: الهدف من البحث:

بيان أهمية السياحة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وموقف الإسلام منها، ثم بيان أنواع التسهيلات المصرفية التي يمكن للبنوك الإسلامية تقديمها للقطاع السياحي

وبالصيغ والأساليب التي تتوافق مع طبيعة هذه البنوك، سواء التسهيلات التي يمكن تقديمها لشركات السياحة والمشروعات السياحية، أو التسهيلات التي تقدم للسائحين وتساعدهم على القيام برحلاتهم السياحية.

ثانياً: منهج تناول الموضوع:

- تم تناول أنواع وصيغ وأساليب هذه التسهيلات المصرفية وفق المنهج التالي:
- بحسب ما يتم تطبيقه فعلاً وتقديمه بعض البنوك الإسلامية للقطاع السياحي، من باب تجميع المعلومات من عدد من البنوك لتستفيد منها البنوك الأخرى،
- تقديم مقترحات لبعض الصيغ والأساليب التي تتوافق مع الضوابط الشرعية، وتسهم في تطوير دور هذه البنوك في خدمة القطاع السياحي.
- بيان الموقف الفقهي لكل الصيغ والأساليب من خلال قرارات وفتاوى الاجتهاد الجماعي الفقهي وهيئات الرقابة في البنوك الإسلامية

ثالثاً: خطة البحث:

المبحث الأول: السياحة: المفاهيم الأساسية للتسهيلات المصرفية الإسلامية للسياحة.

المبحث الثاني: التسهيلات المصرفية الإسلامية للمشروعات السياحية.

المبحث الثالث: التسهيلات المصرفية لبرامج السفر للأفراد والعائلات.



المبحث الأول

المفاهيم الأساسية للتسهيلات المصرفية الإسلامية للسياحة

من المناسب أن يبدأ البحث بتوضيح المفاهيم الأساسية لعناصر موضوع البحث، وفي مقدمتها مفهوم السياحة بما تتضمنه من المنشآت السياحية والسائحين المطلوب لها التسهيلات المصرفية، ثم بيان الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للسياحة حتى تكون مجالاً للخدمات التي تقدمها المصارف، وبما أن الخاصية الرئيسية للمصارف الإسلامية هو الالتزام في أعمالها بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، لذلك يتم توضيح المنظور الإسلامي للسياحة لبيان أن تقديم التسهيلات المصرفية الإسلامية لها يتسق مع طبيعة وخصائص هذه المصارف، وأخيراً بيان مفهوم وأنواع التسهيلات المصرفية.

أولاً: مفهوم السياحة وأنواعها:

أ - مفهوم السياحة: في اللغة السياحة «التنقل من بلد إلى بلد طلباً للترفيه أو الاستطلاع والكشف»^(١) وفي الاصطلاح حسب تعريفات منظمة السياحة العالمية^(٢) «السياحة هي السفر بهدف الترفيه أو التثقيب أو الإكتشاف، وتشمل السياحة توفير الخدمات المتعلقة بالسفر، والسائح هو الشخص الذي يقوم بالانتقال لمسافة ثمانين كيلومتراً على الأقل من منزله، ويقوم في البلد الذي يزوره ٢٤ ساعة على الأقل، من

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة - نشر دار الدعوة - ١ / ٤٦٧ .

(٢) منظمة السياحة العالمية التابعة لهيئة الأمم المتحدة - www2.unwto.org/ar - ويكيديا الموسوعة الحرة - [/ar.wikipedia.org/wiki/](http://ar.wikipedia.org/wiki/) - وجميلة شراد: «دور البنوك في تطوير القطاع السياحي»، رسالة ماجستير كلية العلوم الاقتصادية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالجزائر - ٢٠١٥ .

أجل أغراض عدة منها: الترفيه، الراحة، العلاج، قضاء العطل، الدراسة، الديانة، الرياضة، أو من أجل القيام بأعمال عائلية، أو حضور مؤتمرات، ندوات علمية، ثقافية وسياسية».

ب- أنواع السياحة: تتعدد أنواع السياحة فمن حيث الهدف أو الغرض توجد السياحة الدينية والترفيهية والعلاجية والثقافية والرياضية والسياحة الجغرافية... وهكذا، ومن حيث النطاق الجغرافي توجد السياحة المحلية والسياحة الخارجية، ومن حيث الرفقة توجد السياحة الفردية والسياحة الجماعية سواء مع مجموعات متنوعة أو مع العائلة.

ج- المشروعات والأنشطة السياحية: التي تقدم لها التسهيلات المصرفية، وهي التي تمارس فيها جميع النشاطات الاجتماعية والاقتصادية التي تتم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إطار تأمين السلع والخدمات إلى السياح، مثلاً:

- خدمات إدارة الرحلات السياحية التي تمارسها شركات ووكالات السفر والسياحة التي تنظم الرحلات السياحية سواء للخارج أو من الخارج أو الرحلات المحلية، حيث تشرف على تحديد البرنامج السياحي واستقبال وتوديع السائحين وترتيب الانتقالات والمبيت والمزارات وغير ذلك.

- خدمات النقل السياحي بوسائله المختلفة: الطيران وسيارات النقل البري وسيارات الأجرة والنقل البحري.

- خدمات الإيواء والضيافة في الفنادق والمنتجعات والقرى السياحية والشقق الفندقية التي يقيم بها السائحون.

- الأغذية والمشروبات التي تقدمها المطاعم السياحية والمقاهي.
- الخدمات الثقافية والترفيهية، مثل الملاهي والمعارض وممارسة الرياضات المختلفة والمتاحف والمزارات السياحية والمواقع أو المناطق التاريخية والتراثية.
- إنتاج وبيع الهدايا التذكارية من المنتجات الحرفية والتراثية والتقليدية.

ثانياً: أهمية وفوائد السياحة:

تعدد فوائد السياحة للفرد والمجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وتتلخص هذه الفوائد في الآتي.

أ- الفوائد والأهمية الاقتصادية^(١):

١- الإسهام في الناتج القومي للدولة المضيفة بما ينفقه السواح، وبما يتم إنشاؤه من مشروعات مباشرة أو غير مباشرة لخدمة السياحة، وتظهر إحصاءات منظمة السياحة العالمية أن الدخل العالمي من السياحة في الفترة من يناير إلى أكتوبر ٢٠١٧ م بلغ ٣،٢٠٠ مليار دولار تمثل ١١٪ من الناتج المحلي العالمي، وأن عدد السائحين عالمياً في الفترة نفسها بلغ ١،١ مليار سائح.

٢- تحسين ميزان المدفوعات من خلال العملات الأجنبية التي ينفقها السائحون على السلع والخدمات المحلية المقدمة لهم، فالعائد من السياحة مقابل خدمات يتم تصديرها للأجانب.

(١) د/ حمدي عبد العظيم «اقتصاديات السياحة» مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٦ م - د/ محمد البنا «اقتصاديات السياحة والفندقة» مكتبة الدار الجامعية ٢٠٠٩ م.

- ٣- زيادة عدد العاملين في الأنشطة السياحية بما يساهم في علاج مشكلة البطالة.
- ٤- تنشيط حركة الاتصالات والنقل وبعض الأنشطة ذات الصلة مثل الفنادق والمطاعم .
- ٥- زيادة الطلب على السلع المحلية خاصة من المنتجات التراثية والحرف التقليدية.
- ٦- جذب الاستثمارات الأجنبية للاستثمار في المشروعات السياحية مثل الفنادق والقرى السياحية.
- ٧- زيادة الإيراد العام بما تحصله الحكومة من الضرائب والرسوم.
- ب- الفوائد الاجتماعية، ومنها مايلي^(١):
- ١- التواصل بين البشر من أنحاء العالم بما يؤدي إلى تبادل الثقافات والتقارب بين شعوب العالم.
- ٢- التعرف على المناطق والمناظر الطبيعية المختلفة في العالم وتراث الشعوب.
- ٣- الاستجمام والراحة للإنسان بما يعيد إليه نشاطه الذهني لممارسة الحياة بشكل أفضل.
- ٤- الإشباع الروحي بممارسة الشعائر الدينية أو طلب ونشر العلوم الدينية.
- ٥- تعدد السياحة أداة للرقى الفردي والجماعي بما توفره من الاختلاط بين الأجناس المختلفة والتعرف على الاختلافات القائمة بين الشعوب والتنوع فيما بينها
-
- (١) مستقى بعضها من «المدونة العالمية لآداب وأخلاقيات السياحة» الصادرة عن منظمة السياحة العالمية ٢٠٠١م.

بما يؤدي إلى التفاهم والاحترام المتبادل بين الشعوب وتعزيز قيم التسامح وقبول الآخر والسلوك الإنساني الراقى.

٦- الإسهام في تعزيز التراث الإنساني والثقافي من خلال تخصيص جزء من إيرادات السياحة لتهيئة وصيانة وتزيين المواقع الثقافية والأبنية التاريخية والمعالم الأثرية.

٧- التواصل الاجتماعي بين الأسر والأقارب حيث أنه في العصر الحاضر تتوزع الكثير من العائلات بين عدد من الدول ويكون الالتقاء بينها من خلال الرحلات السياحية.

٨- زيادة المعرفة بالمناطق الجغرافية، والمواقع التاريخية.

٩- تنمية الثقافة العامة واقتباس العلوم والمعارف واتساع المدارك: والاطلاع على ما لدى الآخرين من علوم وثقافات وحضارات وخبرات وتجارب ومهارات وعادات وتقاليد.

١٠- بالنسبة للمسلمين فإن في سياحتهم فرصة لنشر القيم والأخلاق الإسلامية وتحسين صورتهم أمام العالم.

ثالثاً: السياحة من منظور إسلامي:

يمكن القول إن السياحة مباحة في الإسلام بل تصل في رأي بعض المفسرين إلى حد الوجوب، ودليل ذلك ما يلي:

أ- في عدد أربع عشرة آية من القرآن الكريم يحث ربنا عز وجل ويأمر بالسير في الأرض التي هي السياحة كما يقول الشعراوى^(١) «والسَيْرُ فِي الْأَرْضِ هُوَ لِلسَّيَاحَةِ فِيهَا، وَالسَّيَاحَةُ فِي الْأَرْضِ نَوْعَانِ: سَيَاحَةٌ اِعْتَبَارٌ لِمَشَاهِدَةِ آثَارِ الْأَوَّلِينَ لِاِعْتِبَارِ وَالِاِلْتِفَاتِ لِقُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسَيَاحَةٌ اِسْتِشَارٌ الَّتِي هِيَ مِنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِ».

وَيُعَبَّرُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عَنِ سَيَاحَةِ اِلْتِبَارِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾^(٢)، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣).

ويعبر سبحانه عن سياحة الاستشارة بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)، وقوله عز وجل: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا﴾^(٥) وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أنه يدل بعمومه على وجوب السياحة وإن جعل الزمخشري والبيضاوي الأمر فيه للإباحة^(٦).

ب- ذكر الله سبحانه وتعالى السياحة ضمن الصفات الحسنة كما في قوله تعالى: ﴿الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّكِينُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ

(١) تفسير محمد متولي الشعراوى - نشر مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ - ١٢ / ٧١٣٢.

(٢) سورة الروم: الآية ٩.

(٣) سورة الروم: الآية ٤٢.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٢٠.

(٥) سورة الملك: الآية ١٥.

(٦) تفسير المنار - محمد رشيد رضا، نشر الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٩٠ م - ٨ / ٢٥٥.

الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ حيث جاء في أحد وجوه تفسير لفظ ﴿السَّائِحُونَ﴾ السائرون
في الأرض، ولأن السياحة أصلها الذهاب على وجه الأرض سعياً في سبيل الخير
لأنفسهم ولغيرهم (٢).

وجاء أيضاً التفسير الأول لقوله تعالى: ﴿السَّائِحُونَ﴾ ومعنى «سائح» هو من
ترك المكان الذي له موطن، فيه بيته وأهله وأولاد وأنس بالناس، ثم يسبح إلى مكان
ليس فيه شيء ما... إذن: فالسياحة هي السير المستوعب، والسير في الأرض منه سير
اعتبار لينظر في ملكوت السموات والأرض، وليستنبط من آيات الله ما يدل على
تأكيد إيمانه بربه، ومنه سير استثمار بأن يضرب في الأرض لبيتغي من فضل الله (٣).

ج- في ثمان آيات أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى ابن السبيل وجعل له
حقاً في بعض الموارد المالية العامة مثل الزكاة والغنيمة والفيء إذا انقطعت موارده
حال السفر حتى ولو كان غنياً في بلده مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ (٤) وفي الأمر بمواساته وإعانتة في سفره ترغيب من

(١) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٢) تفسير الرازي - دار إحياء التراث العربي ببيروت. ط ٣، ١٤٢٠ هـ / ٨ / ١٦٠، تفسير القرطبي
ط ٢، ١٣٨٤ هـ - دار الكتب المصرية ٨ / ٢٧٠، وتفسير المنار لرشيد رضا، ١١ / ٤٢ - ٤٣.

وجاء في تفسير السائحون عدة أقوال: منها بمعنى الصائمون، وبمعنى السفر للجهاد أو لطلب
العلم، والمهاجرون، أو للنظر في خلق الله وأحوال الشعوب والأمم للاعتبار والاستبصار ومعرفة
سنن الله تعالى وحكمه وآياته، أو السفر لطلب الرزق.

(٣) تفسير الشعراوي - ٩ / ٥٥٢٥.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦٠.

الشرع في السياحة والضرب في الأرض^(١)، ومن شأن ذلك أن يشجع على السياحة دون خوف من نفاذ موارد السائح حال سفره.

د- للتيسير على السائحين شرع الإسلام الرخص في السفر بخفض وتقليل التكاليف الشرعية عنهم مثل قصر الصلاة والجمع بين الصلاتين، وعدم وجوب صلاة الجمعة، والمسح على الخفين ثلاثة أيام، والصلاة راكبا على وسيلة النقل، وترك الصيام أو الإفطار في رمضان حال السفر، كما أنه من فضل الله عز وجل على المسافر أنه سبحانه يُجْري له أجر الأعمال الصالحة التي كان يفعلها في حال إقامته، فقد قال النبي ﷺ «إذا مرض العبد، أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا»^(٢).

من كل ما سبق يتضح أن الإسلام يحث على، ويأمر بالسياحة وييسر القيام بها مما يبرر للمصارف الإسلامية الإسهام في تنشيطها بتقديم التسهيلات المصرفية لها.

رابعاً: مفهوم وأنواع التسهيلات المصرفية:

في البداية تجدر الإشارة إلى أنه توجد علاقات وثيقة وعضوية بين البنوك والسياحة لدرجة أن البعض ينادي بوجود بنوك متخصصة للسياحة وهو ما تم البدء فيه فعلا بمبادرة من المنظمة العربية للسياحة بتوقيع اتفاقية إنشاء البنك السياحي العربي برأس مال ٢ مليار دولار أمريكي بغرض إيجاد آلية تمويل متخصصة تسهم في دفع حركة النمو السياحي المتسارعة في بلدان المنطقة نظرا لزيادة الوزن النسبي للسياحة في خريطة اقتصاديات الدول العربية واحتياجها لمزيد من التسهيلات المصرفية التي

(١) تفسير المنار ٢ / ٩٤.

(٢) صحيح البخاري - الناشر: دار طوق النجاة - ط ١ - ١٤٢٢ هـ - ٥٧ / ٤.

يعني بها في المفهوم الواسع المعاملات التي تتم بين البنك والمؤسسات السياحية لتوفير احتياجاتها من التمويل وتقديم الخدمات المصرفية التي تعمل على تنشيط الأعمال وتنفيذ العقود ودعم عمليات التصدير والاستيراد للخدمات السياحية.

وتنقسم التسهيلات المصرفية بشكل عام إلى قسمين يندرج تحت كل قسم عدد من أنواع التسهيلات.

فالقسم الأول: يطلق عليه التسهيلات النقدية أو التسهيلات المباشرة، أو التسهيلات الائتمانية، وهي التي يقدم فيها المصرف تمويلات للعملاء، وهي في البنوك التقليدية: القروض بجميع أنواعها، والجاري المدين أو السحب على المكشوف وخصم الأوراق التجارية، ويقابلها في البنوك الإسلامية توفير التمويل بالصيغ الإسلامية سواء صيغ البيوع المؤجلة مثل المرابحة والسلم والاستصناع، أو صيغ المشاركات مثل المضاربة والمشاركة أو صيغة الإجارة التشغيلية أو المنتهية بالتمليك، ويمكن الجمع بين صيغتين منها في إطار الهندسة المالية، كما يدخل في هذا النوع من التسهيلات المصرفية بطاقات الائتمان والتي تصدرها البنوك التقليدية وأيضا البنوك الإسلامية لكن بمراعاة الأحكام الشرعية.

أما القسم الثاني: من التسهيلات المصرفية فهو ما يطلق عليه التسهيلات غير النقدية أو التسهيلات غير المباشرة، وهي التي يقدم فيها البنك كفالاته أو تعهده لدفع أي التزامات يمكن تقع على العميل في المستقبل، ومن أهم أنواعها خطابات الضمان والاعتمادات المستندية.

ويمكن أن يدخل في هذا القسم بعض الخدمات المصرفية مثل إصدار الشيكات المصرفية أو مقبولة الدفع، والشيكات السياحية، وبيع وشراء العملات الأجنبية بأسلوب المواعدة على الصرف، وتحصيل المستندات، وتقوم البنوك أيضا بصفة منظم للفرص الاستثمارية السياحية بدءا من إعداد دراسات الجدوى للمشروعات الجديدة والترويج لها وتسويقها، والصيرفة في مجال الإصدارات الجديدة للأوراق المالية.

هذه هي التسهيلات المصرفية . فكيف يتم تقديمها لقطاع السياحة؟ هذا ما سيتم التعرف عليه في المبحثين التاليين.



المبحث الثاني

التسهيلات المصرفية الإسلامية للمشروعات السياحية

تعدد الأنشطة في قطاع السياحة، وتنوع المشروعات التي تتم فيها هذه الأنشطة، والجهات التي تقوم عليها، وكل ذلك يؤثر على حجم وأسلوب التمويل التي تقدمه المصارف لقطاع السياحي، وإذا كان هذا التمويل في البنوك التقليدية يدور في فلك أسلوب واحد وهو القروض بفوائد، فإن الأمر يختلف في البنوك الإسلامية التي لديها حزمة متنوعة من أساليب التمويل والاستثمار يتم الاختيار من بينها ما يناسب كل نشاط ومشروع في القطاع السياحي، وهذه المناسبة تكون على الوجه التالي.

- بالنسبة للمصارف، يقدم التمويل بما يحقق عائدا مناسباً وتوفر فيه المرونة للتغيير في حالة التمويل طويل الأجل الذي تتغير فيه مستوى العوائد على الأنشطة المماثلة، وكذا إمكانية تسهيل التمويل في حالة احتياج المصرف للتقديرة، هذا إلى جانب توفر الضمانات لاسترداد المصرف لأصل التمويل والعائد.

- بالنسبة لطالبي التمويل، يراعى مناسبة تكلفة التمويل والتمكين من القدرة على السداد في المواعيد المناسبة ومن عوائد المشروع

وفي ضوء هذا التفسير سيقدم البحث أساليب التسهيلات المصرفية الإسلامية للقطاع السياحي مع مراعاة أن البحث سيقصر على بيان الخطوط العريضة لهذه الأساليب دون الدخول في التفاصيل التطبيقية التي توضع بما يناسب حجم التمويل والقانون السائد في الدولة، وبمراعاة أن بعض هذه الأساليب طبقت فعلا في تمويل بعض المشروعات السياحية.

أولاً: بالنسبة للتسهيلات المصرفية لأنشطة الشركات والوكالات السياحية:

يتمثل دور هذه الشركات في إعداد وتنفيذ البرامج السياحية وما يتصل بها من حجز تذاكر السفر والفنادق، والانتقالات والإرشاد السياحي، ومن المقرر أن هذه الشركات تتحصل على معظم إيراداتها من العمولات التي تحصل عليها من موردي الخدمات السياحية التي ترسل لهم السائحين مثل الفنادق وشركات الطيران^(١)، أما احتياج هذه الشركات للتسهيلات المصرفية، فأولها طلب إصدار خطاب الضمان من البنك الذي يشترط تقديمه قانوناً للجهة الحكومية المشرفة على السياحة في الدولة (وزارة السياحة) للحصول على ترخيص ممارسة النشاط، وكذا الاعتمادات المستندية لدفع مستحقات الوكلاء في الخارج، والصرف الأجنبي وكلها خدمات تقدمها المصارف الإسلامية.

أما بالنسبة للتسهيلات الائتمانية، ففي أغلب الأحيان لا تحتاج هذه الشركات لتمويل مصرفي إلا إذا كانت الشركة كبيرة ومرخص لها بالنقل السياحي أو الإقامة السياحية، فتحتاج لتمويل شراء وسائل النقل أو إنشاء الفنادق أو القرى السياحية، وسوف يتم تناول ذلك في الفقرات القادمة.

ثانياً: التسهيلات المصرفية لإنشاء وتمويل المشروعات السياحية الكبيرة:

ومن أمثلة هذه المشروعات الفنادق والقرى السياحية والفنادق العائمة ووسائل النقل الجوي والبحري، وإنشاء هذه المشروعات يحتاج لتمويل كبير جداً قد يشترك في تدبيره مجموعة من البنوك في إطار ما يعرف «بالتمول المصرفي المجمع» والذي

(١) «إدارة عميات شركات السياحة ووكالات السفر» لـ (أ.د. وليد سيد أمين).

صدر بجوازه وتنظيمه المعيار الشرعي رقم ٢٤، ومدة هذا التمويل تكون طويلة قد تتغير فيها عوائد التمويل كما قد يحتاج البنك الممول لتسييل تمويله قبل موعد الاستحقاق، لذلك يتم اختيار صيغة التمويل بما يراعى هذه المحددات، وقد تكون صيغة مفردة واحدة أو صيغة مركبة من عدة صيغ، وهذا ما يتم ذكره في الآتي:

أ- المشاركة المتناقصة التأجيرية: وهي صيغة مركبة من ثلاث معاملات هي:

الأولى: المشاركة، بأن يتم إنشاء أو شراء الأصل بالمشاركة بين البنك والعميل حيث يدفع العميل نسبة مثلاً ٢٠٪ من الثمن ويدفع البنك الباقي، وهذا وجه المشاركة في العملية، وهي جائزة بالإجماع.

الثانية: التأجير، بأن يتم الاتفاق على أن يستأجر العميل حصة البنك في الأصل بقيمة إيجارية حسب السائد في سوق التأجير، وهذا جائز فقها بالاتفاق حيث جاء «إذا كانت العين المتعاقد على منفعتها مشاعاً، وأراد أحد الشريكين إجارة منفعة حصته، فإجارتها للشريك جائزة بالاتفاق»^(١)، وفي الاجتهاد الفقهي الجماعي المعاصر جاء «يجوز لأحد أطراف الشركة استئجار حصة شريكه بأجرة معلومة ولمدة محددة»^(٢).

الثالثة: البيع، حيث يتم الاتفاق على أن يبيع البنك دورياً وعلى أقساط جزءاً من ملكيته في المشاركة للعميل فتتناقص حصة البنك حتى تنتقل كامل الملكية

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ١ / ٢٦٣.

(٢) مجمع الفقه الإسلامي الدولي: قرار رقم ١٣٦ (٢ / ١٥) بشأن المشاركة المتناقصة وضوابطها الشرعية والمعايير الشرعية الصادرة عن المجلس الشرعي هيئة المحاسبة - أيوفي - معيار المشاركة رقم ١٢ بند ٩ / ٥.

للعميل، وخلال هذه المدة يدفع العميل أقساطا متساوية، جزءا منها مقابل أجرة حصة البنك والذي يتناقص بنقصان ملكية البنك، وجزءا من ثمن البيع الذي يتزايد دوريا .

وهذا التصرف من الأصل جائز فقها حيث جاء «ولو باع أحد الشريكين في البناء حصته لأجنبي، لا يجوز، ولشريكه جاز»^(١) وأجاز الاجتهاد الفقهي الجماعي المعاصر المشاركة المتناقصة.^(٢)

وربما يثور تساؤل حول مدى دخول هذه المعاملة المركبة في النهي الوارد في الحديث النبوي عن صفقتين في صفقة، وهذا يصدق إن تم التعاقد على المعاملات الثلاث في عقد واحد، أما السبيل لإيجاز هذه المعاملة فهو كما يصورها أحد الفقهاء المعاصرين بقوله:

«يجوز أن تحدث بينها اتفاقية يتواعدان فيها بالدخول في هذه العقود، فيتفقدان على أنهما يشتريان الدار الفلانية بهما المشترك، ثم يؤجر الممول حصته إلى العميل بأجرة معلومة، ثم يشتري العميل حصة الممول بأقساط متعددة إلى أن يتملك الدار كلها، ولكن هذه الاتفاقية لا تكون إلا وعداً من الفريقين بإنشاء هذه العقود، ولا ينشأ أحد من هذه العقود إلا في وقته الموعود بإيجاب وقبول، ويقع العقد حينئذ مطلقاً من أي شرط فلا يشترط الإجارة في البيع، ولا البيع في الإجارة»^(٣).

(١) حاشية ابن عابدين - نشر دار الفكر بيروت - ط ٢ عام ١٤١٢ هـ / ٤ / ٣٠٠.

(٢) مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قرار رقم ١٣٦ (٢/١٥) بشأن المشاركة المتناقصة وضوابطها الشرعية.

(٣) القاضي محمد تقي العثماني، «الطرق المشروعة للتمويل العقاري» بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الدورة السادسة. وينظر أيضا: د. نزيه حمادي: «العقود المستجدة - ضوابطها ونماذج منها» بحث مقدم إلى الدورة العاشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

ب- التمويل بأسلوب صكوك صناديق حسابات الاستثمار المقيدة^(١):

من أنواع الأوعية الادخارية التي يتلقى المصرف الإسلامي بها الودائع من المدخرين، حسابات الاستثمار المقيدة، والتي تعرف بأنها «هي المبالغ التي يفوض أصحابها المؤسسة باستثمارها على أساس المضاربة المقيدة بمشروع محدد، أو برنامج استثماري معين»^(٢) وفيها يكون البنك مضاربا وأصحاب الودائع أرباب أموال، ويجوز أن يأخذ الشكل التنظيمي لهذه الحسابات صندوقا استثماريا^(٣)، وأن يتم تجميع الأموال بموجب صكوك متساوية القيمة، تسمى «صكوك مضاربة» وهذا التصور يتوافق مع القوانين المنظمة لصناديق الاستثمار، وفي هذه الحالة يعد الصندوق من صناديق الاستثمار المباشر وهي التي يتم استثمار أموالها في الأسهم في شركات جديدة أو مباشرة الاستثمار بنفسها في المتاجرة بالسلع والخدمات، وليس مثل صناديق الاستثمار غير المباشرة التي تستثمر أمواله في الأوراق المالية شراء وبيعا، ثم يقوم البنك باستثمار حصيلة الصندوق في إنشاء الفندق أو شراء الطائرات أو غيرها من المشروعات السياحية حسب المطلوب منه، ويتم هذا الاستثمار بصيغة الإجارة المنتهية بالتملك، ويكون لحملة الصكوك العائد من الإجارة في صورة الأجرة التي يدفعها العميل للبنك والتي تتضمن استرداد جزء من ثمن الأصل المؤجر وجزءا مقابل الانتفاع، أما البنك فيستحق حصة من العائد بصفته مضاربا، وقد يتم الاتفاق

-
- (١) من المراجع لهذا الأسلوب: معيار المحاسبة رقم ١٤ بعنوان: صناديق الاستثمار، د. محمد عبد الحليم عمر «صناديق الاستثمار» محاضرة مقدمة بمركز الدراسات القانونية بكلية الحقوق جامعة عين شمس أبريل ٢٠٠٢م، نشرة الاكتتاب في صندوق بنك أبو ظبي الوطني للاستثمار في الصكوك.
- (٢) المعيار رقم ٤٠ من المعايير الشرعية بند ٢ / ١ / ٢.
- (٣) معايير المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية الصادرة عن الأيوبي - البيان رق ٢ الخاص ببيان مفاهيم المحاسبة بند ٤ / ٥ / ١.

على أن يكون البنك وكيلا استثماريا مقابل أجر محدد، ويمكن لحملة الصكوك بيعها في السوق المالية لأنه يجوز شرعا تداول صكوك المضاربة^(١)، وفي نهاية مدة الإجارة يصفى الصندوق ويكون حملة الصكوك استردوا أموالهم والعائد عليها دوريا، ثم تنتقل ملكية الأصل للعميل.

ج - التمويل بصكوك المنافع:

وصورتها أن تتقدم شركة استثمار لبنك إسلامي بطلب لتمويل إنشاء فندق سياحي بتكلفة مثلا ٧٠ مليون دولار أمريكي يدفع البنك منها ٥٠ مليون وتدفع الشركة الباقي، مع إعطاء البنك مقابل تمويله تملك منفعة جزء من الفندق لمدة عشر سنوات مثلا، وهذا ما يعرف فقها بالمهاياة الزمانية التي تعرف «بأنها اختصاص كل شريك فيه بمشترك فيه عن شريكه زمنا معيننا من متحد أو متعدد»^(٢) فيقوم البنك بإبرام عقد استصناع مع إحدى شركات المقاولات لبناء الفندق، ويصدر صكوكا لبيع المنافع للجماهير مرابحة بالتكلفة التي دفعها - ٥٠ مليون دولار - زائدا ربحا وليكن ١٠٪، وبيع منفعة الإجارة مرابحة جائز فقها حيث جاء «يجوز أن تكون السلعة محل المرابحة منفعة، فتملك بعقد إجارة، ثم يعاد التأجير بزيادة»^(٣)، أي أن تكون القيمة الإجمالية للصكوك ٥٥ مليون دولار، تقسم إلى عدد من الصكوك تتيح لهم تملك حق الانتفاع بوحدة في الفندق مدة أسبوع في السنة خلال العشر سنوات، ولهم الحق باستيفاء هذه المنفعة بأنفسهم بالسكني أو بيع الصكوك لغيرهم في السوق

(١) المعيار الشرعي رقم ١٧ بخصوص صكوك الاستثمار بند ٥ / ٢ / ١٦.

(٢) مواهب الجليل للحطاب - نشر: دار الفكر - ط ٣ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٣) الضوابط الشرعية لبنك البلاد - نشر دار الميمان - ط ١ - ١٤٣٤ هـ - ضوابط المرابحة ضابط رقم ٤٧ ص ٢٦.

المالية، وهذا ماتم في إنشاء فندق برج زمزم الواقع أمام الحرم المكي حيث تم إصدار صكوك منافع تعطى لملاكها الحق في الإنتفاع بإحدى أجنحة برج زمزم لفترة زمنية محدودة (غالباً أسبوع) كل عام ولمدة ٢٤ عاماً هجرياً، وله الحرية في الانتفاع بنفسه في السكني أو بيع هذا الحق لغيره، كما أنه يورث عنه خلال المدة.

ومما يظهر أن هذا الأسلوب ذو فائدة مزدوجة للسياحة حيث تستفيد منه المنشآت السياحية بتوفير التمويل لإنشاء الفنادق والمنتجعات، أو شراء مستلزمات السياحة المساندة، كما يستفيد منها حملة الصكوك سياحياً بالاستفادة من الخدمات السياحية لهذه المشروعات مقابل الصكوك، واستثمارا ببيع هذه الصكوك وتحقيق ربح رأسمالي.

ثالثاً: التسهيلات المصرفية للمشروعات السياحية المتوسطة:

ومثالها تمويل أسطول النقل البري من باصات وسيارات للتأجير، أو النقل النهري للبواخر السياحية، ويمكن استخدام عدد من صيغ التمويل الإسلامية منها ما يلي:

أ- التمويل بصيغة الإجارة المنتهية بالتملك^(١):

وهي الإجارة التي يصدر فيها وعد من المؤجر بتملك المستأجر العين المؤجرة^(٢) وكيفية أن تتقدم شركة النقل السياحي للبنك بطلب تمويل عدد معين من

(١) في الفكر والتطبيق المقابل يطلق عليه التأجير التمويلي، وكلاهما ينتهيان بتملك المستأجر للعين محل الإجارة غير أنه في التأجير التمويلي قانوناً ينص على نقل الملكية للمستأجر بعبء أو هبة في عقد الإجارة، بينما في التأجير المنتهي بالتملك ولعدم شرعية تعليق عقد البيع فيذكر الوعد بالبيع من المؤجر في وثيقة مستقلة.

(٢) المعيار الشرعي رقم ٩ بند ٨ / ٦.

سيارات النقل السياحي (الباصات) بمواصفات محددة، مع تحرير وعد من الشركة باستئجارها، فيقوم البنك بشرائها ثم يتم إبرام عقد تأجير مع الشركة مقابل أجره يراعى في تحديدها أن تزيد عن الأجرة في الإجارة التشغيلية، حيث تشمل جزءاً من حق الانتفاع بالعين - إجارة تشغيلية - وجزءاً من ثمن السيارات، ويتم تمليك السيارات للمستأجر، بإحدى الطرق التالية^(١):

- البيع بثمن رمزي في نهاية مدة الإجارة بناء على الوعد من المؤجر

- البيع أثناء مدة الإجارة بأجرة المدة الباقية

- هبة السيارات للشركة المستأجرة بناء على عقد أو وعد بالهبة من المؤجر، ويكتفي بها دفعه المستأجر من أقساط.

وهذه الصيغة تطبق فعلاً في البنوك الإسلامية أو شركات التأجير التمويلي التابعة لها مثل شركة أدليس التابعة لمصرف أبوظبي الإسلامي بمصر، ومن أهم أنشطتها تمويل السيارات بنظام الإجارة المنتهية بالتمليك.

ب- التمويل بصيغة المشاركة المتناقصة، وهي مشروعة ويتم العمل بها في المصارف الإسلامية:

وصورتها: أن تتقدم شركة النقل السياحي بطلب للبنك لتمويل شراء عدد ٢٠ سيارة تكلفه شراء السيارة ٥٠٠ ألف جنيه بإجمالي ١٠ مليون جنيه تدفع الشركة منها ٢ مليون جنيه ويدفع البنك الباقي، ويتم إبرام عقد مشاركة متناقصة لمدة خمس سنوات مع وعد من البنك بأن يبيع كل سنة ٢٠٪ من حصته إلى الشركة،

(١) المعيار الشرعي رقم ٩ بند ٨ / ١.

وعلى أن يوزع الإيراد الصافي من تشغيل السيارات بينهما بتخصيص ١٥٪ للشركة مقابل الإدارة، والباقي يوزع بينهما بنسبة صافي حصة كل منهما في التمويل والتي تتدرج بالتناقص للبنك والزيادة لشركة النقل إلى أن تنتهي بتملك الشركة لكل موجودات المشاركة.

السنة	نسبة حصة البنك من الربح	نسبة حصة شركة النقل من الربح
الأولى	٪٨٠	٪٢٠
الثانية	٪٦٠	٪٤٠
الثالثة	٪٤٠	٪٦٠
الرابعة	٪٢٠	٪٨٠
الخامسة	٪١٠٠

رابعاً: التسهيلات المصرفية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة

والتي تقدم للسائحين خدمات مثل المطاعم والمقاهي السياحية، وكذا لإنتاج والتجارة في السلع التراثية والتقليدية، واحتياجها للتمويل يكون إما لتمويل الأصول الثابتة مثل المباني والأجهزة والمعدات، وإما لتمويل مستلزمات النشاط من خامات و سلع.

أ- تمويل المباني ومقرات ممارسة النشاط، ويمكن أن يتم بطريقة فردية أو بطريقة جماعية مثل تولي المصرف إنشاء مدينة في المناطق السياحية لهذه الأنشطة، من خلال

معاملة مكونة من عقود استصناع وعقود التأجير المنتهي بالتمليك، وتنفيذ ذلك يكون بإبرام البنك عقد استصناع مع شركات المقاولات المتخصصة، ويدفع البنك لها التكلفة، ثم يتم تملكها لأصحاب المشروعات بصيغة التأجير المنتهي بالتمليك، يدفعون أقساطا دورية تمثل مقابل الانتفاع وجزءا من ثمن المبنى وفي نهاية مدة الإجارة يتم نقل الملكية لهم مقابل ما دفعوه من أقساط أو بمقابل رمزي.

وهذه الصيغة تحقق المرونة في تغيير الأجرة كل فترة لتناسب مع التغير في أجرة المثل وهو ما أجازاه الاجتهاد الفقهي المعاصر بجواز تغير الأجرة في الإجازات طويلة الأجل^(١)، هذا فضلا عن إمكانية تسهيل البنك للتمويل ببيع الأصل المؤجر محملا بعقد الإيجار وهو ما يجوز فقها^(٢) حتى لا يضر العميل.

ب- تمويل مستلزمات النشاط، ويمكن أن يتم ذلك بصيغة المرابحة للآمر بالشراء، حيث يشتري المصرف المستلزمات من الموردين بنا على طلب العملاء ثم يبيعها لهم بتكلفة الشراء زائدا ربحا يتفق عليه وعلى أن يسددوا ثمن البيع على أقساط تتوافق مع حصوله على الإيرادات من النشاط، وفي العادة تكون المبالغ قليلة ومدة السداد قصيرة مما لا يحتاج معه البنك لتسييل المديونية، ولأنه لا يجوز فقها بيع الديون.

ونظرا لعدم قدرة أصحاب المشروعات الصغيرة والمصغرة على شروط التعامل مع البنوك، لذلك يمكن اتباع أساليب تمويلية أخرى منها:

(١) مجمع الفقه الإسلامي الدولي - قرار رقم: ١١٥ (١٢/٩) والمعيار الشرعي رقم ٩ بند ٥/٢/٣.
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية - ٣٠ / ٢٥٥.

١ - التمويل شبه الرسمي، ومن صورته نظام تمويل المجموعة^(١) ويقوم على تكوين تنظيم من بعض أفراد مهنة أو جوار سكن أو عمل في صورة مجموعة، وتتقدم المجموعة باسمها لبنك لطلب التمويل ثم تقوم بتخصيصه بين أفرادها وتكون المجموعة (كلها) مسؤولة أمام البنك عن تسديد التمويل، ويتم ترتيب ضمان ذلك فيما بين أفراد المجموعة إما من خلال المسؤولية التضامنية بمعنى أن يكون كل عضو من أعضاء المجموعة مسؤولاً عن حالات التقصير من جانب الأعضاء الآخرين، أو من خلال المسؤولية المحدودة عن طريق التزام كل عضو بإيداع جزء من التمويل الذي حصل عليه في صندوق لضمان سداد مستحقات البنك فإذا قصر عضو في تسديد ما عليه يتم السداد من الصندوق، وإذا سدد جميع الأعضاء ما عليهم أعيدت المبالغ إليهم، وهذا نظام طبق بنجاح في بعض الدول مثل زيمبابوي ونيبال ومالاي وعلی المقترضين من بنك جرامين في بنجلاديش.

٢ - نظام الائتمان الموجه، وهو قيام البنك المركزي بتوجيه البنوك العاملة في الدولة بتخصيص مبلغ لتمويل المشروعات الصغيرة والمصغرة وفق شروط ميسرة يمكن لأصحاب هذه المشروعات تنفيذها، وذلك مقابل حوافز يمنحها البنك المركزي للبنوك المشاركة في صورة إعفاء البنوك من نسبة الاحتياطي بالقدر الذي قدمته من تمويل للمشروعات الصغيرة والمتوسطة، وفي تصور آخر للائتمان الموجه يصدر البنك المركزي تعليماته للبنوك لتخفيف شروط الائتمان وتخفيض العائد

(١) سماح ديب الصفدى - منهجية الإقراض بضمان المجموعة - دراسة ماجستير مقدمة لكلية التجارة بالجامعة الإسلامية بغزة فلسطين ٢٠٠٤ م.

وجدولة الديون على وحدات القطاع السياحي، وهو ما ورد في مبادرة البنك المركزي المصري لتدعيم قطاع السياحة.

٣- الرعاية الحكومية لتوفير مصادر التمويل للمشروعات السياحية الصغيرة، وذلك بقيام الجهة الحكومية المشرفة على السياحة بعقد اتفاقيات مع مؤسسات التمويل لمنح التمويل للمشروعات السياحية الصغيرة بشروط ميسرة مع ضمان حكومي، وهذا ما قامت به الهيئة العامة للآثار والسياحة بالمملكة العربية السعودية^(١) بعقد اتفاقيات مع بعض البنوك وصناديق التنمية بالمملكة لتسهيل دعم المشاريع السياحية الصغيرة والمتوسطة.



(١) موقع الهيئة على الانترنت / www.scta.gov.sa

المبحث الثالث

التسهيلات المصرفية لبرامج السفر للأفراد والعائلات

لقد تزايدت تكاليف السفر والسياحة بشكل تعجز معه الإمكانات المالية من الأفراد عن دفعها من مدخراتهم، ويزيد الأمر بالنسبة للسياحة العائلية، وهنا يمكن تيسير تدبير التمويل من البنوك وتحصيلها من الأفراد على أقساط مناسبة لدخولهم، وهو ما تقوم به بعض البنوك التقليدية والإسلامية ولكن على نطاق ضيق، ويتناول هذا المبحث بعض الأساليب التي يمكن للبنوك الإسلامية العمل بموجبها لتمويل برامج السفر وهي:

أولاً: أسلوب حسابات الادخار والتوفير للسفر:

وصورته أن يتم فتح حساب استثماري للشخص يودع فيه دفعات دورية، ويقوم البنك باستثمارها وإضافة العائد على أصل الحساب دورياً، ثم دفع الرصيد النهائي للعميل لاستخدامه في تمويل السفر، وإذا احتاج المبلغ وتبين أنه لا يكفي يقوم البنك باستكمالها بأسلوب إجازة الخدمات المذكور في ما بعد، مع تشجيع أصحاب الحسابات بمنحهم مزايا ترتبط بالسياحة ومنها مايلي.

- منح المدخرين في هذا النظام مزايا سياحية منها رحلة حج أو عمرة من خلال إجراء قرعة لاختيار الفائزين منهم.

- منحهم سعر عائد تفاضلي أعلى من الممنوح لأصحاب الحسابات الاستثمارية الأخرى، ويكون ذلك بتخفيض نسبة حصة البنك بصفته مضارباً، وهذا جائز لدى

بعض الفقهاء حسبها جاء «وإن قارض اثنان واحدا بألف لهما جاز، وإذا شرط له ربحا متساويا منها جاز، وإن شرط أحدهما له النصف والآخر الثلث جاز»^(١).

- إذا كان الاختيار للحج في الدولة يتم بين المواطنين بالقرعة وهو موجود في عدد من الدول الإسلامية يمكن للبنك المركزي أن يتفق مع السلطات المختصة بمنح عدد من حجاج القرعة وليكن ١٠٪ مثلا للمدخرين في هذا النظام.

وأصل هذا الأسلوب الادخار للحج ما طبق في صندوق الحج الماليزي الذي يقوم على تلقي مدخرات شهرية يتم استثمارها ويستخدم المدخر الرصيد بعد إضافة العوائد إليه في تمويل نفقات الحج، ومثله صندوق الحج الأردني، وهذا الأسلوب مطبق في عدد من البنوك التقليدية والبنوك الإسلامية منها: مصرف أبوظبي الإسلامي الذي يقدم برنامج تمويل رحلات الحج والعمرة وأيضاً تمويل السفر الداخلي والخارجي، وبنوك البركة في السودان وتونس الذي يقدم منتج حج وعمرة البركة، والبنك الإسلامي العربي يقدم برنامج توفير الحج، وشركة بيان الدولية للاستثمار المالي تحت مسمى «برنامج مناسك» وهو برنامج ادخاري لتوفير نفقات الحج والعمرة.

و يقدم بنك التعمير والإسكان المصري^(٢) «حساب ادخار الحج والعمرة» وفق الضوابط التالية:

- تفتح الحسابات المذكورة بحد أدنى ١٠٠٠ جنيه (ألف جنيه).

(١) المغني لابن قدامة: ٣٦/٥ .

(٢) موقع البنك على الإنترنت: www.hdb-egy.com

- يقتصر فتح هذه الحسابات على العملاء من الأشخاص الطبيعيين (الأفراد) دون الشخصيات الاعتبارية، ويمنح أصحاب هذه الحسابات عائداً سنوياً يعادل العائد على الوداع الآجلة لمدة ٦ شهور ١٪ ويحتسب على أدنى رصيد للحساب شهرياً، ويتم صرفه أو تعليته مرتين كل عام (في ٦/٣٠ و ١٢/٣١).

- بالنسبة لعملاء حساب إيداع الحج والعمرة .. يجوز عدم احتساب عائد على الحساب - في حالة رغبتهم في ذلك لمعتقداتهم الدينية الخاصة.

- يحق لأصحاب الحساب أداء مناسك الحج أو العمرة وبشرط ألا يقل رصيد الحساب عن مبلغ ١٠٠٠ جنيه طوال الستة شهور السابقة لعملية السحب على الجوائز، ويكون للعميل الحق في دخول السحب بعدد الفرص التي تعادل مضاعفات المبلغ المذكور.

- في حالة عدم مناسبة التوقيتات التي تم السحب خلالها لظروف العميل الفائز، يجوز التنازل عن الجائزة لشخص آخر يحدد بمعرفة العميل، كما يمكن تأجيل الرحلة للموسم التالي مباشرة .

- في حالة التعذر في الحصول على تأشيرة الحج من شركات السياحة - يكون للعميل الحق في إحدى الاختيارات التالية:

- تعديل رحلة الحج لتصبح رحلة عمرة مع إيداع فرق القيمة بحساب العميل وذلك كتعويض للعميل الفائز بالجائزة. أو تأجيل الرحلة لموسم الحج التالي بشرط التوفيق أيضاً في الحصول على تأشيرة الحج من شركات السياحة.

- منح ميزة خاصة للعملاء الذين لا يرغبون في الحصول على عوائد دائنة على حساباتهم بزيادة فرص الدخول في عمليات السحب من خلال إضافة قيمة العوائد المتنازل عنها للرصيد الأصلي، ويتم ذلك بصورة «لحظية» فقط قبل عملية السحب، ولا يعتد بهذه الإضافة كأساس لزيادة الأموال المودعة.

وهذا الأسلوب يقوم على الادخار لمواجهة الحاجات المستقبلية جائز شرعاً بل مندوب إليه وهذا ما يستفاد من بعض الأحاديث النبوية الشريفة منها قول الرسول ﷺ لكعب بن مالك «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»^(١)، وفي الأثر الذي ورد مروياً عن ابن النجار عن عائشة جاء «رحم الله امرأاً اكتسب طيباً وأنفق قصداً وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته»^(٢)

ثانياً: إصدار صكوك الحج والعمرة:

حيث يتم تكوين صندوق استثمار إسلامي للحج والعمرة ويتم طرح صكوك استثمارية بقيمة اسمية موحدة ليشتري منها من يرغب في التوفير والادخار لتكاليف الحج والعمرة عدد من الصكوك ويمكنه زيادة مشترياته منها دورياً، ويكون الصندوق تراكمياً بمعنى أن تضاف عوائد الاستثمار إلى القيمة الرأسمالية للصكوك، ثم يتم صرف الرصيد لصاحب الصكوك لأداء فريضة الحج أو العمرة، ويمكن التسويق لها عن طريق إصدار صكوك تقدم بصفة هدايا في المناسبات الاجتماعية

(١) صحيح البخاري نشر: دار طوق النجاة - ط ١ - ١٤٢٢ هـ - ٢ / ١١٢ .

(٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي - نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة - ط ١ عام ١٣٥٦ هـ / ٤ / ٢٣ .

عند الولادة والزواج وبين الأهل والمعارف، وهو مطبق في صندوق الحج الأردني، وطبق هذا الأسلوب بنك البركة مصر الذي قدم منتجاً بنكياً سماه «صك العمرة» وهي صكوك تصدر بالجنيه المصري ومضاعفاتها وبدون حد أقصى، ويصرف العائد في نهاية المدة:

ثالثاً: تمويل السفر والسداد على أقساط:

وهو يتم في البنوك التقليدية على أساس القرض بفائدة، ويتم أيضاً في البنوك الإسلامية لتمويل السفر بشكل عام، وتمويل رحلات الحج والعمرة بشكل خاص، وذلك بصيغة إجارة الخدمات إجارة موصوفة في الذمة، وإجارة الخدمات تعني بيع خدمة أو منفعة ما مقابل قيام مشتريها بسداد قيمتها بالكامل أو على دفعات على حسب الاتفاق، مع إمكانية قيام المستأجر ببيعها إلى شخص آخر مقابل أجر مختلف وبشروط سداد مختلفة، وفي الواقع المصرفي يقوم البنك بشراء العديد من الخدمات من مؤجريها مثل شركات الطيران والفنادق والنقل الداخلي، إما كل خدمة على حدة أو شرائها مجتمعة من شركات ووكالات السياحة والسفر مقابل قيمة محددة يدفعها البنك نقداً ثم يبيع هذا الحق لعملائه بعقود إجارة موازية مقابل أجر مؤجلة أو على أقساط مع تحقيق هامش ربح مناسب. وبذلك يقوم البنك بتوفير التمويل اللازم لتغطية مصاريف السفر والحج والعمرة بما يلبي حاجة الأفراد بالمجتمع، ويساعد في تنشيط السياحة.

ومن الجدير بالذكر أن غالبية البنوك الإسلامية تقوم بتمويل السفر وخاصة للحج والعمرة بأسلوب إجارة الخدمات الموصوفة في الذمة ومنها: بنك فيصل

الإسلامي المصري، ومصرف أبوظبي الإسلامي الذي يمول خدمات السفر بشكل عام وخدمة السفر للحج والعمرة بنظام إجازة الخدمات الموصوفة في الذمة، ومثله بنك سوريا الإسلامي الدولي، وميسرة للخدمات المصرفية الإسلامية بسلطنة عمان التي أطلق منتج تمويل السفر وبموجب هذا المنتج، يتم تقديم تسهيلاتاً محدداً لتمويل السفر بنظام خدمة الإجازة، للإيفاء باحتياجات الزبائن بشكل يتوافق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ليتمكن الزبائن من دفع تكاليف سفرهم التي تشمل تذاكر السفر وتأجير السيارات ومصاريف المواصلات والإقامة والرحلات السياحية وغيرها، كما يشمل ذلك تمويل تكاليف الحج والعمرة، ويتم ذلك عن طريق تأجير خدمات محددة للزبائن لفترة محددة متفق عليها مسبقاً نظير سداد رسوم الخدمات بصفة شهرية، وبذلك يقدم منتج تمويل السفر من ميسرة للزبائن حلاً مناسباً تمكنهم من الاستفادة من العروض السياحية الحصرية والخيارات المتنوعة من وجهات السفر، كما يغطي مصاريف السفر لأفراد العائلة»^(١).

وهذا الأسلوب في تمويل البنوك الإسلامية لخدمات السفر والسياحة جازت فقها، حيث يشتري البنك الخدمة ثم يبيعها لعملائه بالقسط بثمن أعلى ويكسب الفرق، فهذا من باب الإجازة ويجوز لدى جمهور الفقهاء «لمن استأجر شيئاً أن يؤجره لغيره سواء كانت الأجرة الثانية مساوية أم زائدة أم ناقصة»^(٢)، وجاء أيضاً «يجوز لمن

(١) www.maisarah-oman.com - ميسرة للخدمات المصرفية الإسلامية ومنتج تمويل السفر.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية - ١ / ٢٦٧.

استأجر عيناً أن يؤجرها لغير المالك بمثل الأجرة أو بأقل أو بأكثر بأجرة حالة أو مؤجلة - وهو ما يسمى التأجير من الباطن - ما لم يشترط عليه المالك الامتناع عن الإيجار للغير أو الحصول على موافقة منه^(١).

وتوجد توضيحات إضافية على هذا الأسلوب منها ما يلي:

أ- من المعروف أن محل الإجارة هو المنافع، وهي إما أن تكون منفعة أشياء أو أعيان (أصول ثابتة) أو منفعة إنسان (العمل) والخدمات هي منافع ليست قائمة على أصل ثابت فقط كما في إجارة الأعيان، ولا على عمل إنسان، وإنما ناتجة من منافع الأعيان ومنافع العمل الإنساني فهي نتاج تضافر الأصول الثابتة والمستلزمات والأعمال البشرية^(٢)، فالمسافر بالطائرة لا يستأجر الطائرة، وإنما يستأجر خدمة السفر الناتجة عن استخدام الطائرة والطيارين وطاقم الضيافة.

ب- هذه الإجارة توصف بأنها إجارة في الذمة وهي جائزة فقها حيث جاء في تعريف الإجارة بشكل عام «وهي عقد على منفعة مباحة معلومة تؤخذ شيئاً فشيئاً مدة معلومة من عين معينة أو موصوفة في الذمة، أو عمل معلوم بعوض معلوم»^(٣).

وتثار هنا شبهات يوردها البعض منها:

١- أن إجارة الموصوف في الذمة من قبيل السلم في المنافع ويشترط في السلم تعجيل الثمن حتى لا يدخل في بيع الكالئ بالكالئ، وفي تمويل السفر بإجارة

(١) البند ٣/٣ من المعيار الشرعي رقم ٩ الخاص بالإجارة.

(٢) د/ منذر قحف - أساسيات التمويل الإسلامي نشر الأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية - باليزيا ط ١ - عام ٢٠١١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) لإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان ٢/٢٨٣.

الخدمات الموصوفة في الذمة يتم تأجيل أو تقسيط الأجرة على العميل، وتعجيل الأجرة في إجارة الذمة ليس محل اتفاق حيث يوجد رأيين^(١).

أحدهما: يجوز لأنه عوض في الإجارة، فجاز تأجيله، كما لو كان على عين.

والثاني: لا يجوز، لأنه عقد على ما في الذمة فلم يجز تأجيل عوضه كالسلم.

وبما أنه ليس من أحكام الإجارة تعجيل الأجرة مطلقا، بل عند المالكية «أن الأجرة في الإجارة الأصل فيها التأجيل»^(٢) إذا فالإجارة الموصوفة في الذمة يجوز فيها تأجيل العوضين على الصحيح ولا يدخلها بيع الدين بالدين^(٣).

٢- أن البنك يبيع الخدمات التي استأجرها من موردي الخدمات السياحية قبل تملكها وقبضها منهم، مما يخالف النهي عن بيع ما لم يقبض، ويرد هنا بأن الإجارة وإن كانت مثل البيع في أوجه إلا أنها تفترق هنا لجواز إجارة الموصوف في الذمة من الأصل، أي أنه غير موجود وغير مملوك للمؤجر عند التعاقد ويؤيد ذلك ما جاء في المعايير الشرعية «يجوز أن تقع الإجارة على موصوف في الذمة وصفا منضبطا، ولو لم يكن مملوكا للمؤجر - الإجارة الموصوفة في الذمة - حيث يتفق على تسليم العين الموصوفة في موعد سريان العقد، ويراعى في ذلك إمكان تملك المؤجر لها أو صنعها»^(٤).

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد «لابن قدامة المقدسي، نشر: دار الكتب العلمية - ط ١ عام ١٤١٤ هـ.

(٢) الشرح الصغير للدردير وبهامشه حاشية الصاوي - نشر دار المعارف ١٢/٤.

(٣) أبو عمر الديبان «المعاملات المالية أصالة ومعاصرة» نشر مكتبة الملك فهد الوطنية - ط ٢، ١٤٣٢ هـ / ١٣ / ٤٠٩.

(٤) بند ٥/٣ من المعيار الشرعي رقم ٩ الخاص بالإجارة.

٣- أن من شروط وجوب الحج الاستطاعة لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١)، ومن الاستطاعة القدرة المالية الذاتية الآنية، وبالتالي ليس عليه الاستدانة من البنك للحج والسداد على أقساط، ولقد أجابت دار الإفتاء المصرية عن ذلك بالآتي «تلقت دار الإفتاء المصرية سؤالاً عن إمكانية أداء فريضة الحج بالتقسيط قائلاً: «نحن شركة تقوم بعمل العمرة بالتقسيط عن طريق البنك بضمانات منه، على أن يسدد البنك للشركة نقداً ويقسط على العميل، ويكون اتفاق الشركة مع العميل بمبلغ يزيد قليلاً عن اتفاقها مع البنك.. فهل هذا جائز؟».

وكان جواب دار الإفتاء كالآتي «من المقرر شرعاً أن ملكية نفقة الحج أو العمرة وهي المعبر عنها في الفقه بالزاد والراحلة إنما هي شرط وجوب لا شرط صحة، بمعنى أن عدم ملكية الشخص لها في وقت الحج لا يعني عدم صحة الحج، بل يعني عدم وجوبه عليه، بحيث إنه إذا لم يحج حينئذ فلا إثم عليه، أما إذا أحرم بالحج فقد لزم إتمامه، وحجه صحيح، وتسقط به عنه حجة الفريضة، وكذلك الحال في العمرة، وبناء على ما سبق، فإن الحج والعمرة بالتقسيط لا بأس به شرعاً، ولا يضر وجود فرق بين ما يدفعه البنك فعلاً وبين ما يتم الاتفاق عليه بين الشركة وبين العملاء».

رابعاً: التسهيلات المصرفية السياحية من خلال المزايا المصرفية للعملاء:

في إطار التسويق المصرفي وجذب المزيد من العملاء تقوم البنوك بشجيع المودعين وحفزهم على فتح حسابات لديهم واستمرار وتزايد الودائع واستقرارها، ومن وسائل التحفيز تقديم البنوك مزايا نقدية وعينية ومعنوية لأصحاب الحسابات، ومنها مزايا

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

في السفر والرحلات، وتتركز هذه الرحلات في البنوك الإسلامية في السياحة الدينية ممثلة في الحج والعمرة، ومن أمثلة البنوك التي تقدم جوائز الحج والعمرة^(١):

١- بنك فيصل الإسلامي المصري: الذي يقوم باستضافة ثمانين مودعا يتم اختيارهم بالقرعة من بين عملائه أصحاب حسابات الاستثمار وشهادات الادخار لأداء العمرة سنويا على نفقة البنك، شاملة تذاكر السفر بالطائرة، والإقامة، والانتقالات الداخلية، والمزارات بمكة والمدينة، وذلك توطيدا للعلاقات الطيبة بين البنك وعملاءه، على أن يؤدي العمرة أربعون منهم خلال شهر ربيع الأول بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، وأربعون آخرون خلال شهر رجب من كل عام.

٢- البنك الإسلامي العربي: الذي يقدم برنامجين لعملاء التوفير هما.

برنامج توفير العمرة: حيث يقوم البنك بمنح جائزة عمرة يوميا لعملائه من خلال برنامج توفير العمرة بمعدل حوالي ٢١ عمرة شهريا يتم اختيارهم من خلال إجراء عملية سحب. بالقرعة من بين العملاء

برنامج توفير الحج: حيث يقدم جوائز سنوية ممثلة في أداء فريضة الحج لعشرة من عملائه كل عام من خلال برنامج توفير الحج

٣- بنك أبوظبي التجاري: تقدم جوائز للعملاء في حسابات التوفير - حساب المليونير - عبارة عن عشر رحلات حج كل عام، وخمس رحلات عمرة كل ربع سنة.

(١) توجد بنوك إسلامية أخرى تقدم جوائز الحج والعمرة والإعلان عن هذه الجوائز المذكور في المواقع الإلكترونية لكل بنك.

٤- بنك البركة مصر: الذي يقدم عدة أوعية ادخارية منها شهادات الادخار بفئات وشروط مختلفة، ويجري اقتراع سنوي في شهر ديسمبر من كل عام بين أصحاب الشهادات بما قيمته خمسة آلاف جنية مصري أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية الأخرى (كحد أدنى) لأداء العمرة بشرط مرور سنة على الأقل من تاريخ الشراء في تاريخ السحب، ويتم تحديد عدد الفائزين وفقاً لنسبة مبيعات الوعاء من إجمالي الأوعية المشتركة في السحب وذلك في ضوء عدد الأفراد المحدد من جانب البنك في كل رحلة.

وإلى جانب ذلك قد يتم تقديم تسهيلات ومزايا سياحية لعملاء البنوك عن طريق طرف ثالث، وذلك بالاتفاق بين البنك مع بعض موردي الخدمات السياحية مثل الفنادق وشركات الطيران وشركات تأجير السيارات لمنح خصومات أو تخفيضات لأصحاب الحسابات الجارية والاستثمارية على مشترياتهم من السلع والخدمات، أو مزايا معنوية مثل استخدام قاعات ال VIP في المطار عند السفر ومنح نقاط تستبدل بتذاكر طيران مجانية، كما توجد منظمات عالمية تتولى هي الاتفاق مع الشركات والفنادق وشركات الطيران ومقدمي الخدمات لمنح عملاء البنوك امتيازات خاصة.

هذه لمحة عن المزايا السياحية التي تقدمها البنوك الإسلامية لعملائها من أصحاب الحسابات، وهنا يبرز تساؤل هو: ما مدى شرعية تقديم البنوك لهذه المزايا؟ يكاد يوجد اتفاق بين الهيئات الشرعية في البنوك الإسلامية وجهات الاجتهاد الجماعي الفقهي المعاصرة على جواز تقديم البنك للمزايا المصرفية بشكل عام ومنها

رحلات الحج والعمرة لأصحاب الحسابات الاستثمارية، مع الاختلاف حول تقديم الجوائز النقدية والعينية لأصحاب الحسابات الجارية حيث يمنعها الغالبية، ونورد بعضها منها في الآتي:

أ - أصدرت ندوة البركة قراراً جاء فيه: «يجوز تقديم البنك جوائز إلى أصحاب حسابات الاستثمار؛ لأنَّ أرصدة هذه الحسابات مملوكة لأصحابها، والبنك مُضاربٌ لهم فيها بحصته من الربح، على الأيَّوَدِّي مَنْح هذه الجوائز إلى ضمان رأسمال المضاربة، أو أي جزءٍ منها، كما في حالة حدوث خسارة؛ وذلك لأنَّ ضمان المضارب لرأسمال المضاربة لا يجوز شرعاً، على أن يكون دفع هذه الجوائز من أموال البنك، لا من أرباح حسابات الاستثمار؛ لأنَّ المضارب ليس له التبرُّع من أموال المضاربة» - أما بالنسبة للحسابات الجارية فجاء - «وعليه فإن الجوائز بجميع صورها التي يمنحها البنك لأصحاب هذه الحسابات محرمة شرعاً لأنها زيادة على مبلغ القرض إذا كانت مشروطة في طلب فتح الحساب أو إعلانها البنك في أثناء وجود الحساب، أو جرت عادة البنك بمنح هذه الجوائز»^(١).

ب - فتوى المستشار الشرعي للبنك الإسلامي الأردني «لا مانع من توزيع جوائز نقدية أو عينية مثل توزيع كتب أو تحمل نفقات عمرة أو حج أو نحوها على عملاء البنك من أصحاب الحسابات الاستثمارية، لأن ذلك من قبيل الهبة سواء كان لجميع العملاء أو لبعضهم طبقاً لمواصفات معينة»^(٢).

(١) قرارات وتوصيات ندوة البركة الثالثة والعشرين ١٤٢٤هـ، - ٢٠٠٣م.

(٢) نقلاً عن: د/ محمد عثمان شبير: «أحكام المسابقات المعاصرة في ضوء الفقه الإسلامي» بحث مقدم للدورة الرابعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ٢٠١٣م ص ٣١.

ج- أما الفتاوى في بيت التمويل الكويتي فتجيز منح الجوائز لجميع العملاء.

السؤال: هل هناك من حرج شرعي في الإعلان عن منح بعض الهدايا مثل محفظة جلدية لدفتر الشيكات أو تقديم هدية مجانية للعميل مثل السماح له باستخدام صندوق حديدي للأمانات في حين نتقاضى مقابل الخدمة رسوماً في العادة، أو إعطاء العميل بطاقة موقف مجانية أو إجراء قرعة لتذاكر سفر وإقامة لأداء العمرة وذلك لأصحاب الحسابات الجارية التي تكون أرصدها تزيد عن مبلغ معين؟

الجواب: «لا مانع من الناحية الشرعية في الإعلان عن منح بعض الهدايا لأصحاب الحسابات الجارية التي تكون أرصدها تزيد عن مبلغ معين على أن لا يكون ذلك مشروطاً ولا ملحوظاً عند فتح الحساب ويكون ذلك من قبيل حسن المعاملة الذي ندب إليه الرسول ﷺ بقوله (ما معناه) إن الله يحب عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى»^(١).

د- أما عن المزايا السياحية التي تقيمها جهات أخرى بوساطة البنك في جائزة حسبها ورد الرد على تساؤل: لمجموعة التسويق بينك البلاد عن الترتيب مع بعض الجهات الخارجية مثل الفنادق وشركات تأجير السيارات وغيرها لتقديم بعض المزايا التي يحصل عليها عملاء البنك أثناء تعاملهم مع تلك الجهات من خلال الحصول على خصومات أو عروض خاصة لهم. وكان قرار الهيئة الشرعية «جواز أن يقوم البنك بدور الوساطة بين عملائه والجهات الأخرى في تقديم عروض وتخفيضات لعملاء البنك.... بشروط منها: أن تكون

(١) بيت التمويل الكويتي «الفتاوى الشرعية في المسائل الاقتصادية» - الفتوى رقم ٤٧٥.

العروض على سلع وخدمات مباحة، وألا يقدم البنك أي مبالغ لتلك الجهات مقابل الخدمات»^(١).

خامسا: التسهيلات المصرفية السياحية من خلال بطاقات الائتمان:

من الخدمات المصرفية التي تقدمها جميع البنوك إصدار والتعامل ببطاقات الائتمان، وهي بطاقة تصدرها وتشرف عليها مؤسسات عالمية وتشترك فيها البنوك في كل أنحاء العالم وتمثل تعهدا للتجار ومقدمي الخدمات من البنك المصدر بالدفع لهم قيمة ما يشتره منهم حملة البطاقات الذين يدفعون للبنك مستحققاته بعد فترة ائتمان قصيرة، والبنك يكسب رسوم إصدار البطاقات وتجديدها والعمولة التي يحصل عليها من التجار^(٢).

وهذه البطاقات لها مزايا عديدة وتحقق فوائد لكل المتعاملين بها، وتعتبر المزايا التي تحققه للسفر والسياحة أهم هذه المزايا حيث تحقق لحاملها تسهيلات ائتمانية وغير ائتمانية عديدة منها ما يلي:

١- قبول البطاقة لدى التجار في جميع أنحاء العالم، وتشير الإحصاءات إلى أن أشهر نوعين من البطاقات وهما بطاقة فيزا وبطاقة ماستر كارد تقبلان في حوالي ٣٠ مليون نقطة بيع إلكترونية وأكثر من ٩٠٠٠٠٠٠ جهاز صرف آلي حول العالم.

(١) قرار الهيئة الشرعية لبنك البلاد رقم ٦٧ عام ١٤٢٦ هـ، والضابط الشرعي للبنك رقم ٣٧٧.
(٢) د/ محمد عبد الحليم عمر «الإطار الشرعي والمصرفي والمحاسبي لبطاقات الائتمان نشر مؤسسة مانتراك» عام ١٩٩٧ م.

٢- منح ائتمان مجاني قصير الأجل لحملة البطاقات غير المغطاة من نوع بطاقة الخصم الشهري (charge card) يتراوح بين ٣٠ و ٥٥ يوم وهي الفترة ما بين الشراء بالبطاقة والتسديد للبنك، وائتمان لمدة أطول من ذلك لبطاقة الائتمان القرضية من نوع (credit card).

٣- يكسب حامل البطاقة عددا من النقاط التي تتيح له استبدالها بعدد من أميال الطيران أو مبالغ للشراء، فعلى سبيل المثال، في بعض البنوك في الإمارات يكسب العميل ميل واحد طيران عن كل درهم واحد ينفقه بالبطاقة، وفي مصر ميل عن كل ٦ جنيه، وفي السعودية ميل عن كل ٥ ريال.

٤- إمكانية الحصول على خدمة الاستقبال والترحيب والتوصيل من وإلى المطار عند السفر.

٥- إتاحة الدخول المجاني إلى صالات المطارات والانتظارات في الاستراحات المخصصة للدرجة الأولى ودرجة رجال الأعمال بغض النظر عن درجة تذكرة السفر، وتناول واجبات الضيافة مجانا.

٦- تتيح البطاقة لحاملها الحصول على خصومات على العديد من السلع والخدمات منها على سبيل المثال:

- خصم حوالي ١٠٪ على تذاكر سفر الرحلات الجوية الدولية ذهابا وإيابا.

- خصم على الشحن الجوي للأغراض المصاحبة.

- خصم على الفحوصات الطبية.

- خصومات على السكن في الفنادق في صورة ليلة مجانية، أو حتى ١٥٪ على الشقق الفندقية.

- خصم حتى ١٥٪ على استئجار السيارات.

- خصومات على المشتريات من السلع والخدمات والمطاعم والوقود تتراوح بين ٥ - ١٠٪.

- التأمين على مخاطر السفر مثل: التأمين الطبي، التأمين على فقد الأمتعة ...

ومن المعروف أن حامل البطاقة أو البنك المصدر لا يدفعون لمقدمي هذه الخدمات أية مبالغ ولكنها تتم بالاتفاق بين المنظمة المنشئة للبطاقة مثل منظمة فيزا أو ماستر كارد والجهات المقدمة للخدمات من باب التسويق والترويج للبطاقات والخدمات نفسها.

ولقد أجاز الاجتهاد الفقهي المعاصر هذه المزايا ومن القرارات الصادرة في ذلك ما يلي:

أ- قرار صادر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي: «بطاقات الفنادق وشركات الطيران والمؤسسات التي تمنح نقاطاً تجلبُ منافع مباحة، جائزة إذا كانت مجّانية (بغير عوض)، وأما إذا كانت بعوضٍ فإنها غيرُ جائزة لما فيها من الغرر»^(١).

ب- جاء في المعايير الشرعية «الجوائز بالنقاط: هي أن تقدّم جهة لعملائها نقاطاً مقابل شراء سلع أو خدمات منها أو من الجهات التابعة لها، أو المتعاقدة معها، وتتيح لهم أن يستبدلوا بهذه النقاط سلعا أو خدمات مجّانا، أو بتخفيض

(١) مجمع الفقه الإسلامي الدولي - قرار رقم ١٢٧ (١٤/١) بشأن بطاقات المسابقات - البند ثامنا.

وفق شروط محددة، مثل برامج العضوية التي تقدمها الفنادق، وشركات الطيران، وشركات الاتصالات.

حكمها: إذا كانت بغير رسم فهي جائزة؛ لأنها تبرع، وأما إذا كانت برسم وهي مشتملة على منافع وخدمات متقومة شرعاً فهي جائزة^(١).

ج- فتوى صادرة عن دار الإفتاء العام الأردنية، رداً على تساؤل هو: عند استخدام بطاقة «فيزا كارد» يحتسب البنك نقاطاً، وهذه النقاط تتحول إلى قيمة نقدية يمكن أن تُستعمل للذهاب إلى فندق أو استبدالها بأجهزة كهربائية، أو بطاقة سفر، فما الحكم الشرعي في ذلك؟

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله:

النقاط الممنوحة للمستهلك تُعتبر حوافز تشجيعية للزبائن والعملاء على استخدام بعض المنتجات أو الخدمات، كتذاكر السفر وبطاقات الصراف الآلي وبطاقات الائتمان، وغير ذلك.

أما من الناحية الفقهية فإن حوافز بطاقات الائتمان تنبني على تكييف العلاقة بين مصدر البطاقة والعميل، والتي إما أن تكون قرضاً وإما أن تكون كفالة، وفي كلا الحالتين يمكن اعتبار هذه الجوائز تبرعاً من المصدر - سواءً أكان مقرضاً أم كفيلاً - ولا محذور فيها، وبالتالي فيكون حكمها الجواز بشروط وهي:

أولاً: أن يكون التعامل بالبطاقة صحيحاً شرعاً، فلا يصح أخذ حوافز على استخدام بطاقات ربوية.

(١) المعيار الشرعي رقم ٥٥ بخصوص المسابقات والجوائز - بند ٣/٦/٢/٢.

ثانياً: أن تكون منفعة الحوافز مباحة شرعاً، فلا يجوز تقديم حوافز تحرمها الشريعة الإسلامية، كالتأمين التقليدي، والهدايا المحرمة، والدخول إلى الأماكن المحظورة.

ثالثاً: ألا يستوفى عمولات من العميل مقابل هذه الحوافز؛ لأن استيفاء عمولات مقابل حوافز قمار وغرر.

رابعاً: أن يكون الحافز متبرعاً به؛ فلا يصح رفع ثمن العين عن المعتاد لأجل الحافز؛ دفعاً للقمار والغرر.

وعليه، فإن توافرت الشروط السابقة في حوافز بطاقة الائتمان وتذاكر السفر جاز الانتفاع بها شرعاً، وإلا فلا. والله تعالى أعلم^(١).

هذا ما تيسر لي حول موضوع التسهيلات المصرفية الإسلامية والقطاع السياحي أمل أن يكون مقبولاً.

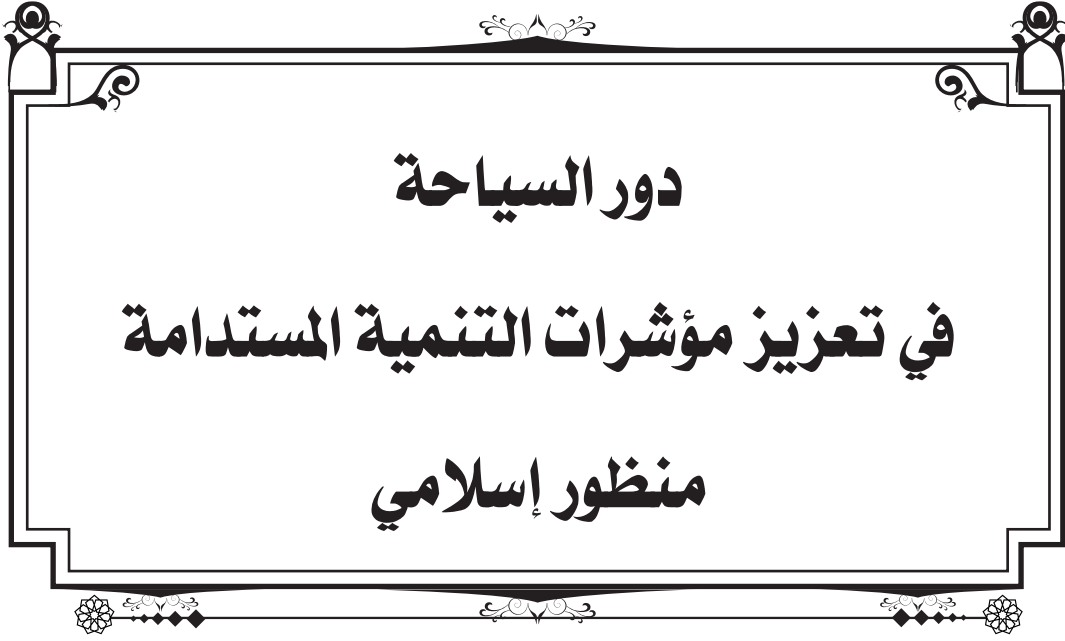
والحمد لله رب العالمين.



(١) دار الإفتاء العام الأردنية فتوى رم ٢٩٦٦ عام ٢٠١٤م عن تساؤل: حكم النقاط الممنوحة للمستهلك عند استخدام بطاقة الائتمان.



منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي 2018 م



إعداد

أ. د. هيثم عبدالله سلمان

كلية الإدارة الصناعية - جامعة البصرة للنفط والغاز

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

تُعد السياحة نشاطاً اقتصادياً بالغ الأهمية، وتسهم في تحقيق أهم مؤشرات التنمية المستدامة فهي: تحافظ على الثروة للأجيال القادمة من خلال استثمار مقومات البيئة الطبيعية والبشرية أولاً، وتحافظ على البيئة من خلال أنها صناعة من دون دخان، فضلاً عن أنها نهر من ذهب لا ينضب ثانياً، وتساهم في عدالة توزيع الدخل والفرص معاً من خلال تجارتها غير المنظورة وصناعاتها التصديرية، فضلاً عن أنها توفر فرص عمل كثيرة ومتنوعة لمن يرغبون في العمل وبغض النظر عن المهارات التي يمتلكونها ثالثاً، ومن ثم فإنها وبفعل إحداثها لسلسلة من الانعكاسات والآثار الإيجابية على مختلف القطاعات الاقتصادية فهي تسهم في تحقيق فائض في الحساب الجاري ومن ثم في ميزان المدفوعات، من خلال تدفق العملات الأجنبية من الخارج، وزيادة الاستثمار الأجنبي المباشر وغير المباشر، وتسهم في توفير فرص العمل لكثير من العمالة العاطلة، فضلاً عن أنها تسهم في تشجيع الصناعات التقليدية والشعبية.

وقد جرى التركيز على مفهوم التنمية المستدامة من منظور النظام الإسلامي ومقارنته مع النظامين الاشتراكي والرأسمالي، ومن ثم معرفة مكان من الضعف والقوة في التجارب التنموية المستدامة بقطاع السياحة في بعض الدول الإسلامية، من خلال دراسة وتحليل تجاربها التنموية من المنظورين كسائح أولاً وكباحث ثانياً.

أهمية البحث:

تأتي من أهمية ما تتميز به صناعة السياحة عن بقية الصناعات الأخرى على أن وعائها تطور ليشمل فئات مجتمعية أوسع، فبعد أن كانت صناعة كمالية ترتادها الطبقة الغنية فقط أصبحت الآن صناعة ضرورية ترتادها الطبقة متوسطة الدخل أيضاً، وهذا يعكس المردود المالي الكبير، فضلاً عن أنها صناعة تتميز بمدخلات ومخرجات صديقة للبيئة.

مشكلة البحث:

تنبع المشكلة من أن صناعة السياحة بحسب المنظور الإسلامي من الصناعات ذات المرونة العالية اتجاه الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية، ومن ثم فإن عدم التحكم والسيطرة على تلك الظروف ستجعل السياحة في مهب الريح.

فرضية البحث:

استند البحث على فرضية مفادها أن طلب المتعة والتمتع بالمباحات والانتفاع بالنعم التي وهبها الله تعالى وسخرها للإنسان ستعزز مؤشرات التنمية المستدامة من المنظور الإسلامي، ومن ثم فإن تنمية السياحة الإسلامية تتطلب تنمية مقوماتها.

هدف البحث:

١- يهدف البحث إلى تحقيق الغايات الآتية:

٢- التعرف على المقومات السياحية لبعض الدول الإسلامية وكيفية تطويرها.

٣- تحليل مؤشر السياحة والسفر في بعض الدول الإسلامية.

٤- دراسة معدلات نمو النشاط السياحي في بعض الدول الإسلامية وعلاقتها بالتنمية المستدامة.

الإجابة عن السؤال الآتي: هل بالإمكان الإفادة من التجارب بعض الدول الإسلامية لتنمية النشاطات السياحية في دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى.



المبحث الأول

الإطار المفاهيمي للسياحة

أولاً: مفهوم السياحة:

على الرغم من تعدد تعريفات السياحة باختلاف الخلفية العلمية والثقافية لمريديها، إلا أن مفهوم السياحة تشابه إلى حد كبير عملية انتقال من مكان إلى آخر بهدف الترفيه والاستجمام، وتمثل السياحة في تعريف فولر الألماني بأنها: ظاهرة من ظواهر العصر تنبثق من الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة والاستجمام وتغيير الجو والإحساس بجمال الطبيعة وتذوقها والشعور بالبهجة والمتعة من الإقامة في مناطق ذات طبيعة خاصة^(١)، وقد عرفت السياحة على أنها: السفر والإقامة خارج مكان دولة الأم لمدة مؤقتة ولأسباب عدة منها الترفيه والتعرف على العالم الخارجي، وتغيير الأجواء الحياتية المعتادة، أما بحسب تعريف منظمة السياحة العالمية، فتعرف السياحة على أنها: نشاطات الأفراد الذين يسافرون من مواطنهم ويقيمون في أماكن خارج المكان الدائم والمعتاد لإقامتهم لمدة لا تتجاوز السنة لأجل الترفيه، والأعمال وأداء مهام أخرى^(٢)، ومن أهم مسميات السياحة هي: الصناعة من دون دخان، ونهر من ذهب لا ينضب، والتجارة غير منظورة، والصناعة تصديرية، والذهب

(١) وفاء زكي إبراهيم، دور السياحة في التنمية الاجتماعية: دراسة تقويمية للقرى السياحية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٧١.

(٢) نيل دبور، وآخرون، السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الآفاق والتحديات ٢٠١٣، تحرير: صافاش الباي، منظمة التعاون الإسلامي، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، أنقرة، ٢٠١٣، ص ١.

<http://www.sesric.org/files/article/473.pdf>

الأزرق، ومن أهم ما يميز صناعة السياحة عن الصناعات الأخرى أنها صناعة كمالية وضرورية في آن واحد، أي أن معظم روادها من الفئات الغنية ومتوسطة الدخل، وهذا يعكس المردود المادي الكبير. وأهم ما يميز نشاط السياحة عن باقي النشاطات الاقتصادية أنها تحقق مؤشرات التنمية المستدامة من خلال نشاطها الصديق للبيئة، فضلاً عن أنها يمكن رفع إنتاجية العناصر المستخدمة فيها وهما: عنصري العمل ورأس المال بسهولة جداً من خلال جودة تقديم الخدمات للمصطافين، ويمكن تصنيف أنواع المواقع السياحية على النحو الآتي:

- المواقع السياحة الجماهيرية التي يرتادها معظم الناس ومن أهمها السياحة الدينية والأثرية والتاريخية.
- المواقع السياحية الفئوية ومن أهمها السياحة البيئية التي يرتادها الباحثون والدارسون والعلماء لإنجاز بحوثهم العلمية وأخذ العينات لمختبراتهم العلمية.
- المواقع سياحية محلية التي يرتادها المواطنون المحليون ومن أهمها المنتزهات والحدائق العامة ودور السينما والمسارح وغيرها.
- المواقع السياحية العلمية التي يرتادها الباحثون والعلماء من خلال المشاركة في المؤتمرات والندوات الدولية والتي تمثلها الكليات والمراكز البحثية والمنظمات الدولية.
- المواقع السياحية الطبية والعلاجية والتي تمثلها المستشفيات والعيون والينابيع المعدنية وغيرها.

- المواقع السياحية الفنية والأدبية والعلمية والتي تمثلها المهرجانات السنوية الفنية والتسويقية ومعارض الكتب والأفلام والمسابقات والجوائز.
- المواقع السياحية الرياضية التي يرتادها محبو الرياضة والتي تمثلها الملاعب الرياضية والقاعات والساحات.
- المواقع السياحية الموسمية التي يرتادها هواة الصيد والتي تمثلها الصحاري والبراري.
- المواقع السياحية البحرية التي يرتادها هواة الغوص واكتشاف الأعماق والتمتع بالمشاهدة الشعب المرجانية.

ثانياً: الأهمية الاقتصادية للسياحة:

لقد اتسعت الأهمية الاقتصادية للسياحة بشكل كبير خلال السنوات العشر الأخيرة؛ وذلك لتمكّنها لأن تكون واحدة من القطاعات الاقتصادية المهمة التي اعتمدت عليها بعض الاقتصادات لتمويل الموازنة المالية العامة. فبعد أن كانت خدمة السياحة تسعى لتقييم الخدمات الترفيهية والترفيهية وغيرها، أضحت السياحة اليوم صناعة متكاملة تتضمن التخطيط والاستثمار والتشييد والتسويق والترويج، فهي يمكن أن نطلق عليها صناعة متعددة المراحل تتفاعل مع بل تعتمد على قطاعات الاقتصاد الأخرى، ومن ثم تُعد عاملاً مساعداً لعملية التنمية الاقتصادية لاسيما في مجال اعتمادها على البنية التحتية للاقتصاد^(١)، ويمكن إرجاع تلك الأهمية إلى

(١) د. أحمد عارف العساف، د. محمود حسين الوادي، اقتصاديات الوطن العربي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠١٠، ص ١٦٧.

أن وعاء السياحة تطور ليشمل فئات مجتمعية أوسع، فبعد أن كانت صناعة كمالية ترتادها الطبقة الغنية فقط أصبحت الآن صناعة ضرورية ترتادها الطبقة متوسطة الدخل أيضاً، وهذا يعكس المردود المالي الكبير، فضلاً عن أنها صناعة تتميز بمدخلات ومخرجات صديقة للبيئة، ويمكن حصر الأهمية الاقتصادية للسياحة من خلال الآتي:

- تسهم صناعة السياحة بتوفير فرص عمل كثيرة لما تتميز به صناعة السياحة بأنها سياحة كثيفة العمل، ومن ثم فإنها تسهم في خفض معدل البطالة.
- تعمل على تحفيز الاستثمار في مرافق الجذب السياحي وخدماته.
- تسهم في تحفيز الاستثمار الأخضر في المرافق السياحية بما يحقق التوازن البيئي عند ممارسة النشاطات السياحية^(١).
- تسهم أيضاً في تحسين ميزان المدفوعات من خلال تحسين حساب رأس المال.
- تسهم في تطوير الحرف الشعبية والتقليدية والمهارات.
- تسهم في التبادل الثقافي بين الشعوب ونشر رسالة السلام والتعايش السلمي، ومن ثم تحقيق الأمن الاقتصادي.
- تسهم في التنويع الاقتصادي من خلال إيراداتها المالية وبالعملة الأجنبية.



(١) سالم حميد سالم، طارق سلمان، الأصالة التفاعلية بين السياحة والبيئة المستدامة، المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، العدد (٢)، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ٨٧.

المبحث الثاني

مفهوم التنمية المستدامة وفق المنظور الإسلامي

قبل البدء بتسليط الضوء على مفهوم التنمية المستدامة وفق منظور النظام الإسلامي، لابد أولاً من توضيح موقف النظام الاشتراكي والرأسمالي من التنمية المستدامة؛ وذلك لبيان أهمية المنظور الإسلامي لشرح وتفسير المصطلحات الاقتصادية والتنموية.

فلقد اختلف النظامان الاقتصاديان الاشتراكي والرأسمالي في مواقفهما اتجاه مفهوم التنمية المستدامة عما هو عليه النظام الإسلامي؛ فقد رأى النظام الاشتراكي الذي اعتمد أثناء عملية تقييم المشاريع احتساب القيمة الحقيقية لموارد المشروع وتكاليفه، فضلاً عن الآثار غير المباشرة المتمثلة بشقيها الإيجابي والسلبي التي من أهمها التلوث البيئي؛ نتيجة لمنظوره الاقتصادي على حماية الموارد الطبيعية وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال الملكية العامة، ومن ثم المحافظة بشكل عام على الثروة للأجيال القادمة.

أما رؤى النظام الرأسمالي الذي اعتمد في أثناء تقييم المشاريع احتساب القيمة الاسمية وتكاليفها فقط دون الآثار غير المباشرة، ومن ثم النظر إلى الربحية التجارية؛ نتيجة لمنظوره الاقتصادي على تحقيق الربح وحرية النشاط الاقتصادي بهدف تحقيق آلية السوق من خلال الملكية الخاصة وتملك العالم تملكاً وحشياً، وهو الصيغة المعاصرة للاستعباد المفرط ووضع المصادر الطبيعية تحت سلطته

المباشرة، على ما بينته الاستثمارات الاستعمارية^(١)، وهذا ما ذكره (اويستن دال) Astin. D الرئيس السابق لشركة أسو Iso Company في النرويج وبحر الشمال حينما قال: «لقد انهارت الاشتراكية لأنها لم تسمح للأسعار أن تبين الحقيقة الاقتصادية وإنما غالت بها كثيراً، وقد تنهار الرأسمالية كذلك لأنها لا تسمح للأسعار بأن تبين الحقيقة البيئية»^(٢).

في حين رأى منظرو النظام الإسلامي الذي اعتمد أثناء تقييمه للمشاريع احتساب القيم التي يمكن أن يوفرها للمجتمع ككل؛ نتيجة لمنظورة الاقتصادي الشامل في المحافظة على الموارد وحمايتها وتحقيق العدالة الإلهية من خلال مبدأ الملكية المزدوجة والحرية الاقتصادية في نطاق محدود والعدالة الاجتماعية^(٣).

إن أهم ما تهتم به التنمية المستدامة هي حماية البيئة من التلوث ويمكن إسقاط ذلك على النظم الاقتصادية لبيان مدى انسجامها معها، ويمكن قياس التأثير على البيئة من خلال المعادلة التي صاغها (بول ارلخ) Paul Ralph Ehrlich في كتابه شفاء الكوكب Healing the Planet وهي^(٤):

(١) اينياسيو رامونيه، حروب القرن الواحد والعشرين: مخاوف ومخاطر جديدة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٩٧.

(٢) ليستر آر. براون، اقتصاد البيئة: اقتصاد جديد لكوكب الأرض، ترجمة: أحمد أمين الجمل، الطبعة الأولى، معهد سياسات كوكب الأرض، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٤.

(٣) محمد باقر الصدر، اقتصادنا، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٩٩٦، ص ٢٨١.

(٤) يوسف الفضل، الإنسان والبيئة بين الحضارة الغربية والإسلام، الطبعة الأولى، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٧٥.

$$I = (P \times A \times T)$$

حيث إن:

I: يمثل تأثير الإنسان على البيئة Impact

P: يمثل عدد السكان Population

A: يمثل الثروة Affluence

T: يمثل المستوى التكنولوجي Technology

ولعل إضافة متغير جديد للمعادلة الذي يشكل عنصراً معاكساً للاستهلاك وهو الجانب الحضاري قد يكون نافعاً ليعكس نوع النظام الاقتصادي السائد. وهكذا يمكن تطوير المعادلة السابقة لتصبح على النحو الآتي:

$$I = (P \times A \times T) / C$$

حيث إن:

C: تمثل الحضارة Culture

وقد ذكر (جوزيف تينتر) Joseph Tainter في كتابه «انهيار الحضارات المركبة»: أن معظم الحضارات السابقة قد انهارت بسبب سوء إدارة النظم البيئية. فمثلاً انهارت الحضارة السومرية بسبب الخطأ البيئي في تصميم نظام الري حينذاك، ومن ثم زيادة ملوحة الأرض. وانهارت حضارة المايا بفشل توريد الغذاء، ومن ثم تحات التربة. وانهارت حضارة جزيرة أيستر في غرب أمريكا الجنوبية بسبب القطع

الجائر للغابات لبناء القوارب البحرية، ومن ثم انهيار موارد الطعام البحري^(١)، حيث يمثله حالياً النظام الاقتصادي السائد، ويمكن أن تأخذ قيمة محددة أكبر من الصفر.

ففي النظام الرأسمالي تأخذ قيمة C أقل من الواحد الصحيح؛ وذلك لتركز النظام على السيطرة على الطبيعة بهدف تعظيم الأرباح. أما النظام الاشتراكي فتأخذ قيمة C الواحد الصحيح؛ وذلك لتبني النظام مبدأ الملكية العامة، بقصد المحافظة على الموارد الاقتصادية. في حين جاوزت قيمة C الواحد الصحيح في النظام الإسلامي؛ وذلك لأن أهم القواعد الفقهية المتعلقة بالبيئة هي «لا ضرر ولا ضرار» وهذه القاعدة هي نص حديث شريف للرسول ﷺ، والضرر يعني إلحاق مفسدة بالغير، أما الضرر فهو مقابلة الضرر بالضرر، وهذا يُعد أساساً يستند إليه في جلب المصالح ودرء المفاسد، وعلاقته بحماية البيئة واضحة جداً^(٢). ومن أهم المقاييس الأخلاقية التي تحدد سلوك الإنسان تجاه البيئة هي التي حددها (دانيال د. جارس) Daniel D Chiras في كتابه العلم البيئي Environmental Science بمقياسين هما^(٣):

- المقياس الأول يدعى أخلاق الجبهة Frontier Ethic ومن أهم

خصائصه هي:

- (١) لمزيد من المعلومات راجع: ليستر آر. براون، اقتصاد البيئة: اقتصاد جديد لكوكب الأرض، ترجمة: أحمد أمين الجمل، الطبعة الأولى، معهد سياسات كوكب الأرض، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.
- (٢) د. محمد جبر الألفي، البيئة والمحافظة عليها في الإسلام، مجلة رسالة التقريب، العدد (٧٩)، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ٢٠١٠، ص ١١٨.
- (٣) يوسف الفضل، مصدر سابق، ص ٩١.

- ١- أن الأرض تحتوي على موارد طبيعية لا محدودة وهي مكرسة لخدمة الإنسان.
- ٢- أن الإنسان لا يخضع لقوانين الطبيعة وهو متميز عنها.
- ٣- أن نجاح الإنسان يتحقق من خلال قهر الطبيعة والسيطرة عليها.
- المقياس الثاني فهو أخلاق البيئة المستدامة وهو يمتاز بالخصائص الآتية:
- ١- أن الأرض تحتوي على موارد طبيعية محدودة وهي ليست كلها خاصة بنا، بل يشترك معنا فيها الأحياء الأخرى من الحيوان والنبات.
- ٢- أن الإنسان جزء من الطبيعة وهو يخضع لقوانينها.
- ٣- أن نجاح الإنسان يعتمد على درجة انسجام جهوده مع قوى الطبيعة.
- ومما سبق يتبين أن كلا النظامين الاشتراكي والرأسمالي قد أهملتا التنمية المستدامة ضمن الخصائص التي يتمتع بها كل نظام على حده وتبنيهاا للمقياس الأول. فالنظام الاشتراكي عول كثيراً على الملكية العامة وتحقيق العدالة الاجتماعية، ووقع في فخ هدر الثروات الطبيعية واستنزافها تحت ذريعة تحقيق توزيع عادل للثروة. أما النظام الرأسمالي فلم يوفق كذلك في تحقيق التنمية المستدامة، ففي المفهوم الليبرالي أن قوانين السوق وتنظيم الطلب والعرض تبدو غير قادرة على حل تنظيم الموارد الطبيعية مما أدى إلى نشوء مفهوم «المخرجات الاقتصادية» التي يفترض أن تحدد العوامل الاقتصادية خارج السوق^(١). فعلى سبيل المثال تسهم الدول المتقدمة كثيراً

(١) هيرف درميناخ، ميشال بيكوية، السكان والبيئة، تعريب: جورجيت الحداد، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٢.

في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، لذا من الضروري المحافظة على غابات الدول النامية التي تساهم كثيراً في امتصاص ذلك التلوث، مما يطرح مشكلة تعويضات مالية محتملة. وبحسب الأيدولوجيا الليبرالية أن الدول المنتجة للمخرجات السلبية من المفترض أن تتحمل التكاليف، والدول المنتجة للمخرجات الإيجابية أن تتلقى الأرباح. ومن أجل هذا يجب أن تقوم الدول بتنظيمه وهذا ينافي بطبيعته مبدأ التنظيم الحر الذي ينادي به^(١)، ومن ثم فقد عرفت التنمية المستدامة بحسب تقرير برونتلاند على أنها التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر من دون الإخلال بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتها^(٢).

في حين نظر النظام الإسلامي إلى التنمية أبعد مما توخته التنمية المستدامة ذاتها، إذ تبنى المقياس الثاني المنسجم مع الأخلاق البيئية، فضلاً عن إعطاء البيئة بعدين مكانياً وزمانياً. فهو مفهوم مختلف عما هو عليه الفكر الوضعي (الأيدولوجيا الاشتراكية والرأسمالية) الذي اقتصر على البعد المكاني فقط، إذ نظر الفكر الإسلامي إلى البيئة ضمن نشاط الإنسان في إطار استيعاب تجارب الأجيال التي سبقتة. فتسخير السماوات والأرض وما بينهما للإنسان كبيئة مكانية، وإن الحفاظ عليها هو شرط الحياة السليمة التي جاء بها الإسلام للإنسان. أما البعد الزماني فيتمثل في الانصراف إلى التأمل الواعي في مصائر السابقين من الأجيال ويستهدف عدم

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢) الأسكوا، تطبيق مؤشرات التنمية المستدامة في بلدان الأسكوا: تحليل النتائج، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠١، ص ٤.

الوقوع في أخطائهم والوقوف عند الحدود التي وضعت للإنسان^(١). وبحسب المفهوم الاجتماعي البيئي أن الإرادة السماوية هي التي تحكم المحافظة على الموارد الطبيعية، أي بمعنى ضرورة تبني النظام الإسلامي لتحقيق التنمية المستدامة لكونه النظام الأمثل الذي تحيا به كل مكونات النظام البيئي الكوني في أمن وسلام؛ نتيجة تبنيه الأسس العلمية الصحيحة التي لا تقبل الشك وبلغت حالات اليقين. ومن ثم فقد عرف التنمية المستدامة بأنها: طلب عمارة الأرض والتمسك بعقيدة الإسلام - عقيدة التوحيد والربوبية والاستخلاف - في طلب عمارة الأرض وفق شرع الله بالقيام بالنشاط الإنتاجي المفضي للكسب الحلال في مناخ اقتصادي واجتماعي يتوفر فيه الإيمان والتقوى وسيادة القيم الإسلامية، وتجنب الحرام والاستغفار من ارتكابه، مما يرسل السماء مدراراً ويزيد المال والبنين والزرع والماء، فيحقق الكفاية والحياة الطيبة لإفراد المجتمع رجالاً ونساءً وشباباً وطلاباً^(٢).



(١) أسامة عبد المجيد العاني، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، دراسات إستراتيجية، العدد (٧٠)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٢، ص ٣٣.

(٢) د. صليحة عشي، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، الملتقى الدولي حول مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قلمة يومي ٣ - ٤ ديسمبر ٢٠١٢، الجزائر، ٢٠١٢، ص ١٤٦.

<http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/201309//%D88%9%A.pdf>

المبحث الثالث

تحليل مؤشرات التنمية السياحية المستدامة في بعض الدول الإسلامية

أولاً: واقع السياحة في بعض الدول الإسلامية:

بالرغم من ظهور أسواق سياحية جديدة في جميع أنحاء العالم، ولاسيما في جنوب آسيا وشرقها والقريبة من البلاد العربية وتمتعها بمعدلات نمو سريعة^(١)؛ بيد أن السياحة في البلاد العربية والإسلامية ظلت ضعيفة بالرغم من تمتعها بميزة نسبية من حيث جذب السياح لاسيما من حيث المقومات السياحية ومن أهمها: المواقع السياحية الثقافية والحضارية وغيرها، وأسعارها المنخفضة إلا أن نصيبها من السياحة العالمية ما يزال أدنى بكثير من إمكاناتها، لأن قطاع السياحة في هذه البلدان ما يزال يواجه قيوداً كبيرة منها قلة الاستثمارات في البنية التحتية والخدمات الأساسية ونقص الكوادر البشرية المتخصصة والمؤهلة، والأهم من ذلك الافتقار إلى سياسة موجهة لتنمية السياحة وتسويقها^(٢)، فضلاً عن تأثيرها بالتطورات السياسية السائدة في المنطقة، ولاسيما عند اندلاع النزاعات والصراعات، إذ أن نشوب مثل هذه المشكلات يستمر لمدد طويلة فتؤدي بالنتيجة إلى جنوح السياح إلى الاقتراب لمثل هذه المناطق والدول حتى بعد انتهاء مشكلاتها.

(١) د. أحمد عارف العساف، د. محمود حسين الوادي، مصدر سابق، ص ١٦٩.

(٢) هاني نوال، تنافسية القطاع السياحي في الدول العربية، مجلة الباحث، العدد (١٣)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٣، ص ٧٨.

١ - مؤشر عدد السائحين:

من ملاحظة بيانات الجدول رقم (١) يتبين أن هناك تفاوت كبير بين أعداد السائحين في البلاد العربية، إذ تركز في السعودية ومصر والمغرب والإمارات، ويمكن إرجاع تركز السائحين في السعودية بسبب السياحة الدينية والأثرية من خلال أداء مناسك الحج والعمرة، فضلاً عن زيارة المواقع الأثرية والتاريخية المنتشرة في عموم المملكة. في حين ترجع أسباب تركز السياحة في مصر إلى تمتع الأراضي المصرية باحتوائها على مواقع وأماكن فريدة من نوعها ومن بينها الأهرامات وغيرها. أما تركزها في المغرب فترجع إلى أسباب عدة من أهمها البيئة الطبيعية الخلابة وتوفر البنية التحتية والفوقية لازدهار السياحة، فضلاً عن تمتعها بكثير المواقع الأثرية والتاريخية والثقافية ومن بينها مغارة هيرقل وغيرها الكثير. أما تركزها في الإمارات فترجع إلى الاهتمام بالبنية التحتية والقيام باستثمارات سياحية كبيرة، وامتلاكها اقتصاداً حديثاً ومتطوراً مكنها من استقبال عدد سياح يفوق بكثير عدد سكانها^(١)، فضلاً عن كونها مركزاً تجارياً عالمياً وتحتضن بعض المنظمات الدولية ومن بينها الوكالة الدولية للطاقة المتجددة (أيرينا).

أما في البلاد الإسلامية فقد تمتعت تركيا بمركز الصدارة، إذ ارتفع أعداد سائحيها من ٢٢٢٤٨ سائح عام ٢٠٠٧ إلى ٣٩٤٧٨ سائح عام ٢٠١٥، ويمكن إرجاع ازدهار السياحة في تركيا لموقعها الجغرافي المميز بين قارتي آسيا وأوروبا، فضلاً عن تمتعها بالمواقع الأثرية والتاريخية والثقافية.

(١) د. فيصل شياد، تنمية السياحة العربية البينية: العقبات والحلول، مجلة رؤى إستراتيجية، العدد (٦)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠١٤، ص ٥٤.

الجدول رقم (١)

تطور أعداد السائحين في بعض الدول العربية والإسلامية (بالآلاف)

الدولة	٢٠٠٧	٢٠١١	٢٠١٥
الإمارات	*٧١٢٦	٨١٢٩	١٤٢٠٠
البحرين	٤٩٣٥	**١٠٠٢	١٢٠٠
السعودية	١١٥٣١	١٧٤٩٨	١٧٩٩٤
عمان	١١٨٢	٩٠٥	١٨٩٧
قطر	٩٦٤	٢٥٢٧	٢٩٣٠
الكويت	٢٩٢	٢٦٩	١٨٢
لبنان	١٠١٧	١٦٥٥	١٥١٨
مصر	١٠٦١٠	٩٤٩٧	٩١٣٩
المغرب	٧٤٠٨	٩٣٤٢	١٠١٧٧
إيران	٢٢١٩	٣٣٥٤	٥٢٣٧
تركيا	٢٢٢٤٨	٣٤٠٣٨	٣٩٤٧٨

المصدر: - التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٨، أبو ظبي، ٢٠٠٨، ص ٢١٥.

- نبيل دبور، وآخرون، السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الآفاق والتحديات ٢٠١٣، تحرير: صافاش الباي، منظمة التعاون الإسلامي، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، أنقرة، ٢٠١٣، ص ٤٤.

<http://www.sesric.org/files/article/473.pdf>

- The Travel & Tourism Competitiveness Report 2013, World Economic Forum, Geneva, 2013.

- The Travel & Tourism Competitiveness Report 2017, World Economic Forum, Geneva, 2017.

* عام ٢٠٠٥

** متوسط بين عامي ١٩٩٧ و ٢٠١٣.

٢- مؤشر الإيرادات السياحية:

تُعد الإيرادات المالية المتحققة من قطاع السياحة هي الهدف الرئيس التي تسعى إليه الحكومات؛ وذلك من خلال تحويل المورد الطبيعي إلى مورد مالي، إذ يقوم المنتج السياحي أساساً على الثروات غير المادية بالدرجة الأساس مثل المناخ المعتدل، فضلاً عن الثروات المادية مثل المعالم الأثرية والتاريخية والدينية ومناطق الجذب الطبيعي كالشلالات والينابيع وغيرها، بهدف خلق قيمة فريدة بأقل كلفة ممكنة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة من خلال المحافظة على البيئة واستثمار الطبيعة لتقديم منتجات سياحية مستدامة بما تخدم الاقتصاد من جهة والسائح والحركة السياحية من جهة أخرى. فمن ملاحظة بيانات الجدول رقم (٢) يتبين أن هناك تفاوتاً كبيراً في إيرادات قطاع السياحة في البلاد العربية؛ وذلك لأسباب قد تتعلق بسعر صرف العملات المحلية مقابل الدولار أو غيرها، إذ يلاحظ أن الإيرادات السياحية تركزت في دولتين رئيسيتين فقط هما الإمارات والسعودية، إذ ارتفعت في الإمارات من ٦٠٧٢ مليون دولار عام ٢٠٠٧ إلى ١٦٠٣٨ مليون دولار عام ٢٠١٥، وفي السعودية من ٥٢٢٨ مليون دولار إلى ١٠١٣٠ مليون دولار للعامين على التوالي، فيما احتلت في المرتبة الثانية لبنان ومصر، إذ بلغت إيراداتهما ٦٨٥٧ مليون دولار و ٦٠٦٥ مليون دولار عام ٢٠١٥ على التوالي، وأهم ما يميز الإيرادات السياحية فيهما عن سواهما من الدول العربية الأخرى، أن هاتين الدولتين تعتمدان كثيراً على الإيرادات السياحية في تمويل ميزانيتها المالية العامة.

أما في البلاد الإسلامية فقد تمتعت تركيا بمركز الصدارة أيضاً، إذ ارتفعت إيراداتها من ١٨٤٨٧ مليون دولار عام ٢٠٠٧ إلى ٢٦٦١٦ مليون دولار عام ٢٠١٥، ويمكن إرجاع ذلك إلى ارتفاع أعداد السائحين المصطافين لأراضيها، فضلاً عن زيادة الزائرين كعبور الترانزيت من أراضيها.

الجدول رقم (٢)

تطور إيرادات السياحة في بعض الدول العربية والإسلامية

لسنوات مختارة (مليون دولار)

الدولة	٢٠٠٧	٢٠١١	٢٠١٥
الإمارات	٦٠٧٢	٩٢٠٣	١٦٠٣٨
البحرين	١١٠٥	١٠٣٥	١١٩٧
السعودية	٥٢٢٨	٨٤٥٩	١٠١٣٠
عمان	٩٠٥	٩٢٣	١٥٤٠
قطر	*٨٧٤	١١٦٩	٥٠٣٥
الكويت	٢٢٢	١٩٩	٤٩٩
لبنان	٥٧٩٦	٦٨٢١	٦٨٥٧
مصر	٩٣٠٣	٨٧٠٧	٦٠٦٥
المغرب	٧٢٦٤	٧٣٠٧	٥٨٥٣
إيران	١٩٥٠	٣٣٧٥	٣٤٨٣
تركيا	١٨٤٨٧	٢٣٠٢٠	٢٦٦١٦

المصدر: نبيل دبور، وآخرون، السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الآفاق والتحديات ٢٠١٣، تحرير: صافاش الباي، منظمة التعاون الإسلامي،

مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، أنقرة،
٢٠١٣، ص ٤٥.

<http://www.sesric.org/files/article/473.pdf>

The Travel & Tourism Competitiveness Report 2013, World Economic -
Forum, Geneva, 2013

The Travel & Tourism Competitiveness Report 2017, World Economic -
Forum, Geneva, 2017

* عام ٢٠٠٦

ثانياً: مؤشر التنمية السياحية المستدامة:

يُعد حساب مؤشر التنمية السياحية المستدامة من المؤشرات الجديدة التي
تعكس تأثير السائح على البيئة الطبيعية في الدولة المضيافة، والذي لم يسبق الخوض
في حسابه لا من الباحثين في البلاد العربية ولا من الباحثين في البلاد الأجنبية، ولعل
من الأسباب الرئيسة التي لم تدعُ الباحثين في شؤون السياحة والبيئة الخوض في
دراسة هذا المؤشر هو صعوبة إيجاد معادلة تعكس ذلك التأثير، علماً أن هذا المؤشر لا
يصلح لإجراء المقارنات الدولية، وإنما يصلح لدراسة وتحليل تطور التنمية السياحية
المستدامة في الدولة نفسها عبر مقارنتها مع سنوات أخرى. فالتنمية السياحية
المستدامة كمفهوم تعني توفير التسهيلات والخدمات لتلبية رغبات السياح والارتقاء
بجودة المنتج السياحي^(١)، شريطة الحفاظ على البيئة وحماية المواقع السياحية
من العبث.

(١) د. فيصل شياد، مصدر سابق، ص ٥١.

ولكن بفضل من الله (عز وجل) جرى الاهتمام إلى الاستعانة بالمعادلة التي صاغها «بول ارلخ» المشار إليها سابقاً، إذ يمكن من خلالها قياس تأثير السائح على البيئة الطبيعية في الدولة المضييفة من خلال إعادة صياغة المعادلة بالشكل الآتي:

$$I = (TO \times R \times E)$$

حيث إن:

I: يمثل تأثير السائح على البيئة Impact

TO: يمثل عدد السياح Tourist

R: يمثل إيراد السياحة Revenue

E: يمثل التلوث البيئي من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون Environment

ولعل إضافة متغير جديد للمعادلة الذي يشكل عنصراً معاكساً لحماية البيئة وهو الجانب التكنولوجي قد يكون نافعا ليعكس مستوى التطور التكنولوجي السائد في الدولة. وهكذا يمكن تطوير المعادلة السابقة لتصبح على النحو الآتي:

$$I = (TO \times R \times E) / T$$

حيث إن:

T: يمثل المستوى التكنولوجي Technology

ومن ملاحظة بيانات الجدول رقم (٣):

يتبين أن تأثير السائحين على البيئة المضيفة للبلدان المضيفة لهم كانت متفاوتة جداً مقارنة مع ترتيب مؤشر أهداف التنمية المستدامة.

فيلاحظ أن ترتيب الدول العربية والإسلامية وفق مؤشر أهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠١٥ قد أخذت النسق الآتي: تركيا (٤٨) وقطر (٤٩) والإمارات (٥٥) ومصر (٦٦) وإيران (٧٩) والسعودية (٨٥) وأخيراً الكويت (١٠٠)، بيد أن مؤشر التنمية السياحية المستدامة المحسوب لم يتناغم أبداً مع أهداف التنمية المستدامة المعلنة، إذ يلاحظ أن مصر قد احتلت المرتبة الأولى بتأثير السائحين على البيئة، إذ انخفض فيها مؤشر التنمية السياحية المستدامة من ٤٦٧٩ نقطة عام ٢٠١١ إلى ٢٦٦٧ نقطة عام ٢٠١٥، فيما احتلت الكويت المرتبة الثانية على الرغم من ارتفاع مؤشرها من ٩,٠ نقطة إلى ٤,١ نقطة للعامين على التوالي، واحتلت السعودية المرتبة الثالثة على الرغم من ارتفاع مؤشرها من ١٥٣٦٣ نقطة إلى ١٥٨٢٠ نقطة للعامين على التوالي. فيما تدهورت مؤشرات التنمية السياحية المستدامة في بقية الدول المشار إليها؛ وذلك لأسباب قد تتعلق بطبيعة كل دولة على حدة، ففي تركيا مثلاً يتوقع أن لممارسة السياح لبعض المسابقات البحرية بشكل كبير على السواحل أدى إلى الإضرار بالأحياء البحرية من الأسماك النادرة، والشعب المرجانية.

الجدول رقم (٣)

حساب تأثير السياح على البيئة مقارنة مع مؤشر أهداف التنمية المستدامة
في بعض الدول العربية والإسلامية لسنوات مختارة

الدولة	تأثير السياح على البيئة*		مؤشر أهداف التنمية المستدامة ٢٠١٥	
	(I)	٢٠١١	الترتيب	الدرجة
الإمارات	٣٢٤٩	٨٥٦٣	٥٥	٦٣,٦
البحرين
السعودية	١٥٣٦٣	١٥٨٢٠	٨٥	٥٨,٠
عمان	٧٤	٥٩,٩
قطر	٢,٦	٢١٥	٤٩	٦٥,٨
الكويت	٠,٩	١,٤	١٠٠	٥٢,٥
لبنان	٨٦	٥٨,٠
مصر	٤٦٧٩	٢٦٦٧	٦٦	٦٠,٩
المغرب	٦٤	٦١,٦
إيران	١٤٣٦	٢٣٤٢	٧٩	٥٨,٥
تركيا	٥٣٩٤٣	٦٤٥٨٦	٤٨	٦٦,١

المصدر: - بالاعتداد على الجدولين (١ و ٢)

- مؤشرات أهداف التنمية المستدامة ولوحات المعلومات: تقرير شامل، مؤسسة برتلسمان،
وشبكة حلول للتنمية المستدامة، نيويورك، يوليو ٢٠١٦، ص. ١٦-١٧.

<http://www.sdgindex.org/assets/files/SDG-Index-AR-V2.pdf>

- (BP), Statistical Review of World Energy , June 2017.

www.bp.com/statisticalreview.

* الإمارات لعام ٢٠١١

= (عدد السياح × إيراداته × التلوث البيئي من ثاني أكسيد الكربون) / المستوى
التكنولوجي = (١, ٨ × ٢, ٦ × ٢٣٤) / ٣٨, ٥ = ٣٢٤٩

ثالثاً: معوقات السياحة:

تشير معظم دراسات السياحة، أن السياحة في معظم البلاد العربية والإسلامية تواجه مجموعة من المعوقات التي تعترض نجاح قطاع السياحة في الترويج عن نفسه، فمنها معوقات ذاتية ومنها معوقات موضوعية، بيد أنه يمكن حصر تلك المعوقات بالمجموعة التالية والتي تشترك بها معظم البلاد العربية والإسلامية ومنها:

١- تعثر التخطيط وبرامج التنفيذ الخاصة بإعادة إحياء التراث العمراني لدى الجهات المعنية بالحفاظ على التراث، وإن وجدت في بعض البلاد فإن جودتها ليس بالمستوى المطلوب؛ ويمكن تجاوز هذا المعوق من خلال رسم سياسة سياحية تحدد معدل النمو المستهدف الذي يمكن بلوغه في مدة محددة، ومن ثم المقارنة بين معدل النمو المستهدف والنمو المتحقق، وبالتالي يمكن تحديد وجه القصور ما بين التخطيط أو التنفيذ.

٢- عدم تفعيل القوانين التي تلزم المؤسسات والأفراد بالحفاظ على المواقع الأثرية والتراثية والسياحية، فعلى الرغم من تعدد القوانين والتعليقات التي تختص

بهذا الشأن، إلا أن لحد الآن تستمر عمليات تهريب الآثار من البلاد العربية والإسلامية إلى البلاد الأوروبية، مما يفقدها محتواها الأثري والتاريخي.

٣- غياب الخطط لتسويق الخدمات السياحية والتعريف بها وبأهميتها، فبالرغم من قيام بعض الدول العربية والإسلامية بالترويج لأعمالها التقليدية والحرفية، إلا أن نشاطها يظل محصوراً في أماكن ومجالات محددة.

٤- أن الإنفاق على المواقع السياحية في البلاد العربية والإسلامية معظمه إنفاق جاري (تشغيلي)، بحيث تصرف عليه مبالغ كبيرة للموظفين والعاملين والحراسات، من دون مراعاة الإنفاق الاستثماري الذي يعنى بإعادة تأهيل المواقع الأثرية والتاريخية.



قائمة المصنّاور

الكتب:

- ١- أحمد عارف العساف، د. محمود حسين الوادي، اقتصاديات الوطن العربي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠١٠.
 - ٢- اينياسيو رامونيه، حروب القرن الواحد والعشرين: مخاوف ومخاطر جديدة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧.
 - ٣- ليستر آر. براون، اقتصاد البيئة: اقتصاد جديد لكوكب الأرض، ترجمة: أحمد أمين الجمل، الطبعة الأولى، معهد سياسات كوكب الأرض، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ٢٠٠٣.
 - ٤- محمد باقر الصدر، اقتصادنا، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٩٩٦.
 - ٥- نبيل دبور، وآخرون، السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الآفاق والتحديات ٢٠١٣، تحرير: صافاش الباي، منظمة التعاون الإسلامي، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، أنقرة، ٢٠١٣.
- <http://www.sesric.org/files/article/473.pdf>
- ٦- هيرفه درميناخ، ميشال بيكوية، السكان والبيئة، تعريب: جورجيت الحداد، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠٠٣.

- ٧- وفاء زكي إبراهيم، دور السياحة في التنمية الاجتماعية: دراسة تقويمية للقرى السياحية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
- ٨- يوسف الفضل، الإنسان والبيئة بين الحضارة الغربية والإسلام، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٤.

الدوريات:

- ١- أسامة عبد المجيد العاني، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، دراسات إستراتيجية، العدد (٧٠)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٢.
- ٢- سالم حميد سالم، طارق سلمان، الأصالة التفاعلية بين السياحة والبيئة المستدامة، المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، العدد (٢)، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك، جامعة بغداد، ٢٠٠٩.
- ٣- فيصل شياد، تنمية السياحة العربية البينية: العقبات والحلول، مجلة رؤى إستراتيجية، العدد (٦)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠١٤.
- ٤- محمد جبر الألفي، البيئة والمحافظة عليها في الإسلام، مجلة رسالة التقريب، العدد (٧٩)، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ٢٠١٠.
- ٥- هاني نوال، تنافسية القطاع السياحي في الدول العربية، مجلة الباحث، العدد (١٣)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٣.

المؤتمرات والملتقيات:

- ١- صليحة عشي، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، الملتقى الدولي حول مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة يومي ٣ - ٤ ديسمبر ٢٠١٢، الجزائر، ٢٠١٢.

<http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/2013/09/%D8%9%8A.pdf>

التقارير والإحصاءات الدولية:

- ١- الأسكوا، تطبيق مؤشرات التنمية المستدامة في بلدان الأسكوا: تحليل النتائج، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠١.

٢- التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٨، أبو ظبي، ٢٠٠٨.

- ٣- مؤشرات أهداف التنمية المستدامة ولوحات المعلومات: تقرير شامل، مؤسسة برتلسمان، وشبكة حلول للتنمية المستدامة، نيويورك، يوليو ٢٠١٦.

<http://www.sdgindex.org/assets/files/SDG-Index-AR-V2.pdf>

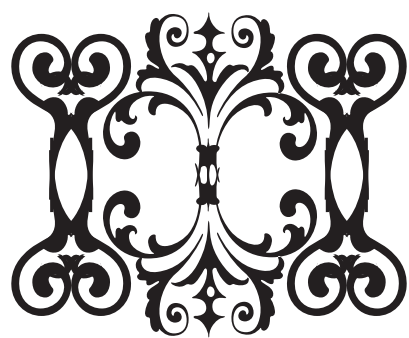
المصادر الأجنبية:

- 1.(BP), Statistical Review of World Energy , June 2017.
www.bp.com/statisticalreview.
2. The Travel & Tourism Competitiveness Report 2013, World Economic Forum, Geneva, 2013.
3. The Travel & Tourism Competitiveness Report 2017, World Economic Forum, Geneva, 2017.





بَحْثُ بِاللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ





دراسة استقرائية في استخدام الطباعة
ثلاثية الأبعاد في إنتاج الأنماط الهندسية
الإسلامية في العمارة الإسلامية
AN EXPLORATORY STUDY OF USING
3D PRINTING IN
THE PRODUCTION OF ISLAMIC
GEOMETRIC PATTERNS
IN ISLAMIC ARCHITECTURE

إعداد

م. ريم ياسر الحوراني

باحثة استشارية في مجال الهندسة المعمارية / الأردن

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



هذا البحث يعبر عن رأي صاحبه

ولا يعبر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



Abstract

One of the main beauty features of Islamic architecture is the unique ornaments, which include vegetal ornaments, calligraphy, and geometric patterns. Although the high-quality geometric patterns require great efforts, time, and accuracy in the production process, it's still adopted nowadays as main decorative elements in Islamic buildings. From another perspective, there is a significant development in building techniques because of the advanced technology that affected positively the manufacturing process. One of these techniques is 3d printing which has been used in many sectors, such: medical, food, fashion, and design sector. Thus, through the descriptive approach, this research comes to investigate the issue of using this technique in manufacturing decorative units with geometric patterns, that could be used in Islamic buildings. The research will shed light on the topic of 3d printing (what is the 3d printing technology, methods, pros & cons,.. etc).

and geometric patterns (ornaments in Islamic architecture, the geometric pattern, methods of construction of geometric patterns,.. etc.), As well as the main issue: the cases of using the 3d printing technique in the production of these patterns. In addition, and while there is not yet a similar study focuses on this issue, the research highlights this futuristic approach to confirm the necessity of integrating the latest technology in Islamic architecture.



Introduction

In the present era, the rapid technology development is accompanied by the evolution in various sectors on different levels: education, design, medical, and certainly, the manufacturing sector. One of the latest techniques in the latter is the 3d printing. This technique is defined as: “3D Printing is a [manufacturing] technology through which 3 dimensional models can be created by layering successive layers of material. These models can be created via 3D printers which range from many different sizes and purposes” (Mathur, 2016). This integration between the digital design and 3d printers opens up new vistas in the manufacturing processes in many fields: medical, fashion, nutrition, and building field, to produce new products by reducing the effort and time to the minimum. In architecture, 3d printing is used in several cases to print a whole building in some cases or partial elements, such a wall and structure (Teizer et al., 2016) (van Wijk and van Wijk, 2015).

From the other perspective, Islamic architecture introduces timeless designs with a uniqueness that may emanate from

adopting specific architectural elements, such as the minaret, courtyard, and the geometric pattern. The latter, which is an essential ornament in Islamic architecture (Imran, 2014), generates fascinating patterns with different degrees of complexity that require great efforts, time, and accuracy in the production process. In spite of this issue, it's still adopted nowadays as a significant decorative element in Islamic buildings, that still depends on the traditional manufacturing process. Thus, this research comes to investigate the issue of manufacturing decorative units with geometric patterns via using the technology of 3d printing. Through the descriptive approach, the research will cover the topic of the geometric pattern in Islamic architecture (types of Islamic ornaments, the classifications of the geometric patterns,.. etc.), as well as an overview of the subject of 3d printing (methods, examples in architecture, pros and cons,.. etc.). Then, It will shed the light on the case studies that integrated this technology in the production of Islamic geometric patterns in Islamic buildings.

Ornaments in Islamic Architecture

Ornaments are one of the intrinsic elements in Islamic architecture, accompanied by the dome and the pointed arch (Faiz et al., 2016). The Islamic ornamentation plays a major role in enriching the aesthetic side of the simplicity in the design (Imran, 2014), and at the same time, it defines the structure to appear weightless and limitless in the space (Othman and Zainal-Abidin, 2011). Through the symbolism and abstraction, Islamic ornament could express the ultimate beauty in the great universe surrounding the human, the weak creature, considering the issue of the avoidance of using human figures in the ornament (Haddad, 2015). There are three key elements in Islamic ornamentation: floral (vegetal) design, geometric pattern, and calligraphy (Shafiq, 2014).

- Vegetal Design

The vegetal ornament portrays a neat combination between multiple components, such flowers, leaves, and branches (Shafiq, 2014). The early vegetal ornament in Islamic architecture dates back to the Umayyad era (660-750), where glass and stone were used (Abdullahi and Rashid, 2015).

- Calligraphy

Undoubtedly, the use of the Arabic calligraphy in writing the Quranic verses adds a unique value to this element, in delivering the great messages from God Almighty. In the Islamic

art, the first style of calligraphy was used is the Kufic Script (Tan, 1999). There are many other styles such Thuluth, Riq'a and Naskh, which some were incorporated into a carved wood and stucco decoration, with using geometric compositions (Othman and Zainal-Abidin, 2011).



Figure 1. Left: The vegetal ornament in the great mosque of Cordoba, Spain (Braun, 2009), right: The calligraphy in Alhambra palace (Lopez, 2013)

- Geometric Pattern

One of the earliest contributions in the science of geometry was introduced by the Muslim scientist *Al-Khwarizmi* in his book: “The Compendious Book on Calculation by Completion and Balancing” in the ninth century (Abdullahi and Rashid, 2015). Geometry plays a significant role in Islamic art which makes it a universal language involves proportions, that enhances the design of the element (Dabbour, 2012). Also, in Islamic art, geometry led to the emergence of what is called: Islamic Geometric Pattern, which is defined as: “The practical experiments of designers and artisans using basic devices such as repetition, rotation, and reflection, rather than their conscious

attempts to make abstract statements about the harmonious patterned nature of a divinely ordered universe” (Imran, 2014).

The Integration of the Islamic geometric pattern into the design was widely spread, including the eastern region of Transoxiana and Khurasan, extending to the western region of Andalusia and Morocco (Shafiq, 2014). In architecture, these patterns were used in the embellishment of ceilings, tiling, walls, domes, minarets, fences, and some particular elements such Minbar and Mihrab (Cenani and Cagdas, n.d.).

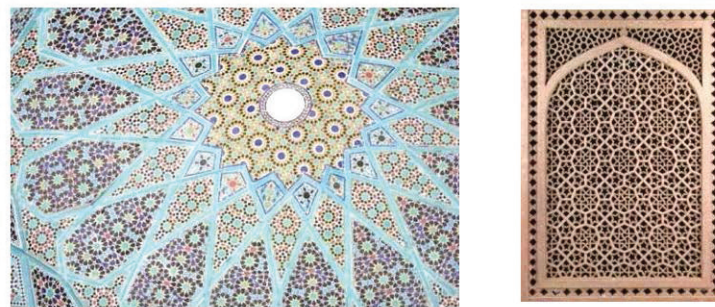


Figure 2. Islamic geometric patterns in architecture, from left: the dome of the tomb of Hafez, (Zilliacus, 2017), an Indian window screen (The Metropolitan Museum of Art, 1993)









6-point	8-point	10-point
 Hexagon	 Octagon	 Decagon
 6-point Star	 8-point Star	 10-point Star
—	 8-fold Rosette	 10-fold Rosette

Figure 3. Types of Islamic Geometric Pattern (Faiz et al., 2016)

The Classification of Islamic Geometric Patterns (IGPs)

There are numerous classifications in the literature varied from one research to another according to the scope and the aim of each. In general, the research introduced by Özsariyildiz (Özsariyildiz, 1991) classified the plane patterns (2 dimensional) according to four factors: their generations, forms, mathematical typology, and the culture. Another classification relied on the various forms of geometric units in the IGPs: circles, polygons and star patterns, squares and lozenges, and muqarnas⁽¹⁾ (Imran, 2014), figure(4).

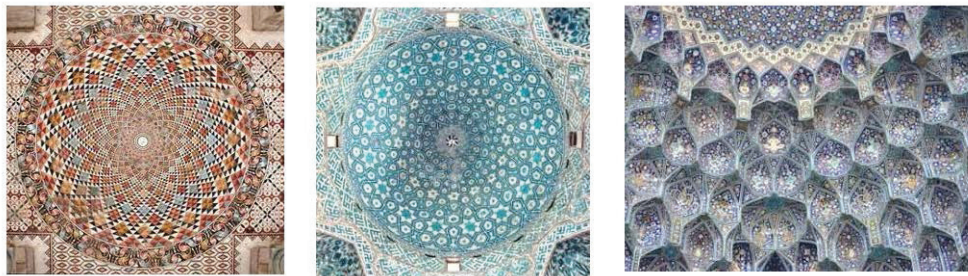


Figure 4. Different forms of geometric units, according to (Imran, 2014), from left: the circles on the floor of Hisham's Palace Palestine (Wade, 2014), polygons in the ceiling of Jameh Mosque of Yazd in Iran (Lynch, 2015), muqarnas in the Shah Mosque in Iran (Zilliacus, 2017)

In addition, the grid method can be used to classify specific IGPs such star unit patterns, through multiple stages: the planar

(1) According to (Imran, 2014) a lozenge (\diamond): "often referred to as a diamond, is a form of rhombus", and a muqarnas: "viewed as a section of vault that is used in combination with other elements, Creating a three-dimensional ornamental effect"

surface (which depends on the basic unit), the divisional, the gridding, the artistic, and the extension stage (Aljamali and Banissi, 2004), figure(5).

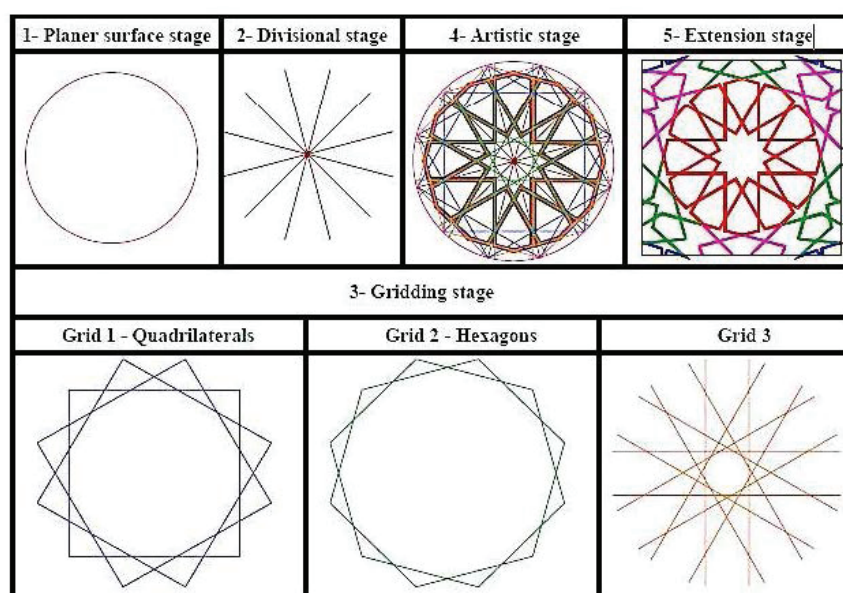


Figure 5. The steps of the grid method to classify the IGPs (Aljamali and Banissi, 2004)

Methods of Construction of IGPs

As the diversity in the classification of IGPs in literature, there are many studies introduced different methods of construction of IGPs. For instance, according to (Imran, 2014), there are three methods to construct IGPs depending on the geometric interlocking technique, which uses the repetition to give the effect of infinite patterns. The first is the tile method, involving geometric shapes and linear outlines to fill the empty space. Next one is the strap method, where the composition of the pattern is produced according to the crossing and overlapping

straps. This means that the straps control the size of the empty spaces, and subsequently, the degree of complexity of the pattern. It can be used on different materials, such as brick, clay, and curved wood. The last method introduced is the stratigraphic method (three dimensional patterns). In this method, the patterns are arranged one on top of the other to give a sense of depth in the design, (Imran, 2014), figure(6).

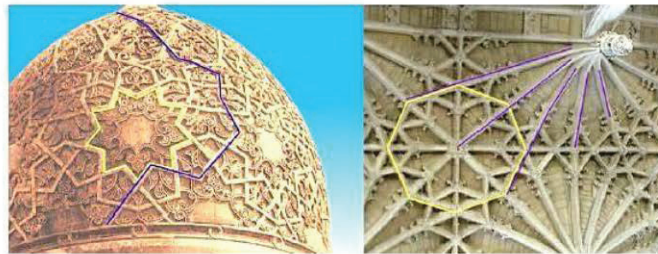


Figure 6. The stratigraphic method in the construction of IGPs in the dome of the mausoleum Qaitbay, Cairo-Egypt (Imran, 2014)

Furthermore, in the research (Thalal et al., 2011), There are two methods of construction of IGPs differ according to the region. On one hand, In the Eastern Islamic world, the craftsmen adopt the isometric grid method. This grid consists of equilateral triangles or squares, which via copying and repetition of these shapes, the pattern is produced. On the other hand, In the western Islamic world, particularly in Morocco, the method used is called “Zellij” which generates patterns on ceramic tiles from hand cut shapes, figure(7).

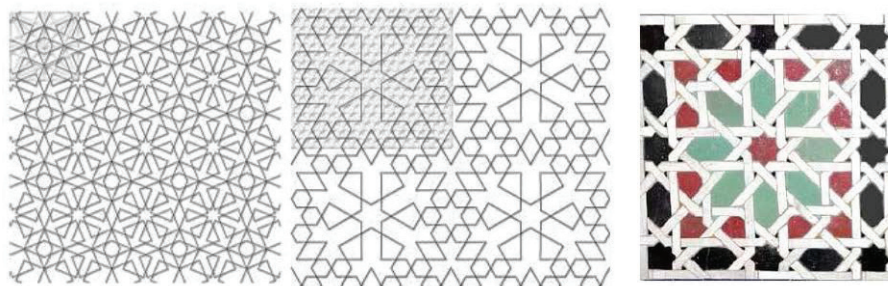


Figure 7. Left and center: examples of IGPs based on isometric grids (BOURGOIN, 1879), right: Zellij panel in the museum of Burj Sud in Morocco (Thalal et al., 2011)

Another method discussed in this study is the “Hasba” method which is also used in Morocco. On the wood work (painting and carving), the patterns here are generated from a basic shape such a square, to produce more intricate designs that depend on continuous ribbons with a specific thickness, (Thalal et al., 2011), figure(8).

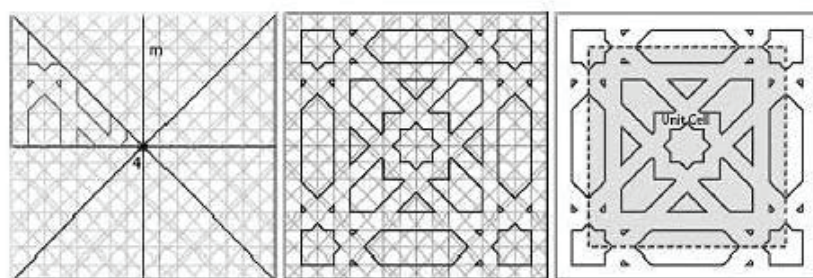


Figure 8. Construction IGPs via the Hasba method (Thalal et al., 2011)

The 3d Printing Technique

According to (van Wijk and van Wijk, 2015) the technology of 3d printing can be defined as: “a computer-controlled production technique that builds a product layer by layer”.

More often, another term “Additive Manufacturing- AM” relies on the same concept of the 3d printing is used instead, while the difference, according to (Petrick and Simpson, 2013) is that “the term additive manufacturing has come to represent the use of 3D printing to create final parts and metallic components, differentiating from the more traditional subtractive manufacturing processes” (Petrick and Simpson, 2013), which indicates that the 3d printing is a type of AM. The beginning of 3d printing dates back to the 1980’s, within a prime concept called: Rapid Prototyping-RP, which aims to provide prototype parts as quickly as possible (Wong and Hernandez, 2012). The 3d printing technology has been utilized in many fields. For instance, in the medical field, 3d printing can print vital organs to replace the damaged parts of the human body (Mathur, 2016). In the fashion sector, it is used in the design of specific textile-like patterns (Melnikova, Ehrmann and Finsterbusch, 2014). Also, it is used in the aerospace field to manufacture structures with special specifications (Wong and Hernandez, 2012). In spite of the variety of methods and materials used in 3d printing, the printing process is almost similar. In the initial phase, the 3d printing needs a digital file (3d model) of the required product. This file can be provided through computer-aided design (CAD), then it is transferred to the 3d printer (Petrick and Simpson, 2013). After selecting

the type of the material (such powder, metal, etc.) which specifies the type of the printer, the printing begins (through fusion, extrusion, ..etc.) to finish the first layer, which is then be lowered to achieve the same thickness (Strauß, 2013).

After repeating the last two steps to complete the printed product, in some cases it is required to remove the excess material, figure(9), which thereafter, the model can be finished completely through polishing, varnishing, or galvanizing (Strauß, 2013).

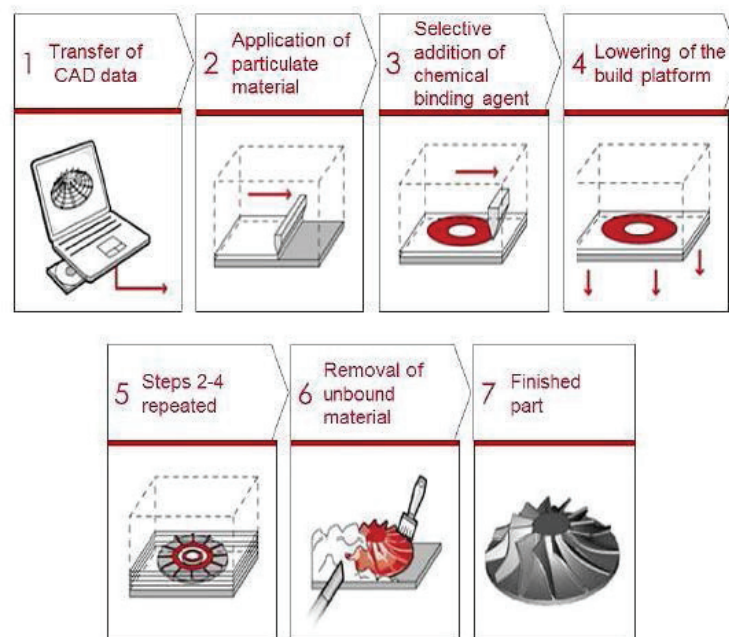


Figure 9. The process of powder-based 3d printing (Guenther, 2015)

3d Printing Technologies

There are various techniques of 3d printing, differ according to the material used and the specifications of the required

product. This section comes to shed the light on some of these techniques and introduce a general overview of each.

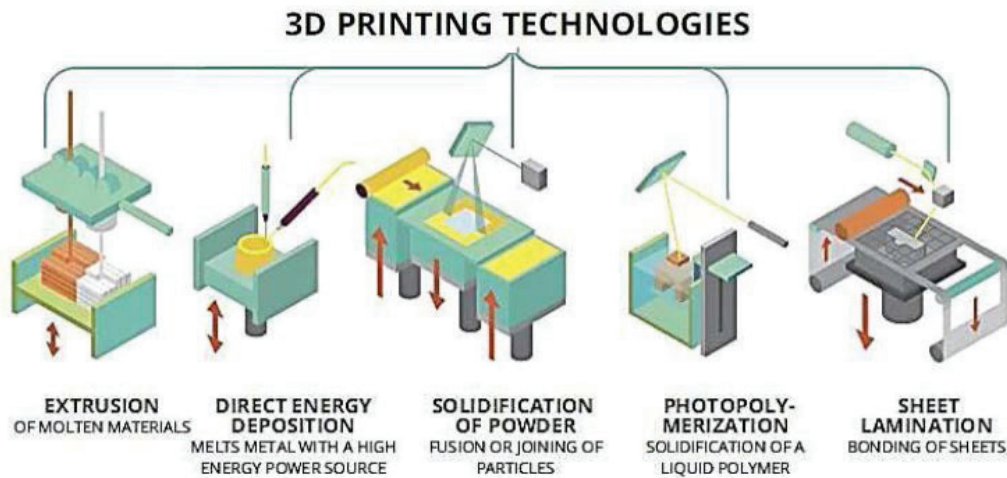


Figure 10. Different technologies of the 3d printing (van Wijk and van Wijk, 2015)

Extrusion

After melting the material, which can be plastic, ink, cement, or clay, it is extruded to become a solid material emerging from the printer (van Wijk and van Wijk, 2015). One example of this technology is “Fused Deposition modeling (FDM)”. The extrusion here is applied to a molten material, such a plastic, which is printed layer by layer (Mathur, 2016). It is similar to another technique with the same principle, called: “Contour Crafting (CC)”, which is used in the printing of large structures (such a wall) with the use of an outer rim to ease the flowing of the material (Teizer et al., 2016).

Solidification of Powder

One of the most important techniques in this technology is “Selective Laser Sintering (SLS)” (van Wijk and van Wijk, 2015). In this process, after pouring the powder of ceramic, plastic, glass, or metals, a laser ray is used to fuse the material into a mass (Mathur, 2016).

Photo-Polymerization

A common technique in this technology is “Stereolithography (SLA)”. This process requires a container filled with a liquid synthetic resin, where the successive printed layers are fused by ultraviolet (UV) rays (Teizer et al., 2016).

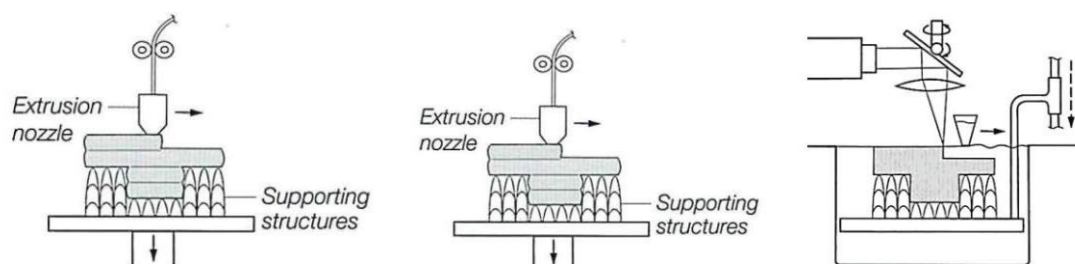


Figure 11. From left: FDM, SLS, &SLA technologies in 3d printing (Teizer et al., 2016)

3d Printing Applications In Architecture

While The 3d printing technology affects the manufacturing sector, subsequently it strongly affects the construction industry. Because of the evolution of 3d printing, several international companies emerged using this technology in the building sector. The Chinese company *Winsun* is building

full houses using a 3d printing method similar to the contour crafting technology (Teizer et al., 2016). Another example is the canal house in Amsterdam, by *DUS* architects. Via the Fused deposition modeling (FDM) technology, the architects used a large printer using a bio-based material to print each room of the house on the site, which then could be assembled into a one structure (3d print canal house, 2013). In addition, there is a 3d printed terrazzo floor designed by *Aectual* company in Amsterdam. In this project, a large robotic 3d printer was used to print any pattern from a bio-plastic material, which later be transported into the required space (Frearson, 2018).

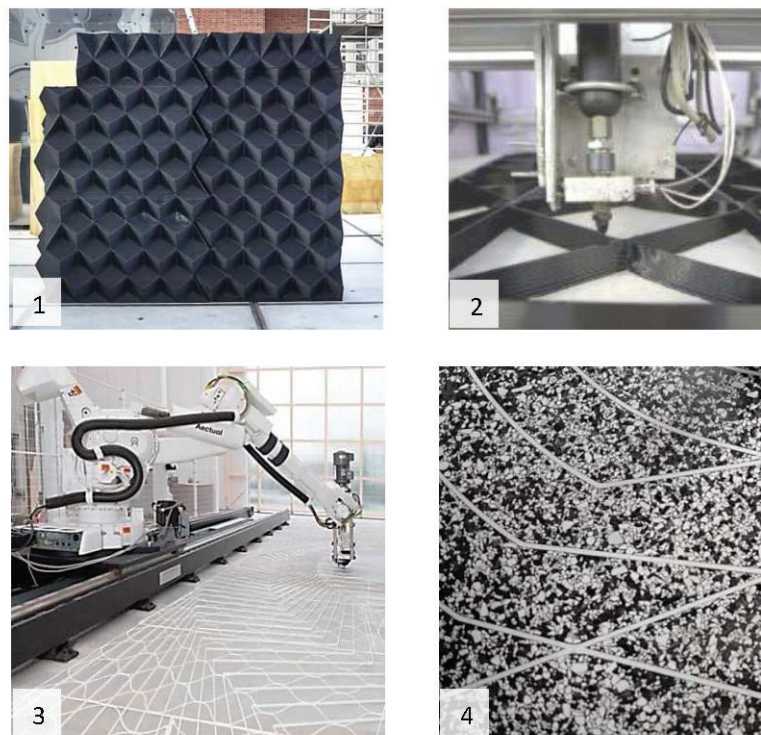


Figure 12. 1&2: a part from the wall in the canal house, the FDM technique used in the printing (3D PRINT CANAL HOUSE, 2016), 3&4: The terrazzo floor is printed by a robotic 3d printer (Frearson, 2018)

In the Middle East, the most popular example of using 3d printing in architecture is the first 3D-printed office in the world: “Office of the Future” in Dubai, United Arab Emirates (DiStasio, 2016). As a part of Dubai 3-D Printing Strategy, on May 23, 2016, the project was inaugurated by His Highness Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister of the UAE and Ruler of Dubai (Dubai Foundation, 2016).

A 3d printer with a height of 6 meters was used to print the structure, which has been assembled in the site (ArchDaily, 2017). While the team included multiple engineering firms, such as *Gensler* and *Syska Hennessy Group*, the printer was provided by *WinSun*, which extruded a material consisted of a ”special reinforced concrete, glass-fiber-reinforced gypsum and fiber-reinforced plastic” (MacRae, 2016).



Figure 13. The office of the future in Dubai (Dubai Foundation, 2016)

Pros and Cons of the 3d Printing Technology

On one hand, undoubtedly, 3d printing is widely spread in many fields because of many features, such as: eliminating the large quantities of the raw materials, reducing the labor costs, and providing more freedom in the design of complex and customized products, to name a few (van Wijk and van Wijk, 2015). Furthermore, in the construction sector, it provides safety for the workers much more than the traditional building technology, using various materials, and it allows manufacturing and building structures in a short period of time, (Mathur, 2016). On the other hand, like any technology, 3d printing has multiple disadvantages. For example, the large amount of electrical energy required for the printing, and the waste material (McAlister and Wood, 2014). Thus, there are many researches that discussed these issues and suggested a number of solutions. According to (Gwamuri et al., 2016) the 3d printer can be powered by photovoltaic (PV) system with a low cost. For the waste material issue, the quantities of waste materials depend on the technology and the model of the 3d printer. According to (McAlister and Wood, 2014), the FDM technology generates less waste to print plastic structures, comparing to the other technologies.

3d Printing in the Production of Islamic Geometric Patterns

While there are almost no studies yet discussed this topic, the current research will explore two studies that may be

helpful, then It will shed the light on a case study that is closely linked to the topic. The first study (Melnikova, Ehrmann and Finsterbusch, 2014) is conducted to test the using of the 3d printing technology in creating textile-based structures. Although the material used in this case is soft, to accommodate the flexibility characteristic of the garments, and the patterns are not geometric, what may be useful in this study is what it concluded, that FDM technology with printing layer by layer is more successful than the SLS technology (Melnikova, Ehrmann and Finsterbusch, 2014), both technologies were introduced previously in the current research: page no. 12&13.



Figure 14. 3d printed textile-based structures using the FDM technology

(Melnikova, Ehrmann and Finsterbusch, 2014)

The second research (Headley et al., 2015) comes to explore the possibilities of using 3d printing in manufacturing Mashrabiya, which is a wooden screen embellished with an Islamic pattern. Through using the plastic in SLS printing technology, the research concluded that the 3d printed

Mashrabiya costs more than the ordinary one only by 1% (Almerbati, 2016).



Figure 15. From left: a traditional Mashrabiya, a 3d printed Mashrabiya model by the SLS technology (Almerbati and Headley, 2016)

The Case Study

It is noteworthy that the only example of using 3d printing in the production of Islamic geometric patterns in architecture, in the world, is a project has been completed by an American company called Aztec Scenic Design. The project is a customized ceiling in a private residence, done by using 3d printing technology, figure (16). This 5.5 * 4.3 m ceiling constructed in 2014, consisting of 400 3d printed parts (Krassenstein, 2014), took three weeks of printing, and two days for installation at the site (Butler, 2014).

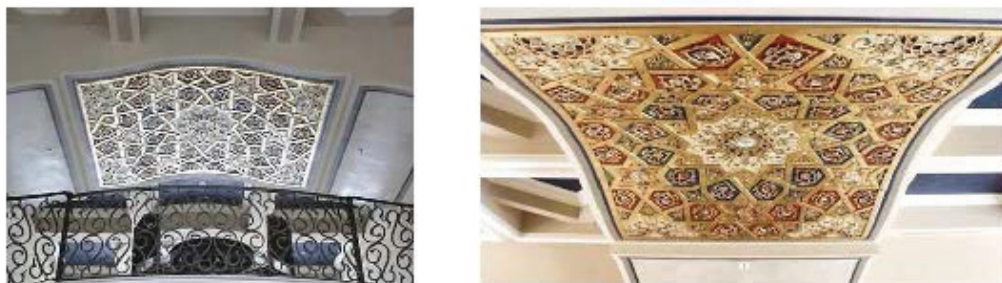
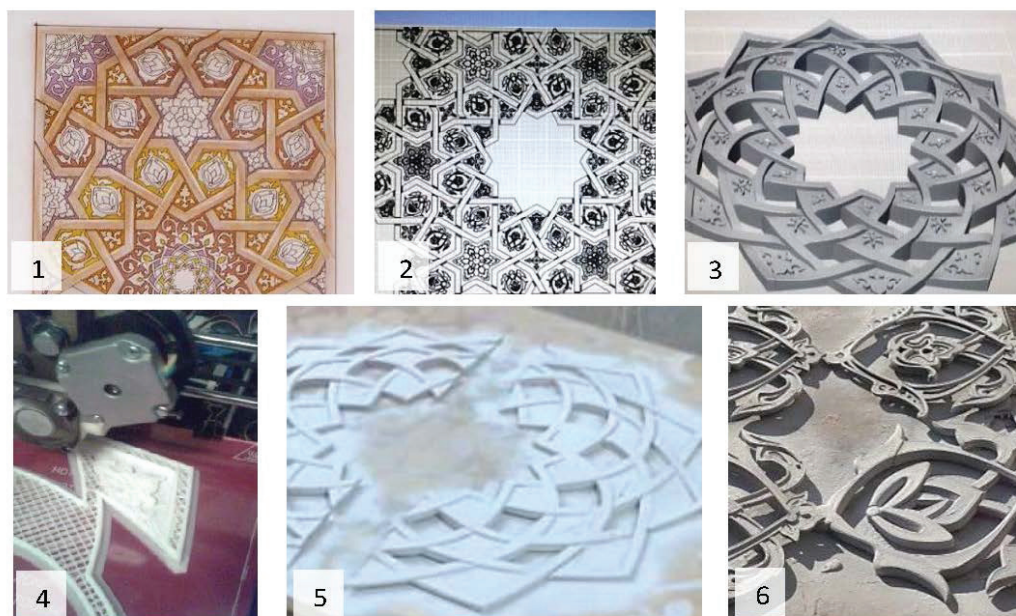


Figure 16. 3d printed patterns by Aztec Scenic Design, from left (Haltermann, 2014), (3d printing for beginners, 2015)

The Construction Process

The initial phase was to transfer the drawing into the computer to create a digital file- 3d modeled pattern, using several softwares such one called “123 design” (Butler, 2014). The designed pattern is geometric mixed with vegetal ornaments. Then, the printing phase began using multiple printer brands such *Tinkerine Ditto* and *Prusa i3* (Krassenstein, 2014). The FDM printing required 9 spools: 6 of 3mm ABS and 3 of 1.75 PLA filaments, which costs approximately \$200 (Krassenstein, 2014). Both ABS and PLA are thermoplastic materials, where ABS is characterized by its strength, and PLA by the smooth appearance (van Wijk and van Wijk, 2015).



model from the drawing, 4&5&6: the 3d printing and the printed parts (3d printing for beginners, 2015)

Next, eight wooden panels were used as a base, where the 3d printed parts were organized and fixed (Butler, 2014). Then,

the next phase was to gold leaf all the parts of the design, painting and finishing it with the use of oil stains and glaze (Krassenstein, 2014). The team in this project confirmed that the most difficult and challenging issues were troubleshooting the multiple printers, as well as keeping track the large number of printed pieces, 400 piece (Krassenstein, 2014).

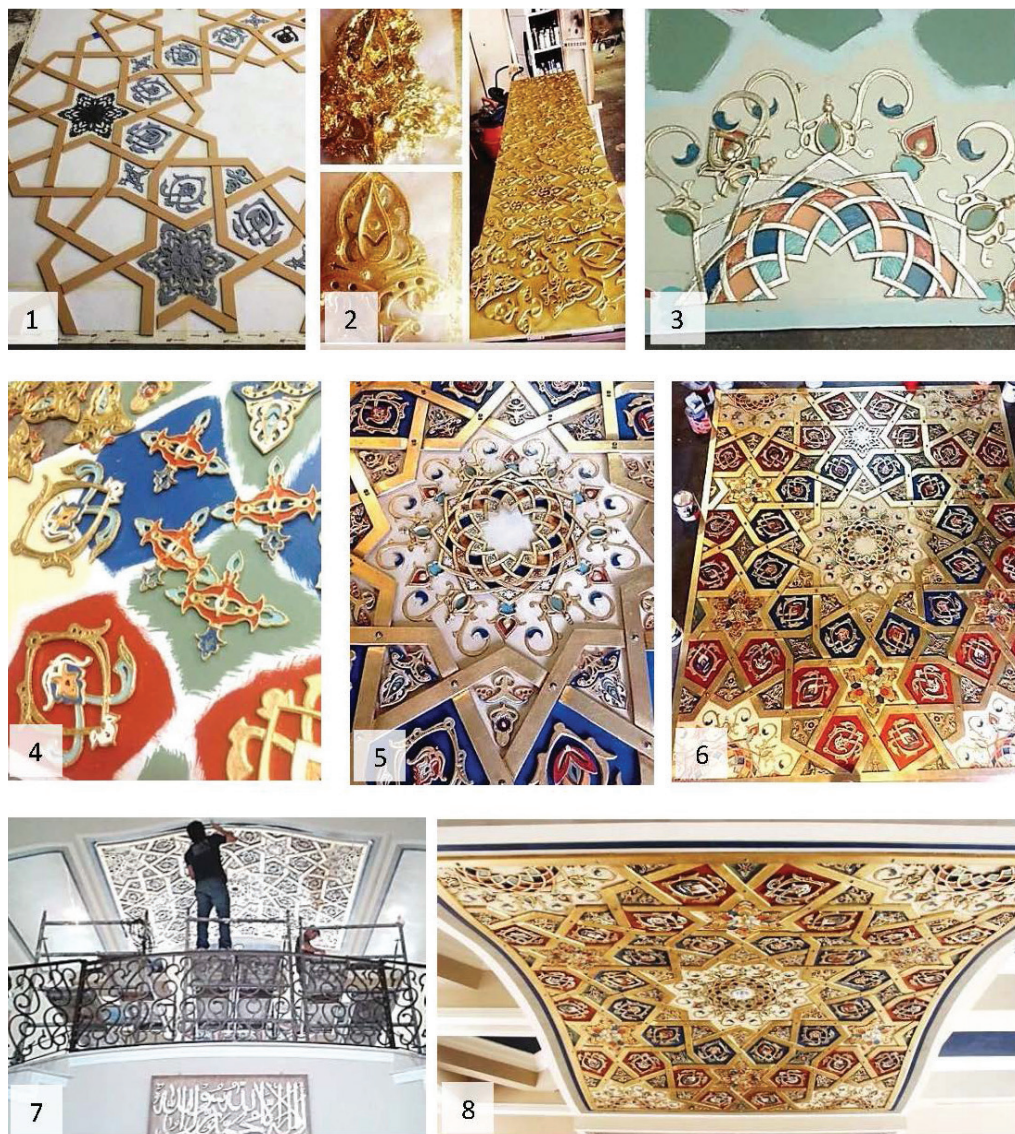


Figure 18. After printing: 1: using the wooden panels, 2: using the gold leaf, 3&4: painting and finishing, 5&6&7: The installation, 8: the final result (3d printing for beginners, 2015)

The Next Approach: Developing The Concept

After exploring the multiple usages of the 3d printing in many fields, particularly in the design field where it can create printed products with a flexible form (such the textile-based structures used in garments) or a stiff form (such the printed Mashrabiya), and in the architectural field where it is used to create 3d printed decorations embellished with 3d printed Islamic geometric patterns, it is possible now to declare that this concept can be developed to be used on a larger scale. This means that 3d printed Islamic geometric patterns can be integrated into various elements in Islamic architecture, whether the building is a mosque, an Islamic art museum, Islamic center, traditional Arabic-Islamic house, to name a few. For instance, in the architecture of a mosque, these 3d printed patterns can be used on interior walls or as a cladding of the exterior walls. Also, as the case study introduced the use of these patterns on a curved surface-ceiling, it may be also applied on the arches and the interior/exterior skin of domes. In addition, it can be used in tiling such as the example of manufacturing 3d printed terrazzo tiles, to produce 3d printed tiling with Islamic geometric patterns. Furthermore, the stunning result in the case study was completed in 2014, which means that at the present time it can be recreated with more advanced printers, materials, and less budget, time, and efforts.



Conclusions

- The 3d printing technology is used in architecture in different ways: in manufacturing tiles, printing walls, or even constructing a whole building.

- Until this moment, there is only one project in the world using the technology of 3d printing in producing Islamic geometric patterns in architecture.

- From the case study and the examples of the applications of 3d printing in architecture, the research concludes that it may be possible to produce 3d printed Islamic geometric patterns integrated into different elements in Islamic architecture (such a mosque), elements such: walls, tiles, ceilings, and domes.

- While The Islamic geometric patterns enrich the sense of the Islamic style in the space, the use of 3d printed patterns show the fascinating Islamic beauty that is created using a contemporary technology that accommodates the current manufacturing development.



References

3d print canal house. (2013). *3d Print Canal House by DUS Architects*.

3d Print Canal House. (2016). [ebook] DUS architects.

3d printing for beginners. (2015). *Aztech Scenic Design: Taking 3D Printing To The Limit*. [online].

Abdullahi, Y. and Rashid Embi, M. (2015). Evolution Of Abstract Vegetal Ornaments In Islamic Architecture. *International Journal of Architectural Research: ArchNet-IJAR*, [online] 9(1), p.31.

Aljamali, A. and Banissi, E. (2004). *Grid Method Classification of Islamic Geometric Patterns*. [ebook] Norwell: Kluwer Academic Publishers. Almerbati, N. (2016). *Hybrid Heritage: An Investigation Into The Viability Of 3d-Printed Mashrabiya Window Screens For Bahraini Dwellings*. Doctor of philosophy. De Montfort University.

Almerbati, N. and Headley, D. (2016). Heritage conservation in the new digital era: The benefits of 3D printing architecture screens in sustaining architecture and identity. In: *The fourth international conference for Heritage conservation, sustainable heritage: global vision, local experience*.

ArchDaily. (2017). *Office of the Future / Killa Design*.

BOURGOIN, J. (1879). *Les Éléments de l'art arabe. Le trait des entrelacs*. Ff. 190. pl. X. Paris: Firmin-Didot et Cie.

Braun, E. (2009). *Great Mosque of Cordoba*. [image].

Butler, A. (2014). *Arabian Ceiling Project*. [online] 3dprintboard.com.

Cenani, S. and Cagdas, G. (n.d.). *Shape Grammar of Geometric Islamic Ornaments*. [ebook] eCAADe (Education and research in Computer Aided Architectural Design in Europe).

Dabbour, L. (2012). Geometric proportions: The underlying structure of design process for Islamic geometric patterns. *Frontiers of Architectural Research*, [online] 1(4), pp.380-391.

DiStasio, C. (2016). *Dubai debuts world's first fully 3D-printed building*. [online] Inhabitat.com.

Dubai Foundation, D. (2016). *3d Printed Office - Dubai Future Foundation*. [online] Officeofthefuture.ae.

Faiz, M., Hoe Sieng, C., Binti Norman, H. and Binti Razalli, Z. (2016). Impact of Modern Technologies on Islamic Architecture in Malaysia and Middle East. *Nova Journal of Engineering and Applied Sciences*, [online] 5(1).

Frearson, A. (2018). *Robotic 3D printers create terrazzo floors in any pattern*. [online] Dezeen.

Guenther D. 3D printing – the state of the technology and the future of this process, *Detail – Technology*, 596-600, 2015.

Gwamuri, J., Franco, D., Y. Khan, K., Gauchia, L. and M. Pearce, J. (2016). High-Efficiency Solar-Powered 3-D Printers for Sustainable Development. *Machines* 2016, [online] 4(1).

Haddad, H. (2015). *a study of the development of the windows architectural art in the history of Islamic architecture (in Arabic)*. [ebook]

Halterman, T. (2014). *Architectural ‘Divine Unity’ Realized With 3D Printing*. [online] 3D Printer World

Headley, D., Almerbati, N., Ford, P. and Taki, A. (2015). From research to practice: exploring 3D printing in production of architectural Mashrabiya. In: *Research for a Better Built Environment: 49th International Conference of the Architectural Science Association* 2015.

Imran, R. (2014). *Ornamentation in Islamic Architecture*. Bachelor of Architecture (Interior Design). Anna University.

Krassenstein, E. (2014). *Aztec Scenic Design Creates Custom 3D Printed Arabian-Inspired Ceiling and it’s Amazing!*. [online] 3DPrint.com | The Voice of 3D Printing / Additive Manufacturing.

Lopez, J. (2013). *The Alhambra « Islamic Arts and Architecture*. [online] Islamic Arts and Architecture.

Lynch, D. (2015). *Ceiling of Jame Mosque of Yazd, Iran*. [image].

MacRae, M. (2016). *The 3D Printed Office of the Future*. [online] Asme.org.

Mathur, R. (2016). 3D Printing in Architecture. *IJISSET - International Journal of Innovative Science, Engineering & Technology*, [online] 3(7).

McAlister, C. and Wood, J. (2014). The potential of 3D printing to reduce the environmental impacts of production. *Eceee Industrial Summer Study Proceedings*. [online]

Melnikova, R., Ehrmann, A. and Finsterbusch, K. (2014). 3D printing of textile-based structures by Fused Deposition Modelling (FDM) with different polymer materials. In: *Global Conference on Polymer and Composite Materials (PCM2014)*. [online] IOP Publishing.

Othman, R. and Zainal-Abidin, Z. (2011). The Importance of Islamic Art in Mosque Interior. In: *The 2nd International Building Control Conference 2011*. [online] Elsevier Ltd.

Özsariyildiz, S. (1991). *Conceptual design by means of islamic-geometric-patterns within a CAAD-environment*. Doctoral thesis in Architecture. TU-Delft.

Petrick, I. and Simpson, T. (2013). Point of View: 3D Printing Disrupts Manufacturing: How Economies of One Create New Rules of Competition. *Research Technology Management*, 56(6).

Shafiq, J. (2014). Architectural Elements in Islamic Ornamentation: New Vision in Contemporary Islamic Art. *Arts and Design Studies*, [online] 21.

Strauß, H. (2013). *AM Envelope: The potential of Additive Manufacturing for façade construction*. 1st ed. Rotterdam.

Tan, E. (1999). *A study of Kufic script in Islamic calligraphy and its relevance to Turkish graphic art using Latin fonts in the late twentieth century*. Doctor of Philosophy. University of Wollongong.

Teizer, J., Blickle, A., King, T., Leitzbach, O. and Guenther, D. (2016). Large Scale 3D Printing of Complex Geometric Shapes in Construction. In: *33rd international symposium on automation and robotics in construction (isarc 2016)*. [online] Auburn (isarc 2016).

Thalal, A., Benatia, M., Jali, A., Aboufakil, Y. and Elidrissi R., M. (2011). Islamic Geometric Patterns Constructed By Craftsmen Working On Wood. *Symmetry: Culture and Science*, [online] 22.

The Metropolitan Museum of Art (1993). Pierced Window Screen. [image]

Van Wijk, A. and van Wijk, I. (2015). *3d Printing With Biomaterials Towards A Sustainable And Circular Economy*. [ebook] Amsterdam: IOS Press.

Wade, D. (2014). *Early Islamic Art: The Emergence of an Islamic Aesthetic Sensibility*. [online] pattern in islamic art.

Wong, K. and Hernandez, A. (2012). A Review of Additive Manufacturing. *International Scholarly Research Notices Mechanical Engineering*, [online] 2012.

Zilliacus, A. (2017). [image] Available at: <https://www.archdaily.com/805060/the-simplicity-of-iranian-architectures-complex-geometry> [Accessed 5 Feb. 2018].



تم بحمد الله